فتح القدير

الجامع

بين فني الرواية والدراية من علم التفسير

تأليف

الإمام محمد بن علي الشوكاني

١١٧٣ - ١٢٥٠ هـ

حققه وعلق عليه وخرج أحاديثه وضبط نصه

محمد صبحي بن حسن حلاق

راجعه وقابل أصوله وصنع فهارسه

د. عبد الرحمن بن محمد العيزري

الجزء الثامن

دار ابن الجوزي

فتح القدير

٨

دار ابن الجوزي

للنشر والتوزيع

المملكة العربية السعودية:
الدمام - حي الريان - شارع عثمان بن عفان
ت: ٠١٣٨٤٢٨١٤٦ - ٠١٣٨٤٦٧٥٩٣
٠١٣٨٤١٢١٠٠
ص ب. واصل: ٨١١٤
الرمز البريدي: ٣٢٢٥٦
الرقم الإضافي: ٤٩٧٣
الرياض - ت: ٠٥٩٢٦٦٢٤٩٥
جوّال: ٠٥٠٣٨٥٧٩٨٨
الأحساء - ت: ٠١٣٥٨٨٣١٢٢
جدة - ت: ٠١٢٦٨١٤٥١٩
جوّال: ٠٥٨٣٠١٧٩٥١

لبنان:
بيروت - ت: ٠٣/٨٦٩٦٠٠
فاكس: ٠١/٦٤١٨٠١

مصر:
القاهرة - تلفاكس: ٠٢٤٤٣٤٤٩٧٠
جوّال: ٠١٠٠٦٨٢٣٧٣٨٨

aljawzi@hotmail.com
+966503897671
aljawzi
eljawzi
aljawzi.net

ح **دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، ١٤٤٢هـ**
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
الشوكاني، محمد علي
فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير./ محمد علي الشوكاني؛ محمد صبحي حلاق؛ عبد الرحمن بن محمد العيزري.- الدمام، ١٤٤٢هـ
١٠مج.
ردمك: ٩ - ٧٤ - ٨٢٩٨ - ٦٠٣ - ٩٧٨ (مجموعة)
ردمك: ٤ - ٨٢ - ٨٢٩٨ - ٦٠٣ - ٩٧٨ (ج٨)
١ - القرآن - تفسير أ. حلاق، محمد صبحي (محقق)
ب. العيزري، عبد الرحمن بن محمد (محقق) ج. العنوان
ديوي ٢٢٧,٣ ١٤٤٢/٤٠٧٩

الطَّبْعَةُ الأُولَىٰ
١٤٤٢هـ

الباركود الدولي: 9786038298749

فتح القدير

الجامع

بين فني الرواية والدراية من علم التفسير

تأليف
الإمام محمد بن علي الشوكاني
١١٧٣ - ١٢٥٠ هـ

حققه وعلق عليه وخرج أحاديثه وضبط نصه
محمد صبحي بن حسن حلاق

راجعه وقابل أصوله وصنع فهارسه
د. عبد الرحمن بن محمد العيزري

الجزء الثامن

دار ابن الجوزي

بسم الله الرحمن الرحيم

سُورَةُ سَبَإٍ

هي أربع وخمسون آية.

وهي مكية. قال القرطبي(١): في قول الجميع إلّا آية واحدة اخْتُلف فيها، وهي قوله: ﴿وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾ [سبأ: ٦]، فقالت فرقة: هي: مكية، وقالت فرقة: هي: مدنية، وسيأتي الخلاف في معنى هذه الآية إن شاء الله، وفيمن نزلت.

وأخرج ابن الضُرَيس، والنحاس، وابن مردويه، والبيهقي في «الدلائل» عن ابن عباس(٢) قال: نزلت سورة سبأ بمكة.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[موضوعات العقيدة الأساسية: توحيد الله، والإيمان بالوحي، والاعتقاد بالبعث]:

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١﴾ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۚ وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُ ۖ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ ۖ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٣﴾ لِّيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ وَٱلَّذِينَ سَعَوْ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ﴿٥﴾ وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ وَيَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿٧﴾ أَفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِۦ جِنَّةٌ ۗ بَلِ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ فِى ٱلْعَذَابِ وَٱلضَّلَٰلِ ٱلْبَعِيدِ ﴿٨﴾ أَفَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٩﴾﴾.

(١) في «تفسيره» (١٧/ ٢٥٢).

(٢) أخرجه ابن الضريس رقم (١٧، ١٨)، والنحاس في «ناسخه» (ص٦٣٧)، والبيهقي في «الدلائل» (٧/ ١٤٢ ـ ١٤٤).

قوله: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ تعريف الحمد مع لام الاختصاص مشعران باختصاص جميع أفراد[(١)] الحمد بالله سبحانه على ما تقدم تحقيقه في فاتحة الكتاب، والموصول[(٢)] في محل جرّ على النعت، أو البدل، أو النصب على الاختصاص، أو الرفع على تقدير مبتدأ.

ومعنى ﴿لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾: أنّ جميع ما هو فيها في ملكه، وتحت تصرفه يفعل به ما يشاء، ويحكم فيه بما يريد، وكل نعمة واصلة إلى العبد، فهي مما خلقه له، ومنّ به عليه، فحمده على ما في السمٰوات والأرض هو: حمد له على النِّعم التي أنعم بها على خلقه مما خلقه لهم.

ولمّا بيَّن أن الحمد الدنيوي من عباده الحامدين له مختص به بيّن أن الحمد الأخروي مختصّ به كذلك، فقال: ﴿وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾، وقوله: «له» متعلق بنفس الحمد، أو بما تعلّق به خبر الحمد أعني: في الآخرة، فإنه متعلق بمتعلق عام هو: الاستقرار، أو نحوه.

والمعنى: أن له سبحانه على الاختصاص حمدَ عباده الذين يحمدونه في الدار الآخرة إذا دخلوا الجنة كما في قوله: ﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ﴾ [الزمر: ٧٤] وقوله: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا﴾ [الأعراف: ٤٣] وقوله: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ﴾ [فاطر: ٣٤، ٣٥]، وقوله: ﴿وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [يونس: ١٠]، فهو سبحانه المحمود في الآخرة كما أنّه المحمود في الدنيا، وهو: المالك للآخرة كما أنه المالك للدنيا.

﴿وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ﴾ الذي أحكم أمر الدارين ﴿ٱلْخَبِيرُ﴾ بأمر خلقه فيهما، قيل: والفرق بين الحمدين[(٣)]: أن الحمد في الدنيا عبادة، وفي الآخرة تلذذ، وابتهاج؛ لأنّه قد انقطع التكليف فيها.

ثم ذكر سبحانه بعض ما يُحيط به علُمه من أمور السمٰوات، والأرض، فقال:

---

(١) «روح المعاني» (٢٢/٦ ـ ٧)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٧/٢٥٣).

(٢) «التبيان» (٢/١٠٦٢)، و«الفريد» (٤/٥٥).

(٣) «روح المعاني» (٢٢/٧ ـ ٨)، و«تفسير أبي السعود» (٥/٤٣٤).

﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ﴾؛ أي: ما يدخل فيها من مطر، أو كنز، أو دفين[١] ﴿وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا﴾ من زرع، ونبات، وحيوان ﴿وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ﴾ من الأمطار، والثلوج، والبرد، والصواعق، والبركات، ومن ذلك ما ينزل منها من ملائكته، وكتبه إلى أنبيائه ﴿وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا﴾ من الملائكة، وأعمال العباد.

قرأ الجمهور «يَنْزل» بفتح الياء[٢]، وتخفيف الزاي مسنداً إلى «ما»، وقرأ عليّ بن أبي طالب، والسُّلمي بضم الياء[٣] وتشديد الزاي مسنداً إلى الله سبحانه ﴿وَهُوَ الرَّحِيمُ﴾ بعباده ﴿الْغَفُورُ﴾ لذنوبهم. ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ﴾ المراد بهؤلاء القائلين: جنس الكفرة على الإطلاق، أو كفار مكة على الخصوص.

ومعنى ﴿لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ﴾: أنَّها لا تأتي بحال من الأحوال، إنكاراً منهم لوجودها لا لمجرد إتيانها في حال تكلمهم، أو في حال حياتهم مع تحقق وجودها فيما بعد، فردّ الله عليهم، وأمر رسوله أن يقول لهم: ﴿قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ﴾، وهذا القسم لتأكيد الإتيان، قرأ الجمهور «لتأتينكّم»[٤] بالفوقية؛ أي: الساعة، وقرأ طلق المعلم بالتحتية[٥] على تأويل الساعة باليوم، أو الوقت.

قال طَلْق[٦]: سمعتُ أشياخنا يقرءون بالياء، يعني: التحتية على المعنى؛ كأنّه قال: ليأتينكم البعث، أو أمره كما قال: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾ [النحل: ٣٣].

قرأ نافع، وابن كثير[٧] ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ﴾ بالرفع[٨] على أنّه مبتدأ، وخبره لا يعزب، أو على تقدير مبتدأ، وقرأ عاصم، وأبو عمرو بالجرّ على أنه نعت لربي[٩].

---

(١) «الجامع لأحكام القرآن» (١٧/ ٢٥٣)، و«جامع البيان» (١٩/ ٢٠٨ ـ ٢٠٩).
(٢) «البحر المحيط» (٨/ ٥١٨)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٧/ ٢٥٣)، و«روح المعاني» (٢٢/ ٩).
(٣) «القراءات الشاذة» (ص١٢١)، و«روح المعاني» (٢٢/ ١٠). القرءة بالتشديد شاذة.
(٤) «البحر المحيط» (٨/ ٥١٨)، و«روح المعاني» (٢٢/ ٩).
(٥) «القراءات الشاذة» (ص١٢١)، و«المحتسب» (٢/ ١٨٦). القراءة بالتحتية شاذة.
(٦) وقع في «المحتسب»: طليق، بدل: طلق.
(٧) وهذا خطأ وصوابه: ابن عامر.
(٨) «البحر المحيط» (٨/ ٥١٩)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٧/ ٢٥٤)، و«التيسير» (ص١٧٩ ـ ١٨٠).
(٩) انظر: المصادر المتقدمة.

وقرأ حمزة، والكسائي «علّامِ» بالجرّ مع صيغة المبالغة[١]، ومعنى ﴿لَا يَعْزُبُ﴾: لا يغيبُ عنه، ولا يستتر عليه، ولا يبعد ﴿عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ﴾ المثقال ﴿وَلَآ أَكْبَرُ﴾ منه ﴿إِلَّا فِى كِتَـٰبٍ مُّبِينٍ﴾، وهو: اللّوح المحفوظ.

والمعنى: إلّا وهو مثْبَتَ في اللوح المحفوظ الذي اشتمل على معلومات الله سبحانه، فهو مؤكد لنفي العزوب. قرأ الجمهور: «يعزُب» بضم الزاي[٢]، وقرأ يحيى بن وثّاب بكسرها[٣].

قال الفراء[٤]: والكسر أحبّ إليّ، وهما لغتان، يقال[٥]: عَزَبَ يعزُب بالضم، ويعزِب بالكسر إذا بَعُد، وغاب. وقرأ الجمهور: «ولا أصغرُ، ولا أكبرُ» بالرفع على الابتداء[٦]، والخبر «إلّا في كتاب»، أو على العطف على «مثقال»، وقرأ قتادة، والأعمش[٧] بنصبهما عطفاً على «ذرّة»، أو على أنْ «لا» هي «لا» التبرئة التي يبنى[٨] اسمها على الفتح، [٣/٤١٠].

واللّام في: ﴿لِّيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ﴾ للتعليل لقوله: ﴿لَتَأْتِيَنَّكُمْ﴾؛ أي: إتيان الساعة فائدته جزاء المؤمنين بالثواب، والكافرين بالعقاب.

والإشارة بقوله: ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ﴾ إلى الموصول؛ أي: أولئك الذين آمنوا، وعملوا الصالحات ﴿لَهُم مَّغْفِرَةٌ﴾ لذنوبهم ﴿وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾، وهو الجنة بسبب إيمانهم، وعملهم الصالح مع التفّضل عليهم من الله سبحانه.

ثم ذكر فريق الكافرين الذين يُعَاقبون عند إتيان الساعة، فقال: ﴿وَٱلَّذِينَ سَعَوْ فِىٓ ءَايَـٰتِنَا مُعَـٰجِزِينَ﴾؛ أي: سعوا في إبطال آياتنا المنّزلة على الرسل، وقدحوا فيها،

---

(١) «التيسير» (ص١٨٠)، و«البحر المحيط» (٨/ ٥١٩).
(٢) «البحر المحيط» (٨/ ٥١٩)، و«التيسير» (ص١٢٢)، و«روح المعاني» (٢٢/ ١٣). والقراءة بكسر الزاي قراءة متواترة فقد قرأ بها الكسائي.
(٣) انظر: المصادر المتقدمة.
(٤) في «معاني القرآن» (٢/ ٣٥١).
(٥) «معاني القرآن» للنحاس (٥/ ٣٩٣)، و«البحر المحيط» (٨/ ٥١٩).
(٦) «التيسير» (ص١٢٢)، و«زاد المسير» (٦/ ٤٣٣)، و«البحر المحيط» (٨/ ٥١٩).
(٧) «القراءات الشاذة» (ص١٢١)، و«التبيان» (٢/ ١٠٦٢)، و«روح المعاني» (٢٢/ ١٣).
(٨) «روح المعاني» (٢٢/ ١٢)، و«التبيان» (٢/ ١٠٦٢). والقراءة بالنصب شاذة.

وصدّوا الناس عنها، ومعنى ﴿مُعَٰجِزِينَ﴾: مُسَابقين يحسبون أنهم يفوتوننا، ولا يدركون، وذلك باعتقادهم: أنّهم لا يُبْعَثون، يقال: عاجزه، وأعجزه: إذا غالبه، وسبقه.

قرأ الجمهور[١] «مُعاجزين»، وقرأ ابن كثير، وابن محيصن، وحُميد، ومجاهد، وأبو عمرو «مُعَجِّزين»[٢]؛ أي: مُثبطين للنّاس عن الإيمان بالآيات ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾؛ أي: الذين سعوا ﴿لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ﴾ الرجز هو: العذابُ، فمن للبيان، وقيل: الرجز هو: أسوأ العذاب، وأشدّه، والأوّل أولى. ومِنْ ذلك قوله: ﴿فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [البقرة: ٥٩] قرأ الجمهور[٣]: ﴿أَلِيمٌ﴾ بالجرّ صفة لرجز. وقرأ ابن كثير، وحَفصْ عن عاصم بالرفع[٤] صفة لعذاب، والأليم: الشديد الألم.

﴿وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ﴾ لمّا ذكر الذين سَعوا في إبطال آياتِ الله ذكر الذين يُؤمنون بها، ومعنى: ﴿وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ﴾؛ أي: يَعْلمون، وهم الصحابة.

وقال مُقاتل[٥]: هم: مؤمنو أهل الكتاب، وقيل: جميع المسلمين، والموصول هو المفعول الأوّل ليرى، والمفعول الثاني الحقّ، والضمير هو: ضمير الفصل.

وبالنصب[٦] قرأ الجمهور، وقرأ ابنُ أبي عَبْلة بالرفع[٧] على أنَّه خبر الضمير، والجملة في محل نصب على أنها المفعول الثاني، وهي لغة تميم، فإنهم يرفعون ما بعد ضمير الفصل، وزعم الفرّاء[٨]: أن الاختيار الرفع، وخالفه غيره، وقالوا: النصب أكثر.

---

(١) «التيسير» (ص١٥٨)، و«فتح الباري» (٨/ ٤١١)، و«النشر» (٢/ ٣٣٧)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (٢/ ١٢٢).
(٢) انظر: المصادر المتقدمة.
(٣) «البحر المحيط» (٨/ ٥٢٠)، و«النشر» (٣٤٩٢)، و«التيسير» (ص١٨٠)، و«التبيان» (٢/ ١٠٦٣)، و«زاد المسير» (٦/ ٤٣٣).
(٤) انظر: المصادر المتقدمة.
(٥) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٧/ ٢٥٦).
(٦) «البحر المحيط» (٨/ ٥٢١)، و«التبيان» (٢/ ١٠٦٣)، و«روح المعاني» (٢٢/ ١٨).
(٧) انظر: «القراءات الشاذة» (ص١٢١)، و«حاشية الشهاب» (٧/ ١٩٠)، و«البحر المحيط» (٨/ ٥٢١). والقراءة برفع الحق شاذة.
(٨) في «معاني القرآن» (٢/ ٣٥٢).

قيل: وقوله: ﴿وَيَرَى﴾ معطوف على ليجزي، وبه قال الزجاج[(١)]، والفراء[(٢)]، واعترضَ عليهما بأنَّ قوله: ﴿لِّيَجْزِيَ﴾ متعلق بقوله: «لتأتينّكم الساعة» ولا يقال: لتأتينّكم الساعة ليرى الذين أوتوا العلم أنّ القرآن حقٌّ، والأولى أنه كلام مستأنف لدفع ما يقوله الذين سعوا في الآيات؛ أي: إنّ ذلك السعي منهم يدلّ على جهلهم؛ لأنّهم مخالفون لما يعلمه أهل العلم في شأن القرآن.

﴿وَيَهْدِيَ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾ معطوف[(٣)] على الحقّ عطف فعل على اسم؛ لأنَّه في تأويله كما في قوله: ﴿صَٰٓفَّٰتٍ وَيَقْبِضْنَ﴾ [الملك: ١٩]؛ أي: وقابضات كأنه قيل: وهادياً، وقيل: إنَّه مستأنف، وفاعله ضمير يرجع إلى فاعل أنزل، وهو: القرآن. والصراط: الطريق؛ أي: ويهدي إلى طريق ﴿ٱلْعَزِيزِ﴾ في مُلْكه ﴿ٱلْحَمِيدِ﴾ عند خلقه، والمراد: أنَّه يهدي إلى دين الله، وهو: التوحيدُ.

ثم ذكر سبحانه نَوعاً آخر مِنْ كلام مُنْكري البعث، فقال: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾؛ أي: قال بعض لبعض: ﴿هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ﴾. يعنون: محمداً ﷺ أي: هل نرشدكم إلى رجلٍ.

﴿يُنَبِّئُكُمْ﴾؛ أي: يُخبركم بأمر عجيب، ونبأ غريب هو: أنَّكم ﴿إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ﴾؛ أي: فُرقّتم كل تفريق، وقطعتم كل تقطيع، وصرتم بعد موتكم رفاتاً وتراباً ﴿إِنَّكُمْ لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾؛ أي: تُخْلقَون خلقاً جديداً، وتُبعثون مِنْ قبوركم أحياء، وتعودون إلى الصور التي كنتم عليها، قال هذا القول بعضهم لبعض استهزاءً بما وعدهم الله على لسان رسوله مِنْ البعث، وأخرجوا الكلام مخرج التلهي[(٤)] به، والتضاحك ممّا يقوله مِنْ ذلك، «وإذا» في موضع نصب بقوله: ﴿مُزِّقْتُمْ﴾.

قال النّحاس[(٥)] ولا يجوز: أَنْ يكون العامل فيها يُنبئكم؛ لأنَّه ليس يخبرهم ذلك الوقت.

ولا يجوز: أَنْ يكون العامل فيها ما بعد إنّ؛ لأنه لا يعمل فيما قبلها.

---

(١) في «معاني القرآن وإعرابه» (٤/ ٢٤١). (٢) في «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٣٥٢).
(٣) «التبيان» (٢/ ١٠٦٣)، و«الفريد» (٤/ ٥٧).
(٤) «الجامع لأحكام القرآن» (١٧/ ٢٥٧)، و«روح المعاني» (٢٢/ ٢١).
(٥) في «إعراب القرآن» للنحاس (٣/ ٣٣٢ ـ ٣٣٣).

وأجاز الزجاج[١]: أن يكون العامل فيها محذوفاً، والتقدير: إذا مزّقتم كل ممزّق بعُثتم، أو نبئتم بأنكم تبعثون إذا مزقتم.

وقال المَهْدوي[٢]: لا يجوز أن يعمل فيه مُزقّتم؛ لأنه مضاف إليه، والمضاف إليه لا يعمل في المضاف. وأصل المزق: خَرْقُ الأشياء، يقال: ثوب مزيق، وممزق، ومتمزق، وممزوق.

ثم حكى سبحانه عَنْ هؤلاء الكفّار: أنّهم ردّدوا ما وعدهم به رسول الله ﷺ من البعث بين أمرين، فقالوا: ﴿أَفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِۦ جِنَّةٌۢ﴾؛ أي: أهو كاذب فيما قاله أم به جنون بحيث لا يعقل ما يقوله؟ والهمزة في أفترى هي: همزة الاستفهام[٣]، وحذفت لأجلها همزة الوصل كما تقدّم في قوله: ﴿أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ﴾ [مريم: ٧٨]، ثُّم ردّ عليهم سبحانه ما قالوه في رسوله، فقال: ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ فِى ٱلْعَذَابِ وَٱلضَّلَٰلِ ٱلْبَعِيدِ﴾؛ أي: ليس الأمر كما زعموا؛ بل هم الذين ضلُّوا عَنْ الفهم، وإدراك الحقائق، فكفروا بالآخرة، ولم يؤمنوا بما جاءهم به، فصاروا بسبب ذلك في العذاب الدائم في الآخرة، وهم اليوم في الضلال البعيد عن الحق غاية البعد.

ثم وبخّهم[٤] سبحانه بما اجترأوا عليه مِنْ التكذيب؛ مبيناً لهم أن ذلك لم يصدر منهم إلّا لعدم التفكر، والتدبر في خلق السماء والأرض، وأنّ من قدر على هذا الخلق العظيم لا يعجزه أن يبعث من مخلوقاته ما هو دون ذلك، ويعيده إلى ما كان عليه من الذات والصفات، ومعنى ﴿إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُم﴾: أنهم إذا نظروا رأوا السماء خلفهم، وقدّامهم.

وكذلك إذا نظروا في الأرض رأوها خلفهم، وقدّامهم، فالسماء والأرض محيطتان بهم، فهو القادر على أن ينزل بهم ما شاء من العذاب بسبب كفرهم، وتكذيبهم لرسوله، وإنكارهم للبعث، فهذه الآية اشتملت[٥] على أمرين:

أحدهما: أنّ هذا الخلق الذي خلقه الله من السماء، والأرض يدلّ على كمال

---

(١) في «معاني القرآن وإعرابه» (٤/ ٢٤١).

(٢) انظر: «روح المعاني» (٢٢/ ٢١ ـ ٢٢)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٧/ ٢٥٨).

(٣) «روح المعاني» (٢٢/ ٢٢)، و«إعراب القرآن» للنحاس (١٧/ ٢٥٨).

(٤) «تفسير الرازي» (٢٥/ ٢٤٤ ـ ٢٤٥)، و«روح المعاني» (٢٢/ ٢٦ ـ ٢٧).

(٥) «روح المعاني» (٢٢/ ٢٧)، و«تفسير أبي السعود» (٥/ ٤٣٨).

القدرة على ما هو دونه من البعث كما في قوله: ﴿أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمۚ﴾ [يسٓ: ٨١].

والأمر الآخر: التهديد لهم بأن من خلق السماء والأرض على هذه الهيئة التي قد أحاطت بجميع المخلوقات فيهما قادر على تعجيل العذاب لهم ﴿إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ﴾ كما خَسفَ بقارون ﴿أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا﴾؛ أي: قطعاً ﴿مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ كما أسقطها على أصحاب الأيكة، فكيف يأمنون ذلك؟

قرأ الجمهور «إنْ نشأ» بنون العظمة[(١)]، وكذا «نخسف»، «ونُسْقِطِ». وقرأ حمزة، والكسائي بالياء[(٢)] التحتية في الأفعال الثلاثة؛ أي: إنْ يشأ الله.

وقرأ الكسائي وحده بإدغام الفاء[(٣)] في الباء في «نخسف بهم».

قال أبو علي الفارسي[(٤)]: وذلك غير جائز؛ لأنّ الفاء من باطن الشفة السفلى، وأطراف الثنايا العليا بخلاف الباء.

وقرأ الجمهور[(٥)]: «كِسْفا» بسكون السين. وقرأ حفص، والسُلمي بفتحها[(٦)]. ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾ المذكور مِنْ خلق السماء والأرض ﴿لَأٓيَةً﴾ واضحة ودلالة بينة ﴿لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ﴾؛ أي: راجع إلى ربِّه بالتوبة، والإخلاص، وخصّ المنيب؛ لأنه المنتفع بالتفكر.

وقد أخرج ابن أبي حاتم[(٧)] عن السدّي في قوله: ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ قال: من المطر ﴿وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا﴾ قال: من النبات ﴿وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ قال: من الملائكة ﴿وَمَا يَعْرُجُ فِيهَاۚ﴾ قال: الملائكة.

---

(١) «التيسير» (ص١٨٠)، و«النشر» (٢/ ٣٤٩)، و«البحر المحيط» (٨/ ٥٢٣)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (٢/ ٢٠٢). وهي قرأة متواترة عن الكسائي، وقرأ الجمهور بالإظهار.

(٢) انظر: المصادر المتقدمة.

(٣) «البحر المحيط» (٨/ ٥٢٣)، و«النشر» (٢/ ١٢١٢)، و«التيسير» (ص١٨٠)، و«التبيان» (٢/ ١٠٦٣). وهي قراءة متواترة عن الكسائي، وقرأ الجمهور بالاظهار.

(٤) في «الحجة» (٦/ ٧ ـ ٨).

(٥) «النشر» (٢/ ٣٠٩)، و«التيسير» (ص١٦٦)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (٢/ ٥١).

(٦) انظر: المصادر المتقدمة.

(٧) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٦٧٤).

وأخرج عبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن قتادة[(١)] في قوله: ﴿مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ﴾ قال: الرجز هو: العذاب الأليم الموجع، وفي قوله: ﴿وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ﴾ قال: أصحاب محمد.

وأخرج ابن أبي حاتم[(٢)] عن الضحاك في الآية قال: يعني: المؤمنين من أهل الكتاب.

وأخرج عبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن قتادة[(٣)] في قوله: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ﴾ قال: قال ذلك مشركو قريش ﴿إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ﴾ يقول: إذا أكلتكم الأرض، وصرتم رفاتاً وعظاماً، وتقطعتكم السباع، والطير ﴿إِنَّكُمْ لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ إنكم ستحيون، وتبعثون، قالوا ذلك تكذيباً به ﴿أَفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِۦ جِنَّةٌۢ﴾ قال: قالوا: إما أن يكون يكذب على الله، وإما أن يكون مجنوناً ﴿أَفَلَمْ يَرَوْاْ إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ قالوا: إنك إن نظرت عن يمينك، وعن شمالك، ومن بين يديك، ومن خلفك رأيت السماء والأرض ﴿إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ﴾ كما خسفنا بمن كان قبلهم ﴿أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾؛ أي: قطعاً من السماء إن يشأ أن يعذب بسمائه فعل، وإن يشأ أن يعذب بأرضه فعل، وكل خلقه له جند ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ﴾ قال: تائب مقبل إلى الله.

[داوود وسليمان]:

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ﴿١٠﴾ أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ وَٱعْمَلُواْ صَٰلِحًا إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١﴾ وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا

---

(١) عزاه إليهم السيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٦٧٤).
وأخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٩/ ٢١٣)، وعبد الرزاق في «تفسيره» (٢/ ١٢٦) بسند صحيح.

(٢) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٦٧٤).

(٣) عزاه إليهم السيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٦٧٤).
أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٩/ ٢١٥، ٢١٦) بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة، به.
وأخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢/ ١٢٦).

شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٢﴾ يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ ٱعْمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُواْ فِي ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴿١٤﴾﴾.

ثم ذكر سبحانه من عباده المنيبين إليه داود وسليمان، كما قال في داود: ﴿فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾ [صٓ: ٢٤] وقال في سليمان: ﴿وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ﴾ [صٓ: ٣٤]، فقال: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا﴾؛ أي: آتيناه بسبب إنابته فضلاً منا على سائر الأنبياء.

واختلف في هذا الفضل على أقوال(١): فقيل: النبوّة، وقيل: الزبور، وقيل: العلم، وقيل: القوّة كما في قوله: ﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ﴾ [صٓ: ١٧] وقيل: تسخير(٢) الجبال كما في قوله: ﴿يَٰجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ﴾ وقيل: التوبة، وقيل: الحكم بالعدل كما في قوله: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِي ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ﴾ [صٓ: ٢٦] وقيل: هو: إلانةُ الحديد كما في قوله: ﴿وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ﴾، وقيل: حسن الصوت، والأولى أنْ يقال: إن هذا الفضل المذكور هو ما ذكره الله بعده من قوله: ﴿يَٰجِبَالُ﴾ إلى آخر الآية.

وجملة: ﴿يَٰجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُۥ﴾ مُقدّرة بالقول؛ أي: قلنا يا جبال. والتأويب: التسبيح كما في قوله: ﴿إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ﴾ [صٓ: ١٨]. قال أبو ميسرة(٣): هو: التسبيح بلسان الحبشة. وكان إذا سبّح داود سبحت معه، ومعنى تسبيح الجبال: أن الله يجعلها قادرة على ذلك، أو يخلق فيها التسبيح معجزة لداود، وقيل: معنى أوّبي: سيري معه، من التأويب الذي هو سير النهار أجمع، ومنه قول ابن مُقْبل(٤):

---

(١) «النكت والعيون» (٤/ ٤٣٥)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٧/ ٢٦٠).

(٢) «جامع البيان» (١٩/ ٢١٩).

(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٩/ ٢٢٠)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (١١/ ٥٥٩) بسند صحيح.

(٤) انظر: «ذيل ديوان تميم بن مقبل» رقم (١٤).
وانظر: «ديوان الراعي النميري» (ص٣٩).

لحِقنا بحيّ أوّبوا السَّير بعدَ ما دفعنا شُعاعَ الشَّمس والطَّرفُ مجنحُ

قرأ الجمهور[١] «أَوِّبي» بفتح الهمزة، وتشديد الواو على صيغة الأمر، من التأويب، وهو: الترجيع، أو التسبيح، أو السير، أو النوح.

وقرأ ابن عباس، والحسن وقتادة، وابن أبي إسحاق «أُوْبي» بضم الهمزة[٢] أمراً من آب: يئوب إذا رجع؛ أي: ارجعي معه.

قرأ الجمهور ﴿وَٱلطَّيۡرَ﴾ بالنصب[٣] عطفاً على «فضلاً» على معنى؛ وسخرنا له الطير؛ لأن إيتاءه إياها تسخيرها له، أو عطفاً على محل ﴿يَٰجِبَالُ﴾؛ لأنه منصوب تقديراً، إذ المعنى: نادينا الجبالَ، والطيرَ.

وقال سيبويه[٤]، وأبو عمرو بن العلاء[٥]: انتصابه بفعل مضمر على معنى: وسخرنا له الطير.

وقال الزجاج[٦]، والنحاس: يجوز: أن يكون مفعولاً معه كما تقول: استوى الماء، والخشبةَ. [٣/٤١١].

وقال الكسائي[٧]: إنّه معطوف على فضلاً لكن على تقدير مضاف محذوف؛ أي: آتيناه فضلاً، وتسبيح الطير.

وقرأ السُلمي، والأعرج، ويعقوب، وأبو نوفل، وابن أبي إسحاق، ونصر عن عاصم، وابن هرمز، ومسلمة بن عبد الملك بالرفع[٨] عطفاً على لفظ الجبال، أو

---

(١) «البحر المحيط» (٨/ ٥٢٤)، و«جامع البيان» (١٩/ ٢٢٠)، و«زاد المسير» (٦/ ٤٣٥).

(٢) «القراءات الشاذة» (ص١٢١)، و«حاشية الجمل» (٣/ ٤٦٢)، و«البحر المحيط» (٨/ ٥٢٤). هي قراءة شاذة.

(٣) «النشر» (٢/ ٣٤٩)، و«جامع البيان» (١٩/ ٢٢٠)، و«التبيان» (٢/ ١٠٦٤)، و«البحر المحيط» (٨/ ٥٢٤).

(٤) في «الكتاب» (٢/ ١٨٦ ـ ١٨٧).

(٥) ذكره النحاس في «إعراب القرآن» (٣/ ٣٣٤).

(٦) في «معاني القرآن وإعرابه» (٤/ ٣٤٣).

(٧) ذكره النحاس في «إعراب القرآن» (٣/ ٣٣٤).

(٨) «القراءات الشاذة» (ص١٢٠)، و«البحر المحيط» (٨/ ٥٢٥)، والقراءة المتواترة عن عاصم كقراءة الجماعة وكذا الرواية عن يعقوب وأبي عمرو شاذة. والقراءة المتواترة عن جمهور القراء بالنصب. ومنهم عاصم.
انظر: «البحر المحيط» (٨/ ٥٢٥)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٧/ ٢٦٢).

على المضمر في أوّبي لوقوع الفصل بين المعطوف، والمعطوف عليه ﴿وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ﴾ معطوف على آتيناه؛ أي: جعلنّاه ليناً؛ ليعمل به ما شاء.

قال الحسن(١): صار الحديد كالشمع يعمله من غير نار.

وقال السدّي(٢): كان الحديد في يده كالطين المبلول، والعجين، والشمع يصرفه كيف يشاء من غير نار، ولا ضرب بمطرقة، وكذا قال مقاتل(٣)، وكان يفرغ مِنْ عمل الدرع في بعض يوم ﴿أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ﴾ في «أن» هذه وجهان(٤):

أحدهما: أنها مصدرية على حذف حرف الجرّ؛ أي: بأنْ اعمل، **والثاني**: أنها المفسِّرة لقوله: ﴿وَأَلَنَّا﴾، وفيه نظر؛ لأنها لا تكون إلّا بعد القول، أو ما هو في معناه. وقدّر بعضُهم فعلاً فيه معنى القول، فقال التقدير: وأمرناه أن اعمل.

وقوله: ﴿سَٰبِغَٰتٍ﴾ صفة لموصوف محذوف؛ أي: دروعاً سابغات، والسابغات الكوامل الواسعات، يقال: سَبَغَ الدِّرْعُ، والثوبُ.

وغيرهُما: إذا غّطى كُّل ما هو عليه، وفَضَلَ منه فضلة ﴿وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ﴾ السّرْد: نسج الدروع، ويقال: السرد(٥) والزّرْد كما يقال: السّراد، والزّراد لصانع الدروع، والسرد أيضاً الخَرْز، يقال: سَرَد يَسْرُد: إذا خَرَز، ومنِه سَرْد الكلام: إذا جاء به متوالياً، ومنه حديث عائشة(٦): لم يكن النبي ﷺ يَسْرُد الحديث كسردكم.

قال سيبويه(٧): ومنه سريد؛ أي: جري، ومعنى سرد الدروع: إحكامها، وأن يكون نظم حَلقَها ولاءً غير مختلف، ومنه قول لبيد(٨):

سَرَدَ الدَّروعَ مُضاعَفاً أَسْرادَه ... لِيَنالَ طُول العَيْشِ غيرَ مَرُوم

وقول أبي ذؤيب الهذلي(٩):

وَعَليهما مَسْرُودتانِ قَضَاهُما ... دَاودُ إذْ صنعَ السَّوابغَ تُبَّعُ

---

(١) عزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٦٧٦) إلى ابن أبي حاتم.
(٢) ذكره أبو حيان في «البحر المحيط» (٨/ ٥٢٦)، والقرطبي في «تفسيره» (١٧/ ٢٦٢).
(٣) ذكره أبو حيان في «البحر المحيط» (٨/ ٥٢٦)، والقرطبي في «تفسيره» (١٧/ ٢٦٢).
(٤) «التبيان» (٢/ ١٠٦٤)، و«الفريد» (٤/ ٥٩). (٥) «مفردات ألفاظ القرآن» (ص٤٠٦).
(٦) أخرجه أحمد (٦/ ١١٨)، والبخاري رقم (٣٥٦٨)، ومسلم رقم (١٦٠/ ٢٤٩٣)، والترمذي رقم (٣٦٣٩)، وقال: «هذا حديث حسن».
(٧) في «الكتاب» (٤/ ٣٢٣). (٨) انظر: «ديوانه» (ص١٠٩).
(٩) انظر: «ديوان الهذليين» (ص١٩)، و«سر صناعة الإعراب» (٢/ ٧٦٠).

قال قتادة[١]: كانت الدروع قبل داود ثقالاً، فلذلك أمر هو بالتقدير فيما يجمع الخفّة والحصانة؛ أي: قدّر ما تأخذ من هذين المعنيين بِقِسْطه، فلا تقصد الحصانة فيثقل، ولا الخفة فيزيل المَنعة.

وقال ابن زيد[٢]: التقدير الذي أُمر به هو في قَدْر الحَلْقة؛ أي: لا تعملها صغيرة فتُضعف، ولا يقوى الدرع على الدفاع، ولا تعملها كبيرة فتثقلُ على لابسها.

وقيل: إن التقدير[٣] هو في المسمار؛ أي: لا تجعل مسمار الدرع دقيقاً فيفلق، ولا غليظاً فيفصم الحَلَق.

ثم خاطب داود، وأهله، فقال: ﴿وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ﴾؛ أي: عملاً صالحاً كما في قوله: ﴿ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرًاۚ﴾، ثم علّل الأمر بالعمل الصالح بقوله: ﴿إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ﴾؛ أي: لا يخفى عليّ شيء من ذلك ﴿وَلِسُلَيۡمَٰنَ ٱلرِّيحَ﴾ قرأ الجمهور «الريحَ» بالنصب[٤] على تقدير: وسخرنا لسليمان الريح كما قال الزجاج[٥].

وقرأ عاصم في رواية أبي بكر عنه بالرفع[٦] على الابتداء، والخبر؛ أي: ولسليمان الريح ثابتة أو مسخرة.

وقرأ الجمهور[٧] «الريحَ»، وقرأ الحسن، وأبو حيوة، وخالد بن إلياس «الرياحَ»[٨] بالجمع ﴿غُدُوُّهَا شَهۡرٞ وَرَوَاحُهَا شَهۡرٞۖ﴾؛ أي: تسير بالغداة مسيرة شهر، وتسير بالعشي كذلك، والجملة إما مستأنفة لبيان تسخير الريح، أو في محل نصب على الحال[٩]، والمعنى: أنها كانت تسير في اليوم الواحد مسيرة شهرين.

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٩/ ٢٢٣) بسند صحيح.

(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٩/ ٢٢٣ ـ ٢٢٤) بسند صحيح.

(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٩/ ٢٢٥)، عن ابن عباس بسند ضعيف.

(٤) «جامع البيان» (١٩/ ٢٢٦)، و«التيسير» (ص١٨٠)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (٢/ ٢٠٣)، و«البحر المحيط» (٨/ ٥٢٦).

(٥) في «معاني القرآن وإعرابه» (٤/ ٢٤٥).

(٦) «التيسير» (ص١٨٠)، و«النشر» (٢/ ٣٤٩)، و«البحر المحيط» (٨/ ٥٢٦).

(٧) «البحر المحيط» (٨/ ٥٢٦)، و«النشر» (٢/ ٣٤٩)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (٢/ ٢٠٣).

(٨) انظر: المصادر المتقدمة.

(٩) «التبيان» (٢/ ١٠٦٤)، و«الفريد» (٤/ ٥٩).

قال الحسن[١]: كان يغدو من دمشق، فيقيل بإصْطَخْر، وبينهما مسيرة شهر للمسرع، ثم يروح من إصطخر، فيبيت بكابلُ، وبينهما مسيرة شهر ﴿وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ﴾ القطر: النُّحاس الذائب.

قال الواحدي[٢]: قال المفسِّرون: أجريت له عين الصُّفْر ثلاثة أيام بلياليهن كجري الماء، وإنما يعمل الناس اليوم بما أعطي سليمان، والمعنى: أسلنا له عين النحاس كما ألنا الحديد لداود.

وقال قتادة[٣]: أَسَال الله له عيناً يستعملها فيما يريد.

﴿وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ﴾ (من) مبتدأ، و(يعمل) خبره، ومن الجنّ متعلق به، أو بمحذوف على أنه حال، أو مَنْ يعمل معطوف على الريح[٤]، ومن الجنّ حال.

والمعنى: وسخرنا له مَنْ يعمل بين يديه حال كونه مِنْ الجنّ بإذن ربه؛ أي: بأمره. والإذن مصدر مضاف إلى فاعله، والجار والمجرور في محل نصب على الحال؛ أي: مسخراً أو ميسراً بأمر ربه ﴿وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا﴾؛ أي: ومن يعدل من الجنّ عن أمرنا الذي أمرناه به، وهو: طاعة سليمان ﴿نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ﴾ قال أكثر المفسِّرين[٥]: وذلك في الآخرة، وقيل: في الدنيا.

قال السدّي[٦]: وكّل الله بالجنّ مَلَكاً بيده سوط من نار، فمن زاغ عن أمر سليمان ضربه بذلك السوط ضربة فتحرقه. ثم ذكر سبحانه ما يعمله الجنّ لسليمان فقال: ﴿يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ﴾، و«من» في قوله: ﴿مِن مَّحَٰرِيبَ﴾ للبيان، والمحاريب في اللغة كل موضع مُرْتَفع، وهي: الأبنية الرفيعة، والقصور العالية.

---

(١) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٧/ ٢٦٦)، عن الحسن.
وأخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٩/ ٢٢٨) من طريق قُرة، عن الحسن.
وأخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢/ ١٢٧)، وابن عساكر في «تاريخه» (٢/ ٢٣١) من طريق معمر، عن الحسن.

(٢) في «الوسيط» (٣/ ٤٨٨).

(٣) ذكره النحاس في «معاني القرآن» (٥/ ٣٩٨) بنحوه.

(٤) «التبيان» (٢/ ١٠٦٥)، و«إعراب القرآن» للنحاس (٣/ ٣٣٥).

(٥) «الوسيط» (٣/ ٤٨٨).

(٦) ذكره البغوي في «تفسيره» (٦/ ٣٨٩)، والقرطبي في «الجامع لأحكام القرآن» (١٧/ ٢٦٩).

قال المبرد[١]: لا يكون المحراب إلّا أن يرتقى إليه بدرجٍ، ومنه قيل للذي يصلي فيه: محراب؛ لأنه يرفع ويعظم.

وقال مجاهد[٢]: المحاريب دون القصور.

وقال أبو عبيدة[٣]: المحراب أشرف بيوت الدار.

ومنه قول الشاعر[٤]:

وَمَاذا عَلَيهِ إنْ ذَكرتُ أوانِسا　　كغِزْلانِ رَمْلٍ في مَحَاريبِ أَقيالِ

وقال الضحاك[٥]: المراد بالمحاريب هنا المساجد.

والتماثيل جمع تمثال، وهو كُل شيءٍ مثّلته بشيء؛ أي: صوّرته بصورته من نحاس، أو زجاج، أو رخام، أو غير ذلك.

قيل: كانت هذه التماثيل صور الأنبياء، والملائكة، والعلماء، والصلحاء، وكانوا يصوّرونها في المساجد؛ ليراها الناس، فيزدادوا عبادة واجتهاداً.

وقيل: هي تماثيل أشياء ليست من الحيوان.

وقد استدل بهذا على أنّ التصوير كان مباحاً[٦] في شرع سليمان، ونسخ ذلك بشرع نبينا محمد ﷺ. والجفان جمع جفنة، وهي: القصعة الكبيرة. والجواب جمع جابية، وهي: حفيرة كالحوض، وقيل: هي الحوض الكبير يجبي الماء؛ أي: يجمعه.

قال الواحدي[٧]: قال المفسِّرون: يعني: قصاعاً في العظم كحياض الإبل يجتمع على القصعة الواحدة ألف رجل يأكلون منها.

قال النحاس[٨]: الأولى إثبات الياء في الجوابي، ومن حذف الياء قال: سبيل

---

(١) في «الكامل» (٢/ ٩٤٩).
(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٩/ ٢٣٠) بسند صحيح.
(٣) في «مجاز القرآن» (٢/ ١٤٤).
(٤) انظره في: «ديوان امرئ القيس» (ص٣٤).
(٥) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٩/ ٢٣١) بسند ضعيف.
(٦) «أحكام القرآن» لابن العربي (٤/ ١٥٨٨).
(٧) في «الوسيط» (٣/ ٤٨٩).
(٨) في «إعراب القرآن» للنحاس (٣/ ٣٣٦). أثبت ياء الجوابي وقفاً ووصلاً ابن كثير ويعقوب، وأثبتها وصلاً لا وقفاً ورش وأبو عمرو والباقي حذفوها في الوقف والوصل. «النشر» (٢/ ١٨٣).

الألف واللام أن تدخل على النكرة فلا تغيرها عن حالها، فلما كان يقال جواب، ودخلت الألف واللام أقرّ على حاله، فحذف الياء.

قال الكسائي[1]: يقال: جبوتُ الماء، وجبيته في الحوض؛ أي: جمعتُه، والجابية: الحوضُ الذي يُجبى فيه الماء للإبل.

وقال النحاس[2]: والجابية القِدْر العظيمة، والحوض العظيم الكبير الذي يجبى فيه الشي؛ أي: يُجمع، ومنه جبيت الخَراج، وجبيت الجراد: جمعته في الكساء.

﴿وَقُدُورٍ رَّاسِيَـٰتٍۚ﴾ قال قتادة[3]: هي: قدور النحاس تكون بفارس.

وقال الضحاك[4]: هي: قدور تُنحت من الجبال الصمّ عملتها له الشياطين.

ومعنى راسيات: ثابتات لا تُحمل، ولا تحرّك لعظمها.

ثم أمرهم سبحانه بالعمل الصالح على العموم؛ أي: سليمان وأهله، فقال: ﴿ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًاۚ﴾؛ أي: وقلنا لهم: اعملوا بطاعةِ الله يا آل داود شكراً له على ما آتاكم، أو اعملوا عملاً شكراً على أنه صفة مصدر محذوف[5]، أو اعملوا للشكر على أنه مفعول له، أو حال؛ أي: شاكرين، أو مفعول به، وسُميت الطاعة شكراً لأنّها مِنْ جملة أنواعه، أو منصوب على المصدرية بفعل مقدّر من جنسه؛ أي: اشكروا شكراً.

ثم بيَّن بعد أمرهم بالشكر أن الشاكرين له من عباده ليسوا بالكثير، فقال: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ﴾؛ أي: العامل بطاعتي، الشاكر لنعمتي قليل. وارتفاع قليل على أنه خبر مقدّم، ومن عبادي صفة له، والشكور مبتدأ ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ﴾؛ أي: حكمنا عليه به، وألزمناه إياه ﴿مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ﴾؛ يعني: الأَرَضَة. وقُرئ «الأرضَ» بفتح الراء[6]؛ أي: الأكل، يقال: أَرِضت الخشبةُ أَرْضاً: إذا أكلتها الأرَضة.

---

(١) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٧/ ٢٧٦). (٢) في «إعراب القرآن» للنحاس (٣/ ٣٣٦).

(٣) ذكره النحاس في «إعراب القرآن» (٣/ ٣٣٦)، والقرطبي في «تفسيره» (١٧/ ٢٧٧)، عن سعيد بن جبير.

(٤) «إعراب القرآن» للنحاس (٣/ ٣٣٦)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٧/ ٢٧٧).

(٥) «روح المعاني» (٢٢/ ٤٧)، و«الفريد» (٤/ ٦٠ ـ ٦١)، و«التبيان» (٢/ ١٠٦٥).

(٦) «القراءات الشاذة» (ص١٢١)، و«البحر المحيط» (٨/ ٥٣٠)، و«روح المعاني» (٢٢/ ٥٠).

ومعنى ﴿تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ﴾: تأكل عصاه التي كان متكئاً عليها، والمنسأة: العصا بلغة الحبشة، أو هي مأخوذة مِنْ نسأت الغنم؛ أي: زجرتها.

قال الزجاج[١]: المنسأة التي ينسأ بها؛ أي: يُطرد.

قرأ الجمهور «مِنْسأَته» بهمزة مفتوحة[٢]. وقرأ ابن ذكوان بهمزة ساكنة[٣]، وقرأ نافع، وأبو عمرو بألف محضة[٤].

قال المبرد[٥]: بعض العرب يبدل مِنْ همزتها ألفاً، وأنشد:

إذَا دَبَبْتَ على المِنْساةِ مِنْ كِبَرٍ ... فقد تباعدَ عنكَ اللَّهو والغَزَلُ[٦]

ومثل قراءة الجمهور قول الشاعر:

ضَرَبنا بِمِنْسأَةٍ وجهَهُ ... فصارَ بذاكَ مَهيناً ذَلِيلا[٧]

ومثله:

أَمِن أجلِ حبلٍ لا أباكَ ضربتَه ... بمنسأَةٍ قد جرّ حبلُك أحبُلا[٨]

ومما يدلّ على قراءة ابن ذكوان قول طرفة[٩]:

أَمُونٌ كألواحِ الأَرَانِ نَسَأْتُها ... عَلَى لَاحِبٍ كأنَّه ظَهْرُ بُرْجُدِ

﴿فَلَمَّا خَرَّ﴾؛ أي: سقط ﴿تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ﴾؛ أي: ظهر لهم، من تبينت الشيء إذا علمتُه؛ أي: علمتْ الجنُّ: ﴿أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ﴾؛ أي: لو صح ما يزعمونه من أنهم يعلمون الغيب لعلموا بموته، ولم يلبثوا بعد موته مدةً طويلة في العذاب المهين في العمل الذي أمرهم به، والطاعة له، وهو إذ ذاك ميت.

---

(١) في «معاني القرآن وإعرابه» (٤/ ٢٤٧).

(٢) «التيسير» (ص١٨٠)، و«النشر» (٢/ ٣٥٠)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (٢/ ٢٠٣)، و«البحر المحيط» (٨/ ٥٣١).

(٣) «المحتسب» (٢/ ١٨٧)، و«البحر المحيط» (٨/ ٥٣١)، و«روح المعاني» (٢٢/ ٥٢).

(٤) «التيسير» (ص١٨٠)، و«النشر» (٢/ ٣٤٩).

(٥) في «الكامل» (٢/ ٩٥١).

(٦) «جامع البيان» (١٩/ ٢٣٩)، و«المحتسب» (٢/ ١٨٧).

(٧) «الجامع لأحكام القرآن» (١٧/ ٢٨٣)، و«روح المعاني» (٢٢/ ٥١).

(٨) ذكره أبو عبيدة في «مجاز القرآن» (٢/ ١٤٥)، دون نسبة.

(٩) انظر: «ديوان طرفة بن العبد» (ص٢٢).

قال مقاتل[١]: العذاب المهين: الشقاء، والنّصب في العمل.

قال الواحدي[٢]: قال المفسِّرون: كانت الناس في زمان سليمان يقولون: إن الجنّ تعلم الغيب، فلما مكث سليمان قائماً على عصاه حولاً ميتاً، والجنّ تعمل تلك الأعمال الشاقة التي كانت تعمل في حياة سليمان لا يشعرون بموته حتى أكلت الأرضة عصاه، فخرّ ميتاً، فعلموا بموته، وعلم الناس: أن الجنّ لا تعلم الغيب.

ويجوز: أن يكون تبينت الجنّ من تبين الشيء، لا من تبينت الشيء؛ أي: ظهر، وتجلّى، وأن وما في حيزها بدل اشتمال من الجنّ مع تقدير محذوف؛ أي: ظهر أمرُ الجن للناس أنّهم لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين، أو ظهر أن الجنّ لو كانوا يعلمون الغيب إلخ.

قرأ الجمهور[٣]: «تَبّينتِ» على البناء للفاعل مسنداً إلى الجنّ. وقرأ ابن عباس[٤] ويعقوب: «تُبُيّنت» على البناء للمفعول، ومعنى القراءتين يعرف مما قدّمنا.

وقد أخرج ابن أبي شيبة في المصنف، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن ابن عباس[٥] في قوله: ﴿أَوِّبِي مَعَهُۥ﴾ قال: سبّحي معه.

وروي مثله عن أبي ميسرة[٦]، ومجاهد[٧]، وعكرمة[٨]، وقتادة[٩]، وابن زيد[١٠].

---

(١) ذكره الواحدي في «الوسيط» (٣/ ٤٩٠). (٢) في «الوسيط» (٣/ ٤٨٩).

(٣) «النشر» (٢/ ٣٥٠)، و«البحر المحيط» (٨/ ٥٣٢)، و«المبسوط» (ص٣٦١).

(٤) «البحر المحيط» (٨/ ٥٣٢)، و«القراءات الشاذة» (ص١٢١).

(٥) أخرجه ابن أبي شيبة (١١/ ٥٥٩)، وابن جرير في «جامع البيان» (١٩/ ٢٢٠) بسند صحيح.

(٦) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٩/ ٢٢٠)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (١١/ ٥٦٠) بسند صحيح.

(٧) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٩/ ٢٢١) بسند صحيح.

(٨) عزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٦٧٥) إلى عبد بن حميد.

(٩) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٩/ ٢٢١) بسند صحيح.

(١٠) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٩/ ٢٢١) بسند صحيح.

وأخرج ابن المنذر(١) عن ابن عباس في قوله: ﴿وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ﴾ قال: كالعجين.

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم من طرق عنه أيضاً(٢) في قوله: ﴿وَقَدِّرْ فِي ٱلسَّرْدِ﴾ قال: حَلِق الحديد.

وأخرج عبد الرّزّاق، والحاكم عنه أيضاً(٣) ﴿وَقَدِّرْ فِي ٱلسَّرْدِ﴾ قال: لا تُدِقّ المسامير، وتوسّع الحِلَق، فَتَسلس، ولا تُغلظ المسامير، وتُضّيق الحِلق، فتُقصم، واجعله قَدْراً.

وأخرج ابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم(٤) من طرق عنه أيضاً في قوله: ﴿وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ﴾ قال: النحاس.

وأخرج [٣/٤١٢] ابن المنذر(٥) عنه أيضاً قال: القِطر النحاس لم يقدر عليها أحد بعد سليمان، وإنما يعمل الناس بعده فيما كان أعطي سليمان.

وأخرج عبد بن حميد(٦) عن مجاهد قال: القطر: الصُّفْر.

وأخرج الحكيم الترمذي في «نوادر الأصول»(٧) عن ابن عباس في قوله: ﴿وَتَمَـٰثِيلَ﴾ قال: اتخذ سليمان تماثيل من نحاس فقال: يا ربّ انفخ فيها الروح، فإنها أقوى على الخدمة، فنفخ الله فيها الروح، فكانت تخدمه، وكان اسفنديار من بقاياهم، فقيل لداود وسليمان: ﴿ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ﴾.

وأخرج ابُن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عنه(٨) في قوله: ﴿كَٱلْجَوَابِ﴾ قال: كالجوبة من الأرض ﴿وَقُدُورٍ رَّاسِيَـٰتٍ﴾ قال: أثافيُّها منها.

---

(١) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٦٧٦).

(٢) عزاه إليهم السيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٦٧٦).
وأخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٩/ ٢٢٤) بسند صحيح.

(٣) أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢/ ١٢٧)، والحاكم (٢/ ٤٢٣).

(٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٩/ ٢٢٩)، وابن أبي حاتم كما في «التغليق» (٤/ ١١) بسند صحيح.

(٥) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٦٧٨).

(٦) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٦٧٩).

(٧) أخرجه الحكيم الترمذي في «نوادر الأصول» (١/ ٣٧٤).

(٨) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٩/ ٢٣٢)، وابن أبي حاتم كما في «التغليق» (٤/ ٣١)، و«فتح الباري» (٨/ ٥٣٧) وسنده صحيح.

وأخرج ابنُ جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عنه[١] أيضاً في قوله: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾ يقول: قليلٌ مِنْ عبادي الموحدين توحيدهم.

وأخرج هؤلاء[٢] عنه أيضاً قال: لبث سليمان على عصاه حولاً بعد ما مات، ثم خرّ على رأس الحول، فأخذت الجنّ عصي مثل عصاه، ودابةً مثل دابته، فأرسلوها عليها، فأكلتها في سنة، وكان ابن عباس[٣] يقرأ: ﴿فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ﴾ الآية، قال سفيان: وفي قراءة ابن مسعود[٤] «وهم يدأبون له حولاً».

وأخرج البزار، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والطبراني، وابن السني، وابن مردويه عن ابن عباس[٥]، عن النبي ﷺ قال: «كان سليمان إذا صلَّى رأى شجرةً نابتة بين يديه، فيقول لها: ما اسمُك؟ فتقول: كذا، وكذا، فيقول: لما أنت؟ فتقول: لكذا، وكذا، فإنْ كانت لغرس غُرست، وإن كانت لدواء كُتبت، وصلى ذات يوم، فإذا شجرة نابتة بين يديه، فقال لها: ما اسمك؟ قالت: الخُّروب؟ قال: لأيّ شيء أنت؟ قالت: لخراب هذا البيت، فقال سليمان: اللَّهُمَّ عمّ عن الجنّ موتي حتى يعلم الإنس أنّ الجنّ لا يعلمون الغيب، فهيأ عصاً، فتوكأ عليها، وقبضه الله، وهو متكىء عليها، فمكث حولاً ميتاً، والجنّ تعمل، فأكلتها الأرضة، فسقطتْ، فعلموا عند ذلك بموته، فتبينت الإنس ﴿أَن﴾ الجنّ ﴿لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ﴾»، وكان ابن عباس يقرؤها كذلك، فشكرت الجنّ للأرضة، فأينما كانت يأتونها بالماء[٦].

---

(١) عزاه إليهم السيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٦٨١).
أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٩/ ٢٣٦ ـ ٢٣٧) بسند صحيح.

(٢) عزاه إليهم السيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٦٨٢).

(٣) وكان ابن عباس يقرأ: «فلما خرَّ تبين الإنس أن لو كان الجنُّ يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين سنة». وهي قراءة شاذة.

(٤) وهي قراءة شاذة.

(٥) أخرجه البزار رقم (٢٣٥٥ ـ «كشف»)، وابن جرير في «جامع البيان» (١٩/ ٢٤٠)، وابن أبي حاتم كما في «تفسير ابن كثير» (٦/ ٤٩٠)، والطبراني رقم (١٢٢٨١)، وقال ابن كثير في «تفسيره» (١١/ ٢٦٧ ـ ٢٦٨): وهكذا رواه ابن أبي حاتم، من حديث إبراهيم بن طهمان، به. وفي رفعه غرابة ونكارة والأقرب أن يكون موقوفاً، وعطاء بن أبي مسلم الخراساني له غرابات، وفي بعض حديثه نكارة.

(٦) وهي قراءة شاذة.

وأخرجه الحاكم وصحّحه عن ابن عباس[١] موقوفاً.

وأخرج الديلمي[٢] عن زيد بن أرقم مرفوعاً يقول الله ﷻ: «إني تفضلت على عبادي بثلاث: ألقيت الدابة على الحّبة، ولولا ذلك لكنزها الملوك كما يكنزون الذهب، والفضة، وألقيت النّتنْ على الجسد، ولولا ذلك لم يدفن حبيب حبيبه، واستلبتْ الحزنَ، ولولا ذلك لذهب النسل».

[قصة سبأ وسيل العرم]:

﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِى مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُۥ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَىْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَٰزِىٓ إِلَّا الْكَفُورَ ﴿١٧﴾ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَٰهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِىَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ ﴿١٨﴾ فَقَالُوا رَبَّنَا بَٰعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوٓا أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَٰهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿١٩﴾ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَمَا كَانَ لَهُۥ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِى شَكٍّ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَفِيظٌ ﴿٢١﴾﴾.

لما ذكر سبحانه حال بعض الشاكرين لنعمه عقبه بحال بعض الجاحدين لها، فقال: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ﴾ المراد بسبأ: القبيلة التي هي من أولاد سبأ، وهو: سبأ بن يَشْجُب بن يَعْرُب بن قحطان بن هود.

قرأ الجمهور «لسبإٍ» بالجرّ والتنوين[٣] على أنّه اسم حيّ؛ أي: الحيّ الذين هم: أولاد سبأ، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو «لسبأ» ممنوع الصرف[٤] بتأويل القبيلة،

---

(١) أخرجه البزار في «مسنده» رقم (٢٣٥٦ ـ «كشف»)، والحاكم (٤/ ١٩٧، ١٩٨).

(٢) أخرجه الديلمي في «مسنده» رقم (٨٠٣٦).

(٣) «البحر المحيط» (٨/ ٥٣٣)، و«التيسير» (ص١٦٧)، و«النشر» (٢/ ٣٣٧)، و«جامع البيان» (١٩/ ٢٤٦)، و«المبسوط» (ص٣٣١).

(٤) «التيسير» (ص١٦٧)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٧/ ٢٨٨)، و«البحر المحيط» (٨/ ٥٣٣).

واختار هذه القراءة أبو عُبيد[١]، ويقوّي القراءة الأولى قوله: ﴿فِي مَسْكَنِهِمْ﴾، ولو كان على تأويل القبيلة لقال: في مساكنها، فمما ورد على القراءة الأولى قول الشاعر:

الـوَارِدُون وتـيـم فـي ذُرى سـبـإٍ قد عضّ أعناقَها جِلْدُ الجواميسِ[٢]

ومما ورد على القراءة الثانية قول الشاعر[٣]:

مِـن سـبـأَ الـحـاضـريـن مـأربَ إذ يـبـنُـون مـن دون مـسـيـلـهِ الـعَـرِمـا

وقرأ قنبل، وأبو حيوة، والجحدري «لسبأْ» بإسكان الهمزة[٤]، وقرئ بقلبها ألفاً[٥].

وقرأ الجمهور[٦] ﴿فِي مَساكِنِهِمْ﴾ على الجمع، واختار هذه القراءة أبو عبيد[٧]، وأبو حاتم، ووجه الاختيار: أنها كانت لهم منازل كثيرة، ومساكن متعدّدة. وقرأ حمزة، وحفص بالإفراد مع فتح الكاف[٨].

وقرأ الكسائي بالإفراد[٩] مع كسرها، وبهذه القراءة قرأ يحيى بن وثاب، والأعمش، ووجه الإفراد: أنه مصدر يشمل القليل، والكثير، أو اسم مكان، وأريد به معنى: الجمع، وهذه المساكن التي كانت لهم هي التي يقال لها الآن: مأرب، وبينها وبين صنعاء مسيرة ثلاث ليال، ومعنى قوله: ﴿ءَايَةٌ﴾؛ أي: علامة دالة على كمال قدرة الله، وبديع صنعه.

ثم بين هذه الآية، فقال: ﴿جَنَّتَانِ﴾، وارتفاعهما على البدل من آية قاله الفراء[١٠]، أو على أنهما خبر مبتدأ محذوف قاله الزجاج[١١]، أو على أنهما مبتدأ،

---

(١) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٧/ ٢٨٨). (٢) ذكره الفراء في «معاني القرآن» (٢/ ٣٥٨).
(٣) النابغة الجعدي. انظر: «ديوانه» (ص١٣٤).
(٤) «التيسير» (ص١٦٧)، و«النشر» (٢/ ٣٣٧).
(٥) «حاشية الشهاب» (٧/ ١٩٦)، و«روح المعاني» (٢١/ ٦٠). ابدال الهمزة ألفاً محضة قراءة متواترة عن حمزة وهشام وقفاً أما وصلاً فشاذ «النشر» (٢/ ٣٣٧).
(٦) «البحر المحيط» (٨/ ٥٣٣)، و«التيسير» (ص١٨٠)، و«النشر» (٢/ ٣٥٠)، و«جامع البيان» (١٩/ ٢٤٦).
(٧) ذكره عنهما القرطبي في «تفسيره» (١٧/ ٢٨٩).
(٨) «البحر المحيط» (٨/ ٥٣٣)، و«معاني القرآن» للزجاج (٤/ ٢٤٧)، و«التيسير» (ص١٨٠).
(٩) انظر: المصادر المتقدمة.
(١٠) في «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٣٥٨). (١١) في «معاني القرآن وإعرابه» (٤/ ٢٤٨).

وخبره ﴿عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍۖ﴾، واختار هذا الوجه ابن عطية[١]، وفيه أنه لا يجوز الابتداء بالنكرة مِنْ غير مسوّغ.

وقرأ ابن أبي عبلة «جنتين» بالنصب[٢] على أنهما خبر ثان، واسمها: آية، وهاتان الجنتان كانتا عن يمين واديهم وشماله، قد أحاطتا به من جهتيه، وكانت مساكنهم في الوادي، والآية هي: الجنتان، كانت المرأة تمشي فيهما، وعلى رأسها المكتل، فيمتلئ من أنواع الفواكه التي تتساقط من غير أن تمسها بيدها.

وقال عبد الرحمٰن بن زيد[٣]: إن الآية التي كانت لأهل سبأ في مساكنهم أنهم لم يروا فيها بعوضة، ولا ذباباً ولا برغوثاً ولا قملة ولا عقرباً، ولا حية، ولا غير ذلك من الهوام، وإذا جاءهم الركب في ثيابهم القمل ماتت عند رؤيتهم لبيوتهم.

قال القشيري[٤]: ولم يرد جنتين اثنتين؛ بل أراد من الجهتين يمنةً ويسرة في كل جهة بساتين كثيرة.

﴿كُلُواْ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ﴾؛ أي: قيل لهم ذلك، ولم يكن ثَمَّ أمرٌ، ولكن المراد: تمكينهم من تلك النعم، وقيل: إنها قالت لهم الملائكة.

والمراد بالرزق هو: ثمار الجنتين، وقيل: إنهم خوطبوا بذلك على لسان نبيهم ﴿وَٱشْكُرُواْ لَهُۥۚ﴾ على ما رزقكم من هذه النعم، واعملوا بطاعته، واجتنبوا معاصيه، وجملة: ﴿بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ﴾ مستأنفة[٥] لبيان موجب الشكر.

والمعنى: هذه بلدة طيبة لكثرة أشجارها، وطيب ثمارها. وقيل[٦]: معنى كونها طيبة: أنها غير سَبْخة، وقيل: ليس فيها هوامّ. وقال مجاهد: هي: صنعاء. ومعنى ﴿وَرَبٌّ غَفُورٌ﴾: أن المنعم عليهم ربّ غفور لذنوبهم.

---

(١) في «المحرر الوجيز» (١٣/ ١٢٥).

(٢) «البحر المحيط» (٨/ ٥٣٤)، و«روح المعاني» (٢٢/ ٦٣)، و«المحرر الوجيز» (١٣/ ١٢٥). والقراءة بالنصب قراءة شاذة.

(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٩/ ٢٤٧) بسند صحيح.

(٤) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٧/ ٢٩٠).

(٥) «روح المعاني» (٢٢/ ٦٤)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٧/ ٢٩١).

(٦) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ٤٤٤).

قال مقاتل[١]: المعنى: وربكم إن شكرتم فيما رزقكم ربٌّ غفور للذنوب.

وقيل: إنما جمع لهم بين طيب البلدة والمغفرة للإشارة إلى أن الرزق قد يكون فيه حرام[٢].

وقرأ رويس[٣] بنصب «بلدةً»، و(ربَّ) على المدح، أو على تقدير اسكنوا بلدةً، واشكروا ربّاً. ثم ذكر سبحانه ما كان منهم بعد هذه النعمة التي أنعم بها عليهم، فقال: ﴿فَأَعۡرَضُواْ﴾ عن الشكر، وكفروا بالله، وكذبوا أنبياءهم.

قال السدّي[٤]: بعث الله إلى أهل سبأ ثلاثة عشر نبيّاً، فكذبوهم، وكذا قال وهب[٥].

ثم لما وقع منهم الإعراض عن شكر النعمة؛ أرسل الله عليهم نقمة سلب بها ما أنعم به عليهم، فقال: ﴿فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ سَيۡلَ ٱلۡعَرِمِ﴾، وذلك أن الماء كان يأتي أرض سبأ من أودية اليمن، فردموا رَدْماً بين جبلين، وحبسوا الماء. وجعلوا في ذلك الردم ثلاثة أبواب بعضها فوق بعض، وكانوا يسقون من الباب الأعلى، ثم من الباب الثاني، ثم من الثالث، فأخصبوا، وكثرت أموالهم، فلما كذَّبوا رسلهم بعث الله جُرذاً، ففتقت ذلك الردم حتى انتقض، فدخل الماء جنتهم، فغرقها، ودفن السيل بيوتهم، فهذا هو سيل العِرَم، وهو جمع عرمة وهي: السِّكْر[٦] التي تحبس الماء، وكذا قال قتادة[٧]، وغيره.

وقال السدّي[٨]: العرم اسم للسدّ. والمعنى: أرسلنا عليهم سيل السدّ العرم.

وقال عطاء: العرم اسم الوادي.

وقال الزجاج[٩]: العِرَم اسم الجُرذ الذي نقب السدّ عليهم، وهو الذي يقال له: الخُلْد، فنسب السيل إليه لكونه سبب جريانه.

---

(١) ذكره الواحدي في «الوسيط» (٣/ ٤٩١).
(٢) «الجامع لأحكام القرآن» (١٧/ ٢٩١).
(٣) «البحر المحيط» (٨/ ٥٣٤)، و«روح المعاني» (٦٤). هي رواية شاذة عن رويس في هذين الحرفين بالنصب.
(٤) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٧/ ٢٩١). (٥) انظر: «الصحاح» (٢/ ٦٨٧).
(٦) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٩/ ٢٥٣) بسند صحيح.
(٧) انظر: «جامع البيان» (١٩/ ٢٥١).
(٨) ذكره النحاس في «معاني القرآن» (٥/ ٤٠٦).
(٩) في «معاني القرآن وإعرابه» (٤/ ٢٤٨).

قال ابن الأعرابي(١): العرم من أسماء الفأر.

وقال مجاهد(٢)، وابن أبي نجيح: العرم ماء أحمر أرسله الله في السدّ، فشقه، وهدمه.

وقيل(٣): إنّ العرم: اسم المطر الشديد، وقيل: اسم للسيل الشديد، والعرامة في الأصل: الشدّة، والشراسة، والصعوبة. يقال: عَرَم فلان: إذا تشدّد، وتصعب، وروي عن ابن الأعرابي(٤) أنه قال: العرم: السيل الذي لا يطاق.

وقال المبرّد(٥): العَرم :كُّل شيء حاجز بين شيئين.

﴿وَبَدَّلْنَٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ﴾؛ أي: أهلكنا جنتيهم اللتين كانتا مشتملتين على تلك الفواكه الطيبة، والأنواع الحسنة، وأعطيناهم بدلهما جنتين لا خير فيهما، ولا فائدة لهم فيما هو نابت فيهما، ولهذا قال: ﴿ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ﴾.

قرأ الجمهور بتنوين «أُكلٍ»(٦)، وعدم إضافته إلى «خَمْط»، وقرأ أبو عمرو بالإضافة(٧).

قال الخليل(٨): الخمط الأراك، وكذا قال كثير من المفسرين(٧).

وقال أبو عبيدة(٨): الخمط كل شجرة مُرّة ذات شوك.

وقال الزجاج(٩): كل نبت فيه مرارة لا يمكن أكله.

وقال المبرّد(١٠): كل شيء تغير إلى ما لا يشتهى [٣/٤١٣] يقال له: خمط، ومنه اللبن إذا تغير، وقراءة الجمهور أولى من قراءة أبي عمرو.

---

(١) ذكره الأزهري في «تهذيب اللغة» (٢/ ٣٩١).
(٢) ذكره البخاري في «صحيحه» كما في «فتح الباري» (٨/ ٣٥) معلقاً.
(٣) «جامع البيان» (١٩/ ٢٥٣)، و«معاني القرآن» للنحاس (٥/ ٤٠٧)، و«المحرر الوجيز» (١٣/ ١٢٦ ـ ١٢٧).
(٤) انظر: «تهذيب اللغة» (٢/ ٣٩٢)، و«الصحاح» (٢/ ١٩٨٤).
(٥) في «الكامل» (٣/ ١٢١٤).
(٦) «النشر» (٢/ ٣٥٠)، و«التيسير» (ص١٨٠)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (٢/ ٢٠٥)، و«التبيان» (٢/ ١٠٦٦).
(٧) انظر: المصادر المتقدمة. ومع أبي عمرو قرأ كذلك يعقوب.
(٨) ذكره النحاس في «إعراب القرآن» (٣/ ٣٤٠).
(٩) «الوسيط» للواحدي (٣/ ٤٩١)، و«روح المعاني» (٢٢/ ٦٨)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٧/ ٢٩٤).
(١٠) ذكره النحاس في «إعراب القرآن» (٣/ ٣٤٠).

والخمط نعت لأكل، أو بدل منه؛ لأن الأكل هو: الخمط بعينه.

وقال الأخفش[(١)]: الإضافة أحسن في كلام العرب: مثل ثوب خزّ، ودار آجرّ، والأولى تفسير الخمط بما ذكره الخليل[(٢)] ومن معه.

قال الجوهري[(٣)]: الخمط: ضرب من الأراك له حمل يؤكل، وتسمية البدل جنتين للمشاكلة، أو التهكم بهم.

والأثْل هو: الشجر المعروف الشبيه بالطّرفاء كذا قال الفراء[(٤)] وغيره[(٥)] قال: إلّا أنه أعظم من الطرفاء طولاً، الواحدة أثلة، والجمع أثلات. وقال الحسن[(٦)]: الأثل: الخشب.

وقال أبو عبيدة[(٧)]: هو: شجر النطار، والأوّل أولى، ولا ثمر للأثل. والسدر: شجر معروف.

قال الفراء[(٨)]: هو: السَّمُر.

قال الأزهري[(٩)]: السِّدْر من الشجر سِدران: بريّ لا ينتفع به، ولا يصلح للغسول، وله ثمر عَفِص لا يؤكل، وهو الذي يسمّى: الضّال. والثاني سدر ينبت على الماء، وثمره النبق، وورقه غسول يشبه شجر العُنّاب، قيل: ووصف السدر بالقلة؛ لأن منه نوعاً يطيب أكله، وهو النوع الثاني الذي ذكره الأزهري.

قال قتادة[(١٠)]: بينما شجرهم من خير شجر إذ صيره الله من أمرّ الشجر بأعمالهم.

فأهلك أشجارهم المثمرة، وأنبت بدلها الأراك، والطرفاء والسدر.

ويحتمل: أن يرجع قوله: ﴿قَلِيلٍ﴾ إلى جميع ما ذكر من الخمط والأثل والسدر. والإشارة بقوله: ﴿ذَٰلِكَ﴾ إلى ما تقدّم من التبديل، أو إلى مصدر

---

(١) ذكره الواحدي في «الوسيط» (٣/ ٤٩١).
(٢) ذكره النحاس في «إعراب القرآن» (٣/ ٣٤٠).
(٣) في «الصحاح» (٣/ ١١٢٥).
(٤) في «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٣٥٩).
(٥) انظر: «تهذيب اللغة» (١٥/ ٣١).
(٦) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٧/ ٢٩٦).
(٧) في «مجاز القرآن» (٢/ ١٤٧).
(٨) في «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٣٥٩).
(٩) في «تهذيب اللغة» (١٢/ ٣٥٣).
(١٠) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٩/ ٢٥٨) بسند صحيح.

﴿جَزَيْنَاهُم﴾ والباء في ﴿بِمَا كَفَرُوا﴾ للسببية؛ أي: ذلك التبديل، أو ذلك الجزاء بسبب كفرهم للنعمة بإعراضهم عن شكرها ﴿وَهَلْ نُجَزِيٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ﴾؛ أي: وهل نجازي هذا الجزاء بسلب النعمة، ونزول النقمة إلّا الشديد الكفر المتبالغ فيه.

قرأ الجمهور(١) «يُجازَى» بضم التحتية، وفتح الزاي على البناء للمفعول. وقرأ حمزة، والكسائي، ويعقوب، وحفص بالنون، وكسر الزاي(٢) على البناء للفاعل، وهو: الله سبحانه، والكفور على القراءة الأولى مرفوع، وعلى القراءة الثانية منصوب، واختار القراءة الثانية أبو عبيد(٣)، وأبو حاتم قالا: لأن قبله ﴿جَزَيْنَاهُم﴾، وظاهر الآية: أنه لا يجازى إلّا الكفور مع كون أهل المعاصي يجازون، وقد قال قوم: إن معنى الآية(٤): أنه لا يجازى هذا الجزاء، وهو الاصطلام، والإهلاك إلّا من كفر.

وقال مجاهد(٥): إنّ المؤمن يُكفّر عنه سيئاته، والكافر يجازى بكل عمل عمله.

وقال طاووس(٦): هو: المناقشة في الحساب، وأما المؤمن، فلا يناقش.

وقال الحسن(٧): إن المعنى: إنه يجازي الكافر مثلاً بمثل، ورجح هذا الجواب النحاس(٨).

﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِي بَٰرَكْنَا فِيهَا﴾ هذا معطوف على قوله: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ﴾؛ أي: وكان مِنْ قصتهم: أنّا جعلنا بينهم، وبين القرى التي باركنا فيها بالماء، والشجر، وهي: قرى الشام ﴿قُرًى ظَٰهِرَةً﴾؛ أي: متواصلة، وكان متجرهم

---

(١) «التيسير» (ص١٨١)، و«النشر» (٢/ ٣٥٠)، و«البحر المحيط» (٨/ ٥٣٧)، و«روح المعاني» (٢٢/ ٧١).

(٢) «البحر المحيط» (٨/ ٥٣٧)، و«روح المعاني» (٢٢/ ٧١)، و«التيسير» (ص١٨١)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٧/ ٢٩٧).

(٣) ذكره عنهما القرطبي في «تفسيره» (١٧/ ٢٩٧).

(٤) ذكره النحاس في «إعراب القرآن» (٣/ ٣٤٠).

(٥) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٩/ ٢٥٩) بسند صحيح. عن مجاهد: (هل يجازى) قال: يُعاقب.

(٦) أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢/ ١٢٩).

(٧) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٧/ ٢٩٨).

(٨) في «إعراب القرآن» (٣/ ٣٤٠).

من أرضهم التي هي مأرب إلى الشام، وكانوا يبيتون بقرية، ويقيلون بأخرى حتى يرجعوا، وكانوا لا يحتاجون إلى زاد يحملونه من أرضهم إلى الشام، فهذا من جملة الحكاية لما أنعم الله به عليهم.

قال الحسن[١]: إن هذه القرى هي بين اليمن والشام.

قيل[٢]: إنها كانت أربعة آلاف وسبعمائة قرية، وقيل: هي بين المدينة والشام.

وقال المبرّد[٣]: القرى الظاهرة هي المعروفة، وإنما قيل لها: ظاهرة لظهورها، إذا خرجتَ من هذه ظهرت لك الأخرى، فكانت قرى ظاهرة: أي معروفة، يقال: هذا أمر ظاهر؛ أي: معروف.

﴿وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَ﴾؛ أي: جعلنا السير من القرية إلى القرية مُقْداراً معيناً واحداً، وذلك نصف يوم كما قال المفسِّرون.

قال الفرّاء[٤]: أي: جعلنا بين كل قريتين نصف يوم حتى يكون المقيل في قرية، والمبيت في أخرى إلى أن يصل إلى الشام، وإنما يبالغ الإنسان في السير لعدم الزاد، والماء، ولخوف الطريق، فإذا وجد الزاد، والأمن لم يحمل نفسه المشقة؛ بل ينزل أينما أراد.

والحاصل: أنَّ الله سبحانه عدّد عليهم النعم.

ثم ذكر ما نزل بهم من النِّقم، ثم عاد لتعديد بقية ما أنعم به عليهم مما هو خارج عن بلدهم من اتصال القرى بينهم، وبين ما يريدون السفر إليه، ثم ذكر بعد ذلك تبديله بالمفاوز والبراري كما سيأتي.

وقوله: ﴿سِيرُواْ فِيهَا﴾ هو على تقدير القول؛ أي: وقلنا لهم سيروا في تلك القرى المتصلة، فهو أمر تمكين؛ أي: ومكّناهم من السير فيها متى شاءوا ﴿لَيَالِيَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ﴾ مما يخافونه، وانتصاب[٥] ليالي وأياماً على الظرفية، وانتصاب آمنين على الحال.

---

(١) ذكره النحاس في «معاني القرآن» (٥/ ٤١٠).
(٢) «النكت والعيون» (٤/ ٤٤٤).
(٣) ذكره النحاس في «إعراب القرآن» (٣/ ٣٤١).
(٤) في «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٢٥٩).
(٥) «الفريد» (٤/ ٦٦)، و«مشكل إعراب القرآن» (٢/ ٢٠٧)، و«إعراب القرآن» للنحاس (٣/ ٣٤١).

قال قتادة[١]: كانوا يسيرون غير خائفين، ولا جياع، ولا ظمأ.

كانوا يسيرون مسيرة أربعة أشهر في أمان لا يحرّك بعضهم بعضاً، ولو لقي الرجل قاتل أبيه لم يحرّكه[٢].

ثم ذكر سبحانه: أنهم لم يشكروا النِّعمة؛ بل طلبوا التعب والكد ﴿فَقَالُوا۟ رَبَّنَا بَٰعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا﴾ وكان هذا القول منهم بَطَراً وطغياناً لما سئموا النعمة، ولم يصبروا على العافية، فتمنّوا طول الأسفار، والتباعد بين الديار، وسألوا الله تعالى: أن يجعل بينهم وبين الشام مكان تلك القرى المتواصلة الكثيرة الماء والشجر والأمن والمفاوزَ والقفارَ والبراري المتباعدةَ الأقطار، فأجابهم الله إلى ذلك، وخرّب تلك القرى المتواصلة، وذهب بما فيها من الخير والماء والشجر فكانت دعوتهم هذه كدعوة بني إسرائيل حيثُ قالوا: ﴿فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا﴾ [البقرة: ٦١] الآية مكان المنّ والسلوى، وكقول النضر بن الحارث ﴿ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [الأنفال: ٣٢] الآية.

قرأ الجمهور: «ربَّنا» بالنصب[٣] على أنه منادى مضاف، وقرءوا أيضاً[٤]: «باعِدْ» وقرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وابن محيصن، وهشام عن ابن عامر «بعد» بتشديد العين[٥]، وقرأ ابن السميفع بضم العين[٦] فعلاً ماضياً، فيكون معنى هذه القراءة: الشكوى مِنْ بُعد الأسفار، وقرأ أبو صالح، ومحمد بن الحنفية، وأبو العالية، ونصر بن عاصم، ويعقوب: «ربُّنا» بالرفع[٧] «بَاعَد» بفتح العين[٨] على أنه فعل ماض على الابتداء، والخبر.

---

(١) أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢/ ١٣٠) بسند صحيح.
(٢) «النكت والعيون» (٤/ ٤٤٥).
(٣) «البحر المحيط» (٨/ ٥٣٨)، و«السبعة» (ص٥٢٩)، و«التيسير» (ص١٨١)، و«جامع البيان» (١٩/ ٢٦٤).
(٤) انظر: المصادر المتقدمة.
(٥) «التيسير» (ص١٨١)، و«النشر» (٢/ ٣٥٠).
(٦) «روح المعاني» (٢٢/ ٧٦)، و«البحر المحيط» (٨/ ٥٣٨). قراءة (بَعدُ) قراءة شاذة وبقية القراءات المذكورة متواترة.
(٧) «المحتسب» (٢/ ١٨٩)، و«البحر المحيط» (٨/ ٥٣٨)، و«النشر» (٧/ ٢٧٢ ـ ٢٧٣).
(٨) انظر: المصادر المتقدمة.

والمعنى: لقد باعد ربنا بين أسفارنا، ورُويت هذه القراءة عن ابن عباس(١)، واختارها أبو حاتم(٢)، قال: لأنّهم ما طلبوا التبعيد إنما طلبوا أقرب من ذلك القرب الذي كان بينهم وبين الشام بالقرى المتواصلة بطراً وأشراً وكفراً للنعمة.

وقرأ يحيى بن يعمر وعيسى بن عمر: «ربُّنا» بالرفع «بَعَّد»(٣) بفتح العين مشدّدة، فيكون معنى هذه القراءة: الشكوى بأن ربهم بَعَّد بين أسفارهم مع كونها قريبة متصلة بالقرى والشجر والماء، فيكون هذا من جملة بطرهم.

وقرأ أخو الحسن البصري كقراءة ابن السميفع السابقة مع رفع «بَينُ»(٤) على أنه الفاعل كما قيل: في قوله: ﴿لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾ [الأنعام: ٩٤]، وروى الفرّاء(٥)، والزجاج(٦) قراءة مثل هذه القراءة لكن مع نصب بين على أنه ظرف، والتقدير: بَعدُ سيرُنا بين أسفارنا.

قال النحاس(٧): وهذه القراءات إذا اختلفت معانيها لم يجز أن يقال: إحداها أجود من الأخرى كما لا يُقال ذلك في أخبار الآحاد إذا اختلفت معانيها، ولكن أخبر عنهم أنهم دعوا ربّهم أن يبّعد بين أسفارهم، فلما فعل ذلك بهم شكوا وتضرّروا ولهذا قال سبحانه: ﴿وَظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ﴾ حيث كفروا بالله، وبطروا نعمته وتعرّضوا لنقمته ﴿فَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ﴾ يتحدّث الناس بأخبارهم. والمعنى: جعلناهم ذوي أحاديث يتحدّث بها مَنْ بعدهم؛ تعجباً مِنْ فعلهم، واعتباراً بحالهم. وعاقبتهم ﴿وَمَزَّقْنَٰهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ﴾؛ أي: فرّقناهم في كلِّ وجهٍ من البلاد كل التفريق، وهذه الجملة مبينة لجعلهم أحاديث، وذلك أن الله سبحانه لما أغرق مكانهم وأذهب جنتهم، تفرّقوا في البلاد، فصارت العرب تضرب بهم الأمثال. فتقول: تفرّقوا أيدي سبأ(٨).

---

(١) «روح المعاني» (٢٢/٧٦)، و«المحتسب» (٢/١٨٩).
(٢) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٧/ ٣٠١).
(٣) «المحتسب» (٢/١٨٩)، و«البحر المحيط» (٨/٥٣٨)، و«إعراب القرآن» للنحاس (٣/ ٢٤٢).
(٤) «المحتسب» (٢/١٨٩)، و«البحر المحيط» (٨/٥٣٨).
(٥) في «معاني القرآن» للفراء (٢/٣٥٩ ـ ٣٦٠).
(٦) في «معاني القرآن وإعرابه» للزجاج (٤/ ٢٥٠).
(٧) في «إعراب القرآن» للنحاس (٣/ ٣٤٢ ـ ٣٤٣).
(٨) تفرقوا أيدي سبا وأيادي سبا؛ أي: مذاهب سبأ وطرقها. «معاني القرآن» للنحاس (٥/ ٤١٠).

قال الشعبي[(١)]: فلحقت الأنصار بيثرب، وغسّان بالشام، والأَزْد بعُمان، وخزاعة بتهامة.

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ﴾؛ أي: فيما ذكر من قصتهم، وما فعل الله بهم لآيات بينات ودلالات واضحات ﴿لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾؛ أي: لكل من هو كثير الصبر والشكر، وخصّ الصّبار الشكور لأنهما المنتفعان بالمواعظ والآيات. ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ﴾ قرأ الجمهور «صَدَق» بالتخفيف[(٢)]، ورفع إبليسُ، ونصب ظنَّه.

قال الزجاج[(٣)]: وهو على المصدر؛ أي: صَدَق عليهم ظنّاً ظنه، أو صدق في ظنه، أو على الظرف.

والمعنى: أنّه ظنّ بهم: أنه إذا أغواهم اتبعوه، فوجدهم كذلك، ويجوز: أن يكون منتصباً[(٤)] على المفعولية، أو بإسقاط الخافض.

وقرأ حمزة، والكسائي، ويحيى بن وثاب، والأعمش، وعاصم: «صدّق» بالتشديد[(٥)]، وظنُّه بالنصب على أنه مفعول به. قال أبو عليّ الفارسي[(٦)]: أي: صدّق الظنّ الذي ظنه.

قال مجاهد[(٧)]: ظنّ ظناً فصدّق ظنه، فكان كما ظنّ.

وقرأ أبو جعفر، وأبو الجهجاه[(٨)]، والزّهري، وزيد بن عليّ «صَدَقَ» بالتخفيف[(٩)]، و «إبليسَ» بالنصب «وظنُّه» بالرفع، قال أبو حاتم: لا وجه لهذه

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٩/ ٢٦٦ ـ ٢٦٧) بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة، به.
وأخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢/ ١٣٠) بسند صحيح من طريق معمر، عن قتادة، به.

(٢) «النشر» (٢/ ٣٥٠)، و«التيسير» (ص١٨١)، و«البحر المحيط» (٨/ ٥٣٩).

(٣) في «معاني القرآن وإعرابه» (٤/ ٢٥١ ـ ٢٥٢).

(٤) «مشكل إعراب القرآن» (٢/ ٢٠٨)، و«التبيان» (٢/ ١٠٦٧).

(٥) «التيسير» (ص١٨١)، و«البحر المحيط» (٨/ ٥٣٩)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٧/ ٣٠٣).

(٦) في «الحجة» لأبي علي الفارسي (٦/ ٢٠).

(٧) ذكره النحاس في «إعراب القرآن» (٣/ ٣٤٣).
وأخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٩/ ٢٧٠) من طريق منصور، عن مجاهد قال: ظنَّ ظنّاً، فاتبعوا ظنَّه.

(٨) كذا وقع في «البحر المحيط» (٨/ ٥٤٠).

(٩) «القراءات الشاذة» (ص١٢١)، و«المحتسب» (٢/ ١٩١)، و«معاني القرآن» للنحاس (٥/ ٤١٣)، =

القراءة عندي، وقد أجاز هذه القراءة الفرّاء[١]، وذكرها الزجاج[٢] وجعل الظنّ فاعل صدّق وإبليس مفعوله.

والمعنى: أن إبليس سوّل له ظنه شيئاً فيهم، فصدّق ظنه، فكأنه قال: ولقد صدّق عليهم ظن إبليس.

وروي عَنْ أبي عمرو[٣]: أنه قرأ برفعهما مع تخفيف صدق على أن يكون ظنه بدل اشتمال من إبليس. قيل: وهذه الآية خاصة بأهل سبأ.

والمعنى: أنَّهم غيروا وبدّلوا بعد أن كانوا قد آمنوا بما جاءت به رسلهم، وقيل: هي عامة؛ أي: صدّق إبليس ظنه على الناس كلهم إلّا من أطاع الله. قاله مجاهد[٤] والحسن[٥].

قال الكلبي[٦]: إنَّه ظنّ: أنه إن أغواهم أجابوه، وإن أضلَّهم أطاعوه، فصدّق ظنه ﴿فَٱتَّبَعُوهُ﴾.

قال الحسن[٧]: ما ضربهم بصوتٍ ولا بعصى، وإنما ظنّ ظناً، فكان كما ظنّ بوسوسته.

وانتصاب[٨] [٣/٤١٤] ﴿إِلَّا﴾ ﴿فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ على الاستثناء، وفيه وجهان:

أحدهما: أَنْ يراد به بعض المؤمنين؛ لأنّ كثيراً من المؤمنين يذنب، وينقاد لإبليس في بعض المعاصي، ولم يسلم منه إلّا فريق، وهم الذين قال فيهم: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ﴾ [الحجر: ٤٢، والإسراء: ٦٥].

= و«إعراب القرآن» للنحاس (٣/ ٣٤٣) ووقع عندهم الهجهاج. وهما قراءتان متواترتان.

(١) في «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٣٦٠). (٢) في «معاني القرآن وإعرابه» (٤/ ٢٥٢).

(٣) «القراءات الشاذة» (ص١٢٩)، و«البحر المحيط» (٨/ ٥٤٠). الرواية عن أبي جعفر وأبي عمرو شاذتان والمتواتر فيها التخفيف مع رفع (إبليسُ) ونصبُ ظنَّه.

(٤) عزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٦٩٥) إلى عبد بن حميد وابن أبي حاتم.

(٥) عزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٦٩٥) إلى ابن أبي حاتم وعبد بن حميد.

(٦) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ٤٤٧).

(٧) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٩/ ٢٧١) بسند حسن من طريق سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة، به.

(٨) «إعراب القرآن» للنحاس (٣/ ٣٤٤).

وقيل: المراد بفريقاً من المؤمنين: المؤمنون كلهم على أن تكون «من» بيانية ﴿وَمَا كَانَ لَهُۥ عَلَيۡهِم مِّن سُلۡطَٰنٍ﴾؛ أي: ما كان له تسلّط عليهم؛ أي: لم يقهرهم على الكفر، وإنما كان منه الدعاء والوسوسة والتزيين، وقيل: السلطان القوّة، وقيل: الحُجة.

والاستثناء في قوله: ﴿إِلَّا لِنَعۡلَمَ مَن يُؤۡمِنُ بِٱلۡأٓخِرَةِ مِمَّنۡ هُوَ مِنۡهَا فِي شَكٍّۗ﴾ منقطع[1]، والمعنى: لا سلطان له عليهم، ولكن ابتليناهم بوسوسته لنعلم. وقيل: هو متصل[2] مفرّغ من أعم العام؛ أي: ما كان له عليهم تسلط بحال من الأحوال، ولا لعلةٍ من العلل إلّا ليتميز مَنْ يؤمن ومن لا يؤمن؛ لأنّه سبحانه قد علم ذلك علماً أزليّاً.

وقال الفرّاء[3]: المعنى: إلّا لنعلم ذلك عندكم، وقيل: إلّا لتعلموا أنتم، وقيل: ليعلم أولياؤنا والملائكة.

وقرأ الزهري[4] «إلّا ليُعْلَم» على البناء للمفعول، والأولى حمل العلم هنا على التمييز، والإظهار كما ذكرنا ﴿وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٍ حَفِيظٞ﴾؛ أي: محافظ عليه. قال مقاتل[5]: علم كل شيء مِنْ الإيمان والشك.

وقد أخرج أحمد، والبخاري في «تاريخه»، والترمذي وحسنه، والحاكم وصححه، وغيرهم عن فروة بن مسيك المرادي[6] قال: «أتيت النبي ﷺ، فقلت: يا رسول الله ألا أقاتل مِنْ أدبر مِنْ قومي بمن أقبل منهم؟ فأذن لي في قتالهم وأمرني، فلما خرجت من عنده أرسل في أثري فردّني، فقال: ادع القومَ فمن أسلم منهم فاقبل

---

(١) «الجامع لأحكام القرآن» (١٧/٣٠٦)، و«روح المعاني» (٢٢/٨٦).
(٢) «روح المعاني» (٢٢/٨٦)، و«تفسير أبي السعود» (٥/٤٤٨).
(٣) في «معاني القرآن» للفراء (٢/٣٦٠ ـ ٣٦١).
(٤) «القراءات الشاذة» (ص١٢٢)، و«المحتسب» (٢/١٢١)، و«روح المعاني» (٢٢/٨٧). وهي قراءة شاذة.
(٥) ذكره الواحدي في «الوسيط» (٣/٤٩٣).
(٦) أخرجه أحمد كما في «المسانيد» لابن كثير (١٠/٢٦٩ ـ ٢٧١)، وابن حجر في «أطراف المسند» (٥/١٧٨ رقم ٦٨٩١)، وعبد بن حميد كما في «تفسير ابن كثير» (١١/٢٧١)، والبخاري في «تاريخه» (٧/١٢٦)، والترمذي رقم (٣٢٢٢)، والحاكم (٢/٤٢٤) بسند حسن.

منه، ومن لم يسلم فلا تعجل حتى أُحِدث إليك، وأُنزل في سبأ ما أنزل، فقال رجل يا رسول الله، وما سبأ: أرض أم امرأة؟ قال: ليس بأرض ولا امرأة، ولكنّه رجل وَلَدَ عشرةً مِنْ العرب، فتيامن منهم ستة، وتشاءم منهم أربعة، فأما الذين تشاءموا: فلَخْم، وجُذام، وغسّان، وعاملة؛ وأما الذين تيامنوا، فالأزد، والأشعريون، وحِمْير، وكِنْدة، وَمذْحِج، وأنمار، فقال رجل: يا رسول الله، وما أنمار؟ قال: الذي منهم خثعم وبَجيلة».

وأخرج أحمد وعبد بن حميد والطبراني وابن عديّ والحاكم وصححه وابن مردويه عن ابن عباس[١] نحوه بأخصر منه.

وأخرج ابنُ جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن ابن عباس[٢] في قوله: ﴿سَيْلَ ٱلْعَرِمِ﴾ قال: الشديد.

وأخرج ابن جرير[٣] عنه قال: ﴿سَيْلَ ٱلْعَرِمِ﴾ واد كان باليمن كان يسيل إلى مكة.

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم[٤] عنه أيضاً في قوله: ﴿أُكُلٍ خَمْطٍ﴾ قال: الأراك.

وأخرج ابن المنذر[٥] عنه أيضاً في قوله: ﴿وَهَلْ نُجَٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ﴾ قال: تلك المناقشة.

وأخرج إسحاق بن بشر، وابن عساكر عنه[٦] أيضاً في قوله: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ﴾؛ يعني: بين مساكنهم ﴿وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا﴾؛ يعني: الأرض المقدّسة ﴿قُرًى

---

(١) أخرجه أحمد رقم (٢٨٩٨)، وعبد بن حميد كما في «تفسير ابن كثير» (١١/ ٢٧٠)، والطبراني رقم (١٢٩٩٢)، وابن عدي (٤/ ١٤٧٠)، والحاكم (٢/ ٤٢٣)، وابن مردويه كما في «الإصابة» (١/ ٣٨٢) بسند حسن.

(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٩/ ٢٥٢)، وابن أبي حاتم كما في «التغليق» (٤/ ٢٨٩) بسند صحيح.

(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٩/ ٢٥١) بسند ضعيف.

(٤) عزاه إليهم السيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٦٩١).
وأخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٩/ ٢٥٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» كما في «التغليق» (٤/ ٢٨٩) بسند صحيح.

(٥) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٦٩١).

(٦) عزاه إليهما السيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٦٩٣).

ظَٰهِرَةً﴾؛ يعني: عامرة مُخْصِبة ﴿وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَ﴾؛ يعني: فيما بين مساكنهم وبين أرض الشام ﴿سِيرُواْ فِيهَا﴾ إذا ظعنوا من منازلهم إلى أرض الشام من المقدّسة.

وأخرج عبد بن حميد، وابن أبي حاتم عنه(١) أيضاً في قوله: ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ﴾ قال إبليس: إن آدم خُلق من تراب ومن طين ومن حمأ مسنون خلقاً ضعيفاً، وإني خلقت من نار، والنار تحرق كل شيء لأحتنكنّ ذرّيته إلّا قليلاً. قال: فصدّق ظنه عليهم ﴿فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ قال: هم المؤمنون كلهم.

[قضية الشرك والتوحيد]:

﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُواْ ٱلْحَقَّ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ قُل لَّا تُسْـَٔلُونَ عَمَّآ أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْـَٔلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٥﴾ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَهُوَ ٱلْفَتَّاحُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٦﴾ قُلْ أَرُونِىَ ٱلَّذِينَ أَلْحَقْتُم بِهِۦ شُرَكَآءَ كَلَّا بَلْ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾﴾.

قوله: ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ هذا أمر للنبيّ ﷺ بأن يقول لكفار قريش، أو للكفار على الإطلاق هذا القول، ومفعولا زعمتم محذوفان؛ أي: زعمتموهم آلهةً لدلالةً السياق عليهما.

قال مقاتل(٢): يقول: ادعوهم ليكشفوا عنكم الضرّ الذي نزل بكم في سنين الجوع. ثم أجاب سبحانه عنهم، فقال: ﴿لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾؛ أي: ليس لهم قُدْرة على خيرٍ ولا شرّ، ولا على جلب نفع ولا دفع ضرر في أمر من الأمور.

---

(١) عزاه إليهما السيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٦٩٥).

(٢) ذكره الواحدي في «الوسيط» (٣/ ٤٩٣).

وذكر السمٰاوات والأرض لقصد التعميم[١]؛ لكونهما ظرفاً للموجودات الخارجية ﴿وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ﴾؛ أي: ليس للآلهة في السمٰاوات والأرض مشاركة لا بالخلق ولا بالمُلك ولا بالتصرّف ﴿وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ﴾؛ أي: وما لله سبحانه من تلك الآلهة مِنْ مُعين يعينه على شيء من أمر السمٰوات والأرض ومن فيهما.

﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ﴾؛ أي: شفاعة من يشفع عنده من الملائكة وغيرهم، وقوله: ﴿إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ﴾ استثناء[٢] مفرّغ مِنْ أعمّ الأحوال؛ أي: لا تنفع الشفاعة في حال من الأحوال إلّا كائنة لمن أذن له أن يشفع مِنْ الملائكة والنبيين ونحوهم من أهل العلم والعمل، ومعلوم أن هؤلاء لا يشفعون إلّا لمن يستحق الشفاعة لا للكافرين، ويجوز: أن يكون المعنى: لا تنفع الشفاعة من الشفعاء المتأهلين لها في حال مِنْ الأحوال إلّا كائنة لمن أذن له؛ أي: لأجله، وفي شأنه من المستحقين للشفاعة لهم، لا من عداهم من غير المستحقين لها، واللام في «لمن» يجوز: أن تتعلق بنفس الشفاعة.

قال أبو البقاء[٣]: كما تقول: شفعت له، ويجوز: أن تتعلق بتنفع، والأولى أنها متعلقة بالمحذوف كما ذكرنا.

قيل: والمراد بقوله: ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ﴾: أنّها لا توجد أصلاً إلّا لمن أذن له، وإنما علق النفي بنفعها لا بوقوعها تصريحاً بنفي ما هو غرضهم من وقوعها.

قرأ الجمهور «أَذِنَ» بفتح الهمزة[٤]؛ أي: أذن له الله سبحانه؛ لأن اسمه سبحانه مذكور قبل هذا.

وقرأ أبو عمرو، وحمزة، والكسائي بضمها[٥] على البناء للمفعول، والآذن هو: الله سبحانه، ومثل هذه الآية قوله تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٥٥]. وقوله: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء: ٢٨].

---

(١) «روح المعاني» (٢٢/٨٨)، و«تفسير أبي السعود» (٥/٤٤٨).
(٢) ذكره أبو السعود في «تفسيره» (٥/٤٤٩).
(٣) في «التبيان» (٢/١٠٦٨).
(٤) «التيسير» (ص١٨١)، و«النشر» (٢/٣٥٠)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (٢/٢٠٧)، و«جامع البيان» (١٩/٢٧٤).
(٥) انظر: المصادر المتقدمة.

[اختلف في كون الفزع ممن يكون]:

ثم أخبر سبحانه عن خوف هؤلاء الشفعاء، والمشفوع لهم، فقال: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ﴾ قرأ الجمهور[1]: «فُزِّع» مبنيّاً للمفعول، والفاعل هو: الله، والقائم مقام الفاعل هو: الجارّ والمجرور، وقرأ ابْن عامر[2]: «فَزَّع» مبنيّاً للفاعل، وفاعله ضمير يرجع إلى الله سبحانه، وكلا القراءتين بتشديد الزاي، وفَعَّلَ معناه: السلب؛ فالتفزيع إزالة الفزع.

وقرأ الحسن[3] مثل قراءة الجمهور إلّا أنه خفّف الزاي.

قال قُطْرب[4]: معنى فُزّع عَنْ قلوبهم: أُخرج ما فيها من الفزع، وهو: الخوف.

وقال مجاهد[5]: كشف عْن قلوبهم الغطاء يوم القيامة.

والمعنى: أنّ الشفاعة لا تكون مِنْ أحدٍ من هؤلاء المعبودين من دون الله من الملائكة، والأنبياء والأصنام، إلّا أن الله سبحانه يأذن للملائكة والأنبياء، ونحوهم في الشفاعة لمن يستحقها، وهم على غاية الفزع من الله كما قال تعالى: ﴿وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٨]، فإذا أذن لهم في الشفاعة فزعوا لما يقترن بتلك الحالة من الأمر الهائل، والخوف الشديد من أن يحدث شيء من أقدار الله، فإذا سرّي عليهم ﴿قَالُواْ﴾ للملائكة فوقهم، وهم الذين يوردون عليهم الوحي بالإذن ﴿مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْۖ﴾؛ أي: ماذا أمر به؟ فيقولون لهم: قال: القول ﴿ٱلْحَقَّۖ﴾، وهو: قبول شفاعتكم للمستحقين لها دون غيرهم ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ فله أن يحكم في عباده بما يشاء، ويفعل ما يريد.

وقيل: هذا الفزع يكون للملائكة في كل أمر يأمر به الربّ. والمعنى: لا تنفع الشفاعة إلّا مِنْ الملائكة الذين هم فَزِعون اليوم مطيعون لله، دون الجمادات والشياطين.

---

(١) «البحر المحيط» (٨/ ٥٤٣)، «فتح الباري» (٨/ ٤١٤)، «التيسير» (ص١٨١)، «التبيان (٢/ ١٠٦٨)، «زاد المسير» (٦/ ٤٥٢).
(٢) انظر المصادر السابقة: ومع ابن عامر يعقوب.
(٣) «المحتسب» (٢/ ١٩١ ـ ١٩٢). وقراءة الحسن قراءة شاذة.
(٤) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ٤٤٨).
(٥) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٩/ ٢٧٥) بسند صحيح.

وقيل: إنّ الذين يقولون: ماذا قال ربكم؟ هم: المشفوع لهم، والذين أجابوهم: هم: الشفعاء مِنْ الملائكة والأنبياء.

وقال الحسن[١]، وابن زيد، ومجاهد: معنى الآية: حتى إذا كشف الفزع عن قلوب المشركين في الآخرة. قالت لهم الملائكة: ماذا قال ربكم في الدنيا؟ قالوا: الحقّ، فأقرّوا حين لا ينفعهم الإقرار.

وقرأ ابن عمر، وقتادة: «فرّغ» بالراء المهملة[٢]، والغين المعجمة من الفراغ.

والمعنى: فرغ الله قلوبهم؛ أي: كشف عنها الخوف.

وقرأ ابن مسعود[٣] «افرنقع» بعد الفاء راء مهملة، ثم نون، ثم قاف، ثم عين مهملة من الافرنقاع، وهو: التفرّق. ثم أمر الله سبحانه رسوله: أن يبكّت المشركين، ويوبّخهم، فقال: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾؛ أي: مَنْ يُنْعم عليكم بهذه الأرزاق التي تتمتعون بها؟ فإن آلهتكم لا يملكون مثقال ذرة، والرّزق من السماء هو المطر، وما ينتفع به منها من الشمس والقمر، والنجوم والرّزق من الأرض هو: النبات والمعادن ونحو ذلك.

ولما كان الكفار لا يقدرون على جواب[٤] هذا الاستفهام، ولا تقبل عقولهم نسبة هذا الرّزق إلى آلهتهم، وربما يتوقفون في نسبته إلى الله مخافة أن تقوم عليهم الحُجة فأمر الله رسوله: بأن يجيب عن ذلك، فقال: ﴿قُلِ ٱللَّهُ﴾؛ أي: هو الذي يرزقكم من السمٰاوات والأرض.

ثم أمره سبحانه: أن يخبرهم بأنهم على ضلالة، لكن على وجه الإنصاف في الحُجة بعد ما سبق تقرير مَنْ هو على الهدى ومن هو على الضلالة، فقال: ﴿وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ والمعنى: أن أحد الفريقين من الذين يوحّدون الله الخالق الرّازق ويخصونه بالعبادة، والذين يعبدون الجمادات التي لا تقدر على خلق ولا رزق ولا نفع ولا ضرّ لعلى أحد الأمرين من الهدى أو الضلالة،

---

(١) ذكره عنهم البغوي في «تفسيره» (٦/ ٣٩٩).

(٢) «الجامع لأحكام القرآن» (١٧/ ٣١٢)، و«المحتسب» (٢/ ١٩١ ـ ١٩٢). وهي قراءة شاذة.

(٣) «القراءات الشاذة» (ص١٢٢)، و«المحتسب» (٢/ ١٩٢)، و«التبيان» (٢/ ١٠٦٨). وهي قراءة شاذة مخالفة للرسم.

(٤) «الجامع لأحكام القرآن» (١٧/ ٣١٢)، و«جامع البيان» (١٩/ ٢٨٣).

ومعلوم لكلّ عاقل أن من عبد الذي يخلق ويرزق وينفع ويضرّ هو الذي على الهدى، ومن عبد الذي لا يقدر على خلق ولا رزق ولا نفع ولا ضرّ هو الذي على الضلالة، فقد تضمن هذا الكلام بيان فريق الهدى، وهم المسلمون، وفريق الضلالة، وهم المشركون على وجه أبلغ مِنْ التصريح.

قال المبرّد[١]: ومعنى هذا الكلام: معنى قول المتبصر في الحجة لصاحبه: أحدُنا كاذب، وقد عُرف أنه الصادق المصيب وصاحبه الكاذب المخطئ. قال: و«أو» عند البصريين على بابها، [٣/٢٠٧] وليست للشكّ، لكنها على ما تستعمله العرب في مثل هذا إذا لم يُرد المخبر أن يبين وهو عالم بالمعنى.

وقال أبو عبيدة[٢]، والفرّاء[٣]: هي بمعنى: الواو، وتقديره: وإنَّا على هدى، وإياكم لفي ضلال مبين، ومنه قول جرير[٤]:

أثعلبةَ الفَوَارسِ أو رَبَاحا عَدَلْتَ بهم طهُيةَ والرَّبابَا

أي: ثعلبة ورباحاً، وكذا قول الآخر:

فَلمَّا اشتدَّ بأسُ الحربِ فينا تأمَّلنا رَبَاحاً أو رِزَامَا[٥]

أي: ورزاماً، وقوله: أو إياكم معطوف على اسم إن، وخبرها هو المذكور، وحذف خبر[٦] الثاني للدلالة عليه؛ أي: إنا لعلى هدى أو في ضلال مبين، وإنكم لعلى هدى أو في ضلال مبين، ويجوز العكس وهو كون المذكور خبر الثاني وخبر الأوّل محذوفاً كما تقدّم في قوله: ﴿وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ﴾ [التوبة: ٦٢].

ثم أردف سبحانه هذا الكلام المنصف بكلام أبلغ منه في الإنصاف، وأبعد من الجدل والمشاغبة، فقال: ﴿قُل لَّا تُسْـَٔلُونَ عَمَّآ أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْـَٔلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾؛ أي: إنما أدعوكم إلى ما فيه خير لكم ونفع، ولا ينالني مِنْ كفركم وترككم لإجابتي ضرر، وهذا كقوله سبحانه: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ﴾ [الكافرون: ٦]، وفي إسناد الجرم إلى المسلمين، ونسبة مطلق العمل إلى المخاطبين، مع كون أعمال المسلمين من

---

(١) ذكره النحاس في «إعراب القرآن» (٣/ ٣٤٦ ـ ٣٤٧).
(٢) في «مجاز القرآن» (٢/ ١٤٨).
(٣) في «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٣٦٢).
(٤) انظر: «ديوان جرير» (٢/ ٨١٤).
(٥) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٧/ ٣١٣).
(٦) انظر: «مشكل إعراب القرآن» (٢/ ٢٠٩)، و«التبيان» (٢/ ١٠٦٨).

البرّ الخالص، والطاعة المحضة، وأعمال الكفار من المعصية البينة، والإثم الواضح من الإنصاف ما لا يقادر قدره.

والمقصود: المهادنة[(١)] والمتاركة، وقد نُسخت هذه الآية وأمثالها بآية السيف.

ثم أمره سبحانه بأن يهدّدهم بعذاب الآخرة، لكن على وجه لا تصريح فيه، فقال: ﴿قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا﴾؛ أي: يوم القيامة ﴿ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ﴾؛ أي: يحكم، ويقضي بيننا الحقّ، فيثيب المطيع ويعاقب العاصي ﴿وَهُوَ الْفَتَّاحُ﴾؛ أي: الحاكم بالحقّ القاضي بالصواب ﴿الْعَلِيمُ﴾ بما يتعلق بحكمه وقضائه من المصالح. وهذه أيضاً منسوخة[(٢)] بآية السيف.

ثم أمره سبحانه: أَنْ يورد عليهم حجة أخرى يظهر بها ما هم عليه من الخطأ، فقال: ﴿قُلْ أَرُونِيَ الَّذِينَ أَلْحَقْتُم بِهِ شُرَكَاءَ﴾؛ أي: أروني الذين ألحقتموهم بالله شركاء له، وهذه الرؤية هي: القَلْبية فيكون شركاء هو المفعول الثالث؛ لأن الفعل تعدّى بالهمزة إلى ثلاثة:

الأوّل: الياء في أروني، والثاني: الموصول، والثالث: شركاء، وعائد الموصول محذوف؛ أي: ألحقتموهم، ويجوز: أن تكون هي البَصَرية، وتعدّى الفعل بالهمزة إلى اثنين:

الأوّل: الياء، والثاني: الموصول، ويكون شركاء منتصباً على الحال[(٣)].

ثم ردّ عليهم ما يدعونه مِنْ الشركاء، وأبطل ذلك، فقال: ﴿كَلَّا بَلْ هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾؛ أي: ارتدعوا عن دعوى المشاركة؛ بل المنفرد بالإلٰهية، هو: الله العزيز بالقهر والغلبة، الحكيم بالحكمة الباهرة.

وقد أخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم عن ابن عباس[(٤)] في قوله: ﴿فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ﴾ قال: جلّى.

---

(١) «الجامع لأحكام القرآن» (١٧/ ٣١٤).

(٢) «الجامع لأحكام القرآن» (١٧/ ٣١٥)، و«جامع البيان» (١٩/ ٢٨٧).

(٣) «إعراب القرآن» للنحاس (٣/٣٤٧)، و«الفريد» (٤/ ٧١ ـ ٧٢).

(٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٩/ ٢٧٥)، وابن أبي حاتم كما في «الإتقان» (٢/ ٣٨) بسند صحيح.

وأخرج ابن أبي حاتم، وابن مردويه عنه(١) قال: لما أوحى الجبار إلى محمد ﷺ دعا الرسول من الملائكة ليبعثه بالوحي، فسمعتْ الملائكةُ صوتَ الجبار يتكلم بالوحي، فلما كشف عن قلوبهم سألوا عمَّا قال الله، فقالوا: الحقّ، وعلموا: أن الله لا يقول إلّا حقّاً. قال ابن عباس: وصوت الوحي كصوت الحديد على الصفا، فلمّا سمعوا خرّوا سجداً، فلما رفعوا رؤوسهم ﴿قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْۖ قَالُواْ ٱلۡحَقَّۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ﴾.

وأخرج عبد بن حُميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عنه(٢) أيضاً قال: ينزل الأمر إلى السماء الدنيا له وقعة كوقعة السلسلة على الصخرة، فيفزع له جميع أهل السمٰوات، فيقولون: ماذا قال ربكم؟ ثم يرجعون إلى أنفسهم، فيقولون: الحق وهو العليّ الكبير.

وأخرج البخاري، وأبو داود، والترمذي، وابن ماجه، وغيرهم من حديث أبي هريرة(٣): أن النبي ﷺ قال: «إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعاناً لقوله كأنَّه سلسلة على صفوان ينفذهم ذلك، فإذا فُزِّع عن قلوبهم قالوا: ماذا قال ربكم؟ قالوا: للذي قال: الحقّ وهو العليّ الكبير» الحديث، وفي معناه أحاديث.

وأخرج سعيد بن منصور، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن عكرمة(٤) في قوله: ﴿وَإِنَّآ أَوۡ إِيَّاكُمۡ لَعَلَىٰ هُدًى أَوۡ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾ قال: نحنُ على هدى، وإنّكم لفي ضلال مبين.

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والبيهقي في «الأسماء والصفات» عن ابن عباس(٥) قال: ﴿ٱلۡفَتَّاحُ﴾: القاضي.

---

(١) عزاه إليهما السيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٦٩٧).

(٢) عزاه إليهم السيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٦٩٧).

(٣) أخرجه البخاري رقم (٧٤٨١)، وأبو داود رقم (٣٩٨٩)، والترمذي رقم (٣٢٢٣)، وابن ماجه رقم (١٩٤)، وابن جرير (١٩/ ٢٧٧)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» رقم (٤٣١)، وعبد الرزاق في «تفسيره» (٢/ ١٣١)، وابن خزيمة في «التوحيد» (ص٩٧)، وابن حبان رقم (٣٦).

(٤) عزاه إليهم السيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٧٠١).
وأخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٩/ ٢٨٤) بسند ضعيف، عن عكرمة وزياد بن أبي مريم.

(٥) عزاه إليهم السيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٧٠١ ـ ٧٠٢).

[الرسالة عامة للناس جميعاً]:

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ
﴿٢٨﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾ قُل لَّكُم مِّيعَادُ يَوْمٍ لَّا تَسْتَـْٔخِرُونَ
عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٠﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ بِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَلَا بِٱلَّذِى بَيْنَ
يَدَيْهِ ۗ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ٱلْقَوْلَ يَقُولُ
ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لِلَّذِينَ
ٱسْتُضْعِفُوٓا۟ أَنَحْنُ صَدَدْنَٰكُمْ عَنِ ٱلْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَآءَكُم ۖ بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ
ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَآ أَن نَّكْفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ
وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَجَعَلْنَا ٱلْأَغْلَٰلَ فِىٓ أَعْنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا
كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٣٣﴾﴾.

في انتصاب[(١)] ﴿كَآفَّةً﴾ وجوه، فقيل: إنه منتصب على الحال من الكاف في ﴿أَرْسَلْنَٰكَ﴾ قال الزجاج[(٢)]: أي: وما أرسلناك إلّا جامعاً للناس بالإنذار والإبلاغ، والكافة؛ بمعنى: الجامع، والهاء فيه للمبالغة كعلّامة.

قال أبو حيّان[(٣)]: أما قول الزجاج: إن كافّة بمعنى: جامعاً والهاء فيه للمبالغة، فإن اللغة لا تساعد عليه؛ لأن كفّ ليس معناه: جمع؛ بل معناه: منع. يقال: كف يكف؛ أي: منع يمنع. والمعنى: إلّا مانعاً لهم من الكفر، ومنه الكفّ؛ لأنها تمنع من خروج ما فيه.

وقيل: إنه منتصب[(٤)] على المصدرية، والهاء للمبالغة كالعاقبة والعافية، والمراد: أنها صفة مصدر محذوف؛ أي: إلّا رسالة كافّة. وقيل: إنه حال من الناس.

والتقدير: وما أرسلناك إلّا للناس كافّة، وردّ بأنه لا يتقدّم الحال من المجرور

---

(١) «مشكل إعراب القرآن» (٢/ ٢٠٩)، و«التبيان» (٢/ ١٠٦٩)، و«الفريد» (٤/ ٧٢).
(٢) في «معاني القرآن وإعرابه» (٤/ ٢٥٤).
(٣) في «البحر المحيط» (٨/ ٥٤٩).
(٤) «التبيان» (٢/ ١٠٦٩)، و«الفريد» (٤/ ٧٢).

عليه كما هو مقرّر في علم الإعراب، ويجاب عنه بأنه قد جوّز[(١)] ذلك أبو عليّ الفارسيّ، وابن كيسان، وابن برهان، ومنه قول الشاعر:

إِذَا الـمَـرْءُ أعـيـتْـهُ الـسِّـيـادةُ نَـاشِـئـاً   فـمـطـلـبُـهـا كَـهْـلاً عـلـيـه عَـسـيـرُ[(٢)]

وقول الآخر:

تَـسـلَّـيـتُ طُـرّاً عـنـكـمُ بَـعْـد بـيـنـكـم   بـذِكـراكـم حَـتَّـى كـأنَّـكـمُ عِـنْـدي[(٣)]

وقول الآخر:

غـافِـلاً تَـعْـرِضُ الـمَـنـيـةُ لـلـمَـر   ءِ فـيـدعَـى ولاتَ حـيـنَ إبـاءِ[(٤)]

وممن رجح كونها حالاً من المجرور بعدها ابن عطية[(٥)]، وقال: قدمت للاهتمام، والتقوّي. وقيل: المعنى: إلّا ذا كافّة؛ أَيْ: ذا منع فحذف المضاف.

قيل: واللَّام في ﴿لِّلنَّاسِ﴾ بمعنى إلى؛ أي: وما أرسلناك إلى الناس إلّا جامعاً لهم بالإنذار والإبلاغ، أو مانعاً لهم مِنْ الكفر والمعاصي، وانتصاب ﴿بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ على الحال؛ أي: مبُشّراً لهم بالجنة، ومنذراً لهم من النار ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ما عند الله، وما لهم من النفع في إرسال الرسل ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾؛ أي: متى يكون هذا الوعد الذي تعدونا به؟ وهو قيام الساعة أخبرونا به إن كنتم صادقين، قالوا هذا على طريقة الاستهزاء برسول الله ﷺ ومَنْ معه من المؤمنين، فأمر الله رسوله ﷺ أن يجيب عنهم، فقال: ﴿قُل لَّكُم مِّيعَادُ يَوْمٍ﴾؛ أي: ميقات يوم، وهو يوم البعث.

وقيل: وقت حضور[(٦)] الموت، وقيل: أراد يوم بدر؛ لأنه كان يوم عذابهم في الدنيا، وعلى كل تقدير فهذه الإضافة للبيان، ويجوز في ميعاد: أن يكون مصدراً مراداً به الوعد وأن يكون اسم زمان.

---

(١) ذكره عنهم أبو حيان في «البحر المحيط» (٨/ ٥٤٩).

(٢) نسب لأعرابي من بني قريع. «خزانة الأدب» (٣/ ٢١٩ ـ ٢٢٠)، و«الحماسة البصرية» (ص٩٣٨)، ونسبه ابن قتيبة في «عيون الأخبار» (١/ ٢٤٦ ـ ٢٤٧) للمعلوط.

(٣) ذكره أبو حيان في «البحر المحيط» (٨/ ٥٤٩) بدون نسبة.

(٤) ذكره أبو حيان في «البحر المحيط» (٨/ ٥٥٠) بدون نسبة.

(٥) في «المحرر الوجيز» (١٣/ ١٣٩).

(٦) «الجامع لأحكام القرآن» (١٧/ ٣١٥).

قال أبو عبيدة[١]: الوعد والوعيد والميعاد بمعنى.

وقرأ ابن أبي عبلة[٢] بتنوين: «ميعادٌ» ورفعه، ونصب: «يومَ» على أن يكون ميعاد مبتدأ، ويوماً ظرف، والخبر لكم.

وقرأ عيسى بن عمر[٣] برفع: «ميعادٌ» منوّناً، ونصب: «يومَ» مضافاً إلى الجملة بعده.

وأجاز النحويون[٤] «ميعادٌ يومٌ» برفعهما منوّنين على أن ميعاد مبتدأ، ويوم بدل منه.

وجُمْلة: ﴿لَّا تَسْتَـْٔخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ﴾ صفة لميعاد؛ أي: هذا الميعاد المضروب لكم لا تتأخرون عنه ولا تتقدّمون عليه؛ بل يكون لا محالة في الوقت الذي قَدْ قدّر الله وقوعَه فيه.

ثم ذكر سبحانَه طرفاً مِنْ قبائح الكفار، ونوعاً مِنْ أنواع كفرهم، فقال: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ بِهَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَلَا بِٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ وهي الكتب القديمة؛ كالتوراة والإنجيل والرسل المتقدّمون. وقيل: المراد بالذي بين يديه الدار الآخرة[٥].

ثم أخبر سبحانه عَنْ حالهم في الآخرة، فقال: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّـٰلِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ الخطاب لمحمد ﷺ، أو لكلِّ مَنْ يصلح له، ومعنى موقوفون عند ربهم محبوسون في موقف الحساب ﴿يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ٱلْقَوْلَ﴾؛ أي: يتراجعون الكلام فيما بينهم باللّوم والعتاب بعد أن كانوا في الدنيا متعارضين متناصرين متحابين.

ثم بيّن سبحانه تلك المراجعة، فقال: ﴿يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟﴾ وهم الأتباع

---

(١) في «مجاز القرآن» (٢/ ١٤٩).

(٢) «البحر المحيط» (٨/ ٥٥٠)، و«القراءات الشاذة» (ص١٢٢)، و«روح المعاني» (٢٢/ ١٠٧).

(٣) «البحر المحيط» (٨/ ٥٥١)، و«روح المعاني» (٢٢/ ١٠٨). القراءتان شاذتان، وما أجازه النحويون فيرجع الى اللغة لكنه ليس بقراءة.

(٤) «إعراب القرآن» للنحاس (٣/ ٣٤٨)، و«مشكل إعراب القرآن» (٢/ ٢١٠)، و«البيان» (٢/ ١٠٦٩).

(٥) «النكت والعيون» (٤/ ٤٥١).

﴿لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ﴾، وهم الرؤساء المتبوعون ﴿لَوْلَآ أَنتُمْ﴾ صددتمونا عن الإيمان بالله والاتباع لرسوله ﴿لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ﴾ بالله مصدّقين لرسوله، وكتابه ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوٓاْ﴾ مجيبين عليهم مستنكرين لما قالوه: ﴿أَنَحْنُ صَدَدْنَٰكُمْ عَنِ ٱلْهُدَىٰ﴾؛ أي: منعناكم عَنْ الإيمان؟ ﴿بَعْدَ إِذْ جَآءَكُم﴾ الهدى؟ قالوا هذا منكرين لما ادّعوه عليهم من الصدّ لهم، وجاحدين لما نسبوه إليهم من ذلك، ثم بينوا لهم أنهم الصادّون لأنفسهم، الممتنعون من الهدى بعد إذ جاءهم، فقالوا: ﴿بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ﴾؛ أي: مُصرّين على الكفر، كثيري الإجرام عظيمي الآثام ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ﴾ ردّاً لما أجابوا به عليهم، ودفعاً لما نسبوه إليهم من صدّهم لأنفسهم ﴿بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ أصل المكر في كلام العرب: الخديعة والحيلة، يقال: مَكَر به إذا خَدَعه، واحتال عليه. والمعنى: بل مكركم بنا الليل والنهار، فحذف المضاف إليه وأقيم الظرف مقامه اتساعاً.

وقال الأخفش(١): هو على تقدير هذا مكر الليل والنهار.

قال النحاس(٢): المعنى والله أعلم: بل مكركم في الليل والنهار، ودعاؤكم لنا إلى الكفر هو الذي حملنا على هذا.

وقال سفيان الثوري(٣): بل عملكم في الليل والنهار، ويجوز: أن يجعل الليل والنهار ماكرين على الإسناد المجازي كما تقرّر في علم المعاني.

قال المبرّد(٤) كما تقول العرب: نهارهُ صائمٌ، وليله قائم، وأنشد قول جرير(٥):

لَقدْ لُمتِنا يا أمّ غَيْلان في السُّرى ... ونِمْتِ وما ليلُ المَطيّ بنائمِ

وأنشد سيبويه(٦):

قيام ليلي وتجلّي هَمّي(٧)

---

(١) في «معاني القرآن» للأخفش (٢/ ٦٦٣).
(٢) في «إعراب القرآن» للنحاس (٣/ ٣٤٩).
(٣) أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢/ ١٣٢).
(٤) في «المقتضب» (٤/ ٣٣١).
(٥) انظر: «ديوان جرير» (٩٩٣).
(٦) ذكره النحاس في «إعراب القرآن» (٣/ ٣٤٩).
(٧) الرجز لرؤبة. انظر: «ديوانه» (ص١٤٢).

وقرأ قتادة ويحيى بن يَعْمُر برفع[١]: «مكرٌ» منوّناً، ونصب: «الليلَ والنهارَ»، والتقدير: بل مكرٌ كائن في الليل والنهار.

وقرأ سعيد بن جبير، وأبو رَزين بفتح الكاف[٢]، وتشديد الراء مضافاً بمعنى: الكرور، مِنْ كرّ يكرّ إذا جاء وذهب، وارتفاع مكر [٣/٤١٦] على هذه القراءات على أنه مبتدأ، وخبره محذوف؛ أي: مكر الليل والنهار صدّنا، أو على أنه فاعل لفعل محذوف؛ أي: صدّنا مكر الليل والنهار، أو على أنه خبر مبتدأ محذوف كما تقدّم عن الأخفش[٣].

وقرأ طلحة وراشد كما قرأ سعيد بن جبير، ولكنّه نصب[٤] مكر على المصدرية؛ أي: بل تمكرون الإغواء مَكْراً دائماً لا تفترون عنه، وانتصاب ﴿إِذْ تَأْمُرُونَنَآ﴾ على أنه ظرف للمكر؛ أي: بل مكركم بنا وقت أمركم لنا ﴿أَن نَّكْفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُۥٓ أَندَادًاۚ﴾؛ أي: أشباهاً، وأمثالاً.

قال المِّبرد[٥]: يُقال: نِدُّ فلان فلان؛ أي: مثله. وأنشد:

أَتَـيَـمـاً تـجـعـلـونَ إلـيّ نِـدّاً ... ومـا تـيـمٌ بـذي حَـسَـبٍ نَـدِيْـدِ[٦]

والضمير في قوله: ﴿وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ﴾ راجع إلى الفريقين؛ أي: أضمر الفريقان الندامةَ على ما فعلوا من الكفر وأخفوها عن غيرهم، أو أخفاها كل منهم عَنْ الآخر مخافة الشماتة.

وقيل: المراد بأسرّوا هنا: أَظْهروا؛ لأنَّه مِنْ الأضداد، يكون تارة بمعنى: الإخفاء، وتارة بمعنى: الإظهار، ومنه قول امرئ القيس[٧]:

تَـجَـاوزتُ أَحْـراسـاً وأهـوالَ مَـعْـشـرٍ ... عـلـيّ حِـراصٌ لـو يُـسِـرُّون مَـقْـتـلـي

وقيل: معنى أسروا الندامةَ: تبينت الندامة في أسرّة وجوههم ﴿وَجَعَلْنَا ٱلْأَغْلَٰلَ

---

(١) «المحتسب» (٢/ ١٩٣ ـ ١٩٤)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٧/ ٣١٨)، و«البحر المحيط» (٨/ ٥٥٢).

(٢) «القراءات الشاذة» (ص١٢٢)، و«المحتسب» (٢/ ١٩٣ ـ ١٩٤)، و«البحر المحيط» (٨/ ٥٥٢). وهي قراءة شاذة.

(٣) في «معاني القرآن» للأخفش (٢/ ٦٦٣).

(٤) «المحتسب» (٢/ ١٩٤)، و«القراءات الشاذة» (ص١٢٢). هما قراءتان شاذتان.

(٥) ذكره النحاس في «إعراب القرآن» (٣/ ٣٥٠).

(٦) البيت لجرير انظر: «ديوانه» (١/ ٣٣١).

(٧) انظر: «ديوان امرئ القيس» (ص١٣).

فِىٓ أَعۡنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ﴾ الأغلال جمع غُلّ، يقال: في رقبته غلّ مِنْ حديد؛ أي: جعلت الأغلال من الحديد في أعناق هؤلاء في النار.

والمراد بالذين كفروا: هم المذكورون سابقاً والإظهار لمزيد الذمّ، أو للكفار على العموم، فيدخل هؤلاء[1] فيهم دخولاً أوّليّاً ﴿هَلۡ يُجۡزَوۡنَ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾؛ أي: إلّا جزاء ما كانوا يعملونه من الشرك بالله، أو إلّا بما كانوا يعملون على حذف الخافض.

وقد أخرج ابن أبي شيبة، وابن المنذر عن مجاهد[2] في قوله: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ﴾ قال: إلى الناس جميعاً.

وأخرج عبد بن حُميد، وابن جرير، وابن أبي حاتم عن قتادة[3] قال: أرسل الله محمّداً إلى العرب والعجم فأكرمهم على الله أطوعهم له.

وأخرج هؤلاء[4] عَنهُ في قوله: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن نُّؤۡمِنَ بِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ﴾ قال: هذا قول مشركي العرب كفروا بالقرآن، وبالذي بين يديه من الكتب والأنبياء.

[تسلية النبي ﷺ]:

﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِى قَرۡيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتۡرَفُوهَآ إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٣٤﴾ وَقَالُواْ
نَحۡنُ أَكۡثَرُ أَمۡوَٰلًا وَأَوۡلَٰدًا وَمَا نَحۡنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٣٥﴾ قُلۡ إِنَّ رَبِّى يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُ
وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٣٦﴾ وَمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُم بِٱلَّتِى تُقَرِّبُكُمۡ عِندَنَا زُلۡفَىٰٓ إِلَّا مَنۡ
ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ جَزَآءُ ٱلضِّعۡفِ بِمَا عَمِلُواْ وَهُمۡ فِى ٱلۡغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلَّذِينَ
يَسۡعَوۡنَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُوْلَٰٓئِكَ فِى ٱلۡعَذَابِ مُحۡضَرُونَ ﴿٣٨﴾ قُلۡ إِنَّ رَبِّى يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ
مِنۡ عِبَادِهِۦ وَيَقۡدِرُ لَهُۥۚ وَمَآ أَنفَقۡتُم مِّن شَىۡءٍ فَهُوَ يُخۡلِفُهُۥۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٣٩﴾﴾.

---

(١) «البحر المحيط» (٨/ ٥٥٣)، و«روح المعاني» (٢٢/ ١١٣).
(٢) عزاه إليهما السيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٧٠٢).
(٣) عزاه إليهم السيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٧٠٢).
وأخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٩/ ٢٨٨) بسند صحيح.
(٤) عزاه إليهم السيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٧٠٣).
وأخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٩/ ٢٨٩، ٢٩٠) بسند صحيح.

[قضية البعث والإحسان والجزاء]:

﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ فَٱلْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَّفْعًا وَلَا ضَرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّتِى كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿٤٢﴾﴾.

لما قصّ سبحانه حال مَنْ تقدّم من الكفار أتبعه بما فيه التسلية لرسوله، وبيان أنّ كفر الأمم السابقة بمن أرسل إليهم من الرسل هو كائن مستمرّ في الأعصر الأوّل، فقال: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ﴾ من القرى ﴿مِّن نَّذِيرٍ﴾ ينذرهم ويحذرهم عقاب الله ﴿إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ﴾؛ أي: رؤساؤها[1] وأغنياؤها وجبابرتها، وقادة الشرّ لرسلهم: ﴿إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ﴾؛ أي: بما أرسلتم به من التوحيد والإيمان، وجملة: ﴿إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ﴾ في محل نصب على الحال.

ثم ذكر ما افتخروا به من الأموال والأولاد، وقاسوا حالهم في الدار الآخرة على حالهم في هذه الدار على تقدير صحة ما أنذرهم به الرسل، فقال: ﴿وَقَالُوا۟ نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾ والمعنى: أنّ الله فضلنا عليكم بالأموال والأولاد في الدنيا، وذلك يدلّ على: أنّه قد رضي[2] ما نحن عليه من الدين، ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾ في الآخرة بعد إحسانه إلينا في الدنيا ورضاه عنا، فأمر الله نبيه ﷺ بأن يجيب عنهم وقال: ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّى يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ﴾ أن يبسطه له ﴿وَيَقْدِرُ﴾؛ أي: يُضّيق على مَنْ يشاء أن يضيقّه عليه، فهو سبحانه قد يرزق الكافر والعاصي استدراجاً له.

وقد يمتحن المؤمن المطيع بالتقتير توفيراً لأجره، وليس مجرّد بسط الرزق لمن بسطه له يدل على أنّه قد رضي عنه ورضي عمله، ولا قبضه عمّن قبضه عنه يدل على أنّه لم يرضه ولا رضي عمله، فقياس الدار الآخرة على الدار الأولى في مثل هذا مِنْ الغلط البيِّن أو المغالطة الواضحة ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ هذا، ومن جملة هؤلاء الأكثر من قاس أمر الآخرة على الأولى.

---

(١) «جامع البيان» (١٩/ ٢٩٠ ـ ٢٩١)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٧/ ٣٢١).

(٢) «الجامع لأحكام القرآن» (١٧/ ٣٢١).

ثم زاد هذا الجواب تأييداً[(١)] وتأكيداً ﴿وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ﴾؛ أي: ليسوا بالخصلة التي تقرّبكم عندنا قربى.

قال مجاهد[(٢)]: الزلفى: القُرُبْى، والزلفة: القربة.

قال الأخفش[(٣)]: زُلْفى اسم مصدر كأنَّه قال بالتي تقربكم عندنا تقريباً، فتكون زلفى منصوبة المحلّ.

قال الفرّاء[(٤)]: إن «التي» تكون للأموال والأولاد جميعاً.

وقال الزجاج[(٥)]: إن المعنى: وما أموالكم بالتي تقرّبكم عندنا زلفى، ولا أولادكم بالشيء يقرّبكم عندنا زلفى، ثم حذف خبر الأول لدلالة الثاني عليه، وأنشد:

نحنُ بما عندَنا وأنتَ بما عنـ ـدَك راضٍ والرَّأيُ مُختلفُ[(٦)]

ويجوز في غير القرآن باللتين وباللاتي وباللواتي، وبالذي للأولاد خاصة؛ أي: لا تزيدكم الأموال عندنا درجة ورفعة ولا تقربكم تقريباً ﴿إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ هو استثناء مُنْقطع[(٧)]، فيكون محلّه النصب؛ أي: لكن مَنْ آمن وعمل صالحاً، أو في محل جرّ بدلاً من الضمير في تقرّبكم، كذا قال الزجاج[(٨)].

قال النحاس[(٩)]: وهذا القول غلط؛ لأن الكاف والميم للمخاطب، فلا يجوز البدل، ولو جاز هذا لجاز: رأيتُك زيداً.

ويجاب عنه: بأنّ الأخفش[(١٠)] والكوفيين يجوّزون ذلك، وقد قال بمثل قول الزجاج الفراء.

---

(١) «روح المعاني» (٢٢/ ١١٧)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٧/ ٣٢١).
(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٩/ ٢٩٦) بسند صحيح.
(٣) في «معاني القرآن» للأخفش (٢/ ٦٦٣).
(٤) في «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٣٦٣).
(٥) في «معاني القرآن وإعرابه» (٤/ ٢٥٥).
(٦) نسب لقيس بن الخطيم في «الكتاب» (١/ ٧٥). ونسب لعمرو بن امرئ القيس. «خزانة الأدب» (٤/ ٢٨٣).
(٧) «الفريد» (٤/ ٧٤ ـ ٧٥)، و«مشكل إعراب القرآن» (٢/ ٢١١)، و«التبيان» (٢/ ١٠٧٠).
(٨) في «معاني القرآن وإعرابه» (٤/ ٢٥٥).
(٩) في «إعراب القرآن» للنحاس (٣/ ٣٥٢).
(١٠) في «معاني القرآن» للأخفش (٢/ ٦٦٣).

وأجاز الفراء(١): أَنْ يكون في موضع رفع بمعنى: ما هو إلّا من آمن، والإشارة بقوله: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ﴾ إلى مَنْ، والجمع باعتبار معناها، وهو مبتدأ وخبره ﴿لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ﴾؛ أي: جزاء الزيادة، وهي المرادة بقوله: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ [الأنعام: ١٦٠]، وهو مِنْ إضافة المصدر إلى المفعول؛ أي: جزاء التضعيف للحسنات، وقيل: لهم جزاء الإضعاف؛ لأن الضعف في معنى الجمع.

والباء في ﴿بِمَا عَمِلُوا۟﴾ للسببية ﴿وَهُمْ فِى ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ﴾ من جميع ما يكرهون، والمراد: غُرفات الجنّة، قرأ الجمهور(٢): «جزاء الضُّعْفِ» بالإضافة وقرأ الزهري ويعقوب ونصر بن عاصم وقتادة برفعهما(٣) على أن الضُعْفِ بدل من جزاء.

وروي عَنْ يعقوب(٤): أنه قرأ «جزاءً» بالنصب منوناً، و«الضعفُ» بالرفع على تقدير: فأولئك لهم الضعف جزاءً؛ أي: حال كونه جزاء.

وقرأ الجمهور: «في الغرفات» بالجمع(٥)، واختار هذه القراءة أبو عبيد(٦) لقوله: ﴿لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ غُرَفًا﴾ [العنكبوت: ٥٨].

وقرأ الأعمش ويحيى بن وثّاب، وحمزة وخلف: «في الغرفة» بالإفراد(٧) لقوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ﴾ [الفرقان: ٧٥].

ولما ذكر سبحانه حال المؤمنين ذكر حال الكافرين، فقال: ﴿وَٱلَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا﴾ بالردّ لها، والطعن فيها حال كونهم ﴿مُعَٰجِزِينَ﴾ مسابقين لنا زاعمين أنهم

---

(١) في «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٣٦٣).
(٢) «البحر المحيط» (٨/ ٥٥٥)، و«النشر» (٢/ ٣٥١)، و«المبسوط» (ص٣٦٤)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٧/ ٣٢٣).
(٣) انظر: المصادر المتقدمة.
(٤) «النشر» (٢/ ٣٥١). هما قراءتان متواترتان قراءة الجمهور وقراءة نصب (جزاءً) منوناً أما القراءة برفعهما فهي شاذة ورواية شاذة عن يعقوب.
(٥) «الكشف عن وجوه القراءات» (٢/ ٢٠٨)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٧/ ٣٢٣)، و«زاد المسير» (٦/ ٤٦١). خلف مع الجمهور بجمع «الخرفان».
(٦) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٧/ ٣٢٣).
(٧) «الجامع لأحكام القرآن» (١٧/ ٣٢٣)، و«روح المعاني» (٢٢/ ١٢٠)، و«البحر المحيط» (٨/ ٥٥٥ ـ ٥٥٦).

يفوتوننا بأنفسهم، أو معاندين لنا بكفرهم ﴿أُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ﴾؛ أي: في عذاب جهنّم تحضرهم الزبانية إليها لا يجدون عنها محيصاً.

ثم كرّر سبحانه ما تقدّم لقصد التأكيد للحُجّة، والدفع لما قاله الكفرة، فقال: ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥ﴾؛ أي: يوسعه لمن يشاء ويضيقه على مَنْ يشاء، وليس في ذلك دلالة على سعادة، ولا شقاوة.

﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ﴾؛ أي: يخلفه عليكم، يقال: أخلف له وأخلف عليه: إذا أعطاه عوضه، وبَدله، وذلك البدل إما في الدنيا وإما في الآخرة.

﴿وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ فإن رزق العباد لبعضهم البعض إنما هو بتيسير الله وتقديره، وليسوا برازقين على الحقيقة بل على طريق المجاز، كما يقال: في الرجل إنه يرزق عياله، وفي الأمير[(١)] إنّه يرزق جُنْده، والرازق للأمير والمأمور، والكبير والصغير هو: الخالق لهم، ومَنْ أخرج من العباد إلى غيره شيئاً مما رزقه الله، فهو إنما تصرّف في رزق الله له، فاستحق بما خرج منه الثواب عليه المضاعف لامتثاله لأمر الله، وإنفاقه فيما أمره الله.

﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا﴾ الظرف منصوب[(٢)] بفعل مقدّر نحو أذكر، أو هو متصل بقوله: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوْقُوفُونَ﴾ [سبأ: ٣١]؛ أي: ولو تراهم أيضاً يوم نحشرهم جميعاً للحساب العابد والمعبود، والمستكبر والمستضعف، ﴿ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُواْ يَعْبُدُونَ﴾ تقريعاً للمشركين، وتوبيخاً لمن عبد غير الله ﷻ كما في قوله لعيسى: ﴿ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [المائدة: ١١٦]، وإنما خصّص الملائكة بالذكر مع أن بعض الكفار قد عبد غيرهم من الشياطين والأصنام؛ لأنّهم أشرف معبودات[(٣)] المشركين.

قال النحاس[(٤)]: والمعنى: أن الملائكة إذا أكذبتهم كان في ذلك تبكيت للمشركين.

---

(١) «الجامع لأحكام القرآن» (١٧/ ٣٢٥ ـ ٣٢٦).
(٢) «التبيان» (٢/ ١٠٧٠)، و«الفريد» (٤/ ٧٦).
(٣) «روح المعاني» (٢٢/ ١٢٤)، و«تفسير أبي السعود» (٥/ ٤٥٥).
(٤) في «إعراب القرآن» (٣/ ٣٥٣ ـ ٣٥٤).

وجملة: ﴿قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم﴾ مستأنفة جواب سؤال مقدّر؛ أي: تنزيهاً لك أنت الذي نتولاه ونطيعه ونعبده من دونهم، ما اتخذناهم عابدين ولا توليناهم، وليس لنا غيرك وليّاً.

ثم صرّحوا بما كان المشركون يعبدونه، فقالوا: ﴿بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ﴾ [٣/٤١٧] أي: الشياطين وهم: إبليس وجنوده، ويزعمون: أنهم يرونهم، وأنهم ملائكة وأنهم بنات الله.

وقيل: كانوا يدخلون أجواف الأصنام(١) ويخاطبونهم منها ﴿أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ﴾؛ أي: أكثر المشركين بالجنّ مؤمنون بهم مصدّقون لهم، قيل: والأكثر في معنى: الكلّ ﴿فَٱلْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَّفْعًا وَلَا ضَرًّا﴾؛ يعني: العابدين والمعبودين لا يملك بعضُهم وهم المعبودون لبعض وهم: العابدون ﴿نَّفْعًا﴾؛ أي: شفاعة ونجاة ﴿وَلَا ضَرًّا﴾؛ أي: عذاباً وهلاكاً، وإنما قيل لهم: هذا القول إظهاراً لعجزهم وقصورهم وتبكيتاً لعابديهم، وقولهم: ﴿وَلَا ضَرًّا﴾ هو على حذف مضاف؛ أي: لا يملكون لهم دفع ضرّ، وقوله: ﴿وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ عطف على قوله: ﴿يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾؛ أي: للذين ظلموا أنفسهم بعبادة غير الله ﴿ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّتِى كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾ في الدنيا.

وقد أخرج ابن المنذر، وابن أبي حاتم عن أبي رَزَين(٢) قال: كان رجلان شريكين، خرج أحدهما إلى الساحل، وبقي الآخر، فلما بعث الله النبيّ ﷺ كتب إلى صاحبه يسأله ما فعل؟ فكتب إليه أنّه لم يتبعه أحد من قريش إلّا رذالة الناس ومساكينهم فترك تجارته، ثم أتى صاحبه فقال: دلّني عليه، وكان يقرأ الكتب، فأتى النبي ﷺ، فقال: إلى ما تدعو؟ قال: «إلى كذا، وكذا»، قال: أشهد أنك رسول الله، قال: «وما علمك بذلك؟» قال: إنّه لم يبعث نبيّ إلّا اتّبعه رذالة الناس ومساكينهم، فنزلت هذه الآيات ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ﴾ الآيات، فأرسل إليه النبي ﷺ: «إنّ الله قد أنزل تصديق ما قلت».

---

(١) «روح المعاني» (٢٢/ ١٢٥).

(٢) عزاه إليهما السيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٧٠٥).

وأخرجه ابن أبي حاتم كما في «تفسير ابن كثير» (١١/ ٢٩٠ ـ ٢٩١) بسند ضعيف لإرساله.

وأخرج عبد بن حميد، وابن المنذر عن مجاهد[١] في قوله: ﴿جَزَآءُ ٱلضِّعۡفِ﴾ قال: تضعيف الحسنة.

وأخرج الحكيم الترمذي في «نوادر الأصول»، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن محمد بن كعب[٢] قال: إذا كان الرجل غنيّاً تقيّاً آتاه الله أجره مرتين، وتلا هذه الآية: ﴿وَمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُم﴾ إلى قوله: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ جَزَآءُ ٱلضِّعۡفِ﴾ قال: تضعيف الحسنة.

وأخرج سعيد بن منصور، والبخاري في «الأدب المفرد»، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والبيهقي في «الشُّعب» عن ابن عباس[٣] في قوله: ﴿وَمَآ أَنفَقۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَهُوَ يُخۡلِفُهُۥ﴾ قال: في غير إسراف، ولا تقتير، وعن مجاهد[٤] مثله، وعن الحسن[٥] مثله.

وأخرج الدارقطني، والبيهقي في «الشعب» عن جابر[٦]، عن النبي ﷺ قال: «كلما أنفق العبد من نفقة، فعلى الله خَلَفُها ضامناً إلّا نفقة في بنيان أو معصية».

وأخرج نحوه ابن عدي في «الكامل»، والبيهقي من وجه آخر[٧] عنه مرفوعاً بأطول منه.

وقد ثبت في «الصحيح» من حديث أبي هريرة[٨]: أن رسول الله ﷺ قال: «قال الله ﷻ: أَنفِق يا ابن آدم أُنفِق عليك».

---

(١) عزاه إليهما السيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٧٠٥).

(٢) عزاه إليهم السيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٥٠٧).
وأخرجه الحكيم الترمذي في «نوادر الأصول» (١/ ٢١٢).

(٣) أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» رقم (٤٤٣)، والبيهقي في «الشعب» رقم (٦٥٥٠، ٦٥٥١) بسند صحيح.

(٤) أخرجه البيهقي في «الشعب» رقم (٦٥٥٤).

(٥) عزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٥٠٧) إلى الفريابي وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٦) أخرجه البيهقي في «الشعب» رقم (١٠٧١٢)، والدارقطني (٣/ ٨).

(٧) أخرجه ابن عدي في «الكامل» (٦/ ٢٤٢٤)، والبيهقي في «الشعب» رقم (١٠٧١٣). وهو حديث ضعيف، والله أعلم.

(٨) أخرجه البخاري في «صحيحه» رقم (٤٦٨٤، ٥٣٥٢)، ومسلم رقم (٣٧/ ٩٩٣) وأحمد (٢/ ٢٤٢).

وثبت في «الصحيح»[(١)] من حديثه أيضاً قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من يوم يصبح العباد فيه إلّا ومَلَكان ينزلان؛ فيقول أحدهما: اللَّهُمَّ أعط منفقاً خَلَفاً، ويقول الآخر: اللَّهُمَّ أعطِ ممسكاً تلفاً».

وأخرج ابن مردويه[(٢)] عن عليّ بن أبي طالب سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «إن لكل يوم نَحْساً، فادفعوا نحس ذلك اليوم بالصدقة» ثم قال: اقرءوا مواضع الخَلَف، فإنّي سمعت رسول الله ﷺ يقول: «﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ﴾ إذا لم تنفقوا كيف يُخْلِف؟».

وأخرج الحكيم الترمذي في «نوادر الأصول» عن أبي هريرة[(٣)]، عن رسول الله ﷺ قال: «إن المعونَة تنزل مِنَ السماء على قدر المئونة».

[مقولات المشركين عن النبي ﷺ وعن القرآن الذي جاء به]:

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالُوا۟ مَا هَٰذَآ إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُكُمْ
وَقَالُوا۟ مَا هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ مُّفْتَرًى ۚ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ
(٤٣) وَمَآ ءَاتَيْنَٰهُم مِّن كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا ۖ وَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِن نَّذِيرٍ (٤٤) وَكَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن
قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَغُوا۟ مِعْشَارَ مَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ فَكَذَّبُوا۟ رُسُلِى ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ (٤٥) قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم
بِوَٰحِدَةٍ ۖ أَن تَقُومُوا۟ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا۟ ۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ
لَّكُم بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ (٤٦) قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۖ وَهُوَ
عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ (٤٧) قُلْ إِنَّ رَبِّى يَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ (٤٨) قُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ
ٱلْبَٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ (٤٩) قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِى ۖ وَإِنِ ٱهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِىٓ إِلَىَّ رَبِّىٓ ۚ
إِنَّهُۥ سَمِيعٌ قَرِيبٌ (٥٠)﴾.

ثم ذكر سبحانه نوعاً آخر من أنواع كفرهم، فقال: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا﴾؛

---

(١) أخرجه البخاري رقم (١٤٤٢)، ومسلم رقم (٥٧/ ١٠١٠)، والنسائي في «السنن الكبرى» رقم (٩١٧٨).

(٢) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٥٠٧).

(٣) أخرجه الحكيم الترمذي في «نوادر الأصول» (١/ ٣٧٦). وهو حديث صحيح.

أي: الآيات القرآنية حال كونها ﴿بَيِّنَٰتٍ﴾ واضحات الدلالات، ظاهرات المعاني ﴿قَالُواْ مَا هَٰذَآ﴾ يعنون: التالي لها وهو النبي ﷺ ﴿إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُكُمْ﴾؛ أي: أسلافكم مِنَ الأصنام التي كانوا يعبدونها.

﴿وَقَالُواْ﴾ ثانياً: ﴿مَا هَٰذَآ﴾ يعنون: القرآن الكريم ﴿إِلَّآ إِفْكٌ مُّفْتَرًى﴾؛ أي: كذب مختلق.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ ثالثاً: ﴿لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ﴾؛ أي: لأمر الدين الذي جاءهم به رسول الله ﷺ ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ وهذا الإنكار منهم خاص بالتوحيد، وأما إنكار القرآن والمعجزة فكان متفقاً عليه بين أهل الكتاب والمشركين، وقيل: أريد بالأوّل: وهو قولهم: ﴿إِلَّآ إِفْكٌ مُّفْتَرًى﴾ معناه، وبالثاني: وهو قولهم: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ نظمه المعجز.

وقيل: إن طائفة منهم قالوا: إنه إفك، وطائفة قالوا: إنه سحر، وقيل: إنهم جميعاً قالوا: تارة: إنه إفك وتارة: إنه سحر، والأوّل أولى.

﴿وَمَآ ءَاتَيْنَٰهُم مِّن كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا﴾؛ أي: ما أنزلنا على العرب كتباً سماوية يدرسون فيها ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِن نَّذِيرٍ﴾ يدعوهم إلى الحقّ وينذرهم بالعذاب، فليس لتكذيبهم بالقرآن وبالرسول وجه، ولا شبهة يتشبثون بها.

قال قتادة(١): ما أنزل الله على العرب كتاباً قبل القرآن، ولا بعث إليهم نبيّاً قبل محمد ﷺ.

قال الفرّاء(٢): أي: مِنْ أين كذّبوك ولم يأتهم كتاب ولا نذير بهذا الذي فعلوه؟

ثم خوّفهم سبحانه، وأخبر عن عاقبتهم وعاقبة من كان قبلهم، فقال: ﴿وَكَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ من القرون الخالية ﴿وَمَا بَلَغُواْ مِعْشَارَ مَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ﴾؛ أي: ما بلغ أهل مكة منْ مشركي قريش وغيرهم من العرب عشر ما آتينا مَنْ قبلهم من القوّة وكثرة المال وطول العمر فأهلكهم الله كعاد وثمود وأمثالهم.

والمعشار: هو: العُشر. قال الجوهري(٣): مِعْشار الشيء: عُشْره. وقيل: المعشار: عُشْر العُشر، والأوّل أولى.

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٩/ ٣٠٢) بسند صحيح.
(٢) في «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٣٦٣). (٣) في «الصحاح» (٢/ ٧٤٦).

وقيل[١]: إنّ المعنى: ما بلغ مَنْ قبلهم معشار ما آتينا هؤلاء من البينات والهدى.

وقيل[١]: ما بلغ من قبلهم معشار شكر ما أعطيناهم، وقيل: ما أعطى الله من قبلهم معشار ما أعطاهم من العلم، والبيان، والحجة، والبرهان، والأوّل أولى.

وقيل: المعشار: عُشْر العشير، والعشير: عُشْر العُشْر، فيكون جزءاً من ألف جزء.

قال الماوردي[٢]: وهو الأظهر؛ لأنَّ المراد به المبالغة في التقليل.

قلت: مراعاة المبالغة في التقليل لا يسوغ لأجلها الخروج عَنِ المعنى العربي، وقوله: ﴿فَكَذَّبُواْ رُسُلِيۖ﴾ عطف على ﴿وَكَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ﴾ على طريقة التفسير؛ كقوله: ﴿كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٖ فَكَذَّبُواْ عَبۡدَنَا﴾ [القمر: ٩] الآية، والأولى: أن يكون من عطف الخاص على العام؛ لأن التكذيب الأول لما حذف منه المتعلق للتكذيب أفاد العموم، فمعناه: كذبوا الكتب المنزلة والرسل المرسلة والمعجزات الواضحة وتكذيب الرسل أخص منه وإن كان مستلزماً له، فقد روعيت الدلالة اللفظية لا الدلالة الالتزامية ﴿فَكَيۡفَ كَانَ نَكِيرِ﴾؛ أي: فكيف كان إنكاري لهم بالعذاب والعقوبة؟ فليحذر هؤلاء من مثل ذلك، قيل: وفي الكلام حذف.

والتقدير: فأهلكناهم فكيف كان نكير؟ والنكير اسم بمعنى: الإنكار. ثم أمر سبحانه رسوله: أن يُقيم عليهم حجة ينقطعون عندها، فقال: ﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍۖ﴾؛ أي: أحذّركم وأنذركم سوء عاقبة ما أنتم فيه، وأوصيكم بخصلة واحدة، وهي: ﴿أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثۡنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ﴾ هذا تفسير للخصلة الواحدة، أو بدل منها؛ أي: هي قيامكم وتشميركم في طلب الحقّ بالفكرة الصادقة متفرقين اثنين اثنين، وواحداً واحداً؛ لأنّ الاجتماع يشوّش الفكر[٣].

وليس المراد: القيام على الرجلين؛ بل المراد: القيام بطلب الحقّ، وإصداق

---

(١) «النكت والعيون» (٤/ ٤٥٥)، و«روح المعاني» (٢٢/ ١٢٩)، و«المحرر الوجيز» (١٣/ ١٤٧ ـ ١٤٨).

(٢) «النكت والعيون» (٤/ ٤٥٥).

(٣) «روح المعاني» (٢٢/ ٤٣١)، و«البحر المحيط» (٨/ ٥٦١)، و«تفسير أبي السعود» (٥/ ٤٥٧).

الفكر فيه، كما يقال: قام فلان بأمر كذا ﴿ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْ﴾ في أمر النبيّ وما جاء به من الكتاب، فإنّكم عند ذلك تعلمون أن ﴿مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ﴾، وذلك؛ لأنهم كانوا يقولون: إن محمَّداً مجنون، فقال الله سبحانه: قل لهم: اعتبروا أمري بواحدة، وهي: أن تقوموا لله وفي ذاته مُجْتمعين، فيقول الرجل لصاحبه: هلمّ، فلنتصادق: هل رأينا بهذا الرجل من جنة؟ أي: جنون، أو جرّبنا عليه كذباً؟

ثم ينفرد كل واحد عن صاحبه، فيتفكر وينظر، فإن في ذلك ما يدل على أن محمداً ﷺ صادق، وأنه رسول من عند الله، وأنه ليس بكاذب، ولا ساحر، ولا مجنون، وهو معنى قوله: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾؛ أي: ما هو إلّا نذير لكم بين يدي الساعة، وقيل: إن جملة: ﴿مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ﴾ مستأنفة من جهة الله سبحانه، مسوقة للتنبيه على طريقة النظر والتأمل بأن هذا الأمر العظيم، والدعوى الكبيرة لا يُعَرّض نفسه له إلّا مجنون لا يبالي بما يقال فيه، وما ينسب إليه من الكذب، وقد علموا: أنّه أرجحُ الناس عقلاً، فوجب: أن يصدّقوه في دعواه، لا سيما مع انضمام المعجزة الواضحة، وإجماعهم على أنه لم يكن ممن يفتري الكذب، ولا قد جرّبوا عليه كذباً مدّة عمره وعمرهم.

وقيل: يجوز أن تكون «ما» في ﴿مَا بِصَاحِبِكُم﴾ استفهامية[١]؛ أي: ثم تتفكروا أيّ شيء به مِنْ آثار الجنون، وقيل: المراد بقوله: ﴿إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ﴾ هي: «لا إله إلّا الله» كذا قال مجاهد[٢]، والسدّي[٣]. وقيل: القرآن؛ لأنه يجمع المواعظ كلها، والأولى ما ذكرناه أوّلاً[٣]

قال الزجاج[٤]: إن «أَنْ» في قوله: ﴿أَن تَقُومُواْ﴾ في موضع نصب بمعنى: لأن تقوموا.

وقال السدّي[٥]: معنى مثنى وفرادى: منفرداً برأيه، ومشاوراً لغيره.

وقال القتيبي[٦]: مناظراً مع عشيرته ومفكراً في نفسه.

---

(١) «الفريد» (٤/ ٧٧ ـ ٧٨)، و«روح المعاني» (٢٢/ ١٣٣).

(٢) ذكره النحاس في «إعراب القرآن» (٣/ ٣٥٤).

(٣) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ٤٥٥).

(٤) في «معاني القرآن وإعرابه» (٤/ ٢٥٧).

(٥) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ٤٥٥).

(٦) في «تفسير غريب القرآن» (ص٣٥٨).

وقيل: المثنى: عمل النهار، والفرادى[١]: عمل الليل، قاله الماوردي. وما أبرد هذا القول، وأقلّ جدواه.

واختار أبو حاتم[٢] وابن الأنباري[٣] [٣/٤١٨] الوقف على قوله: ﴿ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْۚ﴾، وعلى هذا تكون جملة ﴿مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍۚ﴾ مستأنفة كما قدّمنا، وقيل: ليس بوقف؛ لأنّ المعنى: ثم تتفكروا هل جربتم عليه كذباً أو رأيتم منه جِنّة أو في أحواله من فساد؟

ثم أمر سبحانه أن يخبرهم: أنه لم يكن له غرض في الدنيا، ولا رغبة فيها حتى تنقطع عندهم الشكوك، ويرتفع الريب، فقال: ﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْۖ﴾؛ أي: ما طلبت منكم مِنْ جُعْلٍ تجعلونه لي مقابل الرسالة، فهو لكم إن سألتكموه، والمراد نفي السؤال[٤] بالكلية، كما يقول القائل: ما أملكه في هذا، فقد وهبته لك، يريد أنّه لا ملك له فيه أصلاً، ومثل هذه الآية قوله: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰۗ﴾ [الشورى: ٢٣]. وقوله: ﴿مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَن شَآءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: ٥٧].

ثم بيَّن لهم: أن أجره عند الله سبحانه، فقال: ﴿إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۖ﴾؛ أي: ما أجري إلّا على الله لا على غيره ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾؛ أي: مُطّلع لا يغيب عنه منه شيء ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّى يَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ﴾ القذف: الرميُ بالسهم والحصى والكلام.

قال الكلبي[٥]: يرمي على معنى: يأتي به.

وقال مقاتل[٦]: يتكلم بالحق، وهو: القرآن، والوحي؛ أي: يلقيه إلى أنبيائه. وقال قتادة[٧]: ﴿بِٱلْحَقِّ﴾؛ أي: بالوحي والمعنى: أنه يبين الحجة ويظهرها للناس على ألسن رسله، وقيل: يرمي الباطل بالحق، فيدمغه.

---

(١) في «النكت والعيون» (٤/٤٥٦).
(٢) ذكره ابن عطية في «المحرر الوجيز» (١٣/١٤٩).
(٣) في «الوقف والابتداء» (٢/٨٤٧).
(٤) «روح المعاني» (٢٢/١٣٣).
(٥) ذكره الواحدي في «الوسيط» (٣/٤٩٩).
(٦) ذكره الواحدي في «الوسيط» (٣/٤٩٩).
(٧) ذكره الرازي في «تفسيره» (٢٥/ ٢٧٠) بدون نسبة.

﴿عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾ قرأ الجمهور(١) برفع: «علّامُ» على أنه خبر ثانٍ لإنّ، أو خبر مبتدأ محذوف، أو بدل من الضمير في يقذف، أو معطوف على محل اسم إنّ.

قال الزجاج(٢): الرفع من وجهين على الموضع؛ لأن الموضع موضع رفع، أو على البدل.

وقرأ زيد بن علي، وعيسى بن عمر، وابن أبي إسحاق بالنصب(٣) نعتاً لاسم إنّ، أو بدلاً منه، أو على المدح.

قال الفراء(٤): والرفع في مثل هذا أكثر كقوله: ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ ٱلنَّارِ﴾ [صَ: ٦٤].

وقرئ(٥): «الغِيوب» بالحركات الثلاث في الغين، وهو: جمع غيب، والغيب هو: الأمر الذي غاب وخفي جدّاً ﴿قُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ﴾؛ أي: الإسلام، والتوحيد.

وقال قتادة(٦): القرآن. وقال النحاس(٧): التقدير صاحب الحقّ؛ أي: الكتاب الذي فيه البراهين والحجج.

وأقول: لا وجه لتقدير المضاف، فإنّ القرآن قد جاء كما جاء صاحبه ﴿وَمَا يُبْدِئُ ٱلْبَٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ﴾؛ أي: ذهبَ الباطل ذهاباً لم يبق منه إقبال ولا إدبار ولا إبداء ولا إعادة.

قال قتادة(٨): الباطل هو: الشيطان؛ أي: ما يخلق الشيطان ابتداء ولا يبعث، وبه قال مقاتل والكلبي.

وقيل: يجوز أن تكون ما استفهامية؛ أي: أيّ شيء يبديه وأيّ شيء يعيده؟ والأوّل أولى ﴿قُلْ إِن ضَلَلْتُ﴾ عن الطريق الحقة الواضحة ﴿فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِى﴾؛

---

(١) «البحر المحيط» (٨/ ٥٦٣)، و«التبيان» (٢/ ١٠٧١)، و«روح المعاني» (٢٢/ ١٣٥).
(٢) في «معاني القرآن وإعرابه» (٤/ ٢٥٧).
(٣) «القراءات الشاذة» (ص١٢٢)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٧/ ٣٣١)، و«روح المعاني» (٢٢/ ١٣٥). والقراءة بنصب «علّام» شاذة.
(٤) في «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٣٦٤).
(٥) «الجامع لأحكام القرآن» (١٧/ ٣٣٢)، و«التيسير» (ص١٠١)، و«النشر» (٢/ ٢٢٦). قرأ الجمهور بالضم، وقرأ أبو بكر وحمزة بكسر الغين أما الفتح فشاذة.
(٦) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٩/ ٣٠٧) بسند صحيح.
(٧) في «إعراب القرآن» للنحاس (٣/ ٣٥٥).
(٨) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٩/ ٣٠٧) بسند صحيح.

أي: إثم ضلالتي يكون على نفسي، وذلك أن الكفار قالوا له: تركت دين آبائك فضللت، فأمره الله أن يقول لهم هذا القول: ﴿وَإِنِ ٱهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِىٓ إِلَىَّ رَبِّىٓ﴾ من الحكمة، والموعظة، والبيان بالقرآن ﴿إِنَّهُۥ سَمِيعٌ قَرِيبٌ﴾ مني ومنكم يعلم الهدى والضلالة، قرأ الجمهور[١]: «ضَلَلْت» بفتح اللام، وقرأ الحسن، ويحيى بن وثاب بكسر اللام[٢]، وهي لغة أهل العالية.

وقد أخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عباس[٣] ﴿وَمَا بَلَغُوا۟ مِعْشَارَ مَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ﴾ يقول: مِن القوّة في الدنيا.

وأخرج ابن المنذر عن ابن جريج[٤] نحوه.

وأخرج ابن المنذر، وابن أبي حاتم عن محمد بن كعب[٥] القرظي في الآية قال: يقوم الرجل مع الرجل، أو وحده، فيفكر ما بصاحبه من جنة.

وأخرج عبد بن حميد، وابن جرير وابن أبي حاتم عن قتادة[٦] ﴿مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ﴾ يقول: إنه ليس بمجنون.

وأخرج هؤلاء[٧] عنه أيضاً في قوله: ﴿مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ﴾؛ أي: من جُعْلٍ فهو لكم، يقول: لم أسألكم على الإسلام جُعْلاً، وفي قوله: ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّى يَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ﴾ قال: بالوحي، وفي قوله: ﴿وَمَا يُبْدِئُ ٱلْبَٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ﴾ قال: الشيطان لا يبديء ولا يعيد إذا هلك.

---

(١) «الجامع لأحكام القرآن» (١٧/ ٣٣٢)، و«البحر المحيط» (٨/ ٥٦٤)، و«المحرر الوجيز» (١٣/ ١٥٠).

(٢) «روح المعاني» (٢٢/ ١٣٧)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٧/ ٣٣٢)، و«المحرر الوجيز» (١٣/ ١٥٠). والقراءة بكسر اللام شاذة.

(٣) عزاه إليهم السيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٧٠٩).
وأخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٩/ ٣٠٢) بسند صحيح.

(٤) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٧٠٩).

(٥) عزاه إليهما السيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٧١٠).

(٦) عزاه إليهم السيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٧٠٩).
أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٩/ ٣٠٥) بسند صحيح.

(٧) عزاه إليهم السيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٧١٠ ـ ٧١١).
وأخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٩/ ٣٠٦ ـ ٣٠٧) بسند صحيح.

وأخرج هؤلاء[١] أيضاً عنه في قوله: ﴿وَمَا يُبْدِئُ ٱلْبَٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ﴾ قال: ما يخلق إبليس شيئاً ولا يبعثه.

وأخرج عبد بن حميد، وابن المنذر عن عمر بن سعد[٢] في قوله: ﴿إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِى﴾ قال: إنما أوخذ بجنايتي.

[مشهد من مشاهد القيامة الحافل بالحركة العنيفة المترددة بين الدنيا والآخرة]:

﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُوا۟ فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا۟ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٥١﴾ وَقَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦ وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾ وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِهِۦ مِن قَبْلُ ۖ وَيَقْذِفُونَ بِٱلْغَيْبِ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ فِى شَكٍّ مُّرِيبٍۭ ﴿٥٤﴾﴾.

ثم ذكر سبحانه حالاً من أحوال الكفار، فقال: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُوا۟﴾، والخطاب لرسول الله أو لكل مَنْ يصلح له، قيل: المراد فزعهم عند نزول الموت بهم.

وقال الحسن[٣]: هو: فزعهم في القبور من الصيحة.

وقال قتادة[٤]: هو: فزعهم إذا خرجوا من قبورهم.

وقال السدّي[٥]: هو: فزعهم يوم بدر حين ضُربت أعناقهم بسيوف الملائكة، فلم يستطيعوا فراراً ولا رجوعاً إلى التوبة.

وقال ابن مغفل[٦]: هو: فزعهم إذا عاينوا عقاب الله يوم القيامة.

وقال سعيد بن جبير[٧]: هو: الخسف الذي يخسف بهم في البيداء، فيبقى رجل منهم فيخبر الناس بما لقي أصحابه فيفزعون.

---

(١) عزاه إليهم السيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٧١١).
وأخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٩/ ٣٠٧) بسند صحيح.
(٢) عزاه إليهما السيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٧١١).
(٣) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ٤٥٨).
(٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٩/ ٣١٢) بسند حسن.
(٥) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ٤٥٨).
(٦) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٩/ ٣١٣) بسند ضعيف.
(٧) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٩/ ٣١٠) بسند ضعيف.

وجواب لو محذوف؛ أي: لرأيت أمراً هائلاً، ومعنى ﴿فَلَا فَوْتَ﴾: فلا يفوتني أحد منهم، ولا ينجو منهم ناجٍ.

قال مجاهد[1]: فلا مهرب.

﴿وَأُخِذُوا۟ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ مِنْ ظهر الأرض، أو من القبور أو من موقف الحساب وقيل: من حيثُ كانوا؛ فهم من الله قريب لا يبعدون عنه ولا يفوتونه. قيل: ويجوز أن يكون هذا الفزع هو الفزع الذي بمعنى الإجابة، يقال: فزع الرجل إذا أجاب الصارخ الذي يستغيث به كفزعهم إلى الحرب يوم بدر.

﴿وَقَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦ﴾؛ أي: بمحمد قاله قتادة[2] أو بالقرآن.

وقال مجاهد[3]: بالله ﷻ. وقال الحسن[4]: بالبعث.

﴿وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ﴾ التناوش: التناول، وهو تفاعل من التناوش[5] الذي هو: التناول، والمعنى: كيف لهم أن يتناولوا الإيمان من بُعْد، يعني: في الآخرة، وقد تركوه في الدنيا؟ وهو معنى ﴿مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ﴾: وهو تمثيل لحالهم في طلب الخلاص بعد ما فات عنهم.

قال ابن السكيت[6]: يقال: للرجل إذا تناول رجلاً ليأخذ برأسه، أو بلحيته ناشه يَنُوشه نَوْشاً، وأنشد:

فهي تنوشُ الحوضَ نَوشاً من عُلا ... نَوْشاً به تَقْطع أجوازَ الفَلَا[7]

أي: تناول ماء الحوض من فوق، ومنه المناوشة في القتال، وقيل: التناوش الرجعة؛ أي: وأنَّى لهم الرجعة إلى الدنيا ليؤمنوا؟ ومنه قول الشاعر:

تمنَّى أنْ تئوبَ إليّ مَيٌّ ... وليس إلى تَناوشِها سَبيلُ[8]

---

(١) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ٤٥٨).

(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٩/ ٣١٤) بسند صحيح.

(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٩/ ٣١٤) بسند صحيح.

(٤) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ٤٥٩).

(٥) «تهذيب اللغة» (١١/ ٤١٦)، و«الصحاح» (٣/ ١٠٢٣).

(٦) في «إصلاح المنطق» (ص٤٧٩)، وذكره الجوهري في «الصحاح» (٣/ ١٠٢٣).

(٧) «جامع البيان» (١٩/ ٣١٥ ـ ٣١٦)، و«الصحاح» (٣/ ١٠٢٤)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٧/ ٣٣٦)، و«المحرر الوجيز» (١٣/ ١٥١).

(٨) «النكت والعيون» (٤/ ٤٥٩)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٧/ ٣٣٦)، و«المحرر الوجيز» (١٣/ ١٥١).

وجملة: ﴿وَقَدْ كَفَرُواْ بِهِۦ مِن قَبْلُ﴾ في محل نصب[١] على الحال؛ أي: والحال أن قد كفروا بما آمنوا به الآن من قبل هذا الوقت، وذلك حال كونهم في الدنيا.

قرأ أبو عَمْرو وحمزة والكسائي والأعمش: «التناؤش» بالهمز[٢] وقرأ الباقون بالواو[٣] واستبعد أبو عبيدة[٤]، والنحاس[٥] القراءة الأولى، ولا وجه للاستبعاد، فقد ثبت ذلك في لغة العرب، وأشعارها، ومنه قول الشاعر:

قَعَدت زَمَاناً عن طِلابك للعُلَا وجئتَ نَئِيشاً بعد ما فاتَك الخيرُ[٦]

أي: وجئت أخيراً.

قال الفرّاء[٧]: الهمز وترك الهمز متقارب.

﴿وَيَقْذِفُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾؛ أي: يرمون بالظنّ، فيقولون: لا بعث ولا نشور ولا جنّة ولا نار ﴿مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾؛ أي: مِنْ جهة بعيدة ليس فيها مستند لظنهم الباطل. وقيل: المعنى: يقولون في القرآن أقوال باطلة: إنه سحر وشعر وأساطير الأوّلين.

وقيل: يقولون في محمد: إنّه ساحر شاعر كاهن مجنون. وقرأ أبو حيوة، ومجاهد، ومحبوب عن أبي عمرو: «يُقْذَفون» مبنيّاً للمفعول[٨]؛ أي: يُرْجَمون بما يسوؤهم من جرّاء أعمالهم من حيث لا يحتسبون، وفيه تمثيل لحالهم بحال من يرمي شيئاً لا يراه من مكان بعيد لا مجال للوهم في لحوقه، والجملة إما معطوفة على: وقد كفروا به على أنها حكاية للحال الماضية[٩]، واستحضار لصورتها، أو مستأنفة لبيان تمثيل حالهم.

﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾ من النجاة من العذاب، ومُنعوا من ذلك.

---

(١) «روح المعاني» (٢٢/ ١٤٢).
(٢) «التيسير» (ص١٨١)، و«النشر» (٢/ ٣٥١)، و«روح المعاني» (٢٢/ ١٤١)، و«جامع البيان» (١٩/ ٣١٥ ـ ٣١٦). ومعهم أبو بكر عن عاصم بالهمز.
(٣) انظر: المصادر المتقدمة.
(٤) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٧/ ٣٣٧).
(٥) في «إعراب القرآن» (٣/ ٣٥٦).
(٦) انظر: «تهذيب اللغة» (١١/ ٤١٧)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٧/ ٣٣٨).
(٧) في «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٣٦٥).
(٨) «البحر المحيط» (٨/ ٥٦٧)، و«المحتسب» (٢/ ١٩٧)، و«القراءات الشاذة» (ص١٢٢). هي قراءة شاذة، ورواية شاذة عن أبي عمرو.
(٩) «روح المعاني» (٢٢/ ١٤٣)، و«تفسير أبي السعود» (٥/ ٤٦٠).

وقيل: حيل بينهم وبين ما يشتهون في الدنيا من أموالهم وأهليهم، أو حيل بينهم، وبين ما يشتهونه من الرجوع إلى الدنيا ﴿كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ﴾؛ أي: بأمثالهم ونظرائهم مِنْ كفّار الأمم الماضية، والأشياع جمع شِيَع، وشِيَع جمع شيعة.

وجملة: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُّرِيبٍ﴾ تعليل لما قبلها؛ أي: في شك موقع في الريبة، أو ذي ريبة مِنْ أمر الرسل والبعث والجنة والنار، أو في التوحيد وما جاءتهم به الرسل من الدين، يقال: أراب الرجل: إذا صار ذا ريبة فهو مريب، وقيل: هو من الريب الذي هو الشك، فهو كما يقال: عَجَبٌ عَجيب وشِعْر شاعر[(١)].

وقد أخرج ابنُ جرير، وابن المنذر عن ابن عباس[(٢)] في قوله: ﴿فَلَا فَوْتَ﴾ قال: فلا نجاة.

وأخرج ابن أبي حاتم[(٣)] عنه في قوله: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ فَزِعُوا فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ قال: هو جيش السفياني، قيل: من أين أخذوا؟ قال: من تحت أقدامهم.

وقد ثبت في «الصحيح»: أنه يخْسف بجيش في البيداء من حديث حفصة[(٤)] وعائشة[(٥)].

وخارج الصحيح من حديث أمّ سلمة[(٦)] وصفية[(٧)] وأبي هريرة[(٨)]

---

(١) «البحر المحيط» (٨/ ٥٦٧ ـ ٥٦٨)، و«تفسير أبي السعود» (٥/ ٤٦٠)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٧/ ٣٣٩).

(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٩/ ٣١٣)، وابن أبي حاتم كما في «الإتقان» (٢/ ٣٨) بسند صحيح.

(٣) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٧١٢).

(٤) أخرجه أحمد رقم (٢٦٤٤٤)، ومسلم رقم (٢/ ٢٨٨٣)، والحاكم (٤/ ٤٢٩)، والنسائي (٥/ ٢٠٧)، وابن ماجه رقم (٤٠٧٣).

(٥) أخرجه أحمد رقم (٢٤٧٣٨)، والبخاري (٢١١٨)، ومسلم رقم (٢٨٨٤).

(٦) أخرجه ابن أبي شيبة (١٥/ ٤٣، ٤٤)، والحاكم (٤/ ٤٢٩)، وأبو داود رقم (٤٢٨٩)، والترمذي رقم (٢١٨٣)، وقال: وهذا حديث حسن صحيح، وابن ماجه رقم (٤٠٦٥)، وهو عند مسلم رقم (٤/ ٢٨٨٢).

(٧) أخرجه ابن أبي شيبة (١٥/ ٤٦)، وأحمد (٤٤/ ٤٢٩ ـ ٤٣١)، والترمذي رقم (٢١٨٤)، وقال: هذا حديث حسن صحيح، وابن ماجه رقم (٤٠٦٤).

(٨) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٤/ ٤٣٠). وهو حديث صحيح.

وابن مسعود[١]، وليس في شيء منها أن ذلك سبب نزول هذه الآية، ولكنه أخرج ابن جرير[٢] من حديث حذيفة بن اليمان قصة الخسف هذه مرفوعة، وقال في آخرها: فذلك قوله ﷻ في سورة سبأ: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُوا۟ فَلَا فَوْتَ﴾ الآية.

وأخرج الفريابي، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والحاكم وصحّحه عن ابن عباس[٣] في قوله: ﴿وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ﴾ قال: كيف لهم الردّ؟ ﴿مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ﴾ قال: يسألون الردّ وليس بحين ردّ.

وأخرج ابن المنذر[٤] عن التيمي قال: أتيت ابن عباس قلت: ما التناوش؟ قال: تناول الشيء وليس بحين ذاك.

۞ ۞ ۞

---

(١) أخرجه الحاكم (٤/٤٦٨، ٤٦٩)، وضعفه الذهبي متعقباً الحاكم بقوله: «هذا من أوابد نعيم بن حماد».

(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٩/٣١٠ ـ ٣١١) من طريق منصور بن المعتمر، عن ربعيٍّ بن خراش، به.

(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٩/٣١٧)، والحاكم (٢/٤٢٤)، وابن أبي حاتم كما في «الإتقان» (٢/٣٨) بسند صحيح.

(٤) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٦/٧١٢).

سُورَةُ فَاطِرٍ

[السورة مكية في قول الجميع]:

هي خمس وأربعون آية. وهي مكية. قال القرطبي[(١)]: في قول الجميع.

وأخرج النّحاس، وابن الضريس، وابن مردويه، والبيهقي في «الدلائل» عن ابن عباس[(٢)] قال: أنزلت سورة فاطر بمكة.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ[٣/٤١٩]

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ
يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ
لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ
عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ
تُؤْفَكُونَ ﴿٣﴾ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ
إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٥﴾ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ
عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ
شَدِيدٌ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ
حَسَنًا فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ
بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٨﴾﴾.

الفطر[(٣)]: الشقّ عن الشيء، يقال: فطرتُه فانفَطر، ومنه: فَطَر نابُ البعير: إذا

(١) في «تفسيره» (١٧/ ٣٤٠).

(٢) أخرجه النحاس في «ناسخه» (ص٦٣٧)، وابن الضريس في «فضائل القرآن» (ص١٧، ١٨)، والبيهقي في «الدلائل» (٧/ ١٤٢ ـ ١٤٤). وفي المخطوط (أ): البخاريّ «بدل» «النحاس»، وصوابه النحاس.

(٣) «تهذيب اللغة» (١٣/ ٣٢٥)، و«مفردات ألفاظ القرآن» (ص٦٤٠)، و«الصحاح» (٢/ ٧٨١).

طلع، فهو بعير فاطر، وتفطر الشيء: تشقق، والفَطْرُ: الابتداء والاختراع وهو: المراد هنا، والمعنى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ مبدع ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ ومخترعهما، والمقصود من هذا أنّ من قدر على ابتداء هذا الخلق العظيم فهو قادر على الإعادة. قرأ الجمهور[(١)]: «فاطر» على صيغة اسم الفاعل.

وقرأ الزهري، والضحاك «فَطَر» على صيغة الفعل الماضي[(٢)]، فعلى القراءة الأولى هو نعت لله؛ لأن إضافته محضة لكونه بمعنى: الماضي، وإن كانت غير محضة كان بدلاً، ومثله: ﴿جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا﴾ يجوز فيه الوجهان، وانتصاب[(٣)] رسلاً بفعل مضمر على الوجه الأوّل؛ لأن اسم الفاعل إذا كان بمعنى: الماضي لا يعمل، وجوّز الكسائي عمله.

وأما على الوجه الثاني[(٤)]، فهو منصوب بجاعل، والرسل من الملائكة هم: جبريل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل.

وقرأ الحسن[(٥)]: «جاعلُ» بالرفع، وقرأ خُلَيد بن نشيط ويحيى بن يعمر «جَعَل» على صيغة الماضي[(٦)]. وقرأ الحسن[(٧)] وحميد: «رُسْلاً» بسكون السين، وهي لغة تميم ﴿أُوْلِىٓ أَجْنِحَةٍ﴾ صفة لرسلاً، والأجنحة: جمعُ جَناح ﴿مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ﴾ صفة لأجنحة، وقد تقدّم الكلام في مثنى وثلاث ورباع في النساء.

قال قتادة[(٨)]: بعضهم له جنحان، وبعضهم ثلاثة، وبعضهم أربعة ينزلون بها

---

(١) «البحر المحيط» (٩/٩)، و«روح المعاني» (٢٢/١٥١)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١١/٤٦٣).

(٢) «القراءات الشاذة» (ص١٢٣)، و«المحتسب» (٢/١٩٨)، و«البحر المحيط» (٩/٩). وهي قراءة شاذة.

(٣) «روح المعاني» (٢٢/١٥٢)، و«التبيان» (٢/١٠٧٢)، و«الفريد» (٤/٨١).

(٤) انظر: المصادر المتقدمة.

(٥) «القراءات الشاذة» (ص١٢٣)، و«المحتسب» (٢/١٩٨)، و«البحر المحيط» (٩/٩). قراءة الحسن شاذة.

(٦) «القراءات الشاذة» (ص١٢٣)، و«المحتسب» (٢/١٩٨)، و«روح المعاني» (٢٢/١٥٢). وهي قراءة شازة.

(٧) «البحر المحيط» (٩/٩)، و«القراءات الشاذة» (ص١٢٣). وهي أيضاً قراءة شاذة.

(٨) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٩/٣٢٦) بسند صحيح.

من السماء إلى الأرض، ويعرجون بها من الأرض إلى السماء.

قال يحيى بن سلام[١]: يرسلهم الله إلى الأنبياء.

وقال السدّي: إلى العباد بنعمه، أو نقمه.

وجملة ﴿يَزِيدُ فِي ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ﴾ مستأنفة مقرّرة لما [٢]قبلها من تفاوت أحوال الملائكة. والمعنى: أنه يزيد في خلق الملائكة ما يشاء، وهو قول أكثر المفسِّرين[٣]، واختاره الفراء[٤] والزجاج[٥].

وقيل: إن هذه الزيادة في الخلق غير خاصة بالملائكة فقال الزهري[٦]، وابن جريج[٧]: إنها حُسْن الصوت.

وقال قتادة[٨]: الملاحة في العينين والحسن في الأنف والحلاوة في الفم وقيل: الوجه الحسن.

وقيل[٩]: الخط الحسن، وقيل[١٠]: الشعر الجعد، وقيل: العقل والتمييز، وقيل: العلوم[١١] والصنائع.

ولا وجه لقصر ذلك على نوع خاص بل يتناول كلَّ زيادة.

---

(١) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ٤٦١).

(٢) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ٤٦١)، وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٤) إلى ابن أبي حاتم.

(٣) ذكره الواحدي في «الوسيط» (٣/ ٥٠٠).

(٤) في «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٣٦٦).

(٥) في «معاني القرآن وإعرابه» (٤/ ٢٦١).

(٦) أخرجه البيهقي في «الشعب» رقم (١١٥) من طريق صالح الناجي، عن ابن جريج، عن ابن شهاب الزهري.
وأخرجه البخاري في «تاريخه» (٢/ ٢٩٢) من طريق صالح الناجي، به. ثم قال: ذهبت أنا ومسلم إلى صالح فسألناه، فقال: لا أحفظ هذا عن ابن جريج، ولكن بلغني عن مقاتل بن حيان.

(٧) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ٤٦٢).

(٨) أخرجه البيهقي في «الشعب» رقم (٩١٦)، وابن عدي في «الكامل» (٣/ ٩١٧).

(٩) ذكره الذهبي في «الميزان» (٢/ ٣٥٨)، وقال: «هذا خبر منكر».

(١٠) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٧/ ٣٤٣)، عن النقاش.

(١١) ذكره الزمخشري في «الكشاف» (٥/ ١٣٧).

وجملة: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ تعليل لما قبلها من أنه يزيد في الخلق ما يشاء.

﴿مَّا يَفۡتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحۡمَةٖ فَلَا مُمۡسِكَ لَهَاۖ﴾؛ أي: ما يأتيهم الله به من مطر ورزق لا يقدر أحد أن يُمْسكه ﴿وَمَا يُمۡسِكۡ﴾ من ذلك لا يقدر أحد أن يرسله من بعد إمساكه، وقيل: المعنى: إن الرسل بعثوا رحمة للناس، فلا يقدر على إرسالهم غير الله.

وقيل[1]: هو الدعاء، وقيل: التوبة، وقيل: التوفيق، والهداية.

ولا وجه لهذا التخصيص بل المعنى: كلّ ما يفتحه الله للناس مِنْ خزائن رحمته، فيشمل كلّ نعمة ينعم الله بها على خلقه، وهكذا الإمساك يتناول كل شيء يمنعه الله من نعمه، فهو سبحانه المُعْطي المانع، القابض الباسط لا مُعطي سواه، ولا منعم غيره.

ثم أمر الله سبحانه عباده أن يتذكروا نعمه الفائضة عليهم التي لا تعدّ ولا تحصى ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ﴾ [إبراهيم: ٣٤]، ومعنى هذا الأمر لهم بالذكر: هو إرشادهم إلى الشكر لاستدامتها وطلب المزيد منها ﴿هَلۡ مِنۡ خَٰلِقٍ غَيۡرُ ٱللَّهِ﴾ «من» زائدة، و«خالق» مبتدأ، و«غير الله» صفة له.

قال الزجاج[2]: ورفع «غيرُ» على معنى: هل خالق غيرُ الله؟ لأن «من» زيادة مؤكدة، ومن خفض «غير» جعلها صفة على اللفظ. قرأ الجمهور[3] برفع: «غيرُ»، وقرأ حمزة والكسائي بخفضها[4]، وقرأ الفضل بن إبراهيم بنصبها[5] على الاستثناء.

وجملة: ﴿يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾ خبر المبتدأ[6]، أو جملة مستأنفة، أو صفة أخرى لخالق وخبره محذوف، والرزق مِنَ السماء بالمطر ومِنَ الأرض بالنبات وغير ذلك.

---

(١) «النكت والعيون» (٤/ ٤٦٢ ـ ٤٦٣).
(٢) في «معاني القرآن وإعرابه» (٤/ ٢٦٢).
(٣) «البحر المحيط» (٩/ ١٣)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٧/ ٣٤٤).
(٤) «التيسير» (ص١٨٢)، و«النشر» (٢/ ٣٥١)، و«روح المعاني» (٢٢/ ١٦٠).
(٥) «القراءات الشاذة» (ص١٢٣)، و«البحر المحيط» (٩/ ١٣). القراءة بالنصب شاذة، وأما بالرفع والخفض فمتواترتان.
(٦) «مشكل إعراب القرآن» (٢/ ٢١٤)، و«التبيان» (٢/ ١٠٧٣)، و«الفريد» (٤/ ٨٢ ـ ٨٣).

وجملة: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ﴾ مستأنفة لتقرير النفي المستفاد من الاستفهام[١] ﴿فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾ مِنَ الأَفْك[٢] بالفتح، وهو الصَّرْفُ، يقال: ما أَفَكَكَ عَنْ كذا؟ أي: ما صرفك؛ أي: فكيف تُصْرفون؟ وقيل: هو مأخوذ من الإِفْك بالكسر، وهو الكذب؛ لأنه مصروف عن الصدق.

قال الزجاج[٣]: أي: من أين يقع لكم الإفك والتكذيب بتوحيد الله والبعث، وأنتم مقرّون بأن الله خلقكم ورزقكم؟

ثم عزّى الله سبحانه نبيه ﷺ، فقال: ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَۚ﴾ ليتأسّى بمن قبله من الأنبياء، ويتسلّى عن تكذيب كفار العرب له ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾ لا إلى غيره، فيجازي كلّاً بما يستحقه.

قرأ الحسن والأعرج ويعقوب وابن عامر وأبو حيوة وابن محيصن وحُميد والأعمش ويحيى بن وثّاب وحمزة والكسائي وخَلَفٌ: «تَرجِع» بفتح الفوقية[٤] على البناء للفاعل، وقرأ الباقون بضمها[٥] على البناء للمفعول.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّۖ﴾؛ أي: وعده بالبعث والنشور والحساب والعقاب والجنة والنار، كما أُشير إليه بقوله: ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾، ﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَاۖ﴾ بزخرفها ونعيمها.

قال سعيد بن جبير[٦]: غرور الحياة الدنيا: أَنْ يشتغل الإنسان بنعيمها ولذاتها عن عمل الآخرة حتى يقول: ﴿يَٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى﴾ [الفجر: ٢٤] ﴿وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ﴾ قرأ الجمهور[٧] بفتح الغين؛ أي: المبالغ في الغرور، وهو:

---

(١) «روح المعاني» (٢٢/ ١٦٢)، و«تفسير أبي السعود» (٥/ ٤٦٤).
(٢) «مفردات ألفاظ القرآن» (ص٧٩)، و«تهذيب اللغة» (١٠/ ٣٩٥).
(٣) في «معاني القرآن وإعرابه» (٤/ ٢٦١).
(٤) «التيسير» (ص٨٠)، و«النشر» (٢/ ٢٠٨ ـ ٢٠٩)، و«البحر المحيط» (٩/ ١٣)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٧/ ٣٤٥).
(٥) انظر: المصادر المتقدمة. هما قراءتان متواترتان.
(٦) ذكره النحاس في «إعراب القرآن» (٣/ ٣٦١)، وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٦) إلى عبد بن حميد وابن أبي حاتم.
(٧) «البحر المحيط» (٩/ ١٤)، و«مشكل إعراب القرآن» (٢/ ٢١٥)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٧/ ٣٤٦).

الشيطان(١).

قال ابن السكّيت(٢) وأبو حاتم(٣): الغَرور الشيطان، ويجوز: أن يكون مصدراً، واستبعده الزجّاج(٤)؛ لأن غرّرتُه متعدي، ومصدر المتعدي إنما هو على فَعْل نحو: ضربتُه ضَرْباً، إلّا في أشياء يسيرة معروفة لا يقاس عليها، ومعنى الآية: لا يغرنكم الشيطان بالله، فيقول لكم: إنّ الله يتجاوز عنكم، ويغفر لكم لفضلكم، أو لسعة رحمته لكم.

وقرأ أبو حيوة وأبو السَّمَّال ومحمد بن السميفع: بضم الغين(٥)، وهو: الباطل. قال ابن السكيت(٦): والغُرور بالضم: ما يغرّ من متاع الدنيا.

وقال الزجاج(٧): يجوز: أن يكون الغُرور جمع غارٍ، مثل قاعد وقعود، قيل: ويجوز أن يكون مصدر غرّه كاللزوم والنُهوك، وفيه ما تقدّم عن الزجاج من الاستبعاد.

ثم حذر سبحانه عباده من الشيطان، فقال: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾؛ أي: فعادوه بطاعة الله، ولا تطيعوه في معاصي الله.

ثم بيّن لعباده كيفية عداوة الشيطان لهم، فقال: ﴿إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾؛ أي: إنما يدعو أشياعه وأتباعه والمطيعين له إلى معاصي الله سبحانه؛ لأجلِ أن يكونوا مِنْ أهل النار ومحل الموصول(٨) في قوله: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ الرفع على الابتداء و﴿لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ خبره، أو الرفع على البدل من فاعل يكونوا، أو النصب على البدل من حزبه، أو النعت له أو إضمار فعل يدل على الذمّ، والجرّ على البدل من أصحاب، أو النعت له.

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٩/ ٣٣١)، وابن أبي حاتم كما في «الإتقان» (٢/ ٣٧)، عن ابن عباس بسند صحيح.

(٢) في «إصلاح المنطق» (ص٣٦٧).

(٣) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٧/ ٣٤٦).

(٤) في «معاني القرآن وإعرابه» (٤/ ٢٦٣).

(٥) «البحر المحيط» (٩/ ١٤)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٧/ ٣٤٦). والقراءة بضم الغين شاذة.

(٦) في «إصلاح المنطق» (ص٣٦٧).

(٧) في «معاني القرآن وإعرابه» (٤/ ٢٦٣).

(٨) «إعراب القرآن» للنحاس (٣/ ٣٦٢)، و«التبيان» (٢/ ١٠٧٣)، و«الفريد» (٤/ ٨٣).

والرفع على الابتداء أقوى هذه الوجوه[(١)]؛ لأنّه سبحانه بعد ذكر عداوة الشيطان ودعائه لحزبه، ذكر حال الفريقين مِنَ المطيعين له والعاصين عليه.

فالفريق الأوّل قال: ﴿لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾.

والفريق الآخر قال فيه: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾؛ أي: يغفر الله لهم بسبب الإيمان والعمل الصالح، ويعطيهم أجراً كبيراً، وهو: الجنة ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَءَاهُ حَسَنًا﴾ هذه الجملة مستأنفة لتقرير ما سبق من ذكر التفاوت بين الفريقين، و «من» في موضع رفع بالابتداء[(٢)] وخبره محذوف.

قال الكسائي[(٣)]: والتقدير: ذهبت نفسُك عليهم حسرات. قال: ويدلّ عليه قوله: ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ﴾ قال: وهذا كلام عربيّ ظريف لا يعرفه إلّا القليل.

وقال الزجاج[(٤)]: تقديره: كمن هداه، وقدّره غيرهما: كمن لم يُزيّن له، وهذا أولى لموافقته لفظاً، ومعنى، وقد وهم صاحب «الكشاف» فحكى عن الزجاج ما قاله الكسائي.

قال النّحاس[(٥)]: والذي قاله الكسائي أحسن ما قيل في الآية لما ذكره من الدلالة على المحذوف، والمعنى: أن الله ﷻ نهى نبيه ﷺ عن شدّة الاغتمام بهم، والحزن عليهم كما قال: ﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ﴾ [الكهف: ٦].

وجملة: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾ مقرّرة لما قبلها؛ أي: يضلّ مَنْ يشاء أنْ يضله، ويهدي من يشاء أن يهديه ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ﴾ قرأ الجمهور بفتح الفوقية[(٦)] والهاء مسنداً إلى النفس، فتكون من باب: لا أرينّك ها هنا.

وقرأ أبو جعفر، وشيبة، وابن محيصن، والأشهب بضم التاء[(٧)]، وكسر الهاء

---

(١) انظر: المصادر المتقدمة.
(٢) «إعراب القرآن» للنحاس (٣/ ٣٦٢)، و«التبيان» (٢/ ١٠٧٣)، و«الفريد» (٤/ ٨٣ ـ ٨٤).
(٣) ذكره النحاس في «إعراب القرآن» (٣/ ٣٦٢).
(٤) في «معاني القرآن وإعرابه» (٤/ ٢٦٤). (٥) في «إعراب القرآن» للنحاس (٣/ ٣٦٢).
(٦) «جامع البيان» (١٩/ ٣٣٥)، و«النشر» (٢/ ٣٥١)، و«زاد المسير» (٦/ ٤٧٦)، و«البحر المحيط» (٩/ ١٥).
(٧) انظر: المصادر المتقدمة.

ونصب «نفَسك»، وانتصاب: «حسراتٍ» على أنّه علة؛ أي: للحسرات، ويجوز: أن ينتصب على الحال كأنّها صارت كلها حسرات لفرط التحسر كما روي عن سيبويه[١].

وقال المبرد[٢]: إنها تمييز. والحسرة: شدّة الحُزن على ما فات مِن الأمر ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ﴾ لا يخفى عليه من أفعالهم وأقوالهم خافية، والجملة تعليل لما قبلها مع ما تضمنته مِن الوعيد الشديد.

وقد أخرج أبو عبيد في فضائله، وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي عن ابن عباس[٣] قال: كنت لا أدري ما ﴿فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ حتى أتاني أعرابيان يختصمان في بئر، فقال أحدهما: أنا فطرتها يقول: ابتدأتها.

وأخرج ابن أبي حاتم[٤] عنه أنه قال: ﴿فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾: بديع السمٰوات. وأخرج ابن المنذر[٥] عنه أيضاً في قوله: ﴿يَزِيدُ فِي ٱلۡخَلۡقِ مَا يَشَآءُۚ﴾ قال: الصوت الحسن.

وأخرج عبد بن حميد، وابن أبي حاتم عنه[٦] أيضاً في قوله: ﴿مَّا يَفۡتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحۡمَةٖ﴾ الآية قال: ما يفتح الله للناس من باب توبة ﴿فَلَا مُمۡسِكَ لَهَاۖ﴾ هم يتوبون إنْ شاءوا وإن أبوا، وما أمسك من باب توبة ﴿فَلَا مُرۡسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ﴾، وهم لا يتوبون.

وأخرج ابن المنذر، وابن أبي حاتم في الآية[٧] قال: يقول: ليس لك من الأمر شيء.

---

(١) انظر: «الكتاب» (١/ ١٦٢).
(٢) ذكره الألوسي في «روح المعاني» (٢٢/ ١٧٠).
(٣) عزاه إليهم السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٣).
وأخرجه أبو عبيد في «فضائل القرآن» (ص٢٠٦)، والبيهقي رقم (١٦٨٢).
(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٢٦٩ رقم ٧١٤٨) من طريق مجاهد، عن ابن عباس.
(٥) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٤).
(٦) عزاه إليهما السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٥).
(٧) عزاه إليهما السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٥).

وأخرج ابن المنذر عن ابن جريج(١) في قوله: ﴿لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ قال: كل شيء في القرآن لهم مغفرة وأجر كبير ورزق كريم فهو: الجنّة.

وأخرج عبد بن حميد، [٣/٤٢٠] وابن جرير، وابن أبي حاتم عن قتادة(٢)، والحسن في قوله: ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ﴾ قال: الشيطان زين لهم هي والله الضلالات ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ﴾؛ أي: لا تحزن عليهم.

﴿وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ ﴿٩﴾ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا ۚ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ۚ وَٱلَّذِينَ يَمْكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۖ وَمَكْرُ أُو۟لَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ ﴿١٠﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَٰجًا ۚ وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ ۚ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١١﴾ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ ۖ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا ۖ وَتَرَى ٱلْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۚ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾﴾.

ثم أخبر سبحانه عن نوع من أنواع بديع صنعه، وعظيم قدرته؛ ليتفكروا في ذلك وليعتبروا به، فقال: ﴿وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ﴾ قرأ الجمهور(٣): ﴿ٱلرِّيَٰحَ﴾، وقرأ ابن كثير وابن مُحيصن والأعمش ويحيى بن وثّاب وحمزة والكسائي «الريح»

(١) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٥).

(٢) عزاه إليهم السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٧).
وأخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٩/ ٣٣٦) بسند صحيح.

(٣) «النشر» (٢/ ٢٢٥ ـ ٢٢٦)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (١/ ٢٧٠ ـ ٢٧١)، و«المبسوط» (ص١٣٨ ـ ١٣٩).

بالإفراد[١] ﴿فَتُثِيرُ سَحَابًا﴾ جاء بالمضارع بعد الماضي استحضاراً للصورة؛ لأنّ ذلك أدخل في اعتبار المعتبرين.

ومعنى كونها: تُثير السحاب: أَنَّها تُزْعجه مِنْ حيثُ هو ﴿فَسُقْنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ﴾ قال أبو عبيدة: سبيله: فتسوقه؛ لأنه قال: ﴿فَتُثِيرُ سَحَابًا﴾. قيل النكتة في التعبير بالماضيين بعد المضارع: الدلالة على التحقق.

قال المبرّد[٢]: مَيْت ومَيِّت واحد، وقال هذا قول البصريين، وأنشد:

لَيْسَ مَنْ مَاتَ فاسْتَرَاحَ بِمَيْتٍ إِنَّما المَيْتُ مَيِّت الأحياءِ[٣]

﴿فَأَحْيَيْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ﴾؛ أي: أحيينا بالمطر الأرض بإنبات ما ينبت فيها، وإن لم يتقدّم ذكر المطر فالسحاب يدل عليه، أو أحيينا بالسحاب؛ لأنّه سبب المطر ﴿بَعْدَ مَوْتِهَا﴾؛ أي: بعد يبسها، استعار الإحياء للنبات والموت لليبس ﴿كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ﴾؛ أي: كذلك يحيي الله العباد بعد موتهم كما أحيا الأرض بعد موتها، والنشور: البعثُ، مِنْ نشر الإنسان نُشوراً، والكاف في محل رفع على الخبرية[٤]؛ أي: مِثْل إحياء موات الأرض إحياء الأموات، فكيف تنكرونه وقد شاهدتم غير مرّة ما هو مثله وشبيه به؟

﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ﴾ قال الفرّاء[٥]: معناه مَنْ كان يُريدُ علم العزّة لمن هي فإنّها لله جميعاً. وقال قتادة[٦]: مَنْ كان يريد العزّة فليتعزّز بطاعة الله، فجعل معنى «فلله العزّة»: الدعاء إلى طاعة مَنْ له العزّة؛ كما يقال مَنْ أراد المال فالمال لفلان؛ أي: فليطلبه مِنْ عنده.

وقال الزجاج[٧]: تقديره: مَنْ كان يريد بعبادة الله العزّة، والعزّة له سبحانه، فإنّ الله ﷻ يعزّه في الدنيا والآخرة. وقيل: المراد بقوله: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ﴾

---

(١) «التيسير» (ص٧٨)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٧/ ٣٥٣).
(٢) «إعراب القرآن» للنحاس (٣/ ٣٦٤).
(٣) البيت لعلاء بن الرَّعلاء النسائي.
«إعراب القرآن» للنحاس (٣/ ٣٦٣).
(٤) «التبيان» (٢/ ١٠٧٦).
(٥) في «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٢٦٣).
(٦) «الجامع لأحكام القرآن» (١٧/ ٣٥٤).
(٧) في «معاني القرآن وإعرابه» (٤/ ٢٦٣).

المشركون، فإنّهم كانوا يتعزّزون بعبادة الأصنام: كقوله: ﴿وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُواْ لَهُمْ عِزًّا﴾ [مريم: ٨١] وقيل المراد: الذين كانوا يتعزّزون بهم من الذين آمنوا بألسنتهم ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ﴾ [النساء: ١٣٩] الآية ﴿فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًاۚ﴾؛ أي: فليطلبها مِنْه لا مِنْ غيره، والظاهر في معنى الآية: أنَّ مِنْ كان يريد العزّة[1] ويطلبها فليطلبها مِن الله ﷻ؛ فلِلَّه العزّة جميعاً، ليس لغيره منها شيء، فتشمل الآية كل مِنْ طلب العزّة، ويكون المقصود بها: التنبيه لذوي الأقدار والهمم مِنْ أين تنال العزّة، ومِنْ أيّ جهة تطلب.

﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥۚ﴾؛ أي: إلى الله يصعد لا إلى غيره، ومعنى صعوده إليه: قبوله له، أو صعود الكتبة مِن الملائكة بما يكتبونه من الصحف، وخصّ الكلم الطيب بالذكر لبيان الثواب عليه، وهو يتناول كلَّ كلام يتصف بكونه طيباً مِنْ ذكر لله وأمر بمعروف، ونهي عن منكر وتلاوة وغير ذلك، فلا وجه لتخصيصه بكلمة التوحيد أو بالتحميد والتمجيد. وقيل: المراد بصعوده: صعوده إلى سماء الدنيا.

وقيل المراد بصعوده: علم الله به، ومعنى: ﴿وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥۚ﴾ أنّ العمل الصالح يرفع الكلم الطيب، كما قال الحسن وشهر بن حوشب وسعيد بن جبير ومجاهد وقتادة وأبو العالية والضحاك، ووجهه: أنه لا يقبل الكلم الطيب إلا مع العمل الصالح[2].

وقيل: إنّ فاعل ﴿يَرْفَعُهُۥۚ﴾ هو ﴿ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾، ومفعوله: العمل الصالح، ووجهه أن ﴿العَمَلَ ٱلصَّٰلِحُ﴾ لا يُقبل إلّا مع التوحيد والايمان وقيل إنَّ فاعل يرفعه ضمير يعود إلى الله ﷻ.

والمعنى: أن الله يرفع العمل الصالح على الكلم الطيب[3]؛ لأن العمل يحقق الكلام. وقيل: والعمل الصالح يرفع صاحبَه، وهو الذي أراد العزّة. وقال قتادة[4]:

---

(١) «أحكام القرآن» لابن العربي (٤/ ١٥٩٣)، و«الوسيط» للواحدي (٣/ ٥٠٢).

(٢) «جامع البيان» (١٩/ ٣٣٩)، و«أحكام القرآن» لابن العربي (٤/ ١٥٩٤)، و«المحرر الوجيز» (١٣/ ١٥٨ ـ ١٥٩).

(٣) «معاني القرآن» للنحاس (٥/ ٤٤٢).

(٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٩/ ٣٤٠) بسند صحيح.

المعنى: أن الله يرفع العمل الصالح لصاحبه: أي يقبله، فيكون قوله: ﴿وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّـٰلِحُ﴾ على هذا مبتدأ خبره: يرفعُه، وكذا على قول من قال: يرفع صاحبه. قرأ الجمهور[١] ﴿يَصْعَدُ﴾ مِنْ صَعد الثلاثي. و﴿ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾ بالرفع على الفاعلية.

وقرأ علي وابن مسعود: «يُصْعِدُ» بضم حرف المضارعة[٢] من أَصْعد، «والكَلِمَ الطَّيِّبَ» بالنصب على المفعولية.

وقرأ الضحّاك[٣] على البناء للمفعول.

وقرأ الجمهور[٤]: «الْكَلِمَ» وقرأ أبو عبد الرحمٰن[٥]: «الكلام».

وقرأ الجمهور[٦]: ﴿وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّـٰلِحُ﴾ بالرفع على العطف أو على الابتداء. وقرأ ابن أبي عبلة[٧] وعيسى بن عمر بالنصب على الاشتغال ﴿وَٱلَّذِينَ يَمْكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ انتصاب السيئات على أنّها صفة لمصدر محذوف؛ أي: يمكرون المكرات السيئات وذلك لأنّ «مكر» لازم.

ويجوز أن يُضَمّن يمكرون معنى: يَكْسبون، فتكون ﴿ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ مفعولاً به. قال مجاهد[٨] وقتادة: هم أهل الرياء.

وقال أبو العالية[٩]: هم الذين مكروا بالنبيّ ﷺ لما اجتمعوا في دار الندوة.

---

(١) «البحر المحيط» (٩/ ١٨)، و«زاد المسير» (٦/ ٤٧٧ ـ ٤٧٨)، و«إعراب القرآن» للنحاس (٣/ ٣٦٤).

(٢) «البحر المحيط» (٩/ ١٨)، و«زاد المسير» (٦/ ٤٧٧ ـ ٤٧٨)، و«روح المعاني» (٢٢/ ١٧٩)، و«القراءات الشاذة» (ص١٢٣).

(٣) «المحرر الوجيز» (١٣/ ١٥٩). قراءة الجمهور متواترة أما قراءة (يُصْعِد) و(يُصْعَد) فشاذتان.

(٤) «البحر المحيط» (٩/ ١٨)، و«زاد المسير» (٦/ ٤٧٧ ـ ٤٧٨)، و«روح المعاني» (٢٢/ ١٧٩)، و«معاني القرآن» للفراء (٢/ ٣٦٧).

(٥) انظر: المصادر المتقدمة. القراءة المذكورة «الكلام» شاذة.

(٦) «البحر المحيط» (٩/ ١٨)، و«إعراب القرآن» للنحاس (٣/ ٣٦٤)، و«مشكل إعراب القرآن» (٢/ ٢١٦).

(٧) «إعراب القراءات الشواذ» (٢/ ٢٤٥)، و«القراءات الشاذة» (ص١٢٣). قراءة النصب شاذة.

(٨) ذكره عنهما القرطبي في «تفسيره» (١٧/ ٣٥٩).
وأخرجه البيهقي في «الشعب» رقم (٦٨٤٥)، وابن المبارك في «الزهد» رقم (٦١ ـ زوائد)، عن مجاهد.

(٩) ذكره البغوي في «معالم التنزيل» (٦/ ٤١٥).

وقال الكلبي(١): هم الذين يعملون السيئات في الدنيا.

وقال مقاتل(٢): هم المشركون.

ومعنى ﴿لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾: لهم عذابٌ بالغ الغاية في الشدّة ﴿وَمَكْرُ أُولَٰئِكَ هُوَ يَبُورُ﴾؛ أي: يَبْطُل ويهلك، ومنه ﴿وَكُنتُمْ قَوْمًا بُورًا﴾ [الفتح: ١٢] والمكر في الأصل: الخديعةُ والاحتيال، والإشارة بقوله: ﴿أُولَٰئِكَ﴾ إلى الذين مكروا السيئات على اختلاف الأقوال في تفسير مكرهم، وجملة: ﴿هُوَ يَبُورُ﴾ خبر مكر أولئك.

ثم ذكر سبحانه دليلاً آخر على البعث والنشور فقال: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ﴾؛ أي: خلقكم ابتداءً في ضمن خلق أبيكم آدم مِنْ تراب. وقال قتادة(٣): يعني: آدم.

والتقدير على هذا: خالق أباكم الأوّل، وأصلكم الذي ترجعون إليه من تراب ﴿ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ﴾ أخرجها من ظهر آبائكم ﴿ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا﴾؛ أي: زوّج بعضكم ببعض، فالذكر زوج الأنثى، أو جعلكم أصنافاً ذكراناً وإناثاً ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ﴾؛ أي: لا يكون حَمْل ولا وضْع إلا والله عالم به، فلا يخرج شيء عن علمه وتدبيره ﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ﴾؛ أي: ما يطول عُمر أحدٍ ولا يُنقَص مِنْ عمره إلّا في كتاب؛ أي: في اللوح المحفوظ قال الفرّاء: يريد آخر غير الأوّل، فكنَّى عنه بالضمير كأنه الأوّل لأن لفظ الثاني لو ظهر كان كالأوّل كأنّه قال: ولا ينقص مِنْ عمر معمر؛ فالكناية في عمره ترجع إلى آخر غير الأوّل، ومثله قولك عندي درهم ونصفه؛ أي: نصف آخر. قيل إنما سُمّي معمراً باعتبار مصيره إليه.

والمعنى: وما يمدّ في عُمر أحد، ولا ينقص من عمر أحدٍ؛ لكن لا على معنى لا يُنْقَص من عمره بعد كونه زائداً؛ بل على معنى أنّه لا يجعل من الابتداء ناقصاً إلا وهو في كتاب.

قال سعيد بن جبير(٤): وما يعمر من مُعمّر إلا كتب عمره: كم هو سنة، كم

---

(١) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٧/ ٣٦٠).

(٢) ذكره البغوي في «معالم التنزيل» (٦/ ٤١٥).

(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٩/ ٣٤٢) بسند صحيح.

(٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٩/ ٣٤٥) من طريق عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس. بنحوه.

هو شهراً، كم هو يوماً، كم هو ساعة، ثُم يكتب في كتاب آخر نقص من عمره ساعة، نقص من عمره يوم، نقص من عمره شهر، نقص من عمره سنة حتى يستوفي أجله، فما مضى مِنْ أجله فهو النقصان، وما يستقبل فهو الذي يعمره.

وقال قتادة(١): المُعمّر مَنْ بلغ ستين سنة، والمنقوص من عمره من يموت قبل ستين سنة.

وقيل: المعنى: إنّ اللهَ كتب عُمر الإِنسان كذا إنْ أطاع، ودونه إن عصى فأيهما بلغ فهو في كتاب، والضمير على هذا يرجع إلى مُعمّر(٢).

وقيل: المعنى: وما يُعمّر مِنْ مُعمّر إلى الهرم، ولا ينقص آخر من عمر الهرم إلا في كتاب؛ أي: بقضاء الله، قاله الضحّاك(٣) واختاره النحاس(٤). قال: وهو أشبهها بظاهر التنزيل، والأولى أَنْ يقال: ظاهر النظم القرآني أنّ تطويل العمر وتقصيره: هما بقضاء الله وقدره لأسباب تقتضي التطويل، وأسباب تقتضي التقصير. فمن أسباب التطويل: ما ورد في صلة الرّحم عن النبيّ ﷺ ونحو ذلك.

ومِنْ أسباب التقصير(٥): الاستكثار مِنْ معاصي الله ﷻ، فإذا كان العمر المضروب للرجل مثلاً سبعين سنة، فقد يزيد الله له عليها إذا فعل أسباب الزيادة، وقد ينقصه منها إذا فعل أسباب النقصان، والكلّ في كتاب مُبين فلا تخالف بين هذه الآية وبين قوله سبحانه: ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٤] ويؤيد هذا قوله سبحانه: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ الْكِتَـٰبِ﴾ [الرعد: ٣٩] وقد قدّمنا في تفسيرها ما يزيد ما ذكرنا هنا وضوحاً وبياناً.

قرأ الجمهور(٦): ﴿يُنقَصُ﴾ مبنيّاً للمفعول. وقرأ يعقوب وسلّام وروي عن أبي عمرو: «يَنْقص» مبنيّاً للفاعل(٧).

---

(١) عزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ١٢) إلى ابن أبي حاتم.
(٢) «معاني القرآن» للنحاس (٥/ ٤٤٦).
(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٩/ ٣٤٣) بسند حسن.
(٤) في «معاني القرآن» للنحاس (٥/ ٤٤٦).
(٥) «روح المعاني» (٢٢/ ١٨٧).
(٦) «البحر المحيط» (٩/ ٢٠).
(٧) «القراءات الشاذة» (ص١٢٣)، و«البحر المحيط» (٩/ ٢٠)، و«روح المعاني» (٢٢/ ١٩٠).
هما قراءتان متواترتان فالجمهور بالبناء للمفعول وقرأ رويس عن يعقوب بالبناء للفاعل أما الرواية عن أبي عمرو فشاذة.

وقرأ الجمهور: ﴿مِنْ عُمُرِهِۦٓ﴾ بضمّ الميم(١).

وقرأ الحسن والأعرج والزهري بسكونها(٢).

والإشارة بقوله: ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ﴾ إلى ما سبق مِنْ الخلق وما بعده ﴿عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ لا يَصْعب عليه مِنْه شيء، ولا يعزب عنه كثيرٌ ولا قليل، ولا كبير ولا صغير.

ثم ذكر سبحانه نوعاً آخر مِنْ بديع صُنْعه، وعجيب قدرته فقال: ﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾ فالمراد بـ ﴿ٱلْبَحْرَانِ﴾: العذب والمالح؛ فالعذبُ: الفرات الحلو، والأجاج: المرّ، والمراد بـ: ﴿سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ﴾ الذي يَسْهل انحداره في الحلق لعذوبته. وقرأ عيسى بن عُمر: «سيّغ» بتشديد الياء(٣)، وروي تسكينها عنه.

وقرأ طلحة وأبو نهيك: «مَلْح» بفتح الميم(٤) ﴿وَمِن كُلٍّ﴾ مِنْهما ﴿تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا﴾ وهو ما يُصاد مِنْهما من حيواناتهما التي تؤكل ﴿وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا﴾ الظاهر أَنَّ المعنى: وتستخرجون مِنْها حليةً تلبسونها.

وقال المبرّد(٥): إنّما تُستخرج الحلية من المالح.

وروي عَنْ الزجّاج(٦) أنّه قال: إنما تُسْتخرَج الحلية منهما إذا اختلطا، لا من كل واحد منهما على انفراده، ورجّح النحاس(٧) قول المبرّد. ومعنى ﴿تَلْبَسُونَهَا﴾: تلبسون كل شيء منها بحسبه؛ كالخاتم في الأصبع، والسوار في الذراع، والقلادة في العنق، والخلخال في الرجل، وممّا يلبس حلية السلاح الذي يحمل كالسيف والدرع ونحوهما ﴿وَتَرَى ٱلْفُلْكَ فِيهِ﴾؛ أي: في كُلِّ واحدٍ من البحرين.

وقال النحاس(٨): الضمير يعود إلى الماء المالح خاصة، ولولا ذلك لقال: فيهما. ﴿مَوَاخِرَ﴾ [٣/٤٢١] يقال: مَخَرت السفينةُ تَمْخُر: إذا شقَّت الماءَ؛ فالمعنى:

---

(١) «البحر المحيط» (٩/ ٢٠)، و«النشر» (٢/ ٣٥٢)، و«زاد المسير» (٦/ ٤٨٠).
(٢) «القراءات الشاذة» (ص١٢٣)، و«البحر المحيط» (٩/ ٢٠)، و«حاشية الجمل» (٣/ ٤٨٩).
(٣) «القراءات الشاذة» (ص١٢٣)، و«البحر المحيط» (٩/ ٢١)، و«المحتسب» (٢/ ٩٩٩).
(٤) «المحتسب» (٢/ ١٩٩)، و«البحر المحيط» (٩/ ٢١)، و«روح المعاني» (٢٢/ ١٩١). والقراءة بضم الميم من كلمة «ملح» شاذة.
(٥) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٧/ ٣٦٣). (٦) في «معاني القرآن وإعرابه» (٤/ ٢٦٦).
(٧) في «إعراب القرآن» للنحاس (٣/ ٣٦٦). (٨) في «إعراب القرآن» له (٣/ ٣٦٦).

وترى السفن في البحرين شواقّ للماء بعضها مقبلةً وبعضُها مُدْبرةً بريح واحدة، وقد تقدّم الكلام على هذا في سورة النّحل.

واللّام في: ﴿لِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦ﴾ متعلّقة بما يدل عليه الكلام السابق؛ أي: فعل ذلك «لتبتغوا» أو بمواخر.

قال مجاهد(١): ابتغاء الفضل هو التجارة في البحر إلى البلدان البعيدة في مدّة قريبة كما تقدّم في البقرة ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ الله على ما أنعم عليكم به من ذلك.

قال أكثرُ المفسّرين(٢): إن المراد مِن الآية: ضرب المثل في حقّ المؤمن والكافر، والكفر والإيمان، فكما لا يستوي البحران كذلك لا يستوي المؤمن والكافر، ولا الكفر والإيمان.

﴿يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ﴾؛ أي: يُضيف بعض أجزائهما إلى بعض، فيزيد في أحدهما بالنقص في الآخر، وقد تَقدّم تفسيره في آل عمران، وفي مواضع مِن الكتاب العزيز ﴿وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ قدّره الله لجريانهما، وهو يوم القيامة.

وقيل: هو المدّة التي يقطعان في مثلها الفلك، وهو سنة للشمس، وشهر للقمر.

وقيل: المراد به جَرْي الشمس في اليوم، والقمر في الليلة.

وقد تقدّم تفسير هذا مستوفى في سورة لقمان، والإشارة بقوله: ﴿ذَٰلِكُمُ﴾ إلى الفاعل لهذه الأفعال وهو الله سبحانه، واسم الإشارة مبتدأ وخبره ﴿ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ﴾؛ أي: هذا الذي من صنعته ما تقدّم: هو الخالق المقدّر والقادر المقتدر المالك للعالَم، والمتصرّف فيه، ويجوز أنْ يكون قوله: ﴿لَهُ ٱلْمُلْكُ﴾ جملة مستقلة في مقابلة قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ﴾؛ أي: لا يقدرون عليه ولا على خلقه، والقِطْمير: القِشْرة الرّقيقة التي تكون بين التمرة والنواة وتصير على النواة كاللفافة لها(٣).

---

(١) في «إعراب القرآن» (٣/ ٣٦٦).
(٢) «روح المعاني» (٢٢/ ١٩٣)، و«الوسيط» (٣/ ٥٠٣).
(٣) ذكره ابن كثير في «تفسيره» (١١/ ٣١٥)، عن ابن عباس، ومجاهد، وعكرمة، وعطاء وعطية العوفي، والحسن وقتادة وغيرهم.

وقال المبرّد[١]: هو شَقُّ النَّواة[٢].

وقال قتادة[٣]: هو القَمْعُ الذي على رأس النواة.

قال الجوهري[٤]: ويُقال: هي النّكتةُ البيضاءُ التي في ظَهْر النواة تَنبتُ منها النخلة.

ثُم بيّن سبحانه حال هؤلاء الذين يدعونهم من دون الله بأنَّهم لا ينفعون ولا يضرّون فقال: ﴿إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ﴾؛ أي: إنْ تستغيثوا بهم في النوائب لا يسمعوا دعاءكم، لكونها جمادات لا تُدرك شيئاً مِنْ المدركَات ﴿وَلَوْ سَمِعُوا۟﴾ على طريقة الفرض والتقدير ﴿مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ﴾ لعجزهم عن ذلك. قال قتادة[٥]: المعنى: ولو سمعوا لم ينفعوكم.

وقيل المعنى: لو جعلنا لهم سماعاً وحياةً فسمعوا دعاءكم لكانوا أطوع لله منكم، ولم يستجيبوا لكم إلى ما دعوتموهم إليه مِنَ الكفر ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ﴾؛ أي: يتبرّأون مِنْ عبادتكم لهم ويقولون: ﴿مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ﴾ [يونس: ٢٨] ويجوز أن يرجع ﴿وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ﴾ وما بعده إلى مَنْ يعقل ممّن عبدهم الكفار وهم الملائكة والجنّ والشياطين.

والمعنى: أَنْ يجحدون[٦] أَنْ يكون ما فعلتموه حَقّاً، ويُنْكرون أَنَّهم أمروكم بعبادتهم ﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾؛ أي: لا يُخبرك مثل مَنْ هو خبير بالأشياء عالم

---

(١) ذكره النحاس في «معاني القرآن» (٥/ ٤٤٨).

(٢) ذكره النحاس في «معاني القرآن» (٥/ ٤٤٨)، عن ابن عباس من قوله في معنى الفتيل.
وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ١٤) إلى سعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم، عن ابن عباس في قوله: ﴿مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ﴾. قال: القطمير: القشر، وفي لفظ الجلد الذي يكون على ظهر النواة. (وسيأتي تخريجه).

(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٩/ ٣٥٠)، عن جويبر عن بعض أصحابه.
وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ١٥) إلى ابن جرير وابن المنذر، عن الضحاك.

(٤) في «الصحاح» (٢/ ٧٩٧).

(٥) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٩/ ٣٥١)، عن قتادة بسند صحيح بلفظ: «أي: ما قبلوا ذلك عنكم، ولا نفعوكم فيه».

(٦) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٧/ ٣٦٦).

بها، وهو اللهُ سبحانه فإنَّه لا أحد أخبر بخلقه وأقوالهم وأفعالهم منه سبحانه، وهو الخبير بكُنْه الأمور وحقائقها.

وقد أخرج ابنُ جرير وابنُ المنذر وابنُ أَبي حاتم عَنْ ابن مسعود[(١)] قال: يقوم مَلَك بالصور بين السماء والأرض فينفخ فيه فلا يَبْقى خلقٌ لله في السمٰوات والأرض إلَّا مَنْ شاء الله إلَّا مات، ثم يرسل الله مِنْ تحت العرش منيّاً كمني الرجال، فتنبت أجسامهم ولحومهم مِنْ ذلك الماء كما تنبت الأرض من الثرى، ثم قرأ عبد الله: ﴿وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ ٱلرِّيَٰحَ﴾ الآية.

وأخرج أبو داود والطيالسي وأحمد وعبد بن حُميد وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي في «الأسماء والصفات» عَنْ أبي رزين[(٢)] العقيلي قال: «قلت: يا رسول الله كيف يُحيي الله الموتى؟ قال أَما مررت بأرض مُجْدبة ثم مررت بها مخصبة تهتزّ خضراء؟ قلتُ: بلى. قال: كذلك يحيي الله الموتى، وكذلك النشور».

وأخرج عبد بن حُميد وابن جرير وابن المنذر والطبراني والحاكم وصحّحه والبيهقي في «الأسماء والصفات» عَنْ ابن مسعود[(٣)] قال: إذا حدّثناكم بحديث أتيناكم بتصديق ذلك من كتاب الله، إنّ العبد المسلم إذا قال: سبحان الله وبحمده والحمد لله ولا إلٰه إلا الله والله أكبر، وتبارك الله ؛قبض عليهنّ مَلَك يضّمهنّ تحت جناحه، ثم يصعد بهنّ إلى السماء، فلا يمرّ بهنّ على جمع من الملائكة إلا استُغفر لقائلهنّ حتى يجيء بهنّ وجه الرحمٰن، ثُمّ قرأ: ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥۚ﴾ قال: أداءُ الفرائض فمن ذكر الله في أداء فرائضه حمل عملُه ذكَر الله فصعد به إلى الله، ومَنْ ذكر الله ولم يؤدّ فرائضهُ، ردّ كلامه على عملُه وكان عملُه أولى به.

وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن ابن عباس[(٤)] في قوله: ﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِن

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٩/ ٣٣٦)، وابن أبي شيبة (١٥/ ١٩١ ـ ١٩٢) بسند ضعيف.

(٢) أخرجه أبو داود الطيالسي رقم (١١٨٥)، وأحمد رقم (١٦١٩٢ ـ ١٦١٩٤)، وعبد بن حميد وابن مردويه كما في «تخريج الكشاف» (٣/ ١٤٧)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» رقم (١٠٦٩، ١٠٧٠) بسند ضعيف.

(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٩/ ٣٣٨)، والطبراني رقم (٩١٤٤)، والحاكم (٢/ ٤٢٥)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» رقم (٦٦٧)، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.

(٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٩/ ٣٤٣) بسند ضعيف.

مُّعَمَّرٍ﴾ الآية قال: يقول: ليس أحد قضيتُ له طول العمر والحياة إلا وهو بالغٌ ما قدّرت له من العمر وقد قضيتُ له ذلك، فإنما ينتهي إلى الكتاب الذي قدّرت له لا يزاد عليه، وليس أحد قضيتُ له أنه قصير العمر والحياة ببالغ العمر، ولكن ينتهي إلى الكتاب الذي كُتب له، فذلك قوله: ﴿وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِى كِتَـٰبٍ﴾ يقول: كل ذلك في كتاب عنده.

وأخرج أحمد ومسلم وأبو عوانة وابن حبّان والطبراني وابن المنذر وابن أبي حاتم عن حذيفة بن أَسِيد الغفاري(١) قال: قال رسول الله ﷺ: «يَدْخل المَلك على النطفة بعدما تستقرّ في الرحم بأربعين أو بخمسة وأربعين ليلة، فيقول: أيّ ربّ أشقيّ أم سعيد؟ أذكر أم أنثى؟ فيقول الله ويكتبان، ثم يُكْتبُ عملُه ورزقه وأجله وأثره ومصيبته، ثم تُطوى الصحيفة فلا يزاد فيها ولا ينقص منها».

وأخرج ابن أبي شيبة ومسلم والنسائي وأبو الشيخ عن عبد الله بن مسعود(٢) قال: قالت أمّ حبيبة: اللَّهُمَّ أمتعني بزوجي النبيّ؛ وبأبي أبي سفيان، وبأخي معاوية، فقال النبيّ ﷺ: «إنَّك سألت الله لآجال مضروبة وأيام معدودة وأرزاق مقسومة، ولن يعجل الله شيئاً قبل حلِّه أو يؤخر شيئاً، ولو كنتِ سألتِ الله أنْ يعيذك مِنْ عذابٍ في النار، أو عذابٍ في القبر كان خيراً وأفضل». وهذه الأحاديث مُخَصَّصةٌ بما ورد من قبول الدعاء، وأنه يعتلج هو والقضاء، وبما ورد في صلة الرحم أنها تزيد في العمر، فلا معارضة بين الأدلة كما قدّمنا.

وأخرج سعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عباس(٣) في قوله: ﴿مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ﴾ قال: القِطْمير: القشر وفي لفظ: الجلد الذي يكون على ظهر النواة.

---

(١) أخرجه أحمد رقم (١٦١٤٢)، ومسلم رقم (٢٦٤٤)، وابن حبان رقم (٦١٧٧)، والطبراني رقم (٣٠٣٩)، وابن أبي حاتم كما في «تفسير ابن كثير» (٥/ ٣٩١).

(٢) أخرجه مسلم رقم (٢٦٦٣)، والنسائي في «السنن الكبرى» رقم (١٠٠٩٤)، وابن أبي شيبة (٣/ ٣٧٣، ٣٧٤) (١٠/ ١٩٠، ١٩١).

(٣) عزاه إليهم السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ١٤).
وأخرجه ابن جرير (١٩/ ٣٤٩)، وسعيد بن منصور كما في «فتح الباري» (٨/ ٥٤٠)، وابن أبي حاتم كما في «الإتقان» (٢/ ٣٨) بسند صحيح.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ۝١٥ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ
وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ۝١٦ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ۝١٧ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَإِن تَدْعُ
مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَىْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰٓ إِنَّمَا تُنذِرُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم
بِٱلْغَيْبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِۦ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ۝١٨ وَمَا يَسْتَوِى
ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ۝١٩ وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ ۝٢٠ وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلْحَرُورُ ۝٢١ وَمَا يَسْتَوِى
ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِى ٱلْقُبُورِ ۝٢٢ إِنْ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ
۝٢٣ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ۝٢٤ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ
كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَبِٱلزُّبُرِ وَبِٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ ۝٢٥ ثُمَّ أَخَذْتُ
ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ۝٢٦﴾.

ثم ذكر سبحانه افتقار خلقه إليه، ومزيد حاجتهم إلى فضله، فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ﴾؛ أي: المحتاجون إليه في جميع أمور الدين والدنيا، فهم الفقراء إليه على الإطلاق و﴿هُوَ ٱلْغَنِىُّ﴾ على الإطلاق ﴿ٱلْحَمِيدُ﴾؛ أي: المستحقّ للحمد من عباده بإحسانه إليهم.

ثم ذكر سبحانه نوعاً من الأنواع التي يتحقق عندها افتقارهم إليه واستغناؤه عنهم فقال: ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾؛ أي: إن يشأ يُفْنِكم ويأتِ بدلكم بخلق جديد يطيعونه ولا يعصونه، أو يأت بنوع من أنواع الخَلْق وعالم من العالم غير ما تعرفون ﴿وَمَا ذَٰلِكَ﴾ الإذهابُ لكم والإتيان بآخرين ﴿عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾؛ أي: بممتنع ولا متعسر.

وقد مضى تفسير هذا في سورة إبراهيم ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾؛ أي: نفس وازرة فحُذف الموصوف للعلم به، ومعنى تزر: تَحْمل؛ والمعنى: لا تحمل نفس حِمْل نفس أخرى؛ أي: إثمها بل كل نفس تَحْمل وزرها، ولا تخالف هذه الآية قوله: ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ﴾ [العنكبوت: ١٣]؛ لأنَّهم إنما حملوا أثقال إضلالهم[١] مع أثقال ضلالهم والكلّ مِنْ أوزارهم، لا مِنْ أوزار غيرهم، ومثل هذا

(١) «روح المعاني» (٢٢/ ٢٠٢ ـ ٢٠٣)، و«تفسير أبي السعود» (٥/ ٤٧٢).

حديث: «من سنّ سُنَّة سيئة فعليه وزرها ووزر مِنْ عمل بها إلى يوم القيامة» فإن الذي سنّ السُّنَّة السيئة إنما حمل وزر سُنَّته السيئة.

وقد تقدّم الكلام على هذه الآية مستوفى ﴿وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا﴾ قال الفرّاء[١]؛ أي: نفس مثقلة، قال: وهذا يقع للمذكر والمؤنث. قال الأخفش[٢]: أي: وإنْ تدع مثقلة إنساناً إلى حملها وهو ذنوبها ﴿لَا يُحْمَلْ مِنْهُ﴾؛ أي: من حملها ﴿شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰٓ﴾؛ أي: ولو كان الذي تدعوه ذا قرابة لها، لم يحمل من حملها شيئاً.

ومعنى الآية: وإنْ تدع نفسُ مثقلة بالذنوب نفساً أُخرى إلى حمل شيء من ذنوبها معها لم تحمل تلك المدعوّة مِنْ تلك الذنوب شيئاً، ولو كانت قريبة لها في النسب، فكيف بغيرها ممّا لا قرابة بينها وبين الداعية لها؟ وقُرِىء: «ذو قربى» على أَنْ كان تامة، كقوله: ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ﴾ [البقرة: ٢٨٠].

وجملة: ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ﴾ مستأنفة[٣] مسوقة لبيان من يتّعظ بالإنذار، ومعنى: ﴿يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ﴾ أنّه يخشونه حال كونهم غائبين عن عذابه، أو يخشون عذابه وهو غائب عنهم، أو يخشونه في الخلوات عن الناس.

قال الزجاج[٤]: تأويله: أن إنذارك إنما ينفع الذين يخشون ربّهم، فكأنَّك تنذرهم دونَ غيرهم ممَّن لا ينفعهم الإنذار؛ كقوله: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا﴾ [النازعات: ٤٥] وقوله: ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ وَخَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ﴾ [يس: ١١].

ومعنى ﴿وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾: أنّهم احتفلوا بأمرها، ولم يشتغلوا عنها بشيء مما يلهيهم ﴿وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِۦ﴾ التزّكي: التطهر [٣/٤٢٢] مِنْ أدناس الشرك والفواحش، والمعنى: أنّ مَنْ تطهر بترك المعاصي واستكثر من العمل الصالح فإنما يتطهر لنفسه؛ لأنّ نفع ذلك مختصّ به كما أن وزر من تدنس لا يكون إلا عليه لا على غيره.

قرأ الجمهور[٥]: ﴿وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ﴾. وقرأ أبو عمرو[٦]: «فإنما يزكى» بإدغام التاء في الزاي.

---

(١) في «معاني القرآن» للفراء (٢/٣٦٨).
(٢) في «معاني القرآن» للأخفش (٢/٦٦٥).
(٣) «روح المعاني» (٢٢/٢٠٦).
(٤) في «معاني القرآن وإعرابه» (٤/٢٦٧).
(٥) «البحر المحيط» (٩/٢٥)، و«روح المعاني» (٢٢/٢٠٦).
(٦) «القراءات الشاذة» (ص١٢٣)، و«روح المعاني» (٢٢/٢٠٦)، و«البحر المحيط» (٩/٢٥).

وقرأ ابن مسعود وطلحة «ومن أزَّكَّى[١] فإنما يَزَّكَّى».

﴿وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ لا إلى غيره، ذكر سُبحانه أوّلاً أنه لا يحمل أحد ذنب أحد، ثم ذكر ثانياً: أنّ المذنب إن دعا غيره ولو كان مِنْ قرابته إلى حمل شيء من ذنوبه لا يحمله، ثم ذكر ثالثاً: أن ثواب الطاعة مختصّ بفاعلها ليس لغيره منه شيء.

ثم ضرب مثلاً للمؤمن والكافر فقال: ﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ﴾؛ أي: المسلوب حاسة البصر ﴿وَٱلْبَصِيرُ﴾ الذي له مَلَكَة البصر؛ فشبّه الكافر بالأعمى، وشبّه المؤمن بالبصير ﴿وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ﴾؛ أي: ولا تَسْتوي الظلمات ولا النور، فشبّه الباطل بالظلمات، وشَبّه الحقّ بالنور.

قال الأخفش[٢]: «ولا» في قوله: ﴿وَلَا ٱلنُّورُ﴾، ﴿وَلَا ٱلْحَرُورُ﴾ زائدة، والتقدير وما يستوي الظلمات والنور ولا الظلّ والحرور، والحرور: شدّة حرّ الشمس.

قال الأخفش[٣]: والحرور لا يكون إلا مع شمس النهار، والسموم يكون بالليل، وقيل: عكسه.

وقال رؤبة بن العجّاج[٤]: الحرور يكون بالليل خاصة، والسموم يكون بالنهار خاصة.

وقال الفرّاء[٥]: السموم لا يكون إلا بالنّهار، والحرور يكون فيهما.

قال النحاس[٦]: وهذا أصح.

وقال قُطْرب[٧]: الحرور الحرّ، والظلّ البرد، والمعنى: أنه لا يستوي الظلّ الذي لا حرّ فيه ولا أذى، والحرّ الذي يؤذي.

قيل: أراد الثواب والعقاب، وسمي الحرّ حروراً مبالغة في شدّة الحرّ؛ لأن زيادة البناء تدلّ على زيادة المعنى.

---

(١) «البحر المحيط» (٩/ ٢٥)، و«روح المعاني» (٢٢/ ٢٠٦). قراءة الجمهور هي المتواترة والقراءتان الأخريان شاذتان، ورواية الإدغام عن أبي عمرو شاذة.

(٢) في «معاني القرآن» للأخفش (٢/ ٦٦٥).

(٣) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ٤١٩).

(٤) ذكره النحاس في «إعراب القرآن» (٣/ ٣٦٩).

(٥) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ٤٦٩).

(٦) في «إعراب القرآن» للنحاس (٣/ ٣٦٩ ـ ٣٧٠).

(٧) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ٤٦٩).

وقال الكلبي[١]: أراد بالظلّ: الجنّة، وبالحرور: النار.

وقال عطاء[٢]: يعني ظلّ الليل وشمس النهار.

قيل: وإنما جمع الظلمات وأفرد النور لتعدّد فنون الباطل واتحاد الحقّ.

ثم ذكر سبحانه تمثيلاً آخر للمؤمن والكافر فقال: ﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ﴾ فشبّه المؤمنين بالأحياء، وشبّه الكافرين بالأموات، وقيل: أراد تمثيل العلماء والجهلة.

وقال ابن قتيبة[٣]: الأحياء: العقلاء، والأموات: الجهال.

قال قتادة[٤]: هذه كلُّها أمثال؛ أي: كما لا تستوي هذه الأشياء كذلك لا يستوي الكافر والمؤمن ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ﴾ أَنْ يُسمعه مِنْ أوليائه الذين خلقهم لجنته ووفّقهم لطاعته ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي ٱلْقُبُورِ﴾؛ يعني: الكفار الذين أمات الكفر قلوبَهم؛ أي: كما لا تسمع من مات كذلك لا تسمع من مات قلبه، قرأ الجمهور[٥] بتنوين: «مُسْمِعٍ» وقطعه عن الإضافة.

وقرأ الحسن وعيسى الثقفي وعمرو بن ميمون بإضافته[٦].

﴿إِنْ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ﴾؛ أي: ما أنتَ إلاَّ رسول منذر ليس عليك إلا الإنذار والتبليغ، والهدى والضلالة بيد الله ﷻ.

﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ﴾ يجوز أَنْ يكون «بالحقّ» في محل نصب[٧] على الحال من الفاعل؛ أي: مُحقين، أو مِنْ المفعول؛ أي: محقّاً، أو نعت[٨] لمصدر محذوف؛ أي: إرسالاً مُلْتبساً بالحقّ، أو هو متعلق بـ﴿بَشِيرًا﴾؛ أي: بشيراً بالوعد الحقّ ونذيراً بالوعد الحقّ.

والأولى أَنْ يكون نعتاً للمصدر المحذوف، ويكون معنى ﴿بَشِيرًا﴾: بشيراً

---

(١) ذكره الواحدي في «الوسيط» (٣/ ٥٠٤). (٢) ذكره الواحدي في «الوسيط» (٣/ ٥٠٤).
(٣) في «تفسير غريب القرآن» (ص٣٦١).
(٤) أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢/ ١٣٥) بسند صحيح.
(٥) «البحر المحيط» (٩/ ٢٧)، و«زاد المسير» (٦/ ٤٨٤)، و«روح المعاني» (٢٢/ ٢١٠).
(٦) «القراءات الشاذة» (ص١٢٣)، و«البحر المحيط» (٩/ ٢٧). وهي قراءة شاذة.
(٧) «روح المعاني» (٢٢/ ٢١١)، و«الفريد» (٤/ ٨٨).
(٨) انظر: التعليقة المتقدمة.

لأهل الطاعة ونذيراً لأهل المعصية ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾؛ أي: ما من أمة من الأمم الماضية إلا مضى فيها نذير من الأنبياء ينذرها، واقتصر[١] على ذكر النذير دون البشير؛ لأنّه ألصق بالمقام.

ثم سلّى سبحانه نبيّه ﷺ وعزّاه، فقال: ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾؛ أي: كذب من قبلهم من الأمم الماضية أنبياءهم ﴿جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾؛ أي: بالمُعْجزات[٢] الواضحة، والدلالات الظاهرة ﴿وَبِٱلزُّبُرِ﴾؛ أي: الكتب المكتوبة كصحف إبراهيم ﴿وَبِٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ﴾ كالتوراة والإنجيل، قيل: الكتاب المنير داخل تحت الزبر وتحت البيّنات والعطف لتغاير المفهومات، وإن كانت متحدة في الصدق.

والأولى تخصيص البيّنات بالمعجزات، والزبر بالكتب التي فيها مواعظ، والكتاب بما فيه شرائع وأحكام، ﴿ثُمَّ أَخَذْتُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ وضع الظاهر موضع الضمير[٣] يفيد التصريح بذمّهم بما في حيز الصلة، ويشعر بعلة الأخذ ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾؛ أي: فكيف كان نكيري عليهم وعقوبتي لهم؟ وقرأ ورش[٤] عن نافع وشيبة بإثبات الياء في ﴿نَكِيرِ﴾ وصلاً لا وقفاً، وقد مضى بيان معنى هذا قريباً.

وقد أخرج أحمد والترمذي وصحّحه والنسائي وابن ماجه عن عمرو بن الأحوص[٥] أن رسول الله ﷺ قال في حجة الوداع: «ألا لا يجني جان إلا على نفسه، لا يجني والدٌ على ولده ولا مولود على والده».

وأخرج سعيد بن منصور وأبو داود والترمذي والنسائي وابن مردويه والبيهقي في «سننه» عن أبي رِمْثة[٦] قال: انطلقت مع أبي نحو رسول الله ﷺ، فلما رأيته قال

---

(١) «تفسير أبي السعود» (٥/ ٤٧٣)، و«روح المعاني» (٢٢/ ٢١١).
(٢) «روح المعاني» (٢٢/ ٢١٢)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٧/ ٣٧٢).
(٣) «روح المعاني» (٢٢/ ٢١٢)، و«تفسير أبي السعود» (٥/ ٤٧٣).
(٤) «النشر» (٢/ ٣٥٢)، و«التيسير» (ص١٨٣)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (٢/ ٢١٣). وهي قراءة متواترة عن ورش وقد أثبت الياء في حالة الوقف و الوصل يعقوب. أما الجمهور فبالحذف في الحالتين. «النشر» (٢/ ٣٥٢).
(٥) أخرجه أحمد رقم (١٦٠٦٤)، والترمذي رقم (٣٠٨٧)، والنسائي في «الكبرى» رقم (٤١٠٠، ١١٣١٣)، وابن ماجه رقم (٢٦٦٩، ٣٠٥٥). وهو حديث صحيح.
(٦) أخرجه أبو داود رقم (٤٢٠٨، ٤٤٩٥)، والترمذي في «الشمائل» رقم (٤٤)، والنسائي رقم (٤٨٤٧)، والبيهقي (٨/ ٢٧، ٣٤٥). وهو حديث صحيح.

لأبي: «ابنك هذا؟» قال: إي وربّ الكعبة، قال: «أما إنّه لا يجني عليك ولا تجني عليه»، ثم قرأ رسول الله ﷺ ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾.

وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن ابن عباس[١] في قوله: ﴿وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ﴾ قال: يكون عليه وزر لا يُجد أحداً يحمل عنه من وزره شيئاً.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا ۚ وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾ وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ ۚ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾ وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ ﴿٣١﴾ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٣﴾ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ ۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿٣٥﴾﴾.

ثم ذكر سبحانه نوعاً من أنواع قدرته الباهرة وخلقاً من مخلوقاته البديعة فقال: ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ والخطاب لرسول الله ﷺ أو لكلّ مَنْ يصلح له ﴿أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ وهذه الرؤية هي القلبية؛ أي: ألم تعلم؟ وأنّ واسمَها وخبرها سدّت مسدّ المفعولين ﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِ﴾؛ أي: بالماء، والنكتة في هذا الالتفات إظهار كمال العناية بالفعل لما فيه من الصنع البديع، وانتصاب ﴿مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا﴾ على الوصف لثمرات.

والمراد بالألوان[٢]: الأجناس والأصناف؛ أي: بعضها أبيض، وبعضها

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٩/ ٣٥٣، ٣٥٤) بسند ضعيف.

(٢) «الجامع لأحكام القرآن» (١٧/ ٣٧٤)، و«مفردات ألفاظ القرآن» (ص٧٥١).

أحمر، وبعضها أصفر، وبعضها أخضر، وبعضها أسود ﴿وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌ﴾ الجُدَد: جمع جدة وهي الطريق.

قال الأخفش[١] ولو كان جمع جديد لقال: جُدُد بضم الجيم والدال، نحو سرير وسُررُ. قال زهير[٢]:

كـأنـه أَسْـفَـعُ الـخَـدَّيْـنِ ذو جُـدَدٍ طَـاوٍ ويَـرْتَـعُ بـعـد الـصَّـيْـفِ أَحْـيَـانَـا

وقيل الجُدَد: القطع، مأخوذ من جددتُ الشيء إذا قطعته، حكاه ابن بحر[٣].

قال الجوهري[٤]: الجُدة: الخُطّة التي في ظهر الحمار تخالف لونه، والجدة: الطريقة، والجمع جُدَد وجَدائد، ومن ذلك قول أبي ذؤيب[٥]:

جَـوْنُ الـسَّـراةِ لـه جَـدَائـدُ أَرْبَـعُ

قال المبرّد[٦]: جدد: طرائق وخطوط.

قال الواحدي[٧]: ونحو هذا قال المفسِّرون في تفسير الجدد.

وقال الفرّاء[٨]: هي الطرق تكون في الجبال كالعروق بيض وسود وحمر واحدها جدة.

والمعنى: أنَّ الله سبحانه أخبر عَنْ جُدد الجبال، وهي طرائقها أو الخطوط التي فيها بأنّ لون بعضها البياض ولون بعضها الحمرة، وهو معنى قوله: ﴿بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا﴾ قرأ الجمهور[٩]: ﴿جُدَدٌ﴾ بضم الجيم وفتح الدال.

وقرأ الزهري[١٠] بضمهما جمع جديدة وروي عنه أنه قرأ بفتحهما وردّها أبو حاتم[١١] وصححها غيرُه وقال: الجُدَد: الطريق الواضح البيّن ﴿وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾ الغربيب: الشديد السواد الذي يشبه لونه لون الغراب.

---

(١) في «معاني القرآن» (٢/ ٦٦٥).
(٢) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ٤٧٠).
(٣) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ٤٧٠).
(٤) في «الصحاح» (٢/ ٤٥٢).
(٥) انظر: «ديوان الهذليين» (ص٤).
(٦) ذكره الواحدي في «الوسيط» (٣/ ٥٠٤).
(٧) في «الوسيط» (٣/ ٥٠٤).
(٨) في «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٣٦٩).
(٩) «البحر المحيط» (٩/ ٢٩)، و«روح المعاني» (٢٢/ ٢١٤).
(١٠) «المحتسب» (٢/ ١٩٩)، و«البحر المحيط» (٩/ ٢٩). قراءة الزهريّ بضمهما وفتحهما شاذة.
(١١) ذكره أبو حيان في «البحر المحيط» (٩/ ٢٩).

قال الجوهري[١]: تقول هذا أسود غربيب؛ أي: شديد السواد، وإذا قلت: غرابيب سود جعلت السود بدلاً مِنْ غرابيب.

قال الفرّاء[٢]: في الكلام تقديم وتأخير تقديره: وسود غرابيب؛ لأنه يقال أسود غربيب، وقلّ ما يقال: غربيب أسود.

وقوله: ﴿مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا﴾ صفة لجُدد، وقوله: ﴿وَغَرَابِيبُ﴾ معطوف[٣] على «جُدد» على معنى: ومِنْ الجبال جُدَد بيض وحمر، ومن الجبال غرابيب على لون واحد، وهو السواد، أو على حُمر على معنى: ومن الجبال جدد بيض وحمر وسود. وقيل معطوف على بيض[٤]، ولا بدّ من تقدير مضاف محذوف قبل جدد؛ أي: ومن الجبال ذو جدد؛ لأن الجُدَدَ إنما هي في ألوان بعضها.

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَـٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ﴾ قوله: ﴿مُخْتَلِفٌ﴾ صفة لموصوف محذوف؛ أي: ومنهم صنف، أو نوع أو بعض مختلف ألوانه بالحمرة والسواد والبياض والخضرة والصفرة. قال الفرّاء[٥]: أي: خلق مختلف ألوانه كاختلاف الثمرات والجبال.

وإنما ذكر سبحانه اختلاف الألوان في هذه الأشياء؛ لأن هذا الاختلاف من أعظم الأدلة على قدرة الله وبديع صنعه، ومعنى ﴿كَذَٰلِكَ﴾؛ أي: مختلفاً مثل ذلك الاختلاف، وهو صفة لمصدر محذوف، والتقدير مختلف ألوانه اختلافاً كائناً كذلك؛ أي: كاختلاف الجبال والثمار.

وقرأ الزهري[٦]: «والدواب» بتخفيف الباء. وقرأ ابن السميفع[٧]: «ألوانُها». وقيل: إنّ قوله: «كذلك» متعلق بما بعده؛ أي: مثل ذلك النظر والاعتبار في مخلوقات الله واختلاف ألوانها يخشى الله مِنْ عباده العلماء، وهذا اختاره ابن

---

(١) في «الصحاح» (١/ ١٩٢).
(٢) في «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٣٦٩).
(٣) «روح المعاني» (٢٢/ ٢١٥)، و«الفريد» (٤/ ٨٩)، و«التبيان» (٢/ ١٠٧٥).
(٤) انظر: المصادر المتقدمة.
(٥) في «معاني القرآن» (٢/ ٣٦٩).
(٦) «المحتسب» (٢/ ٢٠٠)، و«البحر المحيط» (٩/ ٣٠)، و«روح المعاني» (٢٢/ ٢١٧). وهي قراءة شاذة.
(٧) انظر: المصادر المتقدمة. هي قراءة شاذة.

عطية[١]، وهو مردود بأن ما بعد «إنما»[٢] لا يعمل فيما قبلها. والراجح الوجه الأوّل.

والوقف على ﴿كَذَٰلِكَ﴾ تامّ. ثم استؤنف الكلام وأخبر سبحانه بقوله: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ أو هو من تتمة قوله: ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ﴾ [فاطر: ١٨] على معنى: إنما يخشاه سبحانه بالغيب العالمون به، وبما يليق به من صفاته الجليلة وأفعاله الجميلة، [٣/٢٣٤] وعلى كل تقدير فهو سبحانه قد عين في هذه الآية أهل خشيته وهم العلماء به وتعظيم قدرته.

قال مجاهد[٣]: إنما العالم مَنْ خشي الله ﷻ.

وقال مسروق[٤]: كفى بخشية الله علماً وكفى بالاغترار جهلاً، فمن كان أعلم بالله كان أخشاهم له.

قال الربيع بن أنس[٥]: من لم يخش الله فليس بعالم.

وقال الشعبي[٦]: العالم مَنْ خاف الله.

ووجه تقديم المفعول أن المقام مقام حصر الفاعلية ولو أخر انعكس الأمر.

وقرأ عمرُ بن عبد العزيز[٧] برفع الاسم الشريف ونصب العلماء.

ورويت هذه القراءة عَنْ أبي حنيفة.

قال في «الكشاف»[٨]: الخشية في هذه القراءة استعارة[٩]، والمعنى: أنه يُجلّهم ويُعظمهم كما يجلّ المهيب المخشي مِن الرجال بين الناس، وجملة: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ تعليل لوجوب[١٠] الخشية لدلالته على أن معاقِب على معصيته غافر لمن تاب من عباده.

---

(١) في «المحرر الوجيز» (١٣/ ١٧٢).

(٢) «روح المعاني» (٢٢/ ٢١٩)، و«التبيان» (٢/ ١٠٧٥).

(٣) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٧/ ٣٧٦)، والواحدي في «الوسيط» (٣/ ٥٠٤).

(٤) ذكره الواحدي في «الوسيط» (٣/ ٥٠٤).

(٥) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ٤٧١).

(٦) ذكره الواحدي في «الوسيط» (٣/ ٥٠٤).

(٧) «النشر» (١/ ١٦)، و«روح المعاني» (٢٢/ ٢١٩). هي قراءة شاذة، ونسبها لأبي حنيفة لا تَصح.

(٨) في «الكشاف» (٥/ ١٥٤). (٩) «الجامع لأحكام القرآن» (١٧/ ٣٧٧).

(١٠) «روح المعاني» (٢٢/ ٢٢٠)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٧/ ٣٧٧).

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَـٰبَ ٱللَّهِ﴾؛ أي: يستمرّون على تلاوته ويداومونها. والكتاب: هو القرآن الكريم، ولا وجه لما قيل إنّ المراد به جنس كتب الله.

﴿وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾؛ أي: فعلوها في أوقاتها مع كمال أركانها وأذكارها ﴿وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾ فيه حثّ على الإنفاق كيف ما تهيأ، فإن تهيأ سرّاً فهو أفضل وإلا فعلانية، ولا يمنعه ظنه أن يكون رياءً، ويمكن أن يراد بالسرّ صدقة النفل وبالعلانية صدقة الفرض، وجملة: ﴿يَرْجُونَ تِجَـٰرَةً لَّن تَبُورَ﴾ في محل رفع[1] على خبرية إنّ كما قال ثعلب[2] وغيره.

والمراد بالتجارة: ثواب الطاعة ومعنى ﴿لَّن تَبُورَ﴾: لن تكسد ولن تهلك، وهي صفة للتجارة، والإخبار برجائهم لثواب ما عملوا بمنزلة الوعد بحصول مرجوهم، واللام في ﴿لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ﴾ متعلق بلن تبور، على معنى: أنها لن تكسد لأجل أن يوفيهم أجور أعمالهم الصالحة، ومثل هذه الآية قوله سبحانه: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ﴾ [النساء: ١٧٣] وقيل: إن اللام متعلقة بمحذوف دلّ عليه السياق؛ أي: فعلوا ذلك ليوفيهم، ومعنى ﴿وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ﴾: أنّه يتفضل عليهم بزيادهم على أجورهم التي هي جزاء أعمالهم.

وجملة: ﴿إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ تعليل لما ذكر من التوفية والزيادة؛ أي: غفور لذنوبهم، شكور لطاعتهم، وقيل: إنّ هذه الجملة هي خبر إنّ، وتكون جملة يرجون في محل نصب على الحال[3]، والأوّل أولى.

﴿وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ﴾؛ يعني: القرآن، وقيل: اللوح المحفوظ على أن «مِنْ» تبعيضية[4] أو ابتدائية، وجملة: ﴿هُوَ ٱلْحَقُّ﴾ خبر الموصول و ﴿وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ منتصب على الحال[5]؛ أي: موافقاً لما تقدّمه من الكتب ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِعِبَادِهِۦ لَخَبِيرٌۢ بَصِيرٌ﴾؛ أي: مُحيط بجميع أمورهم ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَـٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ

---

(١) «التبيان» (٢/ ١٠٧٥)، و«الفريد» (٤/ ٩١)، و«روح المعاني» (٢٢/ ٢٢٢).
(٢) ذكره النحاس في «إعراب القرآن» (٣/ ٣٧١).
(٣) «التبيان» (٢/ ١٠٧٥)، و«الفريد» (٤/ ٩١)، و«روح المعاني» (٢٢/ ٢٢٢).
(٤) «روح المعاني» (٢٢/ ٢٢٤)، و«تفسير أبي السعود» (٥/ ٤٧٦).
(٥) «الفريد» (٤/ ٩١ ـ ٩٢)، و«التبيان» (٢/ ١٠٧٥)، و«روح المعاني» (٢٢/ ٢٢٤).

عِبَادِنَا﴾ المفعول الأوّل لأورثنا: الموصول، والمفعول الثاني: الكتاب، وإنما قدّم المفعول الثاني لقصد التشريف والتعظيم للكتاب.

والمعنى: ثم أورثنا الذين اصطفيناهم مِنْ عبادنا الكتاب وهو القرآن؛ أي: قضينا وقدّرنا بأن نُورِّث العلماء مِنْ أمتك يا محمد هذا الكتابِ الذي أنزلناه عليك.

ومعنى اصطفائهم: اختيارهم واستخلاصهم، ولا شك أَنّ علماء هذه الأمة من الصحابة فمن بعدهم قد شرّفهم الله على سائر العباد وجعلهم أمة وسطاً ليكونوا شهداء على الناس، وأكرمهم بكونهم أمة خير الأنبياء وسيد ولد آدم.

قال مقاتل[١]: يعني قرآن محمد جعلناه ينتهي إلى الذين اصطفينا من عبادنا.

وقيل: إن المعنى: أورثناه من الأمم السالفة؛ أي: أخّرناه عنهم وأعطيناه الذين اصطفينا، والأوّل أولى.

ثم قسّم سبحانه هؤلاء الذي أورثهم كتابه واصطفاهم من عباده إلى ثلاثة أقسام فقال: ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ﴾ قد استشكل كثير مِنْ أهل العلم معنى هذه الآية؛ لأنه سبحانه جعل هذا القسم الظالم لنفسه من ذلك المقسم، وهو من اصطفاهم من العباد، فكيف يكون من اصطفاه الله ظالماً لنفسه؟

فقيل: إن التقسيم هو راجع إلى العباد؛ أي: فمن عبادنا ظالم لنفسه، وهو الكافر، ويكون ضمير ﴿يَدْخُلُونَهَا﴾ عائداً إلى المقتصد والسابق[٢].

وقيل المراد[٣] بالظالم لنفسه: هو المقصّر في العمل به، وهو المرجأ لأمر الله، وليس من ضرورة ورثة الكتاب مراعاته حقّ رعايته، لقوله: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾ [الأعراف: ١٦٩] وهذا فيه نظر؛ لأن ظلم النفس لا يناسب الاصطفاء.

وقيل: الظالم لنفسه: هو الذي عمل الصغائر[٤]، وقد روي هذا القول عن عُمر وعثمان وابن مسعود وأبي الدرداء وعائشة، وهذا هو الراجح؛ لأنَّ عمل

(١) ذكره الواحدي في «الوسيط» (٣/ ٥٠٥).
(٢) «الجامع لأحكام القرآن» (١٧/ ٣٧٩)، و«جامع البيان» (١٩/ ٣٧١).
(٣) «النكت والعيون» (٤/ ٤٧٣)، و«معالم التنزيل» (٦/ ٤٢٢).
(٤) «الجامع لأحكام القرآن» (١٧/ ٣٧٩)، و«جامع البيان» (١٩/ ٣٧١ ـ ٣٧٢)، و«النكت والعيون» (٤/ ٤٧٣).

الصغائر لا ينافي الاصطفاء ولا يمنع مِنْ دخول صاحبه مع الذين يدخلون الجنة يُحلَّون فيها من أساور من ذهب إلى آخر ما سيأتي.

ووجه كونه ظالماً لنفسه أنَّه نقصها مِنْ الثواب بما فعل من الصغائر المغفورة له، فإنّه لو عمل مكان تلك الصغائر طاعات لكان لنفسه فيها من الثواب حظّاً عظيماً.

وقيل[١]: الظالم لنفسه: هو صاحب الكبائر.

وقد اختلف السلف في تفسير السابق والمقتصد، فقال عكرمة وقتادة والضحاك[٢]: إنّ المقتصد: المؤمن العاصي، والسابق: التقيّ على الإطلاق، وبه قال الفرّاء[٣]، وقال مجاهد[٤] في تفسير الآية: ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ﴾: أصحاب المشأمة ﴿وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ﴾: أصحاب الميمنة ﴿وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ﴾: السابقون من الناس كلهم.

وقال المبرد[٥]: إن المقتصد: هو الذي يعطي الدنيا حقها والآخرة حقها. وقال الحسن[٦]: الظالم: الذي ترجّح سيئاته على حسناته، والمقتصد: الذي استوت حسناته وسيئاته، والسابق: من رجّحت حسناته على سيئاته. وقال مقاتل[٧]: الظالم لنفسه: أصحاب الكبائر من أهل التوحيد، والمقتصد: الذي لم يصب كبيرة، والسابق الذي سبق إلى الأعمال الصالحة.

وحكى النحاس[٨] أن الظالم: صاحب الكبائر، والمقتصد: الذي لم يستحق الجنة بزيادة حسناته على سيئاته، فتكون جنّات عدن يدخلونها للذين سبقوا بالخيرات لا غير، قال[٩]: وهذا قول جماعة من أهل النظر؛ لأن الضمير في حقيقة النظر لما يليه أولى.

---

(١) «النكت والعيون» (٤/ ٤٧٣)، و«إعراب القرآن» للنحاس (٣/ ٣٧٢).
(٢) ذكره عنهم القرطبي في «تفسيره» (١٧/ ٣٧٩ ـ ٣٨٠).
(٣) في «معاني القرآن» (٢/ ٣٦٩ ـ ٣٧٠).
(٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٩/ ٣٧٣) بسند صحيح.
(٥) ذكره النحاس في «إعراب القرآن» (٣/ ٣٧٢).
(٦) ذكره الواحدي في «الوسيط» (٣/ ٥٠٥).
(٧) ذكره الواحدي في «الوسيط» (٣/ ٥٠٥).
(٨) في «إعراب القرآن» للنحاس (٣/ ٣٧٢).
(٩) النحاس في المصدر المتقدم.

وقال الضحاك[١]: ﴿فَمِنۡهُمۡ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ﴾ أي: من ذرّيتهم ظالم لنفسه.

وقال سهل بن عبد الله[٢]: السابق: العالِم، والمقتصد المتعلِّم والظالم لنفسه: الجاهل.

وقال ذو النون المصري[٣]: الظالم لنفسه: الذاكر لله بلسانه فقط، والمقتصد: الذاكر بقلبه، والسابق: الذي لا ينساه.

وقال الأنطاكي[٤]: الظالم: صاحب الأقوال، والمقتصد: صاحب الأفعال، والسابق صاحب الأحوال.

وقال ابن عطاء[٥]: الظالم: الذي يحب الله من أجل الدنيا، والمقتصد: الذي يحب الله من أجل العقبى، والسابق: الذي أسقط مراده بمراد الحقّ.

وقيل: الظالم: الذي يعبد الله خوفاً من النار، والمقتصد: الذي يعبده طمعاً في الجنة، والسابق: الذي يعبده لا لسبب.

وقيل: الظالم: الذي يحبّ نفسه، والمُقْتصد: الذي يحبّ دينه، والسابق: الذي يحبّ ربه.

وقيل: الظالم الذي ينتصف ولا ينصف، والمقتصد: الذي ينتصف وينصف، والسابق: الذي ينصف ولا ينتصف[٦].

وقد ذكر الثعلبي[٧] وغيره أقوالاً كثيرة.

ولا شك أنّ المعاني اللّغوية للظالم والمقتصد والسابق معروفة، وهو يصدق على الظلم للنفس بمجرّد إحرامها للحظ وتفويت ما هو خير لها، فتارك الاستكثار مِن الطاعات قد ظلم نفسه باعتبار ما فوّتها من الثواب، وإن كان قائماً بما أوجب الله

---

(١) ذكره ابن عطية في «المحرر الوجيز» (١٣/ ١٧٥).

(٢) انظر: المصدر المتقدم.

(٣) ذكره ابن عطية في «المحرر الوجيز» (١٣/ ١٧٥).

(٤) انظر: المصدر المتقدم.

(٥) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٧/ ٣٨٢)، وابن عطية في «المحرر الوجيز» (١٣/ ١٧٥).

(٦) «الجامع لأحكام القرآن» (١٧/ ٣٨٢ ـ ٣٨٣)، و«المحرر الوجيز» (١٣/ ١٧٥)، و«النكت والعيون» (٤/ ٤٧٤).

(٧) في تفسيره «الكشف والبيان» (٨/ ١١٠).

عليه تاركاً لما نهاه الله عنه، فهو من هذه الحيثية ممن اصطفاه الله ومن أهل الجنة فلا إشكال في الآية، ومن هذا قول آدم: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا﴾ [الأعراف: ٢٣] وقول يونس: ﴿إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧].

ومعنى المقتصد: هو مَنْ يتوسط في أمر الدين ولا يميل إلى جانب الإفراط ولا إلى جانب التفريط وهذا من أهل الجنة، وأما السابق: فهو الذي سبق غيره في أمور الدين، وهو خير الثلاثة.

وقد استشكل تقديم الظالم(١) على المقتصد وتقديمهما على السابق مع كون المقتصد أفضل من الظالم لنفسه والسابق أفضل منهما، فقيل: إن التقديم لا يقتضي التشريف كما في قوله: ﴿لَا يَسْتَوِىٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ﴾ [الحشر: ٢٠] ونحوها من الآيات القرآنية التي فيها تقديم أهل الشرّ على أهل الخير وتقديم المفضولين على الفاضلين.

وقيل: وجه التقديم(٢) هنا: أنّ المقتصدين بالنسبة إلى أهل المعاصي قليل والسابقين بالنسبة إلى الفريقين أقلّ قليل، فقدّم الأكثر على الأقلّ، والأوّل أولى فإن الكثرة بمجرّدها لا تقتضي تقديم الذكر، وقد قيل في وجه التقديم غير ما ذكرنا مما لا حاجة إلى التطويل به.

والإشارة بقوله: ﴿ذَٰلِكَ﴾ إلى توريث الكتاب والاصطفاء، وقيل: إلى السبق بالخيرات، والأوّل أولى، وهو مبتدأ وخبره ﴿هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ﴾؛ أي: الفضل الذي لا يقادر قدره.

وارتفاع ﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ﴾ على أنها مبتدأ وما بعدها خبرها، أو على البدل من الفضل؛ لأنه لما كان هو السبب في نيل الثواب نزل منزلة المسبب، وعلى هذا فتكون جملة: ﴿يَدْخُلُونَهَا﴾ مستأنفة وقد قدّمنا أن الضمير في يدخلونها يعود إلى الأصناف الثلاثة(٣)، فلا وجه لقصره على الصنف الأخير، وقرأ زرّ بن حبيش

(١) انظر: «الكشاف» (٥/١٥٦ ـ ١٥٧)، و«روح المعاني» (٢٢/٢٣٣)، و«مجمع البيان» (٢٢/٢٤٥).

(٢) انظر: «الكشاف» (٥/١٥٦).

(٣) «التبيان» (٢/٩٣٨)، و«روح المعاني» (٢٢/٢٣٤).

والزهري: «جنة» بالإفراد[(١)]، وقرأ الجحدري[(٢)]: «جنّات» بالنصب على الاشتغال، وجوّز أبو البقاء[(٣)] أن تكون: «جنَّات» خبراً ثانياً لاسم الإشارة، وقرأ أبو عمرو[(٤)]: «يُدخلونها» على البناء للمفعول.

وقوله: ﴿يُحَلَّوْنَ﴾ خبر ثان لجنّات عدن، أو حال مقدّرة، وهو من حليت المرأة فهي حال، وفيه إشارة إلى سرعة الدخول، فإن في تحليتهم خارج الجنّة تأخيراً للدخول، فلما قال: ﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا﴾ أشار أنّ دخولهم على وجه السرعة ﴿مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ﴾ «من» الأولى تبعيضية[(٥)]، والثانية بيانية؛ أي: يحلون بعض أساور كائنة من ذهب، والأساور جمع أسورة جمع سوار، وانتصاب ﴿وَلُؤْلُؤًا﴾ بالعطف على محل ﴿مِنْ أَسَاوِرَ﴾ وقُرِىء[(٦)] بالجرّ عطفاً على ذهب ﴿وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ قد تقدّم تفسير الآية مستوفى في سورة الحج [٣/٤٢٤].

﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ﴾ قرأ الجمهور «الْحُزْنِ» بفتحتين[(٧)]. وقرأ جناح بن حُبيش بضمّ الحاء[(٨)] وسكون الزاي.

والمعنى: أنّهم يقولون هذه المقالة إذا دخلوا الجنة.

قال قتادة[(٩)]: حزن الموت.

وقال عكرمة: حزن السيئات والذنوب وخوف ردّ الطاعات.

وقال القاسم: حزن زوال النعم وخوف العاقبة.

---

(١) «البحر المحيط» (٩/ ٣٣)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٧/ ٣٨٦). قراءة (جنته) بالأفراد، وكذا نصب (جناتٍ) شاذة.

(٢) «البحر المحيط» (٩/ ٣٣)، و«القراءات الشاذة» (ص١٢٤).

(٣) في «التبيان» (٢/ ١٠٧٥).

(٤) «التيسير» (ص١٨٢)، و«النشر» (٢/ ٢٥٢)، و«البحر المحيط» (٩/ ٣٣)، و«الكشف عن وجدوه القراءات» (٢/ ٢١١). هي قراءة متواترة عن أبي عمرو بن العلاء.

(٥) «روح المعاني» (٢٢/ ٢٣٦)، و«تفسير أبي السعود» (٥/ ٤٧٧).

(٦) «البحر المحيط» (٩/ ٣٤)، و«النشر» (٢/ ٣٦٢)، و«زاد المسير» (٦/ ٤٩٠ ـ ٤٩١). قراءة النصب لنافع و عاصم و أبي جعفر و قرأ الباقون بالجرِّ.

(٧) «البحر المحيط» (٩/ ٣٤)، و«معاني القرآن» للزجاج (٤/ ٢٧٠)، و«روح المعاني» (٢٢/ ٢٣٩).

(٨) «القراءات الشاذة» (ص١٢٤)، و«البحر المحيط» (٩/ ٣٤)، و«روح المعاني» (٢٢/ ٢٣٩).

(٩) انظر هذه الأقوال في: «معالم التنزيل» (٦/ ٤٢٣).

وقيل: حزن أهوال يوم القيامة.

وقال الكلبي[١]: ما كان يحزنهم في الدنيا من أمر يوم القيامة.

وقال سعيد بن جبير[٢]: همّ الخبز في الدنيا، وقيل: همّ المعيشة.

وقال الزجاج[٣]: أذهب الله عَنْ أهل الجنة كّل الأحزان ما كانَّ منها لمعاش أو معاد. وهذا أرجح الأقوال، فإنّ الدنيا وإنْ بلغ نعيمها أيّ مبلغ لا تخلو من شوائب ونوائب تكثر لأجلها الأحزانُ، وخصوصاً أهل الإيمان، فإنهم لا يزالون وجلين مِنْ عذاب الله خائفين مِنْ عقابه، مضطربي القلوب في كلِّ حين، هل تقبل أعمالهم أو تردّ؟ حذرين مِنْ عاقبة السوء وخاتمة الشرّ، ثم لا تزال همومهم وأحزانهم حتّى يدخلوا الجنة.

وأَمّا أهلُ العصيان: فهم وإن نُفِّسَ عن خناقهم قليلاً في حياة الدنيا التي هي دار الغرور، وتناسوا دار القرار يوماً من دهرهم فلا بدّ أن يشتدّ وجلُهم وتعظم مصيبتهم، وتغلي مراجل أحزانهم إذا شارفوا الموت وقربوا من منازل الآخرة.

ثم إذا قبضت أرواحهم ولاح لهم ما يسوؤهم من جزاء أعمالهم؛ ازدادوا غمّاً وحزناً، فإن تفضل الله عليهم بالمغفرة وأدخلهم الجنة فقد أذهب عنهم أحزانهم وأزال غمومهم وهمومهم.

﴿إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾؛ أي: غفور لمن عصاه، شكور لمن أطاعه ﴿ٱلَّذِيٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ﴾؛ أي: دار الإقامة التي يقيام فيها أبداً ولا ينتقل عنها تفضلاً منه ورحمة ﴿لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ﴾؛ أي: لا يصيبنا في الجنة عناء ولا تعب ولا مشقة ﴿وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ﴾ وهو الإعياء من التعب، والكلال من النصب.

وقد أخرج ابن المنذر، وابن أبي حاتم عن ابن عباس[٤] في قوله: ﴿ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا﴾ قال: الأبيض والأحمر والأسود، وفي قوله: ﴿وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ﴾ قال: طرائق ﴿بِيضٌ﴾؛ يعني: الألوان.

---

(١) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ٤٧٥)، والبغوي في «تفسيره» (٦/ ٤٢٣).

(٢) ذكره الواحدي في «الوسيط» (٣/ ٥٠٦)، والبغوي في «تفسيره» (٦/ ٤٢٣).

(٣) في «معاني القرآن وإعرابه» (٤/ ٢٧١).

(٤) عزاه إليهما السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ١٩).

وأخرج ابن أبي حاتم[١] عنه قال: الغربيب الأسود الشديد السواد.

وأخرج ابن أبي شيبة، وعبد بن حُميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن أبي مالك[٢] في قوله: ﴿وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ﴾ قال: طرائق تكون في الجبل بيض ﴿وَحُمْرٌ﴾ فتلك الجدد ﴿وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾ قال: جبال سود ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ﴾ قال: ﴿كَذَٰلِكَ﴾ اختلاف الناس والدوّابّ والأنعام كاختلاف الجبال ثم قال: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ قال: فصل لما قبلها.

وأخرج ابن المنذر[٣] عن ابن عباس في قوله: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ قال: العلماء بالله الذين يخافونه.

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم[٤] عنه في الآية قال: الذين يعلمون أن الله على كل شيء قدير.

وأخرج ابن أبي حاتم، وابن عدّي عن ابن مسعود[٥] قال: ليس العلم من كثرة الحديث، ولكن العلم من الخشية.

وأخرج ابن أبي شيبة، وأحمد في «الزهد»، وعبد بن حميد، والطبراني[٦] عنه قال: كفى بخشية الله علماً، وكفى باغترار بالله جهلاً.

وأخرج أحمد[٧] في «الزهد» عنه أيضاً قال: ليس العلم بكثرة الرواية، ولكن العلم الخشية.

وأخرج ابن أبي شيبة[٨] عن حذيفة قال: بحسب المؤمن من العلم أن يخشى الله.

وأخرج عبد الغني بن سعيد الثقفي في «تفسيره» عن ابن عباس[٩]: أن

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم كما في «فتح الباري» (٨/ ٥٤٠)، و«التغليق» (٤/ ٢٩٠).
(٢) عزاه إليهم السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ١٩).
(٣) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ١٩).
(٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٩/ ٣٦٤) بسند صحيح.
(٥) أخرجه ابن عدي في «الكامل» (١/ ٣٨)، والطبراني رقم (٨٥٣٤). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٢٣٥): إسناده جيد، إلا أنّ عوناً لم يدرك ابن عباس.
(٦) أخرجه أحمد في «الزهد» (ص١٥٨)، وابن أبي شيبة (١٣/ ٢٩١)، والطبراني رقم (٨٩٢٧).
(٧) أخرجه أحمد في «الزهد» (ص١٥٨) بسند صحيح.
(٨) أخرجه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (١٣/ ٣٧٨).
(٩) أخرجه عبد الغني بن سعيد الثقفي كما في «الإصابة» (٢/ ٨٤).

حصين بن الحارث بن عبد المطلب بن عبد مناف نزلت فيه ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتۡلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ الآية.

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، والبيهقي في «البعث» عن ابن عباس[١] في قوله: ﴿ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَاۖ﴾ قال: هم أمة محمد ﷺ ورَّثهم الله كُّل كتاب أُنزل، فظالمهم مغفور له، ومقتصدهم يحاسب حساباً يسيراً، وسابقهم يدخل الجنة بغير حساب.

وأخرج الطيالسي، وأحمد، وعبد بن حميد، والترمذي وحسنه، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، والبيهقي في «البعث» عن أبي سعيد الخدري[٢]، عن النبي ﷺ أنه قال في هذه الآية: «﴿ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَاۖ فَمِنۡهُمۡ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ وَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞ وَمِنۡهُمۡ سَابِقُۢ بِٱلۡخَيۡرَٰتِ﴾ قال: هٰؤلاء كلهم بمنزلة واحدة وكلهم يدخلون الجنة». وفي إسناده رجلان مجهولان. قال الإمام أحمد في «مسنده»: قال: حدّثنا شعبة عن الوليد بن العيزار؛ أنه سمع رجلاً من ثقيف يحدّث عَنْ رجل مِنْ كنانة عن أبي سعيد.

وأخرج الفريابي، وأحمد، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والطبراني، والحاكم، وابن مردويه، والبيهقي في «البعث» عن أبي الدرداء[٣] قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «قال الله: ﴿ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَاۖ فَمِنۡهُمۡ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ وَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞ وَمِنۡهُمۡ سَابِقُۢ بِٱلۡخَيۡرَٰتِ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ﴾ فأما الذين سبقوا، فأولئك الذين يدخلون الجنة بغير حساب. وأما الذين اقتصدوا، فأولئك يحاسبون حساباً يسيراً. وأما الذين ظلموا أنفسهم، فأولئك الذين يحبسون

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٩/٣٦٨)، والبيهقي في «البعث» رقم (٧٣) بسند صحيح.

(٢) أخرجه الطيالسي في «مسنده» رقم (٢٣٥٠)، وأحمد رقم (١١٧٤٥)، والترمذي رقم (٣٢٢٥)، وابن جرير (١٩/٣٧٦)، وابن أبي حاتم كما في «تفسير ابن كثير» (١١/٣٢٧)، والبيهقي في «البعث» رقم (٦١) وهو حديث صحيح.

(٣) أخرجه أحمد رقم (٢١٦٩٧، ٢١٧٢٧، ٢٧٥٠٥)، وابن جرير (١٩/٣٧٥)، وابن أبي حاتم كما في «تفسير ابن كثير» (١١/٣٢٤)، والطبراني كما في «مجمع الزوائد» (٧/٩٥)، والحاكم (٢/٤٢٦)، والبيهقي في «البعث» رقم (٦٢) بسند ضعيف.

في طول المحشر، ثم هم الذين تلافاهم الله برحمته، فهم الذين يقولون: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾ إلى آخر الآية».

قال البيهقي[١]: إذا كثرت روايات في حديث ظهر أَنّ للحديث أصلاً. اهـ.

وفي إسناد أحمد: محمد بن إسحاق، وفي إسناد ابن أبي حاتم[٢] رجل مجهول؛ لأنّه رواه من طريق الأعمش، عن رجل، عن أبي ثابت، عن أبي الدرداء، ورواه ابن جرير[٣]، عن الأعمش قال: ذكر أبو ثابت.

وأخرج ابن أبي حاتم، والطبراني عن عوف بن مالك[٤]، عن رسول الله ﷺ قال: «أمتي ثلاثةُ أثلاث: فثلُث يدخلون الجنة بغير حساب، وثلث يحاسبون حساباً يسيراً، ثم يدخلون الجنة، وثلث يُمَحّصون، ويُكشفون، ثم تأتي الملائكة، فيقولون وجدناهم يقولون: لا إله إلّا الله وحده، فيقول الله: أدخلوهم الجنة بقولهم لا إله إلّا الله وحده، واحملوا خطاياهم على أهل التكذيب، وهي التي قال الله: ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ﴾ [العنكبوت: ١٣]، وتصديقها في التي ذكر في الملائكة.

قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ فجعلهم ثلاثة أفواج. فمنهم ظالم لنفسه، فهذا الذي يُكشف ويُمحّص، ومنهم مقتصد وهو الذي يحاسب حساباً يسيراً، ومنهم سابق بالخيرات فهو الذي يلج الجنة بغير حساب ولا عذاب بإذن الله يدخلونها جميعاً».

قال ابن كثير[٥] بعد ذكر هذا الحديث: غريب جدّاً. اهـ.

وهذه الأحاديث يقوّي بعضُها بعضاً، ويجب المصير إليها، ويدفع بها قول من حمل الظالم لنفسه على الكافر.

---

(١) بل هو كلام الحاكم نقله عنه البيهقي.

(٢) انظر: «تفسير ابن كثير» (١١/ ٣٢٤).

(٣) «جامع البيان» (١٩/ ٣٧٥).

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم كما في «تفسير ابن كثير» (١١/ ٣٢٥)، والطبراني (ج١٨ رقم (١٤٩١)) واللفظ له. قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ٩٦): فيه سلامة بن روح وثقه ابن حبان وضعفه جماعة، وبقية رجاله ثقات.

(٥) في «تفسيره» (١١/ ٣٢٥).

ويؤيدها ما أخرجه الطبراني، وابنُ مردويه، والبيهقي في «البعث» عن أسامة بن زيد[١]، ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ﴾ الآية قال: قال رسول الله ﷺ: «كلهم من هذه الأمة، وكلُّهم في الجنة».

وما أخرجه الطيالسي، وعبد بن حميد، وابن أبي حاتم، والطبراني في الأوسط، والحاكم، وابن مردويه عن عقبة بن صهبان[٢] قال: قلت لعائشة: أرأيت قول الله: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ﴾ الآية؟ قالت: أما السابق: فمن مضى في حياة رسول الله ﷺ، فشهد له بالجنة، وأما المقتصد: فمن تبع آثارهم فعمل بمثل عملهم حتى لحق بهم. وأما الظالم لنفسه: فمثلي ومثلك ومن اتبعنا وكلٌّ في الجنة.

وأخرج ابن جرير عن ابن مسعود[٣] قال: هذه الأمة ثلاثةُ أثلاث يوم القيامة: ثلث يدخلون الجنة بغير حساب، وثلث يحاسبون حساباً يسيراً، وثلث يجيئون بذنوب عظام إلّا أنَّهم لم يشركوا، فيقول الربّ: أدخلوا هؤلاء في سعة رحمتي، ثم قرأ: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ﴾ الآية.

وأخرج سعيد بن منصور، وابن أبي شيبة، وابن المنذر، والبيهقي في «البعث» عن عمر بن الخطاب[٤]: أنّه كان إذا نزع بهذه الآية: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ﴾ قال: ألا إن سابقنا سابق، ومقتصدنا ناجٍ، وظالمنا مغفور له.

وأخرجه العقيلي، وابن مردويه، والبيهقي في «البعث» من وجه آخر عنه[٥] مرفوعاً.

---

(١) أخرجه الطبراني رقم (٤١٠)، والبيهقي في «البعث» رقم (٦٣، ٦٤) وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ٩٦): فيه محمد بن عبد الرحمٰن بن أبي ليلى وهو سيئ الحفظ.

(٢) أخرجه الطيالسي رقم (١٥٩٢)، والطبراني رقم (٦٠٩٤)، والحاكم (٢/ ٤٢٦) قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ٩٦ ـ ٩٧) رواه الطبراني، وفيه الصلت بن دينار وهو متروك. وصححه الحاكم وتعقبه الذهبي بقوله: قلت: فيه الصلت بن عبد الرحمٰن قال النسائي: ليس بثقة وقال أحمد: ليس بالقوي.

(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٩/ ٣٦٨) بسند ضعيف لضعف ابن حميد وهو محمد بن حميد الرازي.

(٤) أخرجه سعيد بن منصور في «سننه» رقم (٢٣٠٨)، والبيهقي في «البعث» رقم (٦٦).

(٥) أخرجه العقيلي في «الضعفاء الكبير» (٣/ ٤٤٣)، وابن مردويه كما في تخريج أحاديث الكشاف (٣/ ٢٥٣)، والبيهقي في «البعث» رقم (٦٥). وهو حديث ضعيف. «السلسلة الضعيفة» رقم (٣٦٧٨).

وأخرجه ابن النجار[١] من حديث أنس مرفوعاً.

وأخرج الطبراني عن ابن عباس[٢] قال: السابق بالخيرات يدخل الجنة بغير حساب، والمقتصد يدخل الجنة برحمة الله، والظالم لنفسه وأصحاب الأعراف يدخلون الجنة بشفاعة محمد ﷺ.

وأخرج سعيد بن منصور، وابن أبي شيبة، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه عن عثمان بن عفان[٣]: أنه نزع بهذه الآية، ثم قال: ألا إن سابقنا أهل جهادنا، ألا وإن مقتصدنا أهل حضرنا، ألا وإن ظالمنا أهل بدونا.

وأخرج سعيد بن منصور، والبيهقي في «البعث» عن البراء بن عازب[٤] في قوله: ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ﴾ الآية قال: أشهد على الله أنه يدخلهم جميعاً الجنة.

وأخرج الفريابي، وابن جرير، وابن مردويه عنه[٥] قال: قرأ رسول الله ﷺ هذه الآية: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ قال: «كلُّهم ناجٍ، وهي هذه الأمة».

وأخرج الفريابي، وعبد بن حميد، عن ابن عباس[٦] في الآية قال: هي مثل التي في الواقعة ﴿أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ﴾، و﴿أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ﴾. ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ﴾: صنفان ناجيان، وصنف هالك.

وأخرج الفريابي، وسعيد بن منصور، وعبد بن حميد، وابن أبي حاتم، والبيهقي عنه[٧] في قوله: ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ﴾ قال: هو الكافر، والمقتصد: أصحاب اليمين.

---

(١) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٢٥).

(٢) أخرجه الطبراني رقم (١١٤٥٤) بسند موضوع.
قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٣٧٨): «رواه الطبراني في «الكبير» و«الأوسط» باختصار، وفيه موسى بن عبد الرحمٰن الصنعاني وهو وضّاع».

(٣) أخرجه سعيد بن منصور في «سننه» رقم (٢٣٠٨)، وابن أبي حاتم كما في «تفسير ابن كثير» (١١/ ٣٢٦) بسند معضل.

(٤) أخرجه البيهقي في «البعث» رقم (٦٧).

(٥) عزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٢٥) إلى الفريابي وابن مردويه.

(٦) عزاه إليهما السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٢٦).

(٧) أخرجه البيهقي في «البعث» رقم (٧٤) مقتصراً عن الشطر الأول.

وهذا المرويّ عنه ـ رضي الله عنه ـ لا يطابق ما هو الظاهر من النظم القرآني ولا يوافق ما قدّمنا مِنْ الروايات عن رسول الله ﷺ وعن جماعة من الصحابة.

وأخرج ابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر عن عبد الله بن الحارث[١]: أن ابن عباس سأل كعباً عن هذه الآية، فقال: نجوا كلهم، ثم قال: تحاكّتْ مناكبُهم، وربِّ الكعبة، ثم أُعطوا الفضل بأعمالهم.

وقد قدّمنا عن ابن عباس ما يفيد أن الظالم لنفسه من الناجين، فتعارضت الأقوال عنه.

وأخرج الترمذي، والحاكم وصححه، والبيهقي في «البعث» عن أبي سعيد الخدري[٢]: أن النبي ﷺ تلا قول الله: ﴿جَنَّتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا﴾، فقال: «إن عليهم التيجان، إن أدنى لؤلؤة منها لتضيء ما بين المشرق والمغرب» [٣/٤٢٥].

وأخرج عبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن ابن عباس[٣] في قوله: ﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ الآية قال: هم قوم في الدنيا يخافون الله، ويجتهدون له في العبادة سرّاً، وعلانية، وفي قلوبهم حُزنٌ من ذنوب قد سلفت منهم، فهم خائفون أن لا يتقبل منهم هذا الاجتهاد من الذنوب التي سلفت، فعندها ﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾ غفر لنا العظيم وشكر لنا القليل من أعمالنا.

وأخرج عبد بن حميد، وابن جرير، وابن أبي حاتم، والحاكم وصححه عنه[٤] في الآية قال: حزن النار.

---

(١) عزاه إليهم السيوطي في «الدر المنثور» (٧/٢٦ ـ ٢٧).
وأخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٩/٣٦٩، ٣٧٠)، وعبد الرزاق في «تفسيره» (٢/١٣٦) بسند ضعيف.

(٢) أخرجه الترمذي رقم (٢٥٦٢)، والحاكم (١/٤٢٦، ٤٢٧)، والبيهقي في «البعث» (٣٣٠) وهو حديث ضعيف.

(٣) عزاه إليهم السيوطي في «الدر المنثور» (٧/٢٨).

(٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٩/٣٧٧)، والحاكم (٢/٤٢٧) من طريق عمرو بن مالك، عن أبي الجوزاء، عن ابن عباس.

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُواْ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَاۚ
كَذَٰلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ ﴿٣٦﴾ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِي
كُنَّا نَعْمَلُۚ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُۖ فَذُوقُواْ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن
نَّصِيرٍ ﴿٣٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ عَٰلِمُ غَيْبِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٣٨﴾ هُوَ
ٱلَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِي ٱلْأَرْضِۚ فَمَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥۖ وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًاۖ
وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا ﴿٣٩﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ شُرَكَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِي مَاذَا
خَلَقُواْ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَتٍ مِّنْهُۚ بَلْ إِن يَعِدُ
ٱلظَّٰلِمُونَ بَعْضُهُم بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا ﴿٤٠﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَاۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ
أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤١﴾ وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَهُمْ
نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى ٱلْأُمَمِۖ فَلَمَّا جَآءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤٢﴾ ٱسْتِكْبَارًا فِي ٱلْأَرْضِ
وَمَكْرَ ٱلسَّيِّئِۚ وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦۚ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ
ٱللَّهِ تَبْدِيلًاۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا ﴿٤٣﴾ أَوَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن
قَبْلِهِمْ وَكَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةًۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَيْءٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِۚ إِنَّهُۥ
كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴿٤٤﴾ وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُواْ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ
وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّىۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرًا ﴿٤٥﴾﴾.

ثم لمّا فرغ سبحانه من ذكر جزاء عباده الصالحين، ذكر جزاء عباده الطالحين، فقال: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُواْ﴾؛ أي: لا يقضي عليهم بالموت فيموتوا ويستريحوا من العذاب[1] ﴿وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَاۚ﴾؛ بل ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَۗ﴾ [النساء: ٥٦] وهذه الآية هي مثل قوله سبحانه: ﴿لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ﴾ [طه: ٧٤ والأعلى: ١٣] قرأ الجمهور: «فيموتوا» بالنصب جواباً للنفي[2]، وقرأ عيسى بن عمر، والحسن بإثبات[3] النون؛

---

(١) «روح المعاني» (٢٢/ ٢٤٠ ـ ٢٤١)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٧/ ٣٨٧ ـ ٣٨٨).
(٢) «البحر المحيط» (٩/ ٣٥)، و«التبيان» (٢/ ١٠٧٦)، و«روح المعاني» (٢٢/ ٢٤١).
(٣) «المحتسب» (٢/ ٢٠١)، و«البحر المحيط» (٩/ ٣٥)، و«حاشية الشهاب» (٧/ ٢٢٨). القراءة بإثبات النون شاذة.

قال المازني[١]: على العطف على يقضى.

وقال ابن عطية[٢]: هي قراءة ضعيفة، ولا وجه لهذا التضعيف بل هي كقوله: ﴿وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ﴾ [المرسلات: ٣٦] ﴿كَذَٰلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ﴾؛ أي: مثل ذلك الجزاء الفظيع نجزي كلَّ مَنْ هو مبالغ في الكفر، وقرأ أبو عمرو[٣] «يُجْزَي» على البناء للمفعول ﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا﴾ من الصراخ، وهو: الصياح؛ أي: وهم يستغيثون في النار رافعين أصواتهم، والصارخ: المستغيث، ومنه قول الشاعر[٤]:

كُنَّا إذا ما أتانا صارخٌ فَزِعٌ ... كان الصُّراخ له قَرْعَ الظَّنابيبِ[٥]

﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾؛ أي: وهم فيها يصطرخون يقولون: ربنا إلخ.

قال مقاتل[٦]: هو: أنّهم ينادون: ربنا أخرجنا نعمل صالحاً غير الذي كنا نعمل من الشرك والمعاصي، فنجعل الإيمان منّا بدل ما كنا عليه من الكفر، والطاعة بدل المعصية، وانتصاب «صالحاً» على أنَّه صفة لمصدر محذوف[٧]؛ أي: عَملاً صالحاً، أو صفة لموصوف محذوف؛ أي: نعمل شيئاً صالحاً.

قيل: وزيادة قوله: ﴿غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾ للتحسّر على ما عملوه من غير الأعمال الصالحة مع الاعتراف منهم بأنَّ أعمالهم في الدنيا كانت غير صالحة، فأجاب الله سبحانه عليهم بقوله: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ﴾؟ والاستفهام للتقريع[٨] والتوبيخ، والواو للعطف على مقدّر كما في نظائره، و«ما» نكرة موصوفة؛ أي: أو لم نعمّركم عُمْراً يتمكن مَنْ التذكر فيه مَنْ تذكر؟ فقيل: هو ستون سنة، وقيل: أربعون، وقيل: ثماني عشرة سنة[٩].

---

(١) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (٣/ ٣٧٤). (٢) في «المحرر الوجيز» (١٣/ ١٧٨).
(٣) «النشر» (٢/ ٣٥٢)، و«التيسير» (ص١٨٢)، و«البحر المحيط» (٩/ ٣٦).
(٤) هو سلامة بن جندل. انظر: «ديوانه» (ص١٢٥).
(٥) ظنوب لهذا الأمر ظنبوبه: أي: جدَّ فيه.
(٦) ذكره الواحدي في «الوسيط» (٣/ ٥٠٦).
(٧) «التبيان» (٢/ ١٠٧٦)، و«الفريد» (٤/ ٩٣)، و«روح المعاني» (٢٢/ ٢٤٢).
(٨) «روح المعاني» (٢٢/ ٢٤٣)، و«تفسير أبي السعود» (٥/ ٤٧٩)، و«البحر المحيط» (٩/ ٣٦).
(٩) سيأتي تخريج هذه الأقوال.

قال بالأوّل: جماعة من الصحابة، وبالثاني: الحسن، ومسروق، وغيرهما. وبالثالث: عطاء وقتادة.

وقرأ الأعمش[١]: «ما يذّكر» بالإدغام.

﴿وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ﴾ قال الواحدي[٢]: قال جمهور المفسرين: هو النبي ﷺ. وقال عكرمة، وسفيان بن عيينة، ووكيع، والحسن بن الفضل، والفرّاء[٣]، وابن جرير[٤]: هو: الشيب، ويكون معناه على هذا القول: أو لم نعمّركم حتى شبتم، وقيل: هو القرآن، وقيل: الحُمّى.

قال الأزهري[٥]: معناه: أن الحُمّى رسول الموت؛ أي: كأنها تشعر بقدومه، وتنذر بمجيئه، والشيب نذير أيضاً؛ لأنه يأتي في سنّ الاكتهال، وهو علامة لمفارقة سنّ الصِّبا الذي هو سنّ اللهو واللعب، وقيل: هو موت الأهل، والأقارب، وقيل: هو كمال العقل، وقيل: البلوغ.

﴿فَذُوقُواْ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾؛ أي: فذوقوا عذاب جهنم؛ لأنكم لم تعتبروا، ولم تتعظوا، فما لكم ناصر يمنعكم من عذاب الله، ويحول بينكم وبينه. قال مقاتل، فذوقوا العذاب، فما للمشركين من مانع يمنعهم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَٰلِمُ غَيْبِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ قرأ الجمهور[٦] بإضافة عالم إلى غيب، وقرأ جناح بن حبيش[٧] بالتنوين، ونصب غيب.

والمعنى: أنَّه عالم بكل شيء، ومِنْ ذلك أعمال لا تخفى عليه منها خافية، فلو ردّكم إلى الدنيا لم تعملوا صالحاً كما قال سبحانه: ﴿وَلَوْ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنْهُ﴾ [الأنعام: ٢٨] ﴿إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ تعليل لما قبله؛ لأنه إذا علم مضمرات الصدور، وهي أخفى مِنْ كل شيء عَلِمَ ما فوقها بالأولى، وقيل: هذه الجملة مفسرة

---

(١) «البحر المحيط» (٩/ ٣٦)، و«روح المعاني» (٢٢/ ٢٤٤). وهي قراءة شاذة.

(٢) في «الوسيط» (٣/ ٥٠٧).

(٣) في «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٣٧٠).

(٤) في «جامع البيان» (١٩/ ٣٨٧).

(٥) في «تهذيب اللغة» (١٤/ ١٦٣).

(٦) «البحر المحيط» (٩/ ٣٧)، و«روح المعاني» (٢٢/ ٢٤٥).

(٧) «القراءات الشاذة» (ص١٢٤)، و«البحر المحيط» (٩/ ٣٧). وقراءة التنوين والنصب شاذة.

للجملة الأولى ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾؛ أي: جعلكم أمة خالفة لمن قبلها.

قال قتادة[١]: خلفاً بعد خلف، وقرناً بعد قرن، والخلف: هو التالي للمتقدّم، وقيل: جعلكم خلفاءه في أرضه ﴿فَمَن كَفَرَ﴾ منكم هذه النعمة ﴿فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ﴾؛ أي: عليه ضررُ كفره لا يتعدّاه إلى غيره ﴿وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا﴾؛ أي: غضباً، وبغضاً ﴿وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا﴾؛ أي: نقصاً وهلاكاً، والمعنى: أن الكفر لا ينفع عند الله حيثُ لا يزيدهم إلّا المقت، ولا ينفعهم في أنفسهم حيث لا يزيدهم إلّا الخسار. ثم أمره سبحانه أن يوبخهم، ويبكتهم، فقال: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ شُرَكَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾؟ أي: أخبروني عن الشركاء الذين اتخذتموهم آلهة، وعبدتموهم من دون الله.

وجملة: ﴿أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ﴾ بدل اشتمال[٢] من أرأيتم؟ والمعنى: أخبروني عَنْ شركائكم أروني أيّ شيء خلقوا مِن الأرض؟ وقيل: إن الفعلان، وهما «أرأيتم، وأروني» من باب التنازع[٣]. وقد أعمل الثاني على ما هو اختيار البصريين[٢] ﴿أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾؛ أي: أم لهم شركة مع الله في خلقها أو ملكها أو التصرف فيها حتى يستحقوا بذلك الشركة في الإلٰهية؟ ﴿أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا﴾؛ أي: أم أنزلنا عليهم كتاباً بالشركة؟ ﴿فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَتٍ مِّنْهُ﴾؛ أي: على حجة ظاهرة واضحة من ذلك الكتاب.

قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وحمزة، وحفص عن عاصم: «بينة» بالتوحيد[٤]، وقرأ الباقون بالجمع[٥].

قال مقاتل[٦] يقول: هل أعطينا كفار مكة كتاباً، فهم على بيان منه بأن مع الله شريكاً؟

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٩/ ٣٨٨ ـ ٣٨٩)، من طريق سعيد بن أبي عروبة، به بسند صحيح، وعبد الرزاق في «تفسيره» (٢/ ١٣٧) بسند صحيح من طريق معمر عن قتادة.

(٢) «البحر المحيط» (٩/ ٣٨)، و«روح المعاني» (٢٢/ ٢٤٧)، و«الكشاف» (٥/ ١٦١).

(٣) «البحر المحيط» (٩/ ٣٨)، و«روح المعاني» (٢٢/ ٢٤٨).

(٤) «البحر المحيط» (٩/ ٣٩)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (٢/ ٢١١)، و«زاد المسير» (٦/ ٤٩٦)، و«التيسير» (ص١٨٢)، و«النشر» (٢/ ٣٥٢)، و«إعراب القرآن» للنحاس (٣/ ٣٧٦).

(٥) انظر: المصادر المتقدمة.

(٦) ذكره الواحدي في «الوسيط» (٣/ ٥٠٧).

ثم أضرب سبحانه عن هذا إلى غيره، فقال: ﴿بَلْ إِن يَعِدُ ٱلظَّـٰلِمُونَ بَعْضُهُم بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا﴾؛ أي: ما يعد الظالمون بعضُهم بعضاً كما يفعله الرّؤساء، والقادة من المواعيد لأتباعهم إلّا غروراً يغرونهم به، ويزيّنونه لهم، وهو الأباطيل التي تغرّ، ولا حقيقة لها، وذلك قولهم: إن هذه الآلهة تنفعهم، وتقرّبهم إلى الله، وتشفع لهم عنده.

وقيل(١): إن الشياطين تعد المشركين بذلك.

وقيل(٢): المراد بالوعد الذي يعد بعضهم بعضاً هو: أنّهم يُنصرون على المسلمين ويغلبونهم.

وجملة: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا﴾ مستأنفة لبيان قدرة الله سبحانه، وبديع صنُعه بعد بيان ضعف الأصنام وعدم قدرتها على شيء.

وقيل: المعنى: إن شركهم يقتضي زوال السمٰاوات والأرض كقوله: ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَـٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ۝٩٠ أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَـٰنِ وَلَدًا﴾ [مريم: ٩٠ ـ ٩١].

﴿وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ﴾؛ أي: ما أمسكهما من أحد من بعد إمساكه أو من بعد زوالهما.

والجملة سادّة(٣) مسدّ جواب القسم والشرط، ومعنى ﴿أَن تَزُولَا﴾: لئلا تزولا أو كراهة أن تزولا.

قال الزجاج(٤): المعنى: أن الله يمنع السمٰاوات والأرض من أن تزولا، فلا حاجة إلى التقدير.

قال الفرّاء(٥): أي: ولو زالتا ما أمسكهما من أحد، قال: وهو مثل قوله: ﴿وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَّظَلُّوا۟ مِنۢ بَعْدِهِۦ يَكْفُرُونَ﴾ [الروم: ٥١] وقيل: المراد: زوالهما يوم القيامة.

---

(١) «الجامع لأحكام القرآن» (١٧/ ٣٩٤)، و«روح المعاني» (٢٢/ ٢٥٠).
(٢) «النكت والعيون» (٤/٤٧٨).
(٣) «روح المعاني» (٢٢/ ٢٥١)، و«البحر المحيط» (٩/ ٣٩).
(٤) في «معاني القرآن وإعرابه» (٤/ ٢٧٣ ـ ٢٧٤).
(٥) في «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٣٧٠).

وجملة: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ تعليل لما قبلها من إمساكه تعالى للسماوات، والأرض ﴿وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ لَئِن جَآءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى ٱلْأُمَمِ﴾ المراد: قريش، أقسموا قبل أن يبعث الله محمّداً ﷺ بهذا القسم حين بلغهم أن أهل الكتاب كذبوا رسلهم، ومعنى: ﴿مِنْ إِحْدَى ٱلْأُمَمِ﴾؛ يعني: المكذبة للرسل، والنذير: النبيّ، والهدى: الاستقامة، وكانت العرب[١] تتمنى: أن يكون منهم رسول كما كان الرسل في بني إسرائيل ﴿فَلَمَّا جَآءَهُمْ﴾ ما تمنوه، وهو: رسول الله ﷺ الذي هو أشرف ﴿نَذِيرٌ﴾، وأكرم مرسل، وكان من أنفسهم ﴿مَّا زَادَهُمْ﴾ مجيئه ﴿إِلَّا نُفُورًا﴾ منهم عنه، وتباعداً عن إجابته ﴿ٱسْتِكْبَارًا فِى ٱلْأَرْضِ﴾؛ أي: لأجل الاستكبار والعتوّ ﴿و﴾لأجل ﴿مَكْرَ السَّيِّىءِ﴾؛ أي: مكر العمل السيئ، أو مكروا المكر السيئ، والمكر هو: الحيلةُ والخداعُ والعمل القبيح، وأضيف إلى صفته كقوله: مسجد الجامع وصلاة الأولى، وأُنثْ إحدى لكون أمة مؤنثة كما قال الأخفش[٢].

وقيل: المعنى: من إحدى الأمم على العموم، وقيل: من الأمة التي يقال لها: إحدى الأمم تفضيلاً لها.

قرأ الجمهور: «ومكر السيئِ» بخفض[٣] همزة السيئ، وقرأ الأعمش، وحمزة بسكونها[٤] وصلاً.

وقد غلّط كثير من النحاة هذه القراءة، ونزهوا الأعمش على جلالته أن يقرأ بها، قالوا: وإنما كان يقف بالسكون، فغلط من روي عنه: أنه كان يقرأ بالسكون وصلاً، وتوجيه هذه القراءة مُمْكن، بأن من قرأ بها أجرى الوصل مجرى الوقف[٥] كما في قول الشاعر:

---

(١) «الجامع لأحكام القرآن» (١٧/ ٣٩٦). (٢) في «معاني القرآن» للأخفش (٢/ ٦٦٦).

(٣) «النشر» (٢/ ٥٩ ـ ٦٠)، و«البدور الزاهرة» (ص٢٦٢)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (٢/ ٢١٢).

(٤) «التيسير» (ص١٨٢ ـ ١٨٣)، و«التبيان» (٢/ ١٠٧٧)، و«النشر» (٢/ ٣٥٢)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٧/ ٣٩٦).

(٥) وإمَّا أن يكون بسبب توالي الحركات.
قال الزجاج: «وهذا عند النحويين الحذّاق لحن، ولا يجوز، وإنما يجوز مثله في الشعر في الاضطرار». «معاني القرآن» للزجاج (٤/ ٢٧٥).
وقال النحاس في «إعراب القرآن» (٣/ ٣٧٧): «وإنَّما صار لحناً لأنه حذف الإعراب منه».

فاليومَ أشربْ غيرَ مُستحقبٍ إثْماً من اللَّهِ ولا وَاغِلِ(١)

بسكون [٣/٤٢٦] الباء من أشرب، ومثله قراءة من قرأ: ﴿وَمَا يُشْعِرُكُمْ﴾ [الأنعام: ١٠٩] بسكون الراء، ومثل ذلك قراءة أبي عمرو ﴿إِلَىٰ بَارِئِكُمْ﴾ [البقرة: ٥٤] بسكون الهمزة، وغير ذلك كثير.

قال أبو علي الفارسي(٢): هذا على إجراء الوصل مجرى الوقف، وقرأ ابن مسعود(٣): «ومكراً سيئاً» ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾؛ أي: لا تنزل عاقبة السوء إلّا بمن أساء.

قال الكلبي(٤): يحيق بمعنى: يَحيط، والحوق: الإحاطة، يقال: حاق به كذا: إذا أحاط به، وهذا هو الظاهر مِنْ معنى يحيق في لغة العرب، ولكن قطرب فسره هنا بينزل، وأنشد:

وَقدْ رفعُوا المنيَّة فاستقلَّتْ ذِراعاً بَعْدَ ما كانتْ تَحيقُ(٥)

أي: تنزل. ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ﴾؛ أي: فهل ينتظرون إلّا سنة الأوّلين؛ أي: سُنَّة الله فيهم بأن ينزل بهؤلاء العذاب كما نزل بأولئك ﴿فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا﴾؛ أي: لا يقدر أحد أن يبدلّ سُنّة الله التي سنّها بالأمم المكذبة من إنزال عذابه بهم بأنْ يضع موضعه غيره بدلاً عنه ﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا﴾ بأن يحوّل ما جرت به سنّة الله من العذاب، فيدفعه عنهم، ويضعه على غيرهم، ونفي وجدان التبديل والتحويل عبارة عن نفي وجودهما.

﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ هذه الجملة مسوقة لتقرير معنى ما قبلها وتأكيده؛ أي: ألم يسيروا في الأرض، فينظروا ما أنزلنا بعاد وثمود ومدين وأمثالهم من العذاب لما كذبوا الرسل؟ فإن ذلك هو من سنّة الله(٦) في المكذبين التي لا تبدّل، ولا تُحوّل، وآثار عذابهم وما أنزل الله بهم موجودة في

---

(١) انظر: «ديوان امرئ القيس» (ص١٢٢). (٢) في «الحجة» للقرّاء السبعة (٦/ ٣١).

(٣) «المحتسب» (٢/ ٢٠٢)، و«البحر المحيط» (٩/ ٤١). وهي قراءة شاذة مخالفة للرسم.

(٤) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ٤٧٩).

(٥) للمفضَّل النُّكري.
«الأصمعيات» (ص٢٠٠)، و«المعاني الكبير» (٢/ ٩٤٥).

(٦) «الجامع لأحكام القرآن» (١٧/ ٤٠٠ ـ ٤٠١)، و«جامع البيان» (١٩/ ٣٩٥).

مساكنهم ظاهرة في منازلهم ﴿وَ﴾ الحال أن أولئك ﴿كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ وأطول أعماراً وأكثر أموالاً وأقوى أبداناً ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِن شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾؛ أي: ما كان ليسبقه ويفوته مِنْ شيء من الأشياء كائناً ما كان فيهما ﴿إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾؛ أي: كثير العلم، وكثير القدرة لا يخفى عليه شيء ولا يصعب عليه أمر ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا﴾ من الذنوب وعملوا من الخطايا ﴿مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا﴾؛ أي: الأرض ﴿مِن دَابَّةٍ﴾ من الدوابّ التي تدبّ كائنة ما كانت، أما بنو آدم فللذنوبهم وأمَّا غيرهم فلشؤم معاصي بني آدم.

وقيل: المراد: ما ترك على ظهر الأرض مِنْ دابة تدبّ من بني آدم والجنّ، وقد قال بالأوّل ابن مسعود[١] وقتادة[٢]، وقال بالثاني الكلبي[٣].

وقال ابن جريج[٤]، والأخفش[٥]، والحسين بن الفضل[٦]: أراد بالدابة هنا: النّاس وحدَهم دون غيرهم ﴿وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾، وهو: يوم القيامة ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا﴾؛ أي: بمن يستحق منهم الثواب ومَنْ يستحق منهم العقاب، والعامل في «إذا» هو «جاء» لا بصيراً، وفي هذا تسلية للمؤمنين ووعيد للكافرين.

وقد أخرج عبد الرزاق، والفريابي، وسعيد بن منصور، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وأبو الشيخ، والحاكم وصححه، وابن مردويه، والبيهقي في السنن عن ابن عباس[٧] في قوله: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ﴾ قال: ستين سنة.

---

(١) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ٤٧٩)

(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٩/ ٣٩٧) من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة. وسنده صحيح.
وأخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢/ ١٣٧) من طريق معمر عن قتادة وسنده صحيح.

(٣) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ٤٧٩).

(٤) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ٤٧٩).

(٥) في «معاني القرآن» للأخفش (٢/ ٦٦٦).

(٦) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٧/ ٤٠١).

(٧) أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢/ ١٣٨)، وابن جرير في «جامع البيان» (١٩/ ٣٨٤، ٣٨٥)، والحاكم (٢/ ٣٢٧)، والبيهقي (٣/ ٣٧٠) بسند صحيح.

وأخرج الحكيم الترمذي في «نوادر الأصول»، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والطبراني، وابن مردويه، والبيهقي في «الشعب» عنه[١]: أن النبي ﷺ قال: «إذا كان يوم القيامة قيل: أين أبناء الستين»؟ وهو العمر الذي قال الله: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ﴾ وفي إسناده إبراهيم بن الفضل المخزومي وفيه مقال.

وأخرج أحمد، وعبد بن حميد، والبخاري، والنسائي، والبزار، وابن جرير، وابن أبي حاتم، والحاكم، وابن مردويه، والبيهقي عن أبي هريرة[٢] قال: قال رسول الله ﷺ: «أعذر الله إلى امرئٍ أخّر عُمره حتى بلغ ستين سنة».

وأخرج عبد بن حميد، والطبراني، والحاكم، وابن مردويه عن سهل بن سعد[٣] مرفوعاً نحوه.

وأخرج ابن جرير، عن عليّ بن أبي طالب[٤] قال: العمر الذي عيرهم الله به ستون سنة.

وأخرج الترمذي، وابن ماجه، والحاكم، وابن المنذر، والبيهقي عن أبي هريرة[٥] قال: قال رسول الله ﷺ: «أعمار أمتي ما بين الستين إلى السبعين، وأقلهم من يجوز ذلك».

---

(١) أخرجه الحكيم الترمذي في «نوادر الأصول» (٢/١٥٦)، وابن جرير في «جامع البيان» (١٩/ ٣٨٥)، والرامهرمزي (ص٦٣ ـ ٦٤)، وابن أبي حاتم كما في «تفسير ابن كثير» (١١/ ٣٣٢ ـ ٣٣٣)، والطبراني في «الكبير» رقم (١١٤١٥) وفي «الأوسط» رقم (٩١٣٨)، والبيهقي في «الشعب» رقم (١٠٢٥٤) وهو حوشب ضعيف جدّاً، «السلسلة الضعيفة» رقم (٢٥٨٤).

(٢) أخرجه أحمد في «مسنده» رقم (٧٧١٣، ٩٣٩٤)، والبخاري رقم (٦٤١٩)، والنسائي كما في «تحفة الأشراف» رقم (١٢٩٥٩)، والبزار كما في «تفسير ابن كثير» (١١/ ٣٣٣)، وابن جرير في «جامع البيان» (١٩/٣٨٦)، وابن أبي حاتم كما في «تفسير ابن كثير» (١١/ ٣٣٣)، والحاكم (٢/٤٢٧، ٤٢٨)، وابن مردويه كما في «فتح الباري» (١١/ ٢٣٩)، والبيهقي (٣/ ٣٧٠).

(٣) أخرجه الطبراني رقم (٥٩٣٣)، والروياني رقم (١٠٦٨)، والحاكم (٢/٤٢٨)، وابن مردويه كما في «فتح الباري» (١١/ ٢٣٩) وهو حديث صحيح.

(٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٩/٣٨٦) بسند ضعيف جدّاً. فيه الأصبغ بن نباتة: متروك.

(٥) أخرجه الترمذي رقم (٢٣٣١، ٣٥٥٠)، وابن ماجه رقم (٤٢٣٦)، والحاكم (٢/٤٢٧)، والبيهقي (٣/ ٣٧٠) وهو حديث حسن.

قال الترمذي بعد إخراجه: حسن غريب لا نعرفه إلّا من هذا الوجه، ثم أخرجه في موضع آخر من كتاب «الزهد»، وقال: هذا حديث حسن غريب من حديث أبي صالح عن أبي هريرة، وقد روي من غير وجه عنه.

وأخرج ابنُ جرير، وابن مردويه عن ابن عباس(١) في هذه الآية قال: هو: ستّ وأربعون سنة.

وأخرج ابنُ جرير(٢) عنه أيضاً قال: العمر الذي أعذر الله إلى ابن آدم فيه بقوله: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ﴾ أربعون سنة.

وأخرج أَبو يعلى، وابن جرير، وابن أبي حاتم، والدارقطني في «الأفراد»، وابن مردويه، والبيهقي في «الأسماء والصفات»، والخطيب في «تاريخه» عن أبي هريرة(٣) قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول على المنبر: «قال: وقع في نفس موسى هل ينام الله ﷻ؟ فأرسل الله إليه مَلَكاً فأرّقه ثلاثاً، وأعطاه قارورتين في كلّ يد قارورة، وأمره أن يحتفظ بهما فجعل ينام، وتكاد يداه تلتقيان، ثم يستيقظ، فيحبس إحداهما على الأخرى حتى نام نومة، فاصطفقت يداه وانكسرت القارورتان. قال: ضرب الله له مثلاً إنّ الله تبارك وتعالى لو كان ينام لم تستمسك السماء، والأرض» وأخرجه ابن أبي حاتم من طريق عبد الله بن سلام: أن موسى قال: يا جبريل هل ينام ربك؟ فذكر نحوه.

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٩/ ٣٨٤) بلفظ: (أربعون سنة)، وابن مردويه كما في «فتح الباري» (١١/ ٢٣٩) بسند صحيح.

(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٩/ ٣٨٤) بسند صحيح.

(٣) أخرجه أبو يعلى في «مسنده» رقم (٦٦٦٩)، وابن جرير في «جامع البيان» (٤/ ٥٣٤)، وابن أبي حاتم كما في «تفسير ابن كثير» (١١/ ٣٣٨)، والدارقطني كما في «الكافي الشافي» (ص٢٢)، وابن مردويه، كما في «تخريج الكشاف» (١/ ١٥٨)، و«الكاف الشاف» (ص٢٢)، والبيهقي رقم (٧٩)، والخطيب (١/ ٢٦٨)، وقال الذهبي: حديث منكر... ولا يسوغ أن يكون هذا وقع في نفس موسى. «الميزان» (١/ ٢٧٦). وقال ابن كثير في «تفسيره» (١١/ ٣٣٨): والظاهر أن هذا الحديث ليس بمرفوع بل من الإسرائيليات المنكرة فإن موسى عليه السلام أجلّ من أن يُجوّز على الله ﷻ النوم. وقد أخبر الله تعالى في كتابه العزيز بأنه ﴿ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ...﴾».

وأخرجه أبو الشيخ في «العظمة»، والبيهقي عن سعيد بن أبي بردة[١] عن أبيه: «أن موسى»، فذكر نحوه.

وأخرج الفريابي، وابن المنذر، والطبراني، والحاكم وصححه عن ابن مسعود[٢] قال: إنه كاد الجُعْل ليعذب في جحره بذنب ابن آدم، ثم قرأ ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم﴾ [النحل: ٦١] الآية.

❁ ❁ ❁

(١) أخرجه أبو الشيخ في «العظمة» رقم (١٢١) من طريق سعيد بن أبي بردة، عن أبيه عن أبي موسى.
والبيهقي في «الأسماء والصفات» رقم (٧٨) بسند حسن موقوف، ومنكر مرفوع.
وهذا الأثر من الإسرائيليات.

(٢) أخرجه الطبراني رقم (٩٠٤٠)، والحاكم (٢/٤٢٨).

سُورَةُ يسٓ

[سورة يس مكية]:

هي ثلاث وثمانون آية. وهي: مكية. قال القرطبي[١]: بالإجماع إلّا أن فرقة قالت: ﴿وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَٰرَهُمْ﴾ [يسٓ: ١٢] نزلت في بني سلمة من الأنصار حين أرادوا أن يتركوا ديارهم، وينتقلوا إلى جوار مسجد رسول الله ﷺ، وسيأتي بيان ذلك.

وأخرج ابن الضريس، والنحاس، وابن مردويه، والبيهقي في «الدلائل» عن ابن عباس[٢] قال: سورة يسٓ نزلت بمكة.

وأخرج ابن مردويه[٣] عن عائشة مثله.

[الكلام على روايات فضل يس]:

وأخرج الدارمي، والترمذي، ومحمد بن نصر، والبيهقي في «الشعب» عن أنس[٤] قال: قال رسول الله ﷺ: «إنّ لكلّ شيء قلباً، وقلب القرآن يسٓ، مَنْ قرأ يسٓ كتب الله له بقراءتها قراءة القرآن عشر مرّات»

قال الترمذي بعد إخراجه: هذا حديث غريب لا نعرفه إلّا من حديث حُميد بن عبد الرحمٰن، وفي إسناده هارون أَبو محمد، وهو: شيخ مجهول.

وفي الباب عن أبي بكر[٥] ولا يصح لضعف إسناده.

---

(١) في «تفسيره» (١٧/ ٤٠٣).

(٢) أخرجه ابن الضريس في «فضائل القرآن» رقم (١٧)، والنحاس في «ناسخه» (ص٦٣٧)، والبيهقي (٧/ ١٤٢ ـ ١٤٣).

(٣) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٤١).

(٤) أخرجه الدارمي في «السنن» (٢/ ٤٥٦)، والترمذي رقم (٢٨٨٧)، ومحمد بن نصر في «مختصر الليل» (ص٦٩)، والبيهقي في «الشعب» رقم (٢٤٦٠، ٢٤٦١) وهو حديث ضعيف، والله أعلم.

(٥) سيأتي نصه وتخريجه.

وأخرج البزار من حديث أبي هريرة[١] قال: قال رسول الله ﷺ: «إن لكل شيء قلباً، وقلب القرآن يسٓ»، ثم قال بعد إخراجه: لا نعلم رواه إلّا زيد عن حميد: يعني: زيد بن الحُباب عَنْ حُميد المكي مولى آل علقمة.

وأخرج الدارمي، وأبو يعلى، والطبراني في الأوسط، وابن مردويه، والبيهقي في «الشعب» عن أبي هريرة[٢]، عن النبي ﷺ: «من قرأ يسٓ في ليلة ابتغاء وجه الله غُفر له في تلك الليلة» قال ابن كثير: إسناده جيد.

وأخرج ابن حبّان، والضياء عن جندب بن عبد الله[٣] قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ قرأ يسٓ في ليلةٍ ابتغاء وجه الله غُفر له» وإسناده في صحيح ابن حبان هكذا: حدّثنا محمد بن إسحاق بن إبراهيم مولى ثقيف، حدثنا الوليد بن شجاع بن الوليد الكوبي، حدّثنا أبي، حدثنا زياد بن خيثمة، حدثنا محمد بن جحادة عن الحسن عن جُنْدب بن عبد الله قال: قام رسول الله ﷺ، فذكره.

وأخرج أحمد، وأبو داود، والنسائي، وابن ماجه، ومحمد بن نصر، وابن حبان، والطبراني، والحاكم، والبيهقي في «الشعب» عن معقل بن يسار[٤]: أن رسول الله ﷺ قال: «يسٓ قلب القرآن، لا يقرؤها عبد يريد اللهَ والدارَ الآخرة إلّا غُفر له ما تقدّم مِنْ ذنبه، فاقرءوها على موتاكم» وقد ذكر له أحمد إسنادين:

أحدهما: فيه مجهول، والآخر ذكر فيه عن أبي عثمان، وقال: وليس بالنهدي، عن أبيه، عن معقل.

---

(١) أخرجه البزار في «مسنده» رقم (٢٣٠٤ ـ كشف) وهو حديث ضعيف.

(٢) أخرجه الدارمي في «السنن» (٢/ ٤٥٧)، وأبو يعلى في «مسنده» رقم (٦٢٢٤)، والطبراني رقم (٣٥٠٩)، والبيهقي في «الشعب» رقم (٢٤٦٣، ٢٤٦٤) وهو حديث ضعيف. والله أعلم.

(٣) أخرجه ابن حبان في «صحيحه» رقم (٢٥٧٤) وهو حديث ضعيف.

(٤) أخرجه أحمد رقم (٢٠٣٠٠، ٢٠٣٠١، ٢٠٣١٤)، وأبو داود رقم (٣١٢١)، والنسائي رقم (١٠٩١٣، ١٠٩١٤)، وابن ماجه رقم (١٤٤٨)، ومحمد بن نصر في «مختصر قيام الليل» (ص٦٩)، وابن حبان رقم (٣٠٠٢)، والطبراني رقم (٥١١، ٥٤١)، والحاكم (١/ ٥٦٥)، والبيهقي رقم (٢٤٥٧) وهو حديث ضعيف.

قال ابن حجر: أبو بكر بن العربي عن الدارقطني أنه قال: هذا حديث ضعيف الإسناد، مجهول المتن، ولا يصح في هذا الباب حديث، «التلخيص الحبير» (٢/ ١٠٤).

وأخرج سعيد بن منصور، والبيهقي عن حسان بن عطية[١]: أن رسول الله ﷺ قال: «مَنْ قرأ يسٓ، فكأنما قرأ القرآن عشر مرّات».

وأخرج ابن الضريس، وابن مردويه، والخطيب، والبيهقي عن أبي بكر الصديق[٢] قال: قال رسول الله ﷺ: «سورة يس تدعى في التوراة: المُعمِّمة. تعمّ صاحبها بخير الدنيا والآخرة، تكابد عنه بلوى الدنيا والآخرة، وتدفع عنه أهاويل الآخرة، وتُدعى: الدافعة، والقاضية، تدفع عن صاحبها كل سوء، وتقضي له كل حاجة، مَنْ قرأها عدلت عشرين حجة، ومَنْ سمعها عدلت له ألف دينار في سبيل الله، ومَنْ كتبها، ثم شربها أدخلت جوفه ألف دواء، وألف نور، وألف يقين، وألف بركة، وألف رحمة، ونزعت عنه كلّ غلّ، وداء» قال البيهقي: تفرّد به عبد الرحمٰن بن أبي بكر الجدعاني عن سليمان بن رافع الجندي وهو منكر.

قلتُ: وهذا الحديث هو الذي تقدّمت الإشارة مِنْ الترمذي إلى ضعف إسناده، ولا يبعد أَنْ يكون موضوعاً، فهذه الألفاظ كلُّها منكرة بعيدة من كلام من أوتي جوامع الكلم، وقد ذكره الثعلبي[٣] من حديث عائشة، وذكره الخطيب[٤] من حديث أنس، وذكر نحوه الخطيب من حديث عليّ[٥] بأخصر منه.

وأخرج البزّار عن ابن عباس[٦] قال: قال النبي ﷺ في سورة يسٓ: «لوددتُ أنّها في قلب كلِّ إنسان مِنْ أمتي» وإسناده هكذا: قال: حدثنا سلمة بن شبيب، حدّثنا إبراهيم بن الحكم بن أبان، عن أبيه، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ، فذكره.

وأخرج الطبراني، وابن مردويه، قال السيوطي[٧]: بسند ضعيف، عن أنس[٨]

---

(١) أخرجه سعيد بن منصور رقم (٧٥ ـ تفسير)، والبيهقي في «الشعب» رقم (٢٤٥٩) وهو حديث ضعيف.
(٢) أخرجه ابن الضريس رقم (٢١٦)، والخطيب (٢/ ٣٨٧)، والبيهقي في «الشعب» رقم (٢٤٦٥).
(٣) في «تفسيره» (٨/ ١١٨).
(٤) أخرجه الخطيب في «تاريخه» (٢/ ٣٨٧) وقال: باطل.
(٥) أخرجه الخطيب في «تاريخه» (٦/ ٢٤٨) وأشار لضعفه.
(٦) أخرجه البزار في «مسنده» رقم (٢٣٠٥ ـ كشف) وأشار لضعفه.
(٧) في «الدر المنثور» (٧/ ٣٨).
(٨) أخرجه الطبراني في «الأوسط» رقم (٧٠١٨) وفي «الصغير» (٢/ ٨٨)، والخطيب (٣/ ٢٤٥). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ٩٧): فيه سعيد بن موسى الأزدي وهو كذّاب.

قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ داوم على قراءة يسٓ كلّ ليلة، ثم مات مات شهيداً» [٣/٤٢٧].

وأخرج الدارمي عن ابن عباس(١) قال: مَنْ قرأ يسٓ حين يصبح أعطي يسر يومه حتى يُمْسي، ومَنْ قرأها في صدر ليلته أُعطى يسر ليلته حتى يصبح.

﴿يسٓ ۝١ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ۝٢ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٣ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٤ تَنزِيلَ ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ۝٥ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ غَٰفِلُونَ ۝٦ لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٧ إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا فَهِىَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ ۝٨ وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ۝٩ وَسَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝١٠ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ وَخَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ۝١١ إِنَّا نَحْنُ نُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَٰرَهُمْ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ۝١٢﴾.

قوله: ﴿يسٓ﴾ قرأ الجمهور(٢) بسكون النون، وقرأ ابن كثير(٣) وأبو عمرو وحمزة وحفص وقالون وورش بإدغام النون في الواو الذي بعدها، وقرأ عيسى بن عمر بفتح النون(٤).

وقرأ ابن عباس(٤)، وابن أبي إسحاق، ونصر بن عاصم بكسرها(٥)، فالفتح على البناء، أو على أنه مفعول فعل مُقدّر تقديره: اتلُ يسٓ، والكسر على البناء أيضاً كجَيرِ، وقيل: الفتح، والكسر للفرار مِنْ التقاء الساكنين.

---

(١) أخرجه الدارمي في «سننه» (٢/٤٥٧).
(٢) «البحر المحيط» (٩/٤٨)، و«التيسير» (ص١٨٣)، و«روح المعاني» (٢٢/٢١١)، و«مشكل إعراب القرآن» (٢/٢٢٠). قرأ أبو عمرو وقنبل وحمزة وأبو جعفر بإسكان النون مظهرة دون ادغام مع الواو، وقرأ الكسائي وهشام ويعقوب وخلف بإسكانها مدغمةً في الواو وقرأ باقي العشرة بالوجهتين أما القراءة بفتح النون أو ضمها أوكسرها فشاذة. «النشر» (٢/١٧)، و«تخريج القراءات في فتح القدير» (ص٣١٨).
(٣) انظر: المصادر المتقدمة.
(٤) «القراءات الشاذة» (ص١٢٤)، و«المحتسب» (٢/٢٠٣)، و«البحر المحيط» (٩/٤٨).
(٥) «القراءات الشاذة» (ص١٢٤)، و«المحتسب» (٢/٢٠٣)، و«البحر المحيط» (٩/٤٨).

وأما وجه قراءة الجمهور بالسكون للنون، فلكونها مسرودة على نمط التعديد، فلا حظ لها من الإعراب.

وقرأ هارون الأعور، ومحمد بن السميفع، والكلبي بضم النون[1] على البناء كمنذُ وحيثُ، وقطُّ، وقيل: على أنها خبر مبتدأ محذوف؛ أي: هذه يسٓ، ومنعت من الصرف للعلمية والتأنيث.

واختلف في معنى هذه اللفظة، فقيل: معناها: يا رجل، أو يا إنسان.

قال ابن الأنباري[2]: الوقف على يسٓ حسن لمن قال: هو افتتاح للسورة، ومَنْ قال: معناه: يا رجل لم يقف عليه.

وقال سعيد بن جبير وغيره: هو اسم من أسماء محمد ﷺ دليله: ﴿إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾، ومنه قول السيد الحميري[3]:

يا نفسُ لا تَمْحَضي بالنُّصحِ جاهدةً　　على المَودّة إلّا آلَ ياسين

ومنه قوله: ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلْ يَاسِينَ﴾ [الصافات: ١٣٠]؛ أي: على آل محمد، وسيأتي في الصافات ما المراد بآل ياسين.

قال الواحدي[4]: قال ابن عباس، والمفسِّرون: يريد يا إنسان؛ يعني: محمداً ﷺ. وقال أبو بكر الورّاق[5]: معناه: يا سيد البشر.

وقال مالك[6]: هو: اسم من أسماء الله تعالى، روى ذلك عنه أشهب. وحكى أبو عبد الرحمٰن[7] السلمي عن جعفر الصادق: أن معناه: يا سيد. وقال كعب[8]: هو: قسم أقسم الله به، ورجح الزجاج[9] أن معناه: يا محمد.

---

(١) في «إيضاح الوقف والابتداء» (٢/ ٨٥٢). (٢) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٧/ ٤٠٨).

(٣) وهو: إسماعيل بن محمد بن يزيد، أبو هاشم من فحول الشعراء (ت: ١٧٣هـ)، و«سير أعلام النبلاء» (٨/ ٤٤).

(٤) في «الوسيط» (٣/ ٥٠٩).

(٥) ذكره البغوي في «معالم التنزيل» (٧/ ٧).

(٦) ذكره ابن العربي في «أحكام القرآن» (٤/ ١٥٩٦).

(٧) ذكره القاضي عياض في «الشفا» (١/ ٤٤٩)

(٨) عزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٤٢) إلى ابن مردويه.

(٩) في «معاني القرآن وإعرابه» (٤/ ٢٧٧ ـ ٢٧٨).

واختلفوا هل هو عربيّ[(١)] أو غير عربيّ؟.

فقال سعيد بن جبير، وعكرمة: حبشي.

وقال الكلبي: سرياني تكلمت به العرب، فصار من لغتهم.

وقال الشعبي: هو بلغة طيّ.

وقال الحسن: هو بلغة كلب. وقد تقدم في طه، وفي مفتتح سورة البقرة ما يُغْني عَنْ التطويل ها هنا ﴿وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ﴾ بالجرّ على أنّه مقسم به ابتداء. وقيل: هو معطوف على يسٓ على تقدير كونه مجروراً بإضمار القسم[(٢)].

قال النقاش[(٣)]: لم يقسم الله لأحدٍ مِنْ أنبيائه بالرسالة في كتابه إلّا لمحمد ﷺ تعظيماً له وتمجيداً، والحكيم المحكم الذي لا يتناقض، ولا يتخالف، أو الحكيم قائله، وجواب القسم ﴿إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾، وهذا ردّ على من أنكر رسالته من الكفار بقولهم: ﴿لَسْتَ مُرْسَلًاۚ﴾ [الرعد: ٤٣].

وقوله: ﴿عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ خبر آخر لإنّ؛ أي: إنك على صراط مستقيم، والصراط المستقيم: الطريق القيم الموصل إلى المطلوب.

قال الزجاج[(٤)]: على طريقة الأنبياء الذين تقدّموك، ويجوز: أن يكون في محل نصب على الحال ﴿تَنزِيلَ ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ﴾ قرأ نافع، وابن كثير، وأبو عمرو، وأبو بكر[(٥)] برفع: «تنزيلُ» على أنه خبر مبتدأ محذوف؛ أي: هو تنزيل، ويجوز: أن يكون خبراً لقوله: يسٓ إنْ جُعل اسماً للسورة، وقرأ الباقون بالنصب[(٦)] على المصدرية؛ أي: نزّل الله ذلك تنزيلَ العزيز الرحيم.

والمعنى: أن القرآن تنزيل العزيز الرحيم، وقيل: المعنى: إنك يا محمد تنزيل

---

(١) «جامع البيان» (١٩/ ٣٩٨ ـ ٣٩٩)، و«النكت والعيون» (٥/ ٥، ٦)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٧/ ٤١٠ ـ ٤١١).

(٢) «التبيان» (٢/ ١٠٧٨)، و«الفريد» (٤/ ٩٧ ـ ٩٨)، و«مشكل إعراب القرآن» (٢/ ٢٢٠ ـ ٢٢١).

(٣) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٧/ ٤١٠).

(٤) في «معاني القرآن وإعرابه» (٤/ ٢٧٨).

(٥) «البحر المحيط» (٩/ ٤٩)، و«التيسير» (ص١٨٣)، و«النشر» (٢/ ٣٥٣)، و«روح المعاني» (٢٢/ ٢٧٠).

(٦) انظر: المصادر المتقدمة.

العزيز الرحيم، والأوّل أولى. وقيل: هو منصوب[١] على المدح على قراءة من قرأ بالنصب، وعبّر سبحانه عن المنزل بالمصدر مبالغة حتى كأنّه نفس التنزيل، وقرأ أبو حيوة، واليزيدي، وأبو جعفر يزيد بن القعقاع، وشيبة: «تنزيل» بالجرّ[٢] على النعت للقرآن، أو البدل منه، واللام في ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ﴾ يجوز: أن تتعلق بتنزيل، أو بفعل مُضْمَر يدلّ عليه من المرسلين؛ أي: أرسلناك لتنذر، و «ما» في ﴿مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ﴾ هي النافية؛ أي: لم يُنْذَر آباؤهم.

ويجوز: أن تكون موصولة، أو موصوفة؛ أي: لتنذر قوماً الذي أنذره آباؤهم، أو لتنذرهم عذاباً أنذره آباؤهم، ويجوز: أن تكون مصدرية؛ أي: إنذار آبائهم، وعلى القول بأنها نافية يكون المعنى: ما أنذر آباؤهم برسول من أنفسهم، ويجوز أن يراد: ما أنذر آباؤهم الأقربون لتطاول مدة الفترة، وقوله: ﴿فَهُمْ غَٰفِلُونَ﴾ متعلق بنفي الإنذار على الوجه الأوّل؛ أي: لم ينذر آباؤهم، فهم بسبب ذلك غافلون، وعلى الوجوه الآخرة متعلق بقوله لتنذر؛ أي: فهم غافلون عمَّا أنذرنا به آباءهم.

وقد ذهب أكثر أهل التفسير[٣] إلى أنّ المعنى على النفي، وهو الظاهر من النظم لترتيب فهم غافلون على ما قبله، واللّام في قوله: ﴿لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ﴾ هي: الموطئة للقسم؛ أي: واللهِ لقد حقّ القول على أكثرهم؛ ومعنى حقّ: ثبت، ووجب القول؛ أي: العذاب على أكثرهم؛ أي: أكثر أهل مكة، أو أكثر الكفار على الإطلاق، أو أكثر كفار العرب، وهم مِنْ مات على الكفر، وأصرّ عليه طول حياته، فيتفرّع قوله: ﴿فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ على ما قبله بهذا الاعتبار؛ أي: لأنّ الله سبحانه قد علم منهم الإصرار على ما هم فيه مِنْ الكفر والموت عليه.

وقيل: المراد بالقول المذكور هنا هو قوله سبحانه: ﴿فَٱلْحَقُّ وَٱلْحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ﴾[٤] [صٓ: ٨٤ ـ ٨٥].

---

(١) «روح المعاني» (٢٢/ ٢٧٠)، و«الفريد» (٤/ ٩٩).

(٢) «القراءات الشاذة» (ص١٢٤)، و«البحر المحيط» (٩/ ٤٩)، و«روح المعاني» (٢٢/ ٢٧٠) الرواية عن أبي جعفر بالجّر شاذة والمتواتر عنه القراءة بالرفع «النشر» (٢/ ٣٥٣).

(٣) «روح المعاني» (٢٢/ ٢٧١)، و«المحرر الوجيز» (١٣/ ١٨٧).

(٤) وكذلك قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [السجدة: ١٣].

وجملة: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَـٰقِهِمْ أَغْلَـٰلًا﴾ تقرير لما قبلها مَثّلت حالهم بحال الذين غُلّت أعناقهم ﴿فَهِىَ﴾؛ أي: الأغلال منتهية ﴿إِلَى ٱلْأَذْقَانِ﴾، فلا يقدرون عند ذلك على الالتفات، ولا يتمكنون مِنْ عطفها، وهو معنى قوله: ﴿فَهُم مُّقْمَحُونَ﴾؛ أي: رافعون رؤوسهم غاضون أبصارهم.

قال الفّراء[1]، والزجاج[2]: المُقْمَح: الغاضّ بصره بعد رفع رأسه؛ ومعنى الإقماح: رفع الرأس، وغضّ البصر، يقال: أقمح البعير رأسه، وقمح: إذا رفع رأسه، ولم يشرب الماء.

قال الأزهري[3]: أراد الله أن أيديهم لما غُلّت عند أعناقهم، رفعت الأغلال إلى أذقانهم، ورؤوسهم صعداء، فهم مرفوعو الرؤوس برفع الأغلال إياها. وقال قتادة[4]: معنى مُقْمَحون: مغلولون والأوّل أولى، ومنه قول الشاعر:

ونحنُ على جوانِبها قُعودٌ نَغضّ الطَّرف كالإبلِ القِماحِ[5]

قال الزجاج[6]: قيل: للكانونين[7]: شهرا قماح؛ لأن الإبل إذا وردت الماء رفعت رؤوسها لشدّة البرد، وأنشد قول أبي زيد الهذلي[8]:

فتى ما ابنُ الأغرِّ إذا شتونا وَحب الزَّادِ في شَهْرَيْ قِمَاحِ

قال أبو عبيدة[9]: قمح البعير إذا رفع رأسه عن الحوض، ولم يشرب.

وقال أبو عبيدة[10] أيضاً: هو مَثَلٌ ضربه الله لهم في امتناعهم عن الهدى

---

(١) في «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٣٧٣).
(٢) في «معاني القرآن وإعرابه» (٤/ ٢٧٩).
(٣) في «تهذيب اللغة» (٤/ ٨٢).
(٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٩/ ٤٠٤) من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة. بسند صحيح.
وأخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢/ ١٣٩، ١٤٠)، من طريق معمر عن قتادة. بسند صحيح.
(٥) انظر: «ديوان بشر بن أبي خازم» (ص٩١).
(٦) في «معاني القرآن وإعرابه» (٤/ ٢٧٩).
(٧) **الشهران الشديدا البرد**: كانون الأول وكانون الثاني؛ أي: ديسمبر ويناير.
(٨) انظر: «شرح أشعار الهذليين» (٣/ ١٢٢٣).
(٩) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٧/ ٤١٥). (١٠) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٧/ ٤١٥).

كامتناع المغلول، كما يقال: فلان حمار؛ أي: لا يبصر الهدى، وكما قال الشاعر[(١)]:

لهم عن الرُّشدِ أغلالٌ وأقيادُ[(٢)]

وقال الفراء[(٣)]: هذا ضرب مثل؛ أي: حبسناهم عن الإنفاق في سبيل الله، وهو كقوله: ﴿وَلَا تَجۡعَلۡ يَدَكَ مَغۡلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ﴾ [الإسراء: ٢٩] وبه قال الضحاك[(٤)].

وقيل: الآية إشارة إلى ما يُفْعَل بقوم في النار من وضع الأغلال في أعناقهم كما قال تعالى: ﴿إِذِ ٱلۡأَغۡلَٰلُ فِيٓ أَعۡنَٰقِهِمۡ﴾ [غافر: ٧١] وقرأ ابن عباس[(٥)] «إنا جعلنا في أَيمانهم أغلالاً» قال الزجاج[(٦)]: أي: في أيديهم.

قال النحاس[(٧)]: وهذه القراءة تفسير، ولا يقرأ بما خالف المصحف. قال[(٨)]: وفي الكلام حذف على قراءة الجماعة، التقدير: إنّا جعلنا في أعناقهم، وفي أياديهم أغلالاً فهي إلى الأذقان، فلفظ «هي» كناية عن الأيدي لا عن الأعناق، والعرب تحذف مثل هذا. ونظيره: ﴿سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلۡحَرَّ﴾ [النحل: ٨١] وتقديره: وسرابيل تقيكم البرد؛ لأنّ ما وقى من الحرّ، وقى من البرد؛ لأن الغُلّ إذا كان في العنق، فلا بدّ أن يكون في اليد، ولا سيما، وقد قال الله: ﴿فَهِيَ إِلَى ٱلۡأَذۡقَانِ﴾، فقد علم أنّه يراد به الأيدي، فهم مقمحون؛ أي: رافعو رؤوسهم لا يستطيعون الإطراق؛ لأن من غُلّت يداه إلى ذقنه ارتفع رأسه[(٩)].

وروي عن ابن عباس[(١٠)]: أنه قرأ: «إنّا جعلنا في أيديهم أغلالاً»، وعن

---

(١) الشاعر: الأفوه الأودي صلاءة بن عمرو بن الحارث. «الحماسة البصرية» (٢/ ٦٩).
(٢) وصدر البيت:

كيف الرشاد إذا ما كنت من نفر

(٣) في «معاني القرآن» (٢/ ٣٧٣).
(٤) أخرجه الخرائطي في «مساوئ الأخلاق» رقم (٣٦٢).
(٥) «إعراب القرآن» (٣/ ٣٨٤)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٧/ ٤١٣).
(٦) في «معاني القرآن وإعرابه» (٣/ ٣٨٤). (٧) في «إعراب القرآن» للنحاس (٣/ ٣٨٣).
(٨) أي: النحاس في المصدر المتقدم.
(٩) «الجامع لأحكام القرآن» (١٧/ ٤١٣)، و«جامع البيان» (١٩/ ٤٠٣ ـ ٤٠٤).
(١٠) «إعراب القرآن» للنحاس (٣/ ٣٨٣)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٧/ ٤١٣)، و«روح المعاني» (٢٢/ ٢٧٣ ـ ٢٧٤). هي قراءات شاذة مخالفة للرسم.

ابن مسعود(١): أنه قرأ «إنا جعلنا في أيمانهم أغلالاً» كما روي سابقاً من قراءة ابن عباس ﴿وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا﴾؛ أي: منعناهم عن الإيمان بموانع، فهم لا يستطيعون الخروج من الكفر إلى الإيمان، كالمضروب أمامه وخلفه بالأسداد، والسُد بضم السين، وفتحها لغتان. ومن هذا المعنى في الآية قول الشاعر(٢):

وَمَنِ الحَوَادِثِ لا أباً لكَ أنني ... ضُرِبَتْ عليَّ الأرضُ بالأسْدَادِ
لَا أَهْتدي فيها لِمَوْضِعِ تَلْعةٍ ... بينَ العُذَيبِ وبينَ أرض مُرادِ

﴿فَأَغْشَيْنَٰهُمْ﴾؛ أي: غطينا أبصارهم ﴿فَهُمْ﴾ بسبب ذلك ﴿لَا يُبْصِرُونَ﴾؛ أي: لا يقدرون على إبصار شيء.

قال الفراء(٣): فألبسنا أبصارهم غشاوةً؛ أي: عمى فهم لا يبصرون سبيل الهدى، وكذا قال قتادة(٤): إنّ المعنى: لا يبصرون الهدى.

وقال السدّي(٥): لا يبصرون محمّداً حين ائتمروا على قتله.

وقال الضحاك(٦): ﴿وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا﴾؛ أي: الدنيا، ﴿وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا﴾؛ أي: الآخرة، فأغشيناهم، فهم لا يبصرون؛ أي: عموا عن البعث، وعموا عن قبول الشرائع في الدنيا.

وقيل: ما بين أيديهم: الآخرة، [٣/٤٢٨] وما خلفهم الدنيا، قرأ الجمهور(٧) بالغين المعجمة؛ أي: غطينا أبصارهم، فهو على حذف مضاف.

وقرأ ابن عباس وعمر بن عبد العزيز والحسن ويحيى بن يعمر وأبو رجاء وعكرمة بالعين(٨) المهملة من العَشا، وهو: ضَعْفُ البصر.

---

(١) انظر: المصادر المتقدمة.
(٢) هو: الأسود بن يَعْفُر النَّهشلي.
«المفضليات» (ص٢١٦)، و«الاختيارين» (٥٥٩).
• **التَّلْعة**: المسيل من الرابية إلى الوادي. والجمع: تلاع.
(٣) في «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٣٧٣).
(٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٩/ ٤٠٦) بسند صحيح.
(٥) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٨).
(٦) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٧/ ٤١٨).
(٧) «البحر المحيط» (٩/ ٥١)، و«روح المعاني» (٢٢/ ٢٧٧).
(٨) «القراءات الشاذة» (ص١٢٤)، و«المحتسب» (٢/ ٢٠٤)، و«البحر المحيط» (٩/ ٥١). القراءة =

ومنه: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ [الزخرف: ٣٦] ﴿وَسَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾؛ أي: إنذارك إياهم، وعدمه سواء.

قال الزجاج[(١)]: أي: من أضله الله هذا الإضلال لم ينفعه الإنذار، إنما ينفع الإنذار مَنْ ذُكر في قوله: ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ وَخَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ﴾؛ أي: اتبع القرآن، وخشي الله في الدنيا.

وجملة: ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾ مستأنفة مبينة لما قبلها من الاستواء، أو في محل نصب على الحال[(٢)]، أو بدل، وبالغيب في محل نصب على الحال من الفاعل، أو المفعول.

﴿فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ﴾؛ أي: بشر هذا الذي اتبع الذكر، وخشي الرحمٰن بالغيب بمغفرة عظيمة، وأجر كريم؛ أي: حسن، وهو: الجنة. ثم أخبر سبحانه بإحيائه الموتى، فقال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾؛ أي: نبعثهم بعد الموت.

وقال الحسن[(٣)] والضحاك[(٤)]: أي: نحييهم بالإيمان بعد الجهل، والأوّل أولى.

ثم توعّدهم بكتْب آثارهم، فقال: ﴿وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟﴾؛ أي: أسلفوا من الأعمال الصالحة والطالحة ﴿وَءَاثَٰرَهُمْ﴾؛ أي: ما أبقوه من الحسنات التي لا ينقطع نفعها بعد الموت: كمن سنّ سُنّة حسنة، أو نحو ذلك، أو السيئات التي تبقى بعد موت فاعلها: كمن سنّ سُنّة سيئة.

قال مجاهد[(٥)]، وابن زيد[(٦)]: ونظيره قوله: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ﴾ [الانفطار: ٥] وقوله: ﴿يُنَبَّؤُا۟ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾ [القيامة: ١٣] وقيل: المراد بالآية: آثار المشائين إلى المساجد، وبه قال جماعة من الصحابة، والتابعين.

= بالعين من كلمة «أغشيناهم» شاذة.

(١) في «معاني القرآن وإعرابه» (٤/ ٢٨٠).

(٢) «روح المعاني» (٢٢/ ٢٨٠)، و«البحر المحيط» (٩/ ٥٢).

(٣) ذكره الزمخشري في «الكشاف» (٥/ ١٦٨).

(٤) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٨).

(٥) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٩/ ٤٠٨ ـ ٤٠٩) بسند صحيح.

(٦) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٩/ ٤٠٩) بسند صحيح.

قال النحاس[(١)]: وهو أولى ما قيل في الآية؛ لأنها نزلت في ذلك. ويجاب عنه بأن الاعتبار بعموم الآية لا بخصوص سببها، وعمومها يقتضي كتب جميع آثار الخير والشرّ، ومِنْ الخير: تعليم العلم، وتصنيفه، والوقف على القرب، وعمارة المساجد، والقناطر.

ومِنْ الشرّ: ابتداع المظالم، وإحداث ما يضرّ بالناس، ويقتدي به أهل الجور، ويعملون عليه مِنْ مُكْسٍ، أو غيره، ولهذا قال سبحانه: ﴿وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾؛ أي: وكل شيء من أعمال العباد وغيرها كائناً ما كان في إمام مبين؛ أي: كتاب مُقتدى به موضِّح لكل شيء.

قال مجاهد[(٢)] وقتادة وابن زيد: أراد اللوح المحفوظ، وقالت فرقة: أراد صحائف الأعمال.

قرأ الجمهور[(٣)]: «ونكتبُ» على البناء للفاعل. وقرأ زِرّ، ومسروق على البناء للمفعول[(٤)].

وقرأ الجمهور[(٥)] «كلَّ شيء أحصيناه» بنصب «كل» على الاشتغال.

وقرأ أبو السمَّال[(٦)] بالرفع على الابتداء.

وقد أخرج ابن مردويه[(٧)] عن ابن مسعود، وابن عباس في قوله: ﴿يسٓ﴾ قالا: يا محمد.

وأخرج ابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم من طرق عن ابن عباس في قوله: ﴿يسٓ﴾ قال: يا إنسان.

---

(١) في «إعراب القرآن» (٣/ ٣٨٦).

(٢) ذكر هذه الأقوال ابن عطية في «المحرر الوجيز» (١٣/ ١٩٢).

(٣) «البحر المحيط» «(٩/ ٥٢)، و«زاد المسير» (٧/ ٨)، و«المحرر الوجيز» (١٣/ ١٩٢)، و«روح المعاني» (٢٢/ ٢٨٤).

(٤) «القراءات الشاذة» (ص١٢٤)، و«البحر المحيط» (٩/ ٥٢). وهي قراءة شاذة.

(٥) «البحر المحيط» (٩/ ٥٢)، و«زاد المسير» (٧/ ٨)، و«روح المعاني» (٢٢/ ٢٨٤)، و«مشكل إعراب القرآن» (٢/ ٢٢٢).

(٦) «القراءات الشاذة» (ص١٢٤)، و«روح المعاني» (٢٢/ ٢٨٥)، و«معاني القرآن» للفراء (٢/ ٩٥، ٣٧٣). قراءة الرفع شاذة.

(٧) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (١٢/ ٣٢٠)، ط. دار عالم الكتب.

وأخرج عبد بن حميد عن الحسن والضحاك وعكرمة[١] مثله.

وأخرج ابن مردويه، وأبو نعيم في «الدلائل» عن ابن عباس[٢] قال: «كان النبي ﷺ يقرأ في المسجد، فيجهر بالقراءة، حتى تأذّى به ناس من قريش، حتى قاموا ليأخذوه، وإذا أيديهم مجموعة إلى أعناقهم، وإذا هم عُمي لا يُبْصرون، فجاءوا إلى النبي ﷺ، فقالوا: ننشدك الله والرحمَ يا محمد، قال: ولم يكن بطن من بطون قريش إلّا وللنبي ﷺ فيهم قرابة، فدعا النبي ﷺ حتى ذهب ذلك عنهم، فنزلت: ﴿يسٓ ۝١ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ﴾ إلى قوله: ﴿أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ قال: فلم يؤمن من ذلك النفر أحد»، وفي الباب روايات في سبب نزول ذلك، هذه الرواية أحسنُها. وأقربها إلى الصحة.

وأخرج ابن أبي حاتم[٣] عنه قال: الأغلال ما بين الصدر إلى الذقن ﴿فَهُم مُّقْمَحُونَ﴾ كما تُقمح الدابة باللجام.

وأخرج ابن مردويه[٤] عنه أيضاً في قوله: ﴿وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا﴾ الآية قال: كانوا يَمرّون على النبيَّ ﷺ فلا يرونه.

وأخرج ابنُ مردويه[٥] عنه أيضاً قال: اجتمعت قريش بباب النبي ﷺ ينتظرون خروجه؛ ليؤذوه فشقّ ذلك عليه، فأتاه جبريل بسورة يسٓ، وأمره بالخروج عليهم، فأخذ كفّاً مِنْ تراب وخرج وهو يقرؤها، ويذرّ التراب على رؤوسهم، فما رأوه حتى جاز، فجعل أحدهم يلمس رأسه فيجد التراب، وجاء بعضهم فقال: ما يجلسكم؟ قالوا: ننتظر مُحمّداً، فقال: لقد رأيته داخلاً المسجد، قال: قوموا فقد سحركم.

وأخرج عبد الرّزّاق، والترمذي وحسنه، والبزار، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والحاكم وصححه، وابن مردويه، والبيهقيّ في «الشعب» عن أبي

---

(١) عزاه إليهم السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٤١).
(٢) عزاه إليهم السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٤١).
(٣) أخرجه أبو نعيم في «الدلائل» رقم (١٥٣) بسند ضعيف جدّاً. النضر بن عبد الرحمٰن أبو عمرو، متروك.
(٤) ذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣١٨٩).
(٥) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٤٤).

سعيد الخُدْري[١] قال: كان بنو سلمة في ناحية من المدينة، فأرادوا أن ينتقلوا إلى قرب المسجد، فأنزل الله: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ الْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ﴾، فدعاهم رسول الله ﷺ، فقال: إنّه يكتب آثاركم، ثم قرأ عليهم الآية فتركوا.

وأخرج الفريابي، وأحمد في «الزهد»، وعبد بن حُميد، وابن ماجه، وابن جرير، وابن المنذر، والطبراني، وابن مردويه عن ابن عباس[٢] نحوه.

وفي «صحيح مُسلم»، وغيره من حديث جابر[٣] قال: «إن بني سَلِمة أرادوا أن يبيعوا ديارهم، ويتحوّلوا قريباً من المسجد، فقال لهم رسول الله ﷺ: يا بني سَلِمة ديارَكم تُكتبْ آثاركم».

[قصة أصحاب القرية]:

﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿١٣﴾ إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا
فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ ﴿١٤﴾ قَالُوا مَا أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَا أَنزَلَ الرَّحْمَٰنُ مِن
شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ﴿١٥﴾ قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ﴿١٦﴾ وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ
الْمُبِينُ ﴿١٧﴾ قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِن لَّمْ تَنتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨﴾
قَالُوا طَائِرُكُم مَّعَكُمْ أَئِن ذُكِّرْتُم بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿١٩﴾ وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ
يَسْعَىٰ قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ اتَّبِعُوا مَن لَّا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا
لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾ أَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِ آلِهَةً إِن يُرِدْنِ الرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ
لَّا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنقِذُونِ ﴿٢٣﴾ إِنِّي إِذًا لَّفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ إِنِّي آمَنتُ
بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ ﴿٢٥﴾ قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي
وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ ﴿٢٧﴾﴾.

---

(١) أخرجه عبد الرزاق في «المصنف» رقم (١٩٨٢)، والترمذي رقم (٣٢٢٦)، والبزار كما في «تفسير ابن كثير» (١١/ ٣٤٩)، وابن جرير (١٩/ ٤١٠)، وابن أبي حاتم كما في «تفسير ابن كثير» (١١/ ٣٤٩)، والحاكم (٢/ ٤٢٨)، والبيهقي رقم (٢٨٩٠) وهو حديث صحيح.

(٢) أخرجه ابن ماجه رقم (٧٨٥)، وابن جرير في «جامع البيان» (١٩/ ٤٠٩)، والطبراني رقم (١٢٣١٠) وهو حديث صحيح.

(٣) أخرجه مسلم في «صحيحه» رقم (٦٦٥)، وابن جرير في «جامع البيان» (١٩/ ٤٠٩)، وابن مردويه كما في «فتح الباري» (٢/ ١٤٠).

قوله: ﴿وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلًا أَصۡحَٰبَ ٱلۡقَرۡيَةِ﴾ قد تقدّم الكلام على نظير هذا في سورة البقرة، وسورة النمل، والمعنى: اضرب لأجلهم مثلاً، أو اضرب لأجل نفسك أصحاب القرية مثلاً؛ أي: مثّلهم عند نفسك بأصحاب القرية، فعلى الأوّل لما قال تعالى: ﴿إِنَّكَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾ [يسٓ: ٣] وقال: ﴿لِتُنذِرَ قَوۡمًا﴾ [يسٓ: ٦] قال: قل لهم: ما أنا بدعاً من الرسل، فإن قبلي بقليل جاء أصحاب القرية مرسلون، وأنذروهم بما أنذرتكم، وذكروا التوحيد، وخوّفوا بالقيامة وبشّروا بنعيم دار الإقامة.

وعلى الثاني لما قال: إنّ الإنذار لا ينفع من أضلّه الله، وكتب عليه أنه لا يؤمن، قال النبي ﷺ: اضربْ لنفسك ولقومك مثلاً؛ أي: مثل لهم عند نفسك مثلاً بأصحاب القرية[١] حيثُ جاءهم ثلاثة رسل، ولم يؤمنوا، وصبر الرسل على الإيذاء، وأنت جئتَ إليهم واحداً، وقومك أكثر مِنْ قوم الثلاثة، فإنهم جاءوا إلى أهل القرية، وأنت بعثتك إلى الناس كافة.

والمعنى: واضرب لهم مثلاً مثل أصحاب القرية؛ أي: اذْكر لهم قصة عجيبة قصة أصحاب القرية، فترك المثل، وأقيم[٢] أصحاب القرية مقامه في الإعراب. وقيل: لا حاجة إلى الإضمار؛ بل المعنى: اجعل أصحاب القرية لهم مثلاً على أن يكون مثلاً و﴿أَصۡحَٰبَ ٱلۡقَرۡيَةِ﴾ مفعولين[٣] لاضربْ، أو يكون ﴿أَصۡحَٰبَ ٱلۡقَرۡيَةِ﴾ بدلاً من ﴿مَّثَلًا﴾، وقد قدّمنا الكلام على المفعول الأوّل من هذين[٤] المفعولين هل هو: مثلاً، أو أصحاب القرية.

وقد قيل: إنّ ضرب المثل يُستعمل تارةً في تطبيق حالة غريبة[٥] بحالة أخرى مثلها كما في قوله: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱمۡرَأَتَ نُوحٖ وَٱمۡرَأَتَ لُوطٖ﴾ [التحريم: ١٠]، ويُستعمل أخرى في ذكر حالة غريبة، وبيانها للنّاس من غير قصد إلى تطبيقها بنظيره لها كما في قوله: ﴿وَضَرَبۡنَا لَكُمُ ٱلۡأَمۡثَالَ﴾ [إبراهيم: ٤٥]؛ أي: بينّا لكم

---

(١) «الجامع لأحكام القرآن» (١٧/ ٤٢٢).

(٢) «روح المعاني» (٢٢/ ٢٨٦ ـ ٢٨٧).

(٣) «المحرر الوجيز» (١٣/ ١٩٢)، و«روح المعاني» (٢٢/ ٢٨٧)، و«التبيان» (٢/ ١٠٧٩).

(٤) انظر: المصادر المتقدمة.

(٥) ذكره الألوسي في «روح المعاني» (٢٢/ ٢٨٦)، وأبو السعود في «تفسيره» (٥/ ٤٨٨).

أحوالاً بديعةً غريبةً هي في الغرابة كالأمثال؛ فقوله سبحانه هنا: ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا﴾ يصح اعتبار الأمرين فيه.

[القرية هي أنطاكية]:

قال القرطبي[(١)]: هذه القرية هي: أنطاكية في قول جميع المفسرين.

وقوله: ﴿إِذْ جَآءَهَا ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ بدل اشتمال[(٢)] من أصحاب القرية، والمرسلون: هم أصحاب عيسى بعثهم إلى أهل أنطاكية للدّعاء إلى الله، فأضاف الله سبحانه الإرسال إلى نفسه في قوله: ﴿إِذْ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱثْنَيْنِ﴾؛ لأنّ عيسى أرسلهم بأمر الله سبحانه، ويجوز: أن يكون الله أرسلهم بعد رفع عيسى إلى السماء، «فكذبوهما» في الرسالة، وقيل: ضربوهما وسجنوهما. قيل: واسم الاثنين يوحنّا وشمعون. وقيل: أسماء الثلاثة: صادق، ومصدوق، وشلوم[(٣)] قاله ابن جرير وغيره.

وقيل: سمعان[(٤)]، ويحيى، وبولس ﴿فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ﴾ قرأ الجمهور[(٥)] بالتشديد، وقرأ أبو بكر[(٦)] عَنْ عاصم بتخفيف الزاي.

قال الجوهري[(٧)]: «فعزّزنا» يُخفّف، ويشدّد؛ أي: قوّينا، وشدّدنا، فالقراءتان على هذا بمعنى. وقيل[(٨)]: التخفيف بمعنى: غلبنا، وقهرنا، ومنه ﴿وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ﴾ [صٓ: ٢٣] والتشديد بمعنى: قوّينا، وكثّرنا. قيل: وهذا الثالث هو شَمْعون.

وقيل: غيرُه ﴿فَقَالُوٓا۟ إِنَّآ إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ﴾؛ أي: قال الثلاثة جميعاً، وجاءوا بكلامهم هذا مؤكداً لسبق التكذيب للاثنين، والتكذيب لهما تكذيب للثالث؛ لأنهم أُرسلوا جميعاً بشيء واحد[(٩)]، وهو: الدعاء إلى الله ﷻ، وهذه الجملة مستأنفة جواب سؤال مقدّر؛ كأنّه قيل: ما قال هؤلاء الرّسل بعد التعزيز لهم بثالث؟ وكذلك

---

(١) في «تفسيره» (١٧/ ٤٢٣).

(٢) «روح المعاني» (٢٢/ ٢٨٧)، و«تفسير أبي السعود» (٥/ ٤٨٨).

(٣) في «جامع البيان» (١٩/ ٤١٤).

(٤) «النكت والعيون» (٥/ ١٠).

(٥) «التيسير» (ص١٨٣)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٧/ ٤٢٤)، و«النشر» (٢/ ٣٥٣)، و«البحر المحيط» (٩/ ٥٣).

(٦) انظر: المصادر المتقدمة.

(٧) في «الصحاح» (٣/ ٨٨٥).

(٨) «الصحاح» (٣/ ٨٨٥)، و«جمهور اللغة» (١/ ٢٩٠)، و«روح المعاني» (٢٢/ ٢٨٨).

(٩) «البحر المحيط» (٩/ ٥٣)، و«روح المعاني» (٢٢/ ٢٢٩).

جملة: ﴿قَالُواْ مَآ أَنتُمۡ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا﴾ [٣/٤٢٩] فإنها مستأنفة جواب سؤال مقدّر، كأنه قيل: فما قال لهم أهل أنطاكية؟ فقيل: قالوا: ما أنتم إلّا بشر مثلنا؛ أي: مشاركون لنا في البشرية، فليس لكم مزية علينا تختصون بها.

ثم صرَّحوا بجحود إنزال الكتب السماوية، فقالوا: ﴿وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحۡمَٰنُ مِن شَيۡءٍ﴾ مما تدّعونه أنتم ويدّعيه غيركم ممن قبلكم من الرسل وأتباعهم ﴿إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَكۡذِبُونَ﴾؛ أي: ما أنتم إلّا تكذبون في دعوى ما تدّعون من ذلك، فأجابوهم بإثبات رسالتهم بكلام مؤكد تأكيداً بليغاً لتكرر[١] الإنكار من أهل أنطاكية، وهو قولهم: ﴿رَبُّنَا يَعۡلَمُ إِنَّآ إِلَيۡكُمۡ لَمُرۡسَلُونَ﴾، فأكدوا الجواب بالقسم الذي يفهم من قولهم: ربنا يعلم وبإنّ وباللام ﴿وَمَا عَلَيۡنَآ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ﴾؛ أي: ما يجب علينا من جهة ربنا إلّا تبليغ رسالته على وجه الظهور والوضوح، وليس علينا غير ذلك، وهذه الجملة مستأنفة كالتي قبلها، وكذلك جملة: ﴿قَالُوٓاْ إِنَّا تَطَيَّرۡنَا بِكُمۡۖ﴾، فإنها مستأنفة جواباً عن سؤال مقدّر؛ أي: إنّا تشاءمنا بكم، لم تجدوا جواباً تجيبون به على الرسل إلّا هذا الجواب المبنيّ على الجهل المنبئ عن الغباوة العظيمة، وعدم وجود حجة تدفعون الرسل بها.

قال مقاتل[٢]: حُبس عنهم المطر ثلاث سنين. قيل: إنهم أقاموا ينذرونهم عشر سنين، ثم رجعوا إلى التجبّر، والتكبّر لما ضاقت صدورهم، وأعيتهم العلل، فقالوا: ﴿لَئِن لَّمۡ تَنتَهُواْ لَنَرۡجُمَنَّكُمۡ﴾؛ أي: لئن لم تتركوا هذه الدعوى، وتعرضوا عن هذه المقالة؛ لنرجمنّكم بالحجارة ﴿وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾؛ أي: شديد فظيع.

قال الفرّاء[٣]: عامة ما في القرآن مِنْ الرجم المراد به القتل.

وقال قتادة[٤]: هو على بابه من الرجم بالحجارة.

---

(١) «جامع البيان» (١٩/ ٤١٥ ـ ٤١٦)، و«روح المعاني» (٢٢/ ٢٩٠).

(٢) ذكره ابن عطية في «المحرر الوجيز» (١٣/ ١٩٤).

قال ابن عطية: والأظهر أن تطيّر هؤلاء إنما كان بسبب ما دخل قريتهم من اختلاف الكلمة وافتتان الناس، وهذا على نحو تطيّر قريش بمحمد ﷺ وعلى نحو ما خوطب به موسى.

وقال قتادة: قالوا: إن أصابنا شر فإنما هو من أجلكم.

(٣) في «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٣٧٤).

(٤) «النكت والعيون» (٥/ ١٢).

قيل: ومعنى العذاب الأليم: القتل، وقيل: الشتم.

وقيل: هو التعذيب المؤلم[1] من غير تقييد بنوع خاص، وهذا هو الظاهر.

ثم أجاب عليهم الرسل دفعاً لما زعموه مِنْ التطير بهم فـ﴿قَالُواْ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمۡ﴾؛ أي: شؤمكم معكم مِنْ جهة أنفسكم، لازم في أعناقكم، وليس هو من شؤمنا[2].

قال الفراء[3]: طائركم معكم؛ أي: رزقكم وعملكم، وبه قال قتادة[4].

قرأ الجمهور[5]: «طائُركم» اسم فاعل؛ أي: ما طار لكم مِنْ الخير، والشر.

وقرأ الحسن[6]: «أطيركم»؛ أي: تطيركم ﴿أَئِن ذُكِّرۡتُمۚ﴾. قرأ الجمهور من السبعة[7]، وغيرهم بهمزة استفهام بعدها إنْ الشرطية على الخلاف بينهم في التسهيل، والتحقيق، وإدخال ألف بين الهمزتين، وعدمه.

وقرأ أبو جَعْفر، وزرّ بن حبيش، وابن السميفع، وطلحة بهمزتين مفتوحتين[8].

وقرأ الأعمش، وعيسى بن عمر، والحسن «أين» بفتح الهمزة[9]، وسكون الياء على صيغة الظرف.

واختلف سيبويه[10]، ويونس إذا اجتمع استفهام وشرط أيهما يجاب، فذهب سيبويه إلى أنّه يجاب الاستفهام، وذهب يونس إلى أنّه يجاب الشرط، وعلى القولين، فالجواب هنا محذوف؛ أي: أئن ذكرتم، فطائرُكم معكم لدلالة ما تقدّم عليه.

---

(١) «النكت والعيون» (٥/ ١٢).
(٢) ذكره البغوي في «تفسيره» (٧/ ١٣) عن الضحاك بنحوه.
(٣) في «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٣٧٤).
(٤) «النكت والعيون» (٥/ ١٢)، و«معالم التنزيل» (٧/ ١٣).
(٥) «البحر المحيط» (٩/ ٥٤)، و«معاني القرآن» للزجاج (٤/ ٢٨٢)، و«حاشية الشهاب» (٧/ ٢٣٦).
(٦) «القراءات الشاذة» (ص١٢٥)، و«البحر المحيط» (٩/ ٥٤)، و«روح المعاني» (٢٢/ ٢٩٤). قراءة الحسن شاذة.
(٧) «النشر» (١/ ٣٦٢ ـ ٣٦٤)، و«التيسير» (ص٣١ ـ ٣٢)، و«البحر المحيط» (٩/ ٥٤ ـ ٥٥).
(٨) «التيسير» (ص٣١ ـ ٣٢)، و«البحر المحيط» (٩/ ٥٥)، و«روح المعاني» (٢٢/ ٢٩٤ ـ ٢٩٥).
(٩) «المحتسب» (٢/ ٢٠٥)، و«البحر المحيط» (٩/ ٥٥)، و«القراءات الشاذة» (ص١٢٥). هي قراءة شاذة.
(١٠) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (٣/ ٣٨٨).

وقرأ الماجشون[١]: «أَنْ ذكرتم» بهمزة مفتوحة؛ أي: لأنْ ذكرتم. ثم أضربوا عما يقتضيه الاستفهام، والشرط من كون التذكير سبباً للشؤم، فقالوا: ﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾؛ أي: ليس الأمر كذلك؛ بل أَنتم قوم عادتكم الإسراف في المعصية.

قال قتادة[٢]: مسرفون في تطيركم. وقال يحيى بن سلام: مسرفون في كفركم. وقال ابن بحر: السرف هنا: الفساد، والإسراف في الأصل: مجاوزة الحد في مخالفة الحقّ.

﴿وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ﴾ هو[٣]: حبيب بن موسى النجار، وكان نجاراً، وقيل: إسكافاً، وقيل: قصاراً.

وقال مجاهد ومقاتل: هو: حبيب بن إسرائيل النجار، وكان ينحت الأصنام[٤].

وقال قتادة[٥]: كان يعبد الله في غار، فلما سمع بخبر الرسل جاء يسعى.

وجملة: ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُواْ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ مستأنفة جواب سؤال مقدّر، كأنه قيل: فماذا قال لهم عند مجيئه؟ فقيل: قال: يا قوم اتبعوا المرسلين هؤلاء الذين أرسلوا إليكم فإنّهم جاءوا بحق.

ثم أكد ذلك، وكرّره، فقال: ﴿ٱتَّبِعُواْ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا﴾؛ أي: لا يسألونكم أجراً على ما جاءوكم به مِنْ الهدى ﴿وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾؛ يعني: الرسل. ثم أبرز الكلام في معرض النصيحة لنفسه، وهو يريد مناصحة قومه، فقال: ﴿وَمَا لِيَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾؟ أي: أيّ مانع من جانبي يمنعني من عبادة الذي خلقني؟ ثم رجع إلى خطابهم لبيان أنه ما أراد نفسه؛ بل أرادهم بكلامه، فقال: ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ ولم يقل: إليه أرجع، وفيه مبالغة في التهديد.

ثم عاد إلى المساق الأوّل لقصد التأكيد[٦] ومزيد الإيضاح، فقال: ﴿ءَأَتَّخِذُ مِن

---

(١) «المحتسب» (٢/ ٢٠٥)، و«روح المعاني» (٢٢/ ٢٩٥)، و«البحر المحيط» (٩/ ٥٥).
(٢) ذكر هذه الأقوال الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ١٢).
(٣) «الجامع لأحكام القرآن» (١٧/ ٤٢٩)، و«جامع البيان» (١٩/ ٤١٩).
(٤) انظر: «عرائس المجالس» (ص٤٠٩).
(٥) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٩/ ٤٢١) بسند صحيح.
(٦) «روح المعاني» (٢٢/ ٢٩٩)، و«تفسير أبي السعود» (٥/ ٤٩٠).

دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً﴾، فجعل الإنكار متوجهاً إلى نفسه. وهم المرادون به؛ أي: لا أتخذ مِنْ دون الله آلهة وأعبدها، وأترك عبادة مِنْ يستحق العبادة، وهو الذي فطرني.

ثم بيّن حال هذه الأصنام التي يعبدونها مِنْ دون الله سبحانه إنكاراً عليهم، وبياناً لضلال عقولهم، وقصور إدراكهم، فقال: ﴿إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا﴾؛ أي: شيئاً مِنَ النفع كائناً ما كان ﴿وَلَا يُنقِذُونِ﴾ من ذلك الضرّ الذي أرادني الرحمٰن به. وهذه الجملة صفة لآلهة، أو مستأنفة لبيان حالها في عدم النفع والدفع.

وقوله: ﴿لَّا تُغْنِ﴾ جواب الشرط، وقرأ طلحة بن مُصرّف: «إنْ يَردني» بفتح الياء،ثم قال: ﴿إِنِّىٓ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾؛ أي: إني إذا اتخذت من دونه آلهة لفي ضلال مبين واضح، وهذا تعريض بهم كما سبق، والضلال: الخسران.

ثم صَرّح بإيمانه تَصْريحاً لا يبقى بعده شكّ، فقال: ﴿إِنِّىٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمْ فَٱسْمَعُونِ﴾ خاطب بهذا الكلام المُرسلين. قال المفسِّرون[(١)]: أرادوا القوم قتله، فأقبل هو على المرسلين، فقال: إنِّي آمنتُ بربِّكم أيها الرسل؛ فاسمعون؛ أي: اسمعوا إيماني واشهدوا لي به. وقيل: إنَّه خاطب بهذا الكلام قومه لما أرادوا قتله تصلباً في الدين وتشدّداً في الحقّ، فلما قال هذا القول، وصَرّح بالإيمان، وثبوا عليه فقتلوه[(٢)]، وقيل: وطئوه بأرجلهم، وقيل: حرقوه، وقيل: حفروا له حفيرة، وألقوه فيها، وقيل: إنهم لم يقتلوه بل رفعه الله إلى السماء، فهو في الجنة، وبه قال الحسن، وقيل[(٣)]: نشروه بالمنشار ﴿قِيلَ ٱدْخُلِ ٱلْجَنَّةَ﴾؛ أي: قيل له ذلك تكريماً له بدخولها بعد قتله كما هي سنّة الله في شهداء عباده.

وعلى قول مَنْ قال: إنه رفع إلى السماء، ولم يقتل يكون المعنى: أنهم لما أرادوا قتله نجّاه الله مِنْ القتل، وقيل له: ادخل الجنّة، فلما دخلها، وشاهدها ﴿قَالَ يَٰلَيْتَ قَوْمِى يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِى رَبِّى وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ﴾ والجملة مستأنفة جواب سؤال مقدر؛ أي: فماذا قال بعد أن قيل له: ادخل الجنة فدخلها؟ فقيل: قال: يا

---

(١) «جامع البيان» (١٩/ ٤٢٠ ـ ٤٢١)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٧/ ٤٣٠ ـ ٤٣١).

(٢) انظر: «عرائس المجالس» (ص٤٠٩)، و«مجمع البيان» (٢٢/ ٢٢٨)، و«النكت والعيون» (٥/ ١٤).

(٣) ذكره القرطبي (١٧/ ٤٣١).

ليت قومي إلخ، و«ما» في ﴿بِمَا غَفَرَ لِي﴾ هي: المصدرية؛ أي: بغفران ربي، وقيل: هي الموصولة[١]؛ أي: بالذي غفر لي ربّي، والعائد محذوف؛ أي: غفره لي ربي، واستضُعف هذا؛ لأنه لا معنى لتمنيه أن يعلم قومه بذنوبه المغفورة، وليس المراد إلّا التمنّي منه بأن يعلم قومه بغفران ربه له.

وقال الفراء[٢]: إنّها استفهامية بمعنى: التعجّب، كأنه قال: بأيّ شيء غَفَر لي ربي.

قال الكسائي[٣]: لو صحّ هذا لقال بم مِنْ غير ألف. ويجاب عنه بأنه قد ورد في لغة العرب إثباتها، وإن كان مكسوراً بالنسبة إلى حذفها، ومنه قول الشاعر[٤]:

عَلَى ما قامَ يشتُمُني لَئيمٌ ... كخنزيرٍ تمرَّغَ في رماد

وفي معنى تمنيّه قولان[٥]: أحدهما: أنه تمنّى أن يعلموا بحاله؛ ليعلموا حسن مآله، وحميد عاقبته؛ إرغاماً لهم. وقيل: إنّه تمنى أن يعلموا بذلك؛ ليؤمنوا مثل إيمانه، فيصيروا إلى مثل حاله.

وقد أخرج الفريابي[٦] عن ابن عباس في قوله: ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَٰبَ ٱلْقَرْيَةِ﴾ قال: هي: أنطاكية.

وأخرج ابن أبي حاتم[٧] عن بريدة مثله.

وأخرج ابن سعد، وابن عساكر من طريق الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس[٨] قال: كان بين موسى بن عمران وبين عيسى ابن مريم ألف سنة

---

(١) «مشكل إعراب القرآن» (٢/ ٢٢٣)، و«التبيان» (٢/ ١٠٨٠)، و«الفريد» (٤/ ١٠٣)، و«إعراب القرآن» للنحاس (٣/ ٣٩٠).
(٢) في «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٣٧٤ ـ ٣٧٥).
(٣) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٧/ ٤٣١).
(٤) هو: حسان بن ثابت. انظر: «ديوانه» (ص٧٩).
(٥) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٧/ ٤٣٢).
(٦) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٤٩).
(٧) ذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣١٩١).
(٨) أخرجه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (١/ ٥٣)، وابن عساكر في «تاريخه» (١/ ٣٢) بسند ضعيف.

وتسعمائة سنة، ولم يكن بينهما فترة، وأنّه أرسل بينهما ألف نبيّ من بني إسرائيل سوى من أرسل من غيرهم، وكان بين ميلاد عيسى، والنبي ﷺ خمسمائة سنة وتسع وستون سنة، بعث في أوّلها ثلاثة أنبياء، وهو قوله: ﴿إِذْ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ﴾، والذي عزّز به شمعون، وكان من الحواريين، وكانت الفترة التي لم يبعث الله فيها رسولاً أربعمائة سنة وأربع وثلاثون سنة.

وأخرج ابن المنذر[١] عنه أيضاً في قوله: ﴿طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمْ﴾ قال: شؤمكم معكم.

وأخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم[٢] عنه أيضاً في قوله: ﴿وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ﴾ قال: هو: حبيب النجار.

وأخرج ابنُ أبي حاتم[٣] عنه من وجه آخر، قال: اسم صاحب يسٓ: حبيب، وكان الجُذام قد أسرع فيه..

وأخرج الحاكم[٤] عن ابن مسعود قال: لما قال صاحب يسٓ: ﴿يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ خنقوه ليموت، فالتفت إلى الأنبياء، فقال: ﴿إِنِّىٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمْ فَٱسْمَعُونِ﴾؛ أي: فاشهدوا لي.

﴿وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِن جُندٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ ﴿٢٨﴾ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَٰمِدُونَ ﴿٢٩﴾ يَٰحَسْرَةً عَلَى ٱلْعِبَادِ ۚ مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٠﴾ أَلَمْ يَرَوْا۟ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٣١﴾ وَإِن كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٣٢﴾ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَٰهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴿٣٣﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ ٱلْعُيُونِ ﴿٣٤﴾ لِيَأْكُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٥﴾ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا [٣/٤٣٠] مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ

(١) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٥١).
(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٩/ ٤١٩، ٤٢٠) بسند ضعيف، وذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣١٩٢).
(٣) ذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣١٩٢).
وأخرجه ابن جرير (١٩/ ٤٢٠) بسند ضعيف.
(٤) أخرجه الحاكم (٢/ ٤٢٩).

﴿نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾﴾.

لمّا وقع ما وقع منهم مع حبيب النجار غضب الله له، وعجل لهم النقمة، وأهلكهم بالصيحة، ومعنى ﴿وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾؛ أي: على قوم حبيب النّجار من بعد قتلهم له، أو من بعد رفع الله له إلى السمٰاوات على الاختلاف السابق ﴿مِن جُندٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ لإهلاكهم وللانتقام منهم؛ أي: لم نحتج إرسال جنود من السماء لإهلاكهم كما وقع ذلك للنبي ﷺ يوم بدر مِنْ إرسال الملائكة لنصرته وحرب أعدائه ﴿وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ﴾؛ أي: وما صحّ في قضائنا، وحكمتنا أن ننزل لإهلاكهم جنداً لسبق قضائنا وقدرنا بأن إهلاكهم بالصيحة لا بإنزال الجند.

وقال قتادة(١)، ومجاهد(٢)، والحسن(٣)؛ أي: ما أنزلنا عليهم من رسالة من السماء ولا نبيّ بعد قتله.

وروي عن الحسن(٤) أنه قال: هم الملائكة النازلون بالوحي على الأنبياء.

والظاهر أنّ معنى النظم القرآني تحقير(٥) شأنهم وتصغير أمرهم؛ أي: ليسوا بأحقاء بأنْ ننزل لإهلاكهم جنداً من السماء؛ بل أهلكناهم بصيحة واحدة كما يفيده قوله: ﴿إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً﴾؛ أي: إنْ كانت العقوبة أو النقمة أو الأخذة إلّا صيحة واحدة صاح بها جبريل، فأهلكهم.

قال المفسرون(٦): أخذ جبريل بعضادتي باب المدينة، ثم صاح بهم صيحة، فإذا هم ميتون لا يسمع لهم حسّ كالنار إذا طفئت، وهو معنى قوله: ﴿فَإِذَا هُمْ خَٰمِدُونَ﴾؛ أي: قوم خامدون ميتون، شبههم بالنار إذا طفئت؛ لأنّ الحياة كالنار الساطعة، والموت كخمودها.

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٩/ ٤٢٧) بسند صحيح.
(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٩/ ٤٢٧) بسند صحيح.
(٣) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٧/ ٤٣٣).
(٤) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ١٥).
(٥) «روح المعاني» (٢٢/ ٣٠٦ ـ ٣٠٧).
(٦) ذكره الواحدي في «الوسيط» (٣/ ٥١٢).

قرأ الجمهور[١]: «صيحةً» بالنصب على أن كان ناقصة، واسمها ضمير يعود إلى ما يفهم من السياق كما قدّمنا.

وقرأ أبو جعفر، وشيبة، والأعرج، ومعاذ القاري برفعها[٢] على أن كان تامة؛ أي: وقع، وحدث، وأنكر هذه القراءة أبو حاتم، وكثير من النحويين بسبب التأنيث في قوله: ﴿إِن كَانَتْ﴾ قال أبو حاتم[٣]: فلو كان كما قرأ أبو جعفر لقال: «إن كان إلّا صيحةٌ»، وقدّر الزجاج[٤] هذه القراءة بقوله: إن كانت عليهم صيحة إلّا صيحة واحدة، وقدّرها غيره: ما وقعت عليهم إلّا صيحة واحدة.

وقرأ عبد الله بن مسعود[٥] «إن كانت إلّاَ زقيْة واحدة»، والزقية: الصيحة، قال النحاس[٦]: وهذا مخالف للمصحف، وأيضاً. فإن اللغة المعروفة زقا يزقو إذا صاح، ومنه المثل «أثقل من الزَّواقي»، فكان يجب على هذا أن تكون زقوة، ويجاب عنه بما ذكره الجوهري[٧] قال: الزقو والزقيُّ مصدر، وقد زقا الصدا يزقو. زقاً؛ أي: صاح، وكل صائح: زاقٍ، والزّقية: الصيحة.

﴿يَٰحَسْرَةً عَلَى ٱلْعِبَادِ﴾ قرأ الجمهور بنصب ﴿يَٰحَسْرَةً﴾، على أنها منادى[٨] منكر كأنه نادى الحسرة، وقال لها: هذا أوانك فاحضري.

وقيل: إنها منصوبة[٩] على المصدرية، والمنادى محذوف، والتقدير: يا هؤلاء تحسّروا حسرةً.

وقرأ قتادة، وأبيّ في رواية عنه بضم حُسرة[١٠] على النداء.

---

(١) «البحر المحيط» (٩/ ٦٠)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٧/ ٤٣٤)، و«جامع البيان» (١٩/ ٤٢٨)، و«روح المعاني» (٢٢/ ٣٠٨).
(٢) «النشر» (٢/ ٣٥٣)، و«البحر المحيط» (٩/ ٦٠).
(٣) ذكره النحاس في «إعراب القرآن» (٣/ ٣٩٠).
(٤) في «معاني القرآن وإعرابه» (٤/ ٢٨٣ ـ ٢٨٤).
(٥) «القراءات الشاذة» (ص١٢٥)، و«المحتسب» (٢/ ٢٠٦). وهي قراءة شاذة مخالفة للرسم.
(٦) في «إعراب القرآن» للنحاس (٣/ ٣٩١).
(٧) في «الصحاح» (٦/ ٣٣٦٨).
(٨) «التبيان» (٢/ ١٠٨٠)، و«الفريد» (٤/ ١٠٦)، و«مشكل إعراب القرآن» (٢/ ٢٢٤).
(٩) انظر: المصادر المتقدمة.
(١٠) «إعراب القراءات الشواذ» (٢/ ٢٦١)، و«القراءات الشاذة» (ص١٢٥). ورفع «حسرة» قراءة شاذة.

قال الفراء[١] في توجيه هذه القراءة: إن الاختيار النصب، وإنها لو رفعت النكرة لكان صواباً، واستشهد بأشياء نقلها عن العرب منها أنه سمع من العرب: يا مهتم بأمرنا لا تهتم، وأنشد:

يـا دارُ غـيَّـرهـا الـبِـلـى تَـغْـيـيـرا[٢]

قال النحاس[٣]: وفي هذا إبطال باب النداء أو أكثره. قال[٤]: وتقدير ما ذكره: يأيها المهتم لا تهتم بأمرنا، وتقدير البيت: يا أيتها الدار.

وحقيقة الحسرة: أنْ يلحق الإنسان مِنْ الندم ما يصير به حسيراً.

قال ابن جرير[٥]: المعنى: يا حسرةً من العباد على أنفسهم، وتندّما وتلهفا في استهزائهم برسل الله، ويؤيد هذا قراءة ابن عباس وعليّ بن الحسين «يا حسرة العباد» على الإضافة[٦]، ورويت هذه القراءة عن أبيّ.

وقال الضحاك[٧]: إنّها حسرة الملائكة على الكفار حين كذبوا الرسل.

وقيل: هي من قول الرجل الذي جاء من أقصى المدينة.

وقيل: إن القائل: يا حسرة على العباد هم: الكفار المكذبون، والعباد: الرسل، وذلك أنهم لما رأوا العذاب تحسروا على قتلهم، وتمنوا الإيمان قاله أبو العالية[٨]، ومجاهد[٩].

وقيل: إن التحسر عليهم هو من الله ﷻ بطريق الاستعارة لتعظيم ما جنوه.

وقرأ ابنُ هرمز، ومسلم بن جندب، وعكرمة، وأبو الزناد: «يا حسره» بسكون[١٠] الهاء إجراء للوصل مجرى الوقف.

---

(١) في «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٣٧٥).

(٢) انظر: «شرح أبيات سيبويه» (١/ ٥٢٣)، و«إعراب القرآن» للنحاس (٣/ ٣٩١).

(٣) في «إعراب القرآن» للنحاس (٣/ ٣٩١).

(٤) أي: النحاس في «إعراب القرآن» (٣/ ٣٩١).

(٥) في «تفسيره» (١٩/ ٤٢٩).

(٦) «البحر المحيط» (٩/ ٦١)، و«التبيان» (٢/ ١٠٨١)، و«فتح الباري» (٨/ ٤١٥)، و«المحتسب» (٢/ ٢٠٨)، و«القراءات الشاذة» (ص١٢٥).

(٧) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ١٥).

(٨) ذكره البغوي في «تفسيره» (٧/ ١٦).

(٩) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٧/ ٤٣٧).

(١٠) «المحتسب» (٢/ ٢٠٨)، و«القراءات الشاذة» (ص١٢٥). وهي وقراءة «ياحسرتا» شاذتان.

وقرئ[(١)]: «يا حسرتا» كما قرئ بذلك في سورة الزمر.

وجملة: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ مستأنفة مسوقة لبيان ما كانوا عليه من تكذيب الرسل، والاستهزاء بهم، وأن ذلك هو سبب التحسر عليهم.

ثم عجب سبحانه من حالهم حيث لم يعتبروا بأمثالهم من الأمم الخالية، فقال: ﴿أَلَمْ يَرَوْاْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ﴾؛ أي: ألم يعلموا كثرة من أهلكنا قبلهم من القرون التي أهلكناها من الأمم الخالية، وجملة: ﴿أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ بدل من كم أهلكنا على المعنى. قال سيبويه[(٢)]: «أنّ» بدل من «كم»، وهي: الخبرية، فلذلك جاز أن يبدل منها ما ليس باستفهام، والمعنى: ألم يروا أن القرون الذين أهلكناهم أنَّهم إليهم لا يرجعون.

وقال الفراء[(٣)]: «كم» في موضع نصب من وجهين: أحدهما: بـ «يروا»، واستشهد على هذا بأنّه في قراءة ابن مسعود: «ألم يروا مَنْ أهلكنا»، والوجه الآخر أن تكون كم في موضع نصب بأهلكنا.

قال النحاس[(٤)]: القول الأوّل محال؛ لأنّ كم لا يعمل فيها ما قبلها؛ لأنها استفهام، ومحال أنْ يدخل الاستفهام في حيز ما قبله، وكذا حكمها إذا كانت خبراً، وإن كان سيبويه قد أومأ إلى بعض هذا، فجعل «أنَّهم» بدلاً مِنْ «كَمْ»، وقد ردّ ذلك المبرد[(٥)] أشدّ ردّ.

﴿وَإِن كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾؛ أي: مُحْضَرون لدينا يوم القيامة للجزاء.

قرأ ابن عامر، وعاصم، وحمزة ﴿لَّمَّا﴾ بتشديدها[(٦)]، وقرأ الباقون

---

(١) «البحر المحيط» (٩/ ٦١)، و«حاشية الشهاب» (٧/ ٢٣٩)، و«روح المعاني» (٢٢/ ٣١١).

(٢) في «الكتاب» (٣/ ١٣٢).

(٣) في «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٣٧٦).

(٤) في «إعراب القرآن» (٣/ ٣٩٢ ـ ٣٩٣).

(٥) وقال: «كم» في موضع نصب، «أهلكنا» و«أنَّهم» في موضع نصب، والمعنى عنده: بأنهم؛ أي: ألم يَروَا كم أهلكنا قبلهم من القرون بالاستئصال. قال: والدليل على هذا: أنها في قراءة عبد الله: «من أهلكنا قبلهم من القرون أنهم إليهم لا يرجعون».
«الجامع لأحكام القرآن» (١٧/ ٤٣٩)، و«معاني القرآن» للنحاس (٥/ ٤٩٠)، و«روح المعاني» (٢٢/ ٣١٢ ـ ٣١٣).

(٦) «التيسير» (ص١٢٩)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٧/ ٤٣٩)، و«البحر المحيط» (٩/ ٦٣).

بتخفيفها[١]. قال الفراء[٢]: مَنْ شدّد جعل «لمّا» بمعنى: إلّا، و«إن» بمعنى: ما؛ أي: ما كلٌّ إلّا[٣] جميع لدينا محضرون، ومعنى «جميع» مجموعون، فهو فعيل بمعنى: مفعول، و«لدينا» ظرف له، وأما على قراءة التخفيف، فـ «إن» هي المخففة من الثقيلة، وما بعدها مرفوع بالابتداء، وتنوين ﴿كُلٌّ﴾ عوض عن المضاف إليه، وما بعده الخبر، واللام هي: الفارقة بين المخففة والنافية.

قال أبو عبيدة[٤]: و(ما) على هذه القراءة زائدة، والتقدير عنده: وإن كلّ لجميع. وقيل: معنى محضرون: مُعذَّبون، والأولى أنه على معناه الحقيقي من الإحضار للحساب.

ثم ذكر سبحانه البرهان على التوحيد، والحشر مع تعداد النعم، وتذكيرها، فقال: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ﴾، فآية خبر مقدّم، وتنكيرها للتفخيم، ولهم صفتها، أو متعلقة بآية؛ لأنّها بمعنى: علامة، والأرض مبتدأ، ويجوز: أن تكون آية مبتدأ لكونها قد تخصصت بالصفة، وما بعدها الخبر.

قرأ أهل المدينة: «الميّتة» بالتشديد، وخففها الباقون[٥].

وجملة: ﴿أَحْيَيْنَٰهَا﴾ مستأنفة مبينة لكيفية كونها آية، وقيل: هي صفة للأرض، فنبههم الله بهذا على إحياء الموتى، وذكّرهم نعمه، وكمال قدرته، فإنه سبحانه أحيا الأرض بالنبات .وأخرج منها الحبوب التي يأكلونها ويتغذون بها، وهو معنى قوله: ﴿وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ﴾، وهو ما يقتاتونه من الحبوب، وتقديم منه للدلالة[٦] على أنّ الحبّ مُعْظم ما يُؤكل وأكثر ما يقوم به المعاش ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ﴾؛ أي: جعلنا في الأرض جناتٍ من أنواع النخل والعنب وخصّصهما بالذكر؛ لأنهما أعلى الثمار، وأنفعها للعباد ﴿وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ ٱلْعُيُونِ﴾؛ أي: فجرنا في الأرض بعضاً من العيون، فحذف الموصوف، وأقيمت الصفة مقامه، أو المفعول العيون، و«مِنْ» مزيدة على رأي من جوّز زيادتها في الإثبات، وهو

---

(١) انظر: المصادر المتقدمة.
(٢) في «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٣٧٧).
(٣) «إعراب القرآن» للنحاس (٣/ ٣٩٣)، و«التبيان» (٢/ ٧١٦).
(٤) في «مجاز القرآن» (٢/ ١٦٠).
(٥) «البحر المحيط» (٩/ ٦٤)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (٢/ ٢١٥)، و«التيسير» (ص١٢٩).
(٦) «روح المعاني» (٢٢/ ٣١٨ ـ ٣١٩).

الأخفش[١]، ومن وافقه، والمراد بالعيون: عيون الماء.

قرأ الجمهور[٢] «فجّرنا» بالتشديد، وقرأ جناح بن حبُيش[٣] بالتخفيف، والفجر والتفجير كالفتح والتفتيح لفظاً ومعنى، واللام في ﴿لِيَأْكُلُواْ مِن ثَمَرِهِۦ﴾ متعلق بجعلنا، والضمير في ﴿مِن ثَمَرِهِۦ﴾ يعود إلى المذكور من الجنات والنخيل، وقيل: هو راجع إلى ماء العيون؛ لأنَّ الثمر منه، قاله الجرجاني.

قرأ الجمهور[٤] «ثَمَره» بفتح الثاء والميم، وقرأ حمزة والكسائي بضمهما[٥]، وقرأ الأعمش[٦] بضم الثاء، وإسكان الميم، وقد تقدّم الكلام في هذا في الأنعام.

وقوله: ﴿وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْۚ﴾ معطوف على ثمره؛ أي: ليأكلوا من ثمره، ويأكلوا مما عملته أيديهم كالعصير والدِّبسْ ونحوهما، وكذلك ما غرسوه وحفروه على أنّ «ما» موصولة، وقيل: هي نافية؛ والمعنى: لم يعملوه، بل العامل له هو الله؛ أي: وجدوها معمولة، ولا صنع لهم فيها، وهو قول الضحاك[٧] ومقاتل.

قرأ الجمهور[٨]: «عملتهُ»، وقرأ الكوفيون: «عملتْ» بحذف الضمير، والاستفهام في قوله: ﴿أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾؟ للتقريع[٩] والتوبيخ لهم لعدم شكرهم للنعم، وجملة: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا﴾ مستأنفة [٣/٤٣١] مسوقة لتنزيهه سبحانه عمّا وقع منهم مِنْ ترك الشكر لنعمه المذكورة، والتعجب من إخلالهم بذلك.

وقد تقدّم الكلام مستوفى في معنى: سبحان، وهو في تقدير: الأمر للعباد بأن

---

(١) ذكره العكبري (٢/ ١٠٨٢).

(٢) «النشر» (٢/ ٢٢٤ ـ ٢٢٥)، و«التيسير» (ص١٠٦)، و«البحر المحيط» (٩/ ٦٥).

(٣) «القراءات الشاذة» (ص١٢٥)، و«البحر المحيط» (٩/ ٦٥). القراءة بالتخفيف شاذة.

(٤) «النشر» (٢/ ٢٦٠)، و«البحر المحيط» (٩/ ٦٤)، و«روح المعاني» (٢٢/ ٣٢١).

(٥) «روح المعاني» (٢٢/ ٣٢١)، و«البحر المحيط» (٩/ ٦٤). هما قراءتان متواترتان، وقراءة الأعمش شاذة.

(٦) «النشر» (٢/ ٢٦٠)، و«روح المعاني» (٢٢/ ٣٢١)، و«البحر المحيط» (٩/ ٦٤).

(٧) ذكره عنهما الواحدي في «الوسيط» (٣/ ٥١٣)، والألوسي في «روح المعاني» (٢٢/ ٣٢٢).

(٨) «التيسير» (ص١٨٤)، و«روح المعاني» (٢٢/ ٣٢٣). الكوفيون عدا حفص عن عاصم يقرأون هذه الكلمة «عملت» بدون ضمير، وقرأ باقي العشرة ومعهم حفص عن عاصم بالضمير «عملته». انظر: «النشر» (٢/ ٣٥٣).

(٩) «تفسير أبي السعود» (٥/ ٤٩٥).

ينزهوه عما لا يليق به، والأزواج: الأنواع والأصناف؛ لأن كل صنف مختلف الألوان والطعوم والأشكال.

و﴿مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلۡأَرۡضُ﴾ بيان للأزواج، والمراد: كُل ما يُنبت فيها مِنْ الأشياء المذكورة وغيرها ﴿وَمِنۡ أَنفُسِهِمۡ﴾؛ أي: خلق الأزواج مِنْ أنفسهم، وهم: الذكور والإناث ﴿وَمِمَّا لَا يَعۡلَمُونَ﴾ مِنْ أصناف خلقه في البرِّ والبحر، والسماء والأرض ﴿وَءَايَةٞ لَّهُمُ ٱلَّيۡلُ نَسۡلَخُ مِنۡهُ ٱلنَّهَارَ﴾ الكلام في هذا كما قدّمنا في قوله: ﴿وَءَايَةٞ لَّهُمُ ٱلۡأَرۡضُ ٱلۡمَيۡتَةُ أَحۡيَيۡنَٰهَا﴾، والمعنى: أنّ ذلك علامة دالة على توحيد الله وقدرته ووجوب إلٰهيته، والسلخ[١]: الكشط والنزع، يقال: سلخه الله من بدنه، ثم يستعمل بمعنى: الإخراج فجعل سبحانه ذهاب الضوء ومجيء الظلمة كالسّلْخ من الشيء وهو استعارة بليغة ﴿فَإِذَا هُم مُّظۡلِمُونَ﴾؛ أي: داخلون في الظلام[٢] مفاجأةً وبغتة، يقال: أظلمنا؛ أي: دخلنا في ظلام الليل، وأظهرنا: دخلنا في وقت الظهر، وكذلك أصبحنا وأمسينا، وقيل: «مِنْه» بمعنى: عنه، والمعنى: نسلخ عنه ضياء النهار.

قال الفراء[٣]: يرمى بالنهار على الليل، فيأتي بالظلمة، وذلك أن الأصل هي: الظُلْمة، والنهار داخل عليه، فإذا غربت الشمس سلخ النهار من الليل؛ أي: كشط وأزيل، فتظهر الظلمة ﴿وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ﴾ يحتمل: أن تكون الواو للعطف[٤] على الليل، والتقدير: وآية لهم الشمس، ويجوز: أن تكون الواو[٥] ابتدائية، والشمس مبتدأ وما بعدها الخبر، ويكون الكلام مستأنفاً مشتملاً على ذكر آية مستقلة.

قيل: وفي الكلام حذف، والتقدير: تجري لمجرى مستقرّ لها، فتكون اللام للعلة؛ أي: لأجل مستقرّ لها، وقيل: اللام[٦] بمعنى: إلى وقد قُرئ بذلك.

---

(١) «الصحاح» (١/ ٤٢٣)، و«مفردات ألفاظ القرآن» (ص٤١٩).
(٢) «روح المعاني» (٢٢/ ٣٢٤)، و«النكت والعيون» (١٥/ ١٧).
(٣) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٣٧٨).
(٤) «روح المعاني» (٢٢/ ٣٢٤)، و«مشكل إعراب القرآن» (٢/ ٢٣٦)، و«الفريد» (٤/ ١٠٧).
(٥) انظر: المصادر المتقدمة.
(٦) «القراءات الشاذة» (ص١٢٦)، و«النكت والعيون» (٥/ ١٧)، و«البحر المحيط» (٩/ ٧٦). وهي قراءة شاذة.

قيل[١]: والمراد بالمستقرّ: يوم القيامة، فعنده تستقرّ ولا يبقى لها حركة، وقيل: مستقرها هو أبعد ما تنتهي إليه ولا تجاوزه، وقيل: نهاية ارتفاعها في الصيف ونهاية هبوطها في الشتاء، وقيل: مستقرها تحت العرش؛ لأنها تذهب إلى هنالك فتسجد، فتستأذن في الرجوع فيؤذن لها، وهذا هو الرّاجح.

وقال الحسن[٢]: إن للشمس في السنة ثلثمائة وستين مطلعاً تنزل في كل يوم مطلعاً، ثم لا تنزل إلى الحول، فهي تجري في تلك المنازل، وهو: مستقرّها، وقيل: غير ذلك.

وقرأ ابن مسعود[٣]، وابن عباس، وعكرمة، وزين العابدين، وابنه الباقر، والصادق بن الباقر: «لا مستقرّ لها»[٤] بلا التي لنفي الجنس وبناء مستقرّ على الفتح[٥].

وقرأ ابن أبي عَبْلة[٦]: لا مستقرٌّ بلا التي بمعنى: ليس، ومستقرّ اسمها، ولها خبرها، والإشارة بقوله: ﴿ذَٰلِكَ﴾ إلى جري الشمس؛ أي: ذلك الجري ﴿تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ﴾؛ أي: الغالب القاهر ﴿ٱلْعَلِيمِ﴾؛ أي: المحيط علمه بكل شيء، ويحتمل: أَنْ تكون الإشارة راجعة إلى المستقرّ؛ أي: ذلك المستقرّ: تقدير الله.

﴿وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ﴾. قرأ نافع، وابن كثير، وأبو عمرو برفع[٧] القمر على الابتداء.

---

(١) «النكت والعيون» (٥/ ١٧)، و«البحر المحيط» (٩/ ٦٧).
(٢) «الجامع لأحكام القرآن» (١٧/ ٤٤٦ ـ ٤٤٧)، و«النكت والعيون» (٥/ ١٧).
(٣) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٧/ ٤٤٤ ـ ٤٤٥). وأخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٣/ ٢٨٣)، وأبو الشيخ في «العظمة» رقم (٦٥٠) عن ابن عباس بسند صحيح.
(٤) «الجامع لأحكام القرآن» (١٧/ ٤٤٥)، و«المحتسب» (٢/ ٢١٢)، و«البحر المحيط» (٩/ ٦٧ ـ ٦٨). وهي قراءة شاذة ولا تصح عن ابن عباس.
(٥) ● وقد احتج من خالف المصحف فقال: أنا أقرأ بقراءة ابن مسعود وابن عباس.
قال ابن الأنباري: وهذا باطلٌ مردود على من نقله؛ لأنَّ أبا عمرٍو روى عن مجاهدٍ عن ابن عباس، وابن كثير روى عن مجاهد عن ابن عباس: ﴿وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا﴾ هذان السَّندان عن ابن عباس اللذان يشهد بصحَّتهما الإجماع ـ يبطلان ما روي بالسند الضعيف ممَّا يخالف مذهب الجماعة وما اتفقت عليه الأمة.
(٦) «البحر المحيط» (٩/ ٦٨).
(٧) «البحر المحيط» (٩/ ٦٨)، و«النشر» (٢/ ٣٥٣)، و«التيسير» (١٨٤).

وقرأ الباقون بالنصب[١] على الاشتغال، وانتصاب منازل على أنه مفعول ثانٍ؛ لأنّ قدرنا بمعنى صيّرنا، ويجوز: أن يكون منتصباً على الحال؛ أي: قدّرنا سيره حال كونه ذا منازل، ويجوز: أَنْ يكون منتصباً على الظرفية؛ أي: في منازل.

واختار أبو عبيد[٢] النصب في القمر، قال: لأن قبله فعلاً وهو نسلخ، وبعده فعلاً، وهو قدّرنا. قال النّحاس[٣]: أهل العربية جميعاً فيما علمت على خلاف ما قال. منهم الفراء[٤] قال: الرفع أعجب إليّ، قال: وإنما كان الرفع عندهم أولى؛ لأنه معطوف على ما قبله، ومعناه: وآية لهم القمر.

قال أَبو حاتم[٥]: الرفع أولى؛ لأنك شغلت الفعل عنه بالضمير، فرفعته بالابتداء، والمنازل: هي: الثمانية والعشرون التي ينزل القمرُ في كلِّ ليلة في واحد منها، وهي معروفة وسيأتي ذكرها، فإذا صار القمر في آخرها عاد إلى أوّلها، فيقطع الفَلَك في ثمان وعشرين ليلة، ثم يستتر ليلتين، ثم يطلع هلالاً، فيعود في قطع تلك المنازل مِنْ الفلك.

﴿حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ﴾ قال[٦] الزجاج: العرجون[٧] هو عُود العِذْق الذي فيه الشماريخ، وهو فُعْلون من الانعراج، وهو الانعطاف؛ أي: سار في منازله، فإذا كان في آخرها دقَّ، واستقوس، وصغر حتى صار كالعُرجون القديم، وعلى هذا فالنون زائدة.

قال قتادة[٨]: وهو: العِذْق اليابس المُنْحني من النخلة. قال ثعلب[٩]: العرجون: الذي يبقى في النخلة إذا قُطعت، والقديم: البالي.

وقال الخليل[١٠]: العرجون: أصل العِذْق، وهو أصفر عريض، يُشْبه به الهلال

---

(١) «روح المعاني» (٢٢/ ٣٣٧)، و«البحر المحيط» (٩/ ٦٨).
(٢) ذكره القرطبي في تفسيره (١٧/ ٤٤٦).
(٣) في «إعراب القرآن» (٣/ ٣٩٤).
(٤) في «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٣٧٨).
(٥) ذكره القرطبي في تفسيره (٧/ ٤٤٦).
(٦) في «معاني القرآن وإعرابه» (٤/ ٢٨٧).
(٧) «مفردات ألفاظ القرآن» (ص٥٥٨)، و«الصحاح (٤/ ١٥٢٢).
(٨) أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢/ ١٤١) بسند صحيح.
(٩) «ياقوتة الصراط» لغلام ثعلب (ص٤٢٢).
(١٠) في كتاب «العين» (ص٦٣١).

إذا انحنى، وكذا قال الجوهري[(١)]: إنه أصل العذق الذي يعوج، ويقطع منه الشماريخ، فيبقى على النخل يابساً، وعرجنه: ضربته بالعُرجون، وعلى هذا فالنون أصلية.

قرأ الجمهور: «العُرجُون»: بضم العين[(٢)]، والجيم، وقرأ سليمان[(٣)] التيمي: بكسر العين، وفتح الجيم، وهما لغتان، والقديم: العتيق.

﴿لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ﴾ الشمس مرفوعة بالابتداء؛ لأنه لا يجوز أَنْ تعمل «لا» في المعرفة؛ أي: لا يصح ولا يمكن للشمس أن تدرك القمر في سرعة السير، وتنزل في المنزل الذي فيه القمر؛ لأن لكل واحد منهما سلطاناً على انفراده، فلا يتمكن أحدهما مِنْ الدخول على الآخر، فيذهب سلطانه إلى أن يأذن الله بالقيامة، فتطلع الشمس من مغربها.

وقال الضحاك[(٤)]: معناه: إذا طلعت الشمس لم يكن للقمر ضوء، وإذا طلع القمر لم يكن للشمس ضوء.

وقال مجاهد[(٥)]: أي: لا يشبه ضوء أحدهما ضوء الآخر.

وقال الحسن[(٦)]: إنهما لا يجتمعان في السماء ليلة الهلال خاصة، وكذا قال يحيى بن سلام[(٧)].

وقيل: معناه: إذا اجتمعا في السماء كان أحدهما بين يدي الآخر في منزل لا يشتركان فيه. وقيل: القمر في سماء الدنيا، والشمس في السماء الرابعة. ذكره النحاس[(٨)] والمهدوي[(٩)].

---

(١) في «الصحاح (٤/ ١٥٢٢).
(٢) «البحر المحيط» (٩/ ٦٨)، و«روح المعاني» (٢٢/ ٣٤٦)، و«زاد المسير» (٧/ ٢٠).
(٣) «القراءات الشاذة» (ص١٢٥)، و«البحر المحيط» (٩/ ٦٨). وهي قراءة شاذة.
(٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٩/ ٤٤٠) بسند حسن.
(٥) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٩/ ٤٣٨ ـ ٤٣٩) بسند ضعيف، من طريق القاسم بن أبي بزة عن مجاهد.
(٦) أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢/ ١٤٣).
(٧) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ١٨).
(٨) في «إعراب القرآن» (٣/ ٣٩٥).
(٩) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٧/ ٤٥١).

قال النحاس[١]: وأحسن ما قيل في معناه وأبينه: أن سير القمر سير سريع، والشمس لا تدركه في السير.

وأما قوله: ﴿وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ﴾ [القيامة: ٩]، فذلك[٢] حين حبس الشمس عن الطلوع على ما تقدّم بيانه في الأنعام، ويأتي في سورة القيامة أيضاً، وجمعهما علامة لانقضاء الدنيا، وقيام الساعة ﴿وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ﴾؛ أي: لا يسبقه فيفوته، ولكن يعاقبه ويجيء كل واحد منهما في وقته ولا يسبق صاحبه.

وقيل: المراد من الليل والنهار آيتاهما، وهما الشمس والقمر، فيكون عكس قوله: ﴿لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ﴾؛ أي: ولا القمر سابق الشمس، وإيراد السبق مكان الإدراك لسرعة سير القمر.

﴿وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ التنوين في كلٍّ عوض عن المضاف إليه؛ أي: وكل واحد منهما، والفلَك[٣]: هو الجسمُ المستدير أو السطح المستدير أو الدائرة، والخلاف في كون السماء مبسوطة أو مستديرة معروف، والسبح[٤]: السير بانبساط، وسهولة، والجمع في قوله: ﴿يَسْبَحُونَ﴾ باعتبار اختلاف مطالعهما، فكأنهما متعدّدان بتعدّدها أو المراد: الشمس والقمر والكواكب.

وقد أخرج ابنُ جرير، وابن أبي حاتم عن ابن مسعود[٥] في قوله: ﴿وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ الآية يقول: ما كابدناهم بالجموع؛ أي: الأمر أيسر علينا من ذلك.

وأخرج ابنُ المنذر، وابنُ أبي حاتم عن ابن عباس[٦] في قوله: ﴿يَٰحَسْرَةً عَلَى ٱلْعِبَادِۚ﴾ يقول: يا ويلاً للعباد.

وأخرج ابن أبي حاتم[٧] عنه في قوله: ﴿يَٰحَسْرَةً عَلَى ٱلْعِبَادِۚ﴾ قال: الندامة على العباد الذين ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ يقول: الندامة عليهم يوم القيامة.

---

(١) في «إعراب القرآن» (٣/ ٣٩٥). (٢) «الجامع لأحكام القرآن» (٩/ ١٢٩).

(٣) «الصحاح» (٤/ ١٦٠٤)، و«مفردات ألفاظ القرآن» (ص٦٥٤).

(٤) «مفردات ألفاظ القرآن» (ص٣٩٢).

(٥) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٩/ ٤٢٧ ـ ٤٢٨) بسند ضعيف، وذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣١٩٣).

(٦) عزاه إليهما السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٥٤)، وذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣١٩٣).

(٧) ذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣١٩٣).

وأخرج ابنُ أبي حاتم[١] عنه أيضاً في قوله: ﴿وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْۚ﴾ قال: وجدوه معمولاً لم تعمله أيديهم: يعني: الفرات ودجلة ونهر بَلْخ وأشباهها ﴿أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾ لهذا؟

وأخرج البخاري، ومسلم، وغيرهما عن أبي ذرّ[٢] قال: سألت رسول الله ﷺ عن قوله: ﴿وَٱلشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَاۚ﴾ قال: مستقرّها تحت العرش، وفي لفظ للبخاري، وغيره من حديثه قال: «كنت مع النبي ﷺ في المسجد عند غروب الشمس، فقال: يا أبا ذرّ أتدري أين تغرب الشمس؟ قلت: الله ورسوله أعلم، قال: إنها تذهب حتى تسجد تحت العرش، فذلك قوله: ﴿وَٱلشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَاۚ﴾». وفي لفظ مِنْ حديثه أيضاً عند أحمد والترمذي والنسائي وغيرهم قال: يا أَبا ذرّ أتدري أينَ تذهب هذه؟ قلتُ: الله ورسوله أعلم، قال: فإنها تذهب حتى تَسْجد بين يدي ربِّها، فتستأذن في الرجوع فيأذن لها، وكأنّها قد قيل لها: اطلعي مِنْ حيثُ جئت فتطلع مِنْ مغربها. ثم قرأ: «ذٰلك مستقرّ لها» وذلك قراءة عبد الله.

وأخرج الترمذي، والنسائي، وغيرهما من قول ابن عمرو[٣] نحوه.

وأخرج الخطيب في كتاب «النجوم»[٤] عن ابن عباس في قوله: ﴿وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ﴾ الآية قال: هي: ثمانية وعشرون منزلاً ينزلها القمر في كلّ شهر: أربعة عشر منها شامية، وأربعة عشر منها يمانية، أولها الشَّرْطين، والبُطين، والثَّريا، والدَّبَران، والهقْعة، والهَنْعة، والذِّراع، والنثْرة، والطَّرْف، والجبهة، والزُّبرة،

---

(١) عزاه إليهما السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٥٤)، وذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣١٩٣).

(٢) أخرجه البخاري في «صحيحه» رقم (٣١٩٩، ٤٨٠٢، ٧٤٢٤)، والترمذي رقم (٢١٨٦، ٣٢٢٧)، وأبو الشيخ في «العظمة» رقم (٦٥٦ ـ ٦٦١)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» رقم (٨٣٦).

(٣) أخرجه الترمذي رقم (٢١٨٦، ٣٢٢٧)، والنسائي في «السنن الكبرى» رقم (١١٤٣٠)، وأحمد رقم (٢١٣٥٢)، وابن جرير في «جامع البيان» (١٩/ ٤٣٥) من حديث أبي ذر رضي الله عنه وهو حديث صحيح.

• وأخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢/ ١٤٢)، وأبو الشيخ في «العظمة» رقم (٦٣٠) بسند صحيح. وقراءة «ذلك مستقرها» شاذة مخالفة للرسم.

(٤) (ص١٣٣ ـ ١٤٠).

والصرفة، والعوَّاء، والسِّمَاك وهو آخر الشامية، والغَفْر، والزبانا، والإكليل، والقلب، والشَّولة، والنعائم، والبلدة، وسعدُ الذابح، وسعد بُلَع، وسعد السعود، وسعد الأَخْبية، ومقدَّم الدلو، ومؤخر الدلو، والحوت، وهو آخر اليمانية فإذا سار هذه الثمانية وعشرين منزلاً ﴿عَادَ كَٱلۡعُرۡجُونِ ٱلۡقَدِيمِ﴾ كما كان في أوّل الشهر.

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم[1] عنه في قوله: ﴿كَٱلۡعُرۡجُونِ ٱلۡقَدِيمِ﴾: يعني: أصل العِذْق العتيق.

[قدرة الله في السماء وفي الأرض سواء]

﴿وَءَايَةٞ لَّهُمۡ أَنَّا حَمَلۡنَا ذُرِّيَّتَهُمۡ فِي ٱلۡفُلۡكِ ٱلۡمَشۡحُونِ ﴿٤١﴾ وَخَلَقۡنَا لَهُم مِّن مِّثۡلِهِۦ مَا يَرۡكَبُونَ ﴿٤٢﴾
وَإِن نَّشَأۡ نُغۡرِقۡهُمۡ فَلَا صَرِيخَ لَهُمۡ وَلَا هُمۡ يُنقَذُونَ ﴿٤٣﴾ إِلَّا رَحۡمَةٗ مِّنَّا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٖ ﴿٤٤﴾ وَإِذَا
قِيلَ لَهُمُ ٱتَّقُواْ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيكُمۡ [٣/٤٣٢] وَمَا خَلۡفَكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ﴿٤٥﴾ وَمَا تَأۡتِيهِم مِّنۡ ءَايَةٖ مِّنۡ
ءَايَٰتِ رَبِّهِمۡ إِلَّا كَانُواْ عَنۡهَا مُعۡرِضِينَ ﴿٤٦﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ
لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنُطۡعِمُ مَن لَّوۡ يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطۡعَمَهُۥٓ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴿٤٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا
ٱلۡوَعۡدُ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٤٨﴾ مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ تَأۡخُذُهُمۡ وَهُمۡ يَخِصِّمُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَا
يَسۡتَطِيعُونَ تَوۡصِيَةٗ وَلَآ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِمۡ يَرۡجِعُونَ ﴿٥٠﴾ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلۡأَجۡدَاثِ إِلَىٰ
رَبِّهِمۡ يَنسِلُونَ ﴿٥١﴾ قَالُواْ يَٰوَيۡلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرۡقَدِنَاۜۗ هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلۡمُرۡسَلُونَ
﴿٥٢﴾ إِن كَانَتۡ إِلَّا صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ فَإِذَا هُمۡ جَمِيعٞ لَّدَيۡنَا مُحۡضَرُونَ ﴿٥٣﴾ فَٱلۡيَوۡمَ لَا تُظۡلَمُ نَفۡسٞ
شَيۡـٔٗا وَلَا تُجۡزَوۡنَ إِلَّا مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٥٤﴾﴾.

ثم ذكر سبحانه وتعالى نوعاً آخر مما امتنّ به على عباده من النعم، فقال: ﴿وَءَايَةٞ لَّهُمۡ أَنَّا حَمَلۡنَا ذُرِّيَّتَهُمۡ فِي ٱلۡفُلۡكِ ٱلۡمَشۡحُونِ﴾؛ أي: دلالة وعلامة، وقيل: معنى «آية»[2] هنا: العِبْرة، وقيل: النِّعمة، وقيل: النذارة.

وقد اختلف في معنى: ﴿أَنَّا حَمَلۡنَا ذُرِّيَّتَهُمۡ﴾ وإلى من يرجع الضمير؛ لأن الضمير الأوّل، وهو قوله: ﴿وَءَايَةٞ لَّهُمۡ﴾ لأهل مكة أو لكفار العرب أو للكفار على الإطلاق الكائنين

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٩/ ٤٣٧) بسند صحيح.
(٢) «النكت والعيون» (٥/ ١٩).

في عصر محمد ﷺ، فقيل: الضمير يرجع إلى القرون الماضية، والمعنى: أن الله حَمَل ذرّيّة القرون الماضية في الفُلْك المشحون؛ فالضميران[١] مختلفان.

وهذا حكاه النحاس[٢] عن عليّ بن سليمان الأخفش. وقيل: الضميران لكفار مكة ونحوهم. والمعنى: أن الله حمل ذرّيّاتهم من أولادهم، وضعفائهم على الفلك، فامتنّ الله عليهم بذلك؛ أي: إنهم يحملونهم معهم في السفن إذا سافروا، أو يبعثون أولادهم للتجارة لهم فيها. وقيل: الذرّيّة الآباء والأجداد، والفُلْك هو: سفينة نوح؛ أي: إنّ الله حمل آباء هؤلاء، وأجدادهم في سفينة نوح.

قال الواحدي[٣]: والذرّيّة تقع على الآباء كما تقع على الأولاد.

قال أبو عثمان[٤]: وسمي الآباء ذرية؛ لأنّ منهم ذرء الأبناء، وقيل: الذرّية: النطف الكائنة في بطون النساء، وشبه البطون بالفلك المشحون، والراجح: القول الثاني ثم الأوّل، ثم الثالث، وأما الرابع ففي غاية البعد والنكارة.

وقد تقدّم الكلام في الذرية، واشتقاقها في سورة البقرة مستوفى، والمشحون المملوء المُوقرْ، والفُلْك يطلق على الواحد والجمع كما تقدّم في يونس، وارتفاع آية[٥] على أنها خبر مقدّم، والمبتدأ ﴿أَنَّا حَمَلْنَا﴾، أو العكس على ما قدّمنا. وقيل: إن الضمير في قوله: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمْ﴾ يرجع إلى العباد المذكورين في قوله: ﴿يَٰحَسْرَةً عَلَى ٱلْعِبَادِ﴾ [يسٓ: ٣٠]؛ لأنّه قال بعد ذلك: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ﴾ [يسٓ: ٣٣]، وقال: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ﴾ [يسٓ: ٣٧]. ثم قال: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ﴾، فكأنه قال: وآية للعباد أنّا حملنا ذريات العباد، ولا يلزم أَنْ يكون المراد بأحد الضميرين البعض مِنْهم، وبالضمير الآخر البعض الآخر، وهذا قول حسن.

﴿وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِۦ مَا يَرْكَبُونَ﴾؛ أي: وخلقنا لهم مما يماثل الفُلْك ما يركبونه على أن «ما» هي الموصولة.

---

(١) «مشكل إعراب القرآن» (٢/ ٢٢٦)، و«الفريد» (٤/ ١١٠)، و«التبيان» (٢/ ١٠٨٣).

(٢) في «إعراب القرآن» (٣/ ٣٩٦).

(٣) في «الوسيط» (٣/ ٥١٤).

(٤) كذا في المخطوط والذي في «النكت والعيون» (٥/ ١٩) أبان بن عثمان.

(٥) «الفريد» (٤/ ١١٠)، و«التبيان» (٢/ ١٠٨٣).

قال مجاهد[١]، وقتادة[٢]، وجماعة[٣] مِنْ أهل التفسير: وهي: الإبل خلقها لهم للركوب في البرِّ مثل السفن المركوبة في البحر، والعرب تسمي الإبل سفائن البرّ، وقيل: المعنى: وخلقنا لهم سفُناً أمثال تلك السفن يركبونها، قاله الحسن والضحاك وأبو مالك.

قال النحاس[٤]: وهذا أصحّ؛ لأنه متصل الإسناد عن ابن عباس، وقيل: هي السفن المتخذة بعد سفينة نوح ﴿وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنقَذُونَ﴾ هذا من تمام الآية التي امتنّ الله بها عليهم، ووجه الامتنان أنّه لم يغرقهم في لُجج البحار مع قدرته على ذلك، والضمير يرجع إما إلى أصحاب الذرية أو إلى الذرية أو إلى الجميع على اختلاف الأقوال، والصريخ بمعنى: المصرخ، والمصرخ هو المغيث؛ أي: فلا مغيث لهم يغيثهم إنْ شئنا إغراقهم، وقيل: هو المنعة.

ومعنى يُنْقذَون: يُخَلَّصون، يقال: أنقذه، واستنقذه، إذا خلّصه من مكروه ﴿إِلَّا رَحْمَةً مِّنَّا﴾ استثناء مفرّغ مِنْ أعمّ العلل؛ أي: لا صريخ لهم ولا ينقذون لشيء من الأشياء إلّا لرحمة منا، كذا قال الكسائي[٥] والزجاج[٦]، وغيرهما، وقيل: هو استثناء منقطع؛ أي: لكن لرحمة منا.

وقيل: هو منصوب[٧] على المصدرية بفعل مقدّر وانتصاب ﴿وَمَتَٰعًا﴾ على العطف على رحمة؛ أي: نمتعُهم بالحياة الدنيا ﴿إِلَىٰ حِينٍ﴾ وهو: الموت، قاله قتادة[٨].

وقال يحيى بن سلام[٩]: إلى القيامة ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٩/ ٤٤٦) بسند صحيح.
(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٩/ ٤٤٦) بسند صحيح.
(٣) «جامع البيان» (١٩/ ٤٤٢)، و«روح المعاني» (٢٢/ ٣٦٠ ـ ٣٦١)، و«الوسيط» (٣/ ٥١٤ ـ ٥١٥).
(٤) في «إعراب القرآن» (٣/ ٣٩٧).
(٥) ذكره القرطبي في «الجامع لأحكام القرآن» (١٧/ ٤٥٥).
(٦) في «معاني القرآن وإعرابه» (٤/ ٢٨٩).
(٧) «التبيان» (٢/ ١٠٨٣ ـ ١٠٨٤)، و«الفريد» (٤/ ١١١).
(٨) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٩/ ٤٤٧) بسند صحيح.
(٩) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٧/ ٤٥٤)، والماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٢٠).

خَلْفَكُمْ﴾؛ أي: ما بين أيديكم من الآفات والنوازل فإنها محيطة بكم، وما خلفكم منها.

قال قتادة[١]: معنى: ﴿اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ﴾؛ أي: من الوقائع فيمن كان قبلكم من الأمم ﴿وَمَا خَلْفَكُمْ﴾ في الآخرة.

وقال سعيد بن جبير[٢]، ومجاهد[٣]: ﴿مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ﴾: ما مضى من الذنوب ﴿وَمَا خَلْفَكُمْ﴾ ما بقي منها.

وقيل: ﴿مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ﴾: الدنيا ﴿وَمَا خَلْفَكُمْ﴾: الآخرة قاله سفيان[٤].

وحكى عكس هذا القول الثعلبي[٥] عن ابن عباس. وقيل: ﴿مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ﴾: ما ظهر لكم ﴿وَمَا خَلْفَكُمْ﴾: ما خفي عنكم، وجواب «إذا» محذوف، والتقدير: إذا قيل لهم ذلك أعرضوا كما يدلّ عليه ﴿إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾.

﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾؛ أي: رجاء أن تُرحموا، أو كي تُرحموا، أو راجين أنْ تُرحموا.

﴿وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾ «ما» هي النافية، وصيغة المضارع للدلالة على التجدّد[٦]، و«من» الأولى: مزيدة للتوكيد، والثانية: للتبعيض[٧]، والمعنى: ما تأتيهم من آية دالة على نبوّة محمد ﷺ وعلى صحة ما دعا إليه من التوحيد في حال من الأحوال إلّا كانوا عنها معرضين.

وظاهره يشمل الآيات التنزيلية والآيات التكوينية، وجملة: ﴿إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾ في محلّ نصب[٨] على الحال كما مرّ تقريره في غير موضع.

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٩/ ٤٤٨) بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة.
وأخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢/ ١٤٤) بسند صحيح من طريق معمر عن قتادة.
(٢) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٧/ ٤٥٦).
(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٩/ ٤٤٨) بسند صحيح.
(٤) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٢١).
(٥) في تفسيره «الكشف والبيان» (٨/ ١٢٩).
(٦) «روح المعاني» (٢٢/ ٣٦٥)، و«تفسير أبي السعود» (٥/ ٤٩٨).
(٧) «تفسير أبي السعود» (٥/ ٤٩٨)، و«روح المعاني» (٢٢/ ٣٦٥).
(٨) «روح المعاني» (٢٢/ ٣٦٦).

والمراد بالإعراض[(١)] عدم الالتفات إليها، وترك النظر الصحيح فيها، وهذه الآية متعلقة بقوله: ﴿يَٰحَسۡرَةً عَلَى ٱلۡعِبَادِۚ مَا يَأۡتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ﴾ [يسٓ: ٣٠]؛ أي: إذا جاءتهم الرسل كذّبوا، وإذا أتُوا بالآيات أعرضوا عنها ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ﴾؛ أي: تصدّقوا على الفقراء مما أعطاكم الله، وأنعم به عليكم من الأموال، قال الحسن[(٢)]: يعني: اليهود أمروا بإطعام الفقراء.

وقال مقاتل[(٣)]: إنّ المؤمنين قالوا لكفار قريش: أنفقوا على المساكين مما زعمتم أنه لله من أموالكم من الحرث والأنعام كما في قوله سبحانه: ﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلۡحَرۡثِ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ نَصِيبًا﴾ [الأنعام: ١٣٦]، فكان جوابهم ما حكاه الله عنهم بقوله: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ استهزاءً بهم، وتهكماً بقولهم: ﴿أَنُطۡعِمُ مَن لَّوۡ يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطۡعَمَهُۥٓ﴾؛ أي: من لو يشاء الله رزقه؟

وقد كانوا[(٤)] سمعوا المسلمين يقولون: إنّ الرزّاق هو الله، وأنه يغني من يشاء ويُفْقِر من يشاء، فكأنهم حاولوا بهذا القول الإلزام للمسلمين، وقالوا: نحن نوافق مشيئة الله، فلا نُطعم مَنْ لم يطعمه الله، وهذا غلط منهم ومكابرة ومجادلة بالباطل، فإن الله سبحانه أغنى بعض خلقه، وأفقر بعضاً، وأمر الغنيّ أن يطعم الفقير، وابتلاه به فيما فرض له من ماله من الصدقة. وقولهم: ﴿مَن لَّوۡ يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطۡعَمَهُۥٓ﴾ هو وإن كان كلاماً صحيحاً في نفسه، ولكنّهم لما قصدوا به الإنكار لقدرة الله أو إنكار جواز الأمر بالانفاق مع قدرة الله كان احتجاجهم[(٥)] من هذه الحيثية باطلاً.

وقوله: ﴿إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾ من تمام كلام الكفار. والمعنى: أنكم أيها المسلمون في سؤال المال، وأمرنا بإطعام الفقراء، لفي ضلال في غاية الوضوح والظهور. وقيل: هو من كلام الله سبحانه جواباً على هذه المقالة التي قالها الكفار.

وقال القشيري[(٦)] والماوردي[(٧)]: إنّ الآية نزلت في قوم من الزنادقة.

---

(١) «مفردات ألفاظ القرآن» (ص٥٦٠).
(٢) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ٢١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣١٩٧).
(٣) ذكره البغوي في «تفسيره» (٧/ ٢٠).
(٤) «زاد المسير» (٧/ ٢٤)، و«معالم التنزيل» (٤/ ١٤).
(٥) «الجامع الأحكام القرآن» (١٧/ ٤٥٧)، و«جامع البيان» (١٩/ ٤٤٩ ـ ٤٥٠).
(٦) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٧/ ٤٥٨). (٧) في «النكت والعيون» (٥/ ٢١).

وقد كان في كفار قريش وغيرهم من سائر العرب، قوم يتزندقون فلا يؤمنون بالصانع، فقالوا هذه المقالة استهزاءً بالمسلمين ومناقضة لهم. وحكى نحو هذا القرطبي(١) عَنْ ابن عباس ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ﴾ الذي تعدونا به من العذاب والقيامة والمصير إلى الجنة أو النار؟ ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ فيما تقولون وتعدونا به.

قالوا ذلك استهزاءً منهم، وسخريةً بالمؤمنين. ومقصودهم إنكار ذلك بالمرّة، ونفي تحقّقه وجحد وقوعه، فأجاب الله سبحانه عنهم بقوله: ﴿مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً﴾؛ أي: ما ينتظرون إلّا صيحة واحدة، وهي: نفخة إسرافيل في الصور ﴿تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ﴾؛ أي: يختصمون في ذات بينهم في البيع والشراء ونحوهما من أمور الدنيا، وهذه هي النفخة الأولى، وهي: نفخة الصعق.

وقد اختلف القراء في ﴿يَخِصِّمُونَ﴾، فقرأ حمزة بسكون(٢) الخاء، وتخفيف الصاد مِنْ خصم يخصم، والمعنى: يخصم بعضُهم بعضاً، فالمفعول محذوف. وقرأ أبو عمرو(٣)، وقالون بإخفاء فتحة الخاء، وتشديد الصاد.

وقرأ نافع(٤) وابن كثير وهشام كذلك إلا أنّهم أخلصوا فتحة الخاء، وقرأ الباقون(٥) بكسر الخاء وتشديد الصاد.

والأصل(٦) في القراءات الثلاث يَخْتصمون، فأُدغمت التاء في الصاد، فنافع وابن كثير وهشام نقلوا فتحة التاء إلى الساكن قبلها نقلاً كاملاً، وأبو عمرو وقالون اختلسا حركتها تنبيهاً على أنّ الخاء أصلها السكون، والباقون حذفوا حركتها فالتقى ساكنان فكسروا أوّلهما.

---

(١) في «تفسيره» (١٧/ ٤٥٧).
(٢) «النشر» (٢/ ٣٥٤)، و«التيسير» (ص١٨٤)، و«البحر المحيط» (٩/ ٧٣)، و«جامع البيان» (١٩/ ٤٥٢ ـ ٤٥٣).
(٣) انظر: المصادر المتقدمة.
(٤) «البحر المحيط» (٩/ ٧٣)، و«جامع البيان» (١٩/ ٤٥٣)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (٢/ ٢١٧).
(٥) «البحر المحيط» (٩/ ٧٣)، و«جامع البيان» (١٩/ ٤٥٣)، و«زاد المسير» (٧/ ٢٤ ـ ٢٥)، و«روح المعاني» (٢٢/ ٣٧٠ ـ ٣٧١).
(٦) «إعراب القرآن» للنحاس (٣/ ٣٩٧)، و«جامع البيان» (١٩/ ٤٥٣).

وروي عَنْ أبي عمرو[١] وقالون: أنّهما قرءا بتسكين الخاء وتشديد الصاد، وهي قراءة مشكلة لاجتماع ساكنين فيها. وقرأ[٢] أُبيّ «يختصمون» على ما هو الأصل [٣/٤٣٣].

﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً﴾؛ أي: لا يستطيع بعضُهم أن يوصي إلى بعض بما له وما عليه، أو لا يستطيع أنْ يوصيه بالتوبة، والإقلاع عن المعاصي بل يموتون في أسواقهم ومواضعهم ﴿وَلَآ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ﴾؛ أي: إلى منازلهم التي ماتوا خارجين عنها، وقيل: المعنى: لا يرجعون إلى أهلهم قولاً، وهذا إخبار عمَّا ينزل بهم عند النفخة الأولى.

ثم أخبر سبحانه عمَّا ينزل بهم عند النفخة الثانية، فقال: ﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ﴾ وهي: النفخة التي يُبعثون بها مِنْ قبورهم، ولهذا قال: ﴿فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ﴾؛ أي: القبور ﴿إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ﴾؛ أي: يَسْرعون، وبين النفختين أربعون سنة.

وعبّر عن المستقبل بلفظ الماضي حيث قال: «ونفخ» تنبيهاً على تحقق[٣] وقوعه كما ذكره أهل البيان، وجعلوا هذه الآية مثالاً له، والصور بإسكان الواو: هو القرن الذي ينفخ فيه إسرافيلُ كما وردت بذلك السُّنَّة، وإطلاق هذا الاسم على القرن معروف في لغة العرب، ومنه قول الشاعر:

نحنُ نطحناهُم غَدَاة الغَورين   نَطْحاً شديداً لا كنطحِ الصُّورينِ[٤]

أي: القرنين. وقد مضى هذا مستوفى في سورة الأنعام.

وقال قتادة[٥]: الصور جمع صورة؛ أي: نُفخ في الصور الأرواح، والأجداث جمعُ جدث، وهو: القبرُ.

وقرئ: «الأجداف» بالفاء[٦]، وهي لغة، واللغة الفصيحة بالثاء المثلثة.

---

(١) «الكشف عن وجوه القراءات» (٢/ ٢١٧)، و«البحر المحيط» (٩/ ٧٣)، و«النشر» (٢/ ٣٥٤). الرواية عن أبي عمرو شاذة لكن هي رواية عن قالون وقراءة أُبيِّ شاذة.

(٢) «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٣٧٩).   (٣) «روح المعاني» (٢٢/ ٣٧١).

(٤) كذا في المخطوط والذي في «أمالي أبي علي القالي» (١/ ٣٦).

نحنُ نطَحناهم غداة الفَوْرَيْن   بالضَّابحات في غُبارِ النقعَيْنْ
نطحاً شديداً لا كنطح الصُّورَيْن

(٥) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٧/ ٤٦١).

(٦) «الجامع لأحكام القرآن» (١٧/ ٤٦٢)، و«البحر المحيط» (٩/ ٧٣)، و«روح المعاني» (٢٢/ ٣٧١). وهي قراءة شاذة.

والنسل والنَّسَلان[١]: الإسراع في السير، يقال: نَسل يَنْسِل كضرب يَضْرِب، ويقال: ينسُل بالضم، ومنه قول امرئ القيس[٢]:

فسُلِّي ثيابِي من ثيابِك تَنْسِلِ

وقول الآخر:

عَسَلانُ الذيبِ أَمْسَى قَارِباً بردَ اللَّيلُ عليه فَنَسَلْ[٣]

قالوا: ﴿يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا﴾؛ أي: قالوا عند بعثهم من القبور بالنفخة: يا ويلنا؛ نادوا ويلهم كأنهم قالوا له احضر، فهذا أوان حضورك، وهؤلاء القائلون هم: الكفار. قال ابن الأنباري[٤]: الوقف على يا ويلنا وقف حسن.

ثم يبتدئ الكلام بقوله: ﴿مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا﴾ ظنوا لاختلاط عقولهم بما شاهدوا من الهول وما داخلهم من الفزع أنَّهم كانوا نياماً. قرأ الجمهور[٥] «يا ويلنا»، وقرأ ابن أبي ليلى[٦] «يا ويلتنا» بزيادة التاء.

وقرأ الجمهور[٧] «مَنْ بعثنا» بفتح ميم مَنْ على الاستفهام. وقرأ ابن عباس والضحاك وأبو نهيك بكسر[٨] الميم على أنّها حرف جرّ، ورويت هذه القراءة عن عليّ بن أبي طالب[٩].

وعلى هذه القراءة تكون «مِنْ» متعلقة بالويل، وقرأ الجمهور «مَنْ بعثنا».

---

(١) «مفردات ألفاظ القرآن» (ص٨٠٣).
(٢) «ديوان أمرئ القيس» (ص١٣).
(٣) قائله لبيد بن ربيعة كما في «الكامل» للمبرد (١/ ٤٧٤) وهو في ديوان النابغة الجعدي (ص٩٠).
(٤) في «إيضاح الوقف والابتداء» (٢/ ٨٥٤).
(٥) «الجامع لأحكام القرآن» (١٧/ ٤٦٣)، و«البحر المحيط» (٩/ ٧٤)، و«روح المعاني» (٢٢/ ٣٧٢).
(٦) «البحر المحيط» (٩/ ٧٤)، و«روح المعاني» (٢٢/ ٣٧٢)، و«القراءات الشاذة» (ص١٢٥). القراءة بزيادة التاء شاذة.
(٧) «البحر المحيط» (٩/ ٧٤)، و«حاشية الجمل» (٢/ ٢١٣)، و«روح المعاني» (٢٢/ ٣٧٢ ـ ٣٧٣).
(٨) «القراءات الشاذة» (ص١٢٥)، و«المحتسب» (٢/ ٢١٣)، و«روح المعاني» (٢٢/ ٣٧٣).
(٩) انظر: المصادر المتقدمة. وهي قراءة شاذة.

وفي قراءة أبيّ[١] «من أهبّنا» من هبّ من نومه: إذا انتبه، وأنشد ثعلب على هذه القراءة:

وَعَاذِلَةٍ هبَّتْ بليلٍ تلُومني ... وَلَم يَغْتمدني قبلَ ذاكَ عَذُولُ[٢]

وقيل: إنّهم يقولون ذلك إذا عاينوا جهنّم.

وقال أبو صالح[٣]: إذا نُفخ النفخة الأولى رفع العذاب عن أهل القبور، وهجعوا هجعة إلى النفخة الثانية، وجملة: ﴿هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ جواب عليهم من جهة الملائكة أو من جهة المؤمنين.

وقيل: هو من كلام الكفرة يجيب به بعضهم على بعض.

قال بالأوّل الفراء[٤]، وبالثاني مجاهد[٥].

وقال قتادة[٦]: هي من قول الله سبحانه و«ما» في قوله: ﴿مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ موصولة[٧]، وعائدها محذوف والمعنى: هذا الذي وعده الرحمٰن، وصدق فيه المرسلون، قد حقّ عليكم ونزل بكم، ومفعولا الوعد والصدق محذوفان؛ أي: وعدكموه الرحمٰن، وصدقكموه المرسلون، والأصل وعدكم به، وصدقكم فيه، أو وعدناه الرحمٰن، وصدقناه المرسلون على أنّ هذا من قول المؤمنين أو من قول الكفار.

﴿إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً﴾؛ أي: ما كانت تلك النفخة المذكورة إلّا صيحةً واحدةً صاحها إسرافيل بنفخه في الصور ﴿فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾؛ أي: فإذا هم مجموعون مُحْضَرون لدينا بسرعة للحساب والعقاب ﴿فَٱلْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ﴾ من النفوس ﴿شَيْـًٔا﴾ مما تستحقه؛ أي: لا ينقص من ثواب عملها شيئاً من النقص، ولا تظلم فيه بنوع من أنواع الظلم ﴿وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾؛ أي: إلّا

---

(١) «المحتسب» (٢/ ٢١٣)، و«روح المعاني» (٢٢/ ٣٧٣). وقراءة أبي مخالفة للرسم فهي شاذة.

(٢) انظر: «الأمالي» للقالي (١/ ٣٨).

(٣) ذكره النحاس في «إعراب القرآن» (٣/ ٤٠٠).

(٤) في «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٣٨٠).

(٥) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٩/ ٤٥٧ ـ ٤٥٨) بسند صحيح.

(٦) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٧/ ٤٦٦).

(٧) «مشكل إعراب القرآن» (٢/ ٢٣٠)، و«الفريد» (٤/ ١١٣).

جزاء ما كنتم تعملونه في الدنيا، أو إلّا بما كنتم تعملونه؛ أي: بسببه أو في مقابلته.

وقد أخرج عبد بن حميد، وابن أبي حاتم عن أبي مالك[١] في قوله: ﴿حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِى ٱلْفُلْكِ﴾ الآية قال: في سفينة نوح حمل فيها من كلّ زوجين اثنين ﴿وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِۦ مَا يَرْكَبُونَ﴾ قال: السفن التي في البحر والأنهار التي يركب الناس فيها.

وأخرج عبد بن حميد، وابن المنذر عن أبي صالح[٢] نحوه.

وأخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم عن ابن عباس[٣] في قوله: ﴿وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِۦ مَا يَرْكَبُونَ﴾ قال: هي السفن جعلت من بعد سفينة نوح.

وأخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم عنه[٤] في الآية قال: يعني: الإبل خلقها الله كما رأيت، فهي سفن البرّ يحملون عليها ويركبونها.

ومثله عن الحسن[٥] وعكرمة[٦] وعبد الله بن شدّاد[٧] ومجاهد[٨].

وأخرج عبد الرزاق، والفريابي، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن مردويه عن أبي هريرة[٩] في قوله: ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً﴾ الآية قال: تقوم الساعة والناس في أسواقهم يتبايعون ويذرعون الثياب ويحلبون اللقاح، وفي حوائجهم فلا يستطيعون توصية ﴿وَلَآ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ﴾.

وأخرج عبد بن حميد، وعبد الله بن أحمد في «زوائد الزهد»، وابن المنذر عن

---

(١) عزاه إليهما السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٦٠).

(٢) عزاه إليهم السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٦٠).

(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٩/ ٤٤٤) بسند حسن، وذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣١٩٦).

(٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٩/ ٤٤٦) بسند ضعيف.

(٥) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٩/ ٤٤٦) بسند صحيح.

(٦) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٩/ ٤٤٦) بسند صحيح من طريق عثمان بن غياث.

(٧) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٩/ ٤٤٦) بسند حسن من طريق السدي عن عبد الله بن شدّاد.

(٨) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٩/ ٤٤٦) بسند صحيح.

(٩) عزاه إليهم السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٦٢).
وأخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢/ ١٤٤).

الزبير بن العوّام[١] قال: إن الساعة تقوم والرجل يذرع الثوب، والرجل يحلب الناقة، ثم قرأ: ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً﴾ الآية.

وأخرج البخاري، ومسلم، وغيرهما عن أبي هريرة[٢] قال: قال رسول الله ﷺ: «لتقومنّ الساعة، وقد نشر الرجلان ثوبهما، فلا يتبايعانه، ولا يطويانه، ولتقومنّ الساعة، وهو يليط حوضَه فلا يسقي فيه، ولتقومنّ الساعة، وقد انصرف الرجل بلبن لقحته فلا يطعمه، ولتقومنّ الساعة وقد رفع أكلته إلى فِيه فلا يطعمها».

وأخرج الفريابي، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن أبيّ بن كعب[٣] في قوله: ﴿مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا﴾ قال: ينامون قبل البعث نومة.

﴿إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِى شُغُلٍ فَٰكِهُونَ ﴿٥٥﴾ هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ فِى ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ ﴿٥٦﴾ لَهُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ ﴿٥٧﴾ سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴿٥٨﴾ وَٱمْتَٰزُوا۟ ٱلْيَوْمَ أَيُّهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٥٩﴾ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ ٱعْبُدُونِى ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا ۖ أَفَلَمْ تَكُونُوا۟ تَعْقِلُونَ ﴿٦٢﴾ هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٦٣﴾ ٱصْلَوْهَا ٱلْيَوْمَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٦٤﴾ ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٦٥﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰٓ أَعْيُنِهِمْ فَٱسْتَبَقُوا۟ ٱلصِّرَٰطَ فَأَنَّىٰ يُبْصِرُونَ ﴿٦٦﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَمَسَخْنَٰهُمْ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ فَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ ﴿٦٧﴾ وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِى ٱلْخَلْقِ ۖ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٨﴾ وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ﴿٦٩﴾ لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٠﴾﴾.

لما ذكر الله سبحانه حال الكافرين أتبعه بحكاية حال عباده الصالحين. وجعله من جملة ما يقال للكفار يومئذٍ زيادة لحسرتهم، وتكميلاً لجزعهم، وتتميماً لما نزل

---

(١) عزاه إليهم السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٦٢).

(٢) أخرجه البخاري في «صحيحه» رقم (٦٥٠٦، ٧١٢١)، ومسلم في «صحيحه» رقم (٢٩٥٤).

(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٩/ ٤٥٦) بسند منقطع. الحسن لم يسمع من أُبي بن كعب.

بهم من البلاء، وما شاهدوه من الشقاء، فإذا رأوا ما أعدّه الله لهم من أنواع العذاب، وما أعدّه لأوليائه من أنواع النعيم، بلغ ذلك من قلوبهم مبلغاً عظيماً، وزاد في ضيق صدورهم زيادةً لا يقادر قدرها. والمعنى: ﴿إِنَّ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ﴾ في ذلك ﴿ٱلۡيَوۡمَ فِي شُغُلٍ﴾ بما هم فيه من اللذات التي هي ما لا عينٌ رأت، ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر عن الاهتمام بأمر الكفار ومصيرهم إلى النار، وإن كانوا من قراباتهم. والأولى عدم تخصيص الشغل بشيء معين.

وقال قتادة[١] ومجاهد: شغلهم ذلك اليوم بافتضاض العذارى.

وقال وكيع[٢]: شُغلهم بالسماع. وقال ابن كيسان[٣]: بزيارة بعضهم بعضاً، وقيل[٤]: شغلهم كونهم ذلك اليوم في ضيافة الله. قرأ الكوفيون[٥] وابن عامر: «شُغُل» بضمتين. وقرأ الباقون[٦] بضم الشين، وسكون الغين، وهما لغتان كما قال الفراء[٧].

وقرأ مجاهد، وأبو السمَّال بفتحتين[٨]. وقرأ يزيد النحوي[٩]، وابن هبيرة بفتح الشين، وسكون الغين.

وقرأ الجمهور[١٠]: ﴿فَٰكِهُونَ﴾ بالرفع على أنّه خبر إنّ، و﴿فِي شُغُلٍ﴾ متعلق به، أو في محل نصب على الحال ويجوز أن يكون في محل رفع على أنه خبر إنّ، وفاكهون خبر ثانٍ.

وقرأ الأعمش، وطلحة بن مصرف «فاكهين» بالنصب[١١] على أنه حال، وفي شغل هو: الخبر.

---

(١) عزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٦٤) إلى عبد بن حميد عن عكرمة وقتادة.
وانظر: «جامع البيان» (١٩/ ٤٦٠)، و«حادي الأرواح» (ص١٨٢).

(٢) ذكره البغوي في «تفسيره» (٧/ ٢٢). (٣) ذكره البغوي في «تفسيره» (٧/ ٢٢).

(٤) «روح المعاني» (٢٢/ ٣٧٧).

(٥) «التيسير» (ص١٨٤)، و«البحر المحيط» (٩/ ٧٥)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (٢/ ٢١٩).

(٦) انظر: المصادر المتقدمة. هما قراءتان متواترتان ومع الكوفين أبو جعفر ويعقوب وأما القراءة بفتحتين أو بفتحة وسكون فشاذة. «النشر» (٢/ ٢٦٥).

(٧) في «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٣٥٤).

(٨) «القراءات الشاذة» (ص١٢٥)، و«روح المعاني» (٢٢/ ٣٧٨)، و«البحر المحيط» (٩/ ٧٥).

(٩) انظر: المصادر المتقدمة.

(١٠) «النشر» (٢/ ٣٥٤)، و«روح المعاني» (٢٢/ ٣٧٩)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٧/ ٤٦٨).

(١١) «روح المعاني» (٢٢/ ٣٧٩). القراءة بنصب (فاكهين) شاذة.

وقرأ الحسن[١]، وأبو جعفر، وأبو حيوة، وأبو رجاء، وشيبة وقتادة ومجاهد «فَكِهون» قال الفراء[٢]: هما لغتان كالفاره والفره، والحاذر والحذر.

وقال الكسائي[٣]، وأبو عُبيدة[٤] الفاكه: ذو الفاكهة مثل تامر ولابن، والفكه: المتفكه، والمتنعم.

وقال قتادة[٥]: الفكهون: المعجبون.

وقال أبو زيد[٦]: يقال: رجل فكه: إذا كان طيب النفس ضحوكاً.

وقال مجاهد[٧] والضحاك[٨] كما قال قتادة. وقال السدّي[٩] كما قال الكسائي: ﴿هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ فِى ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ﴾ هذه الجملة مستأنفة مسوقة لبيان كيفية شغلهم وتفكههم، وتكميلها بما يزيدهم سروراً وبهجة من كون أزواجهم معهم على هذه الصفة مِنْ الاتكاء على الأرائك، فالضمير[١٠] وهو هم: مبتدأ، وأزواجهم: معطوف عليه، والخبر: متكئون.

ويجوز [٣/٤٣٤] أن يكون هم: تأكيداً للضمير في ﴿فَٰكِهُونَ﴾، وأزواجهم معطوف على ذلك الضمير، وارتفاع ﴿مُتَّكِـُٔونَ﴾ على أنه خبر لمبتدأ محذوف، و﴿فِى ظِلَٰلٍ﴾ متعلق به أو حال، وكذا ﴿عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ﴾، وجوّز أبو البقاء[١١]: أن يكون ﴿فِى ظِلَٰلٍ﴾ هو: الخبر، و﴿عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ﴾ مستأنف. قرأ الجمهور[١٢] «في ظِلال» بكسر الظاء وبالألف، وهو: جمع ظلٍّ.

وقرأ ابن مسعود وعُبيد بن عمير والأعمش ويحيى بن وثّاب وحمزة والكسائي

---

(١) «البحر المحيط» (٩/ ٧٥ ـ ٧٦)، و«روح المعاني» (٢٢/ ٣٧٩).
(٢) في «معاني القرآن» له (٢/ ٣٨٠).
(٣) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٧/ ٤٦٩).
(٤) في «مجاز القرآن» (٢/ ١٦٣ ـ ١٦٤).
(٥) ذكره الأزهري في «تهذيب اللغة» (٦/ ٢٦).
(٦) «تهذيب اللغة» (٦/ ٢٦).
(٧) «الجامع لأحكام القرآن» (١٧/ ٤٦٩).
(٨) «إعراب القرآن» للنحاس (٣/ ٤٠١)، و«معاني القرآن» للفراء (٢/ ٣٨٠).
(٩) «جامع البيان» (١٩/ ٤٦٣)، و«النكت والعيون» (٥/ ٢٤).
(١٠) «الفريد» (٤/ ١١٤ ـ ١١٥)، و«التبيان» (٢/ ١٠٨٤).
(١١) «التبيان» (٢/ ١٠٨٤ ـ ١٠٨٥).
(١٢) «جامع البيان» (١٩/ ٤٦٤)، و«النشر» (٢/ ٣٥٥)، و«التيسير» (ص١٨٤)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (٢/ ٨١٩).

وخلف «في ظُلل» بضم الظاء[١] مِنْ غير ألف جمع ظلة، وعلى القراءتين، فالمراد الفرش، والستور التي تظللهم كالخيام والحجال، والأرائك جمع أريكة، كسفائن جمع سفينة، والمراد بها: السُرر التي في الحِجال. قال أحمد بن يحيى ثعلب[٢]: الأريكة لا يكون إلا سريراً في قُبّة.

وقال مقاتل[٣]: إن المراد بالظلال أكنان القصور، وجملة: ﴿لَهُمۡ فِيهَا فَٰكِهَةٞ﴾ مبينة لما يتمتعون به في الجنّة من المآكل والمشارب، ونحوها.

والمراد: فاكهة كثيرة مِنْ كل نوع من أنواع الفواكه ﴿وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ﴾ «ما» هذه هي: الموصولة، والعائد محذوف، أو موصوفة، أو مصدرية، ويدّعون: مضارع ادّعى.

قال أبو عبيدة[٤]: يدّعون يتمنّون، والعرب تقول: ادّع عليّ ما شئت؛ أي: تمنّ، وفلان في خير ما يدّعي؛ أي: ما يتمنّى.

وقال الزجاج[٥] هو من الدعاء؛ أي: ما يدعونه أهل الجنة يأتيهم، من دعوت غلامي، فيكون الافتعال بمعنى الفعل كالاحتمال بمعنى الحمل والارتحال بمعنى: الرحل. وقيل: افتعل بمعنى: تفاعل؛ أي: ما يتداعونه كقولهم: ارتموا وتراموا.

وقيل: المعنى: إن من ادّعى منهم شيئاً فهو له؛ لأن الله قد طبعهم على أن لا يدّعي أحد منهم شيئاً إلّا وهو يحسن ويجمل به أَنْ يدّعيه، و«ما» مبتدأ[٦]، وخبرها «لهم»، والجملة معطوفة على ما قبلها. وقرئ[٧] «يَدْعون» بالتخفيف، ومعناها واضح[٨].

قال ابن الأنباري[٩]: والوقف على ﴿يَدَّعُونَ﴾ وقف حسن، ثم يبتدئ ﴿سَلَٰمٞ﴾

---

(١) انظر: المصادر المتقدمة.
(٢) ذكره الواحدي في «الوسيط» (٣/ ٥١٦).
(٣) ذكره الواحدي في «الوسيط» (٣/ ٥١٦).
(٤) في «مجاز القرآن» (٢/ ١٦٤).
(٥) في «معاني القرآن وإعرابه» (٤/ ٢٩٢).
(٦) «التبيان» (٢/ ١٠٨٥)، و«الفريد» (٤/ ١١٥).
(٧) «الكشاف» (٥/ ١٨٤). وهي قراءة شاذة.
(٨) في «إيضاح الوقف والابتداء» (٢/ ٨٥٤ ـ ٨٥٥).
(٩) في «معاني القرآن وإعرابه» (٤/ ٢٩٢).

على معنى: لهم سلام، وقيل: إن ﴿سَلَٰمٌ﴾ هو خبر ما؛ أي: مُسلَّم خالص، أو ذو سلامة.

وقال الزجاج[١]: سلام مرفوع على البدل من «ما»؛ أي: ولهم أن يسلم الله عليهم، وهذا مُنى أهل الجنة، والأولى أَنْ يحمل قوله: ﴿وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ﴾ على العموم، وهذا السلام يدخل تحته دخولاً أوّليّاً، ولا وجه لقصره على نوع خاص، وإن كان أشرف أنواعه تحقيقاً لمعنى العموم ورعاية لما يقتضيه النظم القرآني.

وقيل: إن ﴿سَلَٰمٌ﴾ مرتفع[٢] على أنه خبر لمبتدأ محذوف؛ أي: سلام يقال لهم ﴿قَوْلًا﴾، وقيل: إن ﴿سَلَٰمٌ﴾ مبتدأ، وخبره الناصب لقولاً؛ أي: سلام يقال لهم قولاً، وقيل: خبره مِنْ ربّ العالمين، وقيل: التقدير: سلام عليكم هذا على قراءة الجمهور، وقرأ أبيّ، وابن مسعود، وعيسى «سلاماً» بالنصب[٣] إما على المصدرية، أو على الحالية بمعنى: خالصاً، والسلام: إما من التحية، أو من السلامة.

وقرأ محمد بن كعب القرظي[٤] «سِلْم» كأنه قال: سلم لهم لا يتنازعون فيه، وانتصاب ﴿قَوْلًا﴾ على المصدرية بفعل محذوف على معنى: قال الله لهم ذلك قولاً، أو يقوله لهم قولاً، أو يقال لهم قولاً: ﴿مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾؛ أي: من جهته. قيل: يرسل الله سحابة إليهم بالسلام.

وقال مقاتل[٥]: إنّ الملائكة تدخل على أهل الجنة من كل باب يقولون: سلام عليكم يا أهل الجنة من ربّ رحيم ﴿وَٱمْتَٰزُوا۟ ٱلْيَوْمَ أَيُّهَا ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ هو على إضمار القول مقابل ما قيل للمؤمنين؛ أي: ويُقال للمجرمين: امتازوا؛ أي: انعزلوا، من مازه غيره، يقال: مزتُ الشيء مِنْ الشيء: إذا عزلته عنه ونحيته.

قال مقاتل[٦]: معناه اعتزلوا اليوم ـ يعني: في الآخرة ـ من الصالحين.

---

(١) «إعراب القرآن» للنحاس (٣/ ٤٠٢)، و«الفريد» (٤/ ١١٥).
(٢) «روح المعاني» (٢٢/ ٣٨٧)، و«الفريد» (٤/ ١١٦)، و«التبيان» (٢/ ١٠٨٥).
(٣) «القراءات الشاذة» (ص١٢٦)، و«المحتسب» (٢/ ٢١٥)، و«البحر المحيط» (٩/ ٧٧). القراءة بنصب (سلاماً) قراءة شاذة. وكذا قراءة محمد بن كعب القرظي.
(٤) «المحتسب» (٢/ ٢١٤)، و«روح المعاني» (٢/ ٣٨٨).
(٥) ذكره الواحدي في «الوسيط» (٣/ ٥١٧).
(٦) ذكره الواحدي في «الوسيط» (٣/ ٥١٧).

وقال السدّي[١]: كونوا على حدة.

وقال الزجاج[٢]: انفردوا عن المؤمنين.

وقال قتادة[٣]: عُزلوا عن كل خير.

وقال الضحاك[٤]: يمتاز المجرمون بعضهم من بعض، فيمتاز اليهود فرقة، والنصارى فرقة، والمجوس فرقة، والصابئون فرقة، وعبدة الأوثان فرقة. وقال داود بن الجراح[٥]: يمتاز المسلمون من المجرمين إلا أصحاب الأهواء، فإنهم يكونون مع المجرمين.

ثم وبخّهم الله سبحانه وقرعهم بقوله: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ﴾، وهذا من جملة ما يقال لهم. والعهد: الوصية؛ أي: ألم أوصكم وأبلغكم على ألسن رُسلي أنْ لا تعبدوا الشيطان؟ أي: لا تُطيعوه.

قال الزجاج: المعنى: ألم أتقدّم إليكم على لسان الرسل يا بني آدم؟ وقال مقاتل: يعني: الذين أُمروا بالاعتزال.

قال الكسائي[٦]: لا للنهي، وقيل: المراد بالعهد هنا: الميثاق المأخوذ عليهم حين أخرجوا من ظهر آدم.

وقيل: هو ما نصّبه الله لهم من الدلائل العقلية التي في سمٰاواته وأرضه، وجملة: ﴿إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ تعليل لما قبلها من النهي عن طاعة الشيطان وقبول وسوسته.

وجملة: ﴿وَأَنِ ٱعْبُدُونِى﴾ عطف على أن لا تعبدوا، وأن: في الموضعين هي المفسِّرة للعهد الذي فيه معنى القول، ويجوز أن تكون مصدرية فيهما؛ أي: ألم أعهد إليكم بأن لا تعبدوا بأن اعبدوني؟ أو ألم أعهد إليكم في ترك عبادة الشيطان وفي عبادتي؟ ﴿هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾؛ أي: عبادة الله وتوحيده أو الإشارة إلى دين الإسلام.

ثم ذكر سبحانه عداوة الشيطان لبني آدم، فقال: ﴿وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا﴾

---

(١) ذكره الواحدي في «الوسيط» (٣/ ٥١٧). (٢) في «معاني القرآن وإعرابه» (٤/ ٢٩٢).

(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٩/ ٤٦٩) بسند صحيح.

(٤) «النكت والعيون» (٥/ ٢٦). (٥) «النكت والعيون» (٥/ ٢٧).

(٦) «ذكره النحاس في «إعراب القرآن» (٣/ ٤٠٢).

اللام هي: الموطئة للقسم، والجملة مستأنفة للتقريع[١] والتوبيخ؛ أي: واللهِ لقد أضلّ إلخ.

قرأ نافع[٢]، وعاصم «جِبّلاً» بكسر الجيم، والباء، وتشديد اللام، وقرأ أبو عمرو، وابن عامر بضم الجيم، وسكون الباء[٣].

وقرأ الباقون[٤] بضمتين مع تخفيف اللام، وقرأ ابن أبي إسحاق، والزهري، وابن هرمز بضمتين مع تشديد اللام[٥]، وكذلك قرأ الحسن وعيسى بن عمر والنضر بن أنس.

وقرأ أبو يحيى[٦] وحماد بن سلمة والأشهب العقيلي بكسر الجيم، وإسكان الباء، وتخفيف اللام. قال النحاس[٧]: وأبينها القراءة الأولى. والدليل على ذلك أنهم قد قرءوا جميعاً ﴿وَٱلْجِبِلَّةَ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [الشعراء: ١٨٤] بكسر الجيم، والباء، وتشديد اللام. فيكون جبلاً جمع جبلة، واشتقاق الكل من جبل الله الخلق؛ أي: خلقهم، ومعنى الآية: أن الشيطان قد أغوى خلقاً كثيراً كما قال مجاهد[٨].

وقال قتادة[٩]: جموعاً كثيرة، وقال الكلبي[١٠]: أمماً كثيرة.

قال الثعلبي[١١]: والقراءات كلها بمعنى: الخلق، وقرئ[١٢] «جيلاً» بالجيم، والياء التحتية.

---

(١) «روح المعاني» (٢٢/ ٣٩٣)، و«تفسير أبي السعود» (٥/ ٥٠٥).

(٢) «التيسير» (ص١٨٤)، و«النشر» (٢/ ٣٥٥)، و«روح المعاني» (٢٢/ ٣٩٢)، و«فتح الباري» (٨/ ٣٨٢).

(٣) «التيسير» (ص١٨٤)، و«جامع البيان» (١٩/ ٤٧١)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (٢/ ٢١٩).

(٤) انظر: المصادر المتقدمة. وهذه ثلاث قراءات متواترة وبقيت قراءة رابعة متواترة وهي قراءة روح عن يعقوب بضم الجيم والباء وتشديد اللّام. وما عدا هذة القراءات فهي شاذة. انظر: «النشر» (٢/ ٢٦٦).

(٥) «التيسير» (ص١٨٤)، و«النشر» (٢/ ٣٥٥).

(٦) «المحتسب» (٢/ ٢١٦)، و«البحر المحيط» (٩/ ٧٨).

(٧) في «إعراب القرآن» (٣/ ٤٠٣).

(٨) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٩/ ٤٧١) بسند صحيح.

(٩) «النكت والعيون» (٥/ ٢٧).

(١٠) «النكت والعيون» (٥/ ٢٧)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٧/ ٤٧٣).

(١١) في «تفسيره» (٨/ ١٣٤).

(١٢) «روح المعاني» (٢٢/ ٣٩٤)، و«البحر المحيط» (٩/ ٧٨).

قال الضحاك[١]: الجيل الواحد عشرة آلاف، والكثير ما يحصيه إلا الله ﷻ، ورُويت هذه القراءة عن عليّ بن أبي طالب.

والهمزة في قوله: ﴿أَفَلَمْ تَكُونُواْ تَعْقِلُونَ﴾ للتقريع[٢] والتوبيخ، والفاء للعطف على مقدّر يقتضيه المقام كما تقدّم في نظائره؛ أي: أتشاهدون آثار العقوبات أفلم تكونوا تعقلون؟ أو أفلم تكونوا تعقلون عداوةَ الشيطان لكم؟ أو أفلم تكونوا تعقلون شيئاً أصلاً؟

قرأ الجمهور[٣] «أفلم تكونوا تعقلون» بالخطاب. وقرأ طلحة وعيسى بالغيبة[٤].

﴿هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾؛ أي: ويقال لهم عند أن يدنوا من النار: هذه جهنم التي كنتم توعدون بها في الدنيا على ألسنة الرسل، والقائل لهم الملائكة، ثم يقولون لهم: ﴿ٱصْلَوْهَا ٱلْيَوْمَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾؛ أي: قاسوا حرّها اليوم، وادخلوها، وذوقوا أنواع العذاب فيها بما كنتم تكفرون؛ أي: بسبب كفركم بالله في الدنيا، وطاعتكم للشيطان، وعبادتكم للأوثان، وهذا الأمر أمر تنكيل[٥] وإهانة كقوله: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ﴾ [الدخان: ٤٩] ﴿ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ﴾ اليوم ظرف لما بعده، وقُرئ يختم[٦] على البناء للمفعول، والنائب الجار والمجرور بعده.

قال المفسِّرون[٧]: إنِّهم يُنْكرون الشرك وتكذيب الرسل كما في قولهم: ﴿وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٢٣]، فيختم الله على أفواههم خَتْماً لا يقدرون معه على الكلام، وفي هذا التفات مِنْ الخطاب إلى الغيبة؛ للإيذان بأن أفعالهم القبيحة

---

(١) «النكت والعيون» (٥/ ٢٧)، و«الوسيط» (٣/ ٥١٧).
(٢) «روح المعاني» (٢٢/ ٣٩٤)، و«تفسير أبي السعود» (٥/ ٥٠٥).
(٣) «البحر المحيط» (٩/ ٧٨)، و«زاد المسير» (٧/ ٢١)، و«روح المعاني» (٢٢/ ٣٩٤).
(٤) انظر: المصادر المتقدمة. وهي قراءة شاذة.
(٥) «روح المعاني» (٢٢/ ٣٩٤)، و«تفسير أبي السعود» (٥/ ٥٠٤).
(٦) قرأ أبو المتوكل وأبو الجوزاء «يُختم» بياء مضمومة وتاء مفتوحة مبنيّاً للمفعول، وشبه الجملة نائب عن الفاعل الذي هو الله ﷻ.
«البحر المحيط» (٩/ ٧٨).
(٧) «الوسيط» (٣/ ٥١٨)، و«معالم التنزيل» (٧/ ٢٤)، و«روح المعاني» (٢٢/ ٣٩٤).

مستدعية للإعراض عن خطابهم، ثم قال: ﴿وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾؛ أي: تكلمت أيديهم بما كانوا يفعلونه، وشهدت أرجلهم عليهم بما كانوا يعملون.

قرأ الجمهور[١] «تكلّمنا وتشهد»، وقرأ طلحة[٢] بن مصرف «ولتكلمنا ولتشهد» بلام كي. وقيل: سبب الختم على أفواههم ليعرفهم أهل الموقف. وقيل: ختم على أفواههم لأجل أَنْ يكون الإقرار مِنْ جوارحهم؛ لأنّ شهادة غير الناطق أبلغ في الحجة من شهادة الناطق لخروجه مخرج الإعجاز[٣].

وقيل: ليعلموا[٤] أنّ أعضاءهم التي كانت أعواناً لهم في معاصي الله صارت شهوداً عليهم، وجعل ما تنطق به الأيدي كلاماً وإقراراً؛ لأنها كانت المباشرة لغالب المعاصي، وجعل نطق الأرجل شهادة؛ لأنها حاضرة عند كل معصية، وكلام الفاعل إقرار، وكلام الحاضر شهادة، وهذا اعتبار بالغالب، وإلا فالأرجل قد تكون مباشرة للمعصية كما تكون الأيدي مباشرة لها ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰٓ أَعْيُنِهِمْ﴾؛ أي: أذهبنا أعينهم، وجعلناها بحيث لا يبدو لها شقّ ولا جفن.

قال الكسائي[٥]: طمس يطمِس ويطمُس والمطموس[٦] والطميس عند أهل اللغة: الذي ليس في عينيه شقّ كما في قوله: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ﴾ [البقرة: ٢٠] ومفعول المشيئة محذوف؛ أي: لو نشاء أن نطمس على أعينهم لطمسنا.

قال السدّي[٧]، والحسن[٨]: المعنى: لتركناهم عُمياً يتردّدون لا يُبْصرون طريق

---

(١) «البحر المحيط» (٩/ ٧٩)، و«زاد المسير» (٧/ ٣١).
(٢) «المحتسب» (٢/ ٢١٦)، و«إعراب القراءات الشواذ» (٢/ ٣٧٠). زيادة اللاّم في كلمة «تكلمنا» و«تشهد» قراءة شاذة.
(٣) «روح المعاني» (٢٢/ ٣٩٥)، و«جامع البيان» (١٩/ ٤٧٢ ـ ٤٧٣)، و«النكت والعيون» (٥/ ٢٧).
(٤) «الجامع لأحكام القرآن» (١٧/ ٤٧٦)، و«النكت والعيون» (٥/ ٢٧).
(٥) «إعراب القرآن» للنحاس (٣/ ٤٠٣).
(٦) «مفردات ألفاظ القرآن» (ص٥٢٤)، و«تهذيب اللغة» (١٢/ ٣٥١).
(٧) ذكره البغوي في «تفسيره» (٧/ ٢٥).
(٨) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٩/ ٤٧٥) بسند صحيح من طريق أبي رجاء عن الحسن.

الهدى، [٣/٤٣٥] واختار هذا ابن جرير[(١)].

﴿فَٱسۡتَبَقُواْ ٱلصِّرَٰطَ﴾ معطوف على لطمسنا؛ أي: تبادروا إلى الطريق ليجوزوه ويمضوا فيه، والصراط منصوب بنزع الخافض؛ أي: فاستبقوا إليه.

وقال عطاء ومقاتل وقتادة: المعنى: لو نشاء لفقأنا أعينهم، وأعميناهم عن غيهم، وحوّلنا أبصارهم مِنْ الضلالة إلى الهدى، فأبصروا رشدهم واهتدوا، وتبادروا إلى طريق الآخرة[(٢)].

ومعنى ﴿فَأَنَّىٰ يُبۡصِرُونَ﴾؛ أي: كيف يُبصرون الطريق، ويحسنون سلوكه ولا أبصار لهم؟

وقرأ عيسى[(٣)] بن عمر «فاستبِقوا» على صيغة الأمر؛ أي: فيقال لهم: استبقوا وفي هذا تهديد لهم.

ثم كرّر التهديد لهم، فقال: ﴿وَلَوۡ نَشَآءُ لَمَسَخۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمۡ﴾ المسخ: تبديل الخلقة إلى حَجَرٍ أو غيره مِنْ الجماد، أو بهيمة، والمكانة المكان؛ أي: لو شئنا لبدّلنا خلقهم على المكان الذي هم فيه. قيل: والمكانة: أخص من المكان كالمقامة والمقام.

قال الحسن[(٤)]: أي: لأقعدناهم ﴿فَمَا ٱسۡتَطَٰعُواْ مُضِيّٗا وَلَا يَرۡجِعُونَ﴾؛ أي: لا يقدرون على ذهاب ولا مجيء.

قال الحسن[(٥)]: فلا يستطيعون أن يمضوا أمامهم ولا يرجعوا وراءهم، وكذلك الجماد لا يتقدّم ولا يتأخر.

وقيل: المعنى: لو نشاء لأهلكناهم في مساكنهم، وقيل: لمسخناهم في المكان الذي فعلوا فيه المعصية. وقال يحيى بن سلام[(٦)]: هذا كله يوم القيامة.

---

(١) في «جامع البيان» (١٩/٤٧٥).

(٢) «معالم التنزيل» (٧/٢٥ ـ ٢٦)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٧/٤٧٨). وهي قراءة شاذة.

(٣) «القراءات الشاذة» (ص١٢٦)، و«روح المعاني» (٢٢/٤٠٣)، و«البحر المحيط» (٩/٧٩).

(٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٩/٤٧٧) بسند صحيح من طريق أبي رجاء عن الحسن.

(٥) «أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٩/٤٧٧) بسند صحيح.

(٦) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/٢٩).

قرأ الجمهور[١] «على مكانتهم» بالإفراد.

وقرأ الحسن، والسلمي، وزرّ بن حبيش، وأبو بكر عن عاصم «مكاناتهم» بالجمع[٢].

وقرأ الجمهور[٣] «مُضيّاً» بضم الميم، وقرأ أبو حيوة «مَضيّاً» بفتحها[٤]، وروي عنه: أنه قرأ بكسرها[٥]، ورويت هذه القراءة عن الكسائي[٦].

قيل: والمعنى: ولا يستطيعون رجوعاً، فوضع الفعل موضع المصدر لمراعاة الفاصلة، يقال: مضى يمضي مُضيّاً: إذا ذهب في الأرض، ورجع يرجع رجوعاً: إذا عاد من حيث جاء.

﴿وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِى ٱلْخَلْقِ﴾ قرأ الجمهور[٧] «نَنْكُسه» بفتح النون الأولى، وسكون الثانية، وضم الكاف مخففة.

وقرأ عاصم، وحمزة بضم النون الأولى، وفتح الثانية، وكسر الكاف مشدّدة[٨].

والمعنى: مَنْ نُطل عمره نغير خلقه، ونجعله على عكس ما كان عليه أوّلاً من القوّة والطراوة.

قال الزجاج[٩]: المعنى: من أطلنا عمره نكسنا خلقه، فصار بدل القوّة الضعف، وبدل الشباب الهرم، ومثل هذه الآية قوله سبحانه: ﴿وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا﴾ [الحج: ٥].

وقوله: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ﴾ [التين: ٥]، ومعنى: ﴿أَفَلَا يَعْقِلُونَ﴾: أفلا تعلمون بعقولكم أنّ من قدر على ذلك قدر على البعث والنشور؟

---

(١) «التيسير» (ص١٨٥)، و«النشر» (٢/ ٢٦٣)، و«روح المعاني» (٢٢/ ٤٠٣)، و«البحر المحيط» (٩/ ٧٩).

(٢) انظر: المصادر المتقدمة.

(٣) «البحر المحيط» (٩/ ٧٩)، و«المحرر الوجيز» (١٣/ ٢١٢). القراءة المتواترة هي قراءة الجمهور والرواية عن الكسائي بكسر الميم شاذة عنه، والقراءة بالفتح شاذة.

(٤) «البحر المحيط» (٩/ ٧٩)، و«روح المعاني» (٢٢/ ٤٠٤)، و«حاشية الشهاب» (٧/ ٢٥٠).

(٥) انظر: المصادر المتقدمة.

(٦) «البحر المحيط» (٩/ ٧٩).

(٧) «التيسير» (ص١٨٥)، و«النشر» (٢/ ٢٥٥)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (٢/ ٢٢٠).

(٨) «روح المعاني» (٢٢/ ٤٠٥)، و«النشر» (٢/ ٣٥٥)، و«التيسير» (ص١٨٥).

(٩) في «معاني القرآن وإعرابه» (٤/ ٢٩٣).

قرأ الجمهور «يعقلون» بالتحتية[١].

وقرأ نافع، وابن ذكوان بالفوقية[٢] على الخطاب.

ولما قال كفار مكة: إن القرآن شعر وإن محمَّداً شاعر ردّ الله عليهم بقوله: ﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ﴾، والمعنى: نفى كون القرآن شعراً، ثم نفى أن يكون النبيّ شاعراً، فقال: ﴿وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ﴾؛ أي: لا يصح له الشعر ولا يتأتّى منه، ولا يسهل عليه لو طلبه، وأراد أن يقوله، بل كان ﷺ إذا أراد أن ينشد بيتاً قد قاله شاعر متمثلاً به كسر وزنَه فإنه لما أنشد بيت طَرفَة بن العبد[٣] المشهور، وهو قوله:

سَتُبدي لكَ الأيَّامُ ما كنتَ جاهلاً ... ويأتيك بالأخبارِ مَنْ لَم تُزوّدِ

قال: ويأتيك مَنْ لم تزوّده بالأخبار.

وأنشد مرّة أخرى قول العباس بن مرداس[٤] السلمي:

أتجعلُ نَهْبي ونَهْبَ العُبيـ ... ـدِ بينَ عُيَيْنَةَ والأقرعِ

فقال: بين الأقرع وعيينة.

وأنشد[٥] أيضاً:

كفى بالإسلامِ والشيبِ للمرء ناهياً

فقال أبو بكر: يا رسول الله إنما قال الشاعر[٦]:

كفى الشيب والإسلامُ للمرءِ ناهياً[٧]

فقال: أشهد أنَّك رسول الله، يقول الله ﷻ: ﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ﴾ وقد وقع منه ﷺ كثير من مثل هذا.

---

(١) «التيسير» (ص١٨٥)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٧/ ٤٨٠).

(٢) «روح المعاني» (٢٢/ ٤٠٥)، و«التيسير» (ص١٨٥)، و«النشر» (٢/ ٣٥٥). وممّن قرأ بالفتح أبو جعفر ويعقوب.

(٣) انظر: «ديوان طرفة بن العبد» (ص٤١).

(٤) «الطبقات الكبرى» لابن سعد (٤/ ٢٧٢)، و«دلائل النبوة» للبيهقي (٥/ ١٨١).

(٥) «الطبقات الكبرى» (١/ ٣٨٢ ـ ٣٨٣).

(٦) هو: سحيم عبد بني الحسحاس، «ديوانه» (ص١٦).
وانظر: «المفصل» (٨/ ٩٣).

(٧) وصدر هذا البيت:

هريرةَ ودِّعْ إن تجهَّزتَ غاديا

قال الخليل[١]: كان الشعر أحبّ إلى رسول الله ﷺ من كثير من الكلام، ولكن لا يتأتّى منه.اهـ.

ووجه عدم تعليمه الشعر، وعدم قُدرته عليه: التكميل للحُجّة، والدحض للشبهة، كما جعله الله أُميّاً لا يقرأ ولا يكتب، وأما ما روي[٢] عنه ﷺ من قوله:

هلْ أنتِ إلا أُصبعٌ دُميتِ وفي سَبيلِ اللَّهِ مَا لقيتِ

وقوله:

أَنَا النَّبيّ لَا كَذِبْ أنا ابنُ عبدِ المُطَّلبْ[٣]

ونحو ذلك، فمن الاتفاق الوارد من غير قصد كما يأتي ذلك في بعض آيات القرآن، وليس بشعر، ولا مراد به الشعر، بل اتفق ذلك اتفاقاً كما يقع في كثير من كلام الناس، فإنّهم قد يتكلمون بما لو اعتبره معتبر لكان على وزن الشعر، ولا يعدّونه شعراً، وذلك كقوله تعالى: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: ٩٢] وقوله: ﴿وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ﴾ [سبأ: ١٣] على أنه قد قال الأخفش[٤] إن قوله:

أنا النبيّ لا كذب

ليس بشعر.

وقال الخليل[٥] في كتاب العين: إنّ ما جاء من السجع على جزأين لا يكون شعراً.

قال ابن العربي[٦]: والأظهر من حاله أنه قال: لا كذبُ برفع الباء من كذب، وبخفضها من عبد المطلب.

قال النحاس[٧]: قال بعضُهم: إنما الرواية بالإعراب، وإذا كانت بالإعراب لم

---

(١) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٧/ ٤٨٢).
(٢) أخرجه البخاري في «صحيحه» رقم (٢٨٠٢)، ومسلم في «صحيحه» رقم (١٧٩٦)، وأحمد رقم (١٨٧٩٧) من حديث جندب البَجَليّ رضي الله عنه.
(٣) «الجامع لأحكام القرآن» (٢٢/ ٤٨٢).
(٤) انظر: «الجامع لأحكام القرآن» (١٧/ ٤٨٢ ـ ٤٨٣).
(٥) في كتاب «العين» (ص٤١٠).
(٦) في «أحكام القرآن» (٤/ ١٦٠٢).
(٧) في «إعراب القرآن» للنحاس (٣/ ٤٠٥).

يكن شعراً؛ لأنّه إذا فتح الباء من الأوّل، أو ضمهما، أو نوّنها، وكسر الباء من الثاني خرج عن وزن الشعر.

وقيل: إن الضمير في «له» عائد إلى القرآن؛ أي: وما ينبغي للقرآن أن يكون شعراً ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ﴾؛ أي: ما القرآن إلا ذكر من الأذكار وموعظة من المواعظ ﴿وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ﴾؛ أي: كتاب من كتب الله السماوية مشتمل على الأحكام الشرعية ﴿لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا﴾؛ أي: لينذر القرآن مَنْ كان حيّاً؛ أي: قلبه صحيح يقبل الحق ويأبى الباطل، أو لينذر الرسول مَنْ كان حيّاً.

قرأ الجمهور[١] بالياء التحتية، وقرأ نافع، وابن عامر بالفوقية[٢]، فعلى القراءة الأولى المراد: القرآن، وعلى الثانية المراد: النبي ﷺ ﴿وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾؛ أي: وتجب كلمة العذاب على المصرّين على الكفر، الممتنعين من الإيمان بالله وبرسله.

وقد أخرج ابن أبي شيبة، وابن أبي الدنيا، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه من طرق عن ابن عباس[٣] في قوله: ﴿فِى شُغُلٍ فَٰكِهُونَ﴾ قال: في افتضاض الأبكار.

وأخرج عبد بن حميد، وابن أبي الدنيا، وعبد الله بن أحمد في «زوائد الزهد»، وابن جرير، وابن المنذر عن ابن مسعود[٤] في الآية قال شغلهم افتضاض العذارى.

وأخرج عبد بن حميد[٥] عن عكرمة، وقتادة مثله.

---

(١) «النشر» (٢/ ٣٥٥)، و«التيسير» (ص١٨٥)، و«زاد المسير» (٧/ ٣٧)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (٢/ ٢٢٠).

(٢) انظر: المصادر المتقدمة. وقرأ بالفوقية أبو جعفر ويعقوب.

(٣) عزاه إليهم السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٦٤).
وأخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٩/ ٤٦٠)، وابن أبي الدنيا في «صفة الجنة» رقم (٢٧٧) من طريق عن عكرمة عن ابن عباس بأسانيد يقوي بعضها بعضاً.

(٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٩/ ٤٦٠)، وابن أبي الدنيا في «صفة الجنة» رقم (٢٧٦) بسند ضعيف، لضعف ابن حميد وهو: محمد بن حميد الرازي.

(٥) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٦٤).

وأخرج عبد الله بن أحمد في «زوائد الزهد» عن ابن عمر[١] قال: إن المؤمن كلما أراد زوجةً وجدها عذراء.

وقد روي نحوه مرفوعاً عن أبي سعيد[٢]، مرفوعاً عند الطبراني في «الصغير»، وأبي الشيخ في «العظمة».

وروي أيضاً نحوه عن أبي هريرة مرفوعاً عند الضياء[٣] المقدسي في «صفة الجنة».

وأخرج ابن أبي حاتم[٤] عن ابن عباس في قوله: ﴿فِي شُغُلٍ فَٰكِهُونَ﴾ قال: ضرب الأوتار. قال أبو حاتم[٥]: هذا لعله خطأ من المستمع، وإنما هو افتضاض الأبكار.

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم[٦] عنه قال: ﴿فَكِهُونَ﴾ فرحون.

وأخرج ابن ماجه، وابن أبي الدنيا في صفة الجنة، والبزار، وابن أبي حاتم، والآجرّي في «الرؤية» وابن مردويه عن جابر[٧] قال: قال النبي ﷺ: «بينا أهل الجنة في نعيمهم إذ سطع لهم نور، فرفعوا رؤوسهم، فإذا الربّ قد أشرف عليهم من فوقهم، فقال: السلام عليكم يا أهل الجنة، وذلك قول الله: ﴿سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ

---

(١) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٦٤).

(٢) أخرجه البزار في «مسنده» رقم (٣٥٢٧ ـ كشف)، والطبراني في «الصغير» (١/ ٩١)، وأبو الشيخ في «العظمة» رقم (٥٨٥)، وابن الجوزي في «العلل المتناهية» (٢/ ٤٤٨) وهو حديث موضوع.
قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٤١٧): فيه معلى بن عبد الرحمٰن الواسطي وهو كذاب.

(٣) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٦٥).

(٤) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٦٥).

(٥) ذكره إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٦٥).

(٦) عزاه إليهم السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٦٥).
وأخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٩/ ٤٦٣) بسند صحيح.

(٧) أخرجه ابن ماجه رقم (١٨٤)، وابن أبي الدنيا في «صفة الجنة» رقم (٩٨)، والبزار في «مسنده» رقم (٢٢٥٣ ـ كشف)، والآجري في «الشريعة» رقم (٦١٥) وهو حديث ضعيف.

رَّحِيمٍ﴾ قال: فينظر إليهم وينظرون إليه، فلا يلتفتون إلى شيء من النعيم ما داموا ينظرون إليه حتى يحتجب عنهم، ويبقى نوره، وبركته عليهم في ديارهم»، قال ابن كثير(١): في إسناده نظر.

وأخرج ابن المنذر، وابن أبي حاتم عن ابن عباس(٢) في الآية قال: إنّ الله هو يسلم عليهم.

وأخرج أحمد، ومسلم، والنسائي، والبزار، وابن أبي الدنيا في التوبة، واللفظ له، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، والبيهقي في «الأسماء والصفات» عن أنس(٣) في قوله: ﴿ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ﴾ قال: «كنّا عند النبي ﷺ، فضحك حتى بدت نواجذه، قال: أتدرون مما ضَحِكْتُ؟ قلنا: لا يا رسول الله، قال: من مخاطبة العبد ربّه يقول: يا ربّ ألم تجرني من الظلم؟ فيقول: بلى، فيقول: إني لا أُجيزُ عليّ إلا شاهداً مني، فيقول: كفى بنفسك اليوم عليك شهيداً وبالكرام الكاتبين شهوداً، فيُختم على فيه. ويقال لأركانه: انطقي فتنطق بأعماله، ثم يُخَلّى بينه وبين الكلام، فيقول: بعداً لكنّ وسُحقاً فعنكُنَّ كنتُ أُناضلُ».

وأخرج مسلم، والترمذي، وابن مردويه، والبيهقي عن أبي سعيد، وأبي هريرة(٤) قالا: قال رسول الله ﷺ: «يلقى العبد ربه، فيقول الله: فُلُ: ألم أكرمك، وأسوّدك، وأزوّجك، وأسخّر لك الخيل، والإبل، وأَذْرك ترأس، وتَرْتع؟ فيقول: بلى أي ربّ، فيقول: أفظننت أنك ملاقيّ؟ فيقول: لا، فيقول: إني أنساك كما نسيتني. ثم يلقى الثاني، فيقول مثل ذلك، ثم يَلْقى الثالث، فيقول له مثل ذلك، فيقول: آمنتُ بك، وبكتابك، وبرسولك، وصليت، وصمت، وتصدّقت، ويثني بخير ما استطاع، فيقول: ألا نبعث شاهدنا عليك، فيفكّر في نفسه مَنْ الذي يشهد عليّ، فيُختم على فيه، ويقال لفخذه: انطقي، فتنطق فخذه، وفمه، وعظامه بعمله ما كان، وذلك ليعذر من نفسه وذلك المنافق وذلك الذي يُسْخط عليه».

---

(١) في «تفسيره» (١١/ ٣٧٠).

(٢) عزاه إليهما السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٦٦).

(٣) أخرجه مسلم رقم (٢٩٦٩)، والنسائي في «السنن الكبرى» رقم (١١٦٥٣)، وابن أبي الدنيا في «التوبة» رقم (١٨)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» رقم (٤٦٧).

(٤) أخرجه مسلم في «صحيحه» رقم (٢٩٦٨)، والبيهقي رقم (٤٦٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وأخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم من حديث أبي موسى[١] نحوه.

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والبيهقي في «الأسماء والصفات» [٣/٤٣٦] عن ابن عباس[٢] في قوله: ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰٓ أَعْيُنِهِمْ﴾ قال: أعميناهم وأضللناهم عن الهدى ﴿فَأَنَّىٰ يُبْصِرُونَ﴾ فكيف يهتدون؟

وأخرج ابنُ جرير، وابن أبي حاتم عنه في قوله: ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَمَسَخْنَٰهُمْ﴾ قال: أهلكناهم ﴿عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ﴾ قال: في مساكنهم.

وأخرج عبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن قتادة[٣] قال: بلغني أنّه قيل لعائشة: هل كان رسول الله ﷺ يتمثل بشيء من الشعر؟ قالت: كان أبغض الحديث إليه، غير أنه كان يتمثل ببيت أخي بني قيس، فيجعل أوّله آخره يقول: «ويأتيك مَنْ لم تزوّد بالأخبار، فقال أبو بكر: ليس هكذا، فقال رسول الله ﷺ: إنّي والله ما أنا بشاعر، ولا ينبغي لي»، وهذا يردُّ ما نقلناه عن الخليل سابقاً أن الشعر كان أحبّ إلى رسول الله ﷺ من كثير من الكلام.

وأخرج ابن أبي شيبة[٤] وأحمد عنها قالت: كان رسول الله ﷺ إذا استراث الخبر تمثل ببيت طرفة:

ويـأتـيـك بـالأخـبـارِ مـن لـم تُـزوّد

وأخرج ابن أبي شيبة[٥] عن ابن عباس قال: كان رسول الله ﷺ يتمثل من الأشعار:

ويـأتـيـك بـالأخـبـار مَـن لـم تـزوّد

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٩/ ٤٧٢، ٤٧٣) بسند صحيح.

(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٩/ ٤٧٤، ٤٧٦)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» رقم (٣٠٨) بسند صحيح.

(٣) عزاه إليهم السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٧١).
- أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢/ ١٤٥، ١٤٦)، وابن جرير في «جامع البيان» (١٩/ ٤٨٠) بسند ضعيف. قتادة لم يسمع من عائشة ﵂.

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٨/ ٥٢٤)، وأحمد في «مسنده» رقم (٢٤٠٢٣) وهو حديث حسن لغيره.

(٥) أخرجه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٨/ ٥٠٦) وهو حديث صحيح، صححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» رقم (٢٠٥٧).

وأخرج البيهقي(١) في «سننه» عن عائشة قالت: ما جمع رسول الله ﷺ بيت شعر قط إلا بيتاً واحداً:

تفاءلْ بما تهْوى يكُن فلَقلَّما ... يُقال لشيءٍ كانَ إلا تحقَّقْ

قالت عائشة: ولم يقل تحققا لئلا يُعْربه، فيصير شعراً، وإسناده هكذا: قال: أخبرنا أبو عبيد الله الحافظ(٢)؛ يعني: الحاكم حدّثنا أبو حفص عمر بن أحمد بن نعيم، حدّثنا أبو محمد عبد الله بن هلال النحوي الضرير، حدّثنا علي بن عمرو الأنصاري، حدّثنا سفيان بن عيينة، عَنْ الزهري، عن عروة، عن عائشة، فذكره. وقد سُئل المِزّي عن هذا الحديث فقال: هو منكر، ولم يعرف شيخ الحاكم ولا الضرير.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَـٰمًا فَهُمْ لَهَا مَـٰلِكُونَ ﴿٧١﴾ وَذَلَّلْنَـٰهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَهُمْ فِيهَا مَنَـٰفِعُ وَمَشَارِبُ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ مُّحْضَرُونَ ﴿٧٥﴾ فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ ۘ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٦﴾ أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَـٰنُ أَنَّا خَلَقْنَـٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَـٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَـٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّـٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَـٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾.

ثم ذكر سبحانه قدرته العظيمة، وإنعامه على عبيده، وجحد الكفار لنعمه، فقال: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَـٰمًا﴾ والهمزة(٣) للإنكار، والتعجيب من حالهم، والواو للعطف على مقدّر كما في نظائره، والرؤية هي القلبية؛ أي: أَولم يعلموا بالنظر والاعتبار؟.

﴿أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم﴾؛ أي: لأجلهم ﴿مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ﴾؛ أي: مما أبدعناه وعملناه

(١) أخرجه البيهقي في «السنن الكبرى» (٧/ ٤٣) وهو حديث منكر.
(٢) ذكره ابن كثير في «تفسيره» (١١/ ٣٧٨).
(٣) «روح المعاني» (٢٢/ ٤١٣)، و«تفسير أبي السعود» (٥/ ٥١٠).

من غير واسطة ولا شركة، وإسناد العمل إلى الأيدي[(١)] مبالغة في الاختصاص، والتفرّد بالخلق كما يقول الواحد منا: عملته بيدي للدلالة على تفرّده بعمله، و«ما» بمعنى: الذي، وحذف العائد لطول الصلة، ويجوز أن تكون مصدرية، والأَنْعامَ: جمع نعم وهي: البقر، والغنم والإبل، وقد سبق تحقيق الكلام فيها.

ثم ذكر سبحانه المنافع المترتبة على خلق الأنعام، فقال: ﴿فَهُمْ لَهَا مَٰلِكُونَ﴾؛ أي: ضابطون قاهرون يتصرفون بها كيف شاءوا، ولو خلقناها وحشيةً لنفرت عنهم، ولم يقدروا على ضبطها، ويجوز أن يكون المراد: أنها صارت في أملاكهم، ومعدودة من جملة أموالهم المنسوبة إليهم نسبة المُلك ﴿وَذَلَّلْنَٰهَا لَهُمْ﴾؛ أي: جعلناها لهم مسخرة لا تمتنع مما يريدون منها من منافعهم حتى الذبح، ويقودها الصبيّ فتنقاد له، ويزجرها فتنزجر، والفاء في قوله: ﴿فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ﴾ لتفريع أحكام التذليل عليه؛ أي: فمنها مركوبهم الذي يركبونه كما يقال: ناقة حلوب أي: محلوبة.

قرأ الجمهور[(٢)] «رَكوبهم» بفتح الراء. وقرأ الأعمش، والحسن، وابن السميفع بضم[(٣)] الراء على المصدر.

وقرأ أبيّ[(٤)]، وعائشة «رَكوبتُهم»، والركوب والركوبة واحد، مثل الحلوب والحلوبة، والحمول والحمولة.

وقال أبو عبيدة[(٥)]: الركوبة تكون للواحدة والجماعة، والركوب لا يكون إلا للجماعة.

وزعم أبو حاتم[(٦)]: أنه لا يجوز، فمنها رُكوبهم بضم الراء؛ لأنه مصدر،

---

(١) اليدان: صفة ذاتية خبرية لله ﷻ، نثبتها كما نثبت باقي صفاته تعالى، من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل وهي ثابتة بالكتاب والسُّنَّة.
وانظر: كتاب «التوحيد» لابن خزيمة (١/ ١١٨)، و«الحجة» للأصفهاني (١/ ١٨٥).

(٢) «البحر المحيط» (٩/ ٨٢)، و«مشكل إعراب القرآن» (٢/ ٢٣١)، و«روح المعاني» (٢٢/ ٤١٤ ـ ٤١٥).

(٣) «القراءات الشاذة» (ص١٢٦)، و«المحتسب» (٢/ ٢١٦)، و«البحر المحيط» (٩/ ٨٢). هي قراءة شاذة.

(٤) «القراءات الشاذة» (ص١٢٦)، و«المحتسب» (٢/ ٢١٦)، و«البحر المحيط» (٩/ ٨٢). هي قراءة شاذة مخالفة للرسم.

(٥) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٧/ ٤٨٧). (٦) «إعراب القرآن» للنحاس (٣/ ٤٠٧).

والركوب ما يركب، وأجاز ذلك الفراء[١] كما يقال: فمنها أكلهم، ومنها شربهم.

ومعنى: ﴿وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ﴾: ما يأكلونه من لحمها، و«من» للتبعيض[٢] ﴿وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ﴾؛ أي: لهم في الأنعام منافع غير الركوب لها، والأكل منها، وهي ما ينتفعون به من أصوافها وأوبارها وأشعارها وما يتخذونه من الأدهان من شحومها، وكذلك الحمل عليها والحراثة بها ﴿وَمَشَارِبُ﴾؛ أي: ولهم فيها مشارب مما يحصل من ألبانها ﴿أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾ الله على هذه النعم ويوحدونه ويخصونه بالعبادة؟

ثم ذكر سبحانه جهلهم واغترارهم ووضعهم كفران النعم مكان شكرها، فقال: ﴿وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ آلِهَةً﴾ مِنْ الأصنام ونحوها يعبدونها، ولا قدرة لها على شيء ولم يحصل لهم منها فائدة ولا عاد عليهم من عبادتها عائدة ﴿لَعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ﴾؛ أي: رجاء أَنْ يُنصروا مِنْ جهتهم إنْ نزل بهم عذاب، أو دهمهم أمرٌ من الأمور، وجملة: ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ﴾ مستأنفة لبيان بطلان ما رجوه مِنْها وأمّلوه من نفعها، وجمعهم بالواو، والنون جمع العقلاء بناء على زعم المشركين أنهم ينفعون ويضرون ويعقلون ﴿وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ مُّحْضَرُونَ﴾؛ أي: والكفار جند للأصنام محضرون؛ أي: يحضرونهم في الدنيا.

قال الحسن[٣]: يمنعون منهم ويدفعون عنهم، وقال قتادة[٤]: أي: يغضبون لهم في الدنيا.

قال الزجاج[٥]: ينتصرون للأصنام، وهي لا تستطيع نصرهم. وقيل: المعنى يعبدون الآلهة، ويقومون بها، فهم لهم بمنزلة الجند، هذه الأقوال على جعل ضمير «هم» للمشركين، وضمير «لهم» للآلهة.

وقيل: وهم؛ أي: الآلهة، لهم؛ أي: للمشركين جند محضرون معهم في النار، فلا يدفع بعضهم عن بعض.

---

(١) في «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٣٨١).
(٢) «روح المعاني» (٢٢/ ٤١٥)، و«تفسير أبي السعود» (٥/ ٥٠٩).
(٣) ذكره النحاس في «إعراب القرآن» (٣/ ٤٠٧).
(٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٩/ ٤٨٥) بسند صحيح.
(٥) في «معاني القرآن وإعرابه» (٤/ ٢٩٥).

وقيل: معناه وهذه الأصنام لهؤلاء الكفار جند الله عليهم في جهنم؛ لأنهم يلعنونهم، ويتبرءون منهم.

وقيل: المعنى: إنّ الكفار يعتقدون أنّ الأصنام جند لهم يحضرون يوم القيامة لإعانتهم(١).

ثم سلّى(٢) سبحانه نبيه ﷺ فقال: ﴿فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ﴾ هذا القول هو ما يفيده قوله: ﴿وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً﴾ فإنّهم لا بدّ أن يقولوا: هؤلاء آلهتنا وإنها شركاء لله في المعبودية ونحو ذلك. وهو نهي للرسول ﷺ عن التأثر بذلك. وقيل: إنّه نهي لهم عن الأسباب التي تحزن رسول الله ﷺ، وإن النهي لرسول الله ﷺ عن التأثر لما يصدر منهم هو من باب: «لا أرينّك ها هنا» فإنه يراد به: نهي من خاطبه عَنْ الحضور لديه، لا نهي نفسه عن الرؤية، وهذا بعيد، والأوّل أولى، والكلام من باب التسلية كما ذكرنا.

ويجوز أن يكون المراد بالقول المذكور: هو قولهم إنه ساحر وشاعر ومجنون.

وجملة: ﴿إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ لتعليل(٣) ما تقدّم من النهي، فإن علمه سبحانه بما يُظهرون ويضمرون مستلزم المجازاة لهم بذلك. وأن جميع ما صدر منهم لا يَعزب عنه سواء كان خافياً أو بادياً سرّاً أو جهراً مظهراً أو مضمراً.

وتقديم السرّ على الجهر للمبالغة في شمول(٤) علمه لجميع المعلومات، وجملة: ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَـٰنُ أَنَّا خَلَقْنَـٰهُ مِن نُّطْفَةٍ﴾ مستأنفة مسوقة لبيان إقامة الحجة على من أنكر البعث وللتعجيب من جهله، فإنّ مشاهدة خلقهم في أنفسهم على هذه الصفة من البداية إلى النهاية؛ مستلزمة للاعتراف بقدرة القادر الحكيم على ما هو دون ذلك من بعث الأجسام، وردّها كما كانت، والإنسان المذكور في الآية المراد به: جنس الإنسان كما في قوله: ﴿أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَـٰنُ أَنَّا خَلَقْنَـٰهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا﴾ [مريم: ٦٧]، ولا وجه لتخصيصه بإنسان معين كما قيل: إنّه عبد الله بن أبيّ، وأنه قيل له ذلك لما أنكر البعث.

---

(١) «النكت والعيون» (٥/ ٣٢)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٧/ ٤٨٨).

(٢) «الجامع لأحكام القرآن» (١٧/ ٤٨٨)، و«روح المعاني» (٢٢/ ٤١٧)

(٣) «روح المعاني» (٢٢/ ٤١٨)، و«تفسير أبي السعود» (٥/ ٥١٠).

(٤) «روح المعاني» (٢٢/ ٤١٨).

وقال الحسن[١]: هو: أميّة بن خلف. وقال سعيد بن جبير[٢]: هو: العاص بن وائل السهمي. وقال قتادة[٣] ومجاهد[٤]: هو: أبيّ بن خلف الجمحي، فإن أحد هؤلاء، وإنْ كان سبباً للنزول، فمعنى الآية: خطاب الإنسان من حيث هو، لا إنسان معين، ويدخل مَنْ كان سبباً للنزول تحت جنس الإنسان دخولاً أوّليّاً، والنطفة هي: اليسير من الماء. وقد تقدّم تحقيق معناها [٣/٤٣٧].

﴿فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾ هذه الجملة معطوفة على الجملة المنفية قبلها داخلة معها في حيز الإنكار المفهوم من الاستفهام، و«إذا» هي: الفجائية؛ أي: ألم يرَ الإنسان أنا خلقناه من أضعف الأشياء، ففجأ خصومتنا في أمر قد قامت فيه عليه حجج الله وبراهينه.

والخصيم: الشديد الخصومة، الكثير الجدال ومعنى المبين: المظهر لما يقوله الموضح له بقوّة عارضته وطلاقة لسانه، وهكذا جملة: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ﴾ معطوفة على الجملة المنفية داخلة في حيز الإنكار المفهوم من الاستفهام، فهي تكميل للتعجيب من حال الإنسان، وبيان جهله بالحقائق، وإهماله للتفكر في نفسه فضلاً عَنْ التفكر في سائر مخلوقات الله.

ويجوز أن تكون جملة: ﴿فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ﴾ معطوفة على خلقنا، وهذه معطوفة عليها؛ أي: أورد في شأننا قصة غريبة كالمثل: وهي إنكاره أحياناً للعظام، ونسي خلقه؛ أي: خلقنا إياه، وهذه الجملة معطوفة على ضرب، أو في محلّ نصب[٥] على الحال بتقدير قد.

وجملة: ﴿قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ﴾ استئناف جواباً عَنْ سؤال مقدّر كأنه قيل: ما هذا المثل الذي ضربه؟ فقيل: قال: مَنْ يحيي العظام وهي رميم؟ وهذا الاستفهام[٦] للإنكار؛ لأنّه قاس قدرة الله على قدرة العبد، فأنكر أن الله يحيي

---

(١) انظر: «جامع البيان» (١٩/٤٨٦).
(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٩/٤٤٧) بسند صحيح ولكنه مرسل.
(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٩/٤٨٦) بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة، به. وأخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢/١٤٦) بسند صحيح من طريق معمر عن قتادة.
(٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٩/٤٨٦) بسند صحيح.
(٥) «روح المعاني» (٢٢/٤٢٠).
(٦) «تفسير أبي السعود» (٥/٥١٢)، و«روح المعاني» (٢٢/٤٢٠).

العظام البالية حيث لم يكن ذلك في مقدور البشر، يقال: رمّ العظم[١] يرمّ رمّاً إذا بلي، فهو رميم، ورُمَام، وإنما قال: رميم، ولم يقل: رميمة مع كونه خبراً للمؤنث؛ لأنّه اسم لما بلي من العظام غير صفة كالرمة والرفات.

وقيل: لكونه معدولاً عن فاعلة، وكل معدول عن وجهه يكون مصروفاً عن إعرابه كما في قوله: ﴿وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا﴾ [مريم: ٢٨]؛ لأنه مصروف عن باغية، كذا قال البغوي[٢]، والقرطبي، وقال بالأوّل صاحب الكشّاف[٣].

والأولى أن يقال: إنه فعيل بمعنى: فاعل، أو مفعول، وهو يستوي فيه المذكر، والمؤنث كما قيل في جريح وصبور.

ثم أجاب سبحانه عن الضارب لهذا المثل، فقال: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾؛ أي: ابتدأها وخلقها أوّل مرة من غير شيء، ومن قدر على النشأة الأولى قدر على النشأة الثانية ﴿وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ لا يخفى عليه خافية ولا يخرج عن علمه خارج كائناً ما كان. وقد استدلّ أبو حنيفة[٤]، وبعض أصحاب الشافعي بهذه الآية على أنّ العظام مما تحلّه الحياة.

وقال الشافعي[٥]: لا تحلّه الحياة، وأن المراد بقوله: ﴿مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ﴾ من يحيي أصحاب العظام على تقدير مضاف محذوف، وردّ بأن هذا التقدير خلاف الظاهر ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا﴾ هذا رجوع منه سبحانه إلى تقرير ما تقدّم من دفع استبعادهم، فنبّه سبحانه على وحدانيته، ودل على قدرته على إحياء الموات بما يشاهدونه من إخراج النار المُحرقة مِنْ العود النديّ الرطب، وذلك أن الشجر المعروف بالمَرْخ والشجر المعروف بالعَفَار إذا قطع منهما عودان، وضرب أحدهما على الآخر انقدحت منهما النار وهما أخضران[٦].

---

(١) قال الأزهري في «تهذيب اللغة» (٢/٣٠٣): إنَّ عظاماً لكونه بوزن المفرد، ككتاب وقِراب، عومل معاملته، فقيل: «رميم»، دون: رميمة.. وذكر له شواهد وهو غريب.

(٢) في «تفسيره» (٧/ ٢٩).

(٣) الزمخشري في «الكشاف» (٥/ ١٩٦).

(٤) «أحكام القرآن» للكيا الطبري (٣/ ٣٥٥)، «الجامع لأحكام القرآن» (١٧/ ٢٩٠).

(٥) «أحكام القرآن» لابن العربي (٤/ ١٦٠٤).

(٦) «روح المعاني» (٢٢/ ٤٢٤).

قيل: المرخ هو: الذكر، والعَفَار هو: الأنثى، ويسمى الأوّل: الزَّنْد، والثاني: الزندة، وقال: الأخضر، ولم يقل: الخضراء اعتباراً باللفظ.

وقرئ «الخضر»[(١)] اعتباراً بالمعنى، وقد تقرّر أنه يجوز تذكير اسم الجنس، وتأنيثه كما في قوله: ﴿نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ﴾ [القمر: ٢٠] وقوله: ﴿نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾ [الحاقة: ٧] فبنو تميم ونجد يذكّرونه، وأهل الحجاز يؤنثونه إلا نادراً، والموصول بدل من الموصول الأوّل ﴿فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ﴾؛ أي: تقدحون منه النار، وتوقدونها من ذلك الشجر الأخضر.

ثم ذكر سبحانه ما هو أعظم خلقاً من الإنسان، فقال: ﴿أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم﴾ والهمزة للإنكار، والواو للعطف على مقدّر كنظائره، ومعنى الآية: أن من قدر على خلق السمٰوات، والأرض ـ وهما في غاية العظم وكبر الأجزاء ـ يقدر على إعادة خلق البشر الذي هو صغير الشكل ضعيف القوّة، كما قال سبحانه: ﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ﴾ [غافر: ٥٧] قرأ الجمهور[(٢)] «بقادر» بصيغة اسم الفاعل.

وقرأ الجحدري، وابن أبي إسحاق، والأعرج، وسلام بن المنذر، ويعقوب الحضرمي «يَقْدر» بصيغة الفعل[(٣)] المضارع. ثم أجاب سبحانه عمَّا أفاده الاستفهام مِنْ الإنكار التقريريّ بقوله: ﴿بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ﴾؛ أي: بلى هو قادر على ذلك وهو المبالغ في الخلق والعلم على أكمل وجه، وأتمه. وقرأ الحسن والجحدري ومالك بن دينار «وهو الخالق»[(٤)].

ثم ذكر سبحانه ما يدل على كمال قدرته، وتيسر المبدأ، والإعادة عليه، فقال: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾؛ أي: إنما شأنه سبحانه إذا تعلقت إرادته بشيء مِنْ الأشياء أن يقول له: احدثْ فيحدث من غير توقف على شيء آخر أصلاً، وقد تقدّم تفسير هذا في سورة النحل، وفي البقرة.

---

(١) كذا فقط عند الشوكاني رَحِمَهُ اللهُ. وهي قراءة شاذة. وانظر: «البحر المحيط» (٧/ ٣٣٣) طبعة: دار الفكر.

(٢) «النشر» (٢/ ٣٥٥)، و«زاد المسير» (٧/ ٤٢)، و«البحر المحيط» (٩/ ٨٥).

(٣) انظر: المصادر المتقدمة. قراءة رويس عن يعقوب (يقدر) وأما رواية روح عن يعقوب فهي قراءة الجمهور.

(٤) «القراءات الشاذة» (ص١٢٦)، و«روح المعاني» (٢٢/ ٤٢٧).

قرأ الجمهور[١]: «فيكونُ» بالرفع على الاستئناف.

وقرأ الكسائي[٢] بالنصب عطفاً على يقول. ثم نزّه سبحانه نفسه عن أن يوصف بغير القدرة، فقال: ﴿فَسُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾، والملَكُوت في كلام العرب لفظ مبالغة في المُلك كالجبروت والرحموت كأنه قال: فسبحان الذي بيده مالكية الأشياء الكلية.

قال قتادة[٣]: ملكوت كلّ شيء: مفاتح كلّ شيء.

قرأ الجمهور[٤]: «ملكوت» وقرأ الأعمش[٥]، وطلحة بن مصرف، وإبراهيم التيمي «مَلَكة» بزنة شجرة.

وقرئ[٦]: «مَمْلكة» بزنة مَفْعلة، وقرئ[٧] «ملك»، والملكوت أبلغ من الجميع.

وقرأ الجمهور[٨]: ﴿وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾ بالفوقية على الخطاب مبنيّاً للمفعول.

وقرأ السلمي، وزر بن حبيش، وأصحاب ابن مسعود بالتحتية[٩] على الغيبة مبنيّاً للمفعول أيضاً.

وقرأ زيد بن عليّ[١٠] على البناء للفاعل؛ أي: تَرْجِعون إليه لا إلى غيره وذلك في الدار الآخرة بعد البعث.

---

(١) «البحر المحيط» (٩/ ٨٥)، و«التيسير» (ص١٣٧)، و«النشر» (٢/ ٢٢٠)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (١/ ٢٦٠).

(٢) انظر: المصادر المتقدمة. ومع الكسائي ابن عامر.

(٣) ذكره النحاس في «إعراب القرآن» (٣/٤٠٨).

(٤) «البحر المحيط» (٩/ ٨٦)، و«المحرر الوجيز» (١٣/ ٢١٨). قراءة الجمهور (ملكوت) هي المتواترة وما عداها فشاذ.

(٥) «روح المعاني» (٢٢/ ٤٢٨)، و«المحتسب» (٢/ ٢١٧)، و«القراءات الشاذة» (ص١٢٦).

(٦) «البحر المحيط» (٩/ ٨٦)، و«روح المعاني» (٢٢/ ٤٢٨).

(٧) «البحر المحيط» (٩/ ٨٦)، و«روح المعاني» (٢٢/ ٤٢٨).

(٨) «النشر» (٢/ ٢٠٨)، و«البحر المحيط» (٩/ ٨٦)، و«روح المعاني» (٢٢/ ٤٢٨).

(٩) انظر: المصادر المتقدمة.

(١٠) «البحر المحيط» (٩/ ٨٦)، و«النشر» (٢/ ٢٠٨)، و«روح المعاني» (٢٢/ ٤٢٨). وهي قراءة يعقوب بالتاء والجيم مبنياً للفاعل وهي قراءة متواترة وأما القراءة بالتحتية على الغيبة مبنياً للمفعول فشاذة.

وقد أخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم في معجمه، والحاكم وصححه، وابن مردويه، والبيهقي في «البعث»، والضياء في «المختارة» عن ابن عباس[١] قال: جاء العاص بن وائل إلى رسول الله ﷺ بعْظم حائل، ففتّه بيده، فقال: يا محمد أيحيي الله هذا بعد ما أدم؟ قال: «نعم يبعث الله هذا ثم يميتك ثم يحييك ثم يدخلك نار جهنّم»، فنزلت الآيات من آخر يّس ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ﴾ إلى آخر السورة.

وأخرج ابن جرير، وابن مردويه[٢] عنه قال: جاء عبد الله بن أبيّ في يده عظم حائل إلى النبي ﷺ. وذكر مثل ما تقدّم قال ابن كثير[٣]: وهذا منكر؛ لأن السورة مكية، وعبد الله بن أبيّ إنما كان بالمدينة.

وأخرج ابن مردويه[٤] عن ابن عباس قال: جاء أبيّ بن خلف الجمحي، وذكر نحو ما تقدّم.

وأخرج ابن مردويه[٥] عنه أيضاً قال: نزلت في أبي جهل، وذكر نحو ما تقدّم.

❁ ❁ ❁

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٩/ ٤٨٧)، عن سعيد بن جبير، والإسماعيلي (٣/ ٧٤٢)، والحاكم (٢/ ٤٢٩)، والضياء (١٠/ ٨٧، ٨٨ رقم ٨٢).

(٢) عزاه إليهما السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٧٤).
وأخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٩/ ٤٨٧)، وابن مردويه كما في «أحاديث الكشاف».

(٣) في «تفسيره» (١١/ ٣٨٤).

(٤) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٧٤).

(٥) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٧٥).

سورة الصافات

هي مائة واثنتان وثمانون آية.

وهي مكية. قال القرطبي[١]: في قول الجميع.

وأخرج ابن الضريس، وابن النحاس، وابن مردويه، والبيهقي في «الدلائل» عن ابن عباس[٢] قال: نزلت بمكة.

وأخرج النسائي، والبيهقي في «سننه» عن ابن عمر[٣] قال: كان رسول الله ﷺ يأمرنا بالتخفيف ويؤمّنا بالصافات. قال ابن كثير[٤]: تفرّد به النسائي.

وأخرج ابن أبي داود في «فضائل القرآن»، وابن النجار في «تاريخه» من طريق نهشل بن سعد الورداني عن الضحاك، عن ابن عباس[٥] قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ قرأ يّس، والصافات يوم الجمعة، ثم سأل الله أعطاه سؤله».

وأخرج أبو نُعيم في «الدلائل»، والسِّلَفي في «الطيوريات» عن ابن عباس[٦]: «أنّ النبي ﷺ لما سأله ملوك حضرموت عند قدومهم عليه أن يقرأ عليهم شيئاً مما أنزل الله قرأ: ﴿وَٱلصَّـٰٓفَّـٰتِ صَفًّا﴾ [الصافات: ١] حتى بلغ ﴿وَرَبُّ ٱلْمَشَـٰرِقِ﴾ [الصافات: ٥]» الحديث.

---

(١) في «تفسيره» (١٨/ ٥).

(٢) أخرجه ابن الضريس في «فضائل القرآن» رقم (١٧، ١٨)، والنحاس في «ناسخه» (ص٦٣٧)، والبيهقي في «الدلائل» (٧/ ١٤٢ ـ ١٤٤).

(٣) أخرجه النسائي في «المجتبى» رقم (٨٢٥)، وفي «الكبرى» رقم (١١٤٣٢)، والبيهقي في «سننه» (٣/ ١١٨) وهو حديث صحيح.

(٤) في «تفسيره» (١٢/ ٥).

(٥) عزاه إليهما السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٧٧).

(٦) عزاه إليهما السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٧٧).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالصَّٰفَّٰتِ صَفًّا ۝١ فَالزَّٰجِرَٰتِ زَجْرًا ۝٢ فَالتَّٰلِيَٰتِ ذِكْرًا ۝٣ إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَٰحِدٌ ۝٤ رَّبُّ
السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشَٰرِقِ ۝٥ إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَآءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ ۝٦ وَحِفْظًا
مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ ۝٧ لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلَإِ الْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ ۝٨ دُحُورًا وَلَهُمْ
عَذَابٌ وَاصِبٌ ۝٩ إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ۝١٠ فَاسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَم
مَّنْ خَلَقْنَآ إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍ ۝١١ بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ۝١٢ وَإِذَا ذُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ ۝١٣
وَإِذَا رَأَوْا ءَايَةً يَسْتَسْخِرُونَ ۝١٤ وَقَالُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ۝١٥ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا
لَمَبْعُوثُونَ ۝١٦ أَوَ ءَابَآؤُنَا الْأَوَّلُونَ ۝١٧ قُلْ نَعَمْ وَأَنتُمْ دَٰخِرُونَ ۝١٨ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنظُرُونَ
۝١٩﴾.

قولهُ: ﴿وَالصَّٰفَّٰتِ صَفًّا﴾ قرأ أبو عمرو[١]، وحمزة، وقيل: حمزة فقط بإدغام التاء من الصافات في صاد صفّاً، وإدغام التاء من الزاجرات في زاي زجراً، وإدغام التاء من التاليات في ذال ذكراً، وهذه القراءة قد أنكرها أحمد بن حنبل[٢] لما سمعها.

قال النحاس[٣]: وهي بعيدة في العربية من ثلاثة جهات:

الجهة الأولى: أنّ التاء ليست من مخرج الصاد، ولا من مخرج الزاي، ولا من مخرج الدال، ولا من أخواتهن.

الجهة الثانية: أن التاء في كلمة وما بعدها في كلمة أخرى.

الثالثة: أنك إذا أدغمت جمعت بين ساكنين من كلمتين، وإنما يجوز الجمع بين ساكنين في مثل هذا إذا كانا في كلمة واحدة.

وقال الواحدي[٤]: إدغام التاء في الصاد حسن لمقاربة الحرفين، ألا ترى

---

(١) «التيسير» (ص١٨٥)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٨/ ٥). قرأ أبو عَمْرو في وجه عَنْه وحمزة ويعقوب بادغام التاء في الحروف الثلاثة المذكورة، والوجه الثاني لأبي عَمرو ويعقوب كباقي العشرة بالإظهار وهما قراءتان متواترتان. والقراءة سنة متبعة. انظر: «النشر» (١/ ٣٠٠).

(٢) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٨/ ٥).

(٣) في «إعراب القرآن» للنحاس (٣/ ٤٠٩).

(٤) في «الوسيط» (٣/ ٥٢١).

أنهما من طرف اللسان؟ [٣/٤٣٨] وقرأ الباقون[١] بإظهار جميع ذلك، والواو للقسم، والمُقْسَم به الملائكة: الصافات والزاجرات والتاليات.

والمراد بالصافّات[٢]: التي تصفّ في السماء من الملائكة كصفوف الخلق في الدنيا، قاله ابن مسعود، وابن عباس، وعكرمة، وسعيد بن جبير، ومجاهد، وقتادة. وقيل: إنّها تصفّ أجنحتها في الهواء واقفةً فيه حتى يأمرها الله بما يريد.

وقال الحسن[٣]: صفّاً كصفوفهم عند ربِّهم في صلاتهم. وقيل: المراد بالصافات هنا: الطير كما في قوله: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى ٱلطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَٰٓفَّٰتٍ﴾ [الملك: ١٩] والأوّل أولى، والصفّ: ترتيب الجمع على خطٍّ كالصفّ في الصلاة. وقيل: الصافات: جماعةُ الناس المؤمنين إذا قاموا صفّاً في الصلاة، أو في الجهاد، ذكره القشيري[٤].

والمراد بـ﴿فَٱلزَّٰجِرَٰتِ﴾ الفاعلات للزجر مِنْ الملائكة، إمَّا لأنها تزجر السحاب كما قال السدّي[٥]، وإما لأنّها تزجر عن المعاصي بالمواعظ والنصائح.

وقال قتادة[٦]: المراد بالزاجرات الزواجر مِنْ القرآن، وهي كل ما ينهى ويزجر عن القبيح، والأوّل أولى.

وانتصاب ﴿صَفًّا﴾ و﴿زَجْرًا﴾ على المصدرية[٧] لتأكيد ما قبلهما. وقيل: المراد بالزّاجرات العلماء؛ لأنّهم هم الذين يزجرون أهل المعاصي والزجر في الأصل: الدفع بقوّة، وهو هنا قوّة التصويت، ومنه قول الشاعر:

زَجْرَ أبي عُروةَ السِّباعَ إذا ... أشفقَ أنْ يختلطنَ بالغَنَمْ[٨]

---

(١) «التيسير» (٢٦، ١٨٥)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (٢/ ١٥٠)، و«النشر» (١/ ٢٨٨).

(٢) «النكت والعيون» (٥/ ٣٦)، و«زاد المسير» (٧/ ٤٤)، و«جامع البيان» (١٩/ ٤٩٤)، و«روح المعاني» (٢٣/ ٩).

(٣) «النكت والعيون» (٥/ ٣٦)، و«الوسيط» (٣/ ٥٢١).

(٤) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٣٦).

(٥) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٣٦).

(٦) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٩/ ٤٩٤) بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة. وأخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢/ ١٤٧) بسند صحيح من طريق معمر عن قتادة.

(٧) «التبيان» (٢/ ١٠٨٧)، و«الفريد» (٤/ ١٢٣).

(٨) قائله النابغة الجعدي وهو في «ديوانه» (ص١٥٨).

ومنْه زجرتُ الإبل والغنم: إذا أفزعتها بصوتك.

والمراد بـ ﴿فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكۡرًا﴾ الملائكة التي تتلو القرآن كما قال ابن مسعود[١]، وابن عباس، والحسن، ومجاهد، وابن جبير، والسدّي.

وقيل: المراد: جبريل[٢] وحده، فذُكر بلفظ الجمع تعظيماً له مع أنه لا يخلو من أتباع له من الملائكة.

وقال قتادة[٣]: المراد: كلٌّ من تلا ذكر الله، وكتبه.

وقيل: المراد آيات القرآن، ووصفها بالتلاوة، وإنْ كانت متلوّة كما في قوله: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ [النمل: ٧٦].

وقيل: لأنّ بعضها يتلو بعضاً ويتبعه.

وذكر الماوردي[٤]: أنّ التاليات هم: الأنبياء يتلون الذكر على أممهم، وانتصاب ذكراً على أنّه مفعول به، ويجوز أن يكون مصدراً كما قبله من قوله «صفّاً»، و«زجراً». قيل: وهذه الفاء[٥] في قوله: «فالزاجرات، فالتاليات» إما لترتب الصِّفات أنفسها في الوجود، أو لترتب موصوفاتها في الفضل، وفي الكلّ نظر.

وقوله: ﴿إِنَّ إِلَٰهَكُمۡ لَوَٰحِدٞ﴾ جواب القسم؛ أي: أقسم الله بهذه الأقسام إنه واحد ليس له شريك. وأجاز الكسائي[٦] فتح «إنّ» الواقعة في جواب القسم ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ يجوز أن يكون خبراً ثانياً، وأن يكون بدلاً من «لواحد»، وأن يكون خبر مبتدأ محذوف.

قال ابن الأنباري[٧]: الوقف على لواحد وقفٌ حسن، ثم يبتدئ ربّ السمٰوات والأرض على معنى: هو ربّ السمٰوات والأرض. قال النّحاس: ويجوز أَنْ يكون بدلاً من لواحد.

---

(١) «روح المعاني» (٢٣/٧)، و«النكت والعيون» (٥/٣٧)، و«جامع البيان» (١٩/ ٤٩٤).
(٢) «الجامع لأحكام القرآن» (١٨/٧).
(٣) «المحرر الوجيز» (١٣/ ٢٢٠).
(٤) في «النكت والعيون» (٥/٣٧).
(٥) «روح المعاني» (٢٣/٨)، و«البحر المحيط» (٩/ ٩٠).
(٦) «إعراب القرآن» للنحاس (٣/ ٤١٠).
(٧) في «إيضاح الوقف والابتداء» (٢/ ٨٥٧).

والمعنى في الآية: أنّ وجود هذه المخلوقات على هذا الشكل البديع من أوضح الدلائل على وجود الصانع وقدرته وأنّه ربّ ذلك كله؛ أي: خالقه ومالكه. والمراد بما بينهما: ما بين السمٰاوات والأرض من المخلوقات.

والمراد بـ ﴿ٱلْمَشَٰرِقِ﴾ مشارق الشمس. قيل: إنّ الله سبحانه خلق للشمس كل يوم مشرقاً ومغرباً بعدد أيام السنة، تطلع كل يوم من واحد منها، وتغرب من واحد، كذا قال ابن الأنباري(١) وابن عبد البرّ(٢).

وأما قوله في سورة الرحمٰن: ﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ﴾ [الرحمٰن: ١٧]؛ فالمراد بالمشرقين(٣): أقصى مطلع تطلع منه الشمس في الأيام الطوال، وأقصر يوم في الأيام القصار وكذلك في المغربين(٤).

وأما ذكر المشرق والمغرب بالإفراد، فالمراد به الجهة التي تشرق منها الشمس والجهة التي تغرب مِنْها، ولعله قد تقدّم لنا في هذا كلام أوسع من هذا ﴿إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ﴾ المراد بالسماء الدنيا: التي تلي الأرض، من الدنوّ، وهو: القرب، فهي أقرب السمٰوات إلى الأرض.

قرأ الجمهور(٥): «بزينةِ الكواكب» بإضافة زينة إلى الكواكب. والمعنى: زيناها بتزيين الكواكبِ؛ أي بحسنها.

وقرأ مسروق(٦) والأعمش والنخعي وحمزة بتنوين: «زينة»، وخفض: «الكواكبِ» على أنها بدل من الزينة على أن المراد بالزينة الاسم لا المصدر، والتقدير بعد طرح المبدل منه: إنّا زيَّنا السماء بالكواكب، فإن الكواكب في أنفسها زينة عظيمة، فإنها في أعين الناظرين لها كالجواهر المتلألئة.

وقرأ عاصم(٧) في رواية أبي بكر عنه بتنوين «زينةٍ»، ونصب(٨) «الكواكب» على

---

(١) في كتاب «الرد» كما في «الجامع لأحكام القرآن» (١٨/٨).
(٢) في «التمهيد» (١٠/٢٦١).
(٣) في «التمهيد» (٧ ـ ٨).
(٤) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٨/١٠).
(٥) «التيسير» (ص١٨٦)، و«جامع البيان» (١٩/٤٩٧)، و«النشر» (٢/٣٥٦).
(٦) «البحر المحيط» (٩/٩١)، و«النشر» (٢/٣٥٦)، و«روح المعاني» (٢٣/١٣)، و«جامع البيان» (١٩/٤٩٧). وهذه القراءة قرأ بها حفص عن عاصم.
(٧) «روح المعاني» (٢٣/١٣)، و«البحر المحيط» (٩/٩١).
(٨) «الفريد» (٤/١٢٤)، و«التبيان» (٢/١٠٨٧)، و«روح المعاني» (٢٣/١٤).

أن الزينة مصدر، وفاعله محذوف، والتقدير: بأنّ الله زين الكواكب بكونها مضيئة حسنة في أنفسها، أو تكون الكواكب منصوبة بإضمار أعني، أو بدلاً من السماء بدل اشتمال، وانتصاب[١] حفظاً على المصدرية بإضمار فعل؛ أي: حفظناها حفظاً، أو على أنه مفعول لأجله؛ أي: زيناها بالكواكب للحفظ، أو بالعطف على محل زينة كأنّه قال: إنا خلقنا الكواكب زينة للسماء ﴿وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ﴾؛ أي: متمرّد خارج عَنْ الطاعة يُرمى بالكواكب، كقوله: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ﴾ [الملك: ٥].

وجملة: ﴿لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ مستأنفة لبيان حالهم بعد حفظ السماء منهم.

وقال أبو حاتم[٢]: أي: لئلا يسمعوا، ثم حذف «إن» فُرفع الفعل، وكذا قال الكلبي، والملأ الأعلى: أهل السماء الدنيا فما فوقها، وسُمى الكلّ منهم أعلى بإضافته إلى ملإ الأرض.

والضمير في ﴿يَسَّمَّعُونَ﴾ إلى الشياطين.

وقيل: إنّ جملة[٣] لا يُسمّعون صفة لكل شيطان، وقيل: جواباً عن سؤال مقدّر كأنه قيل: فما كان حالهم بعد حفظ السماء عنهم؟ فقال: ﴿لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ قرأ الجمهور[٤]: «يَسْمَعون» بسكون السين، وتخفيف الميم.

وقرأ حمزة[٥]، والكسائي، وعاصم في رواية حفص عنه بتشديد الميم، والسين، والأصل يتسمعون، فأُدغم التاء في السين، فالقراءة الأولى تدلّ على انتفاء سماعهم دون استماعهم، والقراءة الثانية تدلّ على انتفائهما، وفي معنى القراءة الأولى قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ﴾ [الشعراء: ٢١٢] قال مجاهد: كانوا يتسمعون ولكنْ لا يسمعون.

---

(١) «التبيان» (٢/ ١٠٨٧)، و«الفريد» (٤/ ١٢٤)، و«روح المعاني» (٢٣/ ١٥).

(٢) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٨/ ١١).

(٣) «النكت والعيون» (٥/ ٣٩).

(٤) «التيسير» (ص١٨٦)، و«النشر» (٢/ ٣٥٦)، و«روح المعاني» (٢٣/ ١٥)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (٢/ ٢٤٤، ٢٤٥).

(٥) انظر: المصادر المتقدمة.

واختار أبو عبيد[١] القراءة الثانية، قال: لأن العرب لا تكاد تقول: سمعت إليه، وتقول: تسمّعتُ إليه ﴿وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ ۝٨ دُحُورًا﴾؛ أي: يرمون من كلّ جانب من جوانب السماء بالشهب إذا أرادوا الصعود لاستراق السمع، وانتصاب ﴿دُحُورًا﴾ على أنه مفعول[٢] لأجله.

والدُحور[٣]: الطرد، تقول: دحرته دحراً، ودحوراً: طردته.

قرأ الجمهور[٤]: «دُحوراً» بضم الدال، وقرأ عليّ، والسلمي، ويعقوب الحضرمي، وابن أبي عبلة بفتحها[٥].

وروي عَنْ أبي عمرو[٦]: أنه قرأ «يَقْذِفون» مبنيّاً للفاعل، وهي قراءة غير مطابقة لما هو المراد من النظم القرآني، وقيل: إن انتصاب ﴿دُحُورًا﴾ على الحال[٧]؛ أي: مدحورين، وقيل: هو جمع داحر نحو قاعد وقعود، فيكون حالاً أيضاً.

وقيل: إنه مصدر[٨] لمقدّر؛ أي: يُدْحرون دحوراً.

وقال الفراء[٩]: إن المعنى: يُقذفون بما يدحرهم؛ أي: بدحور، ثم حذفت الباء، فانتصب بنزع الخافض.

واختلف[١٠] هل كان هذا الرمي لهم بالشهب قبل المبعث أو بعده فقال بالأوّل طائفة. وبالآخر آخرون. وقالت طائفة بالجمع[١١] بين القولين: إن الشياطين لم تكن تُرمى قبل المبعث رمياً يقطعها عن السمع، ولكن كانت تُرمى وقتاً، ولا ترمى وقتاً

(١) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٨/ ١٢).

(٢) «روح المعاني» (٢٣/ ١٨)، و«التبيان» (٢/ ١٠٨٨)، و«الفريد» (٤/ ١٢٦).

(٣) «تفسير غريب القرآن» لابن قتيبة (ص٦٩)، و«مفردات ألفاظ القرآن» (ص٣٠٨).

(٤) «البحر المحيط» (٩/ ٩٢)، و«زاد المسير» (٧/ ٤٧).

(٥) «القراءات الشاذة» (ص١٢٧)، و«المحتسب» (٢/ ٢١٩)، و«البحر المحيط» (٩/ ٩٢). القراءة بفتح ادال مِنْ «دحوراً» شاذة، والرواية عن يعقوب شاذة. والرواية عن أبي عمرو بقراءة يَقْذفون مبنياً للفاعل شاذة.

(٦) «القراءات الشاذة» (ص١٢٨)، و«البحر المحيط» (٩/ ٩٢)، و«روح المعاني» (٢٣/ ١٨).

(٧) «التبيان» (٢/ ١٠٨٨)، و«الفريد» (٤/ ١٢٦)، و«روح المعاني» (٢٣/ ١٨).

(٨) انظر: المصادر المتقدمة.

(٩) ذكره القرطبي في «تفسير» (١٨/ ١٢).

(١٠) سيأتي في تفصيله في سورة الجنِّ.

(١١) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٨/ ١٢).

آخر، وتُرمى من جانب ولا ترمى من جانب آخر، ثم بعد المبعث رميت في كلّ وقت، ومن كلّ جانب حتى صارت لا تقدر على استراق شيء من السمع إلا من اختطف الخطفة، فأتبعه شهاب ثاقب.

ومعنى: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ﴾: ولهم عذاب دائم لا ينقطع.

والمراد به: العذاب في الآخرة غير العذاب الذي لهم في الدنيا من الرمي بالشهب.

وقال مقاتل(١): يعني: دائماً إلى النفخة الأولى، والأوّل أولى. وقد ذهب جُمهور(٢) المفسرين إلى أن الواصب: الدائم.

وقال السدّي(٣)، وأبو صالح(٤)، والكلبي(٥): هو المُوجِع الذي يصل وجعه إلى القلب، مأخوذ مِنْ الوصب، وهو: المرض.

وقيل: هو الشديد، والاستثناء في قوله: ﴿إِلَّا مَنْ خَطِفَ ٱلْخَطْفَةَ﴾ هو من قوله: ﴿لَّا يَسَّمَّعُونَ﴾، أو مِنْ قوله: ﴿وَيُقْذَفُونَ﴾. وقيل: الاستثناء(٦) راجع إلى غير الوحي لقوله: ﴿إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ﴾ [الشعراء: ٢١٢] بل يخطف الواحد منهم خطفةً مما يتفاوض فيه الملائكة، ويدور بينهم مما سيكون في العالم قبل أن يعلمه أهل الأرض. والخطف(٧) الاختلاس مسارقة، وأخذ الشيء بسرعة.

قرأ الجمهور(٨): «خَطِف» بفتح الخاء، وكسر الطاء مخففة، وقرأ قتادة(٩)، والحسن بكسرهما، وتشديد الطاء، وهي لغة تميم بن مرّ، وبكر بن وائل. وقرأ عيسى(١٠) بن عمر بفتح الخاء، وكسر الطاء مشددة.

---

(١) ذكره الواحدي في «الوسيط» (٣/ ٥٢٢).
(٢) «الوسيط» للواحدي (٣/ ٥٢٢)، و«جامع البيان» (١٩/ ٥٠٧).
(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٩/ ٥٠٦) بسند صحيح.
(٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٩/ ٥٠٦) من طريق إسماعيل بن أبي خالد عن أبي صالح.
(٥) «النكت والعيون» (٥/ ٣٩).
(٦) «التبيان» (٢/ ١٠٨٨)، و«الفريد» (٤/ ١٢٧).
(٧) «تهذيب اللغة» (٧/ ٢٤١)، و«مفردات ألفاظ القرآن» (ص٢٨٦).
(٨) «البحر المحيط» (٩/ ٩٣)، و«روح المعاني» (٢٣/ ٢٠).
(٩) «روح المعاني» (٢٣/ ٢٠)، و«البحر المحيط» (٩/ ٩٣).
(١٠) «القراءات الشاذة» (ص١٢٧)، و«روح المعاني» (٢٣/ ٢٠)، و«البحر المحيط» (٩/ ٩٣).

وقرأ ابن عباس[١] بكسرهما مع تخفيف الطاء، وقيل: إن الاستثناء منقطع.

﴿فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾؛ أي: لحقه، وتبعه شهاب ثاقب: نُجم مضيء، فيحرقه، وربما لا يحرقه فيلقي إلى إخوانه ما خطفه، وليست الشهب التي يُرجم بها هي من الكواكب الثوابت بل مِنْ غير الثوابت، وأصل الثقوب[٢]: الإضاءة.

قال الكسائي[٣]: ثقبت النار تثقب ثقابة، وثقوباً: إذا اتقدت، وهذه الآية هي كقوله: ﴿إِلَّا مَنِ ٱسْتَرَقَ ٱلسَّمْعَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ مُّبِينٌ﴾ [الحجر: ١٨].

﴿فَٱسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَم مَّنْ خَلَقْنَآ﴾؛ أي: اسأل الكفار المنكرين للبعث أهم أشدّ خلقاً؟ وأقوى أجساماً؟ وأعظم أعضاء أم من خلقنا من السماوات، والأرض، والملائكة؟ [٣/٤٣٩].

قال الزجاج[٤]: المعنى: فاسألهم سؤال تقرير أهم أشدّ خلقاً؛ أي: أحكم صنعةً أم من خلقنا قبلهم من الأمم السالفة؟ يريد أنّهم ليسوا بأحكم خَلْقاً من غيرهم من الأمم، وقد أهلكناهم بالتكذيب فما الذي يؤمّنهم من العذاب؟ ثم ذكر خلق الإنسان، فقال: ﴿إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍ﴾؛ أي: إنّا خلقناهم في ضمن خلق أبيهم آدم من طين لازب؛ أي: لاصق، يقال: لزُب يلزُب لزوباً: إذا لصِقَ.

وقال قتادة[٥]، وابن زيد[٦]: اللّازب: اللازق.

وقال عكرمة[٧]: اللّازب: اللزج.

---

(١) «البحر المحيط» (٩/ ٩٣)، و«روح المعاني» (٢٣/ ٢٠). قراءة الجمهور هي المتواترة وما عداها فشاذ.

(٢) قال ابن قتيبة في «تفسير غريب القرآن» (ص٣٦٩): يقال: أثقب نازك؛ أي: أضئها، و«الثقوب»: ما تُذكى به النار.

(٣) ذكره النحاس في «إعراب القرآن» (٣/ ٤١٣).

(٤) في «معاني القرآن وإعرابه» (٤/ ٢٩٩).

(٥) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٩/ ٥١٣)، وعبد الرزاق في «تفسيره» (٢/ ١٤٨) بسند صحيح.

(٦) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٩/ ٥١٣) بسند صحيح.

(٧) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٩/ ٥١٢)، وأبو الشيخ في «العظمة» رقم (١٠٢٠) بسند ضعيف، رواية سماك بن حرب عن عكرمة مضطربة.

وقال سعيد بن جبير[١]: اللازب: الجيد الذي يلصق باليد.

وقال مجاهد[٢]: هو اللاّزم، والعرب تقول: طين لازب، ولازم تبدل الباء من الميم، واللازم: الثابت كما يقال: صار الشيء ضربة لازب، ومنه قول النابغة[٣]:

لَا تحسبُون الخيرَ لا شَرَّ بعدَهُ ولا يحسبُون الشَّرّ ضَرْبةَ لَازبِ

وحكى الفراء[٤] عن العرب: طين لاتب بمعنى: لازم، واللّاتب: الثابت.

قال الأصمعي[٥]: واللاتب: اللّاصق مثل اللازب.

والمعنى في الآية: أن هؤلاء كيف يستبعدون المعاد، وهم مخلقون من هذا الخَلْق الضعيف، ولم ينكره من هو مخلوق خلقاً أقوى منهم وأعظم وأكمل وأتمّ؟ وقيل: اللازب هو: المنتن؛ قاله مجاهد[٦] والضحاك.

قرأ الجمهور[٧]: «أمّ من خلقنا» بتشديد الميم، وهي: أم المتصلة، وقرأ الأعمش[٨] بالتخفيف، وهو استفهام ثان على قراءته. قيل: وقد قُرئ[٩] لازم، ولاتب، ولا أدري من قرأ بذلك.

ثم أضرب سبحانه عن الكلام السابق، فقال: ﴿بَلْ عَجِبْتَ﴾ يا محمد من قدرة الله سبحانه ﴿وَيَسْخَرُونَ﴾ منك بسبب تعجبك، أو ويسخرون منك بما تقوله من إثبات المعاد.

قرأ الجمهور[١٠] بفتح التاء من: «عجبتَ» على الخطاب للنبي ﷺ.

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٩/ ٥١٢)، عن طريق الأعمش، عن مسلم البطين عن سعيد بن جبير عن ابن عباس.
(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٩/ ٥١٣) بسند صحيح.
(٣) «ديوان النابغة» (ص١٣).
(٤) «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٣٨٤).
(٥) ذكره الجوهري في «الصحاح» (١/ ٢١٩).
(٦) ذكره عنهما البغوي في «تفسيره» (٧/ ٣٥).
(٧) «البحر المحيط» (٩/ ٩٤)، و«جامع البيان» (١٩/ ٥١٠ ـ ٥١١).
(٨) «حاشية الشهاب» (٧/ ٢٦٣)، و«البحر المحيط» (٩/ ٩٤). قراءة الأعمش شاذة.
(٩) «الكشاف» (٥/ ٢٣)، و«معاني القرآن وإعرابه» للزجاج (٤/ ٢٩٩)، و«روح المعاني» (٢٣/ ٢٩). وهي قراءات شاذة مخالفة للرسم ذكرها الزمخشري في كشافة بدون عزو لمن قرأ بها.
(١٠) «الجامع لأحكام القرآن» (١٨/ ١٨)، و«التبيان» (٢/ ١٠٨٨)، و«النشر» (٢/ ٣٥٦)، و«التيسير» (ص١٨٦).

وقرأ حمزة، والكسائي بضمها[(١)]. ورويت هذه القراءة عن عليّ، وابن مسعود، وابن عباس، واختارها أبو عبيد[(٢)]، والفراء[(٣)].

قال الفراء[(٤)]: قرأها الناس بنصب التاء، ورفعها، والرفع أحبّ إليّ؛ لأنها عن عليّ، وعبد الله، وابن عباس.

قال[(٥)]: والعجب إنْ أُسندَ إلى الله، فليس معناه من الله كمعناه من العباد.

قال الهروي[(٦)]: وقال بعض الأئمة: معنى قوله: ﴿بَلْ عَجِبْتَ﴾؛ بل جازيتهم على عجبهم؛ لأن الله أخبر عنهم في غير موضع بالتعجب من الخلق كما قال: ﴿وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ﴾ [صَ: ٤] وقالوا: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾ [صَ: ٥] ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ﴾ [يونس: ٢] وقال عليّ بن سليمان: معنى القراءتين واحد، والتقدير: قل يا محمد: بل عجبتَ؛ لأن النبي ﷺ مخاطب بالقرآن.

قال النحاس[(٧)]: وهذا قول حسن، وإضمار القول كثير.

وقيل: إن معنى الإخبار من الله سبحانه عن نفسه بالعجب أنه ظهر من أمره وسخطه على مَنْ كفر به ما يقوم مقام العجب من المخلوقين.

قال الهروي[(٨)]: ويقال: معنى عجب رُّبكم؛ أي: رضي ربكم وأثاب، فسمَّاه عجباً، وليس بعجب في الحقيقة، فيكون معنى عجبت هنا: عظم فعلهم عندي.

وحكى النقاش[(٩)]: أن معنى بل عجبت: بل أنكرت.

قال الحسين[(١٠)] بن الفضل: التعجب من الله[(١١)]: إنكار الشيء وتعظيمه، وهو

---

(١) انظر: المصادر المتقدمة. هما قراءتان متواترتان.
(٢) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٨/١٨).
(٣) في «معاني القرآن» (٢/ ٣٨٤).
(٤) في «معاني القرآن» (٢/ ٣٨٤).
(٥) أي: الفراء في المصدر المتقدم.
(٦) في «الغريبين» (٤/ ١٢٣٠).
(٧) في «إعراب القرآن» للنحاس (٣/ ٤١٣).
(٨) في «الغريبين» (٤/ ١٢٣٠).
(٩) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٨/ ٢٠).
(١٠) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٨/ ٢٠).
(١١) العَجَب: صفة من صفات الله ﷻ الفعلية الخبرية الثابتة له بالكتاب والسُّنَّة.
قال ابن جرير في «جامع البيان» (١٩/ ٥١٣ ـ ٥١٤): اختلفت القرأةُ في قراءة ذلك، بمعنى: بل عظم عندي وكبر اتخاذهم لي شريكاً، وتكذيبهم تنزيلي وهم يسخرون.
وقرأ ذلك عامةُ قرأة المدينة والبصرة وبعض قرأة الكوفة: ﴿بَلْ عَجِبْتَ﴾ بفتح التاء بمعنى: =

لغة العرب، وقيل: معناه: أنه بلغ في كمال قدرته، وكثرة مخلوقاته إلى حيث عجب منها، وهؤلاء لجهلهم يسخرون منها، والواو في ﴿وَيَسْخَرُونَ﴾ للحال[١]؛ أي: بل عجبتَ، والحال أنّهم يسخرون، ويجوز أن تكون للاستئناف[٢] ﴿وَإِذَا ذُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ﴾؛ أي: وإذا وُعظوا بموعظة مِنْ مواعظ الله، أو مواعظ رسوله لا يذكرون؛ أي: لا يتعظون بها ولا ينتفعون بما فيها.

قال سعيد بن المسيب[٣]؛ أي: إذا ذُكر لهم ما حلّ بالمكذبين ممن كان قبلهم أعرضوا عنه ولم يتدبروا ﴿وَإِذَا رَأَوْا ءَايَةً﴾؛ أي: مُعجزةً من معجزات رسول الله ﴿يَسْتَسْخِرُونَ﴾؛ أي: يبالغون في السخرية.

قال قتادة[٤]: يسخرون، ويقولون: إنّها سخرية، يقال: سخر واستسخر بمعنى؛ مثل: قرّ واستقرّ، وعجب واستعجب. والأوّل أولى؛ لأن زيادة البناء تدلّ على زيادة المعنى. وقيل: معنى يستسخرون: يستدعون السخرى من غيرهم[٥].

وقال مجاهد[٦]: يَسْتهزئون ﴿وَقَالُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾؛ أي: ما هذا الذي تأتينا به إلا سحر واضح ظاهر ﴿أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا﴾ الاستفهام للإنكار؛ أي: أنُبعثُ إذا متنا؟، فالعامل في إذا هو ما دلّ عليه ﴿أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾ وهو أنبُعَثُ لانفسَ

= بل عجبتَ أنت يا محمد، ويسخرون من هذا القرآن.
والصواب من القول في ذلك أن يقال: إنَّهما قراءتان مشهورتان في قرأة الأمصار، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيبٌ.
فإن قال قائل: وكيف يكون مصيباً القارئُ بهما مع اختلاف فعليهما؟ قيل: إنهما وإن اختلف معنياهما فكلٌّ واحدٍ من معنييه صحيح؛ قد عجب ربنا من عظيم ما قاله المشركون في الله، وسخر المشركون بما قالوه.
وانظر: «مجموع فتاوى» لشيخ الإسلام ابن تيمية (٤/ ١٨١) (٦/ ١٢٣، ١٢٤).

(١) «إعراب القرآن» للنحاس (٣/ ٤١٤)، و«روح المعاني» (٢٣/ ٣٠)، و«البحر المحيط» (٩/ ٩٥).
(٢) انظر: المصادر المتقدمة.
(٣) كذا في المخطوط والصواب: (سعيد بن جبير).
كما في «النكت والعيون» (٥/ ٤١).
(٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٩/ ٥١٥) بسند صحيح.
(٥) «إعراب القرآن» للنحاس (٣/ ٤١٤).
(٦) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٩/ ٥١٥ ـ ٥١٦) بسند صحيح.

مبعوثون لتوسط ما يمنع مِنْ عمله فيه، وهذا الإنكار[١] للبعث منهم هو السبب الذي لأجله كذبوا الرسل وما نزل عليهم، واستهزءوا بما جاءوا به من المعجزات.

وقد تقدّم تفسير معنى هذه الآية في مواضع ﴿أَوَ ءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ﴾ هو مبتدأ[٢] وخبره محذوف؛ أي: أو آباؤنا الأوّلون مبعوثون؟ وقيل: معطوف على محل[٣] إنّ واسمها، وقيل: على الضمير في (مبعوثون) لوقوع الفصل بينهما، والهمزة للإنكار داخلة على حرف العطف، ولهذا قرأ الجمهور[٤] بفتح الواو، وقرأ نافع ابن عامر[٥]، وقالون بسكونها على «أنّ»، «أو» هي العاطفة وليست الهمزة للاستفهام.

ثم أمر الله سبحانه رسوله بأن يجيب عنهم تبكيتاً لهم، فقال: ﴿قُلْ نَعَمْ وَأَنتُمْ دَٰخِرُونَ﴾؛ أي: نَعْم تُبعثون وأنتم صاغرون ذليلون.

قال الواحدي[٦]: والدخور[٧]: أشدّ الصغار.

وجملة: ﴿وَأَنتُمْ دَٰخِرُونَ﴾ في محل نصب[٨] على الحال. ثم ذكر سبحانه: أن بعثهم يقع بزجرةٍ واحدة، فقال: ﴿فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ﴾ الضمير للقصة أو البعثة المفهومة مما قبلها؛ أي: إنما قصة البعث، أو البعثة زجرة واحدة؛ أي: صيحة واحدة من إسرافيل بنفخه في الصور عند البعث: ﴿فَإِذَا هُمْ يَنظُرُونَ﴾؛ أي: يبصرون ما يفعل الله بهم من العذاب.

وقال الحسن[٩]: هي: النفخة الثانية، وسُميت الصيحة زجرة[١٠]؛ لأنّ المقصود منها الزجر، وقيل: معنى ينظرون: ينتظرون ما يفعل بهم، والأوّل أولى.

وقد أخرج عبد الرزاق، والفريابي، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر،

---

(١) «الجامع لأحكام القرآن» (١٨/ ٢١)، و«روح المعاني» (٢٣/ ٣١).
(٢) «روح المعاني» (٢٣/ ٣٣)، و«التبيان» (٢/ ١٢٨ ـ ١٢٩).
(٣) انظر: المصدرين في التعليقة المتقدمة.
(٤) «التيسير» (ص١٨٦)، و«النشر» (٢/ ٣٥٧)، و«البحر المحيط» (٩/ ٩٥).
(٥) انظر: المصادر المتقدمة. وقرأ بالسكون أبو جعفر.
(٦) في «الوسيط» (٣/ ٥٢٣).
(٧) «مفردات ألفاظ القرآن» (ص٣٠٩).
(٨) «روح المعاني» (٢٣/ ٣٥)، و«البحر المحيط» (٩/ ٩٦).
(٩) «النكت والعيون» (٥/ ٤٢)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٨/ ٢٢).
(١٠) «النكت والعيون» (٥/ ٤٢).

وابن أبي حاتم والطبراني، والحاكم وصححه من طرق عن ابن مسعود[١] ﴿وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفًّا﴾ قال: الملائكة ﴿فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجْرًا﴾ قال: الملائكة ﴿فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكْرًا﴾ قال: الملائكة.

وأخرج عبد بن حميد[٢]، عن مجاهد، وعكرمة مثله.

وأخرج ابن المنذر، وأبو الشيخ في «العظمة» عن ابن عباس[٣] مثله.

وأخرج عبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه[٤] عنه أنه كان يقرأ: «لا يَسْمعون إلى الملإِ الأعلى» مخففة، وقال: إنّهم كانوا يتسمعون ولكن لا يسمعون.

وأخرج ابن جرير[٥] عنه أيضاً في قوله: ﴿عَذَابٌ وَاصِبٌ﴾ قال: دائم.

وأخرج ابن أبي حاتم، وأبو الشيخ في «العظمة» عنه[٦] أيضاً إذا رمي الشهاب لم يُخط مَنْ رمُي به، وتلا: ﴿فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾.

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر عنه[٧] أيضاً ﴿فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾ قال: لا يقتلون بالشهاب، ولا يموتون، ولكنّها تحِرق وتخبِّل وتَجْرح في غير قتل.

وأخرج عبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عنه[٨] أيضاً في قوله: ﴿مِّن طِينٍ لَّازِبٍ﴾ قال: ملتصق.

وأخرج ابن أبي شيبة، وابن جرير، وابن المنذر عنه[٩] أيضاً ﴿مِّن طِينٍ لَّازِبٍ﴾ قال: اللزج الجيد.

---

(١) أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢/ ١٤٧)، وابن جرير في «جامع البيان» (١٩/ ٤٩٢)، =والطبراني رقم (٩٠٤١)، و«الحاكم» (٢/ ٤٢٩) بسند صحيح.
(٢) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٧٨).
(٣) أخرجه أبو الشيخ في «العظمة» رقم (٥١٣) بسند ضعيف لضعف خصيف.
(٤) عزاه إليهم السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٧٩).
(٥) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٩/ ٥٠٧) بسند ضعيف.
(٦) أخرجه أبو الشيخ في «العظمة» رقم (٦٨٩) بسند ضعيف.
(٧) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٩/ ٥٠٨) بسند ضعيف.
(٨) عزاه إليهم السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٨٠).
• أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٩/ ٥١٢) بسند صحيح.
(٩) عزاه إليهم السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٨٠).
وأخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٩/ ٥١١ ـ ٥١٢) من طريق الأعمش عن مسلم البطين عن سعيد عن ابن عباس. وقد تقدم.

وأخرج ابن أبي حاتم[١] عنه أيضاً قال: اللاّزب والحمأ، والطين واحد: كان أوّله تراباً، ثم صار حَمَأً منتناً، ثم صار طيناً لازباً فخلق الله منه آدم.

وأخرج ابن أبي حاتم[٢] عن ابن مسعود قال: اللاّزب: الذي يلصقُ بعضُه إلى بعض.

وأخرج الفريابي، وسعيد بن منصور، وعبد بن حميد، وابن أبي حاتم، والحاكم وصححه عن ابن مسعود[٣]: أنه كان يقرأ: ﴿بَلۡ عَجِبۡتُ وَيَسۡخَرُونَ﴾ بالرفع[٤] للتاء من عجبت.

﴿وَقَالُواْ يَٰوَيۡلَنَا هَٰذَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ (٢٠) هَٰذَا يَوۡمُ ٱلۡفَصۡلِ ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ (٢١) ٱحۡشُرُواْ ٱلَّذِينَ
ظَلَمُواْ وَأَزۡوَٰجَهُمۡ وَمَا كَانُواْ يَعۡبُدُونَ (٢٢) مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهۡدُوهُمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡجَحِيمِ (٢٣) وَقِفُوهُمۡۖ إِنَّهُم
مَّسۡـُٔولُونَ (٢٤) مَا لَكُمۡ لَا تَنَاصَرُونَ (٢٥) بَلۡ هُمُ ٱلۡيَوۡمَ مُسۡتَسۡلِمُونَ (٢٦) وَأَقۡبَلَ بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ
يَتَسَآءَلُونَ (٢٧) قَالُوٓاْ إِنَّكُمۡ كُنتُمۡ تَأۡتُونَنَا عَنِ ٱلۡيَمِينِ (٢٨) قَالُواْ بَل لَّمۡ تَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ (٢٩) وَمَا كَانَ لَنَا
عَلَيۡكُم مِّن سُلۡطَٰنِۭۖ بَلۡ كُنتُمۡ قَوۡمٗا طَٰغِينَ (٣٠) فَحَقَّ عَلَيۡنَا قَوۡلُ رَبِّنَآۖ إِنَّا لَذَآئِقُونَ (٣١) فَأَغۡوَيۡنَٰكُمۡ إِنَّا
كُنَّا غَٰوِينَ (٣٢) فَإِنَّهُمۡ يَوۡمَئِذٖ فِي ٱلۡعَذَابِ مُشۡتَرِكُونَ (٣٣) إِنَّا كَذَٰلِكَ نَفۡعَلُ بِٱلۡمُجۡرِمِينَ (٣٤) إِنَّهُمۡ كَانُوٓاْ
إِذَا قِيلَ لَهُمۡ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسۡتَكۡبِرُونَ (٣٥) وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٖ مَّجۡنُونِۭ (٣٦) بَلۡ
جَآءَ بِٱلۡحَقِّ وَصَدَّقَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ (٣٧) إِنَّكُمۡ لَذَآئِقُواْ ٱلۡعَذَابِ ٱلۡأَلِيمِ (٣٨) وَمَا تُجۡزَوۡنَ إِلَّا مَا كُنتُمۡ
تَعۡمَلُونَ (٣٩) إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلۡمُخۡلَصِينَ (٤٠) أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ رِزۡقٞ مَّعۡلُومٞ (٤١) فَوَٰكِهُۖ وَهُم مُّكۡرَمُونَ (٤٢) فِي
جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ (٤٣) عَلَىٰ سُرُرٖ مُّتَقَٰبِلِينَ (٤٤) يُطَافُ عَلَيۡهِم بِكَأۡسٖ مِّن مَّعِينِۭ (٤٥) بَيۡضَآءَ لَذَّةٖ
لِّلشَّٰرِبِينَ (٤٦) لَا فِيهَا غَوۡلٞ وَلَا هُمۡ عَنۡهَا يُنزَفُونَ (٤٧) وَعِندَهُمۡ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرۡفِ عِينٞ (٤٨) كَأَنَّهُنَّ
بَيۡضٞ مَّكۡنُونٞ (٤٩)﴾.

قوله: ﴿وَقَالُواْ يَٰوَيۡلَنَا﴾؛ أي: قال أولئك المبعوثون لما عاينوا البعث الذي كانوا

---

(١) ذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/٣٢٠٦).

(٢) ذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/٣٢٠٦).

(٣) أخرجه الطبراني (٩/١٥١)، و«الحاكم» (٢/٤٣٠) وصححه ووافقه الذهبي.

(٤) «النشر» (٢/٣٥٦)، و«التيسير» (ص١٨٦)، و«التبيان» (٢/١٠٨٨)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (٢/٢٢٣).

يُكَذِّبون به في الدنيا: يا ويلنا؛ دعوا بالويل على أنفسهم. قال الزجاج[(١)]: الويل كلمةٌ يقولها القائل وقت الهلكة.

وقال الفراء[(٢)]: إن أصله: يا وي لنا، ووي بمعنى: الحُزْن كأنّه قال: يا حُزْن لنا.

قال النحاس[(٣)]: ولو كان كما قال لكان مُنفصلاً، وهو في المصحف متصل، ولا نعلم أحداً يكتبه إلا متصلاً.

وجملة: ﴿هَٰذَا يَوْمُ ٱلدِّينِ﴾ تعليل[(٤)] لدعائهم بالويل على أنفسهم، والدِّين: الجزاء، فكأنهم قالوا: هذا اليوم الذي نُجازى فيه بأعمالنا من الكفر والتكذيب للرسل؟ فأجاب عليهم الملائكة بقولهم: ﴿هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ﴾، ويجوز أن يكون هذا من قول بعضهم لبعض، والفصل: الحُكْم والقضاء؛ لأنه يُفصَل فيه بين المحسن والمسيء.

وقوله: ﴿ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَأَزْوَٰجَهُمْ﴾ هو أمر[(٥)] مِنْ الله سبحانه للملائكة بأن يحشروا المشركين وأزواجهم، وهم أشباههم في الشرك والمتابعون لهم في الكفر، والمشايعون لهم في تكذيب الرسل، كذا قال قتادة[(٦)] وأبو العالية. وقال الحسن[(٧)] ومجاهد: المراد بأزواجهم: نساؤهم المشركات الموافقات لهم على الكفر والظلم.

وقال الضحاك[(٨)]: أزواجهم: قرناؤهم من الشياطين يحشر كلّ كافر مع شيطانه، وبه قال مقاتل[(٩)] ﴿وَمَا كَانُوا۟ [٣/٤٤٠] يَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ من الأصنام والشياطين، وهذا العموم[(٩)] المستفاد من «ما» الموصولة، فإنها عبارة عن المعبودين لا عَنْ العابدين كما قيل مخصوص؛ لأن من طوائف الكفار من عبد المسيح، ومنهم من عبد الملائكة فيخرجون بقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ عَنْهَا

---

(١) في «معاني القرآن وإعرابه» (٤/ ٣٠١).
(٢) ذكره النحاس في «إعراب القرآن» (٣/ ٤١٤).
(٣) في «إعراب القرآن» (٣/ ٤١٤). (٤) «روح المعاني» (٢٣/ ٣٧).
(٥) «الجامع لأحكام القرآن» (١٨/ ٢٣).
(٦) «إعراب القرآن» للنحاس (٣/ ٤١٥)، و«النكت والعيون» (٥/ ٤٣)، و«زاد المسير» (٧/ ٥٢).
(٧) انظر: المصادر المتقدمة.
(٨) «إعراب القرآن» للنحاس (٣/ ٤١٥)، و«النكت والعيون» (٥/ ٤٣).
(٩) «الجامع لأحكام القرآن» (١٨/ ٢٣).

﴿مُبْعَدُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠١]، ووجه حشر الأصنام مع كونها جمادات لا تعقل هو زيادة التبكيت لعابديها، وتخجيلهم وإظهار أنها لا تنفع ولا تضرّ ﴿فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ﴾؛ أي: عرّفوا هؤلاء المحشورين طريق النار، وسوقوهم إليها، يقال: هديته الطريق، وهديته إليها؛ أي: دللْتهُ عليها وفي هذا تهكّم بهم ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ﴾؛ أي: احبسوهم، يقال: وقفت الدابّة أقِفُها وقفاً، فوقفتْ هي وقوفاً يتعدّى، ولا يتعدّى، وهذا الحبس لهم يكون قبل السوق إلى جهنّم؛ أي: وقفوهم للحساب، ثم سوقوهم إلى النار بعد ذلك، وجملة: ﴿إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ﴾ تعليل للجملة الأولى.

قال الكلبي[1]: أي: مسئولون عَنْ أعمالهم وأقوالهم وأفعالهم. وقال الضحاك[2]: عَنْ خطاياهم، وقيل: عن لا إله إلّا الله، وقيل: عن ظلم العباد، وقيل: هذا السؤال هو المذكور بعد هذا بقوله: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ﴾؛ أي: أيّ شيء لكم لا ينصر بعضكم بعضاً كما كنتم في الدنيا؟ وهذا توبيخ لهم وتقريع وتهكم بهم، وأصله تتناصرون فطرحت إحدى التاءين تخفيفاً.

قرأ الجمهور[3]: ﴿إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ﴾ بكسر الهمزة، وقرأ عيسى بن عمر بفتحها[4]. قال الكسائي[5]: أي: لأنهم، أو بأنّهم، وقيل: الإشارة بقوله: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ﴾ إلى قول أبي جهل يوم بدر: ﴿نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ﴾ [القمر: ٤٤]، ثم أضرب سبحانه عما تقدّم إلى بيان الحالة التي هم عليها هنالك، فقال: ﴿بَلْ هُمُ ٱلْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ﴾؛ أي: منقادون لعجزهم عَنْ الحيلة.

قال قتادة[6]: مستسلمون في عذاب الله.

وقال الأخفش[7]: ملقون بأيديهم، يقال: استسلم للشيء: إذا انقاد له وخضع ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ﴾؛ أي: أقبل بعضُ الكفار على بعض يتساءلون. قيل: هم الأتباع والرّؤساء يسأل بعضُهم بعضاً سؤال توبيخ وتقريع ومخاصمة.

---

(١) «روح المعاني» (٢٣/ ٣٨)، و«تفسير أبي السعود» (٥/ ٥٢١).
(٢) «زاد المسير» (٧/ ٥٣).
(٣) «البحر المحيط» (٩/ ٩٧)، و«روح المعاني» (٢٣/ ٤٠).
(٤) «القرآءات الشاذة» (ص١٢٧)، و«البحر المحيط» (٩/ ٩٧). القراءة بالفتح شاذة.
(٥) ذكره النحاس في «إعراب القرآن» (٣/ ٤٦٦).
(٦) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٩/ ٥٢٤) بسند صحيح.
(٧) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٨/ ٢٥).

وقال مجاهد(١): هو قول الكفار للشياطين. وقال قتادة(٢): هو قول الإنس للجنّ، والأوّل أولى لقوله: ﴿قَالُوٓاْ إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ ٱلْيَمِينِ﴾؛ أي: كنتم تأتوننا في الدنيا عَنْ اليمين؛ أي: مِنْ جهة الحقّ والدين والطاعة وتصدّونا عنها.

قال الزجاج(٣): كنتم تأتوننا من قبل الدين، فتروننا أن الدين والحق ما تضلوننا به، واليمين عبارة عَنْ الحق، وهذا كقوله تعالى إخباراً عن إبليس: ﴿ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَـٰنِهِمْ﴾ [الأعراف: ١٧].

قال الواحدي(٤): قال أهل المعاني: إن الرّؤساء كانوا قد حلفوا لهؤلاء الأتباع أن ما يدعونهم إليه هو الحق فوثقوا بأيمانهم؛ فمعنى: ﴿تَأْتُونَنَا عَنِ ٱلْيَمِينِ﴾؛ أي: من ناحية الأيمان التي كنتم تحلفونها، فوثقنا بها.

قال(٥): والمفسرون على القول الأوّل.

وقيل: المعنى: تأتوننا(٦) عَنْ اليمين التي نحبها، ونتفاءل؛ بها لتغرّونا بذلك عن جهة النصح، والعرب تتفاءل بما جاء عَنْ اليمين وتسميه السانح.

وقيل: اليمين(٧) بمعنى: القوّة؛ أي: تمنعوننا بقوّة وغلبة، وقهر كما في قوله: ﴿فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًۢا بِٱلْيَمِينِ﴾ [الصافات: ٩٣]؛ أي: بالقوّة، وهذه الجملة مستأنفة جواب سؤال مقدّر، وكذلك جملة: ﴿قَالُواْ بَل لَّمْ تَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ﴾ فإنّها مستأنفة جواب سؤال مقدّر؛ والمعنى: أنّه قال الرؤساء أو الشياطين لهؤلاء القائلين: كنتم تأتوننا عن اليمين: بل لم تكونوا مؤمنين ولم نمنعكم من الإيمان.

والمعنى(٨): أنّكم لم تكونوا مؤمنين قطّ حتى ننقلكم عن الإيمان إلى الكفر بل كنتم من الأصل على الكفر، فأقمتم عليه ﴿وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّن سُلْطَـٰنٍۭ﴾ من تسلط بقهر وغلبة حتى ندخلكم في الإيمان، ونخرجكم من الكفر ﴿بَلْ كُنتُمْ قَوْمًا طَـٰغِينَ﴾؛ أي: متجاوزين الحدّ في الكفر، والضلال.

---

(١) «النكت والعيون» (٥/ ٤٥).
(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٩/ ٥٢٤) بسند صحيح..
(٣) في «معاني القرآن وإعرابه» (٤/ ٣٠٢). (٤) في «الوسيط» (٣/ ٥٢٤).
(٥) أي: الواحدي في «الوسيط» (٣/ ٥٢٤).
(٦) ذكره النحاس في «إعراب القرآن» (٣/ ٤١٧).
(٧) ذكره ابن الجوزي في «زاد المسير» (٧/ ٥٤).
(٨) انظر: «النكت والعيون» (٥/ ٤٥ ـ ٤٦)، و«إعراب القرآن» للنحاس (٣/ ٤١٧).

وقولهُ: ﴿فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَآ إِنَّا لَذَآئِقُونَ﴾ مِنْ قول المتبوعين؛ أي: وجب علينا وعليكم، ولزمنا قول ربنا، يعنون قوله تعالى: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [صَ: ٨٥] إنا لذائقو العذاب؛ أي: إنا جميعاً لذائقو العذاب الذي ورد به الوعيد.

قال الزجاج[١]: أي: إن المضلّ والضّال في النار ﴿فَأَغْوَيْنَٰكُمْ﴾؛ أي: أضللناكم عن الهدى، ودعوناكم إلى ما كنا فيه من الغيّ، وزينا لكم ما كنتم عليه من الكفر ﴿إِنَّا كُنَّا غَٰوِينَ﴾ فلا عتبَ علينا في تعرّضنا لإغوائكم؛ لأنا أردنا أن تكونوا أمثالنا في الغواية.

ومعنى الآية: أقدمنا على إغوائكم لأنّا كنا موصوفين في أنفسنا بالغواية، فأقرّوا ها هنا بأنّهم تسببوا لإغوائهم، لكن لا بطريق القهر والغلبة، ونفوا عن أنفسهم فيما سبق أَنّهم قهروهم وغلبوهم، فقالوا: ﴿وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ﴾ ثم أخبر الله سبحانه عن الأتباع والمتبوعين بقوله: ﴿فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾ كما كانوا مشتركين في الغواية ﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ﴾؛ أي: إنّا نفعل مثل ذلك الفعل بالمجرمين؛ أي: أهل الإجرام، وهم المشركون كما يفيده قوله سبحانه: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾؛ أي: إذا قيل لهم: قولوا لا إلٰه إلّا الله يستكبرون عَنْ القبول، ومحل يستكبرون النصب[٢] على أنه خبر كان، أو الرفع على أنه خبر إن، وكان ملغاة ﴿وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ﴾ يعنون: النبي ﷺ؛ أي: لقول شاعر مجنون.

فردّ الله سبحانه عليهم بقوله: ﴿بَلْ جَآءَ بِٱلْحَقِّ﴾؛ يعني: القرآن المشتمل على التوحيد والوعد والوعيد ﴿وَصَدَّقَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾؛ أي: صدّقهم فيما جاءوا به من التوحيد والوعيد، وإثبات الدار الآخرة ولم يخالفهم، ولا جاء بشيء لم تأت به الرسل قبله ﴿إِنَّكُمْ لَذَآئِقُواْ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَلِيمِ﴾؛ أي: إنكم بسبب شرككم وتكذيبكم لذائقوا العذاب الشديد الألم.

---

(١) في «معاني القرآن وإعرابه» (٤/ ٣٠٢).

(٢) «التبيان» (٢/ ١٠٨٩)، و«الفريد» (٤/ ١٢٩)، و«إعراب القرآن» للنحاس (٣/ ٤١٨).

قرأ الجمهور[١]: «لذائقوا» بحذف النون، وخفض العذاب، وقرأ أبان[٢] بن ثعلب عَنْ عاصم وأبو السمال بحذفها، ونصب العذاب، وأنشد سيبويه[٣] في مثل هذه القراءة بالحذف للنون، والنصب للعذاب قول الشاعر[٤]:

فـألـفـيـتَـه غـيـرَ مُـسـتـعـتـبٍ ولا ذاكـرَ الـلَّـهَ إلَّا قَـلـيـلاً

وأجاز سيبويه أيضاً ﴿وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ﴾ [الحج: ٣٥] بنصب[٥] الصلاة على هذا التوجيه. وقد قرئ[٦] بإثبات النون، ونصب العذاب على الأصل. ثم بيّن سبحانه: أن ما ذاقوه من العذاب ليس إلا بسبب أعمالهم، فقال: ﴿وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾؛ أي: إلا جزاء ما كنتم تعملون من الكفر، والمعاصي أو إلا بما كنتم تعملون.

ثم استثنى المؤمنين فقال: ﴿إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾. قرأ أهل المدينة والكوفة: «المُخْلَصين» بفتح[٧] اللّام؛ أي: الذين أخلصهم اللهَ لطاعته، وتوحيده.

وقرأ الباقون[٨] بكسرها؛ أي: الذين أخلصوا لله العبادة والتوحيد والاستثناء[٩] إمَّا متصل على تقدير تعميم الخطاب في تُجْزون لجميع المكلفين. أو منقطع؛ أي: لكن عباد الله المخلصين لا يذوقون العذاب، والإشارة بقوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ إلى المخلصين، وهو: مبتدأ وخبره قوله: ﴿لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ﴾؛ أي: لهؤلاء المخلصين رزقٌ يرزقهم الله إيّاه معلوم في حُسنه وطيبه وعدم انقطاعه.

قال قتادة[١٠]: يعني: الجنة، وقيل: معلوم الوقت، وهو أن يعطوا منه بكرة

---

(١) «البحر المحيط» (٩/ ٩٩)، و«الكشاف» (٥/ ٢٠٨).

(٢) «المحتسب» (٢/ ٨١)، و«البحر المحيط» (٩/ ٩٩)، و«المحرر الوجيز» (١٣/ ٢٢٩)، و«القراءات الشاذة» (ص١٢٧). القراءة المتواترة هي قراءة الجمهور وما عداها فشاذ، والرواية عن عاصم شاذة.

(٣) في «الكتاب» (١/ ١٦٩). القراءة المتواترة هي قراءة الجمهور وما عداها فشاذ، والرواية عن عاصم شاذة.

(٤) هو: أبو الأسود الدؤلي.

(٥) «الجامع لأحكام القرآن» (١٨/ ٢٨).

(٦) «البحر المحيط» (٩/ ٩٩)، و«المحرر الوجيز» (١٣/ ٢٢٩).

(٧) «التيسير» (ص١٢٨)، و«النشر» (٢/ ٢٩٥)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (٢/ ٢٢٤).

(٨) انظر: المصادر المتقدمة.

(٩) «الفريد» (٤/ ١٣٠)، و«البحر المحيط» (٩/ ١٠٠)، و«روح المعاني» (٢٣/ ٤٩).

(١٠) «الجامع لأحكام القرآن» (١٨/ ٢٩)، و«الوسيط» (٣/ ٥٢٥).

وعشية كما في قوله: ﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ [مريم: ٦٢] وقيل: هو المذكور في قوله بعده: ﴿فَوَٰكِهُ﴾ فإنّه بدل من رزق، أو خبر[١] مبتدأ محذوف؛ أي: هو فواكه، وهذا هو الظاهر.

والفواكه[٢] جمع الفاكهة، وهي: الثمار كلُّها رطبها ويابسها، وخصص الفواكه بالذكر؛ لأنّ أرزاق أهل الجنة كلّها فواكه، كذا قيل.

والأولى أن يقال: إنّ تخصيصها[٣] بالذكر؛ لأنها أطيب ما يأكلونه، وألذّ ما تشتهيه أنفسهم.

وقيل: إنّ الفواكه من أتباع سائر الأطعمة، فذكرها يغني عن ذكر غيرها.

وجملة: ﴿وَهُم مُّكْرَمُونَ﴾ في محل نصب[٤] على الحال؛ أي: ولهم من الله ﷻ إكرام عظيم برفع درجاتهم عنده، وسماع كلامه ولقائه في الجنة.

قرأ الجمهور[٥]: «مُكْرَمون» بتخفيف الراء. وقرأ أبو مقسم[٦] بتشديدها.

وقوله: ﴿فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾ يجوز أن يتعلق بمكرمون، وأن يكون خبراً ثانياً، وأن يكون حالاً.

وقوله: ﴿عَلَىٰ سُرُرٍ﴾ يحتمل أن يكون حالاً، وأن يكون خبراً ثالثاً، وانتصاب ﴿مُّتَقَٰبِلِينَ﴾ على الحالية مِنْ الضمير في مكرمون، أو من الضمير في متعلق على سرر.

قال عكرمة[٧]، ومجاهد[٨]: معنى التقابل: أنّه لا ينظر بعضهم في قفا بعض.

وقيل: إنها تدور بهم الأسرّة كيف شاءوا، فلا يرى بعضهم قفا بعض.

قرأ الجمهور[٩]: «سُرُر» بضم الراء. وقرأ أبو السمّال[١٠] بفتحها، وهي لغة بعض تميم.

---

(١) «روح المعاني» (٢٣/ ٥٠)، و«مشكل إعراب القرآن» (٢/ ٢٣٦)، و«الفريد» (٤/ ١٣٠).
(٢) «مفردات ألفاظ القرآن» (ص٦٤٣). (٣) «روح المعاني» (٢٣/ ٥٠).
(٤) «الفريد» (٤/ ١٣٠)، و«التبيان» (٢/ ١٠٨٩).
(٥) «البحر المحيط» (٩/ ١٠٠)، و«روح المعاني» (٢٣/ ٥١).
(٦) «إعراب القراءات الشاذة» (٢/ ٣٧٨)، و«البحر المحيط» (٩/ ١٠٠). القراءة بتشديد الرّاء شاذة.
(٧) ذكره النحاس في «إعراب القرآن» (٣/ ٤١٩).
(٨) أخرجه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (١٣/ ١٣٨).
(٩) «البحر المحيط» (٩/ ١٠٠)، و«روح المعاني» (٢٣/ ٥١)، و«الدر المصون» (٥/ ٥٠٠).
(١٠) انظر: المصادر المتقدمة. القراءة بفتح الراء شاذة.

ثم ذكر سبحانه صفة أخرى لهم، فقال: ﴿يُطَافُ عَلَيۡهِم بِكَأۡسٖ مِّن مَّعِينِۭ﴾، ويجوز أن تكون هذه الجملة مستأنفة[(١)] جواباً عَنْ سؤال مقدّر، ويجوز أَنْ تكون في محل نصب[(٢)] على الحال مِنْ ضمير متقابلين، والكأس عند أهل اللغة[(٣)] اسم شامل لكلّ إناء فيه الشراب، فإن كان فارغاً، فليس بكأس.

وقال الضحاك[(٤)]، والسدّي[(٥)]: كل كأس في القرآن، فهي الخَمْر.

قال النحاس[(٦)]: وحكى من يوثق به من أهل اللغة: أن العرب تقول للقدح [٣/٤٤١] إذا كان فيه خمر: كأس، فإذا لم يكن فيه خمر، فهو: قدح كما يقال للخِوان إذا كان عليه طعام: مائدة، فإذا لم يكن عليه طعام: لم يقل له مائدة، و﴿مِّن مَّعِينِۭ﴾ متعلق بمحذوف هو: صفة لكأس.

قال الزجّاج[(٧)]: بكأس مِنْ معين؛ أي: مِنْ خمر تجري كما تجري العيون على وجه الأرض. والمعين الماء الجاري، وقوله: ﴿بَيۡضَآءَ لَذَّةٖ لِّلشَّٰرِبِينَ﴾ صفتان لكأس.

قال الزجاج[(٨)]: أي: ذات لذّة، فحذف المضاف، ويجوز أن يكون الوصف بالمصدر لقصد المبالغة في كونها لذّة، فلا يحتاج إلى تقدير المضاف.

قال الحسن[(٩)]: خمر الجنة أشدّ بياضاً مِنْ اللبن له لذّة لذيذة، يقال: شراب لذّ، ولذيذ كما يقال: نبات غضّ وغضيض، ومنه قول الشاعر[(١٠)]:

بحديثها اللذِّ الذي لَوْ كَلَّمتْ ... أُسْدَ الفَلَاة به أتينَ سِراعا

واللذيذ[(١١)]: كل شيء مستطاب.

---

(١) «التبيان» (٢/١٠٨٩)، و«الفريد» (٤/١٣٠)، و«روح المعاني» (٢٣/٥١).
(٢) انظر: المصادر المتقدمة.
(٣) «تهذيب اللغة» (١٠/٣١٤)، و«مفردات ألفاظ اللغة» (ص٧٢٩).
(٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٩/٥٣١) من طريق سلمة بن نُبَيط عن الضحاك بن مزاحم.
(٥) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٩/٥٣١) بسند حسن من طريق أسباط عن السدي.
(٦) في «إعراب القرآن» (٣/٤١٩).
(٧) في «معاني القرآن وإعرابه» (٤/٣٠٣).
(٨) في «معاني القرآن وإعرابه» (٤/٣٠٣).
(٩) ذكره ابن الجوزي في «زاد المسير» (٧/٥٦)، والقرطبي في «تفسيره» (٤/٤٧٢).
(١٠) ذكره ابن عطية في «المحرر الوجيز» (١٣/٢٥١) بدون نسبة وفيه: بحديثك.
(١١) «تهذيب اللغة» (١٤/٤٠٩).

وقيل: البيضاء[١] هي: التي لم يعتصرها الرجال.

ثم وصف هذه الكأس من الخمر بغير ما يتصف به خمر الدنيا، فقال: ﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ﴾؛ أي: لا تغتال عقولهم فتذهب بها، ولا يصيبهم منها مرض، ولا صداع ﴿وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ﴾؛ أي: يَسْكرون يقال: نُزِف الشارب، فهو مَنْزوف، ونَزيف: إذا سَكِر، ومنه قول امرئ القيس[٢]:

وإذْ هـي تَـمْـشِـي كـمـشـي الـنَّـزِيـ ـفِ يَـصْـرَعُـه بـالـكـثـيـبِ الـبُـهُـرْ

وقال أيضاً[٣]:

نَـزيـفٌ إذا قـامـتْ لـوجـهٍ تـمـايـلـتْ[٤]

ومنه قول الآخر:

فَـلَـثِـمـتُ فَـاهَـا آخِـذاً بـقُـرونـهـا شُرْبَ النَّزيفِ بَبْردِ مَاءِ الحَشْرجِ[٥]

قال الفراء[٦]: العرب تقول: ليس فيها غيلة وغائلة وغَول سواء.

وقال أبو عبيدة[٧]: الغَول أنْ تغتال عقولهم، وأنشد قول مطيع بن إياس[٨]:

ومـا زالـتِ الـكَـأْسُ تـغـتـالُـهـم وتـــذهـــبُ بـــالأوّلِ الأوّلِ

وقال الواحدي[٩]: الغول حقيقته: الإهلاكُ، يقال: غاله غولاً، واغتاله؛ أي: أهلكه، والغول كل ما اغتالك؛ أي: أهلكك.

قرأ الجمهور[١٠]: «يُنزَفون» بضم الياء وفتح الزاي مبنيّاً للمفعول.

وقرأ حمزة[١١]، والكسائي بضم الياء وكسر الزاي من أنزف الرجل: إذا ذهب

---

(١) «مفردات ألفاظ القرآن» (ص١٥٤ ـ ١٥٥).

(٢) «ديوان امرئ القيس» (ص١٥٦). (٣) امرئ القيس في «ديوانه» (ص٦١).

(٤) وعجز البيت:

تُـراشِـي الـفـؤادَ الـرَّخْـصَ ألّا تـخـتَّـرا

(٥) وهو في «الأغاني» ضمن أبيات لعمر بن أبي ربيعة.
وقال ابن بري: هو لجميل بن معمر «اللسان» (حشرج).

(٦) في «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٣٨٥). (٧) في «مجاز القرآن» (٢/ ١٦٩).

(٨) نسبه إليه الرازي في «تفسيره» (٢٦/ ١٣٧).

(٩) في «الوسيط» (٣/ ٥٢٥).

(١٠) «التيسير» (ص١٨٦)، و«النشر» (٢/ ٣٥٧)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (٢/ ٢٢٤)، و«زاد المسير» (٧/ ٥٧).

(١١) انظر: المصادر المتقدمة.

عقله مِنْ السُّكْر فهو: نَزيف ومَنْزوف ومُنْزَف يقال: أحصد الزرع: إذا حان حصاده وأقطف الكرم: إذا حان قطافه.

قال الفّراء(١): من كسر الزاي، فله معنيان، يقال: أنزف الرجل: إذا فنيت خمره وأنزف: إذا ذهب عقله من السُّكْر، وتحمل هذه القراءة على معنى: لا ينفد شرابهم لزيادة الفائدة.

قال النّحاس(٢): والقراءة الأولى أبين، وأصحّ في المعنى؛ لأن معنى لا يُنْزَفون عند جمهور(٣) المفسرين: لا تذهب عقولهم، فنفى الله ﷻ عن خمر الجنّة الآفات التي تلحق في الدنيا مِنْ خمرها من الصداع والسكر.

وقال الزجّاج(٤)، وأبو علي الفارسي(٥): معنى لا يُنْزِفون بكسر الزاي: لا يسكرون.

قال المهدوي(٦): لا يكون معنى ينزفون: يسكرون؛ لأن قبله ﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ﴾؛ أي: لا تغتال عقولهم، فيكون تكريراً، وهذا يقوّي ما قاله قتادة(٧): إن الغول وجع البطن، وكذا روى ابن أبي نجيح عن مجاهد(٨).

وقال الحسن(٩): إنّ الغول الصداع.

وقال ابن كيسان(١٠): هو: المغص، فيكون معنى الآية: لا فيها نوع من أنواع الفساد المصاحبة لشرب الخمر في الدنيا من مغص أو وجع بطن أو صداع أو عربدة أو لغو أو تأثيم، ولا هم يسكرون منها.

---

(١) في «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٣٨٥).
(٢) في «إعراب القرآن» (٣/ ٤١٩).
(٣) «الوسيط» (٣/ ٥٢٥)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٨/ ٣٢)، و«روح المعاني» (٢٣/ ٥٦).
(٤) في «معاني القرآن وإعرابه» (٤/ ٣٠٣). (٥) «الحجة» لأبي علي الفارسي (٦/ ٥٥).
(٦) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٨/ ٣٢).
(٧) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٩/ ٥٣٣) بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة.
• وأخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢/ ١٤٨، ١٤٩) بسند صحيح من طريق معمر، عن قتادة.
(٨) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٩/ ٥٣٣) بسند صحيح.
(٩) ذكره البغوي في «تفسيره» (٧/ ٤٠).
(١٠) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٨/ ٣٣).

ويؤيد هذا أن أصل الغول: الفسادُ الذي يلحق في خفاء، يقال: اغتاله اغتيالاً: إذا أفسد عليه أمره في خُفية[(١)]، ومنه الغُول، والغِيلة: القتلُ خفية.

وقرأ ابن أبي إسحاق[(٢)]: «يَنزِفون» بفتح الياء، وكسر الزاي. وقرأ طلحة[(٣)] بن مُصرِّف بفتح الياء وضم الزاي.

ولما ذكر سبحانه صفة مشروبهم ذكر عَقِبه صفةَ منكوحهم، فقال: ﴿وَعِندَهُمْ قَـٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ﴾؛ أي: نساء قَصَرْن طرفهنّ على أزواجهنّ فلا يردن غيرَهم، والقصر: معناه الحبسُ، ومنه قول امرئ القيس[(٤)]:

مِن القاصِرات الطَّرف لَوْ دَبَّ مِحْولٌ مِـن الـذَّرِّ فَـوْقَ الإِتْـبِ مـنْـهـا لأثَّـرا

والمحول الصغير من الذرّ، والأتب القميص.

وقيل: القاصرات: المحبوسات على أزواجهنّ، والأوّل أولى؛ لأنه قال: قاصرات الطرف. ولم يقل: مَقْصورات.

والعِينُ: عظام العيون جمع عَيناء، وهي: الواسعة العين.

قال الزجاج[(٥)]: معنى: ﴿عِينٌ﴾ كبار الأعين حسانُها. وقال مجاهد: العين حسان العيون.

وقال الحسن: هنّ: الشديدات بياض العين، الشديدات سوادها. والأوّل أولى.

﴿كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ﴾ قال الحسن[(٦)] وأبو زيد[(٧)]: شبّههنّ ببيض النِّعام تكنُّها النعامة بالريش مِنْ الريح والغُبار. فلونه أبيض في صفرة، وهو أحسن ألوان النِّساء.

وقال سعيد بن جبير[(٨)]، والسُدّي[(٩)]: شبههنّ ببطن اَلْبيض قبل أن يُقْشَر،

---

(١) ذكره البغوي في «معالم التنزيل» (٧/ ٤٠).

(٢) «البحر المحيط» (٩/ ١٠١)، و«روح المعاني» (٢٣/ ٥٦)، و«حاشية الجمل» (٣/ ٥٣٦).

(٣) انظر: المصادر المتقدمة.

(٤) «ديوان امرئ القيس» (ص٦٨).

(٥) في «معاني القرآن وإعرابه» (٤/ ٣٠٤).

(٦) «معاني القرآن» للنحاس (٦/ ٢٨)، و«معالم التنزيل» (٧/ ٤٠).

(٧) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٩/ ٥٤٠) بسند صحيح.

(٨) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٩/ ٥٤٠) بسند حسن من طريق جعفر بن أبي المغيرة عن سعيد بن جبير.

(٩) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٩/ ٥٤٠) بسند حسن.

وتمسه الأيدي، وبه قال ابن جرير[(١)]، ومنه قول امرئ القيس[(٢)]:

وَبَيْضَةِ خِدْرٍ لَا يُرامُ خِباؤُها ... تمتَّعتُ مِنْ لَهوٍ بها غيرَ مُعْجلِ

قال المبِّرد[(٣)]: وتقول العرب إذا وصفت الشيء بالحسن، والنظافة: كأنه بيض النعام المغطى بالريش.

وقيل: المكنون[(٤)]: المصون عَنْ الكسر؛ أي: إنهنّ عذارى.

وقيل: المراد بالبيض: اللؤلؤ كما في قوله: ﴿وَحُورٌ عِينٌ ۝٢٢ كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ﴾ [الواقعة: ٢٢، ٢٣] ومثله قول الشاعر[(٥)]:

وهيَ زهراءُ مِثْلُ لُؤلؤةِ الغوّا ... صِ مِيزتْ من جَوْهرٍ مَكْنُونِ

والأوّل أولى، وإنما قال: مكنون، ولم يقل: مكنونات؛ لأنّه وصف البيض باعتبار اللفظ.

وقد أخرج ابن أبي حاتم[(٦)] عن ابن عباس في قوله: ﴿احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ﴾ قال: تقول الملائكة للزبانية هذا القول.

وأخرج عبد الرّزّاق، والفريابي، وابن أبي شيبة، وابن منيع في «مسنده»، وعبد بن حميد، وابن جرير وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والحاكم وصححه، وابن مردويه، والبيهقي في «البعث» من طريق النعمان بن بشير[(٧)]، عن عمر بن الخطاب في قوله: ﴿احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ﴾ قال: أمثالهم الذين هم مثلهم: يجيء أصحاب الرّبا مع أصحاب الرّبا، وأصحاب الزّنا مع أصحاب الزّنا، وأصحاب الخمر مع أصحاب الخمر، أزواج في الجنة، وأزواج في النار.

وأخرج الفريابي، وسعيد بن منصور، وابن أبي شيبة، وابن المنذر، وعبد بن

(١) في «جامع البيان» (١٩/ ٥٤١). (٢) «ديوان امرئ القيس» (ص١٣).
(٣) ذكره النحاس في «إعراب القرآن» (٣/ ٤٢٠).
(٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٩/ ٥٤١) بسند صحيح.
(٥) البيت في «ديوان أبي دهبل الجمحي» (ص٦٩).
(٦) ذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٢٠٧)
(٧) عزاه إليهم السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٨٣).
أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢/ ١٤٨) من قول عثمان دون ذكر عمر وابن منيع كما في «المطالب العالية» رقم (٤٠٧٥)، وابن جرير في «جامع البيان» (١٩/ ٥١٩)، والحاكم (٢/ ٤٣٠) من طريق سفيان عن سماك بن حرب عن النعمان بن بشير عن عمر بن الخطاب.

حُميد، وابن جرير، وابن أبي حاتم، والبيهقي في «البعث» عن ابن عباس[١] في قوله: ﴿ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَأَزْوَٰجَهُمْ﴾ قال: أشباههم، وفي لفظ: نظراءهم.

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عنه[٢] في قوله: ﴿فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ﴾ قال: وجِّهوهم.

وأخرج ابن أبي حاتم[٣] عنه أيضاً في الآية قال: دلّوهم ﴿إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ﴾ قال: طريق النار.

وأخرج عنه[٤] أيضاً في قوله: ﴿وَقِفُوهُمْ ۖ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ﴾ قال: احبسوهم إنهم محاسبون.

وأخرج البخاري في «تاريخه»، والدارمي، والترمذي، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والحاكم وصححه، وابن مردويه عن أنس[٥] قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من داع دعا إلى شيء إلا كان موقوفاً معه يوم القيامة لازماً به لا يفارقه، وإن دعا رجل رجلاً، ثم قرأ: ﴿وَقِفُوهُمْ ۖ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ﴾».

وأخرج ابن المنذر، وابن أبي حاتم عن ابن عباس[٦] في قوله: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ﴾ قال: ذلك إذا بعثوا في النفخة الثانية.

وأخرج ابن أبي حاتم، وابن مردويه عنه[٧] في قوله: ﴿كَانُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾ قال: كانوا إذا لم يُشْرَك بالله يستنكفون، ﴿وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓا۟ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍۭ﴾ لا يَعقل، قال: فحكى الله صدقه، فقال: ﴿بَلْ جَآءَ بِٱلْحَقِّ وَصَدَّقَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾.

---

(١) عزاه إليهم السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٨٤).
وأخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٩/ ٥١٩ ـ ٥٢٠) بسند صحيح.
(٢) عزاه إليهم السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٨٤).
وأخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٩/ ٥٢٢) بسند صحيح.
(٣) ذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٢٠٨).
(٤) ذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٢٠٨).
(٥) أخرجه البخاري في «تاريخه» (٢/ ٨٦)، والدارمي (١/ ١٣١)، والترمذي رقم (٣٢٢٨)، وابن جرير في «جامع البيان» (١٩/ ٥٢٣)، والحاكم (٢/ ٣٤٠) وهو حديث ضعيف. والله أعلم.
(٦) عزاه إليهما السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٨٦).
(٧) عزاه إليهما السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٨٦).

وأخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، والبيهقي في «الأسماء والصفات» عن أبي هريرة[١] قال: قال رسول الله ﷺ: «أُمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إلٰه إلّا الله، فمن قال: لا إلٰه إلّا الله، فقد عَصَمَ منّي ماله ونفسه إلا بحقِّه، وحسابه على الله». وأنزل الله في كتابه، وذكر قوماً استكبروا، فقال: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾، وقال: ﴿إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓاْ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا﴾ [الفتح: ٢٦] وهي: «لا إلٰه إلّا الله محمد رسول الله» استكبر عنها المشركون يوم الحُديبية يوم كاتبهم رسول الله ﷺ على قضية المدَّة.

وأخرج ابنُ جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والبيهقي في «البعث» عن ابن عباس[٢] في قوله: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ﴾ قال: الخمر ﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ﴾ قال: ليس فيها صداع ﴿وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ﴾ قال: لا تذهب عقولهم.

وأخرج ابن أبي حاتم، وابن مردويه عنه[٣] قال: في الخمر أربع خصال: السُكْر والصداع والقيء والبول، فنزّه الله خمر الجنة عنها، فقال: ﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ﴾ لا تغول عقولهم من السكر ﴿وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ﴾ قال: يقيئون عنها كما يقيء صاحب خمر الدنيا عنها.

وأخرج ابن جرير[٤]، عن ابن عباس: ﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ﴾ قال: هي: الخمر ليس فيها وجع بطن.

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والبيهقي في «البعث» عنه[٥]

---

(١) عزاه إليهم السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٨٦ ـ ٨٧).
أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢١/ ٣٠٨، ٣٠٩)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» رقم (١٩٥، ١٩٦).
والحديث أخرجه البخاري رقم (٧٢٨٤، ٧٢٨٥)، ومسلم رقم (٢٠) دون قوله: وأنزل الله.
(٢) أخرجه البيهقي في «البعث» رقم (٣٥٧)، وابن جرير في «جامع البيان» (١٩/ ٥٣٢) بسند صحيح.
(٣) عزاه إليهما السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٨٨).
(٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٩/ ٥٣٣) بسند ضعيف.
(٥) عزاه إليهم السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٨٩).
=

أيضاً في قوله: ﴿وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ﴾ يقول: من غير أزواجهنّ ﴿كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ﴾ قال: اللؤلؤ المكنون.

وأخرج ابن المنذر[1] عنه في قوله: ﴿كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ﴾ قال: بياض البيضة ينزع عنها فوفُها وغشاؤها.

﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٥٠﴾ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّى كَانَ لِى قَرِينٌ ﴿٥١﴾ يَقُولُ أَءِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾ قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ﴿٥٤﴾ فَٱطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِى سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾ قَالَ تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ ﴿٥٦﴾ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴿٥٧﴾ أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا مَوْتَتَنَا ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٥٩﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٠﴾ لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ ﴿٦١﴾ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ ﴿٦٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَٰهَا فِتْنَةً لِّلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٣﴾ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِىٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾ طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٦٥﴾ فَإِنَّهُمْ لَءَاكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٦٦﴾ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٦٧﴾ ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٨﴾ إِنَّهُمْ أَلْفَوْا۟ ءَابَآءَهُمْ ضَآلِّينَ ﴿٦٩﴾ فَهُمْ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ يُهْرَعُونَ ﴿٧٠﴾ وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٧١﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِم مُّنذِرِينَ ﴿٧٢﴾ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٧٤﴾﴾.

[من تمام الأُنس في الجنة، التساؤل فيما بينهم في أحاديث الدنيا]:

قوله: ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ﴾ [٣/ ٤٤٢] معطوف على يطاف؛ أي: يسأل هذا ذاك، وذاك هذا حال شربهم عَنْ أحوالهم التي كانت في الدنيا، وذلك من تمام نعيم الجنّة، والتقدير: فيقبل بعضهم على بعض، وإنما عبّر عنه بالماضي للدلالة على[2] تحقق وقوعه.

= وأخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٩/ ٥٣٧)، والبيهقي في «البعث» رقم (٣٧٧) بسند صحيح.

(١) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٨٩).

(٢) قال الألوسي في «روح المعاني» (٢٣/ ٦١): وعبَّر بالماضي مع أنَّ المعطوف عليه مضارع، للإشعار بالاعتناء بهذا المعطوف بالنسبة إلى المعطوف عليه، فكيف لا يُقبلون على الحديث وهو أعظم لذّاتهم التي يتعاطَونها، مع ما في ذلك عن الإشارة إلى تحقُّق الوقوع حتماً، =

﴿قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ﴾؛ أي: قال قائل من أهل الجنة في حال إقبال بعضهم على بعض بالحديث، وسؤال بعضهم لبعض ﴿إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ﴾؛ أي: صاحب ملازم لي في الدنيا، كافر بالبعث، منكر له كما يدلّ عليه قوله: ﴿أَءِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُصَدِّقِينَ﴾؛ يعني: بالبعث والجزاء؟ وهذا الاستفهام[(١)] مِنْ القرين: لتوبيخ ذلك المؤمن وتبكيته بإيمانه وتصديقه بما وعد الله به من البعث، وكان هذا القول منه في الدنيا.

ثم ذكر ما يدلّ على الاستبعاد للبعث عنده وفي زعمه، فقال: ﴿أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَدِينُونَ﴾؛ أي: مَجْزيون بأعمالنا، ومحاسبون بها بعد أن صرنا تراباً وعظاماً؟ وقيل: معنى مَدْينون[(٢)]: مَسُوسُون، يقال دانَه: إذا ساسَه.

قال سعيد بن جبير[(٣)]: قرينه: شريكه، وقيل: أراد بالقرين[(٤)] الشيطان الذي يُقارنه، وأنّه كان يوسوس إليه بإنكار البعث، وقد مضى ذكر قصتهما في سورة الكهف، والاختلاف في اسميهما.

قرأ الجمهور[(٥)]: «لَمِنَ المُصَدِقّين» بتخفيف الصاد من التصديق؛ أي: لمن المصدّقين بالبعث.

وقرئ[(٦)] بتشديدها، ولا أدري مَنْ قرأ بها، ومعناها بعيد؛ لأنها من التصدّق لا مِنْ التصديق، ويمكن تأويلها بأنّه أنكر عليه التصدّق بماله لطلب الثواب، وعلّل ذلك باستبعاد البعث.

وقد اختلف القرّاء في هذه الاستفهامات الثلاثة، فقرأ نافع الأولى، والثانية بالاستفهام بهمزة، والثالثة بكسر الألف من غير استفهام، ووافقه الكسائي إلا أنه

= وتساؤلهم عن المعارف والفضائل وما جرى لهم وعليهم في الدُّنيا، وما أَحلى تذكُّر ما فات عند رفاهية الحال وفراغ البال «تفسير الرازي» (٢٦/ ١٣٨).

(١) «روح المعاني» (٢٣/ ٦٢)، و«تفسير أبي السعود» (٥/ ٥٢٤).

(٢) «روح المعاني» (٢٣/ ٦١).

(٣) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٨/ ٣٦).

(٤) «النكت والعيون» (٥/ ٤٩).

(٥) «جامع البيان» (١٩/ ٥٤٥)، و«البحر المحيط» (٩/ ١٠٢ ـ ١٠٣)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٨/ ٢٦).

(٦) قرأ حمزة من رواية علي بن كيسبة عَنْ سليم عنه، وهي رواية بكر بن عبد الرحمٰن القاضي وابن زكريا كلاهما عن حمزة «من المصَّدِّقين» بتشديد الصاد من تصدَّق، فأدغمت التاء في الصاد، وأصله المتصدِّقين.

يستفهم الثالثة بهمزتين، وابن عامر الأولى، والثالثة بهمزتين، والثانية بكسر الألف من غير استفهام، والباقون بالاستفهام في جميعها.

ثم اختلفوا، فابنُ كثير يستفهم بهمزة واحدة غير مطوّلة، وبعده ساكنة خفيفة، وأبو عَمْرو مطوّلة، وعاصم، وحمزة بهمزتين ﴿قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ﴾ القائل: هو المؤمن الذي في الجنّة بعد ما حكى لجلسائه فيها ما قاله له قرينه في الدنيا؛ أي: هل أنتم مطلعون إلى أهل النار لأريكم ذلك القرين الذي قال لي تلك المقالة كيف منزلته في النار؟

قال ابن الأعرابي(١): والاستفهام هو: بمعنى الأمر؛ أي: اطّلعوا، وقيل القائل: هو الله سبحانه.

وقيل: الملائكة، والأوّل أولى.

﴿فَاطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِي سَوَآءِ الْجَحِيمِ﴾؛ أي: فاطّلع على النار ذلك المؤمن الذي صار يُحدّث أصحابَه في الجنة بما قال له قرينه في الدنيا، فرأى قرينه في وسط الجحيم.

قال الزجاج(٢): سواء كل شيء: وسُطه.

قرأ الجمهور(٣): «مُطَّلِعونَ» بتشديد الطاء مفتوحة، وبفتح النون، فاطّلع ماضياً مبنيّاً للفاعل من الطلوع.

وقرأ ابن عباس(٤)، ورويت هذه القراءة عن أبي عمرو: «مُطْلِعونَ» بسكون الطاء، وفتح النون «فأُطِلعَ» بقطع الهمزة مضمومة، وكسر اللام ماضياً مبنيّاً للمفعول.

قال النحاس(٥): فأطلع فيه قولان على هذه القراءة أحدهما: أن يكون فعلاً

وقال الزجاج في «معاني القرآن» (٤/ ٣٠٤): «ولا يجوز ههنا تشديد الصاد»؛ لأن المصَّدِّقين الذين يُعْطُون الصدقة، والمُصَدِّقين الذين لا يكذبون». القراءة بالتشديد شاذة، والرواية عن حمزة شاذة.

وقال النحاس في «إعراب القرآن» (٣/ ٤٢١): ولا يجوز «أئنك لمن المصَّدِّقين» بتشديد الصاد؛ لأنَّه لا معنى للصَّدقةِ هاهنا.

(١) في «ياقوتة الصراط» (٤٢٧ ـ ٤٢٨). (٢) في «معاني القرآن وإعرابه» (٤/ ٣٠٤).

(٣) «جامع البيان» (١٩/ ٥٤٨)، و«التبيان» (٢/ ١٠٩٠)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٨/ ٣٧).

(٤) «القراءات الشاذة» (ص١٢٨)، و«المحتسب» (٢/ ٢١٩)، و«البحر المحيط» (٩/ ١٠٣). الرواية عن أبي عمرو شاذة والصواب كقراءة الجمهور بتشديد الطاء.

(٥) في «إعراب القرآن» (٣/ ٤٢٣).

مستقبلاً؛ أي: فأطلع أنا، ويكون منصوباً على أنه جواب الاستفهام، والقول الثاني: أَنْ يكون فعلاً ماضياً.

وقرأ حمّاد بن أبي عمار[(١)]: «مُطْلِعونِ» بتخفيف الطاء، وكسر النون، فأُطلع مبنيّاً للمفعول، وأنكر هذه القراءة أبو حاتم[(٢)]، وغيره.

قال النحاس[(٣)]: هي: لحن؛ لأنّه لا يجوز الجمع بين النون، والإضافة، ولو كان مضافاً لقال: هل أنتم مطلعيّ، وإنْ كان سيبويه[(٤)] والفراء[(٥)] قد حكيا مثله، وأنشدا:

هـم الـقـائـلـونَ الـخـيـرَ والآمـرونَـه إذا ما خَشوا مِنْ مُحْدَثِ الدَّهرِ معظما[(٦)]

ولكنه شاذ خارج عن كلام العرب. ﴿قَالَ تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرۡدِينِ﴾؛ أي: قال ذلك الذي من أهل الجنة لما اطلع على قرينه، ورآه في النار: تالله إن كدت لتردين؛ أي: لتهلكني بالإغواء.

قال الكسائي[(٧)]: لتردينِ: لتُهلكنيّ، والردى: الهلاك.

قال المبرد[(٨)]: لو قيل: لتردين لتوقعني في النار لكان جائزاً.

قال مقاتل[(٩)]: المعنى: واللهِ لقد كدتَ أن تغويني فأنزل منزلتك، والمعنى متقارب، فمن أغوى إنساناً فقد أهلكه.

﴿وَلَوۡلَا نِعۡمَةُ رَبِّي لَكُنتُ مِنَ ٱلۡمُحۡضَرِينَ﴾؛ أي: لـولا رحـمـة ربـي وإنـعـامـه عـلـيّ بالإسلام وهدايتي إلى الحقّ، وعصمتي عن الضلال لكنت من المحضرين معك في النار[(١٠)].

---

(١) «روح المعاني» (٢٣/ ٦٤)، و«البحر المحيط» (٩/ ١٠٣).
(٢) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٨/ ٦٤)، وابن جني في «المحتسب» (٢/ ٣٢٠)
(٣) في «إعراب القرآن» (٣/ ٤٢٣).
(٤) في «الكتاب» (١/ ١٨٨).
(٥) في «معاني القرآن» (٢/ ٣٨٦).
(٦) انظره في «الكتاب» (١/ ١٨٨)، و«خزانة الأدب» (٤/ ٢٦٦).
(٧) ذكره النحاس في «إعراب القرآن» (٣/. ٤٢٣).
(٨) ذكره النحاس في «إعراب القرآن» (٣/ ٤٢٣).
(٩) ذكره البغوي في «تفسيره» (٧/ ٤١).
(١٠) «النكت والعيون» (٥/ ٥٠).

قال الفراء[١]: أي: لكنتُ معك في النار مُحْضراً. قال الماوردي[٢]: وأُحضر لا يستعمل إلا في الشرّ.

ولما تمم كلامه مع ذلك القرين الذي هو في النار عاد إلى مخاطبة جلسائه من أهل الجنّة، فقال: ﴿أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ﴾، والهمزة للاستفهام التقريري[٣]، وفيها معنى: التعجّب، والفاء للعطف على محذوف كما في نظائره؛ أي: أنحن مخلدون منعمون فما نحن بميتين؟ ﴿إِلَّا مَوْتَتَنَا ٱلْأُولَىٰ﴾ التي كانت في الدنيا، وقوله هذا كان على طريقة الابتهاج والسرور بما أَنعم الله عليهم مِنْ نعيم الجنة الذي لا ينقطع وأنهم مخلدون لا يموتون أبداً وقوله: ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾ هو من تمام كلامه؛ أي: وما نحن بمعذبين كما يعذب الكفار.

ثم قال مشيراً إلى ما هم فيه من النعيم: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾؛ أي: إن هذا الأمر العظيم، والنعيم المقيم، والخلود الدائم الذي نحن فيه لهو الفوز العظيم الذي لا يقادر قدره، ولا يمكن الإحاطة بوصفه.

وقوله: ﴿لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ﴾ مِنْ تمام كلامه؛ أي: لمثل هذا العطاء والفضل العظيم فليعمل العاملون، فإنّ هذه هي التجارة الرابحة، لا العمل للدنيا الزائلة، فإنها صفقة خاسرة، نعيمها منقطع، وخيرها زائل، وصاحبها عن قريب منها راحل. وقيل[٤]: إن هذا من قول الله سبحانه، وقيل: من قول الملائكة، والأوّل أولى.

قرأ الجمهور[٥]: «بميتين»، وقرأ زيد بن عليّ[٦]: «بمائتين»، وانتصاب إلا موتتنا على المصدرية، والاستثناء مفرّغ[٧]، ويجوز أَنْ يكون الاستثناء[٨] منقطعاً؛ أي: لكن الموتة الأولى التي كانت في الدنيا ﴿أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ﴾

---

(١) ذكره النحاس في «إعراب القرآن» (٣/ ٤٢٣).

(٢) في «النكت والعيون» (٥/ ٥٠). (٣) «روح المعاني» (٢٣/ ٦٧).

(٤) «الجامع لأحكام القرآن» (١٨/ ٤٠).

(٥) «البحر المحيط» (٩/ ١٠٥)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٨/ ٤٠).

(٦) «إعراب القراءات الشواذ» (٢/ ٣٨٠)، و«روح المعاني» (٢٣/ ٦٧)، و«البحر المحيط» (٩/ ١٠٥). هي قراءة شاذة.

(٧) في «معاني القرآن وإعرابه» (٤/ ٣٠٦).

(٨) في «الوسيط» (٣/ ٥٢٦).

الإشارة بقوله ذلك: إلى ما ذكره مِنْ نعيم الجنة، وهو: مبتدأ وخبره خير، ونزلاً تمييز، والنُّزُل في اللّغة: الرزقُ الذي يصلح أن ينزلوا معه، ويقيموا فيه، والخيرية بالنسبة إلى ما اختاره الكفار على غيره.

قال الزجاج(١): المعنى: أذلك خير في باب الإنزال التي يبقون بها نزلاً، أم نزل أهل النار؟ وهو قوله: ﴿أَمْ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ﴾، وهو ما يكره تناوله.

قال الواحدي(٢): وهو شيء مُرّ كريه، يكره أهل النار على تناوله، فهم يتزقمونه، وهي على هذا مشتقة مِنْ التزقّم، وهو: البلعُ على جُهدٍ لكراهتها ونتنها.

واختلف فيها: هل هي من شجر الدنيا التي يعرفها العرب أم لا على قولين(٣):

أحدهما: أنَّها معروفة من شجر الدنيا؛ فقال قطرب: إنها شجرة مرّة تكون بتهامة من أخبث الشجر. وقال غيره: بل هو كلّ نبات قاتل.

القول الثاني: أنها غير معروفة في شجر الدنيا.

قال قتادة(٤): لما ذكر الله هذه الشجرة افتتن بها الظلمة، فقالوا: كيف تكون في النار شجرة؟ فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَـٰهَا فِتْنَةً لِّلظَّـٰلِمِينَ﴾.

قال الزجّاج(٥): حين افتتنوا بها، وكذّبوا بوجودها.

وقيل: معنى جعلها فتنةً لهم: أنها محنة لهم لكونهم يعذبون بها، والمراد بالظالمين هنا: الكفار أو أهل المعاصي الموجبة للنار.

ثم بيَّن سبحانه أوصاف هذه الشجرة ردّاً على منكريها، فقال: ﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِىٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ﴾؛ أي: في قعرها، قال الحسن(٦): أصلها في قعر جهنم، وأغصانها ترفع إلى دركاتها، ثم قال: ﴿طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَـٰطِينِ﴾؛ أي: ثمرها وما

---

(١) في «معاني القرآن وإعرابه» (٤/ ٣٠٦).

(٢) في «الوسيط» (٣/ ٥٢٧).

(٣) «النكت والعيون» (٥/ ٥٠ ـ ٥١).

(٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٩/ ٥٥٢) بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة.

(٥) في «معاني القرآن وإعرابه» (٤/ ٣٠٦).

(٦) ذكره الواحدي في «الوسيط» (٣/ ٥٢٦).

تَحْمله كأنّه في تناهي قُبحه، وشناعة منظره رؤوس الشياطين، فشبه المحسوس بالمتخيل، وإنْ كان غير مرئيّ للدلالة على أنّه غاية في القبح كما تقول في تشبيه من يستقبحونه: كأنّه شيطان، وفي تشبيه من يستحسنونه: كأنه مَلَك، كما في قوله: ﴿مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ [يوسف: ٣١]، ومنه قول امرئ القيس[١]:

أيقتلني والمَشْرفيّ مُضاجِعي ومَسنونةٌ زُرقٌ كأنيابِ أغوالِ

وقال الزجاج[٢]، والفراء[٣]: الشياطين: حيات لها رؤوس وأعراف، وهي من أقبح الحيات وأخبثها وأخفها جسماً.

وقيل: إنّ رؤوس الشياطين: اسم لنبت قبيح معروف باليمن يقال له: الأستن، ويقال له: الشيطان.

قال النحاس[٤]: وليس ذلك معروفاً عند العرب. وقيل: هو شجر خشن مُنْتن مُرّ منكر الصورة يُسمّى ثمره: رؤوسُ الشياطين ﴿فَإِنَّهُمْ لَآكِلُونَ مِنْهَا﴾؛ أي: من الشجرة، أو من طلعها، والتأنيث: لاكتساب الطلع[٥] التأنيث من إضافته إلى الشجرة ﴿فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ﴾ وذلك أنّهم يُكرهون على أكلها حتى تمتلئ بطونهم فهذا طعامهم وفاكهتهم بدل رزق أهل الجنة ﴿ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا﴾ بعد الأكل منها ﴿لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ﴾ الشوب: الخلط.

قال الفراء[٦]: يقال: شَاب طعامَه وشرابَه: إذا خلطهما بشيء يشوبهما شَوباً وشيابة، والحميم: الماء الحارّ. فأخبر سبحانه: أنه يشاب لهم طعامهم من تلك الشجرة بالماء الحارّ، ليكون أفظع لعذابهم وأشنع لحالهم كما في قوله: ﴿وَسُقُوا۟ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ﴾ [٣/٤٤٣] [محمد: ١٥].

قرأ الجمهور[٧] «شوباً» بفتح الشين، وهو: مصدر، وقرأ شيبان[٨] النحوي بالضم.

---

(١) «ديوان امرئ القيس» (ص٣٣).

(٢) في «معاني القرآن وإعرابه» (٤/ ٣٠٦).

(٣) في «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٣٨٧).

(٤) في «معاني القرآن» (٦/ ٣٤).

(٥) «روح المعاني» (٢٣/ ٧١).

(٦) في «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٣٨٧).

(٧) «البحر المحيط» (٩/ ١٠٧)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٨/ ٤٤ ـ ٤٥).

(٨) «القراءات الشاذة» (ص١٢٨)، و«المحتسب» (٢/ ٢٢٠). القراءة بضم الشين شاذة.

قال الزجاج[١]: المفتوح مصدر، والمضموم اسم بمعنى: المشوب، كالنقص بمعنى: المنقوص ﴿ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى ٱلْجَحِيمِ﴾؛ أي: مرجعهم بعد شرب الحميم، وأكل الزقوم إلى الجحيم، وذلك أَنّهم يُوردون الحميم لشربه وهو خارج الجحيم كما تورد الإبل، ثم يُردّون إلى الجحيم كما في قوله سبحانه: ﴿يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ﴾ [الرحمٰن: ٤٤]، وقيل: إن الزقوم والحميم نُزل يقدّم إليهم قبل دخولها.

قال أبو عبيدة[٢]: ثم بمعنى: الواو، وقرأ ابن مسعود[٣]: «ثم إنَّ منقلبهم لاإلى الجحيم».

وجملة: ﴿إِنَّهُمْ أَلْفَوْاْ﴾؛ أي: وجدوا ﴿ءَابَآءَهُمْ ضَآلِّينَ﴾ تعليل لاستحقاقهم ما تقدّم ذكره؛ أي: صادفوهم كذلك فاقتدوا بهم تقليداً وضلالة لا لحجة أصلاً ﴿فَهُمْ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ يُهْرَعُونَ﴾ الإهراع: الإسراع. قال الفراء[٤]: الإهراع: الإسراع برعدة.

وقال أبو عبيدة[٥]: يُهرعون: يستحثّون مَنْ خلفهم، يقال: جاء فلان يهرع إلى النار: إذا استحثه البرد إليها.

وقال الفضل[٦]: يُزْعجون مِنْ شدّة الإسراع.

قال الزجّاج[٧]: هرع وأهرع: إذا استحثّ وانزعج، والمعنى: يتبعون آباءهم في سرعةٍ كأنهم يزعجون إلى اتباع آبائهم ﴿وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾؛ أي: ضلّ قبل هؤلاء المذكورين أكثر الأوّلين من الأمم الماضية ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِم مُّنذِرِينَ﴾؛ أي: أرسلنا في هؤلاء الأوّلين رُسلاً أنذروهم العذاب، وبينوا لهم الحقّ، فلم ينجع ذلك فيهم ﴿فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ﴾؛ أي: الذين أنذرتهم الرسل فإنّهم صاروا إلى النار.

قال مقاتل[٨]: يقول: كان عاقبتهم العذاب، يحذر كفار مكة، ثم استثنى عباده المؤمنين، فقال: ﴿إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾؛ أي: إلا من أخلصهم الله بتوفيقهم إلى

---

(١) في «معاني القرآن وإعرابه» (٤/ ٣٠٧).
(٢) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٨/ ٤٥).
(٣) «جامع البيان» (١٩/ ٥٥٦)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٨/ ٤٥). هي قراءة شاذة مخالفة للرسم.
(٤) في «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٣٨٧).
(٥) في «مجاز القرآن» (٢/ ١٧١).
(٦) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٨/ ٤٦).
(٧) في «معاني القرآن وإعرابه» (٤/ ٣٠٧).
(٨) ذكره الواحدي في «الوسيط» (٣/ ٥٢٧).

الإيمان والتوحيد، وقُرئ: «المخلِصين» بكسر[١] اللام؛ أي: الذين أخلصوا لله طاعاتهم ولم يشوبوها بشيء مما يغيرها.

وقد أخرج ابن أبي شيبة وهناد وابن المنذر عن ابن مسعود[٢] في قوله: ﴿فَٱطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِى سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ﴾ قال: اطلع ثم التفت إلى أصحابه، فقال: لقد رأيت جماجم القوم تَغْلي.

وأخرج عبد بن حميد[٣] عن ابن عباس قال: قول الله لأهل الجنة: ﴿كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الطور: ١٩، والمرسلات: ٤٣] قال: هنيئاً؛ أي: لا تموتون فيها، فعند ذلك قالوا: ﴿أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ۝٥٨ إِلَّا مَوْتَتَنَا ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ۝٥٩ إِنَّ هَـٰذَا لَهُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ قال: هذا قول الله: ﴿لِمِثْلِ هَـٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَـٰمِلُونَ﴾.

وأخرج ابن مردويه[٤] عن البراء بن عازب قال: «كنت أمشي مع رسول الله ﷺ يده في يدي، فرأى جنازة فأسرع المشي حتى أتى القبر، ثم جثى على ركبتيه، فجعل يبكي حتى بلّ الثرى، ثم قال: ﴿لِمِثْلِ هَـٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَـٰمِلُونَ﴾».

وأخرج ابن مردويه[٥] عن أنس قال: «دخلت مع النبي ﷺ على مريض يجود بنفسه، فقال: ﴿لِمِثْلِ هَـٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَـٰمِلُونَ﴾».

وأخرج ابن مردويه[٦] عن ابن عباس قال: «مرّ أبو جهل برسول الله ﷺ، وهو جالس، فلما بَعُد قال رسول الله ﷺ: ﴿أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ۝٣٤ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰٓ﴾ [القيامة: ٣٤، ٣٥]، فلما سمع أبو جهل قال: مَنْ تُوعِدُ يا محمد؟ قال: إياك، قال: بما توعدني؟ قال: أوعدك بالعزيز الكريم، فقال أبو جهل: أليس أنا العزيز الكريم؟ فأنزل الله: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ۝٤٣ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ﴾ [الدخان: ٤٣، ٤٤] إلى قوله:

---

(١) قرأ بفتح اللاّم أهل الكوفة وأهل المدينة، وقرأ الباقون بكسر اللاّم، «النشر» (٢/ ٢٩٥)
(٢) عزاه إليهم السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٩٤).
وأخرجه هناد في «الزهد» رقم (٣١٠).
(٣) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٩٤).
(٤) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٩٤).
والحديث أخرجه أحمد رقم (١٨٦٠١)، وابن ماجه رقم (٤١٩٥) وهو حديث حسن.
(٥) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٩٥).
(٦) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٩٦).

﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ﴾ [الدخان: ٤٩] فلما بلغ أبا جهل ما نزل فيه جمع أصحابه، فأخرج إليهم زُبْداً وتَمْراً، فقال: تزقَّموا من هذا فوالله ما يتوعدكم محمد إلا بهذا، فأنزل الله: ﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِىٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ﴾ إلى قوله: ﴿ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ﴾».

وأخرج ابن أبي شيبة[1] عنه قال: لو أن قطرة من زقوم جهنم أُنزلت إلى الأرض لأفسدتْ على الناس معايشهم.

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر عنه[2] أيضاً ﴿ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا﴾ قال: لمزجاً.

وأخرج ابن المنذر[3] عنه أيضاً قال: في قوله: ﴿لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ﴾ يخالط طعامهم ويُشاب بالحميم.

وأخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم عن ابن مسعود[4] قال: لا ينتصف النهار يوم القيامة حتى يقيل هؤلاء، ويقيل هؤلاء أهل الجنة وأهل النار، وقرأ: «ثم إنّ منقلبهم[5] لاإلى الجحيم».

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن ابن عباس[6] في قوله: ﴿إِنَّهُمْ أَلْفَوْا۟ ءَابَآءَهُمْ ضَآلِّينَ﴾ قال: وجدوا آباءهم.

[من قصة نوح]:

﴿وَلَقَدْ نَادَىٰنَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ ٱلْمُجِيبُونَ ﴿٧٥﴾ وَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ ﴿٧٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿٧٨﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٩﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨١﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٨٢﴾﴾.

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (١٣/ ١٦١).
(٢) عزاه إليهما السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٩٦).
وأخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٩/ ٥٥٥) بسند صحيح.
(٣) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٩٦).
(٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٩/ ٥٥٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٦٨٠) بسند حسن من طريق أسباط عن السدي.
(٥) وهي قراءة شاذة. تقدم ذكرها.
(٦) عزاه إليهم السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٩٧).
وأخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٩/ ٥٥٧) بسند صحيح.

[من قصة إبراهيم عليه السلام]:

[دعوة إبراهيم قومه، وتحطيمه الأصنام، وهمّ القوم بقتله]:

﴿وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ ﴿٨٣﴾ إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَاذَا تَعْبُدُونَ
﴿٨٥﴾ أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ ﴿٨٦﴾ فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾ فَنَظَرَ نَظْرَةً فِى ٱلنُّجُومِ ﴿٨٨﴾ فَقَالَ إِنِّى
سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾ فَتَوَلَّوْا۟ عَنْهُ مُدْبِرِينَ ﴿٩٠﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٩١﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ ﴿٩٢﴾ فَرَاغَ
عَلَيْهِمْ ضَرْبًۢا بِٱلْيَمِينِ ﴿٩٣﴾ فَأَقْبَلُوٓا۟ إِلَيْهِ يَزِفُّونَ ﴿٩٤﴾ قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴿٩٥﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ
﴿٩٦﴾ قَالُوا۟ ٱبْنُوا۟ لَهُۥ بُنْيَٰنًا فَأَلْقُوهُ فِى ٱلْجَحِيمِ ﴿٩٧﴾ فَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴿٩٨﴾ وَقَالَ إِنِّى ذَاهِبٌ
إِلَىٰ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٩٩﴾ رَبِّ هَبْ لِى مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠٠﴾ فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾.

[حادث الرؤيا والذبح والفداء]:

﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ
يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَٰدَيْنَٰهُ
أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ
﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١٠٨﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿١٠٩﴾ كَذَٰلِكَ نَجْزِى
ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١١٠﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١١﴾ وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٢﴾ وَبَٰرَكْنَا عَلَيْهِ
وَعَلَىٰٓ إِسْحَٰقَ ۚ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ مُبِينٌ ﴿١١٣﴾﴾.

لما ذكر سبحانه أنه أرسل في الأمم الماضية منذرين: ذكر تفصيل بعض ما أجمله، فقال: ﴿وَلَقَدْ نَادَىٰنَا نُوحٌ﴾ واللام هي: الموطئة للقسم، وكذا اللام في قوله: ﴿فَلَنِعْمَ ٱلْمُجِيبُونَ﴾؛ أي: نحن، والمراد: أنَّ نوحاً دعا ربَّه على قومه لما عصوه فأجاب الله دعاءه وأهلك قومه بالطوفان.

فالنداء هنا هو: نداء الدعاء لله والاستغاثة به، كقوله: ﴿رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا﴾ [نوح: ٢٦]، وقوله: ﴿أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ﴾ [القمر: ١٠] قال الكسائي(١): أي: فلنعم المجيبون له كنا ﴿وَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ﴾

(١) ذكره النحاس في «إعراب القرآن» (٣/٤٢٦).

المراد بأهله: أهل دينه وهم مَنْ آمن معه، وكانوا ثمانين، والكرب العظيم هو الغرقُ.

وقيل: تكذيب قومه له وما يصدر منهم إليه من أنواع الأذايا ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ﴾ وحدَهم دون غيرهم كما يشعر به ضمير الفصل، وذلك لأنَ الله أهلك الكفرة بدعائه، ولم يبق منهم باقية، ومن كان معه في السفينة من المؤمنين ماتوا كما قيل، ولم يبق إلا أولاده(١).

قال سعيد بن المسّيب(٢): كان ولد نوح ثلاثة، والناس كلُّهم مِنْ ولد نوح، فسام أَبو العرب وفارس والروم واليهود والنَّصارى. وحام أبو السودان من المشرق إلى المغرب: السند والهند والنوب والزنج والحبشة والقبط والبربر وغيرهم. ويافث أبو الصقالب والترك والخزر ويأجوج، ومأجوج وغيرهم.

وقيل(٣): إنّه كان لمن مع نوح ذرّية كما يدلّ عليه قوله: ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ﴾ [الإسراء: ٣]، وقوله: ﴿قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهْبِطْ بِسَلَٰمٍ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [هود: ٤٨]، فيكون على هذا معنى: ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ﴾، وذرّيته وذرّية مَنْ معه دون ذرّية من كفر، فإن الله أغرقهم، فلم يبق لهم ذرّية.

﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ﴾؛ يعني: في الذين يأتون بعده إلى يوم القيامة من الأمم، والمتروك هذا هو قوله: ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ﴾؛ أي: تركنا هذا الكلام بعينه، وارتفاعه على الحكاية والسلام هو: الثناء الحسن؛ أي: يثنون عليه ثناءً حسناً(٤) ويدعون له ويترحمون عليه.

قال الزجاج: تركنا عليه الذكر الجميل إلى يوم القيامة، وذلك الذكر هو قوله: ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ﴾. قال الكسائي(٥): في ارتفاع سلام، وجهان:

أحدهما: وتركنا عليه في الآخرين يقال: سلام على نوح.

---

(١) «النكت والعيون» (٥/ ٥٣)، و«معالم التنزيل» (٧/ ٤٣).
(٢) ذكره البغوي في «معالم التنزيل» (٧/ ٤٣ ـ ٤٤).
(٣) «الجامع لأحكام القرآن» (١٨/ ٤٧).
(٤) «الجامع لأحكام القرآن» (١٨/ ٤٧)، و«جامع البيان» (١٩/ ٥٦١).
(٥) ذكره النحاس في «إعراب القرآن» (٣/ ٤٢٧).

والوجه الثاني: أن يكون المعنى: وأبقينا عليه، وتمّ الكلام، ثم ابتدأ، فقال: سلام على نوح؛ أي: سلامة له من أن يُذْكَر بسوء في الآخرين.

قال المبرد[١]: أي: تركنا عليه هذه الكلمة باقية؛ يعني: يسلمون عليه تسليماً، ويدعون له وهو من الكلام المحكي كقوله: ﴿سُورَةٌ أَنزَلْنَاهَا﴾ [النور: ١]، وقيل: إنه ضُمِّن تركنا معنى: قُلْنا. قال الكوفيون[٢]: جملة: ﴿سَلَامٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ﴾ في محل نصب مفعول تركنا؛ لأنّه ضُمِّن معنى قلنا.

قال الكسائي[٣]: وفي قراءة ابن مسعود[٤] «سلاماً» منصوب بتركنا؛ أي: تركنا عليه ثناءً حسناً، وقيل: المراد بالآخرين: أمة محمد ﷺ. و﴿فِي الْعَالَمِينَ﴾ متعلق بما تعلق به الجار والمجرور[٥] الواقع خبراً، وهو على نوح؛ أي: سلام ثابت أو مستمرّ أو مستقرّ على نوح في العالَمين مِنْ الملائكة والجنّ والإنس وهذا يدل على عدم اختصاص ذلك بأمة محمد ﷺ كما قيل: ﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ هذه الجملة تعليل لما قبلها من التكرمة لنوح بإجابة دعائه، [٣/٤٤٤] وبقاء الثناء من الله عليه، وبقاء ذريته؛ أي: إنا كذلك نجزي من كان محسناً في أقواله، وأفعاله راسخاً في الإحسان معروفاً به، والكاف في كذلك نعت مصدر محذوف؛ أي: جزاء كذلك الجزاء ﴿إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾ هذا بيان لكونه من المحسنين، وتعليل له بأنه كان عبداً مؤمناً مخلصاً لله ﴿ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ﴾؛ أي: الكفرة الذين لم يؤمنوا بالله، ولا صدّقوا نوحاً.

ثم ذكر سبحانه قصة إبراهيم، وبيّن أنه ممن شايع نوحاً، فقال: ﴿وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ﴾؛ أي: مِنْ أهل دينه وممّن شايعه ووافقه على الدعاء إلى الله وإلى توحيده والإيمان به.

قال مجاهد[٦]: أي: على منهاجه وسُنَّته.

---

(١) ذكره النحاس في «إعراب القرآن» (٣/٤٢٧)
(٢) «التبيان» (٢/١٩٠)، و«الفريد» (٤/١٣٤)، و«مشكل إعراب القرآن» (٢/٢٣٧ ـ ٢٣٨).
(٣) ذكره النحاس في «إعراب القرآن» (٣/٤٢٦).
(٤) «روح المعاني» (٢٣/٧٨)، و«البحر المحيط» (٩/١٠٨). هي شاذة لمخالفتها للرسم.
(٥) «التبيان» (٢/١٠٩٠)، و«الفريد» (٤/١٣٤).
(٦) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٩/٥٦٤) بسند صحيح.

قال الأصمعي[١]: الشيعة: الأعوان، وهو مأخوذ من الشياع وهو الحَطَبُ الصغار الذي يُوقد مع الكبار حتى يستوقد.

وقال الفراء[٢]: المعنى: وإن من شيعة محمد لإبراهيم، فالهاء في شيعته على هذا لمحمد ﷺ، وكذا قال الكَلْبي[٣] ولا يخفى ما في هذا مِنْ الضعف والمخالفة للسياق. والظرف في قوله: ﴿إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ منصوب بفعل محذوف[٤]؛ أي: اذْكر، وقيل: بما في الشيعة من معنى المتابعة. قال أبو حيان[٥]: لا يجوز؛ لأن فيه الفصل بين العامل والمعمول بأجنبيّ، وهو: إبراهيم، والأولى أن يقال: إن لام الابتداء تمنع ما بعدها مِنْ العمل فيما قبلها، والقلب السليم: المخلص من الشرك والشك.

وقيل: هو الناصح[٦] لله في خلقه، وقيل[٦]: الذي يعلم أن الله حقّ وأن الساعة قائمة، وأن الله يبعث من في القبور. ومعنى مجيئه إلى ربه يحتمل وجهين[٧]:

أحدهما: عند دعائه إلى توحيده وطاعته.

الثاني: عند إلقائه في النار.

وقوله: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَاذَا تَعْبُدُونَ﴾ بدل من الجملة الأولى، أو ظرف لسليم، أو ظرف لجاء، والمعنى: وقت قال لأبيه آزر وقومه من الكفار: أيّ شيء تعبدون؟ ﴿أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ﴾ انتصاب[٨] إفكاً على أنه مفعول لأجله، وانتصاب[٩] آلهة على أنه مفعول تريدون، والتقدير: أتريدون آلهة من دون الله للإفك؟ و«دون» ظرف لتريدون، وتقديم هذه المعمولات للفعل عليه للاهتمام. وقيل: انتصاب إفكاً على[١٠] أنه مفعول به لتريدون، وآلهة بدل منه، جعلها نفس الإفك مبالغة، وهذا أولى من الوجه الأوّل.

---

(١) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٥٤).

(٢) في «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٣٨٨).

(٣) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٥٤).

(٤) «الفريد» (٤/ ١٣٥)، و«التبيان» (٢/ ١٠٩١). (٥) في «البحر المحيط» (٩/ ١٠٨).

(٦) «إعراب القرآن» للنحاس (٣/ ٤٢٨). (٧) «النكت والعيون» (٥/ ٥٥).

(٨) «التبيان» (٢/ ١٠٩١)، و«إعراب القرآن» للنحاس (٣/ ٤٢٧)، و«الفريد» (٤/ ١٣٥).

(٩) انظر: المصادر المتقدمة.

(١٠) «إعراب القرآن» للنحاس (٣/ ٤٢٧)، و«التبيان» (٢/ ١٠٩١)، و«الفريد» (٤/ ١٣٥ ـ ١٣٦).

وقيل: انتصابه على الحال[١] من فاعل تريدون؛ أي: أتريدون آلهة آفكين، أو ذوي إفك.

قال المبرِّد[٢]: الإفك: أسوأُ الكذب، وهو الذي لا يثبت ويضطرب، ومنه ائتفكت بهم الأرضُ ﴿فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾؛ أي: ما ظنكم به إذا لقيتموه وقد عبدتم غيرَه وما ترونه يصنع بكم؟ وهو تحذير مثل قوله: ﴿مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ﴾ [الانفطار: ٦].

وقيل: المعنى: أيّ شيء توهمتموه بالله حتى أشركتم به غيره؟.

﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً فِى ٱلنُّجُومِ ﴿٨٨﴾ فَقَالَ إِنِّى سَقِيمٌ﴾.

قال الواحدي[٣]: قال المفسِّرون: كانوا يتعاطون علم النجوم، فعاملهم بذلك لئلّا ينكروا عليه، وذلك أنه أراد أن يكايدهم في أصنامهم؛ لتلزمهم الحجة في أنها غير معبودة، وكان لهم من الغد يوم عيدٍ يخرجون إليه، وأراد أن يتخلّف عنهم فاعتلّ بالسُقْم: وذلك أَنّهم كلفوه أن يخرج معهم إلى عيدهم، فنظر إلى النجوم يريهم أنه مستدلّ بها على حاله، فلما نظر إليها قال: إني سقيم؛ أي: سأسقم.

وقال الحسن[٤]: إنّهم لما كلفوه أن يخرج معهم تفكر فيما يعمل، فالمعنى على هذا: أنه نظر فيما نجم له من الرأي؛ أي: فيما طلع له منه، فعلم أن كلّ شيء يسقم ﴿فَقَالَ إِنِّى سَقِيمٌ﴾.

قال الخليل[٥]، والمبرد[٦]: يقال للرجل إذا فكر في الشيء يدبره: نظر في النجوم.

وقيل[٧]: كانت الساعة التي دعوه إلى الخروج معهم فيها ساعة تعتاده فيها الحمى.

---

(١) انظر: المصادر المتقدمة.
(٢) ذكره النحاس في «إعراب القرآن» (٣/ ٣٤٤).
(٣) في «الوسيط» (٣/ ٥٢٨).
(٤) ذكره النحاس في «معاني القرآن» (٦/ ٤٠).
(٥) ذكره النحاس في «معاني القرآن» (٦/ ٤٠).
(٦) ذكره النحاس في «معاني القرآن» (٦/ ٤٠).
(٧) ذكره النحاس في «معاني القرآن» (٦/ ٤٠).

وقال الضحاك[١]: معنى: إني سقيم: سأسقم سقم الموت؛ لأن من كتب عليه الموت يسقم في الغالب، ثم يموت، وهذا توريةٌ، وتعريض كما قال للملك لما سأله عَنْ سارّة: هي أختي؛ يعني: أخوّة الدين.

وقال سعيد[٢] بن جبير: أشار[٣] لهم إلى مرض يُسْقم ويُعْدي، وهو: الطاعون، وكانوا يهربون مِنْ ذلك، ولهذا قال: ﴿فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ﴾؛ أي: تركوه، وذهبوا مخافة العدوى ﴿فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمْ﴾ يقال: راغ[٤] يروغ رَوْغاً ورَوَغاناً: إذا مال، ومِنْه طريق رائغ؛ أي: مائل. ومنه قول الشاعر:

فيُريكَ مِنْ طَرَفِ اللِّسانِ حَلَاوةً ويَرُوغُ عنك كما يَرُوغُ الثَّعلبُ[٥]

وقال السدّي[٦]: ذهب إليهم.

وقال أبو مالك[٧]: جاء إليهم.

وقال الكلبي[٨]: أقبل عليهم، والمعنى مُتقارب ﴿فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ﴾؛ أي: فقال إبراهيم للأصنام التي راغ إليها استهزاء وسخرية: ألا تأكلون؟ من الطعام الذي كانوا يصنعونه لها، وخاطبها كما يخاطب مَنْ يعقل؛ لأنهم أنزلوها بتلك المنزلة.

وكذا قوله: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ﴾، فإنه خاطبهم خطاب مَنْ يعقل، والاستفهام[٩] للتهكم بهم؛ لأنَّه قد علم أنها جمادات لا تنطق. قيل: إنهم تركوا عند أصنامهم طعامهم للتبرك بها؛ وليأكلوه إذا رجعوا من عيدهم. وقيل: تركوه للسّدَنة، وقيل: إن إبراهيم هو الذي قرب إليها الطعام مستهزئاً بها ﴿فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًۢا بِٱلْيَمِينِ﴾؛ أي: فمال

---

(١) ذكره النحاس في «إعراب القرآن» (٣/ ٤٢٨).
(٢) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٨/ ٥٠).
(٣) أخرجه البخاري في «صحيحه» رقم (٣٣٥٨)، ومسلم رقم (٢٣٧١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
(٤) «تهذيب اللغة» (٨/ ١٨٦)، و«مفردات ألفاظ القرآن» (ص٣٧٣).
(٥) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٨/ ٥٤).
(٦) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٩/ ٥٧٠) بسند حسن من طريق أسباط عن السُّدي.
(٧) ذكره النحاس في «معاني القرآن» (٦/ ٤٢ ـ ٤٣).
(٨) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٥٧).
(٩) «روح المعاني» (٢٣/ ١٢٥).

عليهم يضربهم ضرباً باليمين، فانتصابه على أنه مصدر مؤكد لفعل محذوف، أو هو مصدر لراغ؛ لأنه بمعنى: ضرب.

قال الواحدي[(١)]: قال المفسِّرون: يعني: بيده اليمنى يضربهم بها.

وقال السُّدي[(٢)]: بالقوة والقُدْرة؛ لأنَّ اليمين أقوى اليدين. قال الفراء[(٣)]، وثعلب[(٤)]: ضرباً بالقوة، واليمين القوة.

وقال الضحاك[(٥)]، والربيع بن أنس: المراد باليمين: اليمين التي حلفها حين قال: ﴿وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم﴾ [الأنبياء: ٥٧].

وقيل: المراد باليمين هنا: العدل كما في قوله: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ﴾ [الحاقة: ٤٤، ٤٥]؛ أي: بالعدل، واليمين كناية عن العدل كما أن الشمال كناية عن الجور، وأول هذه الأقوال أولاها ﴿فَأَقْبَلُوٓاْ إِلَيْهِ يَزِفُّونَ﴾؛ أي: أقبل إليه عبدة تلك الأصنام يسرعون لما علموا بما صنعه بها، ويزفّون في محل نصب[(٦)] على الحال من فاعل أقبلوا. قرأ الجمهور[(٧)]: «يَزفّون» بفتح الياء من زف الظليم يزف إذا عدا بسرعة، وقرأ[(٨)] حمزة بضم الياء من أزف يزف؛ أي: دخل في الزفيف، أو يحملون غيرهم على الزفيف.

قال الأصمعي[(٩)]: أزففت الإبل؛ أي: حملتها على أن تَزِفّ، وقيل: هما لغتان، يقال: زفّ القوم، وأزفّوا، وزفت العروس، وأزففتُها، حكي ذلك عن الخليل[(١٠)].

---

(١) في «الوسيط» (٣/ ٥٢٨).
(٢) ذكره الواحدي في «الوسيط» (٣/ ٥٢٨).
(٣) ذكره ابن الجوزي في «زاد المسير» (٧/ ٦٩).
(٤) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٥٧).
(٥) «النكت والعيون» (٥/ ٥٧)، و«زاد المسير» (٧/ ٦٩).
(٦) «التبيان» (٢/ ١٠٩١)، و«إعراب القرآن» للنحاس (٣/ ٤٢٩).
(٧) «التيسير» (ص١٨٦)، و«النشر» (٢/ ٣٥٧)، و«جامع البيان» (١٩/ ٥٧٣)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (٢/ ٢٢٥).
(٨) انظر: المصادر المتقدمة. هما قراءتان متواترتان أما القراءة بالراء المهملة فشاذة وكذا غيرها مما ذكره المؤلف من القراءات في كلمة «يزفون» فهي شاذة.
(٩) ذكره أبو علي الفارسي في «الحجة» (٦/ ٥٧).
(١٠) ذكره الجوهري في «الصحاح» (٤/ ١٣٦٩).
وهو في كتاب «العين» للخليل الفراهيدي (ص٣٩١).

قال النحاس[(١)]: زعم أبو حاتم: أنه لا يعرف هذه اللغة؛ يعني: يُزفون بضم الياء، وقد عرفها جماعة من العلماء منهم الفراء[(٢)]، وشبهها بقولهم: أطردتُ الرحل؛ أي: صيرته إلى ذلك، وقال المبرد[(٣)]: الزفيف: الإسراع.

وقال الزجاج[(٤)]: الزفيف أوّل عَدْو النِّعام.

وقال قتادة[(٥)]، والسدّي[(٦)]: معنى يزفون: يمشون. وقال الضحاك[(٧)]: يسعون.

وقال يحيى بن سلام[(٨)]: يرعدون غضباً.

وقال مجاهد[(٩)]: يختالون؛ أي: يمشون مشي الخيلاء.

وقيل: يتسللون تسللاً بين المشي والعدو، والأولى تفسير يزفّون بيسرعون.

وقرئ[(١٠)]: «يُزَّفُون» على البناء للمفعول.

وقرئ[(١١)]: «يَزْفُون» كيرمون.

وحكى[(١٢)] الثعلبي عن الحسن، ومجاهد، وابن السميفع: أنهم قرءوا «يَرْفون» بالراء المهملة، وهي: ركض بين المشي والعدو.

﴿قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا نَنْحِتُونَ﴾ لما أنكروا على إبراهيم ما فعله بالأصنام، ذكر لهم الدليل الدال على فساد عبادتها، فقال مُبكّتاً لهم، ومنكراً عليهم: ﴿أَتَعْبُدُونَ مَا نَنْحِتُونَ﴾؛ أي: أتعبدون أصناماً أنتم تنحتونها؟ والنحت: النَّجْر، والبَرْي، نَحَته يَنْحِتهُ بالكسر نحتاً؛ أي: بَراه، والنُّحاتة: البُراية.

---

(١) في «إعراب القرآن» (٣/ ٤٢٩).
(٢) في «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٣٨٩).
(٣) ذكره النحاس في «إعراب القرآن» (٣/ ٤٢٩).
(٤) في «معاني القرآن وإعرابه» (٤/ ٣٠٩).
(٥) ذكره النحاس في «معاني القرآن» (٦/ ٤٤).
(٦) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٩/ ٥٧٤) بسند حسن من طريق أسباط عن السُّدي.
(٧) «النكت والعيون» (٥/ ٥٧). (٨) «الوسيط» للواحدي (٣/ ٥٢٩).
(٩) «النكت والعيون» (٥/ ٥٧)، و«الوسيط» للواحدي (٣/ ٥٢٩).
(١٠) «الكشاف» (٥/ ٢١٧)، و«روح المعاني» (٢٣/ ١٢٦)، و«البحر المحيط» (٩/ ١١١). وهي قراءة شاذة.
(١١) «البحر المحيط» (٩/ ١١١)، و«روح المعاني» (٢٣/ ١٢٦). وهي قراءة شاذة.
(١٢) في «تفسيره» (٨/ ١٤٩). وهي قراءة شاذة.

وجملة: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ في محل نصب[١] على الحال من فاعل تعبدون.

و«ما» في ﴿وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ موصولة؛ أي: وخلق الذي تصنعونه على العموم ويدخل فيها الأصنام التي ينحتونها دخولاً أوليّاً، ويكون معنى العمل هنا: التصوير والنحت ونحوهما، ويجوز أَنْ تكون مصدرية؛ أي: خلقكم وخلق عملكم، ويجوز أَنْ تكون استفهامية، ومعنى الاستفهام: التوبيخ[٢] والتقريع؛ أي: وأي شيء تعملون؟ ويجوز أن تكون نافية؛ أي: إن العمل في الحقيقة ليس لكم، فأنتم لا تعملون شيئاً.

وقد طوّل صاحب الكشاف[٣] الكلام في رد قول مَنْ قال: إنّها مصدرية، ولكنْ بما لا طائل تحته، وجعلها موصولة أولى بالمقام وأوفق بسياق الكلام.

وجملة: ﴿قَالُوا۟ ٱبْنُوا۟ لَهُۥ بُنْيَٰنًا فَأَلْقُوهُ فِى ٱلْجَحِيمِ﴾ مستأنفة جواب سؤال مُقدّر كالجملة التي قبلها، قالوا هذه المقالة لما عجزوا عن جواب ما أورده عليهم من الحجة الواضحة، فتشاوروا فيما بينهم أن يَبنوا له حائطاً مِنْ حجارة، ويملؤوه حطباً ويضرموه ثم يلقوه فيه.

والجحيم: النار الشديدة الاتقّاد. قال الزجاج[٤]: وكل نار بعضها فوق بعض، فهي: جحيم، واللاّم في الجحيم عوض عن المضاف إليه؛ أي: في جحيم ذلك البنيان، ثم لما ألقوه فيها نجّاه الله منها، وجعلها عليه بَرداً وسلاماً، وهو معنى قوله: ﴿فَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَسْفَلِينَ﴾ الكيد: المكرُ والحيلة؛ أي: احتالوا لإهلاكه، فجعلنّاهم الأسفلين المقهورين المغلوبين؛ لأنّها قامت له بذلك عليهم الحجة التي [٣/٤٤٥] لا يقدرون على دفعها ولا يمكنهم جحدها، فإنّ النار الشديدة[٥] الاتقاد العظيمة الاضطرام المتراكمة الجِمار إذا صارت بعد إلقائه عليها برداً وسلاماً، ولم تُؤثّر فيه أقل تأثير كان ذلك مِنْ الحجة بمكان، يفهمه كلُّ مَنْ له عقل، وصار المنكِر له سافلاً ساقط الحجة، ظاهر التعصب، واضح التعسّف،

(١) «التبيان» (٢/ ١٠٩١)، و«مشكل إعراب القرآن» (٢/ ٢٣٩)، و«الفريد» (٤/ ١٣٦ ـ ١٣٧).

(٢) «روح المعاني» (٢٣/ ١٢٧).

(٣) أي: الزمخشري في «الكشاف» (٥/ ٢١٩ ـ ٢٢٠).

(٤) في «معاني القرآن وإعرابه» (٤/ ٣١٠).

(٥) «روح المعاني» (٢٣/ ١٣٢)، و«تفسير الرازي» (٢٦/ ١٥٠).

وسبحان من يجعل المحن لمن يدعو إلى دينه مِنَحاً، ويسوق إليهم الخير بما هو مَنْ صور الضير.

ولما انقضت هذه الوقعة وأسفر الصبح لذي عينين، وظهرت حجة الله لإبراهيم، وقامت براهين نبوّته، وسطعت أنوار معجزته ﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي﴾؛ أي: مُهاجر[١] مِنْ بلد قومي الذين فعلوا ما فعلوا؛ تعصباً للأصنام، وكفراً بالله، وتكذيباً لرسله إلى حيث أمرني بالمهاجرة إليه أو إلى حيث أتمكن من عبادته ﴿سَيَهْدِينِ﴾؛ أي: سيهديني إلى المكان الذي أمرني بالذهاب إليه أو إلى مقصدي.

قيل: إن الله سبحانه أمره بالمصير إلى الشام، وقد سبق بيان هذا في سورة الكهف مستوفى.

قال مقاتل[٢]: فلما قدم الأرض المقدسة سأل ربَّه الولد، فقال: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّٰلِحِينَ﴾؛ أي: ولداً صالحاً مِنْ الصالحين يعينني على طاعتك ويؤنسني في الغُربة هكذا قال المفسِّرون[٣]، وعلَّلوا ذلك بأن الهبة قد غلب معناها في الولد، فتُحمل عند الإطلاق عليه، وإذا وردت مقيدة حملت على ما قيدت به كما في قوله: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥ مِن رَّحْمَتِنَآ أَخَاهُ هَٰرُونَ نَبِيًّا﴾ [مريم: ٥٣]، وعلى فرض أنها لم تغلب في طلب الولد، فقوله: ﴿فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ﴾ يدل على أنّه ما أراد بقوله: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّٰلِحِينَ﴾ إلا الولد، ومعنى حليم: أَنْ يكون حليماً عند كبره[٤]، فكأنه بشر ببقاء ذلك الغلام حتى يكبر، ويصير حليماً؛ لأنّ الصغير لا يوصف بالحلم.

قال الزجّاج[٥]: هذه البشارة تدل على أنه مُبشَّر بابن ذَكَر، وأنه يبقى حتى ينتهي في السن، ويوصف بالحلم ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ﴾ في الكلام حذف[٦] كما تشعر به هذه الفاء الفصيحة، والتقدير: فوهبنا له الغلام، فنشأ حتى صار إلى السن التي يسعى فيها مع أبيه في أمور دنياه.

---

(١) «الجامع لأحكام القرآن» (١٨/ ٥٩)، و«جامع البيان» (١٩/ ٥٧٦).
(٢) ذكره الواحدي في «الوسيط» (٣/ ٥٢٩).
(٣) ذكره الواحدي في «الوسيط» (٣/ ٥٢٩).
(٤) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٨/ ٦٠).
(٥) في «معاني القرآن وإعرابه» (٤/ ٣١٠).
(٦) «الفريد» (٤/ ١٣٧ ـ ١٣٨)، و«روح المعاني» (٢٣/ ١٣٣ ـ ١٣٤).

قال مجاهد(١): ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعۡيَ﴾؛ أي: شَبَّ، وأدرك سعيه سعي إبراهيم.

وقال مقاتل(٢): لما مشى معه.

قال الفراء(٣): كان يومئذٍ ابن ثلاث عشرة سنة.

وقال الحسن(٤): هو سعي العقل الذي تقوم به الحجة.

وقال ابن زيد(٥): هو السعي في العبادة.

وقيل: هو الاحتلام(٦).

[اختلف أهل العلم في الذبيح].

﴿قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ﴾ قال إبراهيم لابنه لما بلغ معه ذلك المبلغ: إني رأيتُ في المنام هذه الرؤيا.

قال مقاتل(٧): رأى إبراهيم ذلك ثلاث ليال متتابعات.

قال قتادة(٨): رؤيا الأنبياء حقّ إذا رأوا شيئاً فعلوه.

وقد اختلف أهل العلم في الذبيح؟ هل هو إسحاق، أو إسماعيل؟

قال القرطبي(٩): فقال أكثرهم: الذبيح: إسحاقُ، وممّن قال بذلك العباس بن عبد المطلب، وابنه عبد الله، وهو الصحيح عن عبد الله بن مسعود، ورواه أيضاً عن جابر وعليّ بن أبي طالب وعبد الله بن عمر وعمر بن الخطاب، قال: فهؤلاء سبعة من الصحابة.

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٩/ ٥٧٩) بسند صحيح.

(٢) ذكره البغوي في «تفسيره» (٧/ ٤٦)، والواحدي في «الوسيط» (٣/ ٥٢٩) عن قتادة.
وأخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٩/ ٥٨٠) بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة.

(٣) في «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٣٨٩).

(٤) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٦٠).

(٥) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٩/ ٥٧٩) بسند صحيح.

(٦) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٨/ ٦١) عن ابن عباس.

(٧) ذكره الواحدي في «الوسيط» (٣/ ٥٢٩).

(٨) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٩/ ٥٨٢) بسند صحيح.

(٩) في «تفسيره» (١٨/ ٦١).

قال[١]: ومن التابعين وغيرهم: علقمة، والشعبي، ومجاهد، وسعيد بن جبير، وكعب الأحبار، وقتادة، ومسروق، وعكرمة، والقاسم بن أبي برزة، وعطاء، ومقاتل، وعبد الرحمٰن بن سابط، والزهري، والسدّي، وعبد الله بن أبي الهذيل، ومالك بن أنس كلهم قالوا: الذبيح إسحاق، وعليه أهل الكتابين اليهود والنصارى، واختاره غير واحد، منهم النحاس[٢]، وابن جرير[٣] الطبري، وغيرهما.

قال[٤]: وقال آخرون: هو إسماعيل، وممّن قال بذلك: أبو هريرة، وأبو الطفيل عامر بن واثلة، وروي ذلك عن ابن عمر، وابن عباس أيضاً، ومن التابعين: سعيد بن المسيب، والشعبي، ويوسف بن مهران، ومجاهد والربيع بن أنس ومحمد بن كعب القرظي والكلبي وعلقمة، وعن الأصمعي[٥] قال: سألت أبا عمرو بن العلاء عن الذبيح، فقال: يا أصمعي أين عزب عنك عقلُك، ومتى كان إسحاق بمكة؟ وإنما كان إسماعيل بمكة.

قال ابن كثير[٦] في «تفسيره»: وقد ذهب جماعة من أهل العلم إلى أن الذبيح هو إسحاق، وحُكي ذلك عن طائفة من السلف حتى يقال عن بعض الصحابة، وليس في ذلك كتاب ولا سُنَّة، وما أظنّ ذلك تُلقي إلا عن أخبار أهل الكتاب، وأخذ ذلك مُسلّماً من غير حجة، وكتاب الله شاهد، ومرشد إلى أنه إسماعيل، فإنه ذكر البشارة بالغلام الحليم، وذكر أنّه الذبيح، وقال بعد ذلك: ﴿وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾. اهـ.

واحتجّ[٧] القائلون بأنّه إسحاق بأن الله ﷻ قد أخبرهم عن إبراهيم حين فارق قومه، فهاجر إلى الشام مع امرأته سارّة، وابن أخيه لوط، فقال: ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ أنّه دعا، فقال: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾، فقال تعالى: ﴿فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ﴾ [مريم: ٤٩]؛ ولأن الله قال: ﴿وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾، فذكر أنه في الغلام الحليم الذي بشر به إبراهيم، وإنما بشر بإسحاق؛ لأنه

---

(١) القرطبي في «تفسيره» (١٨/ ٦٢).

(٢) في «إعراب القرآن» (٣/ ٤٣١).

(٣) في «جامع البيان» (١٩/ ٥٩٨).

(٤) القرطبي في «تفسيره» (١٨/ ٦٣).

(٥) ذكره البغوي في «تفسيره» (٧/ ٤٧).

(٦) في «تفسيره» (١٢/ ٣٧).

(٧) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٨/ ٦٤).

قال: ﴿وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ﴾، وقال هنا: ﴿بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ﴾ وذلك قبل أن يعرف هاجر، وقبل أن يصير له إسماعيل، وليس في القرآن أنه بُشِّر بولد إلا إسحاق.

قال الزجاج[١]: الله أعلم أيهما الذبيح.اهـ، وما استدلّ به الفريقان يمكن الجواب عنه، والمناقشة له.

ومن جملة ما احتجّ[٢] به من قال: إنه إسماعيل بأن الله وصفه بالصبر دون إسحاق كما في قوله: ﴿وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٥]، وهو: صبره على الذبح، ووصفه بصدق الوعد في قوله: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ﴾ [مريم: ٥٤] ؛ لأنّه وعد أباه من نفسه الصبر على الذبح، فوفى به، ولأن الله سبحانه قال: ﴿وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا﴾ فكيف يأمره بذبحه، وقد وعده أن يكون نبيّاً؟

وأيضاً فإن الله قال: ﴿فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ﴾ [هود: ٧١]، فكيف يؤمر بذبح إسحاق قبل إنجاز الوعد في يعقوب، وأيضاً ورد في الأخبار تعليق قرن الكبش في الكعبة، فدل على أن الذبيح إسماعيل، ولو كان إسحاق لكان الذبح واقعاً ببيت المقدس[٣].

وكل هذا أيضاً يحتمل المناقشة[٤].

﴿فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ﴾ قرأ حمزة[٥]، والكسائي: «تُرِي» بضم الفوقية، وكسر الراء، والمفعولان محذوفان؛ أي: انظر ماذا تريني إيّاه مِنْ صبرك واحتمالك؟

وقرأ الباقون[٦] مِنْ السبعة بفتح التاء، والراء من الرأي، وهو: مضارع رأيت.

وقرأ الضحاك[٧]، والأعمش: «تُرَى» بضم التاء، وفتح الراء مبنيّاً للمفعول؛ أي: ماذا يُخيل إليك، ويسنح لخاطرك.

---

(١) في «معاني القرآن وإعرابه» (٤/ ٣١١).
(٢) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٨/ ٦٤).
(٣) «تفسير الرازي» (٢٦/ ١٥٣ ـ ١٥٥).
(٤) «الجامع لأحكام القرآن» (١٨/ ٦٤ ـ ٦٩)، و«تفسير الرازي» (٢٦/ ١٥٥ ـ ١٥٦).
(٥) «التيسير» (ص١٨٦)، و«جامع البيان» (١٩/ ٥٨٢ ـ ٥٨٣)، و«البحر المحيط» (٩/ ١١٦ ـ ١١٧).
(٦) انظر: المصادر المتقدمة. قراءة حمزة والكسائي معهما كذلك خلف، والباقون بفتح التاء والراء وهما متواترتان أما بضم التاء وفتح الراء فشاذة «النشر» (٢/ ٣٥٧).
(٧) «البحر المحيط» (٩/ ١١٧)، و«زاد المسير» (٧/ ٧٥).

قال الفراء[١] في بيان معنى القراءة الأولى: انظر ماذا ترى من صبرك وجزعك.

قال الزجاج[٢]: لم يقل هذا أحد غيره. وإنما قال العلماء ماذا تشير؛ أي: ما تريك نفسك من الرأي.

وقال أبو عبيد[٣]: إنما يكون هذا من رؤية العين خاصة، وكذا قال أبو حاتم[٤]، وغلطهما النحاس[٥] وقال[٦]: هذا يكون من رؤية العين وغيرها، ومعنى القراءة الثانية ظاهر واضح، وإنما شاوره ليعلم صبره لأمر الله، وإلا فرؤيا الأنبياء وحي، وامتثالها لازمٌ لهم متحتم عليهم.

﴿قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ﴾؛ أي: ما تؤمر به مما أُوحي إليك مِنْ ذبحي، و«ما» موصولة[٧]، وقيل: مصدرية على معنى: افعل أمرك، والمصدر مضاف إلى المفعول، وتسمية المأمور به أمراً، والأوّل أولى.

﴿سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ على ما ابتلاني به من الذبح، والتعليق[٨] بمشيئة الله سبحانه تبركاً بها منه.

﴿فَلَمَّآ أَسۡلَمَا﴾؛ أي: استسْلما لأمر الله وأطاعاه وانقادا له.

قرأ الجمهور[٩]: «أَسْلما»، وقرأ عليّ، وابن مسعود، وابن عباس: «فلما[١٠] سلّما»؛ أي: فوّضا أمرهما إلى الله.

وروي عن ابن عباس[١١]: أنه قرأ: «استسلما».

---

(١) في «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٣٨٩). (٢) في «معاني القرآن وإعرابه» (٤/ ٣١٠).

(٣) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٨/ ٦٧).

(٤) ذكره أبو حيان في «البحر المحيط» (٩/ ١١٧).

(٥) في «إعراب القرآن» (٣/ ٤٣٣).

(٦) أي: النحاس في «إعراب القرآن» (٣/ ٤٣٣).

(٧) «التبيان» (٢/ ١٠٩٢)، و«الفريد» (٤/ ١٣٩).

(٨) «روح المعاني» (٢٣/ ١٣٨)، و«تفسير أبي السعود» (٥/ ٥٣٥).

(٩) «البحر المحيط» (٩/ ١١٧)، و«روح المعاني» (٢٣/ ١٣٩). قراءة الجمهور هي المتواترة وغيرها شاذ.

(١٠) «المحتسب» (٢/ ٢٢٢)، و«القراءات الشاذة» (ص١٢٨)، و«البحر المحيط» (٩/ ١١٧)

(١١) «روح المعاني» (٢٣/ ١٣٩)، و«حاشية الشهاب» (٧/ ٢٨٠).

قال قتادة[١]: أسلم أحدهما نفسه لله، وأسلم الآخر ابنَه، يقال: سلّم لأمر الله، وأسلم، واستسلم بمعنى واحد.

وقد اختلف في جواب «لما» ماذا هو؟ فقيل: هو محذوف[٢]، وتقديره ظهر صبرهما، أو أجْزَلنا لهما أجرهما، أو فديناه بكبش هكذا قال البصريون[٣]. وقال الكوفيون: الجواب هو: ناديناه، والواو زائدة مُقْحَمة، واعترض عليهم النحاس بأن الواو من حروف المعاني ولا يجوز أن تزاد.

وقال الأخفش[٤]: الجواب ﴿وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ﴾، والواو زائدة، وروي هذا أيضاً عن الكوفيين، واعتراض النحاس[٥] يرد عليه كما ورد على الأوّل ﴿وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ﴾ التلّ: الصرع والدفع، يقال: تللتُ الرجل: إذا ألقيته.

والمراد: أنه أضجعه[٦] على جبينه على الأرض، والجبين أحد جانبي الجبهة، فللوجه جبينان، والجبهة بينهما، وقيل: كبه على وجهه كيلا يرى منه ما يؤثر الرّقة لقلبه.

واختلف في الموضع الذي أراد ذبحه فيه، فقيل: هو مكة في المقام[٧]، وقيل: في المنحر[٨] بمنى عند الجِمار، وقيل: على الصخرة[٩] التي بأصل جبل ثبير، وقيل[١٠]: بالشام ﴿وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ۝١٠٤ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ﴾؛ أي: عزمت على الإتيان بما رأيته.

قال المفسرون[١١]: لما أضجعه للذبح نُودي مِنْ الجبل: يا إبراهيم قد صدّقت

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٩/ ٥٨٤) بسند صحيح.
(٢) ذكره الزمخشري في «الكشاف» (٥/ ٢٢١).
(٣) «إعراب القرآن» للنحاس (٣/ ٤٣٣)، و«الفريد» (٤/ ١٣٩)، و«التبيان» (٢/ ١٠٩٢).
(٤) «المحرر الوجيز» (١٣/ ٢٤٨ ـ ٢٤٩)، و«إعراب القرآن» للنحاس (٣/ ٤٣٣).
(٥) «إعراب القرآن» للنحاس (٣/ ٤٣٣). (٦) «روح المعاني» (٢٣/ ١٣٩ ـ ١٤٠).
(٧) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٩/ ٦٠١) بسند صحيح من طريق ابن جريج عن عُبيد بن عمير.
(٨) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٩/ ٦٠١) من طريق ابن جريج عن مجاهد، بسند منقطع، ابن جريج لم يسمع من مجاهد.
(٩) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٦٢)، عن سعيد بن جبير.
(١٠) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٦٢)، عن ابن جريج.
(١١) «الوسيط» للواحدي (٣/ ٥٣٠).

الرؤيا، وجعله مصدّقاً بمجرد العزم، وإن لم يذبحه؛ لأنه قد أتى بما أمكنه، والمطلوب استسلامهما لأمر الله، وقد فعلا.

قال القرطبي(١): قال أهل السُّنَّة: إنّ نفس الذبح لم يقع، ولو وقع لم يتصور رفعه، فكان هذا مِنْ باب(٢) النسخ قبل الفعل؛ لأنه لو حصل الفراغ من امتثال الأمر بالذبح ما تحقق الفداء. [٣/٤٤٦] قال: ومعنى: ﴿صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ﴾: فعلت ما أمكنك ثم امتنعت لما منعناك، هذا أصح ما قيل في هذا الباب.

وقالت طائفة(٣): ليس هذا مما ينسخ بوجه؛ لأن معنى ذبحت الشيء: قطعته، وقد كان إبراهيم يأخذ السكين، فيمرّ بها على حلقه، فتنقلب كما قال مجاهد.

وقال بعضهم: كان كلما قطع جزءاً التأم، وقالت طائفة منهم السدّي: ضرب الله على عنقه صفيحة نحاس، فجعل إبراهيم يحزّ، ولا يقطع شيئاً.

وقال بعضهم(٣): إن إبراهيم ما أمر بالذبح الحقيقي الذي هو فَرْي الأوداج، وإنهار الدم، وإنما رأى أنه أضجعه للذبح، فتوهم أنه أمر بالذبح الحقيقي، فلما أتى بما أمر به من الإضجاع قيل له: قد ﴿صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾؛ أي: نجزيهم بالخلاص من الشدائد، والسلامة من المحن، فالجملة كالتعليل لما قبلها.

قال مقاتل(٤): جزاه الله سبحانه بإحسانه في طاعته العفو عن ذبح ابنه ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ﴾ البلاء والابتلاء: الاختبار، والمعنى: إن هذا هو الاختبار الظاهر حيث اختبره الله في طاعته بذبح ولده.

وقيل: المعنى: إن هذا لهو النعمة الظاهرة حيث سلم الله ولده من الذبح وفداه بالكبش، يقال: أبلاه الله إبلاءً وبلاء(٥): إذا أنعم عليه والأوّل أولى، وإن كان

---

(١) في «تفسيره» (١٨/٦٦).

(٢) قال ابن كثير في «تفسيره» (١٢/٤٣): وقد استدل بهذه الآية والقصة جماعة من علماء الأصول على صحة النسخ قبل التمكين من الفعل، خلافاً لطائفة من المعتزلة، والدلالة من هذه ظاهرة؛ لأنّ الله تعالى شرع لإبراهيم ذبح ولده، ثم نسخه عنه وصرفه إلى الفداء، وإنما المقصود من شرعه أولاً إثابة الخليل على الصبر على ذبح ولده وعزمه على ذلك، ولهذا قال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ﴾؛ أي: الاختبار الواضح الجلي حيث أمر بذبح ولده، فسارع إلى ذلك مستسلماً لأمر الله، منقاداً لطاعته، ولهذا قال تعالى: ﴿وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ﴾.

(٣) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٨/٦٧).

(٤) ذكره الواحدي في «تفسيره» (٣/٥٣٠). (٥) «الجامع لأحكام القرآن» (١٨/٧٢).

الابتلاء يستعمل في الاختبار بالخير والشرّ، ومنه ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ [الأنبياء: ٣٥]، ولكن المناسب للمقام المعنى الأول.

قال أبو زيد(١): هذا في البلاء الذي نزل به في أن يذبح ولده. قال: وهذا من البلاء المكروه.

﴿وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾ الذبح(٢): اسم المذبوح، وجمعه ذبوح كالطِّحن اسم للمطحون، وبالفتح المصدر، ومعنى عظيم: عظيم القَدْر، ولم يُرد عظم الجُثّة، وإنما عَظُم قدره؛ لأنّه فدى به الذبيح، أو لأنه متقبل.

قال النحاس(٣): العظيم في اللغة يكون للكبير وللشريف، وأهل التفسير على أنه ها هنا للشريف؛ أي: المتقبل.

قال الواحدي(٤): قال أكثر المفسرين: أنزل عليه كبش قد رعى في الجنة أربعين خريفاً.

وقال الحسن(٥): ما فدي إلا بتيس مِنْ الأرْوَى أُهبط عليه من ثَبير، فذبحه إبراهيم فداء عن ابنه.

قال الزجاج(٦): قد قيل: إنه فدي بوَعْل، والوعل: التيس الجبلي، ومعنى الآية: جعلنا الذبح فداء له، وخلّصناه به مِنْ الذبح ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ۝١٠٨ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾؛ أي: في الأمم الآخرة التي تأتي بعده، والسلام: الثناء الجميل.

وقال عكرمة(٧): سلام منا، وقيل: سلامة من الآفات، والكلام في هذا كالكلام في قوله: ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ وقد تقدم في هذه السورة بيان معناه، ووجه إعرابه.

﴿كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾؛ أي: مثل ذلك الجزاء العظيم نجزي من انقاد لأمر الله

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٩/ ٥٨٧) بسند صحيح.
(٢) ذكره النحاس في «إعراب القرآن» (٣/ ٤٣٤).
(٣) في «معاني القرآن» للنحاس (٦/ ٥١). (٤) في «الوسيط» (٣/ ٥٣٠).
(٥) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٩/ ٦٠٤) بسند ضعيف، ابن إسحاق لم يصرح بالسماع.
(٦) في «معاني القرآن وإعرابه» (٤/ ٣١٢).
(٧) «النكت والعيون» (٥/ ٦٣)، و«روح المعاني» (٢٣/ ٧٨).

﴿إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾؛ أي: الذين أعطوا العبودية حقها، ورسخوا في الإيمان بالله، وتوحيده.

﴿وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾؛ أي: بشرنا إبراهيم بولد يولد له، ويصير نبيّاً بعد أن يبلغ السن التي يتأهل فيها لذلك، وانتصاب[1] نبيّاً على الحال، وهي: حال مقدرة.

قال الزجاج[2]: إن كان الذبيح إسحاق، فيظهر كونها مقدرة، والأولى أن يقال: إن من فسر الذبيح بإسحاق جعل البشارة هنا خاصة بنبوته.

وفي ذكر الصلاح بعد النبوة تعظيم لشأنه، ولا حاجة إلى وجود المبشر به وقت البشارة، فإنّ وجود ذي الحال ليس بشرط، وإنما الشرط المقارنة للفعل، و﴿مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ كما يجوز أن يكون صفة لنبيّاً يجوز أن يكون حالاً من الضمير المستتر فيه، فتكون أحوالاً متداخلة ﴿وَبَٰرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ إِسْحَٰقَ﴾؛ أي: على إبراهيم، وعلى إسحاق بمرادفة نعم الله عليهما، وقيل: كثّرنا ولدهما، وقيل: إن الضمير[3] في عليه يعود إلى إسماعيل، وهو بعيد، وقيل: المراد بالمباركة هنا هي: الثناء الحسن عليهما إلى يوم القيامة ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ مُبِينٌ﴾؛ أي: محسن في عمله بالإيمان والتوحيد، وظالم لها بالكفر والمعاصي لما ذكر سبحانه البركة في الذرية بيّن أن كون الذرية من هذا العنصر الشريف والمحتدّ المبارك ليس بنافع لهم، بل إنما ينتفعون بأعمالهم لا بآبائهم، فإنّ اليهود والنصارى، وإن كانوا من ولد إسحاق، فقد صاروا إلى ما صاروا إليه من الضلال البيِّن، والعرب وإن كانوا من ولد إسماعيل، فقد ماتوا على الشرك إلا من أنقذه الله بالإسلام.

وقد أخرج ابن جرير، وابن المنذر عن ابن عباس[4] في قوله: ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ﴾ يقول: لم يبق إلا ذرية نوح ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ﴾ يقول: يذكر بخير.

وأخرج الترمذي وحسنه، وابن جرير، وابن أبي حاتم، وابن مردويه عن سمرة بن جندب[5]، عن النبي ﷺ في قوله: ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ﴾ قال: حام، وسام، ويافث.

(١) «الفريد» (٤/ ١٣٩)، و«التبيان» (٢/ ١٠٩٢).
(٢) في «معاني القرآن وإعرابه» (٤/ ٣١١). (٣) «الكشاف» (٥/ ٢٢٧).
(٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٩/ ٥٦١) بسند صحيح.
(٥) أخرجه الترمذي رقم (٣٢٣٠)، وابن جرير في «جامع البيان» (١٩/ ٥٦٠) بسند ضعيف.

وأخرج ابن سعد، وأحمد، والترمذي وحسنه، وأبو يعلى، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والطبراني، والحاكم وصححه عَنْ سمرة[١] أيضاً: أن النبي ﷺ قال: «سام أبو العرب، وحام أبو الحبش، ويافث أبو الروم».

والحديثان هما من سماع الحسن عَنْ سمرة وفي سماعه منه مقال معروف، وقد قيل: إنه لم يسمع منه إلا حديث العقيقة فقط، وما عداه فبواسطة.

قال ابن عبد البرّ[٢]: وقد روي عن عمران بن حصين، عن النبي ﷺ مثله.

وأخرج البزار، وابن أبي حاتم، والخطيب في «تالي التلخيص» عن أبي هريرة[٣] قال: قال رسول الله ﷺ: «ولد نوح ثلاثة: سام وحام ويافث، فولد سام العرب وفارس والروم والخير فيهم، وولد يافث يأجوج ومأجوج، والترك والصقالبة ولا خير فيهم، وولد حام القبط والبربر والسودان»، وهو من حديث إسماعيل بن عياش، عن يحيى بن سعيد، عن سعيد بن المسيب عنه.

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن ابن عباس[٤] في قوله: ﴿وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ﴾ قال: من أهل دينه.

وأخرج عبد بن حميد[٥] عنه في قوله: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ قال: مريض.

وأخرج ابن جرير[٦] عنه أيضاً قال: مطعون.

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عنه[٧] أيضاً في قوله: ﴿فَأَقْبَلُوٓا۟ إِلَيْهِ يَزِفُّونَ﴾ قال: يَخْرجون.

---

(١) أخرجه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (١/ ٤٢)، وأحمد في «مسنده» رقم (٢٠٠٩٩، ٢٠١١٤)، والترمذي رقم (٣٢٣١، ٣٩٣١)، والطبراني في «الكبير» رقم (٦٨٧١ ـ ٦٨٧٣)، والحاكم (٢/ ٥٤٦). وهو حديث ضعيف.

(٢) ذكره ابن كثير في «تفسيره» (١٢/ ٣١).

(٣) أخرجه البزار في «مسنده» رقم (٢١٨ ـ كشف)، والخطيب في «تالي التلخيص» رقم (٤٣). وهو حديث ضعيف، ضعفه الحافظ في «فتح الباري» (١٣/ ١٠٧)

(٤) عزاه إليهم السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ١٠٠).
وأخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٩/ ٥٦٤) بسند صحيح.

(٥) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ١٠٠).

(٦) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٩/ ٥٦٦) بسند ضعيف.

(٧) عزاه إليهم السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ١٠١).

وأخرج ابن المنذر[١] عنه أيضاً في قوله: ﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي﴾ قال: حين هاجر.

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عنه[٢] أيضاً ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْيَ﴾ قال: العمل.

وأخرج الطبراني[٣] عنه أيضاً قال: لما أراد إبراهيم أن يذبح إسحاق قال لأبيه: إذا ذبحتني، فاعتزل لا أضطرب فينتضح عليك دمي، فشده، فلما أخذ الشفرة وأراد أن يذبحه نودي من خلفه: ﴿أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ﴾.

وأخرج أحمد[٤] عنه أيضاً مرفوعاً مثله مع زيادة، وأخرجه عنه موقوفاً. وأخرج ابن المنذر، والحاكم وصححه من طريق مجاهد[٥] عنه أيضاً في قوله: ﴿وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ﴾ قال: من شيعة نوح على منهاجه وسننه ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْيَ﴾ قال: شبّ حتى بلغ سعيه سعي أبيه في العمل ﴿فَلَمَّآ أَسْلَمَا﴾ سلّما ما أمر به ﴿وَتَلَّهُۥ﴾ وضع وجهه إلى الأرض. فقال: لا تذبحني، وأنت تنظر عسى أن ترحمني فلا تجهز علي، وأن أجزع فأنكص فأمتنع منك، ولكن اربط يدي إلى رقبتي، ثم ضع وجهي إلى الأرض. فلما أدخل يده ليذبحه، فلم تحل المُدْية حتى نودي: أن يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا، فأمسك يده، قوله: ﴿وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾: بكبش عظيم متقبل، وزعم ابن عباس: أن الذبيح إسماعيل.

وأخرج ابن أبي حاتم[٦] عنه أيضاً قال: قال رسول الله ﷺ: «رؤيا الأنبياء وحي».

= أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٩/ ٥٧٤) بسند صحيح عن ابن عباس قال: فأقبلوا إليه يجرُون.

(١) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ١٠٢).

(٢) عزاه إليهم السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ١٠٢).
أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٩/ ٥٧٩) بسند صحيح.

(٣) أخرجه الطبراني في «الكبير» رقم (١٢٢٩٢).

(٤) أخرجه أحمد في «مسنده» رقم (٢٧٩٤) بسند ضعيف.

(٥) أخرجه الحاكم في «المسند» (٢/ ٤٣٠، ٤٣١).

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» كما في «تفسير ابن كثير» (١٢/ ٣٨)، قال ابن كثير: ليس هو في شيء من الكتب الستة من هذا الوجه.

وأخرجه البخاري[١]، وغيره من قول عُبيد بن عمير، واستدل بهذه الآية.

وأخرج ابن جرير، والحاكم من طريق عطاء بن أبي رباح عن ابن عباس[٢] قال: المفدَّى إسماعيل، وزعمت اليهود أنه إسحاق وكذبت اليهود.

وأخرج الفريابي وابن أبي شيبة وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم من طريق الشعبي، عن ابن عباس[٣] قال: الذبيح: إسماعيل.

وأخرج سعيد بن منصور، وابن المنذر، وابن أبي حاتم من طريق مجاهد، ويوسف بن ماهك عن ابن عباس[٤] قال: الذبيح إسماعيل.

وأخرج عبد بن حميد، وابن جرير من طريق يوسف بن ماهك وأبي الطفيل عن ابن عباس[٥] قال: الذبيح إسماعيل.

وأخرج عبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، والحاكم وصححه عن ابن عمر[٦] في قوله: ﴿وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾ قال: إسماعيل ذبح عنه إبراهيم الكبش.

وأخرج عبد بن حميد[٧] من طريق الفرزدق الشاعر قال: رأيت أبا هريرة يخطب على منبر رسول الله ﷺ، ويقول: إن الذي أُمر بذبحه إسماعيل.

وأخرج البزار، وابن جرير، وابن أبي حاتم، والحاكم، وابن مردويه عن العباس بن عبد المطلب[٨] قال: قال رسول الله ﷺ: «قال نبي الله داود: يا رب أسمع الناس يقولون: رب إبراهيم وإسحاق ويعقوب، فاجعلني رابعاً، قال: إن

---

(١) أخرجه البخاري رقم (١٣٨، ٨٥٩)، وابن جرير في «جامع البيان» (١٩/ ٥٨٢)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» رقم (٤٢٠).

(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٩/ ٥٩٤)، والحاكم (٢/ ٥٥٤، ٥٥٥) بسند صحيح.

(٣) عزاه إليهم السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ١٠٥).
وأخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٩/ ٥٩٣ ـ ٥٩٥).

(٤) عزاه إليهم السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ١٠٥).

(٥) عزاه إليهم السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ١٠٥).
وأخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٩/ ٥٩٤، ٥٩٥).

(٦) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٩/ ٥٩٢ ـ ٥٩٣)، والحاكم (٢/ ٥٥٤).

(٧) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ١٠٦، ١٠٧).

(٨) عزاه إليهم السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ١٠٧).
أخرجه البزار في «مسنده» رقم (٢٣٣٨ ـ كشف)، وابن جرير في «جامع البيان» (١٩/ ٥٨٨)، والحاكم (٢/ ٥٥٦).

إبراهيم أُلقي في النار فصبر من أجلي، وإن إسحاق جاد لي بنفسه، وإن يعقوب غاب عنه يوسف وتلك بلية لم تنلك»، وفي إسناده الحسن بن دينار البصري وهو متروك، عن علي بن زيد بن جدعان وهو ضعيف.

وأخرج الديلمي(١) عن أبي سعيد الخدري مرفوعاً نحوه.

وأخرج الدارقطني في «الأفراد»، والديلمي عن ابن مسعود(٢) قال: قال رسول الله ﷺ: «الذبيح إسحاق».

وأخرج ابن جرير، وابن مردويه عن العباس بن عبد المطلب(٣)، عن النبي ﷺ قال: «الذبيح إسحاق».

وأخرج ابن مردويه(٤)، عن أبي هريرة مرفوعاً مثله.

وأخرج ابن مردويه(٤) عن بهار وكانت له صحبة قال: إسحاق ذبيح الله.

وأخرج الطبراني، وابن مردويه عن ابن مسعود(٥) قال: سئل النبي ﷺ: من أكرم الناس؟ قال: «يوسف بن يعقوب بن إسحاق ذبيح الله».

وأخرج عبد الرزاق والحاكم وصححه عن ابن مسعود(٦) قال: الذبيح: إسحاق.

وأخرج عبد بن حميد، والبخاري في «تاريخه»، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه عن العباس بن عبد المطلب(٧) قال: الذبيح: إسحاق.

وهو حديث ضعيف، «السلسلة الضعيفة» رقم (٣٣٦).

(١) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ١٠٧).

(٢) عزاه إليهما السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ١٠٧).
أخرجه الديلمي في «مسنده» رقم (٣١٧٣).

(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٩/ ٥٨٨) بسند ضعيف جدّاً.
الحسن بن دينار متروك، وعلي بن زيد بن جُدعان ضعيف.

(٤) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ١٠٧).

(٥) أخرجه الطبراني في «الكبير» رقم (١٠٢٧٨) وهو حديث منكر؛ قاله الألباني في «السلسلة الضعيفة» رقم (٣٣٤).

(٦) أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢/ ١٥٢)، والحاكم (٢/ ٥٥٩).

(٧) عزاه إليهم السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ١٠٩).
أخرجه البخاري في «تاريخه» (٢/ ٢٩٢)، وابن جرير في «جامع البيان» (١٩/ ٥٨٨)، وابن أبي حاتم كما في «تفسير ابن كثير» (١٢/ ٤٨) قال ابن كثير: وهذا أشبه وأصح.

وأخرج عبد بن حُميد، وابن المنذر، [٣/٤٤٧] والحاكم من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس[١] قال: الذبيح: إسحاق.

وأخرج ابنُ جرير عن ابن عباس[٢] في قوله: ﴿وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ﴾ قال: أكبّه على وجهه.

وأخرج ابنُ المنذر، وابن أبي حاتم عنه[٣] قال: صرعه للذبح.

وأخرج ابنُ جرير، وابن أبي حاتم، وابن مردويه عن عليّ بن أبي طالب[٤] في قوله: ﴿وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾ قال: كبش أعين أبيض أقرن، قد رُبط بسمرة في أصل ثبير.

وأخرج ابنُ أبي شيبة وابن جرير وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن ابن عباس[٥] في قوله: ﴿وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾ قال: كبش قد رعى في الجنة أربعين خريفاً.

وأخرج عبد بن حميد[٦] عنه قال: فُدي إسماعيل بكبشين أملحين أقرنين أعينين.

وأخرج عبد الرزاق، وابن جرير، وابن المنذر، والطبراني، وابن مردويه عن ابن عباس[٧]: أن رجلاً قال: نذرت لأنحر نفسي، فقال ابن عباس: لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة ثم تلا: ﴿وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾، فأمره بكبش فذبحه.

---

(١) عزاه إليهم السيوطي في «الدر المنثور» (٧/١٠٩).
أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٢/٥٥٨).

(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٩/ ٥٨٥) بسند ضعيف.

(٣) عزاه إليهما السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ١١١).

(٤) عزاه إليهم السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ١١١).
أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٩/ ٦٠٠ ـ ٦٠١) من طريق ابن جريج عن عطاء بن أبي رباح عن ابن عباس.

(٥) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٩/ ٦٠٤) من طريق عبد الله بن عيسى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس.

(٦) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ١١١).

(٧) عزاه إليهم السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ١١٤).
أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٩/ ٦٠١)، وعبد الرزاق في «المصنف» رقم (١٥٩٠٤)، والطبراني في «الكبير» رقم (١١٤٤٣)، وفي «الأوسط» رقم (٢٠٨) من طريق عكرمة عن ابن عباس.

وأخرج الطبراني[(١)] من طريق أخرى عنه نحوه.

وأخرج ابن جرير[(٢)] عنه أيضاً في قوله: ﴿وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ قال: إنما بشر به نبيّاً حين فداه الله من الذبح، ولم تكن البشارة بالنبوّة عند مولده.

وبما سقناه من الاختلاف في الذبيح هل هو إسحاق أو إسماعيل؟ وما استدل به المختلفون في ذلك تعلم أنه لم يكن في المقام ما يوجب القطع أو يتعين رجحانه تعيناً ظاهراً، وقد رجح كل قول طائفة من المحققين المنصفين كابن جرير[(٣)]، فإنه رجح أنه إسحاق، ولكنه لم يستدل على ذلك إلا ببعض مما سقناه ها هنا، وكابن كثير[(٤)] فإنه رجح أنه إسماعيل، وجعل الأدلة على ذلك أقوى وأصح، وليس الأمر كما ذكره، فإنها إن لم تكن دون أدلة القائلين بأن الذبيح إسحاق لم تكن فوقها ولا أرجح منها، ولم يصح عن رسول الله ﷺ في ذلك شيء.

وما روي عنه، فهو إما موضوع أو ضعيف جدّاً، ولم يبق إلا مجرّد استنباطات من القرآن كما أشرنا إلى ذلك فيما سبق، وهي محتملة، ولا تقوم حجة بمحتمل، فالوقف هو الذي لا ينبغي مجاوزته، وفيه السلامة من الترجيح بلا مرجح ومن الاستدلال بما هو محتمل.

[طرف من قصة موسى وهارون]:

﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١١٤﴾ وَنَجَّيْنَٰهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١١٥﴾ وَنَصَرْنَٰهُمْ فَكَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿١١٦﴾ وَءَاتَيْنَٰهُمَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلْمُسْتَبِينَ ﴿١١٧﴾ وَهَدَيْنَٰهُمَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١١٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١١٩﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢١﴾ إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٢﴾﴾.

---

(١) أخرجه الطبراني في «الكبير» رقم (١١٩٩٥).
(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٩/٦٠٧) من طريق ابن عُلية، به.
(٣) في «جامع البيان» (١٩/٥٩٨ ـ ٥٩٩).
(٤) في «تفسيره» (١٢/٣٧ ـ ٣٨) وهو الراجح لقوة الأدلة وصحتها.

[طرف من قصة إلياس]:

﴿وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ
أَحْسَنَ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٢٥﴾ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٢٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِلَّا
عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٢٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١٢٩﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلْ يَاسِينَ ﴿١٣٠﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى
ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣١﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ وَإِنَّ لُوطًا لَّمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٣﴾ إِذْ نَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ
﴿١٣٤﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِى ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿١٣٥﴾ ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿١٣٦﴾ وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾ وَبِٱلَّيْلِ
أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٣٨﴾﴾.

[قصة يونس عليه السلام]:

﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾ إِذْ أَبَقَ إِلَى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١٤٠﴾ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ
﴿١٤١﴾ فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٤٢﴾ فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ
يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾ فَنَبَذْنَٰهُ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴿١٤٥﴾ وَأَنۢبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ ﴿١٤٦﴾ وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ
مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔامَنُوا۟ فَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١٤٨﴾﴾.

لما فرغ سبحانه من ذكر إنجاء الذبيح من الذبح، وما منّ عليه بعد ذلك من النبوّة ذكر ما منّ به على موسى وهارون، فقال: ﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ﴾؛ يعني: بالنبوّة[(١)] وغيرها من النعم العظيمة التي أنعم الله بها عليهما ﴿وَنَجَّيْنَٰهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ﴾ المراد بقومهما هم: المؤمنون من بني إسرائيل، والمراد بالكرب[(٢)] العظيم هو: ما كانوا فيه من استعباد فرعون إياهم وما كان يصيبهم من جهته من البلاء، وقيل: هو الغرق الذي أهلك فرعون وقومه، والأوّل أولى ﴿وَنَصَرْنَٰهُمْ﴾ جاء بضمير الجماعة.

قال الفراء[(٣)]: الضمير لموسى وهارون وقومهما؛ لأن قبله ونجيناهما وقومهما والمراد بالنصر: التأييد لهم على عدوّهم ﴿فَكَانُوا۟﴾ بسبب ذلك ﴿هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ﴾ على

(١) «جامع البيان» (١٩/ ٦٠٩)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٨/ ٨٣).
(٢) «النكت والعيون» (٥/ ٦٣)، و«جامع البيان» (١٩/ ٦٠٩).
(٣) في «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٣٩٠).

عدوّهم بعد أن كانوا تحت أسرهم وقهرهم، وقيل: الضمير في نصرناهم عائد على الاثنين موسى وهارون تعظيماً لهما، والأوّل أولى.

﴿وَءَاتَيْنَٰهُمَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلْمُسْتَبِينَ﴾ المراد بالكتاب: التوراة، والمستبين: البيِّن الظاهر، يقال: استبان كذا؛ أي: صار بيّناً ﴿وَهَدَيْنَٰهُمَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾؛ أي: القيم لا اعوجاج فيه، وهو دين الإسلام، فإنّه الطريق الموصلة إلى المطلوب ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١١٩﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ﴾؛ أي: أبقينا عليهما في الأمم المتأخرة الثناء الجميل، وقد قدّمنا الكلام في السلام، وفي وجه إعرابه بالرفع، وكذلك تقدّم تفسير ﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢١﴾ إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ في هذه السورة.

﴿وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ قال المفسرون: هو نبيّ من أنبياء بني إسرائيل، وقصته مشهورة مع قومه، قيل: وهو إلياس بن يّس من سبط هارون أخي موسى.

قال ابن إسحاق[1]، وغيره: كان إلياس هو القيم بأمر بني إسرائيل بعد يوشع وقيل: هو إدريس، والأوّل أولى.

قرأ الجمهور[2]: «إلياس» بهمزة مكسورة مقطوعة، وقرأ ابن ذكوان[3] بوصلها، ورويت هذه القراءة عن ابن عامر.

وقرأ ابن مسعود[4] والأعمش ويحيى بن وثاب: «وإنّ إدريس لمن المرسلين».

وقرأ أبيّ[5]: «وإن إيليس» بهمزة مكسورة، ثم تحتية ساكنة، ثم لام مكسورة، ثم تحتية ساكنة، ثم سين مهملة مفتوحة ﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ هو ظرف[6] لقوله من المرسلين، أو متعلقاً بمحذوف؛ أي: اذكر يا محمد إذ قال.

(١) «النكت والعيون» (٥/ ٦٤)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٨/ ٨٤).

(٢) «النشر» (٢/ ٣٥٧)، و«التيسير» (ص١٨٧)، و«جامع البيان» (١٩/ ٦١٩)، و«البحر المحيط» (٩/ ١٢٢).

(٣) «البحر المحيط» (٩/ ١٢٢)، و«روح المعاني» (٢٣/ ١٦٦). القراءة بهمزة وصل وجه عن ابن عامر والوجه الآخر كبقية العشرة بقطع الهمزة.

(٤) «القراءات الشاذة» (ص١٢٨)، و«المحتسب» (٢/ ٢٢٤). هي شاذة مخالفة للرسم.

(٥) «روح المعاني» (٢٣/ ١٦٦)، و«البحر المحيط» (٩/ ١٢٢). وهو أيضاً شاذة مخالفة للرسم العثماني.

(٦) «الفريد» (٤/ ١٤٠)، و«التبيان» (٢/ ١٠٩٢).

والمعنى: ألا تتقون عذاب الله؟ ثم أنكر عليهم بقوله: ﴿أَتَدْعُونَ بَعْلًا﴾ هو: اسم لصنم كانوا يعبدونه؛ أي: أتعبدون صنماً وتطلبون الخير منه؟

قال ثعلب[(١)]: اختلف الناس في قوله سبحانه: ﴿بَعْلًا﴾ فقالت طائفة: البعل هنا: الصنم[(٢)]، وقالت طائفة: البعل هنا: ملك، وقال ابن إسحاق[(٣)]: امرأة كانوا يعبدونها.

قال الواحدي[(٤)]: والمفسرون يقولون: ربّاً[(٥)]، وهو بلغة اليمن يقولون للسيد والربّ: البعل[(٦)].

قال النحاس[(٧)]: القولان صحيحان؛ أي: أتدعون صنماً عملتوه ربّاً؟ ﴿وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ﴾؛ أي: وتتركون عبادة أحسن من يقال له: خالق؟ وانتصاب الاسم الشريف في قوله: ﴿اللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ﴾ على أنه بدل[(٨)] من أحسن، هذا على قراءة حمزة[(٩)]، والكسائي، والربيع بن خُثيم، وابن أبي إسحاق، ويحيى بن وثّاب، والأعمش، فإنّهم قرءوا بنصب الثلاثة الأسماء، وقيل: النصب على المدح، وقيل: على عطف البيان، وحكى أبو عبيد: أنَّ النصب على النعت[(١٠)].

---

(١) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٨/ ٨٦).
(٢) قاله عكرمة ومجاهد، «النكت والعيون» (٥/ ٦٤).
وأخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٩/ ٦١٤) بسند حسن عن الضحاك.
وأخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٩/ ٦١٤) بسند صحيح عن ابن زيد.
(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٩/ ٦١٤) بسند ضعيف.
(٤) في «الوسيط» (٣/ ٥٣١).
(٥) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٩/ ٦١٢) عن عكرمة بأسانيد يقوي بعضها بعضاً.
وأخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٩/ ٦١٣) بسند صحيح عن مجاهد.
وأخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٩/ ٦١٣) بسند حسن عن السُّديِّ
(٦) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٩/ ٦١٤) بسند ضعيف عن ابن إسحاق.
(٧) في «إعراب القرآن» (٣/ ٤٣٥).
(٨) «التبيان» (٢/ ١٠٩٣)، و«الفريد» (٤/ ١٤٠)، و«مشكل إعراب القرآن» (٢/ ٢٤٢).
(٩) «النشر» (٢/ ٣٦٠)، و«التيسير» (ص١٨٧)، و«جامع البيان» (١٩/ ٦١٨)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (٢/ ٢٣٨).
(١٠) «التبيان» (٢/ ١٠٩٣)، و«الفريد» (٤/ ١٤٠)، و«مشكل إعراب القرآن» (٢/ ٢٤٢).

قال النحاس(١): وهو غلط، وإنما هو بدل، ولا يجوز النعت؛ لأنه ليس بتحلية، واختار هذه القراءة أبو عبيد(٢) وأبو حاتم(٣).

وقرأ ابن كثير، وأبو عَمْرو، وعاصم، وأبَو جعفر، وشيبة، ونافع بالرفع(٤).

قال أبو حاتم(٥): بمعنى: هو الله ربكم.

قال النحاس(٦): وأولى ما قيل: إنه مبتدأ وخبر بغير إضمار ولا حذف.

وحكي عن الأخفش(٧): أن الرفع أولى وأحسن.

قال ابن الأنباري(٨): مَنْ رفع، أو نصب لم يقف على أحسن الخالقين على جهة التمام؛ لأن الله مترجم عن أحسن الخالقين على الوجهين جميعاً، والمعنى أنه خالقكم وخالق من قبلكم، فهو الذي تحقّ له العبادة ﴿فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ﴾؛ أي: فإنهم بسبب تكذيبه لمحضرون في العذاب.

وقد تقدّم: أن الإحضار المطلق مخصوص بالشرّ ﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾؛ أي: من كان مؤمناً به من قومه، قُرئ بكسر اللام، وفتحها كما تقدّم، والمعنى على قراءة الكسر: أنهم أخلصوا لله؛ وعلى قراءة الفتح: أن الله استخلصهم من عباده.

وقد تقدّم تفسير ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿١٢٩﴾ سَلَامٌ عَلَىٰ إِلْ يَاسِينَ﴾ قرأ(٩) نافع، وابن عامر، والأعرج، وشيبة على «آل ياسين» بإضافة آل بمعنى: آل ياسين، وقرأ الباقون(١٠) بكسر الهمزة، وسكون اللام موصولة بياسين إلا الحسن(١١)، فإنه قرأ:

---

(١) في «إعراب القرآن» (٣/ ١١٧).
(٢) ذكره أبو حيان في «البحر المحيط» (٩/ ١٢٢)، والنحاس في «إعراب القرآن» (٣/ ١١٧).
(٣) ذكره النحاس في «إعراب القرآن» (٣/ ١١٧).
(٤) «روح المعاني» (٢٣/ ١٦٤)، و«التيسير» (ص١٨٧)، و«جامع البيان» (١٩/ ٦١٨). هما قراءتان متواترتان وصواب العزو: قرأ الكوفيون عدا شعبة عن عاصم بنصب الأسماء الثلاثة وقرأ شعبة وباقي العشرة برفعها.
(٥) ذكره النحاس في «إعراب القرآن» (٣/ ١١٧).
(٦) في «إعراب القرآن» (٣/ ١١٧).
(٧) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٨/ ٨٧).
(٨) في «إيضاح الوقف والابتداء» (٢/ ٨٥٩).
(٩) «جامع البيان» (١٩/ ٦١٩)، و«التيسير» (ص١٨٧)، و«التبيان» (٢/ ١٠٩٣)، و«زاد المسير» (٧/ ٨٢).
(١٠) انظر: المصادر المتقدمة. هما قراءتان متواترتان وقراءة الحسن شاذة.
(١١) «المحتسب» (٢/ ٢٢٣)، و«جامع البيان» (١٩/ ٦١٩)، و«البحر المحيط» (٩/ ١٢٢).

«الياسين» بإدخال آلة التعريف على ياسين، قيل: المراد على هذه القراءات كلها إلياس، وعليه وقع التسليم، ولكنه اسم أعجمي، والعرب تضطرب في هذه الأسماء الأعجمية، ويكثر تغييرهم لها.

قال ابن جنّي(١): العرب تتلاعب بالأسماء الأعجمية تلاعباً؛ فياسين، وإلياس، وإلياسين شيء واحد.

قال الأخفش(٢): العرب تسمي قوم الرجل باسم الرجل الجليل منهم، فيقولون المهالبة على أنهم سموا كل رجل منهم بالمهلب. قال: فعلى هذا إنه سمي كل رجل منهم بالياسين.

قال الفراء(٣): يذهب بالياسين إلى أن يجعله جمعاً، فيجعل أصحابه داخلين معه في اسمه.

قال أبو عليّ الفارسي(٤): تقديره: الياسيين إلا أن الياءين للنسبة حذفتا كما حذفتا في الأشعرين والأعجمين. ورجح الفرّاء(٥)، وأبو عبيدة(٦) قراءة الجمهور قالا: لأنه لم يقل في شيء من السور على آل فلان، إنما جاء بالاسم كذلك الياسين؛ لأنه إنما هو بمعنى: إلياس، أو بمعنى: إلياس وأتباعه.

وقال الكلبي(٧): المراد بآل ياسين: آل محمد.

قال الواحدي(٨): وهذا بعيد؛ لأن ما بعده من الكلام وما قبله لا يدلّ عليه.

وقد تقدّم تفسير ﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الصافات: ٨٠، ٨١] مستوفى.

﴿وَإِنَّ لُوطًا لَّمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ قد تقدّم ذكر قصة لوط مستوفاة ﴿إِذْ نَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ﴾ الظرف متعلق بمحذوف هو اذكر، ولا يصح تعلقه بالمرسلين؛ لأنه لم يرسل وقت تنجيته ﴿إِلَّا عَجُوزًا فِى ٱلْغَٰبِرِينَ﴾ قد تقدم أن الغابر يكون بمعنى: الماضي،

---

(١) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٨/ ٨٨).
(٢) ذكره النحاس في «إعراب القرآن» (٣/ ٤٣٧).
(٣) في «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٣٩١). (٤) في «الحجة» (٦/ ٦١).
(٥) في «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٣٩١). (٦) في «مجاز القرآن» (٢/ ١٧٢).
(٧) ذكره السُّهيلي في «التعريف والإعلام» (ص١٤٨) دون نسبة.
ونسبه الواحدي في «الوسيط» (٣/ ٥٣٢) إلى الكلبي في تفسيره.
(٨) في «الوسيط» (٣/ ١٥٣٢).

ويكون بمعنى: الباقي، فالمعنى: إلا عجوزاً في الباقين في العذاب، أو الماضين الذين قد هلكوا ﴿ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْآخَرِينَ﴾؛ أي: أهلكناهم بالعقوبة[1].

والمعنى: أنّ في نجاته وأهله جميعاً إلا العجوز وتدمير الباقين من قومه الذين لم يؤمنوا به دلالة بيّنة على ثبوت كونه من المرسلين ﴿وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ﴾ خاطب بهذا العرب أو أهل مكة على الخصوص؛ أي: تمرون على منازلهم التي فيها آثار العذاب وقت الصباح ﴿وَبِٱلَّيْلِ﴾، والمعنى: تمرون على منازلهم في ذهابكم إلى الشام ورجوعكم منه نهاراً وليلاً ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ ما تشاهدونه في ديارهم من آثار عقوبة الله النازلة بهم، فإنّ في ذلك عبرةً للمعتبرين وموعظة للمتدبرين؟.

﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ يونس هو: ذو النون، وهو: ابن متّى.

قال المفسرون[2]: وكان يونس قد وعد قومه العذاب، فلما تأخر عنهم العذاب خرج عنهم، وقصد البحر، وركب السفينة، فكان بذهابه إلى البحر كالفار من مولاه، فوصف بالإباق، وهو معنى قوله: ﴿إِذْ أَبَقَ إِلَى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ﴾ وأصل الإباق[3]: الهرب من السيد، لكن لما كان هربه من قومه بغير إذن ربه وصف به.

وقال المبرد[4]: تأويل أبق: تباعد؛ أي: ذهب إليه، ومن ذلك قولهم: عبد آبق.

وقد اختلف[5] أهل العلم هل كانت رسالته قبل التقام الحوت إياه أو بعده [٣/٤٤٨]؟ ومعنى المشحون: المملوء ﴿فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ﴾ المساهمة: أصلها المغالبة، وهي: الاقتراع، وهو: أن يخرج السهم على من غلب.

قال المبرد[6]: أي: فقارع. قال: وأصله من السهام التي تجال.

ومعنى: ﴿فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ﴾: فصار من المغلوبين. قال: يقال: دحَضَتْ حُجَّته، وأدحضَها الله، وأصله من الزَّلَق عن مقام الظَفَر، ومنه قول الشاعر:

---

(١) «جامع البيان» (١٩/ ٦٢٢ ـ ٦٢٣).
(٢) «الوسيط» للواحدي (٣/ ٥٣٢).
(٣) «تهذيب اللغة» (٩/ ٣٤٩)، و«مفردات ألفاظ القرآن» (ص٥٩).
(٤) ذكره النحاس في «إعراب القرآن» (٣/ ٤٢٧).
(٥) «الجامع لأحكام القرآن» (١٨/ ٩٢)، و«جامع البيان» (١٩/ ٦٣٩).
(٦) ذكره النحاس في «إعراب القرآن» (٣/ ٤٣٩).

قتلنا المُدحضينَ بكلِّ فَجٍّ فَقَد قَرَّتْ بقتلهمُ العُيُونُ[(١)]

أي: المغلوبين ﴿فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ﴾ يقال: لقمت اللقمة، والتقمتها: إذا ابتلعتها؛ أي: فابتلعه الحوت، ومعنى: ﴿وَهُوَ مُلِيمٌ﴾: وهو مستحق للّوم. يقال: رجل مُليم: إذا أتى بما يلام عليه.

وأما الملوم، فهو: الذي يلام سواء أتى بما يستحق أن يلام عليه أم لا، وقيل: المُليم المعيب، يقال: ألام الرجل إذا عمل شيئاً صار به معيباً.

ومعنى هذه المساهمة: أنّ يونس لما ركب السفينة احتبست. فقال الملاحون: ها هنا عبد أبَقَ من سيده، وهذا رسم السفينة إذا كان فيها آبق لا تجري فاقترعوا، فوقعت القرعة على يونس، فقال: أنا الآبق وزجّ نفسه في الماء.

قال سعيد بن جبير[(٢)]: لما استهموا جاء حوت إلى السفينة فاغراً فاه ينتظر أمر ربِّه حتى إذا ألقى نفسه في الماء أخذه الحوت ﴿فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ﴾؛ أي: الذاكرين لله أو المصلين له ﴿لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾؛ أي: لصار بطن الحوت له قبراً إلى يوم البعث، وقيل: للبث في بطنه حيّاً.

واختلف المفسرون[(٣)] كم أقام في بطن الحوت؟ فقال السدي[(٤)]، والكلبي، ومقاتل بن سليمان[(٥)]: أربعين يوماً.

وقال الضحاك[(٦)]: عشرين يوماً.

وقال عطاء: سبعة أيام.

وقال مقاتل بن حيان: ثلاثة أيام.

وقيل: ساعة واحدة[(٧)]. وفي هذه الآية ترغيب في ذكر الله، وتنشيط للذاكرين له.

---

(١) نسبه الماوردي في «تفسيره» (٥/ ٦٧) إلى أبي قيس.
(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٦/ ٣٧٥، ٣٧٦) وقد تقدم.
(٣) «الجامع لأحكام القرآن» (١٨/ ٩٥)، و«روح المعاني» (٢٣/ ١٧٣).
(٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٩/ ٦٣١) بسند حسن.
(٥) ذكره عنهم البغوي في «تفسيره» (٧/ ٦١).
(٦) ذكر هذه الأقوال البغوي في «تفسيره» (٧/ ٦١).
(٧) ذكر هذه الأقوال البغوي في «تفسيره» (٧/ ٦١).

﴿فَنَبَذْنَهُ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ سَقِيمٌ﴾ النبذ[١]: الطرح، والعراء.

قال ابن الأعرابي[٢]: هو: الصحراء.

وقال الأخفش[٣]: الفضاء.

وقال أبو عبيدة[٤]: الواسع من الأرض.

وقال الفراء[٥]: المكان الخالي. وروي عن أبي عبيدة[٦] أيضاً أنه قال: هو وجه الأرض، وأنشد لرجل من خزاعة:

ورَفَعتُ رِجْلاً لا أخافُ عِثَارَها ... ونبذتُ بالبَلد العَرَاء ثِيابي[٦]

والمعنى: أنّ الله طرحه من بطن الحوت في الصحراء الواسعة التي لا نبات فيها، وهو عند إلقائه سقيم لما ناله في بطن الحوت من الضرر، قيل: صار بدنه كبدن الطفل حين يولد.

وقد استشكل بعض المفسرين الجمع بين ما وقع هنا من قوله: ﴿فَنَبَذْنَهُ بِٱلْعَرَآءِ﴾، وقوله في موضع آخر: ﴿لَّوْلَآ أَن تَدَارَكَهُۥ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ لَنُبِذَ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ﴾ [القلم: ٤٩] فإن هذه الآية تدل على أنّه لم ينبذ بالعراء.

وأجاب النحاس[٧]، وغيره بأنّ الله سبحانه أخبر ها هنا: أنه نبذ بالعراء، وهو غير مذموم، ولولا رحمته ﷻ لنبذ بالعراء، وهو مذموم.

﴿وَأَنۢبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ﴾؛ أي: شجرة فوقه تظلل عليه، وقيل: معنى عليه: عنده، وقيل: معنى عليه: له. واليقطين هي: شجرة الدبّاء.

وقال المبرد[٨]: اليقطين يقال: لكل شجرة ليس لها ساق، بل تمتد على وجه الأرض نحو الدبّاء، والبطيخ، والحَنْظل، فإن كان لها ساق يقلها، فيقال لها: شجرة

---

(١) «تهذيب اللغة» (١٤/ ٤٤١)، و«مفردات ألفاظ القرآن» (ص٧٨٨).
(٢) «ياقوتة الصراط» (ص٤٣٢).
(٣) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٨/ ١٠٢).
(٤) في «مجاز القرآن» (٢/ ١٧٥).
(٥) «معاني القرآن» للنحاس (٦/ ٥٧).
(٦) في «مجاز القرآن» (٢/ ١٧٥).
(٧) في «إعراب القرآن» (٣/ ٤٤٠).
(٨) ذكره النحاس في «إعراب القرآن» (٣/ ٤٤٠).

فقط، وهذا قول الحسن[١]، ومقاتل[٢]، وغيرهما. وقال سعيد بن جبير[٣]: هو كل شيء ينبت، ثم يموت من عامه.

قال الجوهري[٤]: اليقطين: ما لا ساق له من شجر كشجر القرع ونحوه. قال الزجاج[٥]: اشتقاق اليقطين من قطن بالمكان؛ أي: أقام به، فهو يفعيل، وقيل: هو: اسم أعجمي.

قال المفسرون[٦]: كان يستظل بظلها من الشمس، وقيض الله له أروية من الوحش تروح عليه بكرة وعشية، فكان يشرب من لبنها حتى اشتد لحمه، ونبت شعره، ثم أرسله الله بعد ذلك.

وهو معنى قوله: ﴿وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾ هم قومه الذين هرب منهم إلى البحر، وجرى له ما جرى بعد هربه كما قصّه الله علينا في هذه السورة، وهم: أهل نينوى. قال قتادة: أُرسل إلى أهل نينوى مِنْ أرض الموصل.

وقد مر الكلام على قصته في سورة يونس مستوفى، «وأو» في أو يزيدون قيل: هي بمعنى: الواو، والمعنى: ويزيدون. وقال الفراء[٧]: أو ها هنا بمعنى: بَلْ، وهو قول مقاتل[٨]، والكلبي.

وقال المبرد[٩]، والزجاج[١٠]، والأخفش[١١]: أو هنا على أصله، والمعنى: أو يزيدون في تقديركم إذا رآهم الرائي قال: هؤلاء مائة ألف، أو يزيدون، فالشك إنما دخل على حكاية قول المخلوقين.

قال مقاتل[١٢]، والكلبي: كانوا يزيدون عشرين ألفاً.

---

(١) ذكره البغوي في «تفسيره» (٧/ ٦١). (٢) ذكره البغوي في «تفسيره» (٧/ ٦١).
(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٩/ ٦٣٣) بسند صحيح.
(٤) في «الصحاح»: (قطن). (٥) في «معاني القرآن وإعرابه» (٤/ ٣١٤).
(٦) ذكره الواحدي في «الوسيط» (٣/ ٥٣٣).
(٧) في «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٣٩٣).
(٨) ذكره عنهما النحاس في «إعراب القرآن» (٣/ ٤٤٣).
(٩) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٨/ ١٠٧)، والنحاس في «إعراب القرآن» (٣/ ٤٤٣).
(١٠) في «معاني القرآن وإعرابه» (٤/ ٣١٤).
(١١) في «معاني القرآن» للأخفش (٢/ ٦٦٩).
(١٢) ذكره عنهما البغوي في «تفسيره» (٧/ ٦١).

وقال الحسن[1]: بضعاً وثلاثين ألفاً.

وقال سعيد بن جبير[2]: سبعين ألفاً.

وقرأ جعفر[3] بن محمد، و«يزيدون» بدون ألف الشك.

وقد وقع الخلاف بين المفسرين[4] هل هذا الإرسال المذكور هو الذي كان قبل التقام الحوت له، وتكون الواو في: وأرسلناه لمجرد الجمع بين ما وقع له مع الحوت، وبين إرساله إلى قومه من غير اعتبار تقديم ما تقدم في السياق، وتأخير ما تأخر، أو هو إرسال له بعد ما وقع له مع الحوت ما وقع على قولين؟

وقد قدمنا الإشارة إلى الاختلاف بين أهل العلم هل كان قد أرسل قبل أن يهرب من قومه إلى البحر، أو لم يرسل إلا بعد ذلك؟

والراجح[5]: أنّه كان رسولاً قبل أن يذهب إلى البحر كما يدل عليه ما قدمنا في سورة يونس، وبقي مستمراً على الرسالة، وهذا الإرسال المذكور هنا هو بعد تقدم نبوته، ورسالته.

﴿فَآمَنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾؛ أي: وقع منهم الإيمان بعد ما شاهدوا أعلام نبوته، فمتعهم الله في الدنيا إلى حين انقضاء آجالهم ومنتهى أعمارهم.

وقد أخرج عبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن عساكر عن ابن مسعود[6] قال: إلياس هو: إدريس.

وأخرج عبد بن حميد، وابن جرير عن قتادة[7] مثله.

---

(١) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٨/ ١٠٨).

(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٩/ ٦٣٧) بسند صحيح.

(٣) «المحتسب» (٢/ ٢٢٦)، و«البحر المحيط» (٩/ ١٢٥)، و«روح المعاني» (٢٣/ ١٧٨). هي قراءة شاذة.

(٤) «جامع البيان» (١٩/ ٦٣٩)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٨/ ٩٢ ـ ٩٣).

(٥) «جامع البيان» (١٩/ ٦٣٩)، و«روح المعاني» (٢٣/ ١٦٧).

(٦) أخرجه عبد بن حميد كما في «فتح الباري» (٦/ ٣٧٣)، و«تغليق التعليق» (٤/ ٩)، وابن جرير في «جامع البيان» (٩/ ٣٨٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٣٣٦)، وابن عساكر في «تاريخه» (٩/ ٢٠٧).

(٧) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٩/ ٦١٢) بسند صحيح.

وأخرج ابن مردويه[١] عن ابن عباس قال: قال ﷺ: «الخضر هو: إلياس».

وأخرج الحاكم وصححه، والبيهقي في «الدلائل» وضعّفه عن أنس[٢] قال: «كنا مع رسول الله ﷺ في سفر، فنزل منزلاً، فإذا رجل في الوادي يقول: اللَّهُمَّ اجعلني من أمة محمد ﷺ المرحومة المغفورة المثاب لها، فأشرفتُ على الوادي، فإذا طوله ثمانون ذراعاً وأكثر، فقال: مَنْ أنت؟ فقلتُ: أنس خادم رسول الله ﷺ، فقال: أين هو؟ فقلت: هو ذا يسمع كلامك، قال: فأته، وأقرئه مني السلام، وقل له: أخوك إلياس يُقرئك السلام، فأتيتُ النبي ﷺ، فأخبرته، فجاء حتى عانقه، وقعدا يتحدّثان، فقال له: يا رسول الله إنّي إنما آكل في كلّ سنة يوماً، وهذا يوم فطري، فآكل أنا وأنت، فنزلت عليهما المائدة من السماء خبز وحوت وكرفس، فأكلا، وأطعماني، وصلَّيا العصر، ثم ودّعه، ثم رأيته مرّ على السحاب نحو السماء». قال الذهبي متعقباً لتصحيح الحاكم له: بل موضوع قبّح الله من وضعه.

وأخرج عبد بن حميد، وابن جرير عن ابن عباس[٣] في قوله: ﴿أَتَدْعُونَ بَعْلًا﴾ قال: صنماً.

وأخرج ابن أبي حاتم، والطبراني، وابن مردويه عنه[٤] في قوله: ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلْ يَاسِينَ﴾ قال: نحن آل محمد آل ياسين.

وأخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم عن ابن عباس[٥] قال: بعث الله يونس إلى أهل قريته، فردّوا عليه ما جاءهم به، فامتنعوا منه، فلما فعلوا ذلك أوحى الله إليهم إني مرسل عليهم العذاب في يوم كذا، وكذا. فاخرج من بين أظهرهم، فأعلم قومه الذي وعد الله من عذابه إياهم، فقالوا: ارمقوه، فإن خرج من بين أظهركم، فهو والله كائن ما وعدكم، فلما كانت الليلة التي وعُدوا بالعذاب في صبيحتها أدلج فرآه

---

(١) أخرجه ابن مردويه كما في «الإصابة» (١/ ١١٠). وهو حديث ضعيف، «ضعيف الجامع» رقم (٩٤١).

(٢) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٢/ ٦١٧)، والبيهقي في «الدلائل» (٥/ ٤٢١، ٤٢٢)، صححه الحاكم وتعقبه الذهبي بقوله: بل موضوع قبح الله من وضعه.

(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٩/ ٢١٣ ـ ٢١٤).

(٤) عزاه إليهم السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ١٢٠).

(٥) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٦/ ٣٧٥).

القوم فحذروا، فخرجوا من القرية إلى براز مِنْ أرضهم، وفرّقوا بين كلّ دابة وولدها، ثم عجّوا إلى الله وأنابوا واستقالوا، فأقالهم الله، وانتظر يونس الخبر عن القرية وأهلها حتى مرّ به مارّ، فقال: ما فعل أهل القرية؟ قال: إن نبيّهم لما خرج من بين أظهرهم عرفوا أنّه قد صدقهم ما وعدهم من العذاب، فخرجوا من قريتهم إلى براز من الأرض، ثم فرّقوا بين كلّ ذات ولد وولدها، ثم عجُّوا إلى الله وتابوا إليه فتقبل منهم، وأخرّ عنهم العذاب، فقال يونس عند ذلك: لا أرجع إليهم كذّاباً أبداً، ومضى على وجهه، وقد قدّمنا الكلام على قصته، وما روي فيها في سورة يونس، فلا نكرره.

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، والبيهقي عن ابن عباس(١)، في قوله: ﴿فَسَاهَمَ﴾ قال: اقترع ﴿فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ﴾ قال: المقروعين.

وأخرج ابن أبي شيبة، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عنه(٢) في قوله: ﴿وَهُوَ مُلِيمٌ﴾ قال: مسيء.

وأخرج عبد الرزاق، والفريابي، وأحمد في «الزهد»، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عنه(٣) في قوله: ﴿فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ﴾ قال: من المصلِّين.

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عنه(٤) أيضاً: ﴿فَنَبَذْنَٰهُ بِٱلْعَرَآءِ﴾ قال: ألقيناه بالساحل.

وأخرج هؤلاء(٥) عنه أيضاً: ﴿شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ﴾ قال: القرع.

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٩/ ٦٢٥ ـ ٦٢٦)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (١٠/ ٢٨٧) بسند صحيح.

(٢) عزاه إليهم السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ١٢٥).

(٣) عزاه إليهم السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ١٢٥).
أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢/ ١٥٥)، وابن جرير في «جامع البيان» (١٩/ ٦٢٩) من طريق أبي رزين عن ابن عباس.

(٤) عزاه إليهم السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ١٢٥).
أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٩/ ٦٣٢) بسند صحيح.

(٥) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٩/ ٦٣٤) بسند صحيح.

وأخرج ابن أبي شيبة، وابن المنذر من طريق سعيد بن جبير عنه[١] أيضاً قال: اليقطين كلّ شيء يذهب على وجه الأرض.

وأخرج أحمد في «الزهد»، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن مردويه عنه[٢] أيضاً قال: إنما كانت رسالة يونس بعد ما نبذه الحوت، ثم تلا: ﴿فَنَبَذْنَهُ بِالْعَرَآءِ﴾ إلى قوله: ﴿وَأَرْسَلْنَهُ إِلَىٰ مِائَةِ أَلْفٍ﴾.

وقد تقدّم عنه ما يدلّ على أن رسالته كانت من قبل ذلك، وليس في الآية: ما يدلّ على ما ذكره كما قدّمنا.

وأخرج الترمذي، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه عن أبيّ بن كعب[٣] قال: سألت رسول الله عن قول الله: ﴿وَأَرْسَلْنَهُ إِلَىٰ مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾ قال: يزيدون عشرين ألفاً. قال الترمذي: غريب.

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن ابن عباس[٤] قال: يزيدون ثلاثين ألفاً.

وروي عنه[٥] أنهم يزيدون بضعة وثلاثين ألفاً.

وروي عنه[٦]: أنهم يزيدون بضعة وأربعين ألفاً، ولا يتعلق بالخلاف في هذا كثير فائدة [٣/٤٤٩].

﴿فَاسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ ﴿١٤٩﴾ أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَـٰئِكَةَ إِنَـٰثًا وَهُمْ شَـٰهِدُونَ ﴿١٥٠﴾ أَلَآ إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَـٰذِبُونَ ﴿١٥٢﴾ أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ ﴿١٥٣﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿١٥٤﴾ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٥﴾ أَمْ لَكُمْ سُلْطَـٰنٌ مُّبِينٌ ﴿١٥٦﴾ فَأْتُوا بِكِتَـٰبِكُمْ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿١٥٧﴾

---

(١) عزاه إليهم السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ١٣١).
(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٩/ ٦٣٩) من طريق شهر بن حوشب عن ابن عباس.
(٣) أخرجه الترمذي رقم (٣٢٢٩)، وابن جرير في «جامع البيان» (١٩/ ٦٣٧) وهو حديث ضعيف.
(٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٩/ ٦٣٧).
(٥) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٩/ ٦٣٧)، وابن أبي الدنيا في «العقوبات» رقم (١٧٤).
(٦) عزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ١٣٢) إلى ابن أبي حاتم.

وَجَعَلُوا۟ بَيْنَهُۥ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ نَسَبًا ۚ وَلَقَدْ عَلِمَتِ ٱلْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٥٨﴾ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا
عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٠﴾ فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ ﴿١٦١﴾ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَٰتِنِينَ ﴿١٦٢﴾ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ ٱلْجَحِيمِ
﴿١٦٣﴾ وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴿١٦٤﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ ﴿١٦٦﴾ وَإِن كَانُوا۟
لَيَقُولُونَ ﴿١٦٧﴾ لَوْ أَنَّ عِندَنَا ذِكْرًا مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٦٨﴾ لَكُنَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٩﴾ فَكَفَرُوا۟ بِهِۦ ۖ فَسَوْفَ
يَعْلَمُونَ ﴿١٧٠﴾ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ
ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٤﴾ وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٥﴾ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٧٦﴾ فَإِذَا نَزَلَ
بِسَاحَتِهِمْ فَسَآءَ صَبَاحُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿١٧٧﴾ وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٨﴾ وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٩﴾ سُبْحَٰنَ
رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾ ﴾.

لما كانت قريش، وقبائل من العرب يزعمون: أن الملائكةَ بناتُ الله، أمر الله سبحانه رسولَه ﷺ باستفتائهم على طريقة التقريع[(١)]، والتوبيخ، فقال: ﴿فَٱسْتَفْتِهِمْ﴾ يا محمد؛ أي: استخبرهم ﴿أَلِرَبِّكَ ٱلْبَنَاتُ وَلَهُمُ ٱلْبَنُونَ﴾؛ أي: كيف يجعلون لله على تقدير صدق ما زعموه من الكذب أدنى الجنسين وأوضعهما، وهو: الإناث، ولهم أعلاهما وأرفعهما، وهم: الذكور؟ وهل هذا إلا حيف في القسمة لضعف عقولهم، وسوء إدراكهم؟ ومثله قوله: ﴿أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢١﴾ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ﴾ [النجم: ٢١، ٢٢].

ثم زاد في توبيخهم، وتقريعهم فقال: ﴿أَمْ خَلَقْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِنَٰثًا وَهُمْ شَٰهِدُونَ﴾ فأضرب عن الكلام الأوّل إلى ما هو أشدّ منه في التبكيت[(٢)]، والتهكم بهم؛ أي: كيف جعلوهم إناثاً، وهم لم يحضروا عند خلقنا لهم؟ وهذا كقوله: ﴿وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا ۚ أَشَهِدُوا۟ خَلْقَهُمْ ۚ﴾ [الزخرف: ١٩] فبيّن سبحانه: أن مثل ذلك لا يعلم إلا بالمشاهدة ولم يشهدوا، ولا دلّ دليل على قولهم من السمع، ولا هو مما يدرك بالعقل حتى ينسبوا إدراكه إلى عقولهم.

ثم أخبر سبحانه عن كذبهم، فقال: ﴿أَلَآ إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَدَ ٱللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ فبيّن سبحانه أن قولهم هذا هو من الإفك والافتراء من دون دليل

---

(١) «روح المعاني» (٢٣/ ١٨٠)، و«تفسير أبي السعود» (٥/ ٥٤١).

(٢) «البحر المحيط» (٩/ ١٢٧ ـ ١٢٨)، و«روح المعاني» (٢٣/ ١٨١).

ولا شبهة دليل، فإنّه لم يلد ولم يُولد. قرأ الجمهور(١): «وَلَدَ اللهُ» فعلاً ماضياً مسنداً إلى الله.

وقُرئ بإضافة(٢) ولد إلى الله على أنّه خبر مبتدأ محذوف؛ أي: يقولون الملائكة ولدُ اللهِ، والولد بمعنى: مفعول يستوي فيه المفرد والمثنى والمجموع والمذكر والمؤنث.

ثم كرر سبحانه تقريعهم وتوبيخهم، فقال: ﴿أَصْطَفَى ٱلْبَنَاتِ عَلَى ٱلْبَنِينَ﴾ قرأ الجمهور(٣) بفتح الهمزة على أنها للاستفهام الإنكاري، وقد حذف معها همزة الوصل استغناء بها عنها.

وقرأ نافع(٤) في رواية عنه، وأبو جعفر، وشيبة، والأعمش بهمزة وصل تثبت ابتداء، وتسقط درجاً، ويكون الاستفهام منويّاً قاله الفراء(٥).

وحذف حرفه للعلم به من المقام، أو على أن اصطفى، وما بعده بدل من الجملة المحكية بالقول.

وعلى تقدير عدم الاستفهام والبدل. فقد حكى جماعة من المحققين منهم الفراء(٦): أن التوبيخ يكون باستفهام، وبغير استفهام كما في قوله: ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا﴾ [الأحقاف: ٢٠]، وقيل: هو على إضمار القول ﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ جملتان(٧) استفهاميتان ليس لأحدهما تعلق بالأخرى من حيث الإعراب: استفهمهم أوّلاً: عما استقرّ لهم، وثبت استفهام بإنكار، وثانياً: استفهام تعجب من هذا الحكم الذي حكموا به، والمعنى: أيّ شيء ثبت لكم كيف تحكمون لله بالبنات؟ وهم: القسم الذي تكرهونه. ولكم بالبنين: وهم القسم الذي تحبونه؟ ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾؛ أي: تتذكرون، فحذفت إحدى التاءين.

---

(١) «روح المعاني» (٢٣/ ١٨٢)، و«البحر المحيط» (٩/ ١٢٨).

(٢) «حاشية الشهاب» (٧/ ٢٨٨)، و«روح المعاني» (٢٣/ ١٨٣)، و«البحر المحيط» (٩/ ١٢٨). القراءة بالإضافة الولد الى اللّه قراءة شاذة.

(٣) «جامع البيان» (١٩/ ٦٤٢)، و«النشر» (٢/ ٣٦٠)، و«التبيان» (٢/ ١٠٩٤)، و«البحر المحيط» (٩/ ١٢٦). وهما قراءتان متواترتان.

(٤) انظر: المصادر المتقدمة.

(٥) في «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٣٩٤).

(٦) في «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٣٩٤).

(٧) «الفريد» (٤/ ١٤٤)، و«التبيان» (٢/ ١٠٩٤).

والمعنى: ألا تعتبرون وتتفكرون فتتذكرون بطلان قولكم؟ ﴿أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُّبِينٌ﴾؛ أي: حُجة واضحة ظاهرة على هذا الذي تقولونه، وهو إضراب عن توبيخ إلى توبيخ، وانتقال مِنْ تقريع إلى تقريع. ﴿فَأْتُوا بِكِتَابِكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾؛ أي: فأتوا بحجتكم الواضحة على هذا إن كنتم صادقين فيما تقولونه، أو فأتوا بالكتاب الذي ينطق لكم بالحُجة، ويشتمل عليها.

﴿وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَبًا﴾ قال أكثر المفسرين[١]: إن المراد بالجِنَّة هنا: الملائكة، قيل لهم: جِنَّة لأنهم لا يرون.

وقال مجاهد[٢]: هم بطن من بطون الملائكة يقال لهم: الجِنّة.

وقال أبو مالك[٣]: إنما قيل لهم الجِنَّة لأنهم خزّان على الجنان. والنسب: الصهر.

قال قتادة، والكلبي: قالوا: ـ لعنهم الله ـ إن الله صاهر الجنّ، فكانت الملائكة من أولادهم؛ قالا: والقائل بهذه المقالة اليهود.

وقال مجاهد، والسدّي، ومقاتل: إن القائل بذلك كنانة، وخزاعة قالوا: إن الله خطب إلى سادات الجن، فزوّجوه مِنْ سروات بناتهم، فالملائكة بنات الله من سروات بنات الجن[٤].

وقال الحسن[٥]: أشركوا الشيطان في عبادة الله، فهو النسب الذي جعلوه.

ثم ردّ الله سبحانه عليهم بقوله: ﴿وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ﴾؛ أي: علموا أنّ هؤلاء الكفار الذين قالوا هذا القول يُحضرون[٦] النار، ويعذبون فيها.

وقيل: علمت الجِنَّة إنهم أنفسهم يحضرون للحساب[٧]، والأوّل أولى؛ لأن الإحضار إذا أُطلق، فالمراد العذاب[٨].

---

(١) «الوسيط» (٣/ ٥٣٤)، و«روح المعاني» (٢٣/ ١٨٥ ـ ١٨٦).
(٢) «النكت والعيون» (٥/ ٧١).
(٣) ذكره النحاس في «إعراب القرآن» (٣/ ٤٤٤).
(٤) ذكر هذه الأقوال الماوردي في «تفسيره» (٥/ ٧٠ ـ ٧١).
(٥) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٨/ ١١١).
(٦) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٧١).
(٧) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٩/ ٦٤٦) بسند صحيح.
(٨) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٩/ ٦٤٦) بسند حسن عن السُّدي.

وقيل: المعنى: ولقد علمت الجِنّة إنهم لمحضرون إلى الجنة.

ثم نزّه سبحانه نفسه، فقال: ﴿سُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ أو هو حكاية لتنزيه الملك لله ﷻ عمَّا وصفه به المشركون، والاستثناء في قوله: ﴿إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ منقطع[(١)]، والتقدير: لكن عباد الله المخلصين بريئون عن أن يصفوا الله بشيء من ذلك.

وقد قُرئ بفتح اللام[(٢)]، وكسرها، ومعناهما ما بيَّناه قريباً. وقيل: هو استثناء من المحضرين؛ أي: إنهم يحضرون النار إلا من أخلص، فيكون متصلاً لا منقطعاً، وعلى هذا تكون جملة التسبيح معترضة[(٣)].

ثم خاطب الكفار على العموم، أو كفار مكة على الخصوص، فقال: ﴿فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ ﴿١٦١﴾ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَـٰتِنِينَ﴾؛ أي: فإنكم، وآلهتكم التي تعبدون من دون الله لستم بفاتنين على الله بإفساد عباده، وإضلالهم، و«على» متعلقة بفاتنين.

والواو[(٤)] في: ﴿وَمَا تَعْبُدُونَ﴾ إمّا للعطف على اسم إن، أو هو بمعنى: مع، وما موصولة، أو مصدرية؛ أي: فإنّكم، والذي تعبدون، أو وعبادتكم، ومعنى فاتنين: مُضلّين، يقال: فتنت الرجل، وأفتنته، ويقال: فتنه على الشيء، وبالشيء كما يقال: أضلّه على الشيء وأضلّه به.

قال الفراء[(٥)]: أهلُ الحجاز يقولون: فتنته، وأهل نجد يقولون: أفتنته، ويقال: فَتن فلان على فلان امرأته؛ أي: أفسدها عليه، فالفتنة هنا بمعنى؛ الإضلال والإفساد.

قال مقاتل[(٦)]: يقول: ما أنتم بمُضلين أحداً بآلهتكم إلا من قدَر الله له أن يَصْلى الجحيم.

---

(١) «روح المعاني» (٢٣/ ١٨٧)، و«تفسير أبي السعود» (٥/ ٥٤٣).
(٢) «التيسير» (ص١٢٨)، و«النشر» (٢/ ٢٩٥)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (٢/ ٩ ـ ١٠).
(٣) «البحر المحيط» (٩/ ١٢٨)، و«روح المعاني» (٢٣/ ١٨٧).
(٤) «التبيان» (٢/ ١٠٩٤)، و«الفريد» (٤/ ١٤٤ ـ ١٤٥).
(٥) في «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٣٩٤).
(٦) ذكره الواحدي في «الوسيط» (٣/ ٥٣٤).

«وما» في ﴿مَآ أَنتُمۡ﴾ نافية و﴿أَنتُمۡ﴾ خطاب لهم، ولمن يعبدونه على التغليب(١).

قال الزجاج(٢): أهل التفسير مجمعون فما علمت أن المعنى: ما أنتم بمضلين أحداً إلا مَنْ قدّر الله ﷻ عليه أَنْ يضلّ، ومِنْه قول الشاعر:

فـــردّ بـــفـــتـــنـــتِـــهِ كـــيـــدهُ عـــلـــيـــه وكـــان لـــنـــا فَـــاتِـــنـــا(٣)

أي: مُضلاً.

﴿إِلَّا مَنۡ هُوَ صَالِ ٱلۡجَحِيمِ﴾ قرأ الجمهور(٤): «صالِ» بكسر اللام؛ لأنه منقوص مضاف حذفت الياء لالتقاء الساكنين، وحُمل على لفظ مَنْ، فأفرد كما أفرد هو.

وقرأ الحسن، وابن أبي عبلة بضم(٥) اللام مع واو بعدها.

وروي عنهما: أنهما قرآ بضم اللام(٦) بدون واو. فأما مع الواو فعلى أنّه جَمْعُ سلامةٍ بالواو حملاً على معنى: مَنْ، وحذفت نون الجمع للإضافة، وأما بدون الواو، فيحتمل أن يكون جمعاً، وإنما حذفت الواو خطاً كما حذفت لفظاً، ويحتمل أن يكون مفرداً، وحقه على هذا كسر اللام.

قال النحاس(٧): وجماعةُ أهل التفسير يقولون: إنّه لحن؛ لأنه لا يجوز: هذا قاض المدينة، والمعنى: أن الكفار وما يعبدونه لا يقدرون على إضلال أحد من عباد الله إلا من هو من أهل النار، وهم المصرّون على الكفر، وإنما يصرّ على الكفر من سبق القضاء عليه بالشقاوة، وإنه ممن يصلى النار؛ أي: يدخلها.

ثم قال الملائكة مخبرين للنبي ﷺ كما حكاه الله سبحانه عنهم: ﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٞ مَّعۡلُومٞ﴾، وفي الكلام حذف، والتقدير: وما منا أحد، أو وما منّا مَلَكٌ إلا له مقام معلوم في عبادة الله.

---

(١) «روح المعاني» (٢٣/ ١٨٨)، و«البحر المحيط» (٩/ ١٢٨).
(٢) بل قاله النحاس في «إعراب القرآن» (٣/ ٤٤٥).
(٣) «النكت والعيون» (٥/ ٧٢).
(٤) «البحر المحيط» (٩/ ١٢٩)، و«روح المعاني» (٢٣/ ١٨٧).
(٥) «القراءات الشاذة» (ص١٢٨)، و«البحر المحيط» (٩/ ١٢٩). القراءة بضم الآم مع الواو وبدونها قراءة شاذة.
(٦) «البحر المحيط» (٩/ ١٢٩)، و«النشر» (٢/ ١٣٨).
(٧) في «إعراب القرآن» (٣/ ٤٤٥ ـ ٤٤٦).

وقيل: التقدير: وما منا إلا من له مقام معلوم، رجح البصريون[1] التقدير الأوّل، ورجح[1] الكوفيون الثاني.

قال الزجاج[2]: هذا قول الملائكة، وفيه مضمر. المعنى: وما منا ملك إلا له مقام معلوم. ثم قالوا: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ﴾؛ أي: في مواقف الطاعة.

قال قتادة[3]: هم: الملائكة صفوا أقدامهم. وقال الكلبي[4]: صفوف الملائكة في السماء كصفوف أهل الدنيا في الأرض ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ﴾؛ أي: المنزّهون لله المقدّسون له عمّا أضافه إليه المشركون، وقيل: المصلون، وقيل: المراد بقولهم[5] المسبحون: مجموع التسبيح باللسان وبالصلاة، والمقصود أن هذه الصفات هي: صفات الملائكة، وليسوا كما وصفهم به الكفار من أنهم بنات الله.

﴿وَإِن كَانُوا لَيَقُولُونَ﴾ هذا رجوع إلى الإخبار عن المشركين؛ أي: كانوا قبل المبعث المحمدي إذا عيروا بالجهل قالوا: ﴿لَوْ أَنَّ عِندَنَا ذِكْرًا مِّنَ الْأَوَّلِينَ﴾؛ أي: كتاباً من كتب الأوّلين كالتوراة والإنجيل ﴿لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾؛ أي: لأخلصنا العبادة له ولم نكفر به، و«إن» في قوله: ﴿وَإِن كَانُوا﴾ هي: المخففة[6] من الثقيلة، وفيها ضمير شأن محذوف، واللام هي: الفارقة بينها وبين النافية؛ أي: وإن الشأن كان كفار العرب ليقولون إلخ، والفاء في قوله: ﴿فَكَفَرُوا بِهِ﴾ هي: الفصيحة الدالة على محذوف مُقدّر في الكلام.

قال الفراء[7]: تقديره: فجاءهم مُحمد بالذكر فكفروا به، وهذا على طريق التعجّب منهم ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾؛ أي: عاقبة كفرهم ومغبته، [٤/٢٤٣] وفي هذا تهديد[8] لهم شديد، وجملة: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ﴾ مستأنفة مقرّرة للوعيد، والمراد بالكلمة: ما وعدهم الله به من النصر والظَفَر على الكفار.

---

(١) ذكره النحاس في «إعراب القرآن» (٣/ ٤٤٦).
(٢) في «معاني القرآن وإعرابه» (٤/ ٣١٦).
(٣) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٧٢).
(٤) ذكره الواحدي في «الوسيط» (٣/ ٥٣٥).
(٥) «النكت والعيون» (٥/ ٧٢).
(٦) «الفريد» (٤/ ١٤٦)، و«روح المعاني» (٢٣/ ١٩٤).
(٧) في «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٣٩٥).
(٨) «روح المعاني» (٢٣/ ١٩٤).

قال مقاتل[١]: عنى بالكلمة: قوله سبحانه: ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓ﴾ [المجادلة: ٢١] وقال الفراء[٢]: سبقت كلمتنا بالسعادة لهم، والأولى تفسير هذه الكلمة بما هو مذكور هنا، فإنه قال: ﴿إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ۝١٧٢ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ فهذه هي الكلمة المذكورة سابقاً، وهذا تفسير لها، والمراد بجند الله: حزبه وهم الرسل وأتباعهم.

قال الشيباني[٣]: جاء هنا على الجمع؛ يعني قوله: ﴿لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ من أجل أنّه رأس آية، وهذا الوعد لهم بالنصر، والغلبة لا ينافيه انهزامهم في بعض المواطن، وغلبة الكفار لهم، فإن الغالب في كل موطن هو: انتصارهم على الأعداء، وغلبتهم لهم فخرج الكلام مخرج الغالب[٤]، على أن العاقبة المحمودة لهم على كل حال، وفي كل موطن كما قال سبحانه: ﴿وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الأعراف: ١٢٨، والقصص: ٨٣].

ثم أمر الله سبحانه رسوله بالإعراض عنهم، والإغماض عمّا يصدر منهم من الجهالات والضلالات، فقال: ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ﴾؛ أي: أعرض عنهم إلى مدّة معلومة عند الله سبحانه، وهي: مدة الكف عن القتال.

قال السدّي[٥] ومجاهد: حتى نأمرك بالقتال.

وقال قتادة[٦]: إلى الموت، وقيل: إلى يوم بدر[٧]، وقيل: إلى يوم فتح مكة[٨]، وقيل: هذه الآية منسوخة[٩] بآية السيف ﴿وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ﴾؛ أي: وأبصرهم إذا نزل بهم العذاب بالقتل والأسر، فسوف يبصرون حين لا ينفعهم

---

(١) ذكره الواحدي في «الوسيط» (٣/ ٥٣٥)
(٢) في «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٣٩٥).
(٣) ذكره النحاس في «إعراب القرآن» (٣/ ٤٤٧) وفيه الكسائي بدل الشيباني.
(٤) «روح المعاني» (٢٣/ ١٩٥)، و«تفسير أبي السعود» (٥/ ٥٤٥).
(٥) ذكره الواحدي في «الوسيط» (٣/ ٥٣٥).
(٦) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٩/ ٦٥٨) بسند صحيح.
(٧) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٩/ ٦٥٨) بسند حسن من طريق أسباط عن السُّديِّ.
(٨) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٨/ ١١٧).
(٩) «النكت والعيون» (٥/ ٧٣).

الإبصار[١] وعبّر بالإبصار عَنْ قرب الأمر؛ أي: فسوف يبصرون عن قريب. وقيل: المعنى: فسوف يبصرون العذاب يوم القيامة[٢].

ثم هددهم بقوله سبحانه: ﴿أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ﴾ كانوا يقولون من فرط تكذيبهم: متى هذا العذاب؟

﴿فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ﴾؛ أي: إذا نزل عذاب الله لهم بفنائهم، والساحة في اللغة[٣]: فناء الدار الواسع.

قال الفراء[٤]: نزل بساحتهم ونزل بهم سواء.

قال الزجاج[٥]: وكان عذاب هؤلاء بالقتل، قيل: المراد به نزول رسول الله ﷺ بساحتهم يوم فتح مكة.

قرأ الجمهور[٦]: «نَزَلَ» مبنيّاً للفاعل. وقرأ عبد الله بن مسعود[٧] على البناء للمفعول، والجار والمجرور قائم مقام الفاعل ﴿فَسَآءَ صَبَاحُ ٱلْمُنذَرِينَ﴾؛ أي: بئس صباح الذين أُنذروا بالعذاب، والمخصوص[٨] بالذم محذوف؛ أي: صباحُهم.

وخصّ الصباح بالذكر؛ لأن العذاب كان يأتيهم فيه. ثم كرر سبحانه ما سبق تأكيداً للوعد بالعذاب، فقال: ﴿وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٨﴾ وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ﴾، وحذف مفعول أبصر ها هنا، وذكره أوّلاً إما لدلالة الأوّل عليه، فتركه هنا اختصاراً، أو قصداً إلى التعميم للإيذان بأن ما يبصره من أنواع عذابهم لا يحيط به الوصف.

وقيل: هذه الجملة المراد بها: أحوال القيامة، والجملة الأولى المراد بها: عذابهم في الدنيا، وعلى هذا فلا يكون من باب التأكيد[٩] بل من باب التأسيس.

ثم نزّه سبحانه نفسه عن قبيح ما يصدر منهم، فقال: ﴿سُبْحَـٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٩/ ٦٥٩) بسنده صحيح عن قتادة.
(٢) «النكت والعيون» (٥/ ٧٣)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٨/ ١١٧).
(٣) «تهذيب اللغة» (١١/ ١٤١)، و«الصحاح» (١/ ٣٧٧).
(٤) في «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٣٩٦).
(٥) في «معاني القرآن وإعرابه» (٤/ ٣١٧).
(٦) «البحر المحيط» (٩/ ١٣١)، و«المحرر الوجيز» (١٣/ ٢٦٣).
(٧) «المحتسب» (٢/ ٢٢٩)، و«القراءات الشاذة» (ص١٢٨). القراءة بضم النون على البناء للمفعول شاذة.
(٨) «الجامع لأحكام القرآن» (١٨/ ١١٨)، و«روح المعاني» (٢٣/ ١٩٨).
(٩) «روح المعاني» (٢٣/ ١٩٩).

يَصِفُونَ﴾ العزّة: الغلبة والقوة، والمراد: تنزيهه عن كل ما يصفونه به مما لا يليق بجنابه الشريف، وربّ العزّة بدل من ربك. ثم ذكر ما يدلّ على تشريف رسله وتكريمهم، فقال: ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ﴾؛ أي: الذين أرسلهم إلى عباده، وبلّغوا رسالاتِه، وهو من السلام الذي هو: التحية، وقيل: معناه: أمنٌ لهم وسلامة من المكاره ﴿وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ إرشاد لعباده إلى حمده على إرسال رسله إليهم مبشرين ومنذرين، وتعليم لهم كيف يصنعون عند إنعامه عليهم وما يثنون عليه به.

وقيل: إنه الحمد على هلاك المشركين ونصر الرسل عليهم، والأولى أنه حمد لله سبحانه على كلِّ ما أنعم به على خلقه أجمعين كما يفيده حذف المحمود عليه، فإنّ حذفه مُشْعر بالتعميم[(١)] كما تقرّر في علم المعاني، والحمد هو: الثناء الجميل بقصد التعظيم.

وقد أخرجَ ابنُ جرير[(٢)] عن ابن عباس في قوله: ﴿وَجَعَلُوا۟ بَيْنَهُۥ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ نَسَبًا﴾ قال: زعم أعداء الله أنه تبارك وتعالى هو وإبليس أخوان.

وأخرج ابن أبي حاتم[(٣)] عنه في قوله: ﴿فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ﴾ قال: فإنكم يا معشر المشركين، وما تعبدون؛ يعني: الآلهة ﴿مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَٰتِنِينَ﴾ قال: بمضلين ﴿إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ ٱلْجَحِيمِ﴾ يقول: إلا من سبق في علمي أنه سيصلى الجحيم.

وأخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم عنه[(٤)] أيضاً في الآية يقول: إنكم لا تضلون أنتم ولا أضلّ منكم إلا مَنْ قضيت عليه أنّه صال الجحيم.

وأخرج عبد بن حميد، وابن مردويه عنه[(٥)] أيضاً في الآية قال: لا تفتنون إلا من هو صال الجحيم.

وأخرج عبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن جرير[(٦)] عنه أيضاً في قوله: ﴿وَمَا

---

(١) «تفسير أبي السعود» (٥/٥٤٦)، و«روح المعاني» (٢٣/ ٢٠٠).
(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٩/ ٦٤٤) بسند ضعيف.
(٣) ذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٢٣٢).
(٤) ذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٢٣٢).
وأخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٩/ ٦٤٧)، واللالكائي في «شرح أصول الاعتقاد» رقم (١٠٠٤) بسند صحيح.
(٥) عزاه إليهما السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ١٣٤).
(٦) أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢/ ١٥٨) بسند صحيح من طريق معمر عن قتادة. =

مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾ قال: الملائكة ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ﴾ قال: الملائكة ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ﴾ قال: الملائكة.

وأخرج محمد بن نصر المروزي في كتاب الصلاة، وابن جرير، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، وابن مردويه عن عائشة[1] قال: قال رسول الله ﷺ: «ما في السماء موضع قدم إلا عليه مَلَكٌ ساجد، أو قائم، وذلك قول الملائكة: ﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴿١٦٤﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ﴾».

وأخرج محمد بن نصر، وابن عساكر عن العلاء بن سعد[2]، أن رسول الله ﷺ قال يوماً لأصحابه: «أطت السماء وحُقّ لها أن تئط، ليس فيها موضع قدم إلا عليه ملك راكع أو ساجد، ثم قرأ: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ﴾».

وأخرج عبد الرزاق، والفريابي، وسعيد بن منصور، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والطبراني، والبيهقي في «الشعب» عن ابن مسعود[3] قال: «إن من السمٰوات لسماء ما فيها موضع شبر إلا، وعليه جبهة ملك أو قدماه قائماً أو ساجداً ثم قرأ: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ﴾».

وأخرج الترمذي وحسنه، وابن جرير، وابن مردويه عن أبي ذرّ[4] قال: قال رسول الله ﷺ: «إني أرى ما لا ترون، وأسمع ما لا تسمعون، إن السماء أطت، وحق لها أن تئط، ما فيها موضع أربع أصابع إلا وملك واضع جبهته ساجداً لله».

وقد ثبت في «الصحيح»[5]، وغيره: «أنّ النبي ﷺ أمر الصحابة أن يصفّوا كما

= وأخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٩/ ٦٥٤) بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة.

(١) أخرجه محمد بن نصر في «كتاب الصلاة» رقم (٢٥٣)، وابن جرير في «جامع البيان» (١٩/ ٦٥١)، وأبو الشيخ في «العظمة» رقم (٥١٠) بسند ضعيف. وهو حديث حسن لغيره.

(٢) أخرجه محمد بن نصر في «كتاب الصلاة» رقم (٢٥٥)، وابن عساكر في «تاريخه» رقم (٥٢/ ٣٨١).

(٣) أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢/ ١٥٨)، وابن جرير في «جامع البيان» (١٩/ ٦٥٣)، والطبراني في «الكبير» رقم (٩٠٤٢)، والبيهقي في «الشعب» رقم (١٥٩) بسند صحيح.

(٤) أخرجه الترمذي رقم (٢٣١٢)، وابن ماجه رقم (٤١٩٠) وهو حديث حسن.

(٥) أخرجه مسلم في «صحيحه» رقم (٤٣٠)، وأبو داود رقم (٦٦١)، والنسائي رقم (٨١٥)، وابن ماجه رقم (٩٩٢)، وابن أبي شيبة (١/ ٣٥٣) كلهم من حديث جابر بن سمرة.

تصفّ الملائكة عند ربهم، فقالوا: وكيف تصفّ الملائكة عند ربهم؟ قال: يقيمون الصفوف المقدّمة، ويتراصّون في الصف».

وأخرج ابن جرير، وابن مردويه عن ابن عباس(١) في قوله: ﴿لَوْ أَنَّ عِندَنَا ذِكْرًا مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ قال: لما جاء المشركين من أهل مكة ذكرُ الأوّلين وعلم الآخرين كفروا بالكتاب ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾.

وأخرج البخاري، ومسلم، وغيرهما عن أنس(٢) قال: «صَبَّح رسول الله ﷺ خيبر، وقد خرجوا بالمساحي، فلما نظروا إليه قالوا: محمد والخميس، فقال: الله أكبر خربت خيبر، إنّا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين» الحديث.

وأخرج ابن سعد، وابن مردويه من طريق سعيد، عن قتادة، عن أنس(٣)، أن رسول الله ﷺ قال: «إذا سلَّمتم على المرسلين، فسلِّموا عليّ، فإنما أنا بشر من المرسلين».

وأخرج ابن مردويه(٤) من طريق أبي العوام، عن قتادة، عن أنس مرفوعاً نحوه بأطول منه.

وأخرج سعيد بن منصور، وابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وأبو يعلى، وابن مردويه، عن أبي سعيد(٥)، عن رسول الله ﷺ: أنه كان إذا أراد أن يسلم من صلاته قال: «﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾».

---

(١) عزاه إليهما السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ١٣٩).
أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٩/ ٦٥٦) بسند ضعيف.

(٢) أخرجه أحمد في «مسنده» رقم (١٢٠٨٦، ١٢١٤١، ١٢٢١٧، ١٢٦٧٠، ١٢٦٧٩)، والبخاري في «صحيحه» رقم (٣٧١، ٦١٠، ٢٩٤٥، ٢٩٩١، ٣٦٤٧، ٤١٩٧ ـ ٤٢٠٠، ٥٥٢٨)، ومسلم في «صحيحه» رقم (١٩٤٠).

(٣) عزاه إليهم السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ١٤٠).

(٤) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ١٤٠).

(٥) عزاه إليهم السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ١٤١).
وأخرجه ابن أبي شيبة (١/ ٣٠٣)، وعبد بن حميد رقم (٩٥٤ ـ المنتخب)، وأبو يعلى في «مسنده» رقم (١١١٨) بسند ضعيف.

وأخرج الطبراني[١] عن ابن عباس قال: كنا نعرف انصراف رسول الله ﷺ من الصلاة بقوله: «﴿سُبۡحَٰنَ رَبِّكَ﴾ إلى آخر الآية».

وأخرج الخطيب[٢] نحوه من حديث أبي سعيد.

وأخرج الطبراني[٣] عن زيد بن أرقم، عن رسول الله ﷺ قال: «من قال دبر كل صلاة: ﴿سُبۡحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلۡعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ ثلاث مرات، فقد اكتال بالمكيال الأوفى من الأجر».

وأخرج حميد بن زنجويه في ترغيبه من طريق الأصبغ بن نباتة عن عليّ بن أبي طالب[٤] نحوه.

وإلى هنا انتهى الجزء الثالث[٥] من هذا التفسير المبارك بمعونة الله، المقبول بفضل الله، بقلم مصنّفه الحقير «مُحمّد بن علي الشوكاني غفر الله لهما»، في نهار الخميس الحادي والعشرين مِنْ شهر محرَّم الحَرَام من شهور سنة تسع وعشرين ومائتين وألف من الهجرة النبوية، حامِداً لله شاكراً له مُصلِّياً مسلِّماً على رسوله وآله، ويتلوه إن شاء الله[٦] تفسير سورة ص.

انتهى سماع هذا الجزء على مؤلفه حفِظه الله في يوم الاثنين غرة جمادى الآخر سنة ١٢٣٩هـ.

❁ ❁ ❁

---

(١) أخرجه الطبراني في «الكبير» رقم (١١٢٢١).
قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ١٠٣): فيه محمد بن عبد الله بن عبيد بن عمير وهو متروك.

(٢) أخرجه الخطيب في «تاريخه» (١٣/ ١٣٨).

(٣) أخرجه الطبراني في «الكبير» رقم (٥١٢٤).
قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٣٠٢، ٣٠٣): فيه عبد المنعم بن بشير وهو ضعيف جدّاً.

(٤) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ١٤١).
وأخرجه البغوي في «تفسيره» (٧/ ٦٦) بسند ضعيف جدّاً؛ لأن الأصبغ بن نباتة متروك.

(٥) (من تجزئة المصنف).اهـ. مصححة.

(٦) الجزء الرابع (من تجزئة المؤلف وأوله).اهـ. مصححة.

سُورَةُ صٓ

[سورة «ص» مكية]:

آياتها ست وثمانون وقيل: خمس وثمانون وقيل: ثمان وثمانون آية.

وهي: مكية، قال القرطبي[١]: في قول الجميع.

وأخرج ابن الضريس، والنحاس، وابن مردويه، والبيهقي في «الدلائل» عن ابن عباس[٢] قال: نزلت سورة «صٓ» بمكة.

وأخرج ابن أبي شيبة، وأحمد، وعبد بن حُميد، والترمذي وصححه، والنسائي، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والحاكم وصححه، وابن مردويه، والبيهقي في «الدلائل» عن ابن عباس[٣] قال: «لما مرض أبو طالب دخل عليه رهط من قريش فيهم أبو جهل، فقال: إن ابن أخيك يشتم آلهتنا، ويفعل ويفعلُ ويقول ويقول، فلو بعثتَ إليه، فنهيته، فبعث إليه، فجاء النبي ﷺ، فدخل البيت، وبينهم وبين أبي طالب قدر مجلس رجل، فخشي أبو جهل أن يجلس إلى أَبي طالب، ويكون أرقى عليه، فوثب فجلس في ذلك المجلس، فلم يجد رسول الله ﷺ مجلساً قُرْب عمه، فجلس عند الباب، فقال له أبو طالب: أي ابن أخي ما بال قومك يشكونك؟ يزعمون أنّك تشتم آلهتهم، وتقول وتقول؟ قال: وأكثروا عليه من القول، وتكلم رسول الله ﷺ، فقال: يا عم إنِّي أريدهم على كلمة واحدة يقولونها تدين لهم بها العرب، وتؤدّي إليهم بها العجم الجزية، ففزعوا

---

(١) في «تفسيره» (١٨/ ١٢١).

(٢) أخرجه ابن الضريس رقم (١٧)، والنحاس في «ناسخه» (ص٦٤٣)، والبيهقي في «الدلائل» (٧/ ١٤٣، ١٤٤).

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة (١٤/ ٢٩٩)، وأحمد رقم (٢٠٠٨، ٣٤١٩)، والترمذي رقم (٣٢٣٢)، والنسائي في «الكبرى» رقم (١١٤٣٦، ١١٤٣٧)، وابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/ ١٩)، والحاكم (٢/ ٤٣٢)، وابن أبي حاتم كما في «تخريج أحاديث الكشاف» (٣/ ١٨٥)، وابن مردويه كما في «تخريج الكشاف» (٣/ ١٨٥ ـ ١٨٦)، والبيهقي في «الدلائل» (٢/ ٣٤٥) بسند ضعيف.

لكلمته، ولقوله، فقال القوم: كلمة واحدة؟ نعم، وأبيك عشراً، قالوا: فما هي؟ قال: لا إلٰه إلا الله، فقاموا فزعين ينفضون ثيابهم، وهم يقولون: ﴿أَجَعَلَ ٱلْـَٔالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ﴾ [صٓ: ٥]، فنزل فيهم ﴿صٓ ۚ وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ﴾ إلى قوله: ﴿بَل لَّمَّا يَذُوقُوا۟ عَذَابِ﴾ [صٓ: ١ ـ ٨].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿صٓ ۚ وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ ﴿١﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ﴿٢﴾ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ فَنَادَوا۟ وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ ﴿٣﴾ وَعَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ ۖ وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٤﴾ أَجَعَلَ ٱلْـَٔالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾ وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُوا۟ وَٱصْبِرُوا۟ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ يُرَادُ ﴿٦﴾ مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِى ٱلْمِلَّةِ ٱلْءَاخِرَةِ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ ﴿٧﴾ أَءُنزِلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ مِنۢ بَيْنِنَا ۚ بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِّن ذِكْرِى ۖ بَل لَّمَّا يَذُوقُوا۟ عَذَابِ ﴿٨﴾ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ ٱلْعَزِيزِ ٱلْوَهَّابِ ﴿٩﴾ أَمْ لَهُم مُّلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ فَلْيَرْتَقُوا۟ فِى ٱلْأَسْبَٰبِ ﴿١٠﴾ جُندٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ ٱلْأَحْزَابِ ﴿١١﴾﴾.

قوله: ﴿صٓ﴾ قرأ الجمهور[(١)] بسكون الدال كسائر حروف التهجّي في أوائل السور، فإنّها ساكنة الأواخر على الوقف.

وقرأ أُبيّ بن كعب[(٢)]، والحسن، وابن أبي إسحاق، ونصر بن عاصم، وابن أبي عبلة، وأبو السمّال بكسر الدال من غير تنوين، ووجه الكسر أنه لالتقاء الساكنين، وقيل: وجه الكسر أنّه من صادى يصادي إذا عارض[(٣)].

والمعنى: صاد القرآن بعملك؛ أي: عارضه بعملك، وقابله، فاعمل به، وهذا

---

(١) «جامع البيان» (٢٠/ ٧)، و«زاد المسير» (٧/ ٩٨)، و«البحر المحيط» (٩/ ١٣٥). قراءة العشرة بسكون الصاد لكن أبو جعفر يسكت عليها سكة خفيفة أما الرواية عن أبي عمرو بفتحها فشاذة عنه والمتواتر عنه كقراءة الجمهور أما القراءة بالكسر أو الفتح أو الضم فكلها شاذ. انظر: «النشر» (١/ ٤٢٤) و«تخريج القراءات في فتح القدير» (ص٣٣٢).

(٢) «القراءات الشاذة» (ص١٢٩)، و«المحتسب» (٢/ ٢٣٠)، و«البحر المحيط» (٩/ ١٣٥).

(٣) «جامع البيان» (٢٠/ ٥).

حكاه النحاس[١] عن الحسن البصري[٢]، وقال[٣]: إنه فسر قراءته هذه بهذا، وعنه أن المعنى: أتله، وتعرّض لقراءته.

وقرأ عيسى بن عمر[٤]: صادَ بفتح الدال، والفتح لالتقاء الساكنين، وقيل: نُصب على الإغراء. وقيل: معناه: صادَ محمد[٥] قلوبَ الخلق، واستمالها حتى آمنوا به، ورويت هذه القراءة عَنْ أبي عمرو[٦]، وروي عن ابن أبي إسحاق أيضاً: أنه قرأ: «صادٍ» بالكسر[٧]، والتنوين تشبيهاً لهذا الحرف بما هو غير متمكن من الأصوات.

وقرأ هارون الأعور[٨]، وابن السميفع: «صادُ» بالضم من غير تنوين على البناء نحو منذُ، وحيثُ.

وقد اختلف في معنى «صاد»، فقال الضحاك[٩]: معناه: صدق الله.

وقال عطاء[١٠]: صدق محمد.

وقال سعيد بن جبير[١١]: هو: بَحرٌ يحيي الله به الموتى بين النفختين.

وقال محمد بن كعب[١٢]: هو: مفتاح اسم الله.

وقال قتادة[١٣]: هو: اسم من أسماء الله.

وروي عنه[١٣] أنه قال: هو اسم من أسماء الرحمٰن.

---

(١) في «إعراب القرآن» (٣/ ٤٤٩).
(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/ ٥) من طريق عمرو بن عبيد عن الحسن.
(٣) أي: النحاس في «إعراب القرآن» (٣/ ٤٤٩).
(٤) «القراءات الشاذة» (ص١٢٩)، و«المحتسب» (٢/ ٢٣٠).
(٥) قال الألوسي في «روح المعاني» (٢٣/ ٢٠٧)، ومن الغريب أنّ المعنى صاد محمد ﷺ قلوب الخلق واستمالها. . .، ثم قال: وأنا لا أقول به ولا أرتضيه وجهاً.
(٦) «البحر المحيط» (٩/ ١٣٥).
(٧) «روح المعاني» (٢٣/ ٢٠٦)، و«البحر المحيط» (٩/ ١٣٥).
(٨) «القراءات الشاذة» (ص١٢٩)، و«روح المعاني» (٢٣/ ٢٠٧)، و«البحر المحيط» (٩/ ١٣٥).
(٩) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/ ٧)، من طريق أبي روق عن الضحاك.
(١٠) ذكره البغوي في «تفسيره» (٧/ ٦٩) عن ابن عباس.
(١١) ذكره الألوسي في «روح المعاني» (٢٣/ ٢٠٧) وقال: والله تعالى أعلم بصحة هذا الخبر ـ بتصرف.
(١٢) ذكره البغوي في «تفسيره» (٧/ ٦٩).
(١٣) ذكره النحاس في «معاني القرآن» (٦/ ٧٣).

وقال مجاهد[١]: هو: فاتحة السورة.

[الأولى حمل ﴿ص﴾ على أنَّه مما استأثر الله بعلمه]:

وقيل: هو: مما استأثر الله بعلمه، وهذا هو الحقّ كما قدّمنا في فاتحة سورة البقرة.

قيل: وهو إما اسمٌ للحروف مسروداً على نمط التعبد، أو اسم للسورة، أو خبر مبتدأ محذوف[٢]، أو منصوب بإضمار: اذكر، أو اقرأ، والواو في قوله: ﴿وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ﴾ هي: واو القَسَم، والإقسام بالقرآن فيه تنبيه على شرف قدره وعلوّ محله، ومعنى: ﴿ذِى ٱلذِّكْرِ﴾: أنه مشتمل على الذكر الذي فيه بيان كل شيء. قال مقاتل[٣]: معنى: ﴿ذِى ٱلذِّكْرِ﴾: ذي البيان.

وقال الضحّاك[٤]: ذي الشرف كما في قوله: ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ﴾ [الأنبياء: ١٠]؛ أي: شرفكم، وقيل[٥]: أي: ذي الموعظة.

واختلف في جواب هذا القسم ما هو؟ فقال الزجّاج[٦] والكسائي[٧]، والكوفيون غير الفراء: إنه قوله: ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ﴾ [صٓ: ٦٤]، وقال الفرّاء[٨]: لا نجده مستقيماً لتأخره جدّاً عن قوله: ﴿وَٱلْقُرْءَانِ﴾، ورجح هو، [وثعلب][٩]: أن الجواب قوله: ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا﴾، وقال الأخفش[١٠]: الجواب هو: ﴿إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ﴾ [صٓ: ١٤]، وقيل: هو صاد؛ لأنّ معناه: حقّ، فهو: جواب لقوله: ﴿وَٱلْقُرْءَانِ﴾ كما تقول: حقّاً والله، وجب والله. ذكره ابن الأنباري، وروي أيضاً

---

(١) ذكره النحاس في «معاني القرآن» (٦/ ٧٣).

(٢) «التبيان» (٢/ ١٠٩٦)، و«الفريد» (٤/ ١٤٩).

(٣) ذكره البغوي في «تفسيره» (٧/ ٦٩) عن ابن عباس ومقاتل.

(٤) ذكره البغوي في «تفسيره» (٧/ ٦٩).

(٥) «الجامع لأحكام القرآن» (١٨/ ١٢٤)، و«زاد المسير» (٧/ ٩٨).

(٦) في «معاني القرآن وإعرابه» (٤/ ٣١٩).

(٧) ذكره البغوي في «تفسيره» (٧/ ٦٩).

(٨) في «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٣٩٧).

(٩) لعله الثعلبي كما في «الجامع لأحكام القرآن» (١٨/ ١٢٤)، وانظر: «تفسير الثعلبي» (٨/ ١٧٦ ـ ١٧٧).

(١٠) في «معاني القرآن» للأخفش (٢/ ٦٧٠).

عن [ثعلب][(١)]، والفراء[(٢)]، وهو مبنيّ على أن جواب القسم يجوز تقدّمه، وهو ضعيف. وقيل: الجواب محذوف[(٣)]، والتقدير: والقرآن ذي الذكر لتبعثنّ، ونحو ذلك.

وقال ابن عطية[(٤)]: تقديره ما الأمر كما يزعم الكفار، والقول بالحذف أولى. وقيل: إن قوله: ﴿صٓ﴾ مقسم به، وعلى هذا القول تكون الواو في ﴿وَٱلْقُرْءَانِ﴾ للعطف عليه، ولما كان الإقسام بالقرآن دالاً على صدقه، وأنه حقّ، وأنه ليس بمحل للريب قال سبحانه: ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِى عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ﴾، فأضرب عن ذلك، وكأنه قال: لا ريب فيه قطعاً، ولم يكن عدم قبول المشركين له لريب فيه. بل هم في عزّة عن قبول الحقّ؛ أي: تكبّر، وتجبّر.

وشقاق؛ أي: وامتناع عن قبول الحقّ، والعزّة عند العرب: الغلبة، والقهر، يقال: «مَنْ عزّ بزّ»[(٥)]؛ أي: مَنْ غلب سلب، ومنه: ﴿وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ﴾ [صٓ: ٢٣]؛ أي: غلبني، ومنه قول الشاعر:

يَعُزّ على الطَّريقِ بمنكبيهِ كما ابتركَ الخليعُ عَلَى القِداحِ[(٦)]

والشقاق: مأخوذ من الشَّقّ، وقد تقدّم بيانه، ثم خوّفهم سبحانه وهدّدهم بما فعله بمن قبلهم من الكفار، فقال: ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ﴾؛ يعني: الأمم الخالية المهلكة بتكذيب الرسل؛ أي: كم أهلكنا من الأمم الخالية الذين كانوا أمنع من هؤلاء وأشدّ قوة وأكثر أموالاً، و«كم» هي الخبرية الدالة على التكثير، وهي في محل[(٧)] نصب بأهلكنا على أنها مفعول به، و«من قرن» تمييز[(٨)]، «ومن» في ﴿مِن قَبْلِهِم﴾ هي لابتداء الغاية ﴿فَنَادَواْ وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ﴾ النداء

(١) لعله الثعلبي كما في «الجامع لأحكام القرآن» (١٨/ ١٢٤)، وانظر: «تفسير الثعلبي» (٨/ ١٧٦ ـ ١٧٧).
(٢) في «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٣٩٧).
(٣) «التبيان» (٢/ ١٠٩٦)، و«الفريد» (٤/ ١٥٠ ـ ١٥١).
(٤) في «المحرر الوجيز» (١٤/ ٦ ـ ٧).
(٥) «مجمع الأمثال» للميداني (٢/ ٣٠٧)، و«المستقصى» (٢/ ٣٥٧).
(٦) قائله جرير. انظر: «ديوانه» (١/ ٨٨).
(٧) «التبيان» (٢/ ١٠٩٦)، و«الفريد» (٤/ ١٥٠)، و«روح المعاني» (٣/ ٢١١).
(٨) انظر: المصادر المتقدمة.

هنا: هو نداء الاستغاثة منهم عند نزول العذاب بهم وليس الحينُ حينَ مناص.

قال الحسن[١]: نادوا بالتوبة وليس حين التوبة، ولا حين ينفع العمل. والمناص[٢] مصدر ناص ينوص، وهو الفوت والتأخر. ولات بمعنى: ليس بلغة أهل اليمن.

وقال النحويون[٣]: هي: لا التي بمعنى ليس، زيدت عليها التاء كما في قولهم: رُبّ، ورُبتْ، وثُمّ وثمتْ. قال الفراء[٤]: النوص: التأخر، وأنشد قول امرئ القيس[٥]:

أمِـن ذِكـر لَـيْـلـى إذْ نـأتـك تَـنُـوصُ

قال: يقال: ناص عن قرنه ينوص نوصاً؛ أي: فرّ، وزاغ.

قال الفراء[٦]: ويقال: ناص ينوص: إذا تقدّم. وقيل: المعنى: أنه قال بعضهم لبعض: مناص؛ أي: عليكم بالفرار والهزيمة، فلما أتاهم العذاب قالوا: مناص، فقال الله: ﴿وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ﴾ قال سيبويه: لات مُشّبهة بليس، والاسم فيها مضمر؛ أي: ليس حينُنا حينَ مناص.

قال الزجاج[٧]: التقدير: وليس أواننا.

قال ابن كيسان[٨]: والقول كما قال سيبويه[٩]، والوقف عليها عند الكسائي بالهاء، وبه قال المبرد[١٠]، والأخفش[١١].

---

(١) ذكره النحاس في «إعراب القرآن» (٣/ ٤٥٠).
(٢) «تهذيب اللغة» (٢/ ٢٤٥)، و«الصحاح» (٣/ ١٠٦٠).
(٣) «إعراب القرآن» للنحاس (٣/ ٤٥١).
(٤) في «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٣٩٧).
(٥) «ديوان امرئ القيس» (ص١٧٧).
وعجز البيت:

فـتـقـصُـرُ عـنـهـا خـطـوة أو تـبـوص

(٦) في «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٣٩٧). (٧) في «معاني القرآن وإعرابه» (٤/ ٣٢٠).
(٨) ذكره النحاس في «إعراب القرآن» (٣/ ٤٥١).
(٩) في «الكتاب» (١/ ٥٧ ـ ٥٨).
(١٠) ذكره النحاس في «إعراب القرآن» (٣/ ٤٥١).
(١١) في «معاني القرآن» للأخفش (٢/ ٦٧٠).

قال الكسائي[1]، والفرّاء[2]، والخليل[3]، وسيبويه[4]، والأخفش[5]: والتاء تكتب منقطعة عن حين، وكذلك هي في المصاحف.

وقال أبو عبيد[6]: تكتب متصلة بحين، فيقال: «ولا تحين»، ومنه قول أبيّ وجزة السعدي[7]:

العاطفونَ تحِينَ ما منْ عاطفٍ والمُطعِمون زمانَ ما مِنْ مُطعمِ

وقد يستغنى بحين عن المضاف إليه كما قال الشاعر:

تذكَّر حُبّ لَيْلى لاتَ حِيْنا وأمسى الشَّيبُ قد قطعَ القَرِينا[8]

قال أبو عبيد[9]: لم نجد العرب تزيد هذه التاء إلا في حين وأوان، والآن. قلتُ: بل قد يزيدونها في غير ذلك كما في قول الشاعر[10]:

فلتعرفنَّ خَلائِقاً مشمولةً ولتَنْدمنّ ولاتَ ساعةَ مندمِ

وقد أنشد الفراء[11] هذا البيت مستدلاً به على أن من العرب من يخفض بها، وجملة: ﴿وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ﴾ في محل نصب[12] على الحال من ضمير نادوا.

قرأ الجمهور[13]: «لاتَ» بفتح التاء، وقُرِئ: «لاتِ» بالكسر كجير[14] ﴿وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْۖ﴾؛ أي: عجب الكفار الذين وصفهم الله سبحانه بأنهم في عزّة وشقاق أن جاءهم منذر منهم؛ أي: رسول من أنفسهم، يُنذرهم بالعذاب إن استمرّوا

---

(١) ذكره النحاس في «إعراب القرآن» (٣/ ٤٥١).
(٢) في «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٣٩٧).
(٣) ذكره النحاس في «إعراب القرآن» (٣/ ٤٥١).
(٤) في «الكتاب» (١/ ٥٨٥٧).
(٥) في «معاني القرآن» للأخفش (٢/ ٦٧٠).
(٦) في «مجاز القرآن» (٢/ ١٧٦).
(٧) «خزانة الأدب» (٤/ ١٧٥ ـ ١٧٩).
(٨) «خزانة الأدب» (٤/ ١٦٩).
(٩) في «مجاز القرآن» (٢/ ١٧٦).
(١٠) «خزانة الأدب» (٤/ ١٧٤).
(١١) في «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٣٩٧).
(١٢) «التبيان» (٢/ ١٠٩٧)، «مشكل إعراب القرآن» (٢/ ٢٤٧)، و«الفريد» (٤/ ١٥١).
(١٣) «البحر المحيط» (٩/ ١٣٧)، و«التبيان» (٢/ ١٠٩٧)، و«روح المعاني» (٢٣/ ٢١٢). قراءة العشرة بفتح الباء أما كسرها فشاذ والوقف عليها عندهم بالتاء الاَّ الكسائي فانَّه يقف عليها بالهاء. انظر: «النشر» (٢/ ١٣٢).
(١٤) «القراءات الشاذة» (ص١٢٩)، و«البحر المحيط» (٩/ ١٣٧)، و«روح المعاني» (٢٣/ ٢١٣).

على الكفر، و«أن» وما في حيزها في محل نصب[١] بنزع الخافض؛ أي: من أن جاءهم، وهو كلام مستأنف مشتمل على ذكر نوع من أنواع كفرهم ﴿وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ﴾ قالوا هذا القول لما شاهدوا ما جاء به من المعجزات الخارجة عن قدرة البشر؛ أي: هذا المُدّعي للرسالة ساحر فيما يُظهره من المعجزات، كذّاب فيما يدّعيه من أن الله أرسله.

قيل: ووضع الظاهر موضع المضمر لإظهار[٢] الغضب عليهم وأن ما قالوه لا يتجاسر على مثله إلاَّ المتوغلون في الكفر.

ثم أنكروا ما جاء به ﷺ من التوحيد، وما نفاه من الشركاء لله، فقالوا: ﴿أَجَعَلَ ٱلْـَٔالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا﴾؛ أي: صيّرها إلٰهاً واحداً، وقصرها على الله سبحانه ﴿إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ﴾؛ أي: لأمر بالغ في العجب إلى الغاية.

قال الجوهري[٣]: العجيب: الأمر الذي يُتعجّب منه. وكذلك العُجاب بالضم والعُجّاب بالتشديد أكثر منه، قرأ الجمهور[٤]: «عُجاب» مخففاً.

وقرأ عليّ، والسُلمي وعيسى بن عُمر، وابن مقسم بتشديد الجيم[٥].

قال مقاتل[٦]: عجاب؛ يعني: بالتخفيف لغة أزد شنوءة، قيل: والعجاب بالتخفيف، والتشديد يدلان على أنه قد تجاوز الحدّ في العجب، كما يقال: الطويل الذي فيه طول. والطوال الذي قد تجاوز حدّ الطول.

وكلام الجوهري [١/ ٤] يفيد اختصاص المبالغة بعُجّاب مشدّد الجيم لا بالمخفف، وقد قدّمنا في صدر هذه السورة سبب نزول هذه الآيات.

﴿وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ﴾ المراد بالملأ: الأشراف كما هو مقرر في غير موضع من تفسير الكتاب العزيز؛ أي: انطلقوا من مجلسهم الذي كانوا فيه عند أبي طالب كما

(١) «التبيان» (٢/ ١٠٩٧)، و«الفريد» (٤/ ١٥١)، و«روح المعاني» (٢٣/ ٢١٣).
(٢) «روح المعاني» (٢٣/ ٢١٧)، و«تفسير أبي السعود» (٥/ ٥٥٠).
(٣) في «الصحاح» (١/ ١٧٧).
(٤) «البحر المحيط» (٩/ ١٣٨)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٨/ ١٣٣)، و«زاد المسير» (٧/ ١٠٢ ـ ١٠٣).
(٥) «القراءات الشاذة» (ص١٢٩)، و«المحتسب» (٢/ ٤٠٣). قراءة تشديد الجيم شاذة.
(٦) ذكره الألولسي في «روح المعاني» (٣/ ٢١٨).

تقدم قائلين: ﴿أَنِ ٱمْشُواْ﴾؛ أي: قائلين لبعضهم بعضاً: امضوا على ما كنتم عليه، ولا تدخلوا في دينه ﴿وَٱصْبِرُواْ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ﴾؛ أي: اثبتوا على عبادتها.

وقيل: المعنى: وانطلق الأشراف منهم[١]، فقالوا للعوامّ: امشوا واصبروا على آلهتكم، و«أن» في قوله: ﴿أَنِ ٱمْشُواْ﴾ هي: المفسرة للقول المقدّر، أو لقوله: «وانطلق»؛ لأنّه مضمن معنى القول، ويجوز أن تكون مصدرية معمولة للمقدر[٢]، أو للمذكور؛ أي: بأنْ امشوا.

وقيل: المراد بالانطلاق: الاندفاع في القول، وامشوا مِنْ مشت المرأة[٣]: إذا كَثُرت ولادتها؛ أي: اجتمعوا وأكثروا وهو بعيد جدّاً، وخلاف ما يدل عليه الانطلاق والمشي بحقيقتهما وخلاف ما تقدم في سبب النزول.

وجملة: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ يُرَادُ﴾ تعليل لما تقدمه من الأمر بالصبر؛ أي: يريده محمد بنا وبآلهتنا، ويودّ تمامه ليعلو علينا، ونكون له أتباعاً فيتحكم فينا بما يريد فيكون هذا الكلام خارجاً مَخْرج[٤] التحذير منه والتنفير عنه.

وقيل: المعنى: إن هذا الأمر يريده الله سبحانه، وما أراده فهو كائن لا محالة، فاصبروا على عبادة آلهتكم. وقيل: المعنى: إن دينكم لشيء يراد؛ أي: يطلب ليؤخذ منكم وتغلبوا عليه، والأوّل أولى.

﴿مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِى ٱلْمِلَّةِ ٱلْءَاخِرَةِ﴾؛ أي: ما سمعنا بهذا الذي يقوله محمد من التوحيد في الملّة الآخرة. وهي: ملة النصرانية، فإنّها آخر الملل قبل ملّة الإسلام، كذا قال محمد بن كعب القرظي[٥] وقتادة[٦] ومقاتل[٧] والكلبي[٨] والسدي[٩].

---

(١) «الجامع لأحكام القرآن» (١٨/ ١٣٤)، و«روح المعاني» (٢٣/ ٢١٩).
(٢) «التبيان» (٢/ ١٠٩٧)، و«الفريد» (٤/ ١٥٤).
(٣) «تفسير الرازي» (٢٦/ ١٧٨).
(٤) «الجامع لأحكام القرآن» (١٨/ ١٣٥)، و«روح المعاني» (٢٣/ ٢٢٠)، و«تفسير أبي السعود» (٥/ ٥٥١).
(٥) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/ ٢٢) بسند صحيح.
(٦) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/ ٢٣) بسند صحيح.
(٧) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٧٩).
(٨) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٧٩).
(٩) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/ ٢٢) بسند حسن.

وقال مجاهد[١]: يعنون: ملة قريش، وروي مثله عن قتادة[٢] أيضاً. وقال الحسن[٣]: المعنى: ما سمعنا أنَّ هذا يكون آخر الزمان.

وقيل: المعنى: ما سمعنا من اليهود، والنصارى أن محمّداً رسول ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ﴾؛ أي: ما هذا إلا كذب اختلقه محمّد وافتراه. ثم استنكروا أن يخصّ الله رسوله بمزية النبوّة دونهم، فقالوا: ﴿أَءُنزِلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ مِنۢ بَيْنِنَا﴾ والاستفهام للإنكار؛ أي: كيف يكون ذلك ونحن الرؤساء والأشراف؟

قال الزجاج[٤]: قالوا: كيف أنزل على محمد القرآن من بيننا، ونحن أكبر سنّاً وأعظم شرفاً منه؟ وهذا مثل قولهم: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ [الزخرف: ٣١] فأنكروا أن يتفضل الله سبحانه على مَنْ يشاء من عباده بما شاء.

ولما ذكر استنكارهم لنزول القرآن على رسول الله ﷺ دونهم بين السبب الذي لأجله تركوا تصديق رسول الله ﷺ فيما جاء به، فقال: ﴿بَل هُمْ فِى شَكٍّ مِّن ذِكْرِى﴾؛ أي: مِنْ القرآن أو الوحي لإعراضهم عَنْ النظر الموجب لتصديقه، وإهمالهم للأدلة الدالة على أنه حقّ منزل من عند الله ﴿بَل لَّمَّا يَذُوقُوا۟ عَذَابِ﴾؛ أي: بل السبب أنهم لم يذوقوا عذابي فاغترّوا بطول المهلة[٥]، ولو ذاقوا عذابي على ما هم عليه من الشرك والشكّ لصدّقوا ما جئت به من القرآن، ولم يشكوا فيه.

﴿أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ ٱلْعَزِيزِ ٱلْوَهَّابِ﴾؛ أي: مفاتيح نِعم ربِّك، وهي النبوّة وما هو دونها من النعم حتى يعطوها من شاءوا، فما لهم ولإنكار ما تفضل الله به على هذا النبيّ واختاره له واصطفاه لرسالته؟.

والمعنى: بل أعندهم؟ لأن أم هي المنقطعة[٦] المقدّرة ببل والهمزة.

والعزيز: الغالب[٧] القاهر. والوهاب[٨]: المعطي بغير حساب.

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/ ٢٣) بسند صحيح.
(٢) «النكت والعيون» (٥/ ٧٩).
(٣) «معالم التنزيل» (٧/ ٧٢)، و«النكت والعيون» (٥/ ٧٩).
(٤) في «معاني القرآن وإعرابه» (٤/ ٣٢٢).
(٥) «جامع البيان» (٢٠/ ٢٩).
(٦) «إعراب القرآن» للنحاس (٣/ ٤٥٥)، و«روح المعاني» (٢٣/ ٢٢٢).
(٧) «النهج الأسمى» (٢/ ٧٩٥).
(٨) «اشتقاق أسماء الله» للزجاجي (ص١٢٦).

﴿أَمْ لَهُم مُّلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾؛ أي: بل ألهم ملك هذه الأشياء حتى يُعطوا من شاءوا، ويمنعوا من شاءوا ويعترضوا على إعطاء الله سبحانه ما شاء لمن شاء.

وقوله: ﴿فَلْيَرْتَقُوا۟ فِى ٱلْأَسْبَٰبِ﴾ جواب شرط محذوف[١]؛ أي: إنْ كان لهم ذلك، فليصعدوا في الأسباب التي توصلهم إلى السماء، أو إلى العرش حتى يحكموا بما يريدون من عطاءٍ ومنع، ويدبروا أمر العالَم بما يشتهون، أو فليصعدوا وليمنعوا الملائكة من نزولهم بالوحي على محمّد ﷺ. والأسباب: أبواب السمٰاوات التي تنزل الملائكة منها، قاله مجاهد[٢] وقتادة[٣] ومنه قول زهير[٤]:

ولو رامَ أسبابَ السَّماءِ بُسلَّم[٥]

قال الربيع بن أنس[٦]: الأسباب: أدقّ من الشعر، وأشدّ من الحديد، ولكن لا ترى.

وقال السدّي[٧]: ﴿فِى ٱلْأَسْبَٰبِ﴾ في الفضل والدين.

وقيل: فليعملوا في أسباب القوّة إن ظنوا أنها مانعة، وهو قول أبي عبيدة[٧].

وقيل: الأسباب الحبال؛ يعني: إن وجدوا حبالاً يصعدون فيها إلى السماء فعلوا.

والأسباب عند أهل اللغة[٨]: كلُّ شيء يتوصل به إلى المطلوب كائناً ما كان. وفي هذا الكلام تهكم بهم[٩] وتعجيز لهم ﴿جُندٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ ٱلْأَحْزَابِ﴾ هذا وعد من الله سبحانه لنبيه ﷺ بالنصر عليهم، والظفر بهم، وجند مرتفع على أنه خبر

---

(١) «روح المعاني» (٢٣/ ٢٢٣).

(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/ ٢٧) بسند صحيح.

(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/ ٢٧) بسند صحيح.

(٤) «ديوان زهير بن أبي سلمى» (ص٢٧).

(٥) وصدر هذا البيت:

ومَنْ هاب أسبابَ المنايا يَنَلْنَه

(٦) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/ ٢٨) بسند صحيح.

(٧) «النكت والعيون» (٥/ ٧٩).

(٨) «تهذيب اللغة» (١٢/ ٣١٢)، و«الصحاح» (١/ ١٤٥).

(٩) «تأويل مشكل القرآن» (ص٢٧٢)، و«روح المعاني» (٢٣/ ٢٢٣).

مبتدأ محذوف؛ أي: هم جند؛ يعني: الكفار، مهزوم: مكسور عمّا قريب فلا تبالي بهم، ولا تظن أنهم يصلون إلى شيء مما يضمرونه بك من الكيد و«ما» في قوله: ﴿مَّا هُنَالِكَ﴾ هي: صفة لجند لإفادة التعظيم[(١)]، والتحقير؛ أي: جند أيّ جند.

وقيل: هي زائدة، يقال: هزمت الجيش كسرته، وتهزمت القربة: إذا تكسّرت، وهذا الكلام متصل بما تقدّم، وهو قوله: ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ﴾ وهم جند من الأحزاب مهزومون، فلا تحزن لعزّتهم، وشقاقهم، فإني أسلب عزّهم وأهزم جمعهم، وقد وقع ذلك، ولله الحمد في يوم بدر وفيما بعده من مواطن الله.

وقد أخرج عبد بن حميد عن أبي صالح[(٢)] قال: سئل جابر بن عبد الله، وابن عباس عن ﴿صٓ﴾، فقال: لا ندري ما هو.

وأخرج ابن مردويه[(٣)] عن ابن عباس قال: صٓ محمد ﷺ.

وأخرج ابن جرير[(٤)] عنه ﴿وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ﴾ قال: ذي الشرف.

وأخرج أبو داود الطيالسي، وعبد الرزاق، والفريابي، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، والحاكم وصححه عن التميمي[(٥)] قال: سألت ابن عباس عن قول الله تعالى: ﴿فَنَادَواْ وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ﴾ قال: ليس بحين نزو، ولا فرار.

وأخرج ابن أبي حاتم[(٦)] من طريق عكرمة عنه في الآية قال: نادوا النداء حين لا ينفعهم وأنشد:

تَذكَّرتُ ليلى لاتَ حينَ تذكُّرٍ ... وقد بِنْتُ منها والمَنَاصُ بَعيدُ

وأخرج عنه[(٧)] أيضاً في الآية قال: ليس هذا حين زوال.

---

(١) «تفسير أبي السعود» (٥/ ٥٥٣)، و«روح المعاني» (٢٣/ ٢٢٤).

(٢) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ١٤٣).

(٣) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ١٤٤).

(٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/ ٨) بسند صحيح.

(٥) عزاه إليهم السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ١٤٤).
وأخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢/ ١٦٠)، وابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/ ١٣)، والحاكم في «المستدرك» (٢/ ٤٢٣ ـ ٤٣٣) وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.

(٦) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ١٤٤).

(٧) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ١٤٤).

وأخرج ابن المنذر[(١)] من طريق عطية عنه أيضاً قال: لا حين فرار.

وأخرج ابن جرير، وابن مردويه عن ابن عباس[(٢)] في قوله: ﴿وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ﴾ الآية قال: نزلت حين انطلق أشراف قريش إلى أبي طالب، فكلموه في النبي ﷺ.

وأخرج ابن مردويه[(٣)] عنه ﴿وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ﴾ قال: أبو جهل.

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عنه[(٤)] أيضاً في قوله: ﴿مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِى ٱلْمِلَّةِ ٱلْءَاخِرَةِ﴾ قال: النصرانية.

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عنه[(٥)] أيضاً في قوله: ﴿فَلْيَرْتَقُوا۟ فِى ٱلْأَسْبَٰبِ﴾ قال: في السماء.

[قصة داود]:

﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو ٱلْأَوْتَادِ ﴿١٢﴾ وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْأَحْزَابُ ﴿١٣﴾ إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ ﴿١٤﴾ وَمَا يَنظُرُ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ ﴿١٥﴾ وَقَالُوا۟ رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿١٦﴾ ٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾ إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾ وَٱلطَّيْرَ مَحْشُورَةً ۖ كُلٌّ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٩﴾ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ ﴿٢٠﴾ وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ ﴿٢٣﴾ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ ۖ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِى بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ۗ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ﴿٢٤﴾ فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ ۖ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٢٥﴾﴾

(١) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ١٤٤).
(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/ ٢٤ ـ ٢٥) بسند صحيح.
(٣) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ١٤٦).
(٤) عزاه إليهم السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ١٤٦).
أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/ ٢٢) بسند صحيح.
(٥) عزاه إليهم السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ١٤٦).
وأخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٧/ ٢٨) بسند حسن.

لما ذكر سبحانه أحوال الكفار المعاصرين لرسول الله ذكر أمثالهم ممن تقدّمهم، وعمل عملهم من الكفر والتكذيب، فقال: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو ٱلْأَوْتَادِ﴾ قال المفسرون[١]: كانت له أوتاد يُعذِّب بها الناس، وذلك أنه كان إذا غضب على أحد، وتد يديه ورجليه ورأسه على الأرض. وقيل[٢]: المراد بالأوتاد: الجموع، والجنود الكثيرة؛ يعني: أنهم كانوا يقوّون أمره، ويشدّون سلطانه كما تقوى الأوتاد ما ضربت عليه، فالكلام خارج مخرج الاستعارة على هذا.

قال ابن قتيبة[٣]: العرب تقول: هم في عزّ ثابت الأوتاد، ومُلْك[٤] ثابت الأوتاد، يريدون مُلْكاً دائماً شديداً، وأصل هذا أن البيت من بيوت الشعر إنما يثبت، ويقوم بالأوتاد. وقيل: المراد بالأوتاد هنا: البناء المحكم؛ أي: وفرعون ذو الأبنية المحكمة.

قال الضحاك[٥]: والبنيان يسمى أوتاداً، والأوتاد جمع وتد أفصحها فتح الواو، وكسر التاء، ويقال: وتَد بفتحهما، وودّ بإدغام التاء في الدال، وودت.

قال الأصمعي[٦]: ويقال: وَتِدٌ واتد مثل شُغْل شاغل، وأنشد:

لاقتْ على الماءِ جُذيلاً واتِدا ... ولم يكُن يُخْلِفُها المَوَاعِدا[٧]

﴿وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ﴾ الأيكة: الغيضة، وقد تقدّم تفسيرها، واختلاف القرّاء في قراءتها في سورة الشعراء، ومعنى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْأَحْزَابُ﴾: أنهم الموصوفون بالقوّة والكثرة كقولهم: فلان هو الرجل، وقريش. وإنْ كانوا حزباً كما قال الله سبحانه فيما تقدّم: ﴿جُندٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ ٱلْأَحْزَابِ﴾ [صٓ: ١١]؛ ولكن هؤلاء الذين قصّهم الله علينا من الأمم السالفة هم أكثر منهم عدداً، وأقوى أبداناً، وأوسع

---

(١) ذكره الواحدي في «الوسيط» (٣/ ٥٤١).

(٢) «معالم التنزيل» (٧/ ٧٣)، و«زاد المسير» (٧/ ١٠٥ ـ ١٠٦).

(٣) في «تفسير غريب القرآن» (ص٣٧٧).

(٤) قال الأسود بن يَعْفُر:

ولقد غَنَوْا فيها بأنعَمِ عِيْشةٍ ... في ظلِّ مُلْكٍ ثابت الأوتاد

«المفضليات» (ص٢١٧).

(٥) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/ ٣١) بسند ضعيف.

(٦) ذكره الجوهري في «الصحاح» (٢/ ٥٤٧).

(٧) لأبي محمد الفقعسي «اللسان» (وتد).

أموالاً وأعماراً، وهذه الجملة يجوز أن تكون مستأنفة[١] [٢/٤].

ويجوز أن تكون خبراً والمبتدأ قوله: ﴿وَعَادٌ﴾ كذا قال أبو البقاء[٢]، وهو ضعيف، بل الظاهر أن عاد، وما بعده معطوفات على قوم نوح، والأولى أن تكون هذه الجملة خبراً لمبتدأ محذوف، أو بدلاً من الأمم المذكورة.

﴿إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ﴾ إنْ هي: النافية، والمعنى: ما كلّ حزب من هذه الأحزاب إلاَّ كذب الرسل؛ لأن تكذيب الحزب لرسوله المرسل إليه تكذيب لجميع الرسل، أو هو مِنْ مقابلة الجمع بالجمع.

والمراد: تكذيب كلّ حزب لرسوله، والاستثناء[٣] مفرغ من أعمّ الأحوال؛ أي: ما كلّ أحد من الأحزاب في جميع أحواله إلا وقع منه تكذيب الرسل ﴿فَحَقَّ عِقَابِ﴾؛ أي: فحقّ عليهم عقابي بتكذيبهم، ومعنى حقّ: ثبت ووجب، وإن تأخر فكأنّه واقع بهم، وكلّ ما هو آتٍ قريب.

قرأ يعقوب[٤] بإثبات الياء في «عقاب»، وحذفها الباقون[٥] مطابقة لرؤوس الآي.

﴿وَمَا يَنظُرُ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً﴾؛ أي: ما ينتظرون إلا صيحة، وهي: النفخة الكائنة عند قيام الساعة.

وقيل: هي النفخة الثانية، وعلى الأوّل المراد: من عاصر نبينا ﷺ من الكفار، وعلى الثاني المراد: كفار الأمم المذكورة؛ أي: ليس بينهم وبين حلول ما أعدّ الله لهم من عذاب النار إلا أن ينفخ في الصور النفخة الثانية. وقيل: المراد بالصيحة: عذابٌ يفجؤهم في الدنيا كما قال الشاعر:

صاح الزمان بآل بَرْمَك صيحةً ... خَرّوا لشدّتها على الأذقان

(١) «التبيان» (٢/١٠٩٨)، و«الفريد» (٤/١٥٥).

(٢) في «الإملاء» (٤/٢٤٦).

(٣) «روح المعاني» (٢٣/٢٢٨).

(٤) «النشر» (٢/٣٦٢)، و«زاد المسير» (٧/١٠٦ ـ ١٠٧)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٨/١٤٠).

(٥) انظر: المصادر المتقدمة. وهما قراءتان متواترتان.

وجملة: ﴿مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ﴾ في محل نصب صفة لصيحة[١]. قال الزجاج[٢]: فَواق، وفُواق بفتح الفاء، وضمها؛ أي: ما لها من رجوع، والفواق ما بين حلبتي الناقة وهو مشتقّ مِنْ الرجوع أيضاً؛ لأنه يعود اللبن إلى الضرع بين الحلبتين، وأفاق مِنْ مرضه؛ أي: رجع إلى الصحة، ولهذا قال مجاهد[٣]، ومقاتل[٤]: إن الفواق: الرجوع. وقال قتادة[٥]: ما لها من مَثْنَوية.

وقال السدّي[٦]: ما لها من إفاقة، وقيل: ما لها من مردّ.

قال الجوهري[٧]: ما لها من نظرة وراحة وإفاقة، ومعنى الآية: أن تلك الصيحة هي ميعاد عذابهم، فإذا جاءت لم ترجع ولا تردّ عنهم، ولا تصرف منهم ولا تتوقّف مقدار فواق ناقة، وهي ما بين حلبتي الحالب لها، ومنه قول الأعشى[٨]:

حتى إذا فِيقةٌ في ضَرْعها اجتمعتْ جاءتْ لتُرضع شَقَّ النَّفس لو رَضَعا

والفيقة: اسم اللبن الذي يجتمع بين الحلبتين، وجمعها فِيق، وأَفْواق. قرأ حمزّة[٩]، والكسائي: «ما لها من فُواق» بضم الفاء، وقرأ الباقون[١٠] بفتحها.

قال الفراء[١١] وأبو عبيدة[١٢]: الفَواق بفتح الفاء الراحة؛ أي: لا يفيقون فيها كما يفيق المريض، والمغشيّ عليه، وبالضم الانتظار ﴿وَقَالُوا۟ رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْحِسَابِ﴾ لما سمعوا ما توعدهم الله به من العذاب قالوا هذه المقالة استهزاءً وسخرية، والقِطُّ في اللغة[١٣]: النصيب، مِنْ القِطّ؛ وهو: القطع، وبهذا قال

---

(١) «الفريد» (٤/ ١٥٦)، و«التبيان» (٢/ ١٠٩٨).
(٢) في «معاني القرآن وإعرابه» (٤/ ٣٢٣).
(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/ ٣٤) بسند صحيح.
(٤) «معالم التنزيل» (٧/ ٧٤)، و«الوسيط» (٣/ ٥٤٢).
(٥) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/ ٣٤) بسند صحيح.
(٦) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/ ٣٥) بسند حسن.
(٧) في «الصحاح» (٤/ ١٥٤٩).
(٨) «ديوان الأعشى» (ص١٥٥).
(٩) «التيسير» (ص١٨٧)، و«جامع البيان» (٢٠/ ٣٥ ـ ٣٦)، و«البحر المحيط» (٩/ ١٤٢ ـ ١٤٣).
(١٠) انظر: المصادر المتقدمة. هما قراءتان متواترتان.
(١١) في «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٤٠٠). (١٢) «مجاز القرآن» (٢/ ١٧٩).
(١٣) «تهذيب اللغة» (٨/ ٢٨٣)، و«الصحاح» (٣/ ١١٥٣).

قتادة[١] وسعيد بن جبير[٢]، قال الفراء[٣]: القِطُّ في كلام العرب: الحظّ والنصيب، ومنه قيل للصكّ: قط.

قال أبو عبيدة[٤] والكسائي: القِطُّ الكتاب بالجوائز، والجمع القُطوط، ومنه قول الأعشى[٥]:

ولا المَلِكُ النُّعمانُ يومَ لقيتُه بغبطتِه يُعطي القُطوطَ ويَأْفِقُ

ومعنى يأفِق: يصلح، ومعنى الآية: سؤالهم لربهم أن يعجل لهم نصيبهم، وحظهم مِنْ العذاب، وهو مثل قوله: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ﴾ [الحج: ٤٧، والعنكبوت: ٥٣].

وقال السدّي: سألوا ربهم: أن يمثل لهم منازلهم من الجنة، ليعلموا حقيقة ما يوعدون به، وقال إسماعيل بن أبي خالد[٦]: المعنى: عجِّل لنا أرزاقنا، وبه قال سعيد بن جبير[٧] والسدّي[٨].

وقال أبو العالية، والكلبي، ومقاتل[٩]: لما نزل ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ﴾ [الحاقة: ١٩، والانشقاق: ٧] ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ﴾ [الحاقة: ٢٥] قالت قريش: زعمت يا محمّد أنا نؤتى كتابنا بشمالنا، فعجل لنا قطنا قبل يوم الحساب.

ثم أمر الله سبحانه نبيّه أن يصبر على ما يسمعه من أقوالهم فقال: ﴿ٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ مِنْ أقوالهم الباطلة التي هذا القول المحكي عنهم من جملتها. وهذه الآية منسوخة بآية السيف ﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ﴾ لما فرغ من ذكر قرون الضلالة وأمم الكفر والتكذيب، وأمر نبيه ﷺ بالصبر على ما يسمعه زاد في تسليته وتأسيته بذكر قصة داود وما بعدها.

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/ ٣٨) بسند صحيح.
(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/ ٣٨ ـ ٣٩) من طريق سفيان عن ثابت الحدَّاء عن سعيد بن جبير.
(٣) في «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٤٠٠).
(٤) في «مجاز القرآن» (٢/ ١٧٩).
(٥) «ديوان الأعشى» (ص٢٦٩).
(٦) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/ ٣٩) بسند صحيح.
(٧) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٨/ ١٤٢).
(٨) انظر: «معالم التنزيل» (٧/ ٧٥)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٨/ ١٤٢).
(٩) «جامع البيان» (٢٠/ ٣٩)، و«معالم التنزيل» (٧/ ٧٥).

ومعنى: ﴿وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَا دَاوُۥدَ﴾: اذكر قصته؛ فإنَّك تجد فيها ما تتسلى به، والأيد: القوّة، ومنه رجل أيدٍ؛ أي: قويّ، وتأيد الشيء: تقوّى، والمراد: ما كان فيه عليه السلام من القوّة على العبادة(١).

قال الزجاج(٢): وكانت قوّة داود على العبادة أتمّ قوّة، ومن قوّته ما أخبرنا به نبينا ﷺ: أنّه كان يصوم يوماً ويفطر يوماً، وكان يصلي نصف الليل، وكان لا يفرّ إذا لاقى العدّو، وجملة: ﴿إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ تعليل لكونه ذا الأيد، والأوّاب: الرجّاع عن كل ما يكرهه الله سبحانه إلى ما يحبه، ولا يستطيع ذلك إلا مَنْ كان قويّاً في دينه.

وقيل: معناه: كلما ذكر ذنبه استغفر منه، وناب عنه، وهذا داخل تحت المعنى الأوّل، يقال: آب يئوب: إذا رجع ﴿إِنَّا سَخَّرۡنَا ٱلۡجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحۡنَ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِشۡرَاقِ﴾؛ أي: يقدّسن الله سبحانه، وينزهنه عمّا لا يليق به. وجملة: ﴿يُسَبِّحۡنَ﴾ في محل نصب على الحال(٣)، وفي هذا بيان ما أعطاه الله من البرهان والمعجزة وهو تسبيح الجبال معه.

قال مقاتل(٤): كان داود إذا ذكر الله ذكرت الجبال معه، وكان يفقه تسبيح الجبال.

وقال محمد بن إسحاق(٥): أوتي داود من حسن الصوت ما يكون له في الجبال دويّ حسن، فهذا معنى تسبيح الجبال، والأوّل أولى. وقيل: معنى ﴿يُسَبِّحۡنَ﴾: يُصلين، و﴿مَعَهُۥ﴾ متعلق بسخرنا.

ومعنى: ﴿بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِشۡرَاقِ﴾: قال الكلبي: غدوة وعشية، يقال: أشرقت الشمس إذا أضاءت، وذلك وقت الضحى وأما شروقها فطلوعها.

قال الزجاج(٦): شرقت الشمس: إذا طلعتْ، وأشرقت: إذا أضاءت.

﴿وَٱلطَّيۡرَ مَحۡشُورَةٗ﴾ معطوف على الجبال، وانتصاب محشورةً على الحال من

---

(١) «جامع البيان» (٢٠/ ٤٠).
(٢) في «معاني القرآن وإعرابه» (٤/ ٣٢٣).
(٣) «الفريد» (٤/ ١٥٧)، و«روح المعاني» (٢٣/ ٢٣٥)، و«إعراب القرآن» للنحاس (٣/ ٤٥٨).
(٤) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٨/ ١٤٥).
(٥) ذكره الواحدي في «الوسيط» (٣/ ٥٤٤).
(٦) في «معاني القرآن وإعرابه» (٤/ ٣٢٤).

الطير؛ أي: وسخرنا الطير حال كونها محشورة؛ أي: مجموعة إليه تسبح الله معه. قيل: كانت تجمعها إليه الملائكة.

وقيل: كانت تجمعها الريح ﴿كُلٌّ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾؛ أي: كل واحد من داود، والجبال والطير رجّاع إلى طاعة الله، وأمره، والضمير في «له» راجع إلى الله ﷻ. وقيل: الضمير لداود؛ أي: لأجل تسبيح داود مُسِّبحٌ، فوضع أوّاب موضع مُسبِّح، والأوّل أولى. وقد قدّمنا أن الأوّاب: الكثير الرجوع إلى الله سبحانه.

﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ﴾ قوّيناه وثبتناه بالنصر في المواطن على أعدائه وإلقاء الرعب منه في قلوبهم. وقيل: بكثرة الجنود[١].

﴿وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ﴾ المراد بالحكمة: النبوّة[٢] والمعرفة بكل ما يحكم به. وقال مقاتل: الفهم والعلم. وقال مجاهد: العدل. وقال أبو العالية: العلم بكتاب الله.

وقال شريح: السُّنَّة. والمراد بفصل الخطاب: الفصل في القضاء، وبه قال الحسن والكلبي ومقاتل[٣].

وحكى الواحدي[٤] عَنْ الأكثر: أن فصل الخطاب: الشهود، والأيمان؛ لأنها إنما تنقطع الخصومة بهذا. وقيل: هو: الإيجاز بجعل المعنى الكثير في اللفظ القليل.

﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ﴾ لما مدحه الله سبحانه بما تقدم ذكره أردف ذلك بذكر هذه القصة الواقعة له لما فيها من الأخبار العجيبة.

قال مقاتل[٥]: بعث الله إلى داود مَلَكين جبريل وميكائيل؛ لينبهه على التوبة، فأتياه، وهو في محرابه.

قال النّحاس[٦]: ولا خلافَ بين أهل التفسير أنّ المراد بالخصم ها هنا:

---

(١) «أحكام القرآن» لابن العربي (٤/ ١٦١٤).

(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/ ٤٨) بسند حسن.

(٣) «جامع البيان» (٢٠/ ٤٨ ـ ٥١)، و«النكت والعيون» (٥/ ٨٤).

(٤) في «الوسيط» (٣/ ٥٤٥).

(٥) ذكره الواحدي في «الوسيط» (٣/ ٥٤٦).

(٦) في «معاني القرآن» (٦/ ٩٤).

الملَكَان، والخَصْم: مصدر يقع على الواحد، والاثنين، والجماعة.

ومعنى ﴿تَسَوَّرُواْ ٱلْمِحْرَابَ﴾: أتوه مِنْ أعلى سُوره، ونزلوا إليه، والسور: الحائط المرتفع، وجاء بلفظ الجمع في تسوّروا مع كونهم اثنين نظراً إلى ما يحتمله لفظ الخصم مِنْ الجمع. ومنه قول الشاعر(١):

وخَصْمٍ غِضابٍ قد نفضتُ لِحاهُمُ   كنفضِ البَرَاذين العراب المخاليا

والمحراب: الغُرفة؛ لأنّهم تسوّروا عليه، وهو فيها، كذا قال يحيى بن سلام(٢).

وقال أبو عبيدة(٣): إنّه: صدرُ المجلس، ومنه محراب المسجد. وقيل إنهما كانا إنسيين، ولم يكونا مَلَكين، والعامل في «إذْ» في قوله: ﴿إِذْ دَخَلُواْ﴾ النبأ؛ أي: هل أتاك الخبر الواقع في وقت تسّورهم؟ وبهذا قال ابن عطية(٤)، ومكي(٥) وأبو البقاء(٦).

وقيل: العامل(٧) فيه أتاك. وقيل: معمول للخَصْم. وقيل: معمول لمحذوف؛ أي: وهل أتاك نبأ تحاكم الخصم؟ وقيل: هو معمول لتسوروا. وقيل: هو بدل مما قبله.

وقال الفراء(٨): إنّ أحد الظرفين المذكورين بمعنى: لما ﴿فَفَزِعَ مِنْهُمْ﴾، وذلك لأنّهما أتياه ليلاً في غير وقت دخول الخصوم، ودخلوا عليه بغير إذنه، ولم يدخلوا من الباب الذي يدخل منه الناس.

قال ابنُ العربي(٩): وكانَ محراب داود مِنْ الامتناع بالارتفاع بحيث لا يرتقي إليه آدمي بحيلة.

---

(١) هو: الراعي النميري. «ديوانه» (ص٢٩١).
(٢) ذكره القرطبي في «تفسيره».
(٣) في «مجاز القرآن» (٢/ ١٨٠).
(٤) في «المحرر الوجيز» (١٤/ ١٩).
(٥) في «مشكل إعراب القرآن» (٢/ ٢٤٩).
(٦) «التبيان» (٢/ ١٠٩٨).
(٧) «روح المعاني» (٢٣/ ٢٤٤)، و«التبيان» (٢/ ١٠٩٨)، و«الفريد» (٤/ ١٥٨).
(٨) في «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٤٠١).
(٩) في «أحكام القرآن» (٤/ ٤٦١٩).

وجملة: ﴿قَالُواْ لَا تَخَفۡ﴾ مستأنفة جواب سؤال مقدر كأنه قيل: فماذا قالوا لداود لما فزع منهم؟ وارتفاع ﴿خَصۡمَانِ﴾، على أنه خبر[١] مبتدأ محذوف؛ أي: نحن خصمان، وجاء فيما سبق بلفظ الجمع[٢]، وهنا بلفظ التثنية لما ذكرنا من أن لفظ الخصم يحتمل المفرد، والمثنى، والمجموع، فالكل جائز.

قال الخليل[٣]: هو كما تقول: نحن فعلنا كذا: إذا كنتما اثنين. وقال الكسائي[٤]: جُمع لما كان خبراً، فلما انقضى الخبر، وجاءت المخاطبة أخبر الاثنان عن أنفسهما، فقالا: خصمان.

وقوله: ﴿بَغَىٰ بَعۡضُنَا عَلَىٰ بَعۡضٖ﴾ هو على سبيل الفرض، والتقدير، وعلى سبيل التعريض[٥]؛ لأن من المعلوم أن الملكين لا يبغيان.

ثم طلبا منه أن يحكم بينهما بالحق، ونهياه عن الجور، فقالا: ﴿فَٱحۡكُم بَيۡنَنَا بِٱلۡحَقِّ وَلَا تُشۡطِطۡ﴾؛ أي: لا تُجِرْ في حكمك، يقال: شطّ الرجل[٦]، وأشط شططاً، وإشطاطاً: إذا جار في حكمه. [٣/٤].

قال أبو عبيد[٧]: شططت عليه، وأشططت؛ أي: جُرْت.

وقال الأخفش[٨]: معناه: لا تُسْرِف، وقيل: لا تُفْرِط، وقيل: لا تَمِلْ. والمعنى متقارب، والأصل فيه البعد، من شطّت الدار: إذا بعدت.

قال أبو عمرو[٩]: الشطط مجاوزة القدر في كل شيء.

﴿وَٱهۡدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ﴾ سواء الصراط: وسطُه. والمعنى: أرشدنا إلى الحق، واحملنا عليه. ثم لما أخبراه عَنْ الخصومة إجمالاً شَرَعا في تفصيلها، وشرحها، فقالا: ﴿إِنَّ هَٰذَآ أَخِي لَهُۥ تِسۡعٞ وَتِسۡعُونَ نَعۡجَةٗ﴾ المراد بالأخوّة هنا: أخوّة الدين، أو

(١) «روح المعاني» (٢٣/٢٤٥)، و«التبيان» (٢/١٠٩٨).
(٢) «إعراب القرآن» للنحاس (٣/٤٥٩).
(٣) ذكره النحاس في «إعراب القرآن» (٣/٤٥٩).
(٤) ذكره النحاس في «إعراب القرآن» (٣/٤٥٩).
(٥) «روح المعاني» (٢٣/٢٤٦).
(٦) «مفردات ألفاظ القرآن» (ص٤٥٣)، و«تهذيب اللغة» (١١/٢٠٧).
(٧) في «غريب الحديث» (٤/٣٠٨).
(٨) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/٨٦).
(٩) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٨/١٦٣).

الصحبة، والنّعجة هي: الأنثى من الضأن، وقد يقال لبقر الوحش: نعجة ﴿وَلِيَ نَعۡجَةٞ وَٰحِدَةٞ﴾ قال الواحدي[١]: النعجة البقرة الوحشية، والعرب تكني عن المرأة بها، وتُشّبه النساء بالنِّعاج من البقر.

قرأ الجمهور[٢]: ﴿تِسۡعٞ وَتِسۡعُونَ﴾ بكسر التاء الفوقية.

وقرأ الحسن[٣]، وزيد بن علي بفتحها.

قال النحاس[٤]: وهي: لغة شاذة، وإنما عنى بـ «هذا»: داود؛ لأنه كان له تسع وتسعون امرأة، وعنى بقوله: «ولي نعجة واحدة» «أوريا» زوج المرأة التي أراد أنْ يتزوجها داود كما سيأتي بيان ذلك ﴿فَقَالَ أَكۡفِلۡنِيهَا﴾؛ أي: ضمّها إليّ، وانزل لي عَنْها حتى أكفلها، وأصير بعلاً لها. قال ابن كيسان[٥]: اجعلها كفلي، ونصيبي ﴿وَعَزَّنِي فِي ٱلۡخِطَابِ﴾؛ أي: غلبني، يقال: عزّه يعزهُ عزاً: إذا غلبه. وفي المثل «من عَزّ بزّ»[٦]؛ أي: مَنْ غلب سلب، والاسم العزة: وهي: القوة.

قال عطاء[٧]: المعنى: إنْ تكلّم كان أفصح مني.

وقرأ ابن مسعود[٨]، وعُبيد بن عمير: «وعازني في الخطاب»[٩]؛ أي: غالبني من المعازة، وهي: المغالبة.

﴿قَالَ لَقَدۡ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعۡجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ﴾؛ أي: بسؤاله نعجتَك؛ ليضمها إلى نعاجه التسع والتسعين إنْ كان الأمر على ما تقول، واللّام هي: الموطئة للقسم،

---

(١) في «الوسيط» (٣/ ٥٤٧).

(٢) «البحر المحيط» (٩/ ١٤٨)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٨/ ١٦٣).

(٣) «القراءات الشاذة» (ص١٣٠)، و«المحتسب» (٢/ ٢٣١). القراءة بفتح التاء شاذة.

(٤) في «إعراب القرآن» (٣/ ٤٦٠).

(٥) «النكت والعيون» (٥/ ٨٧)، و«المحرر الوجيز» (١٤/ ٢٣).

(٦) تقدم ذكره.

(٧) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٨٧)، والقرطبي في «تفسيره» (١٨/ ١٦٦) عن الضحاك.
وأخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/ ٦١) بسند حسن من طريق عبيد بن سليمان عن الضحاك.

(٨) «القراءات الشاذة» (ص١٣٠) ونسبها لمسروق وأبي وائل والحسن.

(٩) «المحرر الوجيز» (١٤/ ٢٣)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٨/ ١٦٧).

وهي وما بعدها جواب للقسم المقدر. وجاء بالقسم في كلامه مبالغةً[(١)] في إنكار ما سمعه مِنْ طلب صاحب التسع والتسعين النعجة أَنْ يضم إليه النعجة الواحدة التي مع صاحبه، ولم يكن معه غيرها. ويمكن أنه إنما قال بهذا بعد أَنْ سمع الاعتراف من الآخر.

قال النحاس[(٢)]: ويقال: إن خطيئة داود هي قوله: ﴿لَقَدْ ظَلَمَكَ﴾؛ لأنه قال ذلك قبل أن يتثبت ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ﴾ وهم: الشركاء، واحدهم خليط: وهو المخالط في المال ﴿لَيَبْغِى بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾؛ أي: يتعدى بعضهم على بعض، ويظلمه غير مراع لحقه ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾، فإنهم يتحامون ذلك، ولا يظلمون خليطاً، ولا غيره ﴿وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾؛ أي: وقليلٌ هم، و«ما» زائدة للتوكيد، والتعجيب. وقيل: هي موصولة، و﴿هُمْ﴾ مبتدأ ﴿وَقَلِيلٌ﴾ خبره ﴿وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ﴾، قال أبو عمرو[(٣)]، والفراء[(٤)]: ظنّ؛ يعني: أيقن. ومعنى ﴿فَتَنَّٰهُ﴾: ابتليناه.

والمعنى: أنه عند أن تخاصما إليه، وقال ما قال علم عند ذلك أنه المراد، وأنَّ مقصودهما التعريض به، وبصاحبه الذي أراد أن ينزل له عن امرأته.

قال الواحدي[(٥)]: قال المفسِّرون: فلما قضى بينهما داود نظر أحدهما إلى صاحبه، فضحك، فعند ذلك علم داود بما أراده.

قرأ الجمهور[(٦)]: «فَتنّاه» بالتخفيف للتاء، وتشديد النون. وقرأ عمر بن الخطاب[(٧)] والحسن وأبو رجاء بالتشديد للتاء، والنون، وهي: مبالغة في الفتنة.

وقرأ الضحاك[(٨)]: «افتناه»، وقرأ قتادة، وعُبيد بن عمير، وابن السميفع:

---

(١) «روح المعاني» (٢٣/ ٢٥٠ ـ ٢٥١).

(٢) في «إعراب القرآن» (٣/ ٤٦١).

(٣) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٨/ ١٧٣). (٤) في «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٤٠٤).

(٥) في «الوسيط» (٣/ ٥٤٧).

(٦) «الجامع لأحكام القرآن» (١٨/ ١٧٣)، و«البحر المحيط» (٩/ ١٥٠)، و«روح المعاني» (٢٣/ ٢٥٤).

(٧) «القراءات الشاذة» (ص١٣٠)، و«المحتسب» (٢/ ٤٠٣)، و«البحر المحيط» (٩/ ١٥٠ ـ ١٥١).

(٨) «المحرر الوجيز» (١٤/ ٢٦)، و«البحر المحيط» (٩/ ١٥١).

«فَتَناه» بتخفيفهما[(١)]، وإسناد الفعل إلى المَلَكين، ورويت[(١)] هذه القراءة عن أبي عمرو ﴿فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ﴾ لذنبه ﴿وَخَرَّ رَاكِعًا﴾؛ أي: ساجداً، وعبر بالركوع عن السجود.

قال ابن العربي[(٢)]: لا خلاف بين العلماء أنّ المراد بالركوع هنا السجود، فإنّ السجود هو: الميل، والركوع هو: الانحناء، وأحدهما يدخل في الآخر، ولكنه قد يختص كل واحد منهما بهيئة. ثم جاء في هذا على تسمية أحدهما بالآخر.

وقيل: المعنى للسجود[(٣)] راكعاً؛ أي: مصليّاً. وقيل: بل كان ركوعهم سجوداً. وقيل: بل كان سجودهم ركوعاً.

﴿وَأَنَابَ ۩﴾؛ أي: رجع إلى الله بالتوبة من ذنبه وقد اختلف المفسرون[(٤)] في ذنب داود الذي استغفر له، وتاب عنه على **أقوال**:

الأول: أنّه نظر إلى امرأة الرجل التي أراد أن تكون زوجة له، كذا قال سعيد بن جبير[(٥)]، وغيره.

قال الزجاج[(٦)]: ولم يتعمد داود النظر إلى المرأة لكنّه عاود النظر إليها، وصارت الأولى له والثانية عليه.

القول الثاني: أنه أرسل زوجها في جملة الغزاة.

الثالث: أنه نوى إنْ مات زوجها أن يتزوجها.

الرابع: أن أوريا كان خطب تلك المرأة، فلما غاب خطبها داود، فزوّجت منه لجلالته، فاغتم لذلك أوريا، فعتب الله عليه حيثُ لم يتركها لخاطبها.

الخامس: أنه لم يجزع على قتل أوريا كما كان يجزع على من هلك من الجند، ثم تزوج امرأته، فعاتبه الله على ذلك؛ لأن ذنوب الأنبياء، وإن صغرت، فهي عظيمة.

---

(١) «القراءات الشاذة» (ص١٣٠)، و«المحتسب» (٢/ ٢٣٢). القراءة المتواترة هي قراءة الجمهور، وغيرها قراءات شاذة، والرواية عن أبي عمرو شاذة.

(٢) في «أحكام القرآن» (٤/ ١٦٢٧).

(٣) «الجامع لأحكام القرآن» (١٨/ ١٧٧)، و«جامع البيان» (٢٠/ ٦٤).

(٤) «الجامع لأحكام القرآن» (١٨/ ١٧٤ ـ ١٧٥)، و«أحكام القرآن» لابن العربي (٤/ ١٦٢٦ ـ ١٦٢٧).

(٥) ذكره الثعلبي في «عرائس المجالس» (ص٢٨٤).

(٦) بل قاله الثعلبي في «عرائس المجالس» (ص٢٨٤).

السادس: أنه حكم لأحد الخصمين قبل أن يسمع من الآخر[(١)] كما قدمنا.

وأقول: الظاهر مِن الخصومة التي وقعت بين الملكين تعريضاً لداود عليه السلام: أنّه طلب مِنْ زوج المرأة الواحدة أنْ ينزل له عنها، ويضمها إلى نسائه، ولا ينافي هذا العصمة الكائنة للأنبياء، فقد نبهه الله على ذلك، وعرض له بإرسال ملائكته إليه، ليتخاصموا في مثل قصته حتى يستغفر لذنبه، ويتوب منه، فاستغفر وتاب.

وقد قال سبحانه: ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ﴾ [طه: ١٢١] وهو أبو البشر، وأوّل الأنبياء، ووقع لغيره مِن الأنبياء ما قصّه الله علينا في كتابه. ثُمّ أخبر سبحانه: أنه قبل استغفاره، وتوبته فقال: ﴿فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ﴾؛ أي: ذلك الذنب الذي استغفر منه.

قال عطاء الخراساني[(٢)] وغيره: إن داود بقي ساجداً أربعين يوماً حتى نبت الرعي حول وجهه، وغمر رأسه.

قال ابن الأنباري[(٣)]: الوقف على قوله: ﴿فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ﴾ تامّ، ثم يبتدئ الكلام بقوله: ﴿وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ﴾ الزلفى: القربة، والكرامة بعد المغفرة لذنبه.

قال مجاهد[(٤)]: الزلفى: الدنوّ من الله ﷻ يوم القيامة، والمراد بحسن المآب: حسن المرجع، وهو: الجنة.

وقد أخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم عن ابن عباس[(٥)] في قوله: ﴿مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ﴾ قال: من رجعة. ﴿وَقَالُوا۟ رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا﴾ قال: سألوا الله أن يعجل لهم.

وأخرج ابن أبي حاتم[(٦)] من طريق الزبير ابن عدي عنه ﴿عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا﴾ قال: نصيبنا من الجنّة.

وأخرج ابن جرير[(٧)] عنه أيضاً في قوله: ﴿ذَا ٱلْأَيْدِ﴾ قال: القوّة.

---

(١) انظر هذه الأقوال والرد عليه في: «أحكام القرآن» لابن العربي (٤/ ١٦٢٦ ـ ١٦٢٧).
(٢) «الجامع لأحكام القرآن» (١٨/ ١٨٠)، و«نوادر الأصول» (ص١٨٨).
(٣) في «إيضاح الوقف والابتداء» (٢/ ٨٦٢).
(٤) ذكره النحاس في «إعراب القرآن» (٣/ ٤٦١).
(٥) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/ ٣٤) بسند ضعيف.
(٦) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ١٤٨).
(٧) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/ ٤١) بسند ضعيف.

وأخرج ابن جرير[١] عنه أيضاً قال: الأوّاب المُسبِّح.

وأخرج الديلمي[٢] عن مجاهد قال: سألتُ ابن عمر عن الأوّاب، فقال: سألت النبي ﷺ عنه، فقال: «هو الذي يذكر ذنوبه في الخلاء، فيستغفر الله».

وأخرج عبد بن حميد[٣]، عن ابن عباس قال: الأوّاب: الموقن.

وأخرج عبد الرزاق، وعبد بن حميد عن عطاء الخراساني[٤] عنه قال: لم يزل في نفسي من صلاة الضحى حتى قرأت هذه الآية: ﴿إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ﴾.

وأخرج ابن المنذر، وابن مردويه[٥] عنه أيضاً قال: لقد أتى عليّ زمان، وما أدري وجه هذه الآية ﴿يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ﴾ حتى رأيت الناس يصلون الضحى.

وأخرج الطبراني في «الأوسط»، وابن مردويه[٦] عنه قال: كنت أمرّ بهذه الآية ﴿يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ﴾ فما أدري ما هي؟ حتى حدَّثتني أمّ هانئ بنت أبي طالب: «أن النبي ﷺ دخل عليها يوم الفتح، فدعا بوضوء فتوضأ، ثم صلى الضحى، ثم قال: يا أمّ هانئ هذه صلاة الإشراق».

وأخرج ابن جرير، وابن مردويه من وجه آخر[٧] عنه نحوه.

والأحاديثُ في صلاة الضحى كثيرة جدّاً قد ذكرناها في شرحنا[٨] للمنتقى.

وأخرج عبد بن حميد، وابن جرير، وابن أبي حاتم عن ابن عباس[٩] قال: استعدى رجل من بني إسرائيل عند داود على رجل من عظمائهم، فقال: إن هذا

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/ ٤٣) بسند حسن من طريق أسباط عن السُّديِّ.

(٢) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ١٤٩).

(٣) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ١٥٠).

(٤) أخرجه عبد الرزاق في «المصنف» رقم (٤٨٧٠).

(٥) عزاه إليهما السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ١٥٠).

(٦) أخرجه الطبراني في «الأوسط» رقم (٤٢٤٦).
وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ٩٩): فيه أبو بكر الهذلي وهو ضعيف.

(٧) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/ ٤٥).

(٨) (٥/ ٢٠٥ ـ ٢١١)، ط. ابن الجوزي.

(٩) عزاه إليهم السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ١٥٣ ـ ١٥٤).
وأخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/ ٤٧) من طريق علباء بن أحمر عن عكرمة عن ابن عباس. والخبر من الإسرائيليات.

غصبني بقراً لي، فسأل داود الرجل عن ذلك، فجحده، فسأل الآخر البينة، فلم يكن له بينة، فقال لهما داود: قُومَا حتى أنظر في أمركما، فقاما من عنده، فأُتي داود في منامه فقيل له: اقتل الرجل الذي استعدى، فقال: إن هذه رؤيا، ولست أعجل حتى أتثبت، فأُتي الليلة الثانية في منامه، فأُمر أن يقتل الرجل، فلم يفعل، ثم أُتي الليلة الثالثة، فقيل له: اقتل الرجل، أو تأتيك العقوبة من الله، فأرسل داود إلى الرجل، فقال: إن الله أمرني أن أقتلك، قال: تقتلني بغير بيّنة، ولا تثبت؟ قال: نعم، والله لأنفذنّ أمر الله فيك، فقال الرجل: لا تعجل عليّ حتى أخبرك، إني والله ما أخذت بهذا الذنب، ولكني كنتُ اغتلت والد هذا، فقتلته، فبذلك أُخذْتُ، فأمر به داود، فقتل، فاشتدّت هيبتُه في بني إسرائيل، وشدّد به ملكه، فهو قول الله: ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ﴾.

وأخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم[(١)] عنه ﴿وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْحِكْمَةَ﴾ قال: أعطي الفهم.

وأخرج ابن أبي حاتم، والديلمي عن أبي موسى الأشعري[(٢)] قال: أوّل من قال: أما بعد: داود عليه السلام هو: ﴿وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ﴾.

وأخرج سعيد بن منصور، وابن أبي شيبة، وابن سعد، وعبد بن حميد، وابن المنذر عن الشعبي[(٣)]: أنه سمع زياد بن أبيه يقول: فصل الخطاب الذي أوتي داود: أما بعد.

وأخرج ابن أبي شيبة في «المصنف»، وابن أبي حاتم عن ابن عباس[(٤)]: أن

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/ ٤٩) بسند ضعيف.

(٢) عزاه إليهما السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ١٥٤).
وأخرجه ابن أبي حاتم كما في «تفسير ابن كثير» (١٢/ ٨١)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٥/ ٣٥٥) بسند صحيح.

(٣) عزاه إليهم السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ١٥٥).
وأخرجه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٧/ ١٠٠)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٧/ ٢٣٢).

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة (١١/ ٥٥٤ ـ ٥٥٦).
قال ابن كثير في «البداية والنهاية» (٢/ ٣٠٩) في سياق سرده لقصة داود عليه السلام، وقد ذكر كثير من المفسرين من السلف والخلف هٰهنا قصصاً وأخباراً أكثرها إسرائيليات، ومنها ما هو مكذوب لا محالة، وقال الألباني رحمه الله في «السلسلة الضعيفة» (١/ ٢٨٤ رقم ٣١٣): وقصة افتتان داود عليه السلام بنظره إلى امرأة الجندي أوريا مشهورة مبثوثة في كتب قصص الأنبياء =

داود حدّث نفسه إذا ابتُلي أَنَّه يعتصم، فقيل له: إنِّك ستبتلى، وستعلم اليوم الذي تُبْتلى فيه، فَخُذْ حذرك، فقيل له: هذا اليوم الذي تبتلى فيه فأخذ الزبور ودخل المحراب، وأغلق باب المحراب، وأخذ الزبور في حجره، وأقعد مِنصفاً؛ يعني: خادماً على الباب، وقال: لا تأذن لأحد عليّ اليوم، فبينما هو يقرأ الزبور إذ جاء طائر مُذهب كأحسنِ ما يكون للطير فيه مِنْ كل لون، فجعل يدور بين يديه، فدنا منه، فأمكن أن يأخذه، فتناوله بيده؛ ليأخذه، فاستوفز من خلفه، فأطبق الزبور، وقام إليه ليأخذه، فطار، فوقع على كوّة المحراب، فدنا منه ليأخذه، فأفضى، فوقع على خصّ، فأشرف عليه لينظر أين وقع؟ فإذا هو بامرأة عند بركتها تَغْتسل من الحيض، فلما رأت ظلّه حرّكت [٤/٤] رأسها، فغطت جسدَها أجمعَ بشعرها، وكان زوجها غازياً في سبيل الله، فكتب داود إلى رأس الغُزاة: انظر أوريا، فاجعله في حملة التابوت، وكان حملة التابوت إما أن يفتح عليهم، وإما أن يقتلوا، فقدّمه في حَملة التابوت، فقُتل، فلما انقضت عدّتها خطبها داود، فاشترطت عليه إنْ ولدت غلاماً أن يكون الخليفة من بعده، وأشهدت عليه خمسين مِنْ بني إسرائيل، وكتب عليه بذلك كتاباً، فما شعر بفتنته أنّه افتتن حتى ولدت سليمان، وشبّ، فتسوّر عليه الملكان المحراب، وكان شأنهما ما قصّ الله في كتابه، وخرّ داود ساجداً، فغفر الله له، وتاب عليه.

وأخرج الحاكم وصححه، والبيهقي في «الشعب»[1] عنه قال: ما أصاب داود ما أصابه بعد القدر إلا مِنْ عُجب بنفسه، وذلك أنه قال: يا ربّ ما من ساعة من ليل ولا نهار، إلَّا، وعابد من آل داود يعبدك يصلي لك، أو يسبح أو يكبر وذكر أشياء، فكره الله ذلك، فقال: يا داود إن ذلك لم يكن إلا بي، فلولا عوني ما قويتَ عليه، وعزّتي وجلالي لأكِلنَّك إلى نفسك يوماً، قال: يا ربّ فأخبرني به فأخبر به فأصابته الفتنة ذلك اليوم.

وأخرج أصل القصة الحكيم الترمذي في «نوادر الأصول»[2]، وابن جرير، وابن أبي حاتم عن أنس مرفوعاً بإسناد ضعيف.

= وبعض كتب التفسير، ولا يشك مسلم عاقل في بطلانها، لما فيها من نسبة ما لا يليق بمقام الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

(١) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٢/ ٤٣٣)، والبيهقي في «الشعب» رقم (٧٢٥٣).

(٢) أخرجه الحكيم الترمذي (٢/ ١٧٨، ١٧٩)، وابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/ ٧٤ ـ ٧٥)، وفي «التاريخ» (١/ ٤٨٣). =

وأخرجها ابن جرير[(١)] من وجه آخر عن ابن عباس مطوّلة.

وأخرجها جماعة عن جماعة من التابعين.

وأخرج ابن أبي حاتم[(٢)] عن ابن مسعود في قوله: ﴿إِنَّ هَٰذَآ أَخِى﴾ قال: على ديني.

وأخرج عبد الرزاق، والفريابي، وأحمد في «الزهد»، وابن جرير، والطبراني[(٣)] عنه قال: ما زاد داود على أن ﴿فَقَالَ أَكۡفِلۡنِيهَا﴾.

وأخرج عبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن ابن عباس[(٤)] في قوله: ﴿أَكۡفِلۡنِيهَا﴾ قال: ما زاد داود على أن قال: تحوّل لي عنها.

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم[(٥)] عنه في قوله: ﴿وَقَلِيلٌ مَّا هُمۡۗ﴾ يقول: قليل الذي هم فيه، وفي قوله: ﴿وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ﴾ قال: اختبرناه.

وأخرج أحمد، والبخاري، وأبو داود، والترمذي، والنسائي، وابن مردويه، والبيهقي في «سننه»[(٦)] عنه أيضاً: أنه قال في السجود في صٓ: ليست من عزائم السجود، وقد رأيتُ رسولَ الله ﷺ يسجد فيها.

وأخرج النَّسائي، وابن مردويه بسند جيد[(٧)] عنه أيضاً: «أن النبي ﷺ سجد في صٓ، وقال: سجدها داود، ونسجدها شكراً».

= • قال ابن كثير: لا يصح سنده؛ لأنَّه من رواية يزيد الرقاشي، عن أنس، ويزيد وإن كان من الصالحين، لكنه ضعيف الحديث عند الأئمة. فالأولى أن يقتصر على مجرد تلاوة القصة وأن يرد علمها إلى الله ﷻ، فإن القرآن حق، وما تضمن فهو حق أيضاً.

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/ ٦٤ ـ ٦٦).

(٢) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ١٦١).

(٣) أخرجه عبد الرزاق (٢/ ١٦٣)، وابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/ ٦٠)، والطبراني في «الكبير» رقم (٩٠٤٣) من طريق الأعمش، به.

(٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/ ٥٩)، وعبد الرزاق في «تفسيره» (٢/ ١٦٣) من طريق الأعمش، به.

(٥) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/ ٦٢ ـ ٦٣) بسند صحيح.

(٦) أخرجه أحمد رقم (١٠٦٩، ٣٤٢٢)، وأبو داود رقم (١٤٠٩)، والترمذي رقم (٥٧٧)، والنسائي في «السنن الكبرى» رقم (١١١٧٠)، والبيهقي في «سننه» (١/ ٣١٨).

(٧) أخرجه النسائي رقم (٩٥٦) وهو حديث صحيح.

وأخرج ابن مردويه عن أبي هريرة[١]: «أن النبي ﷺ سجد في صٓ».

وأخرج ابن مردويه[١] عن أنس مثله مرفوعاً.

وأخرج الدارمي، وأبو داود، وابن خزيمة، وابن حبان، والدارقطني، والحاكم وصححه، وابن مردويه، والبيهقي في «سُننه» عن أبي سعيد[٢] قال: «قرأ رسول الله ﷺ، وهو على المنبر صٓ، فلما بلغ السجدة نزل فسجد، وسجد الناس معه، فلما كان يوم آخر قرأها، فلما بلغ السجدة تهيّأ الناس للسجود، فقال: إنما هي توبة، ولكني رأيتكم تهيأتم للسجود فنزل فسجد».

وأخرج ابن مردويه[٣]، عن عمر بن الخطاب، عن النبي ﷺ: «أنه ذكر يوم القيامة، فعظم شأنه وشدّته قال: ويقول الرحمٰن ﷻ لداود عليه السلام: مرّ بين يديّ، فيقول داود: يا ربّ أخاف أن تدحضني خطيئتي، فيقول: خذ بقدمي، فيأخذ بقدمه ﷻ، فيمرّ، قال: فتلك الزلفى التي قال الله: ﴿وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ﴾».

﴿يَـٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَـٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٦﴾ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَـٰطِلًا ۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿٢٧﴾ أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾ كِتَـٰبٌ أَنزَلْنَـٰهُ إِلَيْكَ مُبَـٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَـٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴿٢٩﴾ وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَـٰنَ ۚ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾ إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِٱلْعَشِىِّ ٱلصَّـٰفِنَـٰتُ ٱلْجِيَادُ ﴿٣١﴾ فَقَالَ إِنِّىٓ أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّى حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ ﴿٣٢﴾ رُدُّوهَا عَلَىَّ ۖ فَطَفِقَ مَسْحًۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلْأَعْنَاقِ ﴿٣٣﴾﴾.

لما تمّم سبحانه قصة داود أردفها ببيان تفويض أمر خلافة الأرض إليه،

---

(١) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ١٦٦).

(٢) أخرجه الدارمي (١/ ٣٤٢)، وأبو داود رقم (١٤١٠)، وابن خزيمة رقم (١٤٥٥، ١٧٩٥)، وابن حبان رقم (٢٧٦٥، ٢٧٩٩)، والدارقطني (١/ ٤٠٨)، والحاكم (١/ ٢٨٤)، والبيهقي (٢/ ٣١٨) وهو حديث صحيح.

(٣) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ١٦٨).

والجملة مقولة لقول مُقدَّر معطوف على غفرنا؛ أي: وقلنا له ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا﴾ استخلفناك على الأرض، أو ﴿جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً﴾ لمن قبلك من الأنبياء لتأمر بالمعروف، وتنهى عن المنكر ﴿فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ﴾؛ أي: بالعدل الذي هو حكم الله بين عباده ﴿وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ﴾؛ أي: هوى النفس في الحكم بين العباد.

وفيه تنبيه لداود عليه السلام أن الذي عوتب عليه ليس بعدل، وأن فيه شائبة مِنْ اتباع هوى النفس ﴿فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ بالنّصب على أنه جواب للنهي، وفاعل يضلك هو الهوى، ويجوز أن يكون الفعل[1] مجزوماً بالعطف على النهي، وإنما حُرّك لالتقاء الساكنين، فعلى الوجه الأول يكون المنهي عنه الجمع بينهما، وعلى الوجه الثاني يكون النهي عَنْ كلّ واحد منهما على حدة.

وسبيل الله: هو طريق الحق، أو طريق الجنة، وجملة: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ تعليل للنهي عن اتباع الهوى، والوقوع في الضلال، والباء في ﴿بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ﴾ للسببية، ومعنى النسيان: الترك؛ أي: بسبب تركهم العمل لذلك اليوم قال الزجّاج[2]: أي: بتركهم العمل لذلك اليوم صاروا بمنزلة الناسين، وإنْ كانوا ينذرون، ويذكرون.

وقال عكرمة[3]، والسدّي[4]: في الآية تقديم، وتأخير، والتقدير: ولهم عذاب يوم الحساب بما نسوا؛ أي: تركوا القضاء بالعدل، والأوّل أولى.

وجملة: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا﴾ مستأنفة مقرّرة لما قبلها من أمر البعث، والحساب؛ أي: ما خلقنا هذه الأشياء خَلْقاً باطلاً خارجاً على الحكمة الباهرة، بل خلقناها للدلالة على قدرتنا، فانتصاب[5] باطلاً على المصدرية، أو على الحالية، أو على أنّه مفعول لأجله، والإشارة بقوله: ﴿ذَٰلِكَ﴾ إلى المنفيّ قبله، وهو مبتدأ، وخبره ﴿ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾؛ أي: مظنونُهم، فإنهم يظنون أن هذه الأشياء خلقت لا لغرض، ويقولون: إنّه لا قيامة، ولا بعث، ولا حساب، وذلك يستلزم أن يكون

---

(١) «التبيان» (٢/ ١٠٩٩)، و«روح المعاني» (٢٣/ ٢٦٣).

(٢) في «معاني القرآن وإعرابه» (٤/ ٣٢٩).

(٣) ذكره الواحدي في «الوسيط» (٣/ ٥٥٠).

(٤) ذكره الواحدي في «الوسيط» (٣/ ٥٥٠)، والماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٩١).

(٥) «التبيان» (١/ ٣٢٠)، و«الفريد» (٤/ ١٦٢).

خلق هذه المخلوقات باطلاً ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ والفاء[١] لإفادة ترتب ثبوت الويل لهم على ظنّهم الباطل؛ أي: فويل لهم بسبب النار المترتبة على ظنهم، وكفرهم.

ثم وبّخهم وبكّتهم فقال: ﴿أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ قال مُقاتل: قال كفّار قريش للمؤمنين: إنّا نُعطى في الآخرة كما تُعطون، فنزلت، و«أم» هي: المنقطعة[٢] المقدّرة بـ(بل)، والهمزة؛ أي: بل أنجعل الذين آمنوا بالله، وصدقوا رسله، وعملوا بفرائضه كالمفسدين في الأرض بالمعاصي؟

ثم أَضربَ سبحانه إضراباً آخر[٣]، وانتقل عَنْ الأول إلى ما هو أظهر استحالةً منه، فقال: ﴿أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ﴾؛ أي: بل نجعل أتقياء المؤمنين كأشقياء الكافرين والمنافقين، والمنهمكين في معاصي الله سبحانه مِنْ المسلمين، وقيل: إنّ الفُجّار هنا خاص بالكافرين، وقيل: المراد بالمتقين الصحابة، ولا وجه[٤] للتخصيص بغير مخصص، والاعتبار بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ﴾ ارتفاع كتاب على أنه خبر[٥] مبتدأ محذوف، و﴿أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ﴾ صفة له، و﴿مُبَٰرَكٌ﴾ خبر ثانٍ للمبتدأ ولا يجوز أن يكون صفة أخرى لكتاب لما تقرر من أنه لا يجوز تأخير الوصف الصريح عَنْ غير الصريح، وقد جوّزه بعض النحاة، والتقدير: القرآن كتاب أنزلناه إليك يا محمد كثير الخير، والبركة. وقُرِئ: «مباركاً» على الحال.

وقوله: ﴿لِّيَدَّبَّرُوٓاْ﴾ أصله ليتدبروا، فأُدغمت التاء في الدال، وهو متعلق بأنزلناه. وفي الآية دليل على أنّ الله سبحانه إنما أنزل القرآن للتدبر، والتفكر في معانيه، لا لمجرد التلاوة بدون تدبر.

قرأ الجمهور[٦]: «ليدّبروا» بالإدغام. وقرأ أبو جعفر، وشيبة: «لتدبروا» بالتاء

---

(١) «روح المعاني» (٢٣/ ٢٦٥)، و«تفسير أبي السعود» (٥/ ٥٦٣).
(٢) «روح المعاني» (٢٣/ ٢٦٥)، و«الفريد» (٤/ ١٦٢ - ١٦٣)، و«البحر المحيط» (٩/ ١٥٣).
(٣) «روح المعاني» (٢٣/ ٢٦٦)، و«البحر المحيط» (٩/ ١٥٣).
(٤) «روح المعاني» (٢٣/ ٢٦٦).
(٥) «الفريد» (٤/ ١٦٣)، و«التبيان» (٢/ ١١٠٠).
(٦) «البحر المحيط» (٩/ ١٥٨)، و«النشر» (٢/ ٣٦١)، و«جامع البيان» (٢٠/ ٨٠).

الفوقية[١] على الخطاب، ورويت هذه القراءة عَنْ عاصم[٢] والكسائي، وهي قراءة علي رضي الله عنه، والأصل: لتتدبروا بتاءين، فحذف إحداهما تخفيفاً ﴿وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾؛ أي: ليتعظ أهل العقول، والألباب جمع لُبٍ وهو: العقل ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَۚ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ أخبر سبحانه: بأن من جملة نعمه على داود أنه وهب له سليمان ولداً.

ثم مدح سليمان، فقال: ﴿نِعْمَ ٱلْعَبْدُ﴾ والمخصوص بالمدح محذوف؛ أي: نعم العبد سليمان، وقيل: إن المدح هنا بقوله: نعم العبد هو لداود، والأول أولى.

وجملة: ﴿إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ تعليل لما قبلها من المدح، والأوّاب: الرّجاع إلى الله بالتوبة كما تقدم بيانه.

والظرف في قوله: ﴿إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ﴾ متعلق بمحذوف وهو: اذكر؛ أي: اذكر ما صدر عنه وقت عرض الصافنات الجياد عليه ﴿بِٱلْعَشِيِّ﴾ وقيل: هو متعلق بنعم، وهو مع كونه غير متصرف لا وجه لتقييده بذلك الوقت.

وقيل: متعلق بأواب، ولا وجه لتقييد كونه أواباً بذلك الوقت، والعشي: من الظهر، أو العصر إلى آخر النهار، و﴿ٱلصَّٰفِنَٰتُ﴾ جمع صافن.

وقد اختلف أهل اللغة في معناه، فقال القتيبي[٣]، والفراء[٤]: الصافن في كلام العرب: الواقف من الخيل، أو غيرها، وبه قال قتادة[٥]، ومنه الحديث: «من أحب أن يتمثل له الناس صفوناً، فليتبوأ مقعده من النار»[٦]؛ أي: يديمون القيام له،

---

(١) «روح المعاني» (٢٣/ ٢٦٧)، و«القراءات الشاذة» (ص١٣٠). هما قراءتان متواترتان قراءة الجمهور بالإدغام وقراءة أبي جعفر بالفك اي عدم الادغام مع تخفيف التاء، والرواية عن عاصم والكسائي كأبي جعفر شاذة. «النشر» (٢/ ٣٦١)، و«تخريج القراءات في فتح القدير» (ص٣٣٣).

(٢) «البحر المحيط» (٩/ ١٥٨)، و«النشر» (٢/ ٣٦١).

(٣) في «تفسير غريب القرآن» (ص٣٧٩). (٤) في «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٤٠٥).

(٥) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٨/ ١٩١).

(٦) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٩١).

قال ابن حجر في «تخريج أحاديث الكشاف» (ص١٤٣): لم أجده هكذا.

وقال ابن العربي في «أحكام القرآن» (٤/ ١٦٣٥): «هذا حديث موضوع».

• وأخرج الترمذي في «السنن» رقم (٢٧٥٥) عن معاوية رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**مَنْ سرّهُ أن يَتَمثَّلَ لَهُ الرِّجالُ قياماً فليتبوَّأ مقعده من النَّار**». وهو حديث صحيح.

واستدلوا بقول النابغة[١]:

لـنـا قُـبـةٌ مـضـروبـةٌ بـفـنـائِـهـا عِـتـاقُ الـمَـهَـارى والـجـيـاد الـصَّـوافـن

ولا حجة لهم في هذا فإنه استدلال بمحل النزاع وهو مصادرة؛ لأنّ النزاع في الصافن ماذا هو؟ وقال الزجاج[٢]: هو الذي يقف على إحدى اليدين، ويرفع الأخرى، ويجعل على الأرض طرف الحافر منها حتى كأنه يقوم على ثلاث، وهي: الرجلان، وإحدى اليدين، وقد يفعل ذلك بإحدى رجليه، وهي: علامة الفراهة. وأنشد الزجاج قول الشاعر:

أَلِـفِ الـصُّـفُـونَ فـمـا يـزالُ كـأنَّـه مـمَّـا يـقـومُ عـلـى الـثَّـلاثِ كَـسِـيـرُ[٣]

ومن هذا قول عمرو بن كلثوم[٤]:

تـركـنـا الـخـيـلَ عـاكـفـةً عـلـيـه مُـقـلـدّةً أَعِـنَّـتـهَـا صُـفُـونـا

فإن قوله: صفونا لا بدّ أن يُحمل على معنى غير مجرّد القيام؛ لأن مجرّد القيام قد استفيد مِنْ قوله: عاكفةً عليه. [٤/٥] وقال أبو عبيدة[٥]: الصافن هو: الذي يجمع يديه ويسويهما، وأما الذي يقف على سنبكه فاسمه: المتخيم، والجياد جمع جواد، يقال: للفرس إذا كان شديد العَدْو. وقيل: إنها الطوال الأعناق، مأخوذ من الجيد، وهو: العنُق، قيل[٦]: كانت مائة فرس، وقيل: كانت عشرين ألفاً، وقيل: كانت عشرين فرساً، وقيل: إنها خرجت له من البحر، وكانت لها أجنحة[٧].

---

(١) نسبه إليه أبو حيان في «البحر المحيط» (٧/٣٨٨)، ولم نقف عليه في «ديوان النابغة» (المطبوع).

(٢) في «معاني القرآن وإعرابه» (٤/ ٣٣٠).

(٣) «روح المعاني» (٢٣/٢٦٨)، و«معاني القرآن وإعرابه» للزجاج (٤/ ٣٣٠) «مجاز القرآن» (٢/ ١٨٢).

(٤) معقلة عمرو بن كلثوم (ص٦٠ ـ شرح ابن كيسان).

(٥) في «مجاز القرآن» (٢/ ١٨٢).

(٦) انظر هذه الأقوال في: «الجامع لأحكام القرآن» (١٨/ ١٩٢)، و«زاد المسير» (٧/ ١٢٨)، و«روح المعاني» (٢٣/ ٢٦٩ ـ ٢٧١).

(٧) قال أبو حيَّان في «البحر المحيط» (٩/ ١٥٥): وقد اختلفوا في عدد هذه الخيل على أقوال متكاذبة سوّدوا الورق بذكرها.

﴿فَقَالَ إِنِّيٓ أَحۡبَبۡتُ حُبَّ ٱلۡخَيۡرِ عَن ذِكۡرِ رَبِّي﴾ انتصاب[1] ﴿حُبَّ ٱلۡخَيۡرِ﴾ على أنه مفعول أحببت بعد تضمينه معنى: آثرتُ.

قال الفراء: يقول: آثرت حبَّ الخير، وكُّل مَنْ أحب شيئاً، فقد آثره. وقيل: انتصابه[2] على المصدرية بحذف الزوائد، والناصب له أحببت، وقيل: هو مصدر تشبيهي؛ أي: حبّاً مثل حب الخير، والأول أولى. والمراد بالخير هنا: الخيل.

قال الزجاج[3]: «الخير» هنا: الخيل. وقال الفراء[4]: الخير، والخيل في كلام العرب واحد.

قال النحاس[5]: وفي الحديث: «الخيلُ معقود بنواصيها الخير»[6]، فكأنها سُمّيت خيراً لهذا. وقيل: إنها سميت خيراً لما فيها من المنافع. «وعن» في ﴿عَن ذِكۡرِ رَبِّي﴾ بمعنى: على.

والمعنى: آثرت حبَّ الخيل على ذكر ربي يعني: صلاة العصر ﴿حَتَّىٰ تَوَارَتۡ بِٱلۡحِجَابِ﴾؛ يعني: الشمس، ولم يتقدّم لها ذكر، ولكن المقام يدلّ على ذلك.

قال الزجاج[7]: إنما يجوز الإضمار إذا جرى ذكر الشيء، أو دليل الذكر، وقد جرى هنا الدليل، وهو قوله: بالعشيّ.

والتواري: الاستتار عَنْ الأبصار، والحجاب: ما يحجبها عن الأبصار. قال قتادة[8]، وكعب: الحجاب جبل أخضر محيط بالخلائق، وهو جبل قاف[9]، وسمي الليل حجاباً؛ لأنه يستر ما فيه، وقيل: الضمير في قوله: ﴿حَتَّىٰ تَوَارَتۡ﴾ للخيل؛ أي: حتى توارت في المسابقة عَنْ الأعين، والأوّل أولى، وقوله: ﴿رُدُّوهَا عَلَيَّ﴾ من تمام قول سليمان؛ أي: أعيدوا عرضها عليّ مرّة أخرى.

---

(١) «الفريد» (٤/ ١٦٤)، و«التبيان» (٢/ ١١٠٠)، و«مشكل إعراب القرآن» (٢/ ٢٥٠).
(٢) انظر: المصادر المتقدمة.
(٣) في «معاني القرآن وإعرابه» (٤/ ٣٣٠).
(٤) في «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٤٠٥).
(٥) في «معاني القرآن» للنحاس (٦/ ١٠٩ ـ ١١٠).
(٦) أخرجه البخاري رقم (٣٦٤٤)، ومسلم رقم (٩٦/ ١٨٧١) كلاهما من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.
(٧) في «معاني القرآن وإعرابه» (٤/ ٣٣٠).
(٨) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٩٣).
(٩) ذكره البغوي في «تفسيره» (٧/ ٧٩) بدون نسبة.

قال الحسن[١]: إنّ سليمان لما شغله عرض الخيل حتى فاتته صلاة العصر غضب لله، وقال: ردّوها عليّ؛ أي: أعيدوها. وقيل: الضمير في ردّوها يعود إلى الشمس، ويكون ذلك مُعجزة له، وإنما أمر بإرجاعها بعد مغيبها لأجل أن يصلي العصر، والأوّل أولى.

والفاء[٢] في قوله: ﴿فَطَفِقَ مَسْحًا بِٱلسُّوقِ وَٱلْأَعْنَاقِ﴾ هي: الفصيحة التي تدل على محذوف في الكلام، والتقدير هنا: فردّوها عليه.

قال أبو عبيدة[٣]: طفق يفعل مثل ما زال يفعل، وهو مثل ظلّ، وبات، وانتصاب[٤] ﴿مَسْحًا﴾ على المصدرية بفعل مقدّر؛ أي: يمسح مسحاً؛ لأن خبر طفق لا يكون إلا فعلاً مضارعاً، وقيل: هو مصدر في موضع الحال، والأول أولى. والسوق جمع ساق، والأعناق جمع عنُق، والمراد: أنه طفق يضرب أعناقها، وسُوقها، يقال: مسح علاوته؛ أي: ضرب عنقه.

قال الفراء[٥]: المسح هنا القطع، قال[٦]: والمعنى: أنّه أقبل يضرب سوقها، وأعناقها؛ لأنّها كانت سبب فوت صلاته، وكذا قال أبو عبيدة[٧].

قال الزجاج[٨]: ولم يكن يفعل ذلك إلاّ وقد أباحه الله له، وجائز أن يباح ذلك لسليمان، ويحظر في هذا الوقت.

وقد اختلف المفسرون[٩] في تفسير هذه الآية، فقال قوم: المراد بالمسح ما تقدّم.

وقال آخرون: منهم الزهري وقتادة: إنّ المراد به المسح على سوقها، وأعناقها لكشف الغبار عنها حبّاً لها. والقول الأوّل أولى بسياق الكلام، فإنه ذكر أنه آثرها على ذكر ربِّه حتى فاتته صلاة العصر.

---

(١) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٨/ ١٩٤).
(٢) «الفريد» (٤/ ١٦٦)، و«روح المعاني» (٢٣/ ٢٧٤ ـ ٢٧٥).
(٣) في «مجاز القرآن» (٢/ ١٨٣).
(٤) «التبيان» (٢/ ١١٠١)، و«الفريد» (٤/ ١٦٦).
(٥) في «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٤٠٥).
(٦) أي: الفراء في المصدر المتقدم.
(٧) في «مجاز القرآن» (٢/ ١٨٣).
(٨) في «معاني القرآن وإعرابه» (٤/ ٣٣١).
(٩) «الجامع لأحكام القرآن» (١٨/ ١٢٦ ـ ١٢٨).

ثم أمرهم بردّها عليه؛ ليعاقب نفسه بإفساد ما ألهاه عن ذلك، وما صدّه عن عبادة ربه، وشَغَله عَنْ القيام بما فرضه الله عليه، ولا يناسب هذا أن يكون الغرض من ردّها عليه هو كشف الغبار عن سوقها، وأعناقها بالمسح عليها بيده، أو بثوبه، ولا متمسك لمن قال: إنّ إفساد المال لا يصدر عَنْ النبيّ، فإن هذا مجرد استبعاد باعتبار ما هو المتقرّر في شرعنا مع جواز أَنْ يكون في شرع سليمان أن مثل هذا مباح، على أنّ إفساد المال المنهيّ عنه في شرعنا إنما هو مجرّد إضاعته لغير غرض صحيح، وأما لغرض صحيح، فقد جاز مثله في شرعنا كما وقع منه ﷺ من إكفاء القدور التي طُبخت من الغنيمة[1] قبل القسمة، ولهذا نظائر كثيرة في الشريعة، ومن ذلك ما وقع من الصحابة مِنْ إحراق طعام المحتكر.

وقد أخرج ابن عساكر عن ابن عباس[2] في قوله: ﴿أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ قال: الذين آمنوا: عليّ وحمزة وعُبيدة بن الحارث «والمفسدين في الأرض» عتبة وشيبة، والوليد.

وأخرج ابن أبي حاتم[3] عن أبي هريرة قال: ﴿ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلْجِيَادُ﴾ خيلٌ خُلقت على ما شاء.

وأخرج عبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر عن مجاهد[4] في قوله: ﴿ٱلصَّٰفِنَٰتُ﴾ قال: صفون الفرس: رفعُ إحدى يديه حتى يكون على أطراف الحافر، وفي قوله: ﴿ٱلْجِيَادُ﴾: السراع.

وأخرج ابن جرير من طريق ابن جريج عن ابن عباس[5] في قوله: ﴿حُبَّ ٱلْخَيْرِ﴾ قال: الماء، وفي قوله: ﴿رُدُّوهَا عَلَىَّ﴾ قال: الخيل ﴿فَطَفِقَ مَسْحًۢا﴾ قال: عَقْراً بالسيف.

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر عن عليّ بن أبي طالب[6] قال: الصلاة التي فرّط فيها سليمان صلاة العصر.

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» رقم (٢٤٨٨) في حديث طويل عن رافع بن خديج.
(٢) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ١٧٥).
(٣) ذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٢٤١).
(٤) عزاه إليهم السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ١٧٧).
وأخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/ ٨٢) بسند صحيح.
(٥) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ١٧٧).
(٦) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/ ٨٥) من طريق معاوية البجلي.

وأخرج الفريابي، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن أبي حاتم عن إبراهيم التيمي[(١)] في قوله: ﴿إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِٱلْعَشِيِّ ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلْجِيَادُ﴾ قال: كانت عشرين ألف فرس ذات أجنحة فعقرها.

وأخرج ابن إسحاق، وابن جرير عن ابن مسعود[(٢)] بقوله: ﴿حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ﴾ قال: توارت من وراء ياقوتة خضراء، فخضرة السماء منها.

وأخرج ابن أبي شيبة في «المصنف» عن ابن عباس[(٣)] قال: كان سليمان لا يُكلَّم إعظاماً له، فلقد فاتته صلاة العصر وما استطاع أحد أنْ يكلّمه.

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم[(٤)] عنه في قوله: ﴿عَن ذِكْرِ رَبِّي﴾ يقول: مِنْ ذكر ربي ﴿فَطَفِقَ مَسْحًا بِٱلسُّوقِ وَٱلْأَعْنَاقِ﴾ قال: قطع سوقها، وأعناقها بالسيف.

[فتنة سليمان عليه السلام]:

📖 ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِيٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾ فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي ٱلْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾ هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٤٠﴾﴾.

قوله: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ﴾؛ أي: ابتليناه، واختبرناه. قال الواحدي[(٥)]: قال أكثر المفسرين: تزوّج سليمان امرأةً من بنات الملوك، فعبدت الصنم في داره، ولم يعلم بذلك سليمان، فامتحن بسبب غفلته عن ذلك. وقيل: إن سبب الفتنة: أنه تزوّج سليمان امرأة يقال لها: جرادة، وكان يحبها حبّاً شديداً، فاختصم إليه **فريقان**:

أحدهما: من أهل جرادة، فأحبَّ أن يكون القضاء[(٦)] لهم، ثم قضى بينهم بالحق.

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/٨٣) من طيق سفيان، به.

(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/ ٨٥) بسند ضعيف.

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة (١٣/٢٠٦).

(٤) عزاه إليهم السيوطي في «الدر المنثور» (٧/١٧٨) بسند صحيح.

(٥) في «الوسيط» (٣/٥٥٣).

(٦) وهو خبر من الإسرائيليات، رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس.

وقيل: إن السبب: أنه احتجب[(١)] عن الناس ثلاثة أيام لا يقضي بين أحد. وقيل: إنه تزوّج جرادة هذه، وهي مشركة؛ لأنه عرض عليها الإسلام، فقالت: اقتلني ولا أسلم. وقال كعب الأحبار: إنه لما ظلم الخيل بالقتل سُلب ملكه.

وقال الحسن[(٢)]: إنه قارب بعض نسائه في شيء من حيض أو غيره. وقيل[(٣)]: إنه أمر أن لا يتزوّج امرأة إلا من بني إسرائيل، فتزوّج امرأة من غيرهم. وقيل: إن سبب فتنته ما ثبت في الحديث الصحيح: أنه قال: «لأطوفنّ[(٤)] الليلة على تسعين امرأة تأتي كلّ واحدة بفارس يُقاتل في سبيل الله»، ولم يقل: إنْ شاء الله. وقيل غير ذلك.

ثم بيّن سبحانه ما عاقبه به، فقال: ﴿وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا﴾ انتصاب[(٥)] ﴿جَسَدًا﴾ على أنه مفعول ألقينا، وقيل: انتصابه على الحال على تأويله بالمشتق؛ أي: ضعيفاً، أو فارغاً، والأوّل أولى.

= قال ابن حجر في «تخريج الكشاف» (ص١٤٣): أخرجه النسائي في التفسير بسند قوي.
وقال ابن كثير في «تفسيره» (١٢/ ٩٣) بعد ما سرده من رواية ابن أبي حاتم وإسناده إلى ابن عباس قوي، ولكن الظاهر أنّه إنما تلقاه ابن عباس رضي الله عنهما إن صح عنه من أهل الكتاب.
قال: وفيهم طائفة لا يعتقدون نبوة سليمان عليه الصلاة والسلام فالظاهر أنَّهم يكذبون عليه.
ثم قال: ولهذا كان في هذا السياق منكرات من أشدها ذكر النساء؛ فإن المشهور عن مجاهد وغير واحد من أئمة السلف أن ذلك الجنّي لم يُسلّط على نساء سليمان بل عصمهنَّ الله عز وجل منه تشريفاً وتكريماً لنبيِّه عليه السلام.

(١) نسبه القرطبي في «تفسيره» (١٨/ ١٩٨) إلى سعيد بن المسيب. وهذا لم يصح عن سعيد بن المسيب رحمه الله فقد رواه عبد بن حميد والحكيم الترمذي كما في «الدر المنثور» (٧/ ١٨٤) من طريق علي بن زيد وهو ضعيف.
• وقال ابن كثير في «تفسيره» (١٢/ ٩٣): وقد رويت هذه القصة المطولة عن جماعة من السلف رضي الله عنهم كسعيد بن المسيب وزيد بن أسلم وجماعة آخرين قال: وكلها متلقاة من قصص أهل الكتاب، والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب.

(٢) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٨/ ٢٠٠) عن ابن عباس ووهب بن منبه. قال الألوسي في «روح المعاني» (٢٣/ ٢٨٩): ومن أقبح ما فيها زعم تسلُّط الشيطان على نساء نبيّه، حتى وطئهنَّ وهنَّ حُيَّض. الله أكبر، هذا بهتانٌ عظيم، وخطبٌ جسيم، ونسبة الخبر إلى ابن عباس رضي الله عنهما لا تسلم صحَّتها، وكذا لا تسلم دعوى قوة سنده إليه، وإن قال بها من سمعت.

(٣) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٨/ ١٩٩): وكل هذه الأخبار من الإسرائيليات.

(٤) أخرجه البخاري في «صحيحه» رقم (٦٦٣٩)، ومسلم رقم (٢٣/ ١٦٥٤) كلاهما عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٥) «الفريد» (٤/ ١٦٧)، و«التبيان» (٢/ ١١٠١).

قال أكثر المفسرين[١]: هذا الجسد الذي ألقاه الله على كرسيّ سليمان هو شيطان اسمه: صَخْر، وكان متمّرداً عليه غير داخل في طاعته، ألقى الله شبه[٢] سليمان عليه، وما زال يحتال حتى ظفر بخاتم سليمان، وذلك عند دخول سليمان الكنيف؛ لأنّه كان يلقيه إذا دخل الكنيف، فجاء صخر في صورة سليمان، فأخذ الخاتم من امرأة من نساء سليمان، فقعد على سرير سليمان، وأقام أربعين يوماً على ملكه، وسليمان هارب.

وقال مجاهد[٣]: إنّ شيطاناً قال له سليمان: كيف تفتنون الناس؟ قال: أرني خاتمك أخبرك، فلما أعطاه إياه نبذه في البحر فذهب ملكه، وقعد الشيطان على كرسيه، ومنعه الله نساء سليمان فلم يقربهنّ، وكان سليمان يستطعم، فيقول: أتعرفونني؟ أطعموني فيكذّبوه حتى أعطته امرأة يوماً حوتاً، فشقّ بطنه، فوجد خاتمه في بطنه، فرجع إليه ملكه، وهو معنى قوله: ﴿ثُمَّ أَنَابَ﴾؛ أي: رجع إلى ملكه بعد أربعين يوماً.

وقيل: معنى أناب: رجع إلى الله بالتوبة من ذنبه، وهذا هو الصواب، وتكون جملة: ﴿قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِي﴾ بدلاً من جملة أناب، وتفسيراً لها؛ أي: اغفر لي ما صدر عني من الذنب الذي ابتليتني لأجله.

ثم لما قدّم التوبة، والاستغفار جعلها وسيلة إلى إجابة[٤] طلبته، فقال: ﴿وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِيٓ﴾ قال أبو عبيدة[٥]: معنى: لا ينبغي لأحد من بعده: لا يكون لأحد من بعدي.

وقيل[٦]: المعنى: لا ينبغي لأحد أَنْ يسلبه مني بعد هذه السلبة، أو لا يصح

(١) ذكره الواحدي في «الوسيط» (٣/ ٥٥٣).

(٢) قال أبو حيان في «البحر المحيط» (٩/ ١٥٦): إنَّ هذه القصة من أوضاع اليهود وزنادقة السوفسائية، ولا ينبغي لعاقلٍ أن يعتقد صحة ما فيها، وكيف يجوز تمثل الشيطان بصورة نبيٍّ حتى يلتبس أمرُه عند الناس ويعتقدوا أنَّ ذلك المتصوَّر هو النبيّ، ولو أمكن وجود هذا لم يوثق بإرسال نبيّ، نسأل الله تعالى سلامة ديننا وعقولنا.

(٣) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٩٥).

(٤) «روح المعاني» (٢٣/ ٢٩٠ ـ ٢٩١)، و«تفسير أبي السعود» (٥/ ٥٦٦).

(٥) في «مجاز القرآن» (٢/ ١٨١).

(٦) «النكت والعيون» (٥/ ٩٨).

لأحد من بعدي لعظمته، وليس هذا من سؤال نبيّ الله سليمان عليه السلام للدنيا وملكها والشرف بين أهلها، بل المراد بسؤاله المُلك: أَنْ يتمكن به من إنفاذ[1] أحكام الله سبحانه، والأخذ على يد المتمرّدين من عباده من الجنّ والإنس، ولو لم يكن من المقتضيات لهذا السؤال منه إلا ما رآه عند قعود الشيطان على كرسيه من الأحكام الشيطانية الجارية في عباد الله.

وجملة: ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ﴾ تعليل لما قبلها مما طلبه من مغفرة الله له وهبة الملك الذي لا ينبغي لأحد من بعده؛ أي: فإنّك كثير الهبات عظيم الموهوبات.

ثم ذكر سبحانه إجابته لدعوته، وإعطاءه لمسألته، فقال: ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ﴾؛ أي: ذللّناها له، وجعلناها منقادة لأمره.

ثم بيّن كيفية التسخير لها بقوله: ﴿تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً﴾؛ أي: لينة الهبوب ليست بالعاصف، مأخوذ مِنْ الرخاوة، والمعنى: أنها ريحٌ لينة لا تزعزع، ولا تعصف مع قوة هبوبها، وسرعة جريها، ولا ينافي هذا قوله في آية أخرى: ﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِى بِأَمْرِهِۦٓ﴾ [الأنبياء: ٨١] لأنّ المراد: أنها في قوة العاصفة ولا تعصف. وقيل: إنها كانت تارةً رخاء، وتارة عاصفة على ما يُريده سليمان[2]، ويشتهيه، وهذا أولى في الجمع بين الآيتين.

﴿حَيْثُ أَصَابَ﴾؛ أي: حيث أراد.

قال الزجاج[3]: إجماع أهل اللغة والمفسرين أن معنى: ﴿حَيْثُ أَصَابَ﴾: حيث أراد، وحقيقته حيث قعد.

وقال الأصمعي[4]، وابن الأعرابي[5]: العرب تقول: أصاب الصواب، وأخطأ الجواب. وقيل: إن معنى أصاب بلغة حمير: أراد، وليس من لغة العرب، وقيل: هو بلسان هَجَر، والأول أولى، وهو مأخوذ من إصابة السهم للغرض ﴿وَٱلشَّيَٰطِينَ﴾

---

(١) «أحكام القرآن» لابن العربي (٤/ ١١٣٧).

(٢) «روح المعاني» (٢٣/ ٢٩٦).

(٣) في «معاني القرآن وإعرابه» (٤/ ٣٣٣).

(٤) ذكره الأزهري في «تهذيب اللغة» (١٢/ ٣٥٢).

(٥) في «ياقوتة الصراط» (ص٤٤٠).

معطوف على الريح؛ أي: وسخرنا له الشياطين، وقوله: ﴿كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ﴾ بدل من الشياطين؛ أي: كل بناء منهم، وغواص منهم [٦/٤] يبنون له ما يشاء من المباني، ويغوصون في البحر، فيستخرجون له الدر منه، ومن هذا قول الشاعر(١):

إلَّا سُليمانَ إذْ قالَ الجليلُ له   قُمْ في البريةِ فاحدُدها عن الفَنَدِ
وخبِّر الجنَّ أنِّي قد أذنتُ لهم   يبنونَ تَدمُرَ بالصُّفَّاحِ والعَمَدِ

﴿وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ﴾ معطوف على (كلَّ) داخلٌ في حكم البدل، وهم مردة الشياطين سُخِّروا له حتى قرنهم في الأصفاد. يقال: قرنهم في الحبال: إذا كانوا جماعة كثيرة، والأصفاد: الأغلال واحدها صَفَدْ.

قال الزجاج(٢): هي السلاسل، فكل ما شددته شدّاً وثيقاً بالحديد وغيره، فقد صفّدته. قال أبو عبيدة(٣): صَفّدتُ الرجل، فهو: مصفود، وصفدته فهو: مصفد، ومن هذا قول عمرو بن كلثوم(٤) في معلقته:

فآبُوا بالنِّهابِ وبالسَّبايا   وأُبنا بالمُلوكِ مُصفَّدينا

قال يحيى بن سلام(٥): ولم يكن يفعل ذلك إلا بكفارهم، فإذا آمنوا أطلقهم ولم يسخرهم.

والإشارة بقوله: ﴿هَٰذَا﴾ إلى ما تقدم من تسخير الريح، والشياطين له، وهو بتقدير القول؛ أي: وقُلْنا له: ﴿هَٰذَا عَطَآؤُنَا﴾ الذي أعطيناكه من المُلك العظيم الذي طلبته ﴿فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ﴾ قال الحسن، والضحاك، وغيرهما؛ أي: فأعط مَنْ شئت، وامنع مَنْ شئتَ ﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ لا حساب عليك في ذلك الإعطاء، أو الإمساك، أو عطاؤنا لك بغير حساب لكثرته، وعظمته.

وقال قتادة(٦): إن قوله: ﴿هَٰذَا عَطَآؤُنَا﴾ إشارة إلى ما أعطيه مِنْ قوة الجماع، وهذا لا وجه لقصر الآية عليه لو قدّرنا أنه قد تقدم ذكره من جملة تلك المذكورات، فكيف يدعي اختصاص الآية به مع عدم ذكره؟.

---

(١) قائلهما النابغة الذبياني. وهما في «ديوانه» (ص٣٣).
(٢) في «معاني القرآن وإعرابه» (٤/٣٣٣).   (٣) في «مجاز القرآن» (٢/١٨١).
(٤) انظر: «معلقته» (ص١٠ ـ شرح ابن كيسان).
(٥) «النكت والعيون» (٥/٩٩).
(٦) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٨/٢٠٩).

﴿وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ﴾؛ أي: قربة في الآخرة ﴿وَحُسْنَ مَـَٔابٍ﴾ وحسن مرجع وهو الجنة.

وقد أخرج الفريابي، والحكيم الترمذي، والحاكم وصححه عن ابن عباس[١] في قوله: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَـٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا﴾ قال: هو الشيطان الذي كان على كُرسيّه يقضي بين الناس أربعين يوماً، وكان لسليمان امرأة يقال لها: جَرادة، وكان بين بعض أهلها وبين قوم خصومة، فقضى بينهم بالحق إلاّ أنه ودَّ أن الحق كان لأهلها، فأوحى الله إليه أن سيصيبك بلاء، فكان لا يدري أيأتيه من السماء أم من الأرض.

وأخرج النسائي، وابن جرير، وابن أبي حاتم، قالِ السيوطي[٢]: بسند قوي، عن ابن عباس[٣] قال: أراد سليمان أن يدخل الخلاء، فأعطى لجرادة خاتمه، وكانت جرادة امرأته، وكانت أحبَّ نسائه إليه، فجاء الشيطان في صورة سليمان[٤]، فقال لها: هاتي خاتمي، فأعطته، فلما لبسه دانت له الإنس، والجن والشياطين، فلما خرج سليمان مِنْ الخلاء قال: هاتي خاتمي، قالت: قد أعطيته سليمان. قال: أنا سليمان، قالت: كذبت لستَ سليمان، فجعل لا يأتي أحداً يقول: أنا سليمان إلا كذّبه، حتى جعل الصبيان يرمونه بالحجارة، فلما رأى ذلك عرف أنه من أمر الله.

وقام الشيطان يحكم بين الناس، فلما أراد الله أن يردّ على سليمان سلطانه ألقى في قلوب الناس إنكار ذلك الشيطان، فأرسلوا إلى نساء سليمان، فقالوا لهنّ: تنكرن مِنْ أمر سليمان شيئاً؟ قُلنْ: نعم إنّه يأتينا ونحن نحيض[٥]، وما كان يأتينا قبل ذلك، فلما رأى الشيطان أنّه قد فُطن له ظن أن أمره قد انقطع، فكتبوا كتباً فيها سحر وكفر، فدفنوها تحت كرسي سليمان، ثم أثاروها وقرءوها على الناس وقالوا:

---

(١) أخرجه الحكيم الترمذي (٢/ ١٨٠)، والحاكم (٢/ ٤٣٣ ـ ٤٣٤).
(٢) في «الدر المنثور» (٧/ ١٧٩).
(٣) أخرجه النسائي في «السنن الكبرى» رقم (١٠٩٩٣)، وابن جرير في «جامع البيان» (٢/ ٣٢٤) بسند قوي. تقدم كلام ابن كثير ورده هذه الرواية.
(٤) تقدم ردّ هذا الكلام. «البحر المحيط» (٩/ ١٥٦).
(٥) تقدم إنكار ذلك. «روح المعاني» (٢٣/ ٢٨٩).

بهذا كان يظهر سليمان على النّاس ويغلبهم، فأكفر الناس سليمان، فلم يزالوا يكفرونه.

وبعث ذلك الشيطان بالخاتم، فطرحه في البحر فتلقته سمكة فأخذته، وكان سليمان يعمل على شط البحر بالأجر، فجاء رجل فاشترى سمكاً فيه تلك السمكة التي في بطنها الخاتم، فدعا سليمان، فقال: تحمل لي هذا السمك؟ قال: نعم، قال: بكم، قال: بسمكة من هذا السمك، فحمل سليمان السمك.

ثم انطلق به إلى منزله، فلما انتهى الرجل إلى باب داره أعطاه تلك السمكة التي في بطنها الخاتم، فأخذها سليمان، فشق بطنها، فإذا الخاتم في جوفها، فأخذه، فلبسه، فلما لبسه دانت له الجنُّ، والإنس، والشياطين، وعاد إلى حاله، وهرب الشيطان حتى لحق بجزيرة من جزائر البحر، فأرسل سليمان في طلبه، وكان شيطاناً مريداً، فجعلوا يطلبونه، ولا يقدرون عليه حتى وجدوه يوماً نائماً، فجاءوا فبنوا عليه بنياناً من رصاص فاستيقظ، فوثب، فجعل لا يثب في مكان من البيت إلا انباط معه الرصاص، فأخذوه، فأوثقوه، وجاءوا به إلى سليمان، فأمر به، فنقر له تخت من رخام، ثم أدخله في جوفه، ثم شدّ بالنحاس، ثم أمر به، فطرح في البحر، فذلك قوله: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا﴾؛ يعني: الشيطان الذي كان سُلّط عليه.

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن ابن عباس(١) في قوله: ﴿وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا﴾ قال: صخر الجني تمثل على كرسيه على صورته.

وأخرج البخاري، ومسلم، وغيرهما عن أبي هريرة(٢) قال: قال رسول الله ﷺ: «إنّ عفريتاً من الجنّ جعل يتفلت عليّ البارحة؛ ليقطع عليّ صلاتي، وإن الله أمكنني منه، فلقد هممتُ أن أربطه إلى سارية من سواري المسجد حتى تصبحوا، فتنظروا إليه كلكم، فذكرت قول أخي سليمان: ﴿وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ﴾ فردّه الله خاسئاً».

---

(١) عزاه إليهم السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ١٨٠).
وأخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/ ٨٨)، وابن أبي حاتم كما في «تفسير ابن كثير» (١٢/ ٩٢) وقال ابن كثير: وهذه كلها من الإسرائيليات.

(٢) أخرجه البخاري رقم (٤٦١، ١٢١٠، ٣٢٨٤، ٣٤٢٣، ٤٨٠٨)، ومسلم رقم (٥٤١)، والنسائي في «الكبرى» رقم (٥٥١، ١١٤٤)، والحكيم الترمذي (١/ ٣٧١).

وأخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم عن ابن عباس[١] في قوله: ﴿فَٱمْنُنْ﴾ يقول: اعتق مِنْ الجنّ مَنْ شئت، وأمسك منهم من شئت.

[ذكر، أيوب عليه السلام]:

﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾ ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ ۖ هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٤٣﴾ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ ۗ إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾﴾.

[ذكر، إبراهيم عليه السلام ونسله]:

﴿وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٥﴾ إِنَّآ أَخْلَصْنَٰهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى ٱلدَّارِ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٧﴾ وَٱذْكُرْ إِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ وَكُلٌّ مِّنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٨﴾ هَٰذَا ذِكْرٌ ۚ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٤٩﴾ جَنَّٰتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ ﴿٥٠﴾ مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ﴿٥١﴾ وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ أَتْرَابٌ ﴿٥٢﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ﴿٥٤﴾﴾.

قوله: ﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ﴾ معطوف على قوله: ﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ﴾ [صٓ: ١٧] وأيوب عطف بيان، و ﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ﴾ بدل اشتمال من عبدنا ﴿أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ قرأ الجمهور[٢] بفتح الهمزة على أنه حكاية لكلامه الذي نادى ربَّه به، ولو لم يحكه لقال: إنه مسه.

وقرأ عيسى بن عمر بكسرها[٣] على إضمار القول.

وفي ذكر قصة أيوب إرشاد لرسول الله ﷺ إلى الاقتداء به في الصبر على المكاره. قرأ الجمهور[٤] بضم النون من قوله: ﴿بِنُصْبٍ﴾ وسكون الصاد، فقيل: هو

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/ ١٠٢) بسند ضعيف.

(٢) «البحر المحيط» (٩/ ١٦١)، و«روح المعاني» (٢٣/ ٣٠٢)، و«الجامع الأحكام القرآن» (١٥/ ٢٠٧).

(٣) «إعراب القراءات الشواذ» (٢/ ٣٩٦)، و«البحر المحيط» (٩/ ١٦١). والقراءة بكسر الهمزة شاذة.

(٤) «النشر» (٢/ ٣٦١)، و«جامع البيان» (٢٠/ ١٠٥)، و«البحر المحيط» (٩/ ١٦١)، و«زاد المسير» =

جمع نَصَب بفتحتين نحو أُسْد، وأَسَد، وقيل: هو لغة في النصب، نحو رُشْد ورَشَد. وقرأ أبو جعفر[(١)] يزيد بن القعقاع، وشيبة، وحفص، ونافع في رواية عنه بضمتين، ورُويت هذه القراءة عَنْ الحسن. وقرأ أبو حيوة[(٢)]، ويعقوب، وحفص في رواية بفتح وسكون، وهذه القراءات كلُّها بمعنى واحد، وإنما اختلفت القراءات باختلاف اللّغات.

وقال أَبو عبيدة[(٣)]: إنّ النصب بفتحتين: التعب، والإعياء، وعلى بقية القراءات: الشرّ، والبلاء، ومعنى قوله: ﴿وَعَذَابٍ﴾؛ أي: ألم.

قال قتادة[(٤)]، ومقاتل: النصب في الجسد، والعذاب في المال.

قال النحاس[(٥)]: وفيه بعد كذا قال.

والأولى تفسير النصب بالمعنى اللّغوي، وهو: التَعَب، والإعياء، وتفسير العذاب بما يصدق عليه مُسمّى العذاب، وهو: الألم، وكلاهما راجع إلى البدن.

﴿ارْكُضْ بِرِجْلِكَ﴾ هو بتقدير القول؛ أي: قُلْنا له: اركض برجلك كذا قال الكسائي، والركض: الدفع بالرّجْل، يقال: ركض الدابة برجله: إذا ضربها بها.

وقال المبِّرد[(٦)]: الركض: التحريك. قال الأصمعي[(٧)]: يقال: رُكضت الدابةُ، ولا يقال: ركضت هي؛ لأنّ الركض إنما هو تحريك[(٨)] راكبها رجليه، ولا فعل لها في ذلك، وحكى سيبويه[(٩)]: ركَضْتُ الدابة، فرَكَضتْ، مثل جَبرتُ العظمَ، فَجبَر.

= (٧/ ١٤١). في كلمة (نصب) ثلاث قراءات متواترة الأولى قراءة الجمهور (نُصْب) بضم فسكون، والثانية بضمتين، وهي قراءة أبي جعفر، والثالثة بفتحتين، وهي قراءة يعقوب، وما ذكره المؤلف ليعقوب وحفص فروايات شاذة. انظر: «النشر» (٢/ ٣٦١).

(١) «القراءات الشاذة» (ص١٣٠)، و«البحر المحيط» (٩/ ١٦٢).

(٢) «روح المعاني» (٢٣/ ٣٠٢)، و«البحر المحيط» (٩/ ١٦٢).

(٣) في «مجاز القرآن» (٢/ ١٨٤).

(٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/ ١٠٦) بسند صحيح.

(٥) ذكره البغوي في «تفسيره» (٧/ ٩٦).

(٦) ذكره النحاس في «إعراب القرآن» (٣/ ٤٦٥).

(٧) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٨/ ٢١٥).

(٨) «الصحاح» (٣/ ١٠٨٠).

(٩) ذكره ابن قتيبة في «تفسير غريب القرآن» (ص٣٨٠).

﴿هَٰذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾ هذا أيضاً من مقول القول المقدّر، المغتسل هو: الماء الذي[١] يُغتسل به، والشراب الذي يشرب منه. وقيل: إن المغتسل هو: المكان الذي يغتسل فيه[٢].

قال قتادة[٣]: هما عينان بأرض الشام في أرض يقال لها: الجابية، فاغتسل من إحداهما، فأذهب الله ظاهر دائه،وشرب مِنْ الأخرى فأذهب الله باطن دائه، وكذا قال الحسن.

وقال مُقاتل[٤]: نبعت عينٌ جارية، فاغتسل فيها، فخرج صحيحاً، ثم نبعت عين أخرى، فشرب منها ماءً عذباً بارداً. وفي الكلام حذف، والتقدير: فركض برجله، فنبعت عين، فقلنا له: هذا مغتسل إلخ، وأسند المسّ إلى الشيطان مع أن الله سبحانه هو الذي مسّه بذلك: إمّا لكونه لمّا عمل بوسوسته عوقب على ذلك بذلك النصب، والعذاب.

فقد قيل[٥]: إنه أعجب بكثرة ماله، وقيل: استغاثه مظلوم، فلم يغثه، وقيل: إنّه قال ذلك على طريقة الأدب، وقيل: إنه قال ذلك؛ لأن الشيطان وسوس إلى أتباعه، فرفضوه وأخرجوه من ديارهم، وقيل: المراد به. ما كان يوسوسه الشيطان إليه حال مرضه، وابتلائه من تحسين الجَزَع، وعدم الصبر على المصيبة، وقيل غير ذلك.

وقوله: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ﴾ معطوف على مقدّر كأنه قيل: فاغتسل، وشرب، فكشفنا بذلك ما به من ضُرّ، ووهبنا له أهله.

قيل[٦]: أحياهم الله بعد أن أماتهم، وقيل: جمعهم بعد تفرقهم، وقيل: غيرّهم مثلهم، ثم زاده مثلهم معهم، وهو معنى قوله: ﴿وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ﴾ فكانوا مثلي ما كانوا من قبل ابتلائه.

---

(١) ذكره النحاس في «إعراب القرآن» (٣/ ٤٦٥).
(٢) «النكت والعيون» (٥/ ١٠٢).
(٣) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٨/ ٢١٦).
(٤) انظر: «معالم التنزيل» (٧/ ٩٦)، و«الوسيط» (٣/ ٥٥٧).
(٥) «تفسير الرازي» (٢٢/ ٢٠٧ ـ ٢٠٨)، و«أحكام القرآن» لابن العربي (٤/ ١٦٣٤).
(٦) تقدمت هذه الأقوال في سورة الأنبياء.

وانتصاب قوله: ﴿رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ على أنه مفعول[١] لأجله؛ أي: وهبناهم له لأجل رحمتنا إيّاه، وليتذكر بحاله أولو الألباب، [٤/٧] فيصبروا على الشدائد كما صبر.

وقد تقدّم في سورة الأنبياء تفسير هذه الآية مستوفى، فلا نعيده.

﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا﴾ معطوف على اركض، أو على وهبنا؛ أو التقدير: وقلنا له: ﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا﴾، والضِّغْث[٢]: عِثكال النخل بشماريخه، وقيل: هو قبضة من حشيش مختلط رطبها بيابسها، وقيل: الحزمة الكبيرة من القُضبان، وأصل المادّة تدلّ على جمع المختلطات.

قال الواحدي[٣]: الضِّغْثُ: ملء الكفّ من الشجر، والحشيش، والشماريخ ﴿فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ﴾؛ أي: اضرب بذلك الضغث، ولا تحنث في يمينك، والحنث: الإثمُ، ويطلق على فعل ما حلف على تركه، وكان أيوب قد حلف في مرضه أن يضرب امرأته مائة جلدة.

واختلف في سبب ذلك، فقال سعيد بن المسيب[٤]: إنها جاءته بزيادة على ما كانت تأتيه به من الخبز، فخاف خيانتها، فحلف ليضربنها.

وقال يحيى بن سلام[٥]، وغيره: إنّ الشيطان أغواها أن تحمل أيوب على أن يذبح سخلة تقرّباً إليه، فإنه إذا فعل ذلك برئ، فحلف ليضربنها إن عوفي مائة جلدة.

وقيل: باعت ذؤابتها برغيفين إذ لم تجد شيئاً، وكان أيوب يتعلق بها إذا أراد القيام، فلهذا حلف ليضربنها[٦].

وقيل: جاءها إبليس في صورة[٧] طبيب، فدعته لمداواة أيوب، فقال: أداويه على أنّه إذا برئ قال: أنت شفيتني، لا أريد جزاء سواه، قالت: نعم، فأشارت على أيوب بذلك، فحلف ليضربنّها.

---

(١) «التبيان» (٢/ ١٠٢)، و«الفريد» (٤/ ١٦٩).
(٢) «الصحاح» (١/ ٣٨٥)، و«مفردات ألفاظ القرآن» (ص٥٠٩).
(٣) في «الوسيط» (٣/ ٥٥٨).
(٤) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٨/ ٢١٧).
(٥) «النكت والعيون» (٥/ ١٠٣).
(٦) ذكره ابن العربي في «أحكام القرآن» (٤/ ١٦٣٩).
(٧) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٨/ ٢١٧).

وقد اختلف العلماء[(١)] هل هذا خاصّ بأيوب أو عامّ للناس كلهم وأن من حلفَ خرج مِنْ يمينه بمثل ذلك. قال الشافعي[(٢)]: إذا حلف ليضربنّ فلاناً مائة جلدة، أو ضرباً، ولم يقل: ضرباً شديداً، ولم ينوِ بقلبه، فيكفيه مثل هذا الضرب المذكور في الآية، حكاه ابن المنذر[(٣)] عنه، وعن أبي ثور، وأصحاب[(٤)] الرأي.

وقال عطاء: هو خاصّ بأيوب، ورواه ابن القاسم عن مالك[(٥)]. ثم أثنى الله سبحانه على أيوب، فقال: ﴿إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا﴾؛ أي: على البلاء الذي ابتليناه به، فإنّه ابتلي بالداء العظيم في جسده، وذهاب ماله وأهله وولده، فصبر ﴿نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ﴾؛ أي: أيوب ﴿إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾؛ أي: رجّاع إلى الله بالاستغفار، والتوبة.

﴿وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ﴾ قرأ الجمهور[(٦)]: «عبادنا» بالجمع. وقرأ ابن عباس، ومجاهد، وحميد، وابن محيصن، وابن كثير «عَبْدَنا» بالإفراد[(٧)].

فعلى قراءة الجمهور يكون إبراهيم وإسحاق، ويعقوب عطف بيان، وعلى القراءة الأخرى يكون إبراهيم عطف بيان[(٨)]، وما بعده عطف على عبدنا لا على إبراهيم. وقد يقال: لما كان المراد بعبدنا الجنس جاز إبدال الجماعة منه.

وقيل: إن إبراهيم، وما بعده بدل[(٩)]، أو النصب بإضمار أعني، وعطف البيان أظهر، وقراءة الجمهور أبين وقد اختارها أبو عبيد[(١٠)] وأبو حاتم.

---

(١) «الجامع لأحكام القرآن» (١٨/ ٢١٨)، و«أحكام القرآن» لابن العربي (٤/ ٣٦).
(٢) «الإشراف» (١/ ٤٢٦)، و«الأم» (٧/ ٧٣).
(٣) «الإشراف» (١/ ٤٧٣).
(٤) «البناية في شرح الهداية» (٦/ ٩٤).
(٥) «مدونة الفقه المالكي وأدلته» (٢/ ٣٥٧ ـ ٣٥٨)، و«أحكام القرآن» لابن العربي (٤/ ١٦٤٠).
(٦) «البحر المحيط» (٩/ ١٦٣)، و«التيسير» (ص١٨٨)، و«جامع البيان» (٢٠/ ١١٣)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (٢/ ٢٣١)
(٧) انظر: المصادر المتقدمة.
قال ابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/ ١١٤): والصواب عندنا في ذلك من القراءة قراءة من قرأه على الجماع، على أن إبراهيم وإسحاق ويعقوب بيانٌ عن العباد، وترجمةٌ عنهم، لإجماع الحجة من القرأة عليه.
(٨) «التبيان» (٢/ ١١٠٢)، و«الفريد» (٤/ ١٦٩)، و«روح المعاني» (٢٣/ ٣١١).
(٩) انظر: المصادر المتقدمة.
(١٠) ذكره عنهما القرطبي في «تفسيره» (١٨/ ٢٢٣).

﴿أُوْلِي ٱلْأَيْدِي وَٱلْأَبْصَٰرِ﴾ الأيدي، جمع اليد التي بمعنى: القوّة، والقدرة. قال قتادة[١]: أعطوا قوّة في العبادة ونصراً في الدين.

قال الواحدي[٢]: وبه قال مجاهد وسعيد بن جبير والمفسرون. قال النحاس[٣]: أما الأبصار فمتفق على أنها البصائر في الدين، والعلم.

وأما الأيدي، فمختلف في تأويلها، فأهل التفسير يقولون: إنها القوّة في الدين، وقوم يقولون: الأيدي جمع يد وهي النعمة؛ أي: هم أصحاب النعم؛ أي: الذين أنعم الله ﷻ عليهم، وقيل: هم أصحاب النعم على الناس، والإحسان إليهم؛ لأنهم قد أحسنوا وقدّموا خيراً، واختار هذا ابن جرير[٤]. قرأ الجمهور[٥]: «أولي الأيدي» بإثبات الياء في الأيدي.

وقرأ ابن مسعود، والأعمش، والحسن، وعيسى: «الأيد» بغير ياء[٦]، فقيل معناها: معنى القراءة الأولى، وإنما حذفت الياء لدلالة كسرة الدال عليها، وقيل: الأيد: القوّة.

وجملة: ﴿إِنَّآ أَخْلَصْنَٰهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى ٱلدَّارِ﴾ تعليل لما وصفوا به. قرأ الجمهور[٧] «بخالصةٍ» بالتنوين، وعدم الإضافة على أنها مصدر بمعنى: الإخلاص، فيكون ذكرى[٨] منصوباً به، أو بمعنى: الخلوص، فيكون ذكرى مرفوعاً به، أو يكون «خالصة» اسم فاعل على بابه، و«ذكرى» بدل منها، أو بيان لها، أو بإضمار أعني، أو مرفوعة بإضمار[٩] مبتدأ، و«الدار» يجوز أن تكون مفعولاً به لذكرى، وأن تكون ظرفاً: إما على الاتساع، أو على إسقاط الخافض، وعلى كل تقدير: فخالصة صفة لموصوف محذوف، والباء للسببية؛ أي: بسبب خصلة خالصة.

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/ ١١٥) بسند صحيح.
(٢) في «الوسيط» (٣/ ٥٦٢). (٣) في «إعراب القرآن» (٣/ ٤٦٧).
(٤) في «جامع البيان» (٢٠/ ١١٤).
(٥) «البحر المحيط» (٩/ ١٦٣)، و«زاد المسير» (٧/ ١٤٦)، و«فتح الباري» (٨/ ٢٤٠).
(٦) «المحتسب» (٢/ ٤٠٣)، و«القراءات الشاذة» (ص١٣٠). وهي قراءة شاذة.
(٧) «جامع البيان» (٢٠/ ١١٦ ـ ١١٧)، و«البحر المحيط» (٩/ ١٦٤)، و«التيسير» (ص١٨٨).
(٨) «روح المعاني» (٢٣/ ٣١٤)، و«التبيان» (٢/ ١١٠٢)، و«الفريد» (٤/ ١٧٠ ـ ١٧١).
(٩) انظر: المصادر المتقدمة.

وقرأ نافع، وشيبة، وأبو جعفر، وهشام عن ابن عامر بإضافة خالصة[1] إلى ذكرى على أن الإضافة للبيان؛ لأن الخالصة تكون ذكرى وغير ذكرى، أو على أن خالصة مصدر مضاف إلى مفعوله، والفاعل محذوف؛ أي: بأن أخلصوا ذكرى الدار، أو مصدر[2] بمعنى: الخلوص مضافاً إلى فاعله.

قال مجاهد[3]: معنى الآية: استصفيناهم بذكر الآخرة، فأخلصناهم بذكرها.

وقال قتادة[4]: كانوا يدعون إلى الآخرة، وإلى الله.

وقال السدّي[5]: أخلصوا بخوف الآخرة.

قال الواحدي[6]: فمن قرأ بالتنوين في خالصة كان المعنى: جعلناهم لنا خالصين بأن خلصت لهم ذكرى الدار، والخالصة مصدر بمعنى: الخلوص، والذكرى بمعنى: التذكر؛ أي: خلص لهم تذكر الدار، وهو أنهم يذكرون التأهب لها ويزهدون في الدنيا وذلك من شأن الأنبياء. وأما من أضاف[7]، فالمعنى: أخلصنا لهم بأن خلصت لهم ذكرى الدار، والخالصة مصدر مضاف إلى الفاعل والذكرى على هذا المعنى: الذكر.

﴿وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلْأَخْيَارِ﴾ الاصطفاء: الاختيار، والأخيار جمع خير بالتشديد، والتخفيف كأموات في جمع ميْت مشدّداً ومخففاً؛ والمعنى: إنهم عندنا لمن المختارين من أبناء جنسهم من الأخيار ﴿وَٱذْكُرْ إِسْمَٰعِيلَ﴾ قيل: وجه إفراده بالذِّكر بعد ذكر أبيه وأَخيه، وابن أخيه للإشعار بأنّه عريق في الصبر الذي هو المقصود بالتذكير هنا ﴿وَٱلْيَسَعَ وَذَا ٱلْكِفْلِ﴾ قد تقدّم ذكر اليسع والكلام فيه في الأنعام، وتقدَّم ذكر ذا الكفل، والكلام فيه في سورة الأنبياء، والمراد من ذكر هؤلاء: أنّهم من جملة مَنْ صبر من الأنبياء وتحملوا الشدائد في دين الله.

---

(١) «جامع البيان» (٢٠/ ١١٧)، و«النشر» (٢/ ٣٦١)، و«التيسير» (ص١٨٨). وهما قراءتان متواترتان. ولهشام وجه آخر عن ابن عامر كقراءة الجمهور بعدم الاضافة.

(٢) «روح المعاني» (٢٣/ ٣١٢ ـ ٣١٣)، و«الفريد» (٤/ ١٧١).

(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/ ١١٨) بسند صحيح.

(٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/ ١١٧) بسند صحيح.

(٥) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/ ١١٨) بسند حسن.

(٦) في «الوسيط» (٣/ ٥٦٢).

(٧) «جامع البيان» (٢٠/ ١١٧)، و«روح المعاني» (٢٣/ ٣١٣ ـ ٣١٤).

أمر الله رسوله ﷺ بأن يذكرهم ليسلك مسلكهم[١] في الصبر ﴿وَكُلٌّ مِّنَ ٱلْأَخْيَارِ﴾؛ يعني: الذين اختارهم[٢] الله لنبوّته واصطفاهم من خلقه ﴿هَٰذَا ذِكْرٌ﴾ الإشارة إلى ما تقدّم من ذكر أوصافهم؛ أي: هذا ذكر جميل في الدنيا، وشرف يُذْكرون به أبداً ﴿وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَـَٔابٍ﴾؛ أي: لهم مع هذا الذكر الجميل حسن مآب في الآخرة، والمآب المرجع.

والمعنى: أنّهم يرجعون في الآخرة إلى مغفرة الله ورضوانه ونعيم جنته.

ثم بيّن حسن المرجع، فقال: ﴿جَنَّٰتِ عَدْنٍ﴾ قرأ الجمهور[٣]: «جنات» بالنصب[٤] بدلاً مِنْ حسن مآب، سواء كان جنات عدن معرفة، أو نكرة؛ لأن المعرفة تبدل من النكرة، وبالعكس، ويجوز أن يكون جنات عطف بيان إن كانت نكرة، ولا يجوز ذلك فيها إن كانت معرفة على مذهب جمهور النحاة، وقد جوزه بعضهم. ويجوز أن يكون نصب جنات بإضمار فعل.

والعدن في الأصل: الإقامة، يقال: عَدَنَ بالمكان: إذا أقام فيه، وقيل: هو اسم لقصر في الجنة، وقُرئ برفع «جناتُ» على أنها مبتدأ[٥] وخبرها «مفتحة»، أو على أنها خبر مبتدأ محذوف؛ أي: هي جنات عدن.

وقوله: ﴿مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ﴾ حال من جنات، والعامل فيها ما في المتقين من معنى الفعل، والأبواب مرتفعة باسم المفعول: كقوله: ﴿وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا﴾ [الزمر: ٧٣] والرّابط بين الحال، وصاحبها ضمير مقدر؛ أي: منها، أو الألف، واللام لقيامه مقام الضمير، إذ الأصل أبوابها. وقيل: إن ارتفاع الأبواب على البدل من الضمير في مفتحة العائد على جنّات، وبه قال أبو عليّ الفارسي؛ أي: مفتحة هي الأبواب.

---

(١) «روح المعاني» (٢٣/ ٣١٣)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٨/ ٢٢٤).

(٢) «جامع البيان» (٢٠/ ١٢٠).

(٣) «النشر» (٢/ ٩٩ ـ ١٠٠)، و«التبيان» (٢/ ١١٠٣)، و«روح المعاني» (٢٣/ ٣١٨).

(٤) «التبيان» (٢/ ١١٠٣)، و«الفريد» (٤/ ١٧٣)، و«مشكل إعراب القرآن» (٢/ ٢٥٢).

(٥) «القراءات الشاذة» (ص١٣٠)، و«البحر المحيط» (٩/ ١٦٦)، و«روح المعاني» (٢٣/ ٣١٨). والقراءة يرفع (جنات) شاذة.

قال الفراء[١]: المعنى: مفتحة أبوابها، والعرب تجعل الألف واللام خلفاً من الإضافة.

وقال الزجاج[٢]: المعنى: مفتحة لهم الأبواب منها. قال الحسن[٣]: إن الأبواب يقال لها: انفتحي، فتنفتح، انغلقي، فتنغلق، وقيل: تفتح لهم الملائكة الأبواب.

وانتصاب ﴿مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا﴾ على الحال[٤] من ضمير لهم، والعامل فيه مفتحة، وقيل: هو حال[٥] من ﴿يَدْعُونَ﴾ قدّمت على العامل ﴿فِيهَا﴾؛ أي: يدعون في الجنات حال كونهم متكئين فيها ﴿بِفَـٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ﴾؛ أي: بألوان متنوّعة متكثرة من الفواكه ﴿وَشَرَابٍ﴾ كثير، فحذف كثيراً لدلالة الأوّل عليه، وعلى جعل ﴿مُتَّكِـِٔينَ﴾ حالاً من ضمير لهم، والعامل فيه مفتحة، فتكون جملة ﴿يَدْعُونَ﴾ مستأنفة لبيان حالهم.

وقيل: «إن يدعون» في محل نصب[٦] على الحال من ضمير متكئين.

﴿وَعِندَهُمْ قَـٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ أَتْرَابٌ﴾؛ أي: قاصرات طرفهنّ على أزواجهن لا ينظرن إلى غيرهم، وقد مضى بيانه في سورة الصافات.

والأتراب[٧]: المتحدات في السنّ، أو المتساويات في الحُسن.

وقال مجاهد[٨]: معنى أتراب: أنهنّ متواخيات[٩] لا يتباغضن ولا يتغايرن. وقيل: أتراباً للأزواج.

والأتراب جمع تِرْب[١٠]، واشتقاقه من التراب؛ لأنه يمسهنّ في وقت واحد لاتحاد مولدهنّ.

---

(١) في «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٤٠٨). (٢) في «معاني القرآن وإعرابه» (٤/ ٣٣٧).
(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/ ١٢٢) من طريق أحمد بن الوليد الرَّملي.
(٤) «روح المعاني» (٢٣/ ٣١٩)، و«التبيان» (٢/ ١١٠٣).
(٥) «التبيان» (٢/ ١١٠٣).
(٦) «التبيان» (٢/ ١١٠٤)، و«روح المعاني» (٢٣/ ٣١٩).
(٧) «تهذيب اللغة» (١٤/ ٢٧٣).
(٨) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/ ١٢٣ ـ ١٢٤) من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد قال: أمثال.
(٩) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ١٠٦) عن عبد الرحمٰن بن أبي حاتم.
(١٠) «تهذيب اللغة» (١٤/ ٢٧٣)، و«الصحاح» (١/ ٩٠ ـ ٩١).

﴿هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ﴾؛ أي: هذا الجزاء الذي وعدتم به لأجل يوم الحساب، فإنّ الحساب علة للوصول إلى الجزاء، أو المعنى: في يوم الحساب. قرأ الجمهور(١): «ما توعدون» بالفوقية على الخطاب.

وقرأ ابن كثير(٢)، وأبو عمرو، وابن محيصن، ويعقوب بالتحتية على الخبر، واختار هذه القراءة أبو عبيد(٣)، وأبو حاتم لقوله: ﴿وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ﴾، فإنه خبر ﴿إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا﴾؛ أي: إن هذا المذكور من النعم، والكرامات لرزقنا الذي أنعمنا به عليكم ﴿مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ﴾؛ أي: انقطاع، ولا يفنى أبداً، ومثله قوله: ﴿عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ [هود: ١٠٨] فَنِعُم الجنّة لا تنقطع عن أهلها.

وقد أخرج أحمد في «الزهد»، وابن أبي حاتم، وابن عساكر عن ابن عباس(٤) قال: إن الشيطان عرج إلى السماء، فقال: يا رب سَلِّطني على أيوب، قال الله: لقد سلطتك على ماله وولده ولم أسلطك على جسده، فنزل، فجمع جنوده، فقال لهم: قد سُلّطت على أيوب، فأروني سلطانكم، فصاروا نيراناً، ثم صاروا ماء، فبينما هم في المشرق إذا هم بالمغرب، وبينما هم بالمغرب إذا هم بالمشرق. فأرسل طائفة منهم إلى زرعه، وطائفة إلى أهله، وطائفة إلى بقره وطائفة إلى غنمه.

وقال: إنه لا يعتصم منكم إلا بالمعروف، فأتوه بالمصائب بعضها على بعض، فجاء صاحب الزرع، فقال: يا أيوب ألم ترَ إلى ربك أرسل على زرعك ناراً، فأحرقته؟ ثم جاء صاحب الإبل، فقال: يا أيوب ألم ترَ إلى ربك أرسل إلى إبلك عدواً، فذهب بها؟ ثم جاء صاحب البقر فقال: يا أيوب ألم ترَ إلى ربك أرسل إلى بقرك عدواً، فذهب بها؟ ثم جاءه صاحب الغنم فقال: يا أيوب ألم ترَ إلى ربك أرسل على غنمك عدواً، فذهب بها؟ وتفرد هو لبنيه، فجمعهم في بيت أكبرهم،

---

(١) «البحر المحيط» (٩/ ١٦٧)، و«روح المعاني» (٢٣/ ٣٢٠).
(٢) «التيسير» (ص١٨٨)، و«النشر» (٢/ ٣٦١)، و«البحر المحيط» (٩/ ١٦٧). لكن يعقوب يقرأ بالفوقية كقراءة الجمهور.
(٣) ذكره عنهما النحاس في «إعراب القرآن» (٣/ ٤٦٩).
(٤) عزاه إليهم السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ١٩٢).
وأخرجه ابن عساكر في «تاريخه» (١٠/ ٦٣، ٦٤)، وابن أبي حاتم كما في «تفسير ابن كثير» (٥/ ٣٥٦) وفي «البداية والنهاية» (١/ ٥١١، ٥١٢).

فبينما هم [٨/ ٤] يأكلون ويشربون إذْ هبّت ريح فأخذت بأركان البيت فألقته عليهم، فجاء الشيطان إلى أيوب بصورة غلام بأذنيه قُرْطان، فقال: يا أيوب ألم ترَ إلى ربك جمع بنيك في بيت أكبرهم، فبينما هم يأكلون، ويشربون إذ هبت ريح، فأخذت بأركان البيت، فألقته عليهم، فلو رأيتهم حين اختلطت دماؤهم ولحومهم بطعامهم وشرابهم؟ فقال له أيوب: فأين كنت؟ قال: كنتُ معهم، قال: فكيف انفلتّ؟ قال: انفلت، قال أيوب: أنتَ الشيطان.

ثم قال أيوب: أنا اليوم كيوم ولدتني أميّ، فقام فحلق رأسه، وقام يصلي، فرنّ إبليس رنةً سمعها أهل السماء، وأهل الأرض، ثم عرج إلى السماء، فقال: أي ربِّ إنه قد اعتصم، فسلطني عليه، فإنّي لا أستطيعه إلا بسلطانك، قال: قد سَلّطتُك على جسده، ولم أسلطك على قلبه، فنزل، فنفخ تحت قدمه نفخة قرح ما بين قدمه إلى قرنه، فصار قرحة واحدة، وأُلقيَ على الرماد حتى بدا حجاب قلبه، فكانت امرأته تسعى عليه، حتى قالت له: ألا ترى يا أيوب قد نزل والله بي من الجهد والفاقة ما إنْ بعت قروني برغيف فأطعمتُك، فادع الله أن يشفيك ويريحك، قال: ويحك كنّا في النعيم سبعين عاماً، فاصبري حتى نكون في الضراء سبعين عاماً، فكان في البلاء سبع سنين، ودعا، فجاء جبريل يوماً، فدعا بيده، ثم قال: قم، فقام، فنحاه عن مكانه.

وقال: اركض برجلك هذا مُغْتسَل بارد، وشراب، فركض برجله، فنبعت عين، فقال: اغتسل، فاغتسل منها، ثم جاء أيضاً، فقال: اركض برجلك، فنبعت عين أخرى فقال له: اشرب منها، وهو قوله: ﴿ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَٰذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾، وألبسه الله حُلةً من الجنّة، فتنحى أيوب، فجلس في ناحية، وجاءت امرأته، فلم تعرفه، فقالت: يا عبد الله أين المُبتلي الذي كان ها هنا؟ لعلّ الكلاب قد ذهبت به، أو الذئاب، وجعلت تكلمه ساعةً، فقال: ويحك أنا أيوب قد ردّ الله عليّ جسدي، ورد عليه ماله، وولده عياناً، ومثلهم معهم، وأمطر عليه جراداً من ذهب، فجعل يأخذ الجراد بيده، ثم يجعله في ثوبه، وينشر كساءه، ويأخذه، فيجعل فيه، فأوحى الله إليه: يا أيوب أما شبعت؟ قال: يا رب من ذا الذي يشبع من فضلك، ورحمتك؟

وفي هذا نكارة شديدة، فإنَّ الله سبحانه لا يمكن الشيطان من نبي من أنبيائه ويُسلّطه عليه هذا التسليط العظيم.

وأخرج أحمد في «الزهد»، وعبد بن حُميد، وابن أبي حاتم، وابن عساكر عن ابن عباس[١] قال: إنّ إبليس قعد على الطريق، وأخذ تابوتاً يداوي الناس، فقالت امرأة أيوب: يا عبد الله إنّ ها هنا مُبتْلى مِنْ أمره كذا وكذا، فهل لك أن تداويه؟ قال: نعم بشرط إن أنا شفيته أن يقول: أنت شفيتني لا أريد منه أجراً غيره. فأتت أيوب، فذكرت له ذلك، فقال: ويحك ذاك الشيطان، لله عليّ إن شفاني الله أن أجلدك مائة جلدة، فلما شفاه الله أمره أن يأخذ ضغثاً، فيضربها به، فأخذ عذقاً فيه مائة شمراخ، فضربها ضربة واحدة.

وأخرج عبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر[٢] عنه في قوله: ﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا﴾ قال: هو الأَثْلَ.

وأخرج ابن المنذر[٣] عنه أيضاً قال: الضِّغْث: القبضة من المرعى الرطب.

وأخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم[٤] عنه أيضاً قال: الضغث: الحِزْمة.

وأخرج أحمد، وعبد بن حميد، وابن جرير، والطبراني، وابن عساكر من طريق أبي أمامة بن سهل بن حنيف[٥] قال: «حَمَلتْ وليدة في بني ساعدة من زنا، فقيل لها: ممّن حملك؟ قالت: مِنْ فلان المُقْعَد، فسئل المقعد، فقال: صدقت. فرفع ذلك إلى رسول الله ﷺ، فقال: خذوا عُثْكولاً فيه مائة شمراخ، فاضربوه به ضربة واحدة».

وأخرج أحمد، وعبد بن حميد، وابن جرير، والطبراني، وابن عساكر نحوه من طريق أخرى عن أبي أمامة بن سهل بن حنيف، عن سعيد[٦] بن سعد بن عبادة.

---

(١) أخرجه ابن عساكر في «تاريخه» (١٠/ ٦٧).

(٢) عزاه إليهم السيوطي في «الدر المنثور» (١٢/ ٦٠٣) ط. دار عالم الكتب.
وأخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/ ١١٢) من طريق مجاهد، عن ابن عباس.

(٣) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ١٩٥).

(٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/ ١١١) بسند صحيح.

(٥) عزاه إليهم السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ١٩٦).
وأخرجه عبد الرزاق في «المصنف» رقم (١٦١٣٤)، وأبو داود رقم (٤٤٧٢). وهو حديث صحيح.

(٦) عزاه إليهم السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ١٩٦).
وأخرجه أحمد رقم (٢١٩٣٥)، والطبراني رقم (٥٥٢٢)، وابن عساكر (٨/ ٣٢٦). وهو حديث صحيح.

وأخرج الطبراني[١] عن سهل بن سعد نحوه.

وأخرج ابن عساكر عن ابن مسعود[٢] قال: أيوب رأس الصابرين يوم القيامة.

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن ابن عباس[٣] في قوله: ﴿أُوْلِي ٱلْأَيْدِى﴾ قال: القوّة في العبادة ﴿وَٱلْأَبْصَٰرِ﴾ قال: الفقه في الدين.

وأخرج ابن أبي حاتم[٤] عنه ﴿أُوْلِي ٱلْأَيْدِى﴾ قال: النعمة.

وأخرج ابن أبي حاتم[٥] عنه أيضاً في قوله: ﴿إِنَّآ أَخْلَصْنَٰهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى ٱلدَّارِ﴾ قال: أَخْلَصوا بذكر دار الآخرة أن يعملوا لها.

﴿هَٰذَا ۚ وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٍ ﴿٥٥﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿٥٦﴾ هَٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ﴿٥٧﴾ وَءَاخَرُ مِن شَكْلِهِۦٓ أَزْوَٰجٌ ﴿٥٨﴾ هَٰذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ ۖ لَا مَرْحَبًۢا بِهِمْ ۚ إِنَّهُمْ صَالُوا۟ ٱلنَّارِ ﴿٥٩﴾ قَالُوا۟ بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَبًۢا بِكُمْ ۖ أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا ۖ فَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا۟ رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَٰذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِى ٱلنَّارِ ﴿٦١﴾ وَقَالُوا۟ مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ ٱلْأَشْرَارِ ﴿٦٢﴾ أَتَّخَذْنَٰهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٦٣﴾ إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ ٱلنَّارِ ﴿٦٤﴾ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٌ ۖ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٦٥﴾ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ ﴿٦٦﴾ قُلْ هُوَ نَبَؤٌا۟ عَظِيمٌ ﴿٦٧﴾ أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ﴿٦٨﴾ مَا كَانَ لِىَ مِنْ عِلْمٍۭ بِٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰٓ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٦٩﴾ إِن يُوحَىٰٓ إِلَىَّ إِلَّآ أَنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٧٠﴾﴾.

قوله: ﴿هَٰذَا ۚ﴾ قال الزجاج[٦]: هذا خبر مبتدأ محذوف؛ أي: الأمر هذا، فيوقف على هذا.

قال ابن الأنباري[٧]: وهذا وقف حسن، ثم يبتدئ ﴿وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ﴾، ويجوز أن يكون هذا مبتدأ، وخبره محذوف؛ أي: هذا كما ذكر، أو هذا ذكر.

---

(١) أخرجه الطبراني في «الكبير» رقم (٥٨٢٠).
وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٦/ ٢٥٢): «فيه أبو بكر بن أبي سبرة، وهو متروك».

(٢) أخرجه ابن عساكر في «تاريخه» (١٠/ ٦٦).

(٣) عزاه إليهم السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ١٩٧).
وأخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/ ١١٤) بسند صحيح.

(٤) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (١٢/ ٦٠٩).

(٥) ذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٢٤٦).

(٦) في «معاني القرآن وإعرابه» (٤/ ٣٣٨). (٧) في «إيضاح الوقف والابتداء» (٢/ ٨٦٣).

ثم ذكر سبحانه ما لأهل الشرّ بعد أن ذكر ما لأهل الخير، فقال: ﴿وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٖ﴾؛ أي: الذين طغوا على الله، وكذّبوا رسله ﴿لَشَرَّ مَـَٔابٖ﴾ لشر منقلب ينقلبون إليه، ثم بيّن ذلك، فقال: ﴿جَهَنَّمَ يَصۡلَوۡنَهَا﴾، وانتصاب[1] جهنم على أنها بدل مِنْ شرّ مآب، أو منصوبة بأعني، ويجوز أن يكون عطف بيان على قول البعض كما سلف قريباً، ويجوز أن يكون منصوباً على الاشتغال؛ أي: يصلون جهنم يصلونها، ومعنى «يصلونها»: يدخلونها، وهو في محل نصب[2] على الحالية ﴿فَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ﴾؛ أي: بئس ما مهّدوا لأنفسهم، وهو الفراش، مأخوذ من مهد الصبي.

ويجوز أن يكون المراد بالمهد: الموضع، والمخصوص بالذمّ محذوف؛ أي: بئس المهاد هي كما في قوله: ﴿لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٞ﴾ [الأعراف: ٤١] شبه الله سبحانه ما تحتهم مِنْ نار جهنم بالمهاد.

﴿هَٰذَا فَلۡيَذُوقُوهُ حَمِيمٞ وَغَسَّاقٞ﴾ «هذا» في موضع رفع[3] بالابتداء وخبره حميم، وغساق على التقديم، والتأخير؛ أي: هذا حميم وغساق، فليذوقوه.

قال الفراء[4]، والزجاج[5]: تقدير الآية: هذا حميم وغساق فليذوقوه أو يقال لهم في ذلك اليوم: هذه المقالة. والحميم[6]: الماء الحارّ الذي قد انتهى حرّه، والغسّاق[7]: ما سال مِنْ جلود أهل النار من القيح والصديد، من قولهم: غسقت عينه إذا انصبت، والغسقان الانصباب.

قال النّحاس[8]: ويجوز أَنْ يكون المعنى: الأمر هذا، وارتفاع حميم، وغساق على أنهما خبران لمبتدأ محذوف؛ أي: هو حميم، وغسّاق، ويجوز أن يكون هذا في موضع نصب بإضمار فعل يُفسّره ما بعده؛ أي: ليذوقوا هذا، فليذوقوه، ويجوز

---

(١) «روح المعاني» (٢٣/ ٣٢١)، و«التبيان» (٢/ ١١٠٤).
(٢) «التبيان» (٢/ ١١٠٤)، و«البحر المحيط» (٩/ ١٦٧ ـ ١٦٨).
(٣) «مشكل إعراب القرآن» (٢/ ٢٥٢)، و«التبيان» (٢/ ١١٠٤).
(٤) في «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٤١٠). (٥) في «معاني القرآن وإعرابه» (٤/ ٣٣٨).
(٦) «جامع البيان» (٢٠/ ١٢٨).
(٧) «الصحاح» (٤/ ١٥٣٧)، و«تفسير غريب القرآن» (ص٣٨١)، و«مفردات ألفاظ القرآن» (ص٦٠٦).
(٨) في «إعراب القرآن» (٣/ ٤٦٩).

أن يكون حميم مرتفعاً على الابتداء، وخبره مقدّر قبله؛ أي: منه حميم، ومنه غساق، ومثله قول الشاعر:

حتّى إذا ما أضاءَ البَرقُ في غَلَس ... وغُودِرَ البَقلَ مَلويٌّ ومَحْصُودُ[1]

أي: منه ملويّ[2]، ومنه محصود.

وقيل[3]: الغسّاق ما قتل ببرده، ومنه قيل للّيل: غاسق؛ لأنه أبرد من النهار، وقيل: هو الزمهرير، وقيل: الغساق: المُنْتن، وقيل: الغساق: عين[4] في جهنم يسيل منه كلّ ذات حُمةٍ، من حيةٍ، وعَقرب.

وقال قتادة[5]: هو ما يسيل من فروج النساء الزواني، ومن نتن لحوم الكفرة، وجلودهم.

وقال محمد بن كعب[6]: هو: عصارة أهل النار، وقال السدي[7]: الغساق الذي يسيل من دموع أهل النار يسقونه مع الحميم، وكذا قال ابن زيد[8].

وقال مجاهد[9]، ومقاتل[10]: هو الثلج البارد الذي قد انتهى برده، وتفسير الغسّاق بالبارد أنسب بما تقتضيه لغة العرب، ومنه قول الشاعر:

إذَا مَا تذكَّرتُ الحياةَ وطِيْبها ... إليّ جَرَى دَمعٌ من العَينِ غَاسِقُ[11]

أي: بارد، وأنسب أيضاً بمقابلة الحميم. وقرأ أهل المدينة، وأهل البصرة، وبعض الكوفيين بتخفيف السين[12] من: «غَسَاق».

---

(١) لذي الرمة. وهو في «ديوانه» (٢/ ١٣٦٦).
(٢) يقال: قد ألوى النبتُ إلواءً، إذا جفَّ.
(٣) «النكت والعيون» (٥/ ١٠٦ ـ ١٠٧)، و«معالم التنزيل» (٧/ ٩٩).
(٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/ ١٢٩) من طريق أبي يحيى عطية الكَلاعيّ عن كعب.
(٥) ذكره البغوي في «تفسيره» (٧/ ٩٩).
(٦) ذكره النحاس في «معاني القرآن» (٦/ ١٢٩).
(٧) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/ ١٢٨) بسند حسن.
(٨) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/ ١٢٨) بسند صحيح.
(٩) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/ ١٢٩ ـ ١٣٠) بسند ضعيف. ابن جرير لم يسمع من مجاهد.
(١٠) «معالم التنزيل» (٧/ ٩٩).
(١١) قائله: عمران بن حِطَّان كما في «الأضداد» (ص٥) لابن الأنباري.
(١٢) «التيسير» (ص١٨٨)، و«النشر» (٢/ ٣٦١)، و«زاد المسير» (٧/ ١٥٠)، و«الكشف عن وجوه =

وقرأ يحيى بن وثاب، والأعمش، وحمزة بالتشديد[١]، وهما لغتان بمعنى واحد كما قال الأخفش.

وقيل: معناهما مختلف؛ فمن خفّف، فهو اسم مثل عذاب، وجواب، وصواب، ومن شدّد قال: هو اسم فاعل للمبالغة نحو ضرّاب، وقتال.

﴿وَءَاخَرُ مِن شَكْلِهِۦٓ﴾ قرأ الجمهور[٢]: «وآخر» مفرد مذكر، وقرأ أبو عمرو: «وأخر» بضم الهمزة[٣] على أنه جمع، وأنكر قراءة الجمهور لقوله أزواج، وأنكر عاصم الجحدري[٤] قراءة أبي عمرو، وقال[٥]: لو كانت كما قرأ لقال: من شكلها، وارتفاع (آخر)[٦] على أنه مبتدأ، وخبره أزواج، ويجوز أن يكون من شكله خبراً مقدّماً، وأزواج[٧] مبتدأ مؤخراً، والجملة خبر «آخر»، ويجوز أن يكون خبراً «آخر» مُقّدراً؛ أي: وآخر لهم، و ﴿مِن شَكْلِهِۦٓ أَزْوَٰجٌ﴾ جملة مستقلة.

ومعنى الآية على قراءة الجمهور: وعذاب آخر، أو مذوق آخر، أو نوع آخر مِنْ شكل العذاب، أو المذوق، أو النوع الأوّل، والشكل: المثل، وعلى القراءة الثانية يكون معنى الآية: ومذوقات أُخر، أو أنواع أخر مِنْ شكل ذلك المذوق، أو النوع المتقدّم. وإفراد[٨] الضمير في شكله على تأويل المذكور؛ أي: من شكل المذكور، ومعنى ﴿أَزْوَٰجٌ﴾: أجناس وأنواع وأشباه.

وحاصل معنى الآية: أنّ لأهل النار حَميماً وغساقاً وأنواعاً من العذاب من مثل الحميم والغساق.

= القراءات» (٢/ ٢٣٢)، و«روح المعاني» (٢٣/ ٣٢٣).

(١) انظر: المصادر المتقدمة. القراءة بالتشديد هي قراءة الكسائي وعاصم من رواية حفص، وأما رواية أبي بكر عن عاصم فبالتخفيف.

(٢) «التيسير» (ص١٨٨)، و«النشر» (٢/ ٣٦١)، و«البحر المحيط» (٩/ ١٦٨)، و«جامع البيان» (٢٠/ ١٣٠ ـ ١٣١).

(٣) انظر: المصادر المتقدمة. ومع أبي عمرو يعقوب.

(٤) انظر: «البحر المحيط» (٩/ ١٦٨)، و«التيسير» (ص١٨٨).

(٥) «روح المعاني» (٢٣/ ٣٢٤).

(٦) «مشكل إعراب القرآن» (٢/ ٢٥٣)، و«التبيان» (٢/ ١١٠٥)، و«الفريد» (٤/ ١٧٥ ـ ١٧٦).

(٧) انظر: المصادر المتقدمة.

(٨) «روح المعاني» (٢٣/ ٣٢٥)، و«تفسير أبي السعود» (٥/ ٥٧٢).

قال الواحدي(١): قال المفسّرون: هو: الزمهرير.

ولا يتمّ(٢) هذا الذي حكاه عن المفسرين إلا على تقدير أن الزمهرير أنواع مختلفة، وأجناس متفاوتة؛ ليطابق معنى أزواج، أو على تقدير أن لكلّ فرد من أهل النار زمهريراً.

﴿هَٰذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ﴾ الفوج: الجماعة، والاقتحام(٣): الدخول، وهذا حكاية لقول الملائكة الذين هم خزنة النار، وذلك أن القادة والرؤساء إذا دخلوا النار، ثم دخل بعدهم الأتباع. قالت الخزنة للقادة: هذا فوج، يعنون: الأتباع ﴿مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ﴾؛ أي: داخل معكم إلى النار.

وقوله: ﴿لَا مَرْحَبًا بِهِمْ﴾ مِنْ قول القادة والرؤساء لما قالت لهم الخزنة ذلك قالوا: لا مرحباً بهم؛ أي: لا اتسعت منازلهم في النار، والرحب السعةُ، والمعنى: لا كرامة لهم.

وهذا إخبار من الله سبحانه بانقطاع المودة بين الكفار، وأن المودّة التي كانت بينهم تصير عداوة. وجملة لا مرحباً بهم دعائية [٤/٩] لا محل لها من الإعراب، أو صفة للفوج، أو حال منه، أو بتقدير القول؛ أي: مقولاً في حقهم لا مرحباً بهم. وقيل: إنها من تمام قول الخزنة.

والأوّل أولى كما يدل عليه جواب الأتباع الآتي.

وجملة: ﴿إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ﴾ تعليل من جهة القائلين لا مرحباً بهم؛ أي: إنهم صالوا النار كما صليناها، ومستحقون لها كما استحقيناها.

وجملة: ﴿قَالُوا بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَبًا بِكُمْ﴾ مستأنفة جواب سؤال مقدّر؛ أي: قال الأتباع عند سماع ما قاله الرؤساء(٤) لهم: بل أَنتم لا مرحباً بكم؛ أي: لا كرامة لكم، ثم عللوا ذلك بقولهم: ﴿أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا﴾؛ أي: أنتم قدّمتم العذاب، أو الصليّ لنا وأوقعتمونا فيه ودعوتمونا إليه بما كنتم تقولون لنا من أن الحقّ ما أنتم عليه وأن الأنبياء غير صادقين فيما جاءوا به ﴿فَبِئْسَ الْقَرَارُ﴾؛ أي: بئس المقرّ جهنم لنا ولكم.

---

(١) في «الوسيط» (٣/ ٥٦٤).
(٢) هذا قول الشوكاني رَحِمَهُ اللَّهُ تعليقاً على كلام الواحدي وما نقله عن المفسرين.
(٣) قال الراغب في «مفردات ألفاظ القرآن» (ص٦٥٦): «الاقتحامُ: تَوَسُّطُ شِدَّةٍ مخيفةٍ».
(٤) «الجامع لأحكام القرآن» (١٨/ ٢٣٢)، و«جامع البيان» (٢٠/ ١٣٣ ـ ١٣٤).

ثم حكي عن الأتباع أيضاً: أنهم أردفوا هذا القول بقول آخر، وهو: ﴿قَالُواْ رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَٰذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي ٱلنَّارِ﴾؛ أي: زده عذاباً ذا ضعف، والضعف بأن يزيد عليه مثله، ومعنى مَنْ قدّم لنا هذا: من دعانا إليه، وسوّغه لنا.

قال الفراء[١]: المعنى: من سوّغ لنا هذا وسنَّه، وقيل: معناه: قدّم لنا هذا العذاب بدعائه إيانا إلى الكفر فزده عذاباً ضعفاً في النار؛ أي: عذاباً بكفره وعذاباً بدعائه إيانا، فصار ذلك ضعفاً، ومثله قوله سبحانه: ﴿رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ ٱلنَّارِ﴾ [الأعراف: ٣٨] وقوله: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ﴾ [الأحزاب: ٦٨] وقيل: المراد بالضعف هنا: الحيات والعقارب[٢].

﴿وَقَالُواْ مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ ٱلْأَشْرَارِ﴾ قيل: هو من قول الرؤساء، وقيل: من قول الطاغين المذكورين سابقاً.

قال الكلبي[٣]: ينظرون في النّار، فلا يرون من كان يخالفهم من المؤمنين معهم فيها، فعند ذلك قالوا: ﴿مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ ٱلْأَشْرَارِ﴾.

وقيل: يعنون: فقراء[٤] المؤمنين كعمّار وخبّاب وصهيب وبلال وسالم وسلمان. وقيل[٥]: أرادوا أصحاب محمد على العموم.

﴿أَتَّخَذْنَٰهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ قال مجاهد[٦]: المعنى: اتخذناهم سِخرياً في الدنيا، فأخطأنا، أَمْ زاغت عنهم الأبصار، فلم نعلم مكانهم؟ والإنكار المفهوم من الاستفهام متوجه إلى كل واحد من الأمرين.

قال الحسن[٧]: كل ذلك قد فعلوا: اتخذوهم سخريّاً، وزاغت عنهم أبصارهم.

قال الفراء[٨]: والاستفهام هنا بمعنى: التوبيخ[٩] والتعجب.

---

(١) في «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٤١١).
(٢) ذكره البغوي في «تفسيره» (٧/ ١٠٠) عن ابن مسعود.
(٣) ذكره الواحدي في «الوسيط» (٣/ ٥٦٥).
(٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/ ١٣٦) بسند ضعيف، من طريق الليث، عن مجاهد.
(٥) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٨/ ٢٣٤) عن ابن عباس.
(٦) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/ ١٣٨) بسند ضعيف.
(٧) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٨/ ٢٣٥). (٨) في «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٤١١).
(٩) «روح المعاني» (٢٣/ ٣٣٠ ـ ٣٣١).

قرأ أبو عمرو وحمزة والكسائي وابن كثير، والأعمش بحذف همزة[١] اتخذناهم في الوصل. وهذه القراءة تحتمل أن يكون الكلام خبراً محضاً، وتكون الجملة في محل نصب صفة ثانية لرجالاً، وأن يكون المراد: الاستفهام، وحذفت أداته لدلالة أَمْ عليها، فتكون أم على الوجه الأوّل منقطعة[٢] بمعنى: بل، والهمزة؛ أي: بل أزاغتْ عنهم الأبصار على معنى: توبيخ أنفسهم على الاستسخار ثم الإضراب والانتقال منه إلى التوبيخ على الازدراء، والتحقير، وعلى الثاني أم هي المتصلة.

وقرأ الباقون بهمزة استفهام[٣] سقطت لأجلها همزة الوصل، ولا محل للجملة حينئذٍ، وفيه التوبيخ لأنفسهم على الأمرين جميعاً؛ لأنّ أَمْ على هذه القراءة هي للتسوية.

وقرأ أبو جعفر، ونافع، وشيبة، والمفضّل، وهبيرة، ويحيى بن وثاب، والأعمش، وحمزة، والكسائي: «سخريّاً» بضم[٤] السين، وقرأ الباقون بكسرها[٥].

قال أبو عبيدة[٦]: من كسر جعله من الهزء، ومن ضم جعله من التسخير، والإشارة بقوله: ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ﴾ إلى ما تقدّم من حكاية حالهم، وخبر إنّ قوله: ﴿لَحَقٌّ﴾؛ أي: لواقع ثابت في الدار الآخرة لا يتخلف البتة، و ﴿تَخَاصُمُ أَهْلِ ٱلنَّارِ﴾ خبر[٧] مبتدأ محذوف، والجملة بيان لذلك، وقيل: بيان لحقّ، وقيل: بدل منه، وقيل: بدل من محل ذلك، ويجوز أَنْ يكون خبراً بعد[٧] خبر، وهذا على قراءة الجمهور برفع تخاصم.

والمعنى: إن ذلك الذي حكاه الله عنهم لحقّ لا بدّ أن يتكلموا به، وهو تخاصم أهل النار فيها، وما قالته الرؤساء للأتباع، وما قالته الأتباع لهم.

---

(١) «التيسير» (ص١٨٨)، و«النشر» (٢/ ٣٦٢)، و«البحر المحيط» (٩/ ١٧٠).
(٢) «روح المعاني» (٢٣/ ٣٣١)، و«التبيان» (٢/ ١١٠٦).
(٣) «البحر المحيط» (٩/ ١٧٠)، و«النشر» (٢/ ٣٦٢)، و«روح المعاني» (٢٣/ ٣٣٠)، و«جامع البيان» (٢٠/ ١٢٧). وقرأ ابن كثير في المتواتر عنه بهمزة قطع للاستفهام.
(٤) «البحر المحيط» (٩/ ١٧٠)، و«التيسير» (ص١٦٠)، و«النشر» (٢/ ٣٢٩)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٨/ ٢٣٥).
(٥) انظر: المصادر المتقدمة.
(٦) في «مجاز القرآن» (٢/ ١٨٧).
(٧) «مشكل إعراب القرآن» (٢/ ٢٥٥)، و«إعراب القرآن» للنحاس (٣/ ٤٧١).

وقرأ ابن أبي عبلة[(١)] بنصب: «تخاصِمَ» على أنه بدل من ذلك، أو بإضمار أعني.

وقرأ ابن السميفع[(٢)]: «تَخَاصَمَ» بصيغة الفعل الماضي، فتكون جملة مستأنفة.

ثم أمر الله سبحانه رسوله ﷺ: أن يقول قولاً جامعاً بين التخويف، والإرشاد إلى التوحيد، فقال: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٌ﴾؛ أي: مخوّف لكم من عقاب الله، وعذابه ﴿وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ﴾ يستحق العبادة ﴿إِلَّا ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ﴾ الذي لا شريك له ﴿ٱلْقَهَّارُ﴾ لكل شيء سواه ﴿رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ من المخلوقات ﴿ٱلْعَزِيزُ﴾ الذي لا يغالبه مغالب ﴿ٱلْغَفَّٰرُ﴾ لمن أطاعه، وقيل: معنى ﴿ٱلْعَزِيزُ﴾: المنيع الذي لا مثل له، ومعنى ﴿ٱلْغَفَّٰرُ﴾: السّتار لذنوب خلقه.

ثم أمره سبحانه أن يبالغ في إنذارهم، ويبين لهم عِظَم الأمر، وجلالته، فقال: ﴿قُلْ هُوَ نَبَؤٌا۟ عَظِيمٌ﴾؛ أي: ما أنذرتكم به من العقاب وما بينته لكم من التوحيد هو خبر عظيم، ونبأ جليل، من شأنه العناية به، والتعظيم له، وعدم الاستخفاف به، ومثل هذه الآية قوله: ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ۝١ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [النبأ: ١، ٢]، وقال مجاهد[(٣)]، وقتادة[(٤)]، ومقاتل[(٥)]: هو: القرآن، فإنه نبأ عظيم؛ لأنه كلام الله.

قال الزجاج[(٦)]: قل: النبأ الذي أنبأتكم به عن الله نبأ عظيم؛ يعني: ما أنبأهم به من قصص الأولين، وذلك دليل على صدقه، ونبوّته؛ لأنه لم يعلم ذلك إلا بوحي من الله، وجملة ﴿أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ﴾ توبيخ لهم[(٧)]، وتقريع لكونهم أعرضوا عنه، ولم يتفكروا فيه، فيعلموا صدقه، ويستدلوا به على ما أنكروه من البعث.

وقوله: ﴿مَا كَانَ لِىَ مِنْ عِلْمٍۭ بِٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰٓ﴾ استئناف مسوق لتقرير[(٨)] أنه نبأ عظيم،

---

(١) «روح المعاني» (٢٣/ ٣٣١)، و«البحر المحيط» (٩/ ١٧١). قراءة الجمهور يرفع (تخاصُم) هي المتواترة وما عداها فشاذة.

(٢) «القراءات الشاذة» (ص١٣٠)، و«البحر المحيط» (٩/ ١٧١).

(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/ ١٤٠ ـ ١٤١) بسند صحيح.

(٤) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٨/ ٢٣٦). (٥) ذكره الواحدي في «الوسيط» (٣/ ٥٦٦).

(٦) في «معاني القرآن وإعرابه» (٤/ ٣٤٠).

(٧) «روح المعاني» (٢٣/ ٣٣٤)، و«تفسير أبي السعود» (٥/ ٥٧٥).

(٨) «روح المعاني» (٢٣/ ٣٣٤)، و«تفسير أبي السعود» (٥/ ٥٧٥)، و«البحر المحيط» (٩/ ١٧٢).

والملأ الأعلى هم: الملائكة ﴿إِذۡ يَخۡتَصِمُونَ﴾؛ أي: وقت اختصامهم؛ فقوله: ﴿بِٱلۡمَلَإِ ٱلۡأَعۡلَىٰٓ﴾ متعلق بعِلْم على تضمينه معنى: الإحاطة.

وقوله: ﴿إِذۡ يَخۡتَصِمُونَ﴾ متعلق بمحذوف؛ أي: ما كان لي فيما سبق علم بوجه من الوجوه بحال الملأ الأعلى وقتَ اختصامهم، والضمير في يختصمون راجع إلى الملأ الأعلى، والخصومة الكائنة بينهم هي في أمر آدم كما يفيده ما سيأتي قريباً.

وجملة: ﴿إِن يُوحَىٰٓ إِلَيَّ إِلَّآ أَنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٞ مُّبِينٌ﴾ معترضة بين اختصامهم المجمل، وبين تفصيله بقوله: ﴿إِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ﴾ [صٓ: ٧١]. والمعنى: ما يوحى إليّ إلا أنما أنا نذير مبين.

قال الفراء[١]: المعنى ما يُوحى إليّ إلا أنني نذير مبين، أبين لكم ما تأتون من الفرائض، والسنن، وما تدعون من الحرام، والمعصية. قال: كأنك قلت: ما يوحى إليّ إلا الإنذار.

قال النحاس[٢]: ويجوز أن تكون في محل نصب بمعنى: ما يوحى إليّ إلا لأنما أنا نذير مبين.

قرأ الجمهور[٣] بفتح همزة أَنَّمَا على أنها وما في حيزها في محل رفع لقيامها مقام الفاعل؛ أي: ما يُوحى إليّ إلاَّ الإنذار، أو إلا كوني نذيراً مبيناً، أو في محل نصب[٤]، أو جرٍّ بعد إسقاط لام العلة، والقائم مقام الفاعل على هذا الجارّ والمجرور.

وقرأ أبو جعفر بكسر[٥] الهمزة؛ لأنّ في الوحي معنى القول، وهي: القائمة مقام الفاعل على سبيل الحكاية، كأنّه قيل: ما يوحى إليّ إلّا هذه الجملة المتضمنة لهذا الإخبار، وهو أن أقول لكم: إنما أنا نذير مبين. وقيل: إن الضمير في يختصمون عائد إلى قريش؛ يعني: قول مَنْ قال منهم: الملائكة بنات الله، والمعنى: ما كان لي علم بالملائكة إذ تختصم فيهم قريش، والأوّل أولى.

---

(١) في «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٤١٢). (٢) في «إعراب القرآن» (٣/ ٤٧٢).
(٣) «النشر» (٢/ ٣٦٢)، و«البحر المحيط» (٩/ ١٧٣)، و«جامع البيان» (٢٠/ ١٤٢ ـ ١٤٣).
(٤) «روح المعاني» (٢٣/ ٣٣٦ ـ ٣٣٧)، و«التبيان» (٢/ ١١٠٧)، و«مشكل إعراب القرآن» (٢/ ٢٥٥).
(٥) «النشر» (٢/ ٣٦٢)، و«روح المعاني» (٢٣/ ٣٣٧)، و«البحر المحيط» (٩/ ١٧٣).

وقد أخرج ابن جرير، وابن المنذر عن ابن عباس[١] في قوله: ﴿وَغَسَّاقٌ﴾ قال: الزمهرير ﴿وَءَاخَرُ مِن شَكۡلِهِۦٓ﴾ قال: من نحوه ﴿أَزۡوَٰجٌ﴾ قال: ألوان من العذاب.

وأخرج أحمد، والترمذي، وابن جرير، وابن أبي حاتم، وابن حبان، والحاكم وصححه، وابن مردويه، والبيهقي في «البعث» عن أبي سعيد[٢] قال: قال رسول الله ﷺ: «لو أن دلواً من غسّاق يُهرق في الدنيا لأنتن أهل الدنيا». قال الترمذي بعد إخراجه: لا نعرفه إلا من حديث رشدين بن سعد. قلت: ورشدين فيه مقال معروف.

وأخرج عبد بن حميد، وابن أبي حاتم، والطبراني عن ابن مسعود[٣] في قوله: ﴿فَزِدۡهُ عَذَابٗا ضِعۡفٗا فِي ٱلنَّارِ﴾ قال: أفاعي، وحيات.

وأخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم عن ابن عباس[٤] في قوله: ﴿بِٱلۡمَلَإِ ٱلۡأَعۡلَىٰٓ﴾ قال: الملائكة حين شُوروا في خلق آدم، فاختصموا فيه، وقالوا: لا تجعل في الأرض خليفة.

وأخرج محمد بن نصر في كتاب الصلاة، وابن المنذر، وابن أبي حاتم[٥] عنه في قوله: ﴿مَا كَانَ لِيَ مِنۡ عِلۡمِۭ بِٱلۡمَلَإِ ٱلۡأَعۡلَىٰٓ إِذۡ يَخۡتَصِمُونَ﴾ قال: هي: الخصومة في شأن آدم حيث قالوا: ﴿أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا﴾ [البقرة: ٣٠].

وأخرج عبد الرزاق، وأحمد، وعبد بن حميد، والترمذي وحسنه، وابن نصر في كتاب الصلاة[٦] قال: قال رسول الله ﷺ: «أتاني الليلة ربي في أحسن

---

(١) عزاه إليهم السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ١٩٩).
وأخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/ ١٣٢) بسند صحيح.

(٢) أخرجه أحمد رقم (١١٢٣٠، ١١٧٨٦)، والترمذي رقم (٢٥٨٤)، وابن جرير (٢٠/ ١٣٠)، والحاكم (٢/ ٥٠١)، والبيهقي في «البعث» رقم (٥٦٦، ٦٠٤). وهو حديث ضعيف.

(٣) عزاه إليهم السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٢٠٠).
وأخرجه الطبراني رقم (٩١٠٣).
وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ١٠٠): «رجاله رجال الصحيح».

(٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/ ١٤٢) بسند ضعيف.

(٥) عزاه إليهم السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٢٠٢).

(٦) أخرجه عبد الرزاق في «التفسير» (٢/ ١٦٩)، وأحمد رقم (٣٤٨٤)، وعبد بن حميد رقم (٦٨١ ـ «المنتخب»)، والترمذي رقم (٣٢٣٣).
قال المروزي: «هذا حديث اضطرب الرواة في إسناده، وليس يثبت عن أهل المعرفة». «النكت الظراف» (٤/ ٣٨٢).

صورة ـ أحسبه قال في المنام ـ قال: يا مُحمد هل تدري فيم يختصم الملأ الأعلى؟ قلتُ: لا، فوضع يده بين كتفيّ حتى وجدت بردها بين ثديّي، أو في نحري، فعلمت ما في السمٰوات والأرض، ثم قال لي: يا محمّد هل تدري فيم يختصم الملأ الأعلى؟ قلتُ: نعم في الكفّارات، والكفارات: المُكْث في المساجد بعد الصلوات، والمشي على الأقدام إلى الجماعات، وإبلاغ الوضوء في المكاره»، الحديث.

وأخرج الترمذي وصححه، ومحمد بن نصر، والطبراني، والحاكم، وابن مردويه من حديث معاذ بن جبل[1] نحوه بأطول منه، وقال: «وإسباغ الوضوء في السبرات».

وأخرج الطبراني، وابن مردويه من حديث جابر بن سمرة[2] نحوه بأخصر منه.

وأخرجا[3] أيضاً من حديث أبي هريرة نحوه.

وفي الباب أحاديث.

[قصة خلق الإنسان وإكرام الله له]:

﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ ۖ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ ﴿٧٥﴾ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ ۖ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿٧٦﴾ قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٧٨﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٧٩﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٨٠﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴿٨١﴾ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾ قَالَ فَٱلْحَقُّ وَٱلْحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍۭ ﴿٨٨﴾﴾.

لما ذكر سبحانه [٤/١٠] خصومة الملائكة إجمالاً فيما تقدّم ذكرها هنا تفصيلاً،

---

(١) أخرجه الترمذي رقم (٣٢٣٥)، والطبراني (ج٢٠ رقم ٢١٦)، والحاكم (١/٥٢١). وهو حديث صحيح.

(٢) عزاه إليهما السيوطي في «الدر المنثور» (٧/٢٠٣).

(٣) عزاه إليهم السيوطي في «الدر المنثور» (٧/٢٠٣ ـ ٢٠٤).

فقال: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾ إذْ هذه هي بدل[١] من ﴿إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ [صٓ: ٦٩] لاشتمال ما في حيّز هذه على الخصومة. وقيل: هي منصوبة بإضمار اذْكر، والأوّل أولى إذا كانت خصومة الملائكة في شأن مَنْ يستخلف في الأرض.

وأما إذا كانت في غير ذلك مما تقدّم ذكره، فالثاني أولى ﴿إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ﴾؛ أي: خالق فيما سيأتي من الزمن ﴿بَشَرًا﴾؛ أي: جسماً من جنس البشر مأخوذ من مباشرته للأرض، أو من كونه بادي البشرة. وقوله: ﴿مِن طِينٍ﴾ متعلق بمحذوف هو: صفة لبشر، أو بخالق، ومعنى ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ﴾: صوّرته على صورة البشر، وصارت أجزاؤه مستوية ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾؛ أي: من الروح الذي أملكه، ولا يملكه غيري. وقيل: هو تمثيل ولا نفخ ولا منفوخ فيه. والمراد: جعله حيّاً بعد أَنْ كان جماداً لا حياة فيه.

وقد مرّ الكلام في هذا في سورة النساء ﴿فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ﴾ هو أمر من وقع يقع، وانتصاب[٢] ساجدين على الحال، والسجود هنا هو سجود التحية لا سجود العبادة، وقد مضى تحقيقه في سورة البقرة ﴿فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ في الكلام حذف تدلّ عليه الفاء، والتقدير: فخلقه، فسوّاه، ونفخ فيه من روحه، فسجد له الملائكة.

وقوله: ﴿كُلُّهُمْ﴾ يفيد أَنّهم سجدوا جميعاً، ولم يبق منهم أحد. وقوله: ﴿أَجْمَعُونَ﴾ يفيد أنهم اجتمعوا على السجود في وقت واحد، فالأوّل: لقصد الإحاطة، والثاني: لقصد الاجتماع. قال في «الكشاف»[٣]: فأفادا معاً أنهم سجدوا عن آخرهم ما بقي منهم ملَكُ إلا سجد، وأنهم سجدوا جميعاً في وقت واحد غير متفرّقين في أوقات.

وقيل: إنه أكد بتأكيدين للمبالغة[٤] في التعميم ﴿إِلَّآ إِبْلِيسَ﴾ الاستثناء[٥] متصل على تقدير: أنّه كان متصفاً بصفات الملائكة داخلاً في عدادهم، فغلبوا عليه، أو منقطع[٥] على ما هو الظاهر مِنْ عدم دخوله فيهم؛ أي: لكن إبليس ﴿ٱسْتَكْبَرَ﴾؛ أي: أنف مِنْ السجود جهلاً منه بأنه طاعة لله، كان استكباره استكبار كفر، فلذلك

---

(١) «روح المعاني» (٢٣/٣٣٨)، و«التبيان» (٢/١١٠٧).
(٢) «روح المعاني» (٢٣/٣٣٨)، و«إعراب القرآن» للنحاس (٣/ ٤٧٢).
(٣) (٥/٢٨١).
(٤) «روح المعاني» (٢٣/٣٤٢ ـ ٣٤٣)، و«تفسير أبي السعود» (٥/ ٥٧٧).
(٥) «البحر المحيط» (٩/ ١٧٤)، و«روح المعاني» (٢٣/٣٤٣).

﴿وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾؛ أي: صار منهم بمخالفته لأمر الله، واستكباره عن طاعته، أو كان من الكافرين في علم الله سبحانه.

وقد تقدّم الكلام على هذا مستوفى في سورة البقرة، والأعراف، وبني إسرائيل، والكهف، وطه.

ثم إن الله سبحانه سأله عن سبب تركه للسجود الذي أمره به فـ ﴿قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾؛ أي: ما صرفك، وصدّك عَنْ السجود لمّا توليتُ خلقه من غير واسطة؟ وأضاف خلقه إلى نفسه تَكريماً له، وتشريفاً، مع أنه سبحانه خالق كل شيء كما أضاف إلى نفسه الروح، والبيت والناقة والمساجد.

قال مجاهد[1]: اليد هنا بمعنى: التأكيد، والصلة مجازاً كقوله: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ﴾ [الرحمٰن: ٢٧]. وقيل: أراد باليد القدرة، يقال: ما لي بهذا الأمر يد، وما لي به يدان؛ أي: قدرة، ومنه قول الشاعر[2]:

تحمَّلت من عَفْرَاء مَا لَيْس لِي بهِ ... ولا لـلـجـبـالِ الـرَّاسـيـاتِ يَـدَانِ

وقيل: التثنية في اليد للدلالة على أَنّها ليس بمعنى: القوّة، والقدرة، بل للدلالة على أنهما صفتان من صفات[3] ذاته سبحانه.

و «ما» في قوله: ﴿لِمَا خَلَقْتُ﴾ هي: المصدرية[4]، أو الموصولة. وقرأ الجحدري[5]: «لمّا» بالتشديد مع فتح اللام على أنها ظرف بمعنى: حين كما قال أبو عليّ الفارسي[6].

وقُرئ: «بيدي» على الإفراد[7].

---

(١) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٨/ ٢٣٨).
• اليدان صفة ذاتية لله ﷻ، نثبتها كما نثبت باقي صفاته تعالى من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف، ولا تمثيل، وهي ثابتة بالكتاب والسُّنَّة. (وقد تقدم بيانه). انظر: «مجموع فتاوى» (٦/ ٢٦٣)، و«أصول الاعتقاد» للالكائي (٣/ ٤١٢).

(٢) قائله: عروة بن حزام. وعفراء ابنة عمه. «خزانة الأدب» (٣/ ٢١٥).

(٣) وهو مذهب السلف. وقد تقدم بيانه.

(٤) «البحر المحيط» (٩/ ١٧٤)، و«روح المعاني» (٢٣/ ٣٤٤). وهي قراءة شاذة.

(٥) «البحر المحيط» (٩/ ١٧٤)، و«الحجة» (٦/ ٨٥). وهي قراءة شاذة.

(٦) في «الحجة» (٦/ ٨٦).

(٧) «القراءات الشاذة» (ص١٣٠)، و«البحر المحيط» (٩/ ١٧٤). وهي قراءة شاذة.

﴿أَسْتَكْبَرْتَ﴾ قرأ الجمهور بهمزة الاستفهام(١)، وهو استفهام توبيخ(٢) وتقريع و ﴿أَمْ﴾ متصلة.

وقرأ ابن كثير في رواية عنه، وأهل مكة بألف(٣) وصل، ويجوز أن يكون الاستفهام مراداً، فيوافق القراءة الأولى كما في قول الشاعر:

تَـروحُ مـن الـحَـيّ أم تَـبْـتـكـرُ

وقول الآخر:

بـسـبـعٍ رمـيـنَـا الـجـمـر أمْ بـثـمَـانِ(٤)

ويحتمل أن يكون خبراً محضاً من غير إرادة للاستفهام، فتكون «أم» منقطعة، والمعنى: استكبرت عَنْ السجود الذي أمرت به بل أكنتَ ﴿مِنَ ٱلْعَالِينَ﴾؟ أي: المستحقين للترفّع عَنْ طاعة أمر الله، المتعالين عن ذلك وقيل: المعنى: استكبرت عن السجود الآن، أم لم تزل من القوم الذين يتكبرون عن ذلك؟

وجملة: ﴿قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ﴾ مستأنفة جواب سؤال مقدّر، ادّعى اللعين لنفسه: أنه خير من آدم، وفي ضمن كلامه هذا: أن سجود الفاضل للمفضول لا يحسن.

ثم علل ما ادّعاه من كونه خيراً منه بقوله: ﴿خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾، وفي زعمه أن عنصر النار أشرف من عنصر الطين، وذهب عنه أن النار إنما هي بمنزلة الخادم لعنصر الطين إنْ احتيج إليها استدعيت كما يستدعى الخادم، وإن استغني عنها طُردت، وأيضاً فالطين يستولي على النار، فيطفئها، وأيضاً فهي لا توجد إلا بما أصله مِنْ عنصر الأرض، وعلى كل حال، فقد شرّف آدم بشرف، وكرّم بكرامة لا يوازيها شيء من شرف العناصر، وذلك أن الله خلقه بيديه، ونفخ فيه من روحه، والجواهر في أنفسها متجانسة، وإنما تَشْرف بعارض مِنْ عوارضها.

---

(١) «البحر المحيط» (٩/ ١٧٤).

(٢) «روح المعاني» (٢٣/ ٣٤٧)، و«تفسير أبي السعود» (٥/ ٥٧٧)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٨/ ٢٣٩).

(٣) انظر: المصادر المتقدمة. القراءة بألف وصل شاذة، وهي رواية شاذة عن ابن كثير اذ المتواتر عنه القراءة بقطع الهمزة.

(٤) عجز بيت لعمر بن أبي ربيعة. وهو في «ديوانه» (ص٢٠٩).
وصدر البيت:
فـوالـلّـه مـا أدري وإنـي لـحـاسـبٌ

وجملة: ﴿قَالَ فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا﴾ مستأنفة كالتي قبلها؛ أي: فاخرج من الجنة أو من زمرة[١] الملائكة.

ثم علَّل أمره بالخروج بقوله: ﴿فَإِنَّكَ رَجِيمٞ﴾؛ أي: مرجوم بالكواكب، مطرود من كل خير ﴿وَإِنَّ عَلَيۡكَ لَعۡنَتِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾؛ أي: طردي لك عن الرحمة، وإبعادي لك منها، ويوم الدين: يوم الجزاء، فأخبر سبحانه وتعالى: أن تلك اللعنة مستمرّة له دائمة عليه ما دامت الدنيا، ثم في الآخرة يَلْقى من أنواع عذاب الله وعقوبته وسخطه ما هو به حقيق.

وليس المراد: أنّ اللعنة تزول عنه في الآخرة، بل هو ملعون أبداً، ولكن لما كان له في الآخرة ما ينسى عنده اللعنة، ويذهل عند الوقوع فيه منها صارت كأنها لم تكن بجنب ما يكون فيه.

وجملة: ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنظِرۡنِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ﴾ مستأنفة كما تقدّم فيما قبلها؛ أي: أَمْهلني، ولا تعاجلني إلى غاية هي يوم يبعثون؛ يعني: آدم، وذريته ﴿قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلۡمُنظَرِينَ﴾؛ أي: المُمهلين ﴿إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡوَقۡتِ ٱلۡمَعۡلُومِ﴾ الذي قدّره الله لفناء الخلائق وهو عند النفخة الآخرة. وقيل: هو النفخة الأولى.

قيل: إنما طلب إبليس الإنظار إلى يوم البعث؛ ليتخلص من الموت؛ لأنه إذا أُنظر إلى يوم البعث لم يمت قبل البعث، وعند مجيء البعث لا يموت، فحينئذٍ يتخلص[٢] مِنْ الموت. فأجيب بما يبطل مراده وينقض عليه مقصده، وهو الإنظار إلى يوم الوقت المعلوم، وهو الذي يعلمه الله ولا يعلمه غيره، فلما سمع اللعين إنظار الله له إلى ذلك الوقت ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ﴾ فأقسم بعزّة الله أنه يضلّ بني آدم بتزيين الشهوات لهم، وإدخال الشُبه عليهم حتى يصيروا غاوين جميعاً.

ثم لما علم أنّ كيده لا ينجع إلا في أتباعه وأحزابه من أهل الكفر والمعاصي، استثنى مَنْ لا يقدر على إضلاله ولا يجد السبيل إلى إغوائه، فقال: ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنۡهُمُ ٱلۡمُخۡلَصِينَ﴾؛ أي: الذين أخلصْتهَم لطاعتك، وعصمتهم من الشيطان الرجيم، وقد تقدّم تفسير هذه الآيات في سورة الحجر، وغيرها.

وقد أقسم ها هنا بعزّة الله وأقسم في موضع آخر بقوله: ﴿فَبِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي﴾

---

(١) «روح المعاني» (٢٣/ ٣٤٩).
(٢) «الجامع لأحكام القرآن» (١٨/ ٢٤٠).

[الأعراف: ١٦] ولا تنافي بين القسمين، فإن إغواءه إياه من آثار عزّته سبحانه.

وجملة: ﴿قَالَ فَٱلْحَقُّ وَٱلْحَقَّ أَقُولُ﴾ مستأنفة كالجمل التي قبلها.

قرأ الجمهور بنصب[1] الحق في الموضعين على أنَّه مقسم به حذف منه حرف القسم، فانتصب، أو هما منصوبان على الإغراء؛ أي: الزموا الحق، أو مصدران مؤكدان لمضمون قوله: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ﴾.

وقرأ ابن عباس[2]، ومجاهد، والأعمش، وعاصم، وحمزة برفع الأوّل، ونصب الثاني، فرفع الأوّل على أنه مبتدأ، وخبره مقدّر؛ أي: فالحق مني، أو فالحق أنا، أو خبره: لأملأن، أو هو خبر مبتدأ محذوف، وأما نصب الثاني، فبالفعل المذكور بعده؛ أي: وأنا أقول الحق.

وأجاز الفراء[3]، وأبو عبيد[4] أن يكون منصوباً بمعنى: حقّاً لأملأنّ جهنم. واعترض عليهما بأن ما بعد اللام مقطوع عمَّا قبلها. وروي عن سيبويه[5]، والفراء[6] أيضاً: أن المعنى: فالحق أَنّ إملاء جهنم.

وروي عن ابن عباس، ومجاهد: أنهما قرآ برفعهما[7]، فرفع الأوّل على ما تقدّم، ورفع الثاني بالابتداء، وخبره الجملة المذكورة بعده، والعائد محذوف.

وقرأ ابن السميفع، وطلحة بن مصرف بخفضهما[8] على تقدير حرف القسم. قال الفراء[9]: كما يقول الله ﷻ: لأفعلنّ كذا، وغلّطه أبو العباس ثعلب وقال: لا يجوز الخفض بحرف مضمر.

وجملة: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ﴾ جواب القسم على قراءة الجمهور، وجملة ﴿وَٱلْحَقَّ أَقُولُ﴾ معترضة بين القسم، وجوابه، ومعنى: ﴿مِنكَ﴾؛ أي: من جنسك من الشياطين

---

(١) «البحر المحيط» (٩/ ١٧٦)، و«مشكل إعراب القرآن» (٢/ ٢٥٥)، و«التبيان» (٢/ ١١٠٧).
(٢) «التيسير» (ص١٨٨)، و«النشر» (٢/ ٣٦٢)، و«البحر المحيط» (٩/ ١٧٦).
(٣) في «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٤١٣).
(٤) ذكره النحاس في «إعراب القرآن» (٣/ ٤٧٤).
(٥) ذكره النحاس في «إعراب القرآن» (٣/ ٤٧٤).
(٦) في «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٤١٣).
(٧) «القراءات الشاذة» (ص١٣٠)، و«البحر المحيط» (٩/ ١٧٦)، و«روح المعاني» (٢٣/ ٣٥٣).
(٨) وهي قراءة شاذة. انظر: المصادر المتقدمة.
(٩) «روح المعاني» (٢٣/ ٣٥٤)، و«تفسير أبي السعود» (٥/ ٥٨٠).

﴿وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ﴾؛ أي: من ذرّية آدم فأطاعوك إذ دعوتهم إلى الضلال، والغواية و﴿أَجْمَعِينَ﴾ تأكيد للمعطوف والمعطوف عليه؛ أي: لأملأنها من الشياطين وأتباعهم أجمعين. ثم أمر الله سبحانه رسوله: أَنْ يخبرهم بأنّه إنما يريد بالدعوة إلى الله امتثال أمره لا عَرَض الدنيا الزائل، فقال: ﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾ والضمير في عليه راجع إلى تبليغ[1] الوحي ولم يتقدّم له ذكر، ولكنّه مفهوم من السياق.

وقيل: هو عائد إلى ما تقدّم من قوله: ﴿أَءُنزِلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ مِنۢ بَيْنِنَاۚ﴾ [صٓ: ٨] وقيل: الضمير راجع إلى القرآن، وقيل: إلى الدّعاء إلى الله على العموم، فيشمل القرآن وغيره من الوحي ومن قول الرسول ﷺ. والمعنى: ما أطلب منكم من جُعْلٍ تعطونيه عليه.

﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ﴾ حتى أقول ما لا أعلم [٤/١١] إذ أدعوكم إلى غير ما أمرني الله بالدعوّة إليه، والتكلف: التصنع ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَـٰلَمِينَ﴾؛ أي: ما هذا القرآن أو الوحي، أو ما أدعوكم إليه إلا ذكر من الله ﷻ للجنّ، والإنس.

قال الأعمش[2]: ما القرآن إلا موعظة للخلق أجمعين ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ﴾ أيها الكفار ﴿نَبَأَهُۥ﴾؛ أي: ما أنبأ عنه، وأخبر به من الدّعاء إلى الله، وتوحيده، والترغيب إلى الجنة، والتحذير من النار ﴿بَعْدَ حِينٍۭ﴾ قال قتادة[3]، والزجاج[4]، والفراء[5]: بعد الموت.

وقال عكرمة[6]، وابن زيد[7]: يوم القيامة.

وقال الكلبي[8]: من بقي علم ذلك لما ظهر أمره، وعلا، ومن مات علمه بعد الموت.

وقال السدّي[9]: وذلك يوم بدر.

---

(١) «روح المعاني» (٢٣/ ٣٥٤)، و«تفسير أبي السعود» (٥/ ٥٨٠).
(٢) ذكره الواحدي في «الوسيط» (٣/ ٥٦٨).
(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/ ١٥١) بسند صحيح.
(٤) في «معاني القرآن وإعرابه» (٤/ ٣٤٢). (٥) في «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٤١٣).
(٦) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/ ١٥٢ ـ ١٥٣) من طريق ابن عُليَّة، به.
(٧) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/ ١٥٢) بسند صحيح.
(٨) ذكره الواحدي في «الوسيط» (٣/ ٥٦٨).
(٩) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/ ١٥١) بسند حسن.

وقد أخرج ابن مردويه[١] عن ابن عباس في قوله: ﴿إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ [صَ: ٦٩]: أن الخصومة هي: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ﴾ إلخ.

وأخرج ابن جرير، وأبو الشيخ في «العظمة»، والبيهقي عن ابن عمر[٢] قال: خلق الله أربعاً بيده: العرش، وجنة عدن، والقلم، وآدم.

وأخرج ابن أبي الدنيا في صفة الجنة، وأبو الشيخ في «العظمة»، والبيهقي في «الأسماء والصفات» عن عبد الله بن الحارث[٣] قال: قال رسول الله ﷺ: «خلق الله ثلاثة أشياء بيده: خلق آدم بيده، وكتب التوراة بيده، وغرس الفردوس بيده».

وأخرج سعيد بن منصور، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر عن مجاهد[٤] في قوله: ﴿فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ﴾ قال: أنا الحق أقول الحق.

وأخرج ابن أبي حاتم[٥] عن ابن عباس في قوله: ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾ قال: قُلْ يا محمد: ﴿مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ ما أدعوكم إليه ﴿مِنْ أَجْرٍ﴾ عرض دنيا. وفي البخاري ومسلم وغيرهما عن مسروق قال: بينما رجل يحدّث في المسجد، فقال فيما يقول: ﴿يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ﴾ [الدخان: ١٠] قال: دخان يكون يوم القيامة يأخذ بأسماع المنافقين، وأبصارهم، ويأخذ المؤمنين كهيئة الزكام، قال: قمنا حتى دخلنا على عبد الله، وهو في بيته، وكان متكئاً، فاستوى قاعداً، فقال: يا أيها الناس مَنْ علم منكم علماً فليقل به، ومن لم يعلم فليقل: الله أعلم، فإن من العلم أن يقول العالم لما لا يعلم: الله أعلم، قال الله تعالى لرسوله ﷺ: ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾.

---

(١) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٢٠٦).

(٢) عزاه إليهم السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٢٠٧)
وأخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/ ١٤٥)، وأبو الشيخ في «العظمة» رقم (١٠٣٣)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» رقم (٦٩٣) بسند صحيح.

(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا في «صفة الجنة» رقم (٤١)، وأبو الشيخ في «العظمة» رقم (١٠٣٢)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» رقم (٦٩٢) قال البيهقي: «مرسل».
• سنده ضعيف، فيه أبو معشر، وهو من الضعفاء.

(٤) عزاه إليهم السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٢٠٧).
وأخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/ ١٤٩) بثلاثة أسانيد يقوي بعضها بعضاً.

(٥) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٢٠٨).

وأخرج البخاري[١] عن عمر قال: نُهينا عن التكلف.

وأخرج الطبراني، والحاكم، والبيهقي عن سلمان[٢] قال: نهانا رسول الله ﷺ أن نتكلّف للضيف.

۞ ۞ ۞

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» رقم (٧٢٩٣).

(٢) أخرجه الطبراني رقم (٦٠٨٤)، والحاكم (٤/ ١٢٣)، والبيهقي في «الشعب» رقم (٩٦٠٠).

سورة الزمر

هي اثنتان وسبعون آية وقيل: خمس وسبعون.

وهي مكيَّة في قول الحسن، وعكرمة، وجابر بن زيد[(١)].

وأخرج ابن الضريس، وابن مردويه، والبيهقي في «الدلائل» عن ابن عباس[(٢)] قال: أنزلت سورة الزمر بمكة.

وأخرج النحاس في «ناسخه»[(٣)] عنه قال: نزلت بمكة سورة الزمر سوى ثلاثة آيات نزلن بالمدينة في «وحشيّ» قاتل حمزة ﴿يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ﴾ [الزمر: ٥٣ ـ ٥٥] الثلاث الآيات. وقال آخرون: إلى سبع آيات من قوله: ﴿قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ﴾ [الزمر: ٥٣ ـ ٥٩] إلى آخر السبع.

وأخرج النّسائي عن عائشة قالت: «كان رسول الله يصوم حتى نقول: ما يريد أن يفطر، ويفطر حتى نقول: ما يريد أَنْ يصوم، وكان يَقْرأ في كلّ ليلة بني إسرائيل، والزمر».

وأخرجه الترمذي[(٤)] عنها بلفظ: «كان رسول الله لا ينام حتى يقرأ الزمر، وبني إسرائيل».

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ ۝١ إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝٢ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ فِي مَا هُمۡ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ

(١) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٨/ ٢٤٥).
(٢) أخرجه ابن الضريس رقم (١٧)، والبيهقي (٧/ ١٤٢، ١٤٤).
(٣) أخرجه النحاس في «ناسخه» (ص٦٤٣).
(٤) أخرجه الترمذي في «السنن» رقم (٣٤٠٥). وهو حديث صحيح.

هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ ۝٣ لَّوْ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّٱصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ۝٤ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۖ يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيْلِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ أَلَا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ ۝٥ خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ ۚ يَخْلُقُكُمْ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ فِى ظُلُمَٰتٍ ثَلَٰثٍ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ۝٦﴾.

قوله: ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ ارتفاعه على أنّه خبر مبتدأ محذوف هو اسم إشارة؛ أي: هذا تنزيل. وقال أبو حيّان[١]: إنّ المبتدأ المقدّر لفظ هُو ليعود على قوله: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [صٓ: ٨٧]، كأنَّه قيل: وهذا الذكر ما هو؟ فقيل: هو تنزيل الكتاب، وقيل: ارتفاعه على أنّه مبتدأ، وخبره الجارّ والمجرور بعده؛ أي: تنزيل كائن من الله، وإلى هذا ذهب الزجّاج[٢]، والفراء[٣].

قال الفراء[٤]: ويجوز أن يكون مرفوعاً بمعنى: هذا تنزيل، وأجاز الفراء[٥] والكسائي[٦] النصب على أنه مفعول به لفعل مقدّر؛ أي: اتبعوا أو اقرءوا تنزيل الكتاب.

وقال الفراء[٧]: يجوز نصبه على الإغراء؛ أي: الزموا، والكتاب هو: القرآن، وقولُه: ﴿مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾ على الوجه الأوّل صلة للتنزيل، أو خبر بعد خبر، أو خبر مبتدأ محذوف، أو متعلّق بمحذوف على أنه حال، عمل فيه اسم الإشارة المقدّر ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ﴾ الباء سببية متعلّقة بالإنزال؛ أي: أنزلناه بسبب الحقّ.

ويجوز أَنْ تتعلق بمحذوف هو: حال[٨] مِنْ الفاعل؛ أي: ملتبسين بالحق، أو

(١) في «البحر المحيط» (٩/ ١٨١).
(٢) في «معاني القرآن وإعرابه» (٤/ ٣٤٣).
(٣) في «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٤١٤).
(٤) في «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٤١٤).
(٥) في المصدر المتقدم.
(٦) ذكره النحاس في «إعراب القرآن» (٤/ ٣).
(٧) في «معاني القرآن» (٢/ ٤١٤).
(٨) «التبيان» (٢/ ١١٠٨)، و«إعراب القرآن» للنحاس (٤/ ٣).

من المفعول؛ أي: ملتبساً بالحق، والمراد كلّ ما فيه مِنْ إثبات التوحيد والنبوّة والمعاد وأنواع التكاليف.

قال مقاتل: يقول: لم ننزله باطلاً لغير شيء.

﴿فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾ الفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها، وانتصاب «مخلصاً» على الحال[١] من فاعل «اعبد».

والإخلاص: أَنْ يقصد العبد بعمله وجه الله سبحانه، والدين: العبادة والطاعة ورأسها توحيد الله وأنّه لا شريك له.

قرأ الجمهور[٢] «الدينَ» بالنصب على أنه مفعول مخلصاً.

وقرأ ابن أبي عَبْلة[٣] برفعه على أنّ مخلصاً مسند إلى الدين على طريقة المجاز. قيل: وكان عليه أَنْ يقرأ مخلَصاً بفتح اللام.

وفي الآية دليل على وجوب[٤] النية وإخلاصها عن الشوائب؛ لأن الإخلاص من الأمور القلبية التي لا تكون إلا بأعمال القلب، وقد جاءت السُّنَّة الصحيحة أن ملاك الأمر في الأقوال والأفعال النية، كما في حديث: «إنما الأعمال بالنيات»[٥]، وحديث: «لا قول ولا عمل إلا بنية»[٦].

وجملة: ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُۚ﴾ مستأنفة مقرّرة لما قبلها من الأمر بالإخلاص؛ أي: إنّ الدين الخالص من شوائب الشرك، وغيره هو لله، وما سواه من الأديان، فليس بدين الله الخالص الذي أمر به.

قال قتادة[٧]: الدين الخالص: شهادة أن لا إلٰه إلا الله ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن

---

(١) «الفريد» (٤/ ١٨٣)، و«روح المعاني» (٢٣/ ٣٦٠).

(٢) «البحر المحيط» (٩/ ١٨٢)، و«روح المعاني» (٢٣/ ٣٦٢).

(٣) «البحر المحيط» (٩/ ١٨٢)، و«روح المعاني» (٢٣/ ٣٦٢)، و«حاشية الشهاب» (٧/ ٣٢٤). والقراءة بالرفع شاذة.

(٤) «أحكام القرآن» لابن العربي (٤/ ١٦٤٤).

(٥) أخرجه البخاري رقم (١)، ومسلم رقم (١٩٠٧/١٥٥)، وأبو داود رقم (٢٢٠١)، والترمذي رقم (١٦٤٧) وقال: «هذا حديث حسن صحيح»، والنسائي (٥٨/١)، وابن ماجه رقم (٤٢٢٧).

(٦) وروعه ابن مسعود من قوله :«لا ينفع قول ولا عمل الابنية«قال ابن رجب في جامع العلوم» (٦٩/١) رواه ابن أبي الدنيا بإسناد ضعيف.

(٧) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٥٦/٢٠) بسند صحيح.

دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ﴾ لما أمر سبحانه بعبادته على وجه الإخلاص، وأنَّ الدين الخالص له لا لغيره بيّن بطلان الشرك الذي هو مخالف للإخلاص، والموصول عبارة عن المشركين، ومحله الرفع على الابتداء، وخبره قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ﴾.

وجملة: ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾ في محل نصب على الحال بتقدير القول، والاستثناء مفرّغ من أعمّ العلل(١).

والمعنى: والذين لم يخلصوا العبادة لله، بل شابوها بعبادة غيره قائلين: ما نعبدهم لشيء من الأشياء إلا ليقرّبونا إلى الله تقريباً، والضمير في نعبدهم راجع إلى الأشياء التي كانوا يعبدونها من الملائكة، وعيسى والأصنام وهم المرادون بالأولياء، والمراد بقولهم: ﴿إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾ الشفاعة، كما حكاه الواحدي(٢) عن المفسرين.

قال قتادة(٣): كانوا إذا قيل لهم: مَنْ ربكم وخالقكم ومن خلق السمٰوات، والأرض، وأنزل من السماء ماء؟ قالوا: الله، فيقال لهم: ما معنى عبادتكم للأصنام؟ قالوا: ليقرّبونا إلى الله زلفى ويشفعوا لنا عنده.

قال الكلبي(٤): جواب هذا الكلام قوله في سورة الأحقاف: ﴿فَلَوۡلَا نَصَرَهُمُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ قُرۡبَانًا ءَالِهَةَۢ﴾ [الأحقاف: ٢٨]. والزُّلْفى اسمٌ أقيم مقام المصدر، كأنه قال: إلا ليقرّبونا إلى الله تقريباً. وفي قراءة(٥) ابن مسعود، وابن عباس ومجاهد: «قالوا ما نعبدهم».

ومعنى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ﴾؛ أي: بين أهل الأديان يوم القيامة فيجازي كُلّاً بما يستحقه. وقيل: بين المخلصين للدين وبين الذين لم يخلصوا، وحذف الأوّل لدلالة الحال عليه.

ومعنى: ﴿فِي مَا هُمۡ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَۗ﴾ في الذي اختلفوا فيه من الدين بالتوحيد والشرك فإن كلّ طائفة تدّعي أنّ الحقّ معها ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ كَٰذِبٞ

---

(١) «روح المعاني» (٢٣/ ٣٦٥)، و«تفسير أبي السعود» (٥/ ٥٨٣).
(٢) في «الوسيط» (٣/ ٥٧٠).
(٣) ذكره البغوي في «تفسيره» (٧/ ١٠٨)، والواحدي في «الوسيط» (٣/ ٥٧٠).
(٤) ذكره النحاس في «إعراب القرآن» (٤/ ٤)، والبغوي في «تفسيره» (٧/ ١٠٨).
(٥) «روح المعاني» (٢٣/ ٣٦٥)، و«البحر المحيط» (٩/ ١٨٣)، و«معاني القرآن» للفراء (٢/ ٤١٤). وهي قراءة شاذة مخالفة للرسم.

كَفَّارٌ﴾؛ أي: لا يُرشد لدينه ولا يوفّق للاهتداء إلى الحقّ مَنْ هو كاذب في زعمه: أن الآلهة تقربه إلى الله، وكفر باتخاذها آلهة، وجعلها شركاء لله، والكفّار صيغة مبالغة تدلّ على أن كفر هؤلاء قد بلغ إلى الغاية.

وقرأ الحسن، والأعرج «كذّاب» على صيغة المبالغة[١] ككفّار، ورويت هذه القراءة عن أنس.

﴿لَّوْ أَرَادَ اللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّاصْطَفَىٰ﴾ هذا مقرّر لما سبق من إبطال قول المشركين: بأنّ الملائكةَ بناتُ الله؛لتضمنه استحالة الولد في حقه سبحانه على الإطلاق، فلو أراد أن يتخذ ولداً لامتنع اتخاذ الولد حقيقة، ولم يتأتّ ذلك إلا بأن يَصطفي ﴿مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾؛ أي: يختار مِنْ جملة خلقه ما يشاء أن يصطفيه، إذ لا موجود سواه إلّا وهو مخلوق له، ولا يصح أن يكون المخلوق ولداً للخالق لعدم المجانسة بينهما، فلم يبق إلا أن يصطفيه عبداً كما يفيده التعبير بالاصطفاء مكان الاتخاذ.

فمعنى الآية: لو أراد أن يتخذ ولداً لوقع منه شيء ليس هو من اتخاذ الولد، بل إنما هو من الاصطفاء لبعض مخلوقاته، ولهذا نزّه سبحانه نفسه عن اتخاذ الولد على الإطلاق، فقال: ﴿سُبْحَانَهُ﴾؛ أي: تنزيهاً له عن ذلك.

وجملة: ﴿هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ مبينة لتنزّهه بحسب الصفات بعد تنزّهه بحسب الذات؛ أي: هو المستجمع لصفات الكمال، المتوحِّد في ذاته، فلا مماثل له القهّار لكلِّ مخلوقاته، ومَنْ كان متصفاً بهذه الصفات استحال وجود الولد في حقه؛ لأنّ الولد مماثل لوالده، ولا مماثل له سبحانه، ومثل هذه الآية قوله سبحانه: ﴿لَوْ أَرَدْنَا أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّاتَّخَذْنَاهُ مِن لَّدُنَّا﴾ [الأنبياء: ١٧].

ثم لما ذكر سبحانه كونه منزّهاً عن الولد بكونه إلٰهاً واحداً قهاراً [٣/١٢] ذكر ما يدل على ذلك من صفاته، فقال: ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾؛ أي: لم يخلقهما باطلاً لغير شيء، ومَنْ كان هذا الخلق العظيم خلقه استحال أن يكون له شريك أو صاحبة أو ولد.

---

(١) «القراءات الشاذة» (ص١٣٠)، و«البحر المحيط» (٩/ ١٨٣)، و«روح المعاني» (٢٣/ ٣٦٧). وهي قراءة شاذة.

ثم بيّن كيفية تصرّفه في السمٰوات، والأرض، فقال: ﴿يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيْلِ﴾ التكوير في اللغة[١]: طرحُ الشيء بعضه على بعض. يقال: كوّر المتاع: إذا ألقي بعضه على بعض، ومنه كوّر العمامة؛ فمعنى تكوير الليل على النهار: تغشيته إيّاه حتى يذهب ضوؤه، ومعنى تكوير النهار على الليل: تغشيته إياه حتى تذهب ظُلمته، وهو: معنى قوله تعالى: ﴿يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا﴾ [الأعراف: ٥٤] هكذا قال قتادة[٢] وغيره.

وقال الضحاك: أي: يلقي هذا على هذا، وهذا على هذا، وهو مقارب للقول الأوّل.

وقيل: معنى الآية: أن ما نقص من الليل دخل في النهار، وما نقص من النهار دخل في الليل، وهو: معنى قوله: ﴿يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ﴾ [فاطر: ١٣، والحديد: ٦]، وقيل: المعنى: إن هذا يكرّ على هذا، وهذا يكرّ على هذا كروراً متتابعاً.

قال الراغب[٣]: تكوير الشيء: إدارته، وضمُّ بعضِه إلى بعض ككور العمامة اهـ. والإشارة بهذا التكوير المذكور في الآية إلى جريان الشمس في مطالعها وانتقاص الليل والنهار وازديادهما.

قال الرازي[٤]: إن النور والظلمة عسكران عظيمان، وفي كل يوم يغلب هذا ذاك وذاك هذا؛ ثم ذكر تسخيره لسلطان النهار، وسلطان الليل، وهما: الشمس والقمر، فقال: ﴿وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ﴾؛ أي: جعلهما منقادين لأمره بالطلوع والغروب لمنافع العباد.

ثم بيّن كيفية هذا التسخير، فقال: ﴿كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾؛ أي: يجري في فلكه إلى أن تنصرم الدنيا وذلك يوم القيامة، وقد تقدّم الكلام على الأجل المُسمّى لجريهما مستوفى في سورة «يٓس» ﴿أَلَا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ﴾ ألا: حرف تنبيه، والمعنى: تنبهوا أيها العباد، فالله هو: الغالب الستار لذنوب خلقه بالمغفرة.

---

(١) «الصحاح» (٢/ ٨٠٩)، و«تهذيب اللغة» (١٠/ ٣١٩).
(٢) «المحرر الوجيز» (٤/ ٦٢ ـ ٦٣). (٣) في «مفردات ألفاظ القرآن» (ص٧٢٩).
(٤) في «تفسيره» (٢٦/ ٢٤٤).

ثم بيّن سبحانه نوعاً آخر مِنْ قُدرته وبديع صنعه، فقال: ﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾، وهي: نفس آدم ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ جاء بثمّ للدّلالة على ترتب خلق حواء على خلق آدم وتراخيه عنه لأنها خلقت منه، والعطف: إما على مقدّر هو صفة لنفس.

قال الفراء[١] والزجاج[٢]: التقدير: خلقكم من نفس خلقها واحدة، ثم جعل منها زوجها. ويجوز أن يكون العطف على معنى واحدة؛ أي: من نفس انفردت، ثم جعل إلخ، والتعبير بالجَعْل دون الخلق مع العطف بثمّ للدّلالة على أن خلق حوّاء مِنْ ضلع آدم أدخل في كونه آيةً باهرة دالة على كمال القدرة؛ لأن خلق آدم هو على عادة الله المستمرة في خلقه، وخلقها على الصفة المذكورة لم تجر به عادة لكونه لم يخلق سبحانه أنثى مِنْ ضلع رجل غيرها.

وقد تقدّم تفسير هذه الآية مستوفى في سورة الأعراف.

ثم بيّن سبحانه نوعاً آخر من قدرته الباهرة، فقال: ﴿وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ﴾، وهو معطوف على خلقكم، وعبر بالإنزال لما يروى: أنه خلقها في الجنة، ثم أنزلها، فيكون الإنزال حقيقة، ويحتمل أن يكون مجازاً؛ لأنها[٣] لم تعش إلا بالنبات، والنبات إنما يعيش بالماء، والماء منزل من السماء، كانت الأنعام كأنها منزلة[٤]؛ لأن سبب سببها منزل كما أطلق على السبب في قوله:

إِذَا نَزَلَ السَّمَاءُ بِأَرضِ قَوْمٍ رَعَيْنَاهُ وإنْ كَانُوا غِضَابَا[٥]

وقيل: إن أنزل بمعنى: أنشأ، وجعل، أو بمعنى: أعطى، وقيل: جعل الخلق إنزالاً؛ لأن الخلق إنما يكون بأمر ينزل من السماء، والثمانية الأزواج هي ما في قوله: ﴿مِّنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْمَعْزِ ٱثْنَيْنِ﴾ [الأنعام: ١٤٣] ﴿وَمِنَ ٱلْإِبِلِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ ٱثْنَيْنِ﴾ [الأنعام: ١٤٤] ويعني بالاثنين في الأربعة المواضع: الذكر، والأنثى، وقد تقدّم تفسير الآية في سورة الأنعام.

ثم بيّن سبحانه نوعاً آخر من قدرته البديعة، فقال: ﴿يَخْلُقُكُمْ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ

---

(١) في «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٤١٥).
(٢) في «معاني القرآن وإعرابه» (٤/ ٣٤٥).
(٣) «المحرر الوجيز» (١٤/ ٦٢).
(٤) ويسمَّى هذا: التدريج.
(٥) هو لمعود الحثماء (معاوية بن مالك)، كما في «لسان العرب» (١٤/ ٣٩٩)، وبدون نسبه في «مقاييس اللغة» (٣/ ٢٩٨).

خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ﴾، والجملة استئنافية لبيان ما تضمنته من الأطوار المختلفة في خلقهم، وخلقاً مصدر مؤكد للفعل المذكور، و ﴿مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ﴾ صفة له؛ أي: خلقاً كائناً مِنْ بعد خلق.

قال قتادة[١]، والسدّي[٢]: نطفة، ثم علقة، ثم مضغة، ثم عظماً ثم لحماً.

وقال ابن زيد[٣]: خلقكم خلقاً في بطون أمهاتكم من بعد خلقكم في ظهر آدم.

وقوله: ﴿فِى ظُلُمَٰتٍ ثَلَٰثٍ﴾ متعلّق بقوله: ﴿يَخْلُقُكُمْ﴾، وهذه الظلمات الثلاث هي: ظلمة البطن، وظلمة الرّحم، وظلمة المشيمة قاله مجاهد[٤] وعكرمة[٥] وقتادة[٦] والضحاك[٧].

وقال سعيد بن جبير[٨]: ظلمة المشيمة، وظلمة الرّحم، وظلمة الليل.

وقال أبو عبيدة[٩]: ظلمة صلب الرجل، وظلمة بطن المرأة، وظلمة الرّحم، والإشارة بقوله: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ﴾ إليه سبحانه باعتبار أفعاله السابقة، والاسم الشريف خبره ﴿رَبُّكُمْ﴾ خبر آخر ﴿لَهُ ٱلْمُلْكُ﴾ الحقيقي في الدنيا والآخرة لا شركة لغيره فيه، وهو: خبر ثالث، وقوله: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ خبر رابع ﴿فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ﴾؛ أي: فكيف تنصرفون عَنْ عبادته، وتنقلبون عَنْها إلى عبادة غيره؟ قرأ حمزة: «إِمهاتكم» بكسر[١٠] الهمزة، والميم. وقرأ الكسّائي[١١] بكسر الهمزة، وفتح الميم. وقرأ الباقون[١٢] بضم الهمزة، وفتح الميم.

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/ ١٦٤) بسند صحيح.
(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/ ١٦٤) بسند حسن.
(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/ ١٦٥) بسند صحيح.
(٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/ ١٦٦) بسند صحيح.
(٥) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/ ١٦٥) بسند صحيح.
(٦) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/ ١٦٦) بسند صحيح.
(٧) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/ ١٦٦ ـ ١٦٧) بسند حسن.
(٨) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٨/ ٢٥٠).
(٩) في «مجاز القرآن» (٢/ ١٨٨).
(١٠) «التيسير» (ص٩٤)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٨/ ٢٥٠)، و«البحر المحيط» (٧/ ٤١٧).
(١١) انظر: المصادر المتقدمة. هي قراءات ثلاث متواترة ولكن هذا في حال الوصل، أما في حال الوصل فالعشرة قرأوا بضم الهمزة وفتح الميم. «النشر» (٢/ ٢٤٨).
(١٢) «البحر المحيط» (٧/ ٤١٧)، و«التيسير» (ص٩٤).

وقد أخرج ابن مردويه[١]، عن يزيد الرقاشي أن رجلاً قال: «يا رسول الله إنا نعطي أموالنا التماس الذكر، فهل لنا في ذلك من أجر؟، فقال رسول الله ﷺ: لا، قال: يا رسول الله إنما نعطي التماس الأجر والذكر فهل لنا أجر؟، فقال رسول الله ﷺ: إنّ الله لا يقبل إلا ما أُخلص له، ثم تلا هذه الآية: ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ﴾».

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن ابن عباس[٢] في قوله: ﴿يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ﴾ قال: يحمل الليل.

وأخرج سعيد بن منصور، وابن جرير، وابن أبي حاتم عن ابن عباس[٣] في قوله: ﴿خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ﴾ قال: علقة ثم مضغة ثم عظاماً ﴿فِى ظُلُمَٰتٍ ثَلَٰثٍ﴾: البطن والرحم والمشيمة.

﴿إِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنكُمْ ۖ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ ۖ وَإِن تَشْكُرُوا۟ يَرْضَهُ لَكُمْ ۗ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٧﴾ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِىَ مَا كَانَ يَدْعُوٓا۟ إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا ۖ إِنَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ﴿٨﴾ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾ قُلْ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۗ وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ ۗ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾ قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾﴾.

لما ذكر سبحانه النعم التي أنعم بها على عباده وبيّن لهم من بديع صنعه، وعجيب فعله ما يوجب على كل عاقل أن يؤمن به عقبه بقوله: ﴿إِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنكُمْ﴾؛ أي: غير محتاج إليكم، ولا إلى إيمانكم ولا إلى عبادتكم له فإنه الغنيّ المطلق، مع كون كفر الكافر لا يضرّه كما أنه لا ينفعه إيمان المؤمن فهو أيضاً ﴿وَلَا

---

(١) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٢١١).
(٢) عزاه إليهم السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٢١١).
وأخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/ ١٦٠) بسند صحيح.
(٣) عزاه إليهم السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٢١١).
وأخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/ ١٦٦) بسند ضعيف.

﴿يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ﴾؛ أي: لا يرضى لأحدٍ[١] من عباده الكفر ولا يحبه، ولا يأمر به ومثل هذه الآية قوله: ﴿إِن تَكْفُرُوٓاْ أَنتُمْ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ حَمِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٨]، ومثلها ما ثبت في «صحيح مسلم»[٢] من قوله ﷺ: «يا عبادي لو أن أوّلكم وآخركم وإنسكم، وجنّكم كانوا على قلب أفجر رجل منكم ما نقص ذلك من ملكي شيئاً».

وقد اختلف المفسرون[٣] في هذه الآية هل هي على عمومها، وإن الكفر غير مرضيّ لله سبحانه على كلِّ حال كما هو الظاهر، أو هي خاصة؟، والمعنى: لا يرضى لعباده المؤمنين الكفر، وقد ذهب إلى التخصيص حبر الأمة ابن عباس رضي الله عنه كما سيأتي بيانه آخر البحث، وتابعه على ذلك عكرمة، والسدّي، وغيرهما.

ثم اختلفوا في الآية اختلافاً آخر. فقال قوم: إنّه يريد كفر الكافر، ولا يرضاه، وقال آخرون: إنه لا يريده، ولا يرضاه، والكلام في تحقيق مثل هذا يطول[٤] جدّاً.

وقد استدلّ القائلون بتخصيص هذه الآية، والمثبتون للإرادة مع عدم الرضا بما ثبت في آيات كثيرة من الكتاب العزيز أنه سبحانه: ﴿يُضِلُّ مَن يَشَآءُ﴾ [الرعد: ٢٧، والنمل: ٩٣] ﴿وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ [يوسف: ٢٥، وإبراهيم: ٤، والنمل: ٩٣] ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الإنسان: ٣٠، والتكوير: ٢٩]، ونحو هذا مما يؤدي معناه كثير في الكتاب العزيز.

ثم لما ذكر سبحانه: أنه لا يرضى لعباده الكفر بيّن أنه يرضى لهم الشكر، فقال: ﴿وَإِن تَشْكُرُواْ يَرْضَهُ لَكُمْ﴾؛ أي: يرض لكم الشكر المدلول عليه بقوله: ﴿وَإِن تَشْكُرُواْ﴾، ويثبكم عليه، وإنما رضي لهم سبحانه الشكر؛ لأنه سبب سعادتهم في الدنيا والآخرة كما قال سبحانه: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: ٧] قرأ أبو جعفر، وأبو عمرو وشيبة وهبيرة عن عاصم بإسكان[٥] الهاء من يرضه، وأشبع[٦]

---

(١) «جامع البيان» (٢٠/ ١٦٨)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٨/ ٢٥١).
(٢) أخرجه مسلم في «صحيحه» رقم (٥٥/ ٢٥٧٧).
(٣) «الجامع لأحكام القرآن» (١٨/ ٢٥١)، و«جامع البيان» (٢/ ١٦٩).
(٤) «تفسير الرازي» (٢٦/ ٢٤٦ ـ ٢٤٧).
(٥) «التيسير» (ص١٨٩)، و«النشر» (١/ ٣٠٧ ـ ٣٠٨)، و«روح المعاني» (٢٣/ ٢٥٠ ـ ٢٥١).
(٦) «الكشف عن وجوه القراءات» (٢/ ٢٢٦)، و«التبيان» (٢/ ١١٠٩)، و«روح المعاني» (٢٣/ ٢٥١). للقراء في هذه الكلمة (يرضه) قراءات، فنافع وحمزة وحفص ويعقوب باختلاس ضمة =

الضمة على الهاء ابن ذكوان، وابن كثير والكسائي وابن محيصن وورش عن نافع، واختلس[١] الباقون ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾؛ أي: لا تحمل نفس حاملة للوزر حمل نفس أخرى.

وقد تقدّم تفسير هذه الآية مستوفى ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ﴾ يوم القيامة ﴿فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ من خير، وشر، [٤/١٣] وفيه تهديد شديد ﴿إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾؛ أي: بما تضمره القلوب وتستره، فكيف بما تظهره وتبديه؟ ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ﴾؛ أيّ: ضُرٍ كان مِنْ مرض أو فقر أو خوف ﴿دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ﴾؛ أي: راجعاً إليه مستغيثاً به في دفع ما نزل به تاركاً لما كان يدعوه، ويستغيث به من ميت أو حيّ، أو صنم أو غير ذلك ﴿ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ نِعْمَةً مِّنْهُ﴾؛ أي: أعطاه، وملّكه، يقال: خوّله الشيء؛ أي: ملّكه إياه، وكان أبو عمرو بن العلاء ينشد:

هُنالكَ إنْ يُسْتخْولُوا المالَ يُخْوِلوا ... وإنْ يُسألوا يُعطوا وإن يَيْسروا يُغلُوا[٢]

ومنه قول أبي النجم[٣]:

أعطى ولم يَبْخَلْ ولم يَبْخّلْ ... كَوْم الذُّرى من خَوَلِ المُخوَّل

﴿نَسِىَ مَا كَانَ يَدْعُوٓا إِلَيْهِ مِن قَبْلُ﴾؛ أي: نسي الضرّ الذي كان يدعو الله إلى كشفه عنه من قبل أن يخوله ما خوله، وقيل: نسي الدعاء الذي كان يتضرع به، وتركه، أو نسي ربَّه الذي كان يدعوه ويتضرّع إليه، ثم جاوز ذلك إلى الشرك بالله وهو معنى قوله: ﴿وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا﴾؛ أي: شركاء من الأصنام أو غيرها يستغيث بها، ويعبدها ﴿لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦ﴾؛ أي: ليضل الناس عن طريق الله التي هي الإسلام والتوحيد.

وقال السدّي[٤]: يعني: أنداداً من الرجال يعتمد عليهم في جميع أموره. ثم أمر الله سبحانه رسوله ﷺ: أن يهدّد من كان متصفاً بتلك الصفة، فقال: ﴿قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا﴾؛ أي: تمتعاً قليلاً أو زماناً قليلاً فمتاع الدنيا قليل.

= الهاء وقرأ هشام وابن كثير والكسائي وخلف بالإشباع وقرأ السوسي ووافقه الحسن بإسكان الهاء.. انظر: «النشر» (٣٠٨/١) أما أبو عمرو فقرأ بالإسكان والإشباع.

(١) «البحر المحيط» (١٩٠/٩)، و«النشر» (٣٠٨/١)، و«روح المعاني» (٢٥١/٢٣).

(٢) انظر: «ديوان زهير بن أبي سلمى» (ص٢٢).

(٣) «ديوان أبي النجم» (ص١٧٥).

(٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٧٣/٢٠) بسند حسن.

ثم علَّل ذلك بقوله: ﴿إِنَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ﴾؛ أي: مصيرك إليها عن قريب، وفيه من التهديد[١] أمر عظيم.

قال الزجاج[٢]: لفظه لفظ الأمر، ومعناه: التهديد، والوعيد.

قرأ الجمهور[٣]: «لِيُضلَّ» بضم الياء، وقرأ ابن كثير، وأبو عمرو بفتحها[٤].

ثم لما ذكر سبحانه صفات المشركين وتمسكهم بغير الله عند اندفاع المكروهات عنهم ذكر صفات المؤمنين، فقال: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ﴾، وهذا إلى آخره من تمام الكلام المأمور به رسول الله ﷺ.

والمعنى: ذلك الكافر أحسن حالاً ومآلاً، أَمّن هو قائم بطاعات الله في السرّاء، والضرّاء في ساعات الليل مستمرّ على ذلك، غير مقتصر على دعاء الله سبحانه عند نزول الضرر به؟

قرأ الحسن، وأبو عمرو، وابن عامر، وعاصم، والكسائي: «أَمَّن» بالتشديد[٥].

وقرأ نافع، وابن كثير، وحمزة، ويحيى بن وثّاب، والأعمش بالتخفيف[٦]، فعلى القراءة الأولى «أم» داخلة على «مَنْ» الموصولة، وأدغمت الميم في الميم، وأم[٧] هي المتصلة، ومعادلها محذوف تقديره: الكافر خير أم الذي هو قانت؟

وقيل: هي المنقطعة[٨] المقدّرة بـ«بل» والهمزة؛ أي: بل أمّن هو قانت كالكافر؟ وأما على القراءة الثانية، فقيل: الهمزة للاستفهام دخلت على من، والاستفهام للتقرير ومقابله محذوف؛ أي: أمن هو قانت كمن كفر؟

---

(١) «روح المعاني» (٢٣/ ٣٨٧)، و«تفسير أبي السعود» (٥/ ٥٨٧).

(٢) في «معاني القرآن وإعرابه» (٤/ ٣٤٦).

(٣) «التيسير» (ص١٣٤)، و«البحر المحيط» (٩/ ١٨٨)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (١/ ٤٤٩).

(٤) «النشر» (٢/ ٢٩٩)، و«البحر المحيط» (٩/ ١٨٨)، و«روح المعاني» (٢٣/ ٣٨٧). وهما قراءتان متواترتان.

(٥) «البحر المحيط» (٩/ ١٨٨)، و«روح المعاني» (٢٣/ ٣٨٩)، و«النشر» (٢/ ٣٦٢)، و«جامع البيان» (٢٠/ ١٧٤). وممن قرأ بالتشديد: أبو جعفر ويعقوب وخلف.

(٦) انظر: المصادر المتقدمة.

(٧) «الفريد» (٤/ ١٨٥)، و«التبيان» (٢/ ١١٠٩)، و«روح المعاني» (٢٣/ ٣٩٠).

(٨) انظر: المصادر المتقدمة.

وقال الفراء[١]: إن الهمزة في هذه القراءة للنداء، و«مَنْ» منادى، وهي عبارة عن النبي ﷺ المأمور بقوله: ﴿قُلْ تَمَتَّعْ﴾، والتقدير: يا من هو قانت، قل: كيت وكيت، وقيل: التقدير: يا مَنْ هو قانت إنك من أصحاب الجنة. ومن القائلين بأن الهمزة للنداء: الفرّاء.

وضعّف ذلك أبو حيان[٢]، وقال: هو أجنبيّ عمَّا قبله، وعمَّا بعده، وقد سبقه إلى هذا التضعيف أبو عليّ الفارسي[٣]، واعترض على هذه القراءة من أصلها أبو حاتم[٤] والأخفش[٥]، ولا وجه لذلك، فإنّه إذا ثبتت الرواية بطلت الدّراية.

وقد اختلف[٦] في تفسير القانت هنا، فقيل: المطيع، وقيل: الخاشع في صلاته، وقيل: القائم في صلاته، وقيل: الدّاعي لربه.

قال النحاس[٧]: أصل القنوت: الطاعة، فكل ما قيل فيه، فهو داخل في الطاعة، والمراد بآناء الليل: ساعاته، وقيل: جوفه، وقيل: ما بين المغرب، والعشاء.

وانتصاب[٨] ﴿سَاجِدًا وَقَآئِمًا﴾ على الحال؛ أي: جامعاً بين السجود والقيام، وقدّم السجود على القيام لكونه أدخل في العبادة، ومحل ﴿يَحْذَرُ ٱلْأَخِرَةَ﴾ النصب على الحال أيضاً؛ أي: يحذر عذاب الآخرة قاله سعيد بن جبير ومقاتل ﴿وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ﴾، فيجمع بين الرجاء والخوف، وما اجتمعا في قلب رجل إلا فاز.

قيل: وفي الكلام حذف، والتقدير: كمن لا يفعل شيئاً من ذلك كما يدل عليه السياق. ثم أمر الله سبحانه رسوله ﷺ أَنْ يقول لهم قولاً آخر يتبين به الحقّ من الباطل، فقال: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾؛ أي: الذين يعلمون أن ما وعد الله به من البعث والثواب والعقاب حق والذين لا يعلمون ذلك، أو الذين يعلمون ما أنزل الله على رسله والذين لا يعلمون ذلك، أو المراد: العلماء

---

(١) في «معاني القرآن» للفراء (٢/٤١٦).
(٢) «البحر المحيط» (٩/١٨٩). (٣) في «الحجة» (٦/٩٢).
(٤) ذكره أبو حيان في «البحر المحيط» (٩/١٨٩).
(٥) ذكره النحاس في «إعراب القرآن» (٤/٥ ـ ٦).
(٦) «الجامع لأحكام القرآن» (١٨/٢٥٦). (٧) في «إعراب القرآن» (٤/٦).
(٨) «التبيان» (٢/١١٠٩)، و«الفريد» (٤/١٨٦).

والجهال، ومعلوم عند كل من له عقل أنّه لا استواء بين العلم والجهل ولا بين العالم والجاهل.

قال الزجاج[١]: أي: كما لا يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون، كذلك لا يستوي المطيع والعاصي.

وقيل: المراد بالذين يعلمون هم العاملون بعلمهم، فإنهم المنتفعون به؛ لأن من لم يعمل بمنزلة مَنْ لم يعلم ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾؛ أي: إنما يتعظ ويتدبر ويتفكر أصحاب[٢] العقول وهم المؤمنون لا الكفار، فإنهم وإن زعموا أن لهم عقولاً فهي كالعدم، وهذه الجملة ليست من جملة الكلام المأمور به بل من جهة الله سبحانه ﴿قُلْ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ﴾ لما نفى سبحانه المساواة بين من يعلم ومَنْ لا يعلم وبين أنه ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ أمر رسوله ﷺ بأن يأمر المؤمنين من عباده بالثبات على تقواه، والإيمان به. والمعنى: يا أيها الذين صدّقوا بتوحيد الله اتقوا ربكم بطاعته واجتناب معاصيه وإخلاص الإيمان له، ونفي الشركاء عنه.

والمراد: قل لهم قولي هذا بعينه. ثم لما أمر الله سبحانه المؤمنين بالتقوى بيَّن لهم ما في هذه التقوى من الفوائد، فقال: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٞۗ﴾؛ أي: للذين عملوا الأعمال الحسنة في هذه الدنيا على وجه الإخلاص حسنة عظيمة، وهي: الجّنة.

وقوله: ﴿فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا﴾ متعلق[٣] بأحسنوا، وقيل: هو متعلق بحسنة على أنه بيان لمكانها، فيكون المعنى: للذين أحسنوا في العمل حسنة في الدنيا بالصحة، والعافية والظفر والغنيمة والأوّل أولى.

ثم لما كان بعض العباد قد يتعسّر عليه فعل الطاعات والإحسان في وطنه أرشد الله سبحانه مَنْ كان كذلك إلى الهجرة، فقال: ﴿وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌۗ﴾؛ أي: فليهاجر إلى حيث يمكنه طاعة الله والعمل بما أمر به والترك لما نهى عنه، ومثل ذلك قوله سبحانه: ﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٗ فَتُهَاجِرُواْ فِيهَاۚ﴾ [النساء: ٩٧].

---

(١) في «معاني القرآن وإعرابه» (٤/ ٣٤٧).

(٢) «روح المعاني» (٢٣/ ٣٩٠)، و«إعراب القرآن» للنحاس (٤/ ٧)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٨/ ٢٥٦).

(٣) «الفريد» (٤/ ١٨٦)، و«مشكل إعراب القرآن» (٢/ ٢٥٩).

وقد مضى الكلام في الهجرة مستوفى في سورة النساء، وقيل: المراد بالأرض هنا: أرض الجنّة، رغبّهم في سعتها وسعة نعيمها كما في قوله: ﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ﴾ [آل عمران: ١٣٣]، والأوّل أولى.

ثم لما بيّن سبحانه ما للمحسنين إذا أحسنوا، وكان لا بدّ في ذلك من الصبر على فعل الطاعة، وعلى كفّ النفس عن الشهوات، أشار إلى فضيلة[١] الصبر وعظيم مقداره، فقال: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾؛ أي: يوفيهم الله أجرهم في مقابلة صبرهم بغير حساب؛ أي: بما لا يقدر على حصره حاصر، ولا يستطيع حسبانه حاسب.

قال عطاء[٢]: بما لا يهتدي إليه عقل، ولا وصف. وقال مقاتل[٣]: أجرهم الجنة، وأرزاقهم فيها بغير حساب.

والحاصل: أن الآية تدلّ على أن ثواب الصابرين، وأجرهم لا نهاية له؛ لأن كل شيء يدخل تحت الحساب، فهو: متناهٍ، وما كان لا يدخل تحت الحساب فهو غير متناه، وهذه فضيلة[٤] عظيمة ومثوبة جليلة تقتضي أن على كل راغب في ثواب الله وطامع فيما عنده من الخير، أن يتوفر على الصبر ويزّم نفسه بزمامه ويقيدها بقيده، فإن الجزعَ لا يردّ قضاءً قد نزل ولا يجلب خيراً قد سلب، ولا يدفع مكروهاً قد وقع، وإذا تصوّر العاقل هذا حقّ تصوره وتعقّله حقّ تعقله علم أنّ الصابر على ما نزل به قد فاز بهذا الأجر العظيم، وظفر بهذا الجزاء الخطير، وغير الصابر قد نزل به القضاء شاء أم أبى، ومع ذلك فاته مِنْ الأجر ما لا يقادر قدره ولا يبلغ مداه، فضمّ إلى مُصيبته مصيبة أخرى، ولم يظفر بغير الجزع وما أحسن قول مَنْ قال:

أرى الصَّبر محمُوداً وعنه مذاهبُ ... فكيف إذا ما لم يكن عنه مذهبُ
هناك يحقُّ الصبرُ والصبرُ واجبُ ... وما كان منه للضَّرورة أوجبُ

ثم أمر الله سبحانه رسوله ﷺ أن يخبرهم بما أمر به من التوحيد، والإخلاص،

---

(١) «أحكام القرآن» لابن العربي (٤/ ١٦٤٤ ـ ١٦٤٥).

(٢) ذكره الواحدي في «الوسيط» (٣/ ٥٧٤). (٣) ذكره الواحدي في «الوسيط» (٣/ ٥٧٤).

(٤) «تفسير أبي السعود» (٥/ ٥٨٩).

فقال: ﴿قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾؛ أي: أعبده عبادةً خالصةً من الشرك، والرّياء، وغير ذلك، قال مقاتل: إن كفار قريش قالوا للنبي ﷺ: ما يحملك على الذي أتيتنا به، ألا تنظر إلى ملة أبيك، وجدّك وسادات قومك يعبدون اللات، والعزّى، فتأخذ بها؟ فأنزل الله الآية، وقد تقدّم بيان معنى الآية في أوّل هذه السورة: ﴿وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾؛ أي: من هذه الأمة، وكذلك كان ﷺ، فإنه أوّل من خالف دين آبائه، ودعا إلى التوحيد، واللام للتعليل؛ أي: وأمرت بما أمرت به لأجل أن أكون، وقيل: إنها مزيدة للتأكيد، والأوّل أولى.

وقد أخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والبيهقي في «الأسماء والصفات» عن ابن عباس[(١)] في قوله: ﴿إِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنكُمْ﴾؛ يعني: الكفار الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم، فيقولون: لا إله إلا الله، ثم قال: ﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ﴾، وهم: عباده المخلصون الذين قال: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ﴾ [الحجر: ٤٢، الإسراء: ٦٥]، فألزمهم شهادة أن لا إله إلا الله، [٤/١٤] وحببها إليهم.

وأخرج عبد بن حميد[(٢)] عن عكرمة ﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ﴾ قال: لا يرضى لعباده المسلمين الكفر.

وأخرج عبد بن حميد، عن قتادة[(٣)] قال: والله ما رضي الله لعبد ضلالة ولا أمره بها، ولا دعا إليها، ولكن رضي لكم طاعته، وأمركم بها، ونهاكم عن معصيته.

وأخرج ابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، وأبو نعيم في «الحلية»، وابن عساكر عن ابن عمر[(٤)]: أنه تلا هذه الآية: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا

---

(١) عزاه إليهم السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٢١٣).
وأخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/ ١٦٨)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» رقم (٣٢٣) بسند ضعيف.

(٢) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٢١٣).

(٣) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٢١٣).

(٤) عزاه إليهم السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٢١٣ ـ ٢١٤).
أخرجه ابن أبي حاتم كما في «تفسير ابن كثير» (١٢/ ١١٦)، وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ٥٦)، وابن عساكر (٣٩/ ٢٣١، ٢٣٢) بسند ضعيف؛ لضعف أبي خلف عبد الله بن عيسى.

﴿وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْـَٔاخِرَةَ﴾ قال: ذاك عثمان بن عفان، وفي لفظ: نزلت في عثمان بن عفان.

وأخرج ابن سعد في «طبقاته»، وابن مردويه، وابن عساكر عن ابن عباس[١] في قوله: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَـٰنِتٌ﴾ الآية قال: نزلت في عمار بن ياسر.

وأخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم عنه[٢] في قوله: ﴿يَحْذَرُ ٱلْـَٔاخِرَةَ﴾ يقول: يحذر عذاب الآخرة.

وأخرج الترمذي، والنسائي، وابن ماجه عن أنس[٣] قال: «دخل رسول الله ﷺ على رجل، وهو في الموت، فقال: كيف تجدك؟ قال: أرجو الله، وأخاف ذنوبي، فقال رسول الله ﷺ: لا يجتمعان في قلب عبد في مثل هذا الموطن إلا أعطاه الله الذي يرجو، وأمنّه الذي يخاف».

أخرجوه[٤] من طريق سيار بن حاتم، عن جعفر بن سليمان، عن ثابت، عن أنس. قال الترمذي: غريب، وقد رواه بعضهم عن ثابت، عن النبي ﷺ مرسلاً.

﴿قُلْ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣﴾ قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِى ﴿١٤﴾ فَٱعْبُدُوا۟ مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِۦ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْخَـٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٥﴾ لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ۚ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥ ۚ يَـٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّـٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴿١٨﴾ أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِى ٱلنَّارِ ﴿١٩﴾ لَـٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ ۖ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٢٠﴾﴾.

---

(١) أخرجه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٣/ ٢٥٠)، وابن عساكر في تاريخه (٤٣/ ٣٧٧).

(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/ ١٧٧) من طريق يحيى بن اليمان، به.

(٣) أخرجه الترمذي رقم (٩٨٣)، والنسائي في «الكبرى» رقم (١٠٩٠١)، وابن ماجه رقم (٤٢٦١). وهو حديث حسن.

(٤) قال الترمذي بإثر الحديث رقم (٩٨٣): «وقد روى بعضهم هذا الحديث عن ثابت، عن علي رضي الله عنه مرسلاً.

قوله: ﴿قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي﴾؛ أي: بترك إخلاص العبادة له، وتوحيده والدعاء إلى ترك الشرك وتضليل أهله ﴿عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾، وهو: يوم القيامة.

قال أكثر المفسرين[١]: المعنى: إني أخاف إن عصيت ربي بإجابة المشركين إلى ما دعوني إليه من عبادة غير الله.

قال أبو حمزة الثُّمالي[٢] وابن المسيب: هذه الآية منسوخة[٣] بقوله: ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح: ٢] وفي هذه الآية دليل على أن الأمر للوجوب؛ لأن قبله: ﴿إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ﴾ [الزمر: ١١]، فالمراد: عصيان هذا الأمر ﴿قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ﴾ التقديم مشعر بالاختصاص؛ أي: لا أعبد غيره لا استقلالاً، ولا على جهة الشركة، ومعنى ﴿مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِي﴾: أنه خالص لله غير مشوب بشرك، ولا رياء، ولا غيرهما.

وقد تقدّم تحقيقه في أول السورة. قال الرازي[٤]: فإن قيل: ما معنى التكرير في قوله: ﴿قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾ [الزمر: ١١]، وقوله: ﴿قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِي﴾ قلنا: ليس هذا بتكرير؛ لأن الأوّل: إخبار بأنه مأمور من جهة الله بالإيمان، والعبادة، والثاني: إخبار بأنه أُمر أن لا يعبد أحداً غير الله ﴿فَٱعْبُدُوا۟ مَا شِئْتُم﴾ أن تعبدوه ﴿مِّن دُونِهِۦ﴾ هذا الأمر للتهديد، والتقريع، والتوبيخ كقوله: ﴿ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ﴾ [فصلت: ٤٠].

وقيل: إن الأمر على حقيقته وهو منسوخ بآية السيف، والأوّل أولى ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾؛ أي: إنّ الكاملين في الخسران هم هؤلاء لأن من دخل النار، فقد خسر نفسه وأهله.

قال الزجاج[٥]: وهذا يعني به الكفار فإنهم خسروا أنفسهم بالتخليد في النار، وخسروا أهليهم؛ لأنّهم لم يدخلوا مدخل المؤمنين الذين لهم أهلٌ في الجنة.

---

(١) ذكره الواحدي في «الوسيط» (٣/ ٥٧٥).

(٢) ذكره عنهما القرطبي في «تفسيره» (١٨/ ٢٥٩).

(٣) قال ابن الجوزي في «زاد المسير» (٧/ ١٦٩): «وهذا باطل؛ لأنّه لو كان أمراً، كان منسوخاً، فأما أن يكون بمعنى الوعيد فلا وجه لنسخه».

(٤) في «تفسيره» (٢٦/ ٢٥٥).

(٥) في «معاني القرآن وإعرابه» (٤/ ٣٤٨).

وجملة: ﴿أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ﴾ مستأنفة لتأكيد ما قبلها، وتصديرها بحرف التنبيه[١] للإشعار بأن هذا الخسران الذي حلّ بهم قد بلغ من العظم إلى غاية ليس فوقها غاية، وكذلك تعريف الخسران، ووصفه بكونه مبيناً، فإنه يدلّ على أنه الفرد الكامل من أفراد الخسران وأنه لا خسران يساويه ولا عقوبة تدانيه.

ثم بيّن سبحانه هذا الخسران الذي حلّ بهم والبلاء النازل عليهم بقوله: ﴿لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ﴾ الظُّلل عبارة عَنْ أطباق النار؛ أي: لهم من فوقهم أطباق من النار تلتهب عليهم ﴿وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ﴾؛ أي: أطباق من النار، وسمي ما تحتهم[٢] ظللاً؛ لأنها تظلّ من تحتها من أهل النار لأنّ طبقات النار صار في كلّ طبقة منها طائفة من طوائف الكفار، ومثل هذه الآية قوله: ﴿لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ﴾ [الأعراف: ٤١].

وقوله: ﴿يَوْمَ يَغْشَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾ [العنكبوت: ٥٥]، والإشارة بقوله: ﴿ذَٰلِكَ﴾ إلى ما تقدّم ذكره من وصف عذابهم في النار، وهو: مبتدأ وخبره قوله: ﴿يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥ﴾؛ أي: يحذّرهم بما توعد به الكفار من العذاب؛ ليخافوه، فيتقوه، وهو معنى: ﴿يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ﴾؛ أي: اتقوا هذه المعاصي الموجبة لمثل هذا العذاب على الكفّار، ووجه تخصيص العباد بالمؤمنين أَنّ الغالب في القرآن إطلاق لفظ العباد عليهم، وقيل: هو للكفّار، وأهل المعاصي، وقيل: هو عامّ للمسلمين، والكفار.

﴿وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا﴾ الموصول مبتدأ[٣] وخبره قوله: ﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ﴾ والطاغوت[٤] بناء مبالغة في المصدر كالرحموت والعظموت، وهو: الأوثان والشيطان.

وقال مجاهد[٥]، وابن زيد[٦]: هو الشيطان. وقال الضحاك[٧]، والسدّي: هو

---

(١) «روح المعاني» (٢٣/ ٤٠٠).
(٢) «الجامع لأحكام القرآن» (١٨/ ٢٦٠)، و«روح المعاني» (٢٣/ ٤٠٠).
(٣) «الفريد» (٤/ ١٨٧)، و«مشكل إعراب القرآن» (٢/ ٢٥٨).
(٤) «روح المعاني» (٢٣/ ٤٠١)، و«مفردات ألفاظ القرآن» (ص٥٢٠ ـ ٥٢١).
(٥) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/ ١٨٣) بسند صحيح.
(٦) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/ ١٨٣) بسند صحيح.
(٧) ذكره عنهما الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ١٢٠).

الأوثان. وقيل: إنّه الكاهن، وقيل: هو اسم أعجمي مثل طالوت وجالوت، وقيل: إنه اسم عربيّ مشتق من الطغيان.

قال الأخفش[(١)]: الطاغوت جمع، ويجوز أن يكون واحده مؤنثاً، ومعنى اجتنبوا الطاغوت: أعرضوا عن عبادته وخصُّوا عبادتهم بالله ﷻ، وقوله: ﴿أَن يَعْبُدُوهَا﴾ في محل نصب[(٢)] على البدل من الطاغوت، بدل اشتمال كأنه قال: اجتنبوا عبادة الطاغوت، وقد تقدّم الكلام على تفسير الطاغوت مستوفى في سورة البقرة.

وقوله: ﴿وَأَنَابُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾ معطوف على اجتنبوا، والمعنى: رجعوا إليه، وأقبلوا على عبادته معرضين عمَّا سواه ﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ﴾ بالثواب الجزيل وهو الجنة.

وهذه البشرى إما على ألسنة الرسل أو عند حضور الموت أو عند البعث.

﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ﴾ المراد[(٣)] بالعباد هنا: العموم، فيدخل الموصوفون بالاجتناب، والإنابة إليه دخولاً أوّليّاً، والمعنى: يستمعون القول الحقّ من كتاب الله، وسُنَّة رسوله، فيتبعون أحسنه؛ أي: محكمه ويعملون به.

قال السدّي[(٤)]: يتبعون أحسن ما يُؤمرون به فيعملون بما فيه، وقيل[(٥)]: هو الرجل يسمع الحسن والقبيح، فيتحدّث بالحسن وينكّف عن القبيح فلا يتحدّث به، وقيل: يستمعون القرآن وغيره فيتبعون القرآن، وقيل: يستمعون الرخص والعزائم فيتبعون العزائم ويتركون الرخص، وقيل: يأخذون بالعفو ويتركون العقوبة[(٦)].

ثم أثنى سبحانه على هؤلاء المذكورين، فقال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمْ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾؛ أي: هم الذين أوصلهم الله إلى الحق، وهم

---

(١) في «معاني القرآن» للأخفش (٢/ ٦٧١).
(٢) «الفريد» (٤/ ١٨٧)، و«روح المعاني» (٢٣/ ٤٠٣).
(٣) «روح المعاني» (٢٣/ ٤٠٣).
(٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/ ١٨٥) بسند حسن.
(٥) قاله ابن عباس. «النكت والعيون» (٥/ ١٢١).
(٦) انظر: «معاني القرآن» للنحاس (٦/ ١٦٣).

أصحاب العقول الصحيحة؛ لأنهم الذين انتفعوا بعقولهم ولم ينتفع من عداهم بعقولهم.

ثم ذكر سبحانه من سبقت له الشقاوة وحرم السعادة فقال: ﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ﴾ «من» هذه يحتمل أن تكون موصولة[١] في محل رفع بالابتداء، وخبرها محذوف؛ أي: كمن يخاف، أو فأنت تخلصه أو تتأسف عليه، ويحتمل أن تكون شرطية وجوابه: ﴿أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِى ٱلنَّارِ﴾ فالفاء فاء الجواب دخلت على جملة الجزاء، وأعيدت الهمزة[٢] الإنكارية لتأكيد معنى الإنكار.

وقال سيبويه[٣]: إنه كرّر الاستفهام لطول الكلام. وقال الفراء[٤]: المعنى: أفأنت تنقذ من حقّت عليه كلمة العذاب؟ والمراد بكلمة العذاب هنا: هي قوله تعالى لإبليس: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [صٓ: ٨٥].

وقوله: ﴿لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الأعراف: ١٨] ومعنى الآية: التسلية[٥] لرسول الله ﷺ؛ لأنه كان حريصاً على إيمان قومه، فأعلمه الله أن من سبق عليه القضاء، وحقت عليه كلمة الله لا يقدر رسول الله ﷺ أن ينقذه مَنْ النار بأن يجعله مؤمناً.

قال عطاء[٦]: يريد أبا لهب، وولده، ومَنْ تخلف من عشيرة النبي ﷺ عن الإيمان، وفي الآية تنزيل لمن يستحقّ العذاب بمن قد صار فيه، وتنزيل دعائه إلى الإيمان منزلة الإخراج له من عذاب النار.

ولما ذكر سبحانه فيما سبق أن لأهل الشقاوة ظللاً من فوقهم النار ومن تحتهم ظلل استدرك عنهم مَنْ كان من أهل السعادة، فقال: ﴿لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ﴾، وذلك لأنّ الجنة درجاتٌ بعضها فوق بعض، ومعنى

---

(١) «التبيان» (٢/ ١١١٠)، و«الفريد» (٤/ ١٨٨).
(٢) «روح المعاني» (١٨/ ٤٠٤).
(٣) ذكره النحاس في «إعراب القرآن» (٤/ ٨ ـ ٩).
(٤) في «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٤١٨).
(٥) «جامع البيان» (٢٠/ ١٨٦)، و«روح المعاني» (٢٣/ ٤٠٤ ـ ٤٠٥).
(٦) ذكره الواحدي في «الوسيط» (٣/ ٥٧٦).
وذكره البغوي في «تفسيره» (٧/ ١١٣) عن ابن عباس.

﴿مَّبۡنِيَّةٞ﴾: أنها مبنية بناء المنازل في إحكام أساسها، وقوّة بنائها، وإن كانت منازل الدنيا ليست بشيء بالنسبة إليها ﴿تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ﴾؛ أي: من تحت تلك الغرف، وفي ذلك كمال لبهجتها، وزيادة لرونقها، وانتصاب[1] ﴿وَعۡدَ ٱللَّهِ﴾ على المصدرية المؤكدة لمضمون الجملة؛ لأن قوله: ﴿لَهُمۡ غُرَفٞ﴾ في معنى: وعدهم الله بذلك، وجملة: ﴿لَا يُخۡلِفُ ٱللَّهُ ٱلۡمِيعَادَ﴾ مقرّرة للوعد؛ أي: لا يخلف الله ما وعد به الفريقين من الخير، والشرّ.

وقد أخرج ابن جرير[2] عن ابن عباس في قوله: ﴿قُلۡ إِنَّ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ﴾ الآية. قال: هم الكفار الذين خلقهم الله للنار زالت عنهم الدنيا وحرّمت عليهم الجنة.

وأخرج ابن المنذر[3] عنه في قوله: ﴿خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ وَأَهۡلِيهِمۡ﴾ قال: أهليهم من أهل الجنة كانوا أُعدّوا لهم لو عملوا بطاعة الله، فغيبوهم.

وأخرج ابن مردويه[4] عن ابن عمر قال: كان سعيد بن زيد وأبو ذرّ وسلمان يتبعون في الجاهلية أحسن القول، والكلام لا إلٰه إلا الله قالوا بها فأنزل الله على نبيّه: ﴿يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقَوۡلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحۡسَنَهُۥٓۚ﴾ الآية [١٥/ ٤].

وأخرج ابن مردويه[5] عن أبي سعيد قال: لما نزل «﴿فَبَشِّرۡ عِبَادِ ١٧ ٱلَّذِينَ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقَوۡلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحۡسَنَهُۥٓۚ﴾ أرسل رسول الله ﷺ منادياً فنادى: من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة، فاستقبل عمر الرسول فردّه، فقال: يا رسول الله خشيت أن يتكل الناس فلا يعملون، فقال رسول الله ﷺ: لو يعلم الناس قدر رحمة ربي لاتكلوا، ولو يعلمون قدر سخط ربي وعقابه لاستصغروا أعمالهم»، وهذا الحديث أصله في «الصحيح»[6] من حديث أبي هريرة.

---

(١) «الفريد» (٤/ ١٨٨)، و«التبيان» (٢/ ١١١٠).
(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/ ١٨١) بسند صحيح.
(٣) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٢١٧).
(٤) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٢١٧).
(٥) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٢١٨).
(٦) أخرجه مسلم في «صحيحه» رقم (٣١/ ٥٢).

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ حُطَٰمًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢١﴾ أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٢﴾ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾ أَفَمَن يَتَّقِى بِوَجْهِهِۦ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ وَقِيلَ لِلظَّٰلِمِينَ ذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٢٤﴾ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٥﴾ فَأَذَاقَهُمُ ٱللَّهُ ٱلْخِزْىَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾﴾.

لما ذكر سبحانه الآخرة، ووصفها بوصفٍ يوجب الرغبة فيها والشوق إليها أتبعه بذكر الدنيا، ووصفها[1] بوصف يوجب الرغبة عنها والنفرة منها، فذكر تمثيلاً لها في سرعة زوالها وقرب اضمحلالها مع ما في ذلك من ذكر نوع من أنواع قدرته الباهرة وصنعه البديع، فقال: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾؛ أي: من السحاب مطراً ﴿فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾؛ أي: فأدخله وأسكنه فيها، والينابيع جمع ينبوع من نبع الماء ينبع، والينبوع: عينُ الماء، والأمكنة التي ينبع منها الماء.

والمعنى: أدخل الماء النازل من السماء في الأرض، وجعله فيها عيوناً جاريةً، أو جعله في ينابيع؛ أي: في أمكنة ينبع منها الماء، فهو على الوجه الثاني منصوب بنزع الخافض.

قال مقاتل[2]: فجعله عيوناً وركايا في الأرض ﴿ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥ﴾؛ أي: يخرج بذلك الماء من الأرض زرعاً مختلفاً ألوانه من أصفر وأخضر وأبيض وأحمر أو من برّ وشعير، وغيرهما إذا كان المراد بالألوان الأصناف.

﴿ثُمَّ يَهِيجُ﴾ يقال: هاج النبت يهيج هيجاً: إذا تمّ جفافه. قال الجوهري[3]:

(١) «روح المعاني» (٢٣/٤٠٨).
(٢) ذكره الواحدي في «الوسيط» (٣/٥٧٦).
(٣) في «الصحاح» (١/٣٥٢).

يقال: هاج النبت هياجاً: إذا يبس، وأرض هائجة يبس بقلها أو اصفّر، وأهاجت الريح النبت: أيبسته.

قال المبرد[(١)]: قال الأصمعي[(٢)]: يقال: هاجت الأرض تهيج: إذا أدبر نبتها وولّى. قال[(٢)]: وكذلك هاج النبت ﴿فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا﴾؛ أي: تراه بعد خضرته ونضارته وحُسن رونقه مصفرّاً قد ذهبت خضرته ونضارته ﴿ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ حُطَٰمًا﴾؛ أي: متفتتاً منكسراً[(٣)]، مِنْ تحطم العود: إذا تفتت من اليبس ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾؛ أي: فيما تقدّم ذكره تذكير لأهل العقول[(٤)] الصحيحة، فإنهم الذين يتعقلون الأشياء على حقيقتها فيتفكرون ويعتبرون ويعلمون بأن الحياة الدّنيا حالها كحال هذا الزرع في سرعة التصرم وقرب التقضي وذهاب بهجتها وزوال رونقها ونضارتها، فإذا أنتج لهم التفكر والاعتبار العلم بذلك لم يحصل منهم الاغترار بها والميل إليها وإيثارها على دار النعيم الدائم والحياة المستمرة واللذة الخالصة، ولم يبق معهم شك في أن الله قادر على البعث والحشر؛ لأنَّ من قدر على هذا قدر على ذلك.

وقيل: هو مثل ضربه الله للقرآن، ولصدور من في الأرض. والمعنى: أنزل من السماء قرآناً فسلكه في قلوب المؤمنين، ثم يخرج به ديناً بعضه أفضل من بعض، فأما المؤمن، فيزداد إيماناً ويقيناً، وأما الذي في قلبه مرض فإنه يهيج كما يهيج الزرع، وهذا [بالتغيير][(٥)] أشبه منه بالتفسير.

قرأ الجمهور[(٦)]: «ثم يجعلُه» بالرفع عطفاً على ما قبله، وقرأ أبو بشر بالنصب[(٧)] بإضمار أنْ، ولا وجه لذلك.

---

(١) ذكره النحاس في «إعراب القرآن» (٤/٨ ـ ٩).
(٢) ذكره النحاس في «إعراب القرآن» (٤/٨ ـ ٩).
(٣) «مفردات ألفاظ القرآن» (ص٢٤٣)، و«إعراب القرآن» للنحاس (٤/٩).
(٤) «روح المعاني» (٢٣/٤١٢). (٥) كذا في المخطوط. والمراد به التحريف.
(٦) «روح المعاني» (٢٣/٤١١)، و«البحر المحيط» (٩/٢٠١)، و«التبيان» (٢/١١١٠).
(٧) قال العكبري في «التبيان» (٢/١١١٠): وقرئ شاذّاً بالنصب. وقال ابن الأنباري: وقرئ بالنصب وهي قراءة ضعيفة. «إعراب القراءات الشاذة» (٢/٤٠٧).
وقال السمين الحلبي: «فأمّا ضعفه فواضح حيث لم يتقدم ما يقتضي نصبه في الظاهر».

ثم لما ذكر سبحانه أن في ذلك لذكرى لأولي الألباب، ذكر شرح الصدر للإسلام؛ لأن الانتفاع الكامل لا يحصل إلا به، فقال: ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَـٰمِ﴾؛ أي: وسّعه لقبول الحقّ، وفتحه للاهتداء إلى سبيل الخير.

قال السدّي[(١)]: وسّع صدره للإسلام للفرح به، والطمأنينة إليه.

والكلام في الهمزة، والفاء كما تقدم في ﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ﴾ [الزمر: ١٩]، ومَنْ مبتدأ[(٢)]، وخبرها محذوف تقديره: كمن قسا قلبه، وحرج صدره؟ ودلّ على هذا الخبر[(٢)] المحذوف قوله: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْقَـٰسِيَةِ قُلُوبُهُم﴾ والمعنى: أفمن وسع الله صدره للإسلام فقبله واهتدى بهديه ﴿فَهُوَ﴾ بسبب ذلك الشرح ﴿عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ يفيض عليه كمن قسا قلبه لسوء اختياره، فصار في ظلمات الضلالة، وبليات الجهالة؟

قال قتادة[(٣)]: النور: كتاب الله به يُؤخذ، وإليه ينتهى.

قال الزجاج[(٤)]: تقدير الآية: أفمن شرح الله صدره كمن طبع على قلبه، فلم يهتد لقسوته؟ ﴿فَوَيْلٌ لِّلْقَـٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ قال الفرّاء[(٥)]، والزجاج[(٦)]: أي: عَنْ ذكر الله كما تقول: أتخمت عن طعام أكلته ومن طعام أكلته، والمعنى: أنه غلُظ قلبه، وجفا عن قبول ذكر الله، يقال: قسا[(٧)] القلب: إذا صلب، وقلب قاس؛ أي: صلب لا يرقّ ولا يلين.

وقيل: معنى من ذكر الله: من أجل ذكره الذي حقه أن تنشرح[(٨)] له الصدور وتطمئن به القلوب. والمعنى: أنه إذا ذكر الله اشمأزوا، والأول أولى، ويؤيده قراءة من قرأ «عن ذكر الله»، والإشارة بقوله: ﴿أُولَـٰٓئِكَ﴾ إلى القاسية قلوبهم، وهو: مبتدأ وخبره ﴿فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾؛ أي: ظاهر واضح. ثم ذكر سبحانه بعض أوصاف كتابه العزيز، فقال: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ﴾؛ يعني: القرآن، وسمّاه حديثاً؛ لأنّ النبي ﷺ كان يحدّث به قومه ويخبرهم بما ينزل عليه منه.

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/ ١٩٠) بسند حسن.
(٢) «روح المعاني» (٢٣/ ٤١٢)، و«الفريد» (٤/ ١٩٠).
(٣) ذكره الواحدي في «الوسيط» (٣/ ٥٧٧). (٤) في «معاني القرآن وإعرابه» (٤/ ٣٥١).
(٥) في «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٤١٨). (٦) في «معاني القرآن وإعرابه» (٤/ ٣٥١).
(٧) «مفردات ألفاظ القرآن» (ص٦٧١).
(٨) «روح المعاني» (٢٣/ ٤١٤). وما ذكره الإمام الشوكاني من قراءة (عن ذكر الله) فهي قراءة شاذة، مخالفة للرسم.

وفيه بيان أن أحسن القول المذكور سابقاً هو: القرآن، وانتصاب[(١)] ﴿كِتَٰبًا﴾ على البدل من أحسن الحديث، ويحتمل أن يكون حالاً منه ﴿مُّتَشَٰبِهًا﴾ صفة لكتاباً؛ أي: يشبه[(٢)] بعضه بعضاً في الحسن، والإحكام، وصحة المعاني، وقوة المباني، وبلوغه إلى أعلى درجات البلاغة، وقال قتادة[(٣)]: يشبه بعضه بعضاً في الآي، والحروف، وقيل: يشبه كُتبَ الله المنزلة على أنبيائه.

و ﴿مَّثَانِيَ﴾ صفة أخرى لكتاباً؛ أي: تُثنى فيه القصص وتَتكّرر فيه المواعظ والأحكام. وقيل: يثنى في التلاوة فلا يملّ سامعه[(٤)] ولا يسأم قارئه.

قرأ الجمهور[(٥)]: «مثانيَ» بفتح الياء، وقرأ هشام عَن ابن عامر، وبشر بسكونها تخفيفاً[(٦)] واستثقالاً لتحريكها أو على أنها خبر مبتدأ محذوف؛ أي: هو مثاني.

وقال الرازي[(٧)]: في تبيين معنى مثاني: أن أكثر الأشياء المذكورة في القرآن متكرّرة زوجين زوجين مثل الأمر والنهي، والعامّ والخاصّ، والمجمل والمفصل، وأحوال السمٰاوات والأرض، والجنة والنار، والنور والظلمة، واللوح والقلم، والملائكة والشياطين، والعرش والكرسي، والوعد والوعيد، والرجاء والخوف، والمقصود من ذلك البيان: بأن كلّ ما سوى الحقّ زوج، وأن الفرد الأحد الحقّ هو: الله.

ولا يخفى ما في كلامه هذا من التكلّف، والبعد عن مقصود التنزيل.

﴿تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾ هذه الجملة يجوز أن تكون صفة لكتاباً[(٨)]، وأن تكون حالاً منه؛ لأنه وإن كان نكرة، فقد تخصص بالصفة، أو

---

(١) «التبيان» (٢/ ١١١٠ ـ ١١١١)، و«الفريد» (٤/ ١٩٠).
(٢) «النكت والعيون» (٥/ ١٢٢).
(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/ ١٩١) بسند صحيح.
(٤) «المحرر الوجيز» (١٤/ ٧٧).
(٥) «البحر المحيط» (٩/ ١٩٥)، و«روح المعاني» (٢٣/ ٤١٦).
(٦) «البحر المحيط» (٩/ ١٩٥)، و«روح المعاني» (٢٣/ ٤١٧)، و«حاشية الشهاب» (٧/ ٣٣٦). القراءة بسكون الياء شاذة، والرواية عن هشام شاذة.
(٧) في «تفسيره» (٢٦/ ٢٧٢).
(٨) «روح المعاني» (٢٣/ ٤١٧)، و«الفريد» (٤/ ١٩٠)، و«التبيان» (٢/ ١١١٠ ـ ١١١١).

مستأنفة لبيان ما يحصل عند سماعه من التأثر لسامعيه، والاقشعرار[١]: التقبض، يقال: اقشعرّ جلده: إذا تقبض، وتجمّع من الخوف. والمعنى: أنها تأخذهم منه قشعريرة.

قال الزجاج[٢]: إذا ذُكرت آيات العذاب اقشعرّت جلود الخائفين لله ﴿ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ﴾ إذا ذكرت آيات الرحمة.

قال الواحدي[٣]: وهذا قول جميع المفسرين، ومِنْ ذلك قول امرئ القيس[٤]:

فبتُّ أكابدُ ليلَ التَّمامِ والقَلبُ مِنْ خَشْيةٍ مُقشعرُّ

وقيل: المعنى: أنّ القرآن لما كان في غاية الجزالة، والبلاغة، فكانوا إذا رأوا عجزهم عن معارضته اقشعرّت الجلود منه إعظاماً له، وتعجباً من حسنه، وبلاغته ثم تلين جلودهم، وقلوبهم ﴿إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ عدّى تلين بإلى لتضمينه فعلاً يتعدّى بها، كأنه قيل: سكنت، واطمأنت إلى ذكر الله ليّنةً غير منقبضة، ومفعول «ذكر الله» محذوف، والتقدير: إلى ذكر الله رحمته وثوابه وجنته وحُذف للعلم به.

قال قتادة[٥]: هذا نعت أولياء الله نعتهم بأنها تقشعرّ جلودهم، وتطمئن قلوبهم إلى ذكر الله، ولم ينعتهم بذهاب عقولهم والغشيان عليهم إنما ذلك في أهل البدع وهو: من الشيطان.

والإشارة بقوله: ﴿ذَٰلِكَ﴾ إلى الكتاب الموصوف بتلك الصفات، وهو: مبتدأ، و ﴿هُدَى ٱللَّهِ﴾ خبره؛ أي: ذلك الكتاب هدى الله ﴿يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ أن يهديه من عباده.

وقيل: إن الإشارة بقوله: ﴿ذَٰلِكَ﴾ إلى ما وهبه الله لهؤلاء من خشية عذابه، ورجاء ثوابه ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ﴾؛ أي: يجعل قلبه قاسياً مُظْلماً غير قابل للحقّ ﴿فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾ يهديه إلى الحق ويخلّصه من الضلال.

---

(١) ذكره الألوسي في «روح المعاني» (٢٣/ ٤١٧).
(٢) في «معاني القرآن وإعرابه» (٤/ ٣٥٢).
(٣) في «الوسيط» (٣/ ٥٧٨).
(٤) «ديوان امرئ القيس» (ص١٥٨).
(٥) ذكره الواحدي في «الوسيط» (٣/ ٥٧٨ ـ ٥٧٩).

قرأ الجمهور[(١)] «مِنْ هادٍ» بغير ياء. وقرأ ابن كثير وابن محيصن بالياء[(٢)]. ثم لما حكم على القاسية قلوبهم بحكم في الدنيا وهو الضلال، حكم عليهم في الآخرة بحكم آخر وهو العذاب، فقال: ﴿أَفَمَن يَتَّقِي بِوَجْهِهِۦ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۚ﴾ والاستفهام[(٣)] للإنكار، وقد تقدّم الكلام فيه، وفي هذه الفاء الداخلة على من في قوله: ﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ﴾ [الزمر: ١٩]، و«من» مبتدأ[(٤)] وخبرها محذوف لدلالة المقام عليه.

والمعنى: أفمن شأنه أن يقي نفسه بوجهه الذي هو أشرف أعضائه سوء العذاب يوم القيامة لكون يده قد صارت مغلولةً إلى عنقه كمن هو آمن لا يعتريه شيء من ذلك، ولا يحتاج إلى الاتقاء؟

قال الزجاج[(٥)]: المعنى: أفمن يتقي بوجهه سوء العذاب كمن يدخل الجنة؟ قال عطاء[(٦)] وابن زيد[(٧)]: يُرمى به مكتوفاً في النار، فأوّل شيء تَمّس النار منه وجهه.

وقال مجاهد[(٨)]: يُجرّ على وجهه في النار.

قال الأخفش[(٩)]: المعنى: أفمن يتقي بوجهه سوء العذاب أفضل أم من سَعُد؟ مثل قوله: ﴿أَفَمَن يُلْقَىٰ فِى ٱلنَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِىٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۚ﴾ [فصلت: ٤٠].

ثم أخبر سبحانه [٤/١٦] عما تقوله الخزنة للكفار، فقال: ﴿وَقِيلَ لِلظَّٰلِمِينَ ذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ﴾، وهو معطوف على ﴿يَتَّقِى﴾؛ أي: ويقال لهم، وجاء بصيغة الماضي للدّلالة على التحقيق[(١٠)].

قال عطاء[(١١)]: أي: جزاء ما كنتم تعملون، ومثل هذه الآية قوله: ﴿هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ﴾ [التوبة: ٣٥].

---

(١) «التيسير» (ص١٣٣)، و«النشر» (٢/ ١٣٦ ـ ١٣٧)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٨/ ٢٧٠).
(٢) انظر: المصادر المتقدمة.
(٣) «روح المعاني» (٢٣/ ٤٢٠).
(٤) «التبيان» (٢/ ١١١٠)، و«الفريد» (٤/ ١٩٠).
(٥) في «معاني القرآن وإعرابه» (٤/ ٣٥٢).
(٦) ذكره البغوي في «تفسيره» (٧/ ١١٧).
(٧) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٨/ ٢٧١).
(٨) ذكره البغوي في «تفسيره» (٧/ ١١٧).
(٩) في«معاني القرآن» للأخفش (٢/ ٦٧٠).
(١٠) للدَّلالة على التحقُّق والتقرُّر. «روح المعاني» (٢٣/ ٤٢١).
(١١) ذكره الواحدي في «الوسيط» (٣/ ٥٧٩).

وقد تقدّم الكلام على معنى الذوق في غير موضع. ثم أخبر سبحانه عن حال من قبلهم من الكفار، فقال: ﴿كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ﴾؛ أي: من قبل الكفار المعاصرين لمحمَّد ﷺ.

والمعنى: أنهم كذّبوا رسلهم ﴿فَأَتَىٰهُمُ ٱلۡعَذَابُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَشۡعُرُونَ﴾؛ أي: من جهة لا يحتسبون إتيان العذاب منها، وذلك عند أمنهم وغفلتهم عن عقوبة الله لهم بتكذيبهم ﴿فَأَذَاقَهُمُ ٱللَّهُ ٱلۡخِزۡيَ﴾؛ أي: الذلّ والهوان ﴿فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ﴾ بالمسخ والخسف والقتل والأسر وغير ذلك ﴿وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَكۡبَرُۚ﴾ لكونه في غاية الشدّة مع دوامه ﴿لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ﴾؛ أي: لو كانوا ممن يعلم الأشياء، ويتفكر فيها، ويعمل بمقتضى علمه.

قال المبرّد[1]: يقال لكل ما نال الجارحة من شيء قد ذاقته؛ أي: وصل إليها كما تصل الحلاوة، والمرارة إلى الذائق لهما. قال: والخزي: المكروه.

وقد أخرج ابن أبي حاتم[2] عن ابن عباس في قوله: ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ﴾ الآية قال: ما في الأرض ماء إلا نزل من السماء ولكن عروق في الأرض تغيره، فذلك قوله[3]: ﴿فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ فمن سرّه أن يعود الملح عذباً فلْيصُعّده.

وأخرج ابن مردويه[4] عنه في قوله: ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِ﴾ قال: أبو بكر الصديق.

وأخرج ابن مردويه عن ابن مسعود قال: «تلا النبي ﷺ هذه الآية: ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدۡرَهُۥ﴾ قلنا: يا نبيّ الله كيف انشراح صدره؟ قال: إذا دخل النور القلب انشرح، وانفسح. قلنا: فما علامة ذلك يا رسول الله؟ فقال: الإنابة إلى دار الخلود، والتجافي عن دار الغرور، والتأهّب للموت قبل نزول الموت». وأخرجه ابن مردويه[5] عن محمد بن كعب القرظي مرفوعاً مرسلاً.

---

(١) ذكره النحاس في «إعراب القرآن» (٤/ ٩ ـ ١٠).
(٢) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٢١٩).
(٣) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (١٢/ ٦٤٦).
(٤) أخرجه ابن مردويه كما في «تخريج أحاديث الكشاف» (٣/ ٢٠٢).
(٥) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (١٢/ ٦٤٥).

وأخرج الحكيم(١) الترمذي في «نوادر الأصول» عن ابن عمر: «أن رجلاً قال: يا نبيّ الله أي المؤمنين أكيس؟ قال: أكثرهم ذكراً للموت وأحسنهم له استعداداً، وإذا دخل النور في القلب انفسح واستوسع، فقالوا: ما آية ذلك يا نبيّ الله؟ قال: الإنابة إلى دار الخلود، والتجافي عن دار الغرور، والاستعداد للموت قبل نزول الموت».

وأخرجه عن أبي جعفر(٢) عبد الله بن المسور، عن رسول الله ﷺ بنحوه، وزاد فيه: «ثم قرأ: ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٖ مِّن رَّبِّهِۦۚ﴾».

وأخرج الترمذي، وابن مردويه، وابن شاهين في «الترغيب في الذكر»، والبيهقي في «الشعب» عن ابن عمر(٣) قال: قال رسول الله : «لا تكثروا الكلام بغير ذكر الله فإن كثرة الكلام بغير ذكر الله قسوة للقلب، وإن أبعد الناس من الله القلب القاسي».

وأخرج ابن جرير(٤) عن ابن عباس قال: قالوا: «يا رسول الله لو حدّثتنا، فنزل ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ﴾ الآية».

وأخرج ابن مردويه(٥) عنه في قوله: ﴿مَّثَانِيَ﴾ قال: القرآن كله مثاني.

وأخرج ابن أبي حاتم(٦) عنه أيضاً في الآية قال: القرآن يشبه بعضه بعضاً، ويردّ بعضه إلى بعض.

وأخرج ابن جرير، وابن مردويه(٧) عنه أيضاً في الآية قال: كتاب الله مثاني ثني فيه الأمر مراراً.

وأخرج سعيد بن منصور، وابن المنذر، وابن مردويه، وابن عساكر عن

---

(١) أخرجه الحكيم الترمذي في «نوادر الأصول» كما في «تخريج الكشاف» (٣/ ٢٠١).
قال الحافظ ابن حجر: «وفي إسناده إبراهيم بن أبي يحيى، وهو ضعيف».
(٢) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٢٢٠).
(٣) أخرجه الترمذي رقم (٢٤١١)، والبيهقي في «الشعب» رقم (٤٩٥١). وهو حديث ضعيف.
(٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/ ١٩٣) من طريق عمر الملائي، عن ابن عباس.
(٥) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٢٢١).
(٦) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٢٢١).
(٧) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/ ١٩٢) بسند ضعيف.

عبد الله بن عروة بن الزبير(١) قال: قلت لجدّتي أسماء: كيف كان يصنع أصحاب رسول الله ﷺ إذا قرءوا القرآن؟ قالت: كانوا كما نعتهم الله تدمع أعينهم، وتقشعرّ جلودهم، قلت: فإن ناساً ها هنا إذا سمعوا ذلك تأخذهم عليه غشية، قالت: أعوذ بالله من الشيطان.

وأخرج ابن جرير(٢) عن ابن عباس في قوله: ﴿أَفَمَن يَتَّقِى بِوَجْهِهِۦ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾ قال: ينطلق به إلى النار مكتوفاً، ثم يرمى به فيها، فأوّل ما تمسّ وجهه النار.

[الأمثال في القرآن]:

﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٢٨﴾ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٩﴾ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴿٣١﴾ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ إِذْ جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٤﴾ لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٣٥﴾﴾.

قوله: ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ﴾ قد قدّمنا تحقيق المثل، وكيفية ضربه في غير موضع، ومعنى: ﴿مِن كُلِّ مَثَلٍ﴾: ما يحتاجون إليه، وليس المراد ما هو أعمّ من ذلك، فهو هنا كما في قوله: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨]؛ أي: من شيء يحتاجون إليه في أمر دينهم.

وقيل: المعنى: ما ذكرنا من إهلاك الأمم السالفة مثل لهؤلاء ﴿لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ يتعظون، فيعتبرون.

---

(١) عزاه إليهم السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٢٢٢).

(٢) قال ابن جرير في «تفسيره» (٢٠/ ١٩٤): وهذا قولٌ يذكر عن ابن عباس من وجه كرهتُ ذكره؛ لضعف سنده، وهذا أيضاً مما تُرك جوابه، استغناءً بدلالة ما ذُكر من الكلام عليه عنه، ومعنى الكلام، أفمن يتَّقي بوجهه سُوء العذاب يوم القيامة خيرٌ، أم من ينعم في الجنان؟

وانتصاب[١] ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾ على الحال من هذا، وهي حال مؤكدة، وتسمى هذه حالاً موطئة؛ لأن الحال في الحقيقة هو: عربيّاً، وقرآناً توطئة له، نحو جاءني زيد رجلاً صالحاً: كذا قال الأخفش، ويجوز أن ينتصب على المدح.

قال الزجاج[٢]: عربيّاً منتصب على الحال، وقرآنا توكيد، ومعنى ﴿غَيْرَ ذِى عِوَجٍ﴾: لا اختلاف فيه بوجه من الوجوه.

قال الضحاك[٣]: أي: غير مختلف.

قال النحاس[٤]: أحسن ما قيل في معناه قول الضحاك، وقيل: غير متضادّ. وقيل: غير ذي لبس، وقيل: غير ذي لحن، وقيل: غير ذي شك كما قال الشاعر[٥]:

وَقَـدْ أتـاك يَـمـيـنٌ غـيـر ذِي عـوجٍ   مـن الإلٰـهِ وقـولٌ غَـيـرُ مـكـذوبِ

﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ علة أخرى بعد العلة الأولى. وهي: ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾؛ أي: لكي يتقوا الكفر والكذب.

[الأمثال في القرآن للتذكير والإيقاظ]:

ثم ذكر سبحانه مثلاً من الأمثال القرآنية للتذكير والإيقاظ، فقال: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا﴾؛ أي: تمثيل حالة عجيبة بأخرى مثلها.

ثم بيّن المثل، فقال: ﴿رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ﴾ قال الكسائي[٦]: نصب رجلاً؛ لأنه تفسير للمثل، وقيل: هو منصوب[٧] بنزع الخافض؛ أي: ضرب الله مثلاً برجل، وقيل: إن رجلاً هو المفعول الأوّل، ومثلاً هو المفعول الثاني، وأَخّر المفعول الأوّل؛ ليتصل بما هو من تمامه، وقد تقدّم تحقيق هذا في سورة «يٓس».

وجملة: ﴿فِيهِ شُرَكَآءُ﴾ في محل نصب[٨] صفة لرجل، والتشاكس: التخالف.

---

(١) «التبيان» (٢/ ١١١١)، و«الفريد» (٤/ ١٩٠).
(٢) في «معاني القرآن وإعرابه» (٤/ ٣٥٢).
(٣) ذكره النحاس في «إعراب القرآن» (٤/ ١٠).
(٤) في «إعراب القرآن» (٤/ ١٠).
(٥) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٨/ ٢٧٣).
(٦) ذكره البغوي في «تفسيره» (٧/ ١١٨).
(٧) «الفريد» (٤/ ١٩٠)، و«التبيان» (٢/ ١١١١)، و«روح المعاني» (٢٣/ ٤٢٤).
(٨) انظر: المصادر المتقدمة.

قال الفراء[(١)]: أي: مختلفون.

وقال المبرد[(٢)]: أي: متعاسرون من شَكِسَ يَشكَسُ شَكَساً، فهو: شَكِسٌ مثل عَسِر يَعْسرَ عَسَراً، فهو: عَسِرٌ.

قال الجوهري[(٣)]: التشاكس: الاختلاف. قال[(٣)]: ويقال: رجل شَكْس بالتسكين؛ أي: صعب الخُلق، وهذا مَثلُ مَنْ أشرك بالله، وعبد آلهة كثيرة.

ثم قال: ﴿وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ﴾؛ أي: خالصاً له، وهذا مثل مَنْ يعبد الله وحده.

قرأ الجمهور[(٤)]: «سَلَماً» بفتح السين، واللام، وقرأ سعيد بن جبير، وعكرمة، وأبو العالية بكسر السين[(٥)]، وسكون اللام.

وقرأ ابن عباس، ومجاهد، والجحدري، وأبو عمرو، وابن كثير، ويعقوب: «سالماً» بالألف، وكسر اللام[(٦)] اسم فاعل من سلم له، فهو: سالِم، واختار هذه القراءة أبو عُبيد[(٧)] قال: لأنّ السالم الخالص ضدّ المشترك، والسّلَم ضدّ الحرب، ولا موضع للحرب ها هنا.

وأُجيب عنه: بأنّ الحرف إذا كان له معنيان لم يُحمل إلا على أولاهما، فالسّلَم، وإن كان ضدّ الحرب، فله معنى آخر بمعنى: سالِم، مِنْ سلم له كذا: إذا خلص له.

وأيضاً يلزمه في سالم ما ألزم به؛ لأنّه يقال: شيء سالم؛ أي: لا عاهة به، واختار أبو حاتم[(٨)] القراءة الأولى.

والحاصل: أنّ قراءة الجمهور هي على الوصف بالمصدر للمبالغة، أو على حذف مضاف؛ أي: ذا سِلْمٍ، ومثلها قراءة سعيد بن جبير[(٩)] ومِنْ معه.

---

(١) في «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٤١٩).

(٢) ذكره النحاس في «إعراب القرآن» (٤/ ١٠).

(٣) في «الصحاح» (٤/ ٩٤٠).

(٤) «البحر المحيط» (٩/ ١٩٧ ـ ١٩٨)، و«التيسير» (ص١٨٩)، و«المحرر الوجيز» (١٤/ ٨١)، و«النشر» (٢/ ٣٦٢)، و«جامع البيان» (٢٠/ ١٩٧).

(٥) انظر: المصادر المتقدمة. القراءة بكسر السين وسكون اللّام شاذة، والقراءاتان الأخريتان متواترتان.

(٦) «النشر» (٢/ ٣٦٢)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (٢/ ٢٣٨)، و«جامع البيان» (٢٠/ ١٩٧)، و«فتح الباري» (٨/ ٤٢٢).

(٧) ذكره النحاس في «إعراب القرآن» (٤/ ١١).

(٨) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٨/ ٢٧٤).

(٩) «المحرر الوجيز» (١٤/ ٨١).

ثم جاء سبحانه بما يدلّ على التفاوت بين الرجلين، فقال: ﴿هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا﴾، وهذا الاستفهام للإنكار[١] والاستبعاد، والمعنى: هل يستوي هذا الذي يخدم جماعةً شركاء، أخلاقهم مختلفة، ونياتهم متباينة، يستخدمه كل واحد منهم فيتعب ويَنْصَب ؛مع كون كل واحد منهم غير راضٍ بخدمته، وهذا الذي يخدم واحداً لا ينازعه غيره إذا أطاعه رضي عنه، وإذا عصاه عفا عنه؟ فإنّ بين هذين من الاختلاف الظاهر الواضح ما لا يقدر عاقل أن يتفوّه باستوائهما؛ لأن أحدهما: في أعلى المنازل، والآخر: في أدناها، وانتصاب «مثلاً» على التمييز[٢] المحّول عن الفاعل؛ لأنّ الأصل هل يستوي مِثلُهما، وأفرد التمييز، ولم يثنه؛ لأن الأصل في التمييز الإفراد لكونّه مبيناً للجنس.

وجملة: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ تقرير لما قبلها من نفي الاستواء، وللإيذان للموحدين بما في توحيدهم لله مِنْ النعمة العظيمة المستحقة لتخصيص الحمد به.

ثم أضرب سبحانه عن نفي الاستواء المفهوم من الاستفهام الإنكاري إلى بيان أن أكثر الناس لا يعلمون، فقال: ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾، وهم: المشركون، فإنهم لا يعلمون ذلك مع ظهوره، ووضوحه.

قال الواحدي[٣] والبغوي[٤]: والمراد بالأكثر: الكلّ، والظاهر[٥] خلاف ما قالاه، فإن المؤمنين بالله يعلمون ما في التوحيد مِنْ رفعة شأنه وعلوّ مكانه، وإن الشرك لا يماثله بوجه من الوجوه، ولا يساويه في وصف من الأوصاف، ويعلمون أنّ الله سبحانه يستحق الحمد على هذه النعمة، وأنّ الحمد مختصّ به.

ثم أخبر سبحانه رسوله ﷺ بأن الموت يدركه ويدركهم لا محالة، فقال: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ قرأ الجمهور[٦]: «مَيّتٌ، ومَيّتون» بالتشديد.

وقرأ ابن محيصن، وابن أبي عبْلة، وعيسى بن عمر، وابن أبي إسحاق،

---

(١) «روح المعاني» (٢٣/ ٤٢٥)، و«تفسير أبي السعود» (٥/ ٥٩٨).
(٢) «روح المعاني» (٢٣/ ٤٢٥)، و«التبيان» (٢/ ١١١١)، و«الفريد» (٤/ ١٩٠).
(٣) في «الوسيط» (٣/ ٥٨٠).
(٤) في «معالم التنزيل» (٧/ ١١٨).
(٥) قال الألوسي في «روح المعاني» (٢٣/ ٤٢٦): «إضرابٌ وانتقالٌ من بيان عدم الاستواء على الوجْه المذكور إلى بيان أنَّ أكثر الناس ـ وهم المشركون ـ لا يعلمون ذلك مع كمال ظهوره، أو: ليسوا من ذوي العلم فلا يعلمون ذلك، فيَبقون في وَرْطة الشرك والضلال.
(٦) «البحر المحيط» (٩/ ١٩٩)، و«روح المعاني» (٢٣/ ٤٢٦).

واليماني: «مائت ومائتون»[(١)]، وبها قرأ عبد الله بن الزبير.

وقد استحسن هذه القراءة بعض المفُسّرين لكون موته، وموتهم مستقبلاً، ولا وجه للاستحسان، فإن قراءة الجمهور تفيد هذا المعنى. قال الفراء[(٢)]: والكسائي[(٢)]: الميت بالتشديد: مَنْ لم يمت، وسيموت، والمَتْ بالتخفيف: من قد مات، وفارقته الرّوح.

قال قتادة[(٣)]: نُعِيتْ إلى النبي ﷺ نَفْسُه، ونُعيَتْ إليكم أنفسُكم.

ووجه هذا الإخبار: الإعلامُ للصحابة بأنّه يموت[(٤)]، فقد كان بعضهم يعتقد، أنه لا يموت مع كونه توطئة وتمهيداً لما بعده حيث قال: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾ [٤/١٧]؛ أي: تخاصمهم يا محمد،وتحتجّ عليهم بأنك قد بلغتهم وأنذرتهم، وهم يخاصمونك أو يخاصم المؤمن الكافر والظالم المظلوم.

ثم بيّن سبحانه حال كل فريق من المختصمين، فقال: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى اللَّهِ﴾؛ أي: لا أحدٌ أظلم ممن كذب على الله، فزعم أن له ولداً أو شريكاً أو صاحبة ﴿وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ﴾، وهو ما جاء به رسول الله ﷺ من دعاء الناس إلى التوحيد، وأمرهم بالقيام بفرائض الشرع، ونهيهم عن محرّماته، وإخبارهم بالبعث والنشور وما أعدّ الله للمطيع والعاصي.

ثم استفهم سبحانه استفهاماً تقريريّاً[(٥)]، فقال: ﴿أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى

---

(١) «القراءات الشاذة» (ص١٣١)، و«المحرر الوجيز» (٨٢/١٤). وهي قراءة شاذة.

(٢) ذكره عنهما البغوي في «تفسيره» (١١٨/٧).

(٣) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢٧٥/١٨).

(٤) هذا خطاب للنبي ﷺ أخبر بموته وموتهم، فاحتمل **خمسة أوجه**:

أحدها: أن يذكر ذلك تحذيراً من الآخرة.

الثاني: أن يذكره حثّاً على العمل.

الثالث: أن يذكره توطئة للموت.

الرابع: لئلا يختلفوا في موته كما اختلف الأمم في غيره حتى إن عمر لما أنكر موته احتج أبو بكر بهذه الآية فأمسك. البخاري رقم (١٢٤٩).

الخامس: ليعلمه أن الله تعالى قد سوى فيه بين خلقه مع تفاضلهم في غيره لتكثر فيه السلوى وتقل الحسرة.

«النكت والعيون» (١٢٥/٥).

(٥) «روح المعاني» (٤٣٢/٢٣).

﴿لِّلْكَٰفِرِينَ﴾؛ أي: أليس لهؤلاء المفترين المكذّبين بالصدق؟ والمثوى: المقام، وهو مشتق مِنْ ثوى بالمكان: إذا أَقام به يَثْوِي ثَواءً وثُوِياً، مثل مَضى مَضَاء، ومُضيّاً. وحكى أبو عبيدة[١] أنّه يقال: أثوىٰ، وأنشد قول الأعشى[٢]:

أَثْـوى وأَقْـصـرَ لـيـلَـه لـيُـوردا فَمَضتْ وأخلفَ من قبيلة مَوْعِدا

وأنكر ذلك الأصمعي[٣]، وقال: لا نعرف أثوى.

ثم ذكر سبحانه فريق المؤمنين المصدّقين، فقال: ﴿وَالَّذِى جَآءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ﴾ الموصول في موضع[٤] رفع بالابتداء، وهو: عبارة عن رسول الله ﷺ، ومَنْ تابعه، وخبره: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾، وقيل: الذي جاء بالصدق: رسول الله ، والذي صدّق به: أبو بكر[٥].

وقال مجاهد[٦]: الذي جاء بالصدق رسول الله ﷺ، والذي صدّق به: عليّ بن أبي طالب.

وقال السدّي[٧]: الذي جاء بالصدق: جبريل، والذي صدّق به: رسول الله ﷺ.

وقال قتادة[٨] ومقاتل[٩]، وابن زيد[١٠]: الذي جاء بالصدق النبي ﷺ، والذي صدّق به: المؤمنون.

وقال النخعي[١١]: الذي جاء بالصدق، صدّق به هم المؤمنون الذين يجيئون بالقرآن يوم القيامة.

---

(١) ذكره النحاس في «معاني القرآن» (٤/ ١١).
(٢) «ديوان الأعشى» (ص٢٧٧).
(٣) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٨/ ٢٧٨)، وانظر: «الصحاح» (٦/ ٢٢٩٦).
(٤) «الفريد» (٤/ ١٩٢)، و«التبيان» (٢/ ١١١١)، و«إعراب القرآن» للنحاس (٤/ ١٢).
(٥) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/ ٢٠٤) من طريق عبد الملك بن عمير، به.
(٦) ذكره ابن عطية في «المحرر الوجيز» (١٤/ ٨٤).
(٧) ذكره البغوي في «تفسيره» (٧/ ١٢٠).
(٨) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/ ٢٠٥) بسند صحيح.
(٩) ذكره البغوي في «تفسيره» (٧/ ١٢٠).
(١٠) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/ ٢٠٥) بسند صحيح.
(١١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/ ٢٠٦)، وعبد الرزاق في «تفسيره» (٢/ ١٧٣)، وابن الضريس في «فضائل القرآن» رقم (١٠٤) من طريق منصور عن مجاهد.

وقيل: إنّ ذلك عام في كل من دعا إلى توحيد الله، وأرشد إلى ما شرعه لعباده واختار هذا ابن جرير، وهو: الذي اختاره من هذه الأقوال، ويؤيده قراءة ابن مسعود[(١)]: «والذين جاءوا بالصدق وصدّقوا به».

ولفظ الذي كما وقع في قراءة الجمهور وإنْ كان مفرداً، فمعناه: الجمع؛ لأنه يُراد به الجنس كما يفيده قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾؛ أي: المتصفون بالتقوى التي هي عنوان النجاة. وقرأ أبو صالح: «وصَدَق به» مخففاً؛ أي: صدق به الناس.

ثم ذكر سبحانه ما لهؤلاء الصادقين المصدّقين في الآخرة، فقال: ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْۚ﴾؛ أي: لهم كل ما يشاءونه من رفع الدرجات، ودفع المضرّات، وتكفير السيئات، وفي هذا ترغيب عظيم، وتشويق بالغ، والإشارة بقوله: ﴿ذَٰلِكَ﴾ إلى ما تقدم ذكره من جزائهم، وهو: مبتدأ، وخبره قوله: ﴿جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾؛ أي: الذين أحسنوا في أعمالهم. وقد ثبت في «الصحيح»[(٢)] عن رسول الله ﷺ: «أن الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه، فإنه يراك».

ثم بيّن سبحانه ما هو الغاية مما لهم عند ربهم، فقال: ﴿لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى عَمِلُواْ﴾، فإنّ ذلك هو أعظم ما يرجونه من دفع الضرر عنهم؛ لأن الله سبحانه إذا غفر لهم ما هو الأسوأ من أعمالهم غفر لهم ما دونه بطريقة الأولى، واللاّم متعلقة بيشاءون، أو بالمحسنين، أو بمحذوف.

قرأ الجمهور[(٣)]: «أسوأ» على أنّه أفعل تفضيل. وقيل: ليست للتفضيل بل بمعنى: سيء الذي عملوا.

وقرأ ابن كثير[(٤)] في رواية عنه «أسواء» بألف بين الهمزة، والواو بزنة أَجْمال جمع سُوء، ﴿وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ ٱلَّذِى كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ لما ذكر سبحانه ما يدلّ

---

(١) «روح المعاني» (٢٣/ ٤٣٣)، و«البحر المحيط» (٩/ ٢٠٣)، و«القراءات الشاذة» (ص١٣٢). وقراءة ابن مسعود شاذة مخالفة للرسم. وكذا قراءة أبن صالح شاذة.

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) «البحر المحيط» (٩/ ٢٠٤)، و«روح المعاني» (٢٣/ ٤٣٧)، و«حاشية الشهاب» (٧/ ٣٤٠). وقراءة ابن كثير رواية شاذة عنه والقراءة بسواءً شاذة.

(٤) انظر: المصادر المتقدمة.

على دفع المضارّ عنهم ذكر ما يدلّ على جلب أعظم المنافع إليهم، وإضافة[١] الأحسن إلى ما بعده ليست من إضافة المفضل إلى المفضل عليه، بل من إضافة الشيء إلى بعضه قصداً إلى التوضيح من غير اعتبار تفضيل.

قال مقاتل[٢]: يجزيهم بالمحاسن من أعمالهم ولا يجزيهم بالمساوي.

وقد أخرج الآجرّي والبيهقي عن ابن عباس[٣] في قوله: ﴿غَيْرَ ذِى عِوَجٍ﴾ قال: غير مخلوق.

وأخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم[٤] عنه في قوله: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا﴾ الآية قال: الرجل يعبد آلهة شتى، فهذا مثل ضربه الله لأهل الأوثان ﴿وَرَجُلًا سَلَمًا﴾ يعبد إلٰهاً واحداً ضرب لنفسه مثلاً.

وأخرجا[٥] عنه أيضاً في قوله: ﴿وَرَجُلًا سَلَمًا﴾ قال: ليس لأحد فيه شيء.

وأخرج عبد بن حميد، والنسائي، وابن أبي حاتم، والطبراني، وابن مردويه، عن ابن عمر[٦] قال: لقد لبثنا بُرهةً من دهرنا، ونحن نرى أن هذه الآية نزلت فينا، وفي أهل الكتابين من قبلنا ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ الآية، حتى رأيتُ بعضَنا يضرب وجوه بعضٍ بالسيف، فعرفت أنّها نزلت فينا.

وأخرج نعيم بن حماد في «الفتن»، والحاكم وصحّحه، وابن مردويه[٧] عنه نحوه بأطول منه.

وأخرج عبد بن حميد، وابن جرير، وابن مردويه[٨] عنه أيضاً قال: نزلت علينا

---

(١) «روح المعاني» (٢٣/٤٣٦).
(٢) ذكره البغوي في «تفسيره» (٧/ ١٢٠).
(٣) أخرجه الآجري في «الشريعة» رقم (١٦٠)، والبيهقي في رقم (٥١٨).
(٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/ ١٩٨) بسند ضعيف.
(٥) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/ ١٩٧) بسند ضعيف.
(٦) أخرجه النسائي في «السنن الكبرى» رقم (١١٤٤٧)، وابن أبي حاتم كما في «تفسير ابن كثير» (١٢/ ١٢٩)، والطبراني كما في «مجمع الزوائد» (٧/ ١٠٠)، وقال الهيثمي: «رجاله ثقات».
(٧) عزاه إليهم السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٢٢٥).
وأخرجه نعيم بن حمَّاد في «الفتن» رقم (١٧٢)، والحاكم (٤/ ٥٧٢، ٥٧٣).
(٨) عزاه إليهم السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٢٢٥).
وأخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/ ٢٠٢) بسند ضعيف.

الآية ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾، وما ندري ما تفسيرها حتى وقعت الفتنة، فقلنا: هذا الذي وَعَدنا ربنُّا أَنْ نختصم فيه.

وأخرج عبد الرّزاق، وأحمد، وابن منيع، وعبد بن حميد، والترمذي وصحّحه، وابن أبي حاتم، والحاكم وصححه، وابن مردويه، وأبو نُعيم في «الحلية»، والبيهقي في «البعث والنشور» عن الزبير بن العوّام[(١)] قال: «لما نزلت ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾ قلت: يا رسول الله أيُكرّر علينا ما يكون بيننا في الدنيا مع خواصّ الذنوب؟ قال: نعم ليُكرّرن عليكم ذلك حتى يُؤّدى إلى كل ذي حقَّ حقَّه. قال الزبير: فوالله إن الأمر لشديد».

وأخرج سعيد بن منصور، عن أبي سعيد الخدري[(٢)] قال: لما نزلت: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾ كنا نقول: ربنُّا واحد، وديننا واحد، ونبينا واحد، فما هذه الخصومة؟ فلما كان يوم صفِّين، وشدّ بعضنا على بعض بالسيوف، قلنا: نعم هو هذا.

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، والبيهقي في «الأسماء والصفات» عن ابن عباس[(٣)] في قوله: ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ﴾؛ يعني: بلا إلٰه إلا الله ﴿وَصَدَّقَ بِهِۦٓ﴾؛ يعني: برسول الله ﷺ ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾؛ يعني: اتقوا الشرك.

وأخرج ابنُ جرير، والباوردي في «معرفة الصحابة»، وابن عساكر من طريق أُسيد بن صفوان، وله صحبة عن عليّ بن أبي طالب[(٤)] قال: الذي جاء بالصدق: محمد ﷺ، وصدّق به أبو بكر.

---

(١) أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢/ ١٧٣)، وأحمد رقم (١٤٣٤)، والترمذي رقم (٣٢٣٦)، وابن أبي حاتم كما في «تفسير ابن كثير» (١٢/ ١٢٧)، والحاكم (٢/ ٤٣٥)، وأبو نعيم (١/ ٩١) بسند حسن.

(٢) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٢٢٦).

(٣) عزاه إليهم السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٢٢٨).
وأخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢/ ١٧٢)، وابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/ ٢٠٤، ٢٠٥) بسند صحيح.

(٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/ ٢٠٤)، وابن عساكر في «تاريخه» (٣٠/ ٣٣٦) من طريق عبد الملك بن عُمير، عن أُسيد بن صفوان، عن علي رضي الله عنه.

وأخرج ابن مردويه(١) عن أبي هريرة مثله.

﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ۖ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٦﴾ وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِى ٱنتِقَامٍ ﴿٣٧﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾ قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَٰمِلٌ ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٤٠﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ لِلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴿٤١﴾ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾﴾.

قوله: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ﴾ قرأ الجمهور(٢) «عَبْدَه» بالإفراد. وقرأ حمزة، والكسائي: «عبادَه» بالجمع(٣)، فعلى القراءة الأولى المراد: النبي ﷺ، أو الجنس، ويدخل فيه رسول الله ﷺ دخولاً أوّليّاً، وعلى القراءة الأخرى المراد: الأنبياء أو المؤمنون أو الجميع، واختار أبو عبيد قراءة الجمهور، لقوله عقبه: «ويخوّفونك»، والاستفهام(٤) للإنكار لعدم كفايته سبحانه على أبلغ وجه كأنها بمكان من الظهور لا يتيسر لأحد أن ينكره.

وقيل: المراد بالعبد والعباد: ما يعمّ المسلم، والكافر.

قال الجرجاني(٥): إن الله كاف عبده المؤمن، وعبده الكافر هذا بالثواب وهذا بالعقاب.

وقُرئ: «بكافي(٦) عبادِه» بالإضافة، وقُرئ: «يكافي»(٧) بصيغة المضارع.

---

(١) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٢٢٨).

(٢) «جامع البيان» (٢٠/ ٢٠٩)، و«النشر» (٢/ ٣٦٢)، و«التيسير» (ص١٨٩)، و«زاد المسير» (٧/ ١٨٤).

(٣) انظر: المصادر المتقدمة.

(٤) «روح المعاني» (٢٣/ ٤٣٨).

(٥) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٨/ ٢٨١).

(٦) «البحر المحيط» (٩/ ٢٠٥)، و«روح المعاني» (٢٣/ ٤٣٩).

(٧) «البحر المحيط» (٩/ ٢٠٥)، و«روح المعاني» (٢٣/ ٤٣٩). وهما قراءتان شاذتان.

وقوله: ﴿وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِن دُونِهِۦ﴾ يجوز أن يكون في محل نصب[١] على الحال، إذ المعنى: أليس كافيك حال تخويفهم إياك؟ ويجوز أن تكون مستأنفة، والذين مِنْ دونه: عبارةُ عَنْ المعبودات التي يعبدونها ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾؛ أي: مَنْ حقّ عليه القضاء بضلاله، فما له من هادٍ يهديه إلى الرّشد ويخلصه من الضلالة، ﴿وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّ﴾ يُخرجه من الهداية ويوقعه في الضلالة ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِعَزِيزٍ﴾؛ أي: غالب لكل شيء قاهر له؟ ﴿ذِى ٱنتِقَامٍ﴾ ينتقم من عصاته بما يصبّه عليهم من عذابه، وما ينزله بهم من سوط عقابه؟

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ ذكر سبحانه اعترافهم إذا سُئلوا[٢] عن الخالق بأنّ الله سبحانه مع عبادتهم للأوثان، واتخاذهم الآلهة من دون الله، وفي هذا أعظم دليل على أنّهم كانوا في غفلةٍ شديدة، وجهالة عظيمة؛ لأنّهم إذا علموا أن الخالق لهم ولما يعبدون من دون الله هو: الله سبحانه، فكيف استحسنت عقولُهم عبادة غير خالق الكل، وتشريك مخلوق مع خالقه في العبادة؟ وقد كانوا يُذْكرون بحسن العقول، وكمال الإدراك والفطنة التامة، ولكنهم لما قلدوا أسلافهم وأحسنوا الظنّ بهم هجروا ما يقتضيه العقل، وعملوا بما هو محض الجهل.

ثم أمر الله سبحانه رسوله أن يبكتهم[٣] بعد هذا الاعتراف ويوبخهم، فقال: ﴿قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ﴾؛ أي: أخبروني عن آلهتكم هذه هل تقدر على كشف ما أراده الله بي من الضرّ؟ والضرّ هو: الشدّة، أو أعلى ﴿أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ﴾ عني: بحيث لا تصل إليّ، والرحمة: النعمة، والرّخاء.

قرأ الجمهور[٤]: «مُمْسكات»، و«كاشفات» في الموضعين بالإضافة، وقرأهما[٥] أبو عمرو بالتنوين.

---

(١) «البحر المحيط» (٩/ ٢٠٥).

(٢) «جامع البيان» (٢٠/ ٢١١ ـ ٢١٢)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٨/ ٢٨٢).

(٣) «روح المعاني» (٢٣/ ٤٤٠)، و«تفسير أبي السعود» (٥/ ٦٠٢).

(٤) «النشر» (٢/ ٣٦٣)، و«التيسير» (ص١٩٠)، و«جامع البيان» (٢٠/ ٢١٢ ـ ٢١٣). هما قراءتان متواترتان فقرأ أبو عمرو ويعقوب بالتنوين ونصب (رحمته) و(ضره) وقرأ الباقون بالاضافة.

(٥) انظر: المصادر المتقدمة.

قال مقاتل[١]: لما نزلت هذه الآية سألهم النبي ﷺ، فسكتوا.

وقال غيره[٢]: قالوا: لا تدفع شيئاً من قدر الله ولكنها تشفع، فنزل: ﴿قُلْ حَسْبِيَ ٱللَّهُ﴾ في جميع أموري في جلب النفع ودفع الضرّ ﴿عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾؛ أي: عليه لا على غيره يعتمد المعتمدون.

واختار أبو عبيد[٣]، وأبو حاتم قراءة أبي عمرو؛ لأن كاشفات اسم فاعل في معنى: الاستقبال، وما كان كذلك فتنوينه أجود، وبها قرأ الحسن، وعاصم.

ثم أمره سبحانه أن يهدّدهم، ويتوعدهم، فقال: ﴿قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ﴾؛ أي: على حالتكم التي أنتم عليها وتمكنتم منها ﴿إِنِّى عَٰمِلٌ﴾؛ أي: على حالتي التي أنا عليها وتمكنت منها، وحذف ذلك للعلم به مما قبله ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ﴾؛ أي: يهينه ويذله في الدنيا، فيظهر عند ذلك أنه المبطل، وخصمه المحقّ، والمراد بهذا العذاب: عذاب الدنيا، وما حلّ بهم من القتل والأسر والقهر والذلة.

ثم ذكر عذاب الآخرة، فقال: ﴿وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾؛ أي: دائم مستمرّ في الدار الآخرة وهو: عذاب النار.

ثم لما كان يعظم على رسول الله ﷺ إصرارهم على الكفر أخبره بأنّه لم يكلّف إلا بالبيان، لا بأن يهدي مَنْ ضلّ، فقال: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ لِلنَّاسِ﴾؛ أي: لأجلهم ولبيان ما كلفوا به، و﴿بِٱلْحَقِّ﴾ حال من الفاعل، أو المفعول [١٨/٤]؛ أي: محقين أو ملتبساً بالحقّ ﴿فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ﴾ طريق الحق وسلكها ﴿فَلِنَفْسِهِۦ وَمَن ضَلَّ﴾ عنها ﴿فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾؛ أي: على نفسه، فضرر ذلك عليه لا يتعدّى إلى غيره ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ﴾؛ أي: بمكلف بهدايتهم، مخاطب بها بل ليس عليك إلا البلاغ، وقد فعلتَ.

وهذه الآيات هي منسوخة بآية السيف، فقد أمر الله رسوله بعد هذا أن يقاتلهم حتى يقولوا لا إله إلا الله، ويعملوا بأحكام الإسلام.

---

(١) ذكره البغوي في «تفسيره» (٧/ ١٢١).
(٢) انظر: «جامع البيان» (٢٠/ ٢١١ ـ ٢١٢).
(٣) ذكره عنهما النحاس في «إعراب القرآن» (٤/ ١٣).

ثم ذكر سبحانه نوعاً من أنواع قدرته البالغة وصنعته العجيبة، فقال: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾؛ أي: يقبضها عند حضور أجلها ويخرجها من الأبدان ﴿وَٱلَّتِي لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا﴾؛ أي: ويتوفى الأنفس التي لم تمت؛ أي: لم يحضر أجلها في منامها.

وقد اختلف[1] في هذا، فقيل: يقبضها عَنْ التصرّف مع بقاء الروح في الجسد.

وقال الفراء[2]: المعنى: ويقبض التي لم تمت عند انقضاء أجلها قال: وقد يكون توفيها نومها، فيكون التقدير على هذا: والتي لم تمت، وفاتها نومها.

قال الزجّاج[3]: لكل إنسان نفسان: أحدهما: نفس التمييز، وهي التي تفارقه إذا نام، فلا يعقل، والأخرى: نفس الحياة إذا زالت زال معها النفس، والنائم يتنفس.

قال القشيري[4]: في هذا بُعدٌ إذ المفهوم من الآية أن النفس المقبوضة في الحالين شيء واحد، ولهذا قال: ﴿فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ﴾؛ أي: النائمة ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾، وهو الوقت المضروب لموته.

وقد قال بمثل قول الزجاج: ابن الأنباري[5]، وقال سعيد بن جبير[6]: إن الله يقبض أرواح الأموات إذا ماتوا، وأرواح الأحياء إذا ناموا، فتتعارف ما شاء الله أن تتعارف ﴿فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ﴾، فيعيدها، والأولى أن يقال: إنّ توفي الأنفس حال النّوم بإزالة الإحساس، وحصول الآفة به في محل الحس، فيمسك التي قضى عليها الموت، ولا يردّها إلى الجسد الذي كانت فيه، ويرسُل الأخرى بأَنْ يعيد عليها إحساسها.

قيل: ومعنى ﴿يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾: هو على حذف؛ أي: عند موت أجسادها.

---

(١) «الجامع لأحكام القرآن» (١٨/ ٢٨٤)، و«النكت والعيون» (١٢٨/٥).
(٢) في «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٤٢٠). (٣) في «معاني القرآن وإعرابه» (٣٥٦/٤).
(٤) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٨/ ٢٨٥).
(٥) انظر: «تفسير الرازي» (٢٦/ ٢٨٣ ـ ٢٨٤).
(٦) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/ ٢١٥)، وأبو الشيخ في «العظمة» رقم (٤٣١) بسند ضعيف.

وقد اختلف العقلاء[١] في النفس والروح هل هما شيء واحد أو شيئان؟ والكلام في ذلك يطول جدّاً، وهو معروف في الكتب الموضوعة لهذا الشأن.

قرأ الجمهور[٢]: «قَضَى» مبنيّاً للفاعل؛ أي: قضى الله عليها الموت.

وقرأ حمزة، والكسائي، والأعمش، ويحيى بن وثاب على البناء للمفعول[٣]، واختار أبو عُبيد[٤]، وأبو حاتم القراءة الأولى لموافقتها لقوله: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ﴾.

والإشارة بقوله: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ إلى ما تقدّم من التوفي، والإمساك، والإرسال[٥] للنفوس ﴿لَأَيَـٰتٍ﴾؛ أي: لآيات عجيبة بديعة دالة على القدرة الباهرة ولكن ليس كون ذلك آيات يفهمه كل أحد بل ﴿لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ في ذلك ويتدبرونه ويستدلون به على توحيد الله، وكمال قدرته. فإن في هذا التوفي والإمساك والإرسال موعظة للمتعظين وتذكرة للمتذكرين.

وقد أخرجَ ابنُ المنذر، وابن أبي حاتم عن ابن عباس[٦] في قوله: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ الآية قال: نفس وروح بينهما مثل شعاع الشمس، فيتوفى الله النفس في منامه، ويدع الروح في جوفه تتقلب، وتعيش، فإن بدا له أن يقبضه قبض الروح، فمات، وإن أخَّر أجلَه ردّ النفس إلى مكانها من جوفه.

وأخرج عبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، والطبراني في «الأوسط»، وأبو الشيخ في «العظمة»، وابن مردويه، والضياء في «المختارة»[٧] عنه في الآية قال: تلتقي أرواحُ الأحياء، وأرواح الأموات في المنام، فيتساءلون بينهم ما

---

(١) «الجامع لأحكام القرآن» (١٨/ ٢٨٥ ـ ٢٨٧)، و«روح المعاني» (٢٣/ ٤٤٢ ـ ٤٤٣).
(٢) «التيسير» (ص١٩٠)، و«النشر» (٢/ ٣٦٣)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (٢/ ٢٣٩).
(٣) انظر: المصادر المتقدمة.
(٤) ذكره عنهما القرطبي في «تفسيره» (١٨/ ٢٨٩).
(٥) «روح المعاني» (٢٣/ ٤٤٤).
(٦) عزاه إليهما السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٢٣٠).
(٧) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/ ٢١٥)، والطبراني رقم (١٢٢)، وأبو الشيخ في «العظمة» رقم (٤٤٤)، والضياء (١٠/ ١٢٢، ١٢٣ رقم ١٢٢، ١٢٣) بسند منقطع، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس. وهو عند ابن جرير وأبي الشيخ رقم (٤٣١) من قول سعيد بن جبير بسند ضعيف.

شاء الله، ثم يمسك الله أرواح الأموات، ويرسل أرواح الأحياء إلى أجسادها ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ لا يغلط بشيءٍ منها، فذلك قوله: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾.

وأخرج عبد بن حميد[١] عنه أيضاً في الآية قال: كل نفس لها سبب تجري فيه، فإذا قضى عليها الموت نامت حتى ينقطع السبب، والتي لم تمت في منامها تُترك.

وأخرج البخاري، ومسلم من حديث أبي هريرة[٢] قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا أوى أحدكم إلى فراشه، فلينفضه بداخلة إزاره، فإنّه لا يدري ما خلفه عليه، ثم ليقل باسمك ربي وضعت جنبي، وباسمك أرفعه، إنْ أمسكت نفسي فارحمها، وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين».

﴿أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَ ۚ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَمْلِكُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٣﴾ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا ۖ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٤٤﴾ وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٥﴾ قُلِ ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ عَٰلِمَ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِى مَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْا۟ بِهِۦ مِن سُوٓءِ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا۟ يَحْتَسِبُونَ ﴿٤٧﴾ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٤٨﴾﴾.

قوله: ﴿أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَ﴾ «أم» هي المنقطعة[٣] المقدّرة ببل، والهمزة؛ أي: بل اتخذوا من دون الله آلهة شفعاء تشفع لهم عند الله ﴿قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَمْلِكُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَعْقِلُونَ﴾ الهمزة للإنكار[٤] والتوبيخ، والواو للعطف على محذوف مقدّر؛ أي: أيْشفعون؟ أولو كانوا إلخ، وجواب لو محذوف تقديره: تتخذونهم؛ أي: وإنْ كانوا بهذه الصفة تتخذونهم، ومعنى لا يملكون شيئاً: أنهم غير

(١) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٢٣١).
(٢) أخرجه البخاري رقم (٦٣٢٠، ٧٣٩٣)، ومسلم رقم (٢٧١٤).
(٣) «روح المعاني» (٢٣/ ٤٤٧)، و«تفسير أبي السعود» (٥/ ٦٠٣)، و«البحر المحيط» (٩/ ٢٠٧).
(٤) انظر: المصادر المتقدمة.

مالكين لشيء من الأشياء، وتدخل الشفاعة في ذلك دخولاً أوّليّاً، ولا يعقلون شيئاً من الأشياء؛ لأنها جمادات[١] لا عقل لها، وجمعهم بالواو، والنون لاعتقاد الكفار فيهم أَنَّهم يعقلون.

ثم أمره سبحانه بأن يخبرهم: أن الشفاعة لله وحده، فقال: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًاۖ﴾، فليس لأحد منها شيء إلا أن يكون بإذنه لمن ارتضى، كما في قوله: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦۚ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وقوله: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء: ٢٨]، وانتصاب[٢] «جميعاً» على الحال، وإنما أكّد الشفاعة بما يؤكد به الاثنان، فصاعداً؛ لأنها مصدر يطلق على الواحد، والاثنين، والجماعة.

ثم وصفه بسعة المُلْك، فقال: ﴿لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ﴾؛ أي: يملكهما، ويملك ما فيهما، ويتصرف في ذلك كيف يشاء، ويفعل ما يريد ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ لا إلى غيره، وذلك بعد البعث ﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِۖ﴾ انتصاب[٣] «وحدَه» على الحال عند يونس، وعلى المصدر عند الخليل[٤] وسيبويه.

والاشمئزاز في اللغة[٥]: النفور.

قال أبو عبيدة[٦]: اشمأزت: نَفَرتْ، وقال المبرِّد[٧]: انقبضت. وبالأوّل قال قتادة[٨]، وبالثاني قال مجاهد[٩]، والمعنى متقارب.

وقال المؤرّج[١٠]: أنكرتْ، وقال أبو زيد[١١]: اشمأزّ الرجل: ذعر من الفزع، والمناسب للمقام تفسير اشمأزت بانقبضت، وهو في الأصل: الازْورار، وكان المشركون إذا قيل لهم: لا إلٰه إلا الله انقبضوا، كما حكاه الله عنهم في قوله: ﴿وَإِذَا

(١) «روح المعاني» (٢٣/ ٤٤٧). (٢) «الفريد» (٤/ ١٩٤).
(٣) «إعراب القرآن» للنحاس (٤/ ١٤).
(٤) ذكره عنهما النحاس في «إعراب القرآن» (٤/ ١٤).
(٥) «الصحاح» (٣/ ٨٨١)، و«تهذيب اللغة» (١١/ ٣٠٦).
(٦) في «مجاز القرآن» (٢/ ١٩٠).
(٧) ذكره النحاس في «إعراب القرآن» (٤/ ١٤).
(٨) ذكره البغوي في «تفسيره» (٧/ ١٢٣).
(٩) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/ ٢١٦).
(١٠) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٨/ ٢٨٩). (١١) انظر: «الصحاح» (٣/ ٨٨١).

ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ وَلَّوْاْ عَلَىٰٓ أَدْبَـٰرِهِمْ نُفُورًا﴾ [الإسراء: ٤٦]، ثم ذكر سبحانه استبشارهم بذكر أصنامهم، فقال: ﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾؛ أي: يفرحون بذلك، ويبتهجون به، والعامل في «إذا» في قوله: ﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ﴾ الفعل الذي بعدها، وهو: اشمأزت، والعامل في «إذا» في قوله: ﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ﴾ الفعل العامل[١] في إذا الفجائية، والتقدير: فاجئوا الاستبشار وقت ذكر الذين من دونه.

ولما لم يقبل المتمردون من الكفار ما جاءهم به من الدعاء إلى الخير، وصمّموا على كفرهم، أمره الله سبحانه أن يردّ الأمر إليه، فقال: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ عَـٰلِمَ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾.

وقد تقدّم تفسير فاطر السمٰوات، وتفسير عالم الغيب والشهادة، وهما منصوبان على النداء، ومعنى ﴿تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ﴾: تجازي المحسن بإحسانه، وتعاقب المسيء بإساءته، فإنّه بذلك يظهر من هو المحقّ ومن هو المبطل، ويرتفع عنده خلاف المختلفين وتخاصم المتخاصمين.

ثم لما حكى عن الكفار ما حكاه من الاشمئزاز عند ذكر الله، والاستبشار عند ذكر الأصنام ذكر ما يدلّ على شدّة عذابهم وعظيم عقوبتهم، فقال: ﴿وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾؛ أي: جميع ما في الدنيا من الأموال والذخائر ﴿وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ﴾؛ أي: منضماً إليه ﴿لَٱفْتَدَوْاْ بِهِۦ مِن سُوٓءِ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾؛ أي: من سوء عذاب ذلك اليوم، وقد مضى تفسير هذا في آل عمران.

﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُواْ يَحْتَسِبُونَ﴾؛ أي: ظهر لهم من عقوبات الله وسخطه، وشدّة عذابه ما لم يكن في حسابهم، وفي هذا وَعِيدٌ عظيم[٢] وتهديد بالغ، وقال مجاهد[٣]: عملوا أعمالاً توهمّوا أنها حسنات، فإذا هي سيئات، وكذا قال السدّي[٤].

---

(١) «روح المعاني» (٢٣/ ٤٥٠).
(٢) «روح المعاني» (٢٣/ ٤٥٢)، و«تفسير أبي السعود» (٥/ ٦٠٤ ـ ٦٠٥).
(٣) «معالم التنزيل» (٧/ ١٢٤)، و«الوسيط» (٣/ ٥٨٥)، و«روح المعاني» (٢٣/ ٤٥٢).
(٤) انظر: المصادر المتقدمة.

وقال سفيان الثوري[1]: ويل لأهل الرياء ويل لأهل الرياء ويل لأهل الرياء هذه آيتهم، وقصتهم.

وقال عكرمة[2] بن عمار[3]: جزع محمد بن المنكدر عند موته جزعاً شديداً، فقيل له: ما هذا الجزع؟ قال: أخاف آيةً مِنْ كتاب الله ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُواْ يَحْتَسِبُونَ﴾، فأنا أخشى أن يبدو لي ما لم أكن أحتسب ﴿وَبَدَا لَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُواْ﴾؛ أي: مساويء أعمالهم من الشرك وظلم أولياء الله، و «ما» يحتمل أن تكون مصدرية[4]؛ أي: سيئات كسبهم، وأن تكون موصولة؛ أي: سيئات الذي كسبوه ﴿وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾؛ أي: أحاط بهم، ونزل بهم ما كانوا يستهزئون به من الإنذار الذي كان ينذرهم به رسول الله ﷺ.

وقد أخرج ابنُ مردويه[5] عن ابن عباس في قوله: ﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ﴾ الآية قال: قست ونفرت ﴿قُلُوبُ﴾ هؤلاء الأربعة ﴿ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ أبو جهل بن هشام والوليد بن عقبة، وصفوان وأُبيّ بن خلف ﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ﴾ اللّات والعزى ﴿إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾.

وأخرج مسلم، وأبو داود، والبيهقي في «الأسماء والصفات» عن عائشة[6] قالت: «كان رسول الله ﷺ إذا قام من الليل افتتح صلاته: اللّٰهُمَّ ربّ جبريل، وميكائيل، وإسرافيل فاطر السمٰاوات والأرض، عالم الغيب والشهادة، [٤/١٩] أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدني لما اختُلف فيه من الحقّ بإذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم».

---

(١) ذكره الزمخشري في «الكشاف» (٣/ ٤٠١).
(٢) ذكره ابن عطية في «المحرر الوجيز» (١٤/ ٩٢).
(٣) هو: عكرمة بن عمار العجلي، أبو عمار اليمامي، بصري الأصل، الحافظ، من حملة الحجة وأوعية الصدق (ت١٥٩هـ).
«سير أعلام النبلاء» (٧/ ١٣٤)، و«تهذيب التهذيب» (٧/ ٢٦١).
(٤) «روح المعاني» (٢٣/ ٤٥٢).
(٥) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٢٣٣).
(٦) أخرجه مسلم رقم (٧٧٠)، وأبو داود رقم (٧٦٧)، والبيهقي رقم (١٣٨).

﴿فَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَٰهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍۭ ۚ بَلْ هِىَ فِتْنَةٌ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٩﴾ قَدْ قَالَهَا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٥٠﴾ فَأَصَابَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟ ۚ وَٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْ هَٰٓؤُلَآءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟ وَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٥١﴾ أَوَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ وَٱتَّبِعُوٓا۟ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ﴿٥٦﴾ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِى كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ بَلَىٰ قَدْ جَآءَتْكَ ءَايَٰتِى فَكَذَّبْتَ بِهَا وَٱسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٩﴾ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾ وَيُنَجِّى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦١﴾﴾.

[حمل المصنف لفظ الإنسان هنا على الجنس]:

قوله: ﴿فَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ﴾ المراد بالإنسان هنا: الجنس باعتبار بعض أفراده أو غالبها، وقيل: المراد به: الكفّار فقط، والأوّل أولى، ولا يمنع من حمله على الجنس خصوص سببه؛ لأنّ الاعتبار بعموم اللفظ، وفاءً بحقّ النظم القرآني ووفاءً بمدلوله، والمعنى: أن شأن غالب نوع الإنسان أنّه إذا مسّه ضرّ من مرض أو فقر أو غيرهما دعا الله وتضرع إليه في رفعه ودفعه ﴿ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَٰهُ نِعْمَةً مِّنَّا﴾؛ أي: أعطيناه نعمةً كائنة من عندنا ﴿قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ منّي بوجوه المكاسب أو على خير عندي، أو على علمٍ من الله بفضلي.

وقال الحسن(١): على علم علمنّي الله إياه، وقيل: قد علمت أني إذا أوتيت

(١) «النكت والعيون» (٥/ ١٣٠)، و«معاني القرآن» للنحاس (٦/ ١٨٢ ـ ١٨٣)، و«المحرر الوجيز» (١٤/ ٩٣).

هذا في الدنيا أنّ لي عند الله منزلةً، وجاء بالضمير في أوتيته مذكراً مع كونه راجعاً إلى النعمة؛ لأنها بمعنى: الإنعام.

وقيل: إنّ الضمير عائد إلى ما، وهي: موصولة، والأوّل أولى ﴿بَلْ هِىَ فِتْنَةٌ﴾ هذا ردّ لما قاله؛ أي: ليس ذلك الذي أعطيناك لما ذكرت، بل هو محنة لك، واختبار لحالك أتشكر أم تكفر؟ قال الفراء[١]: أنّث الضمير في قوله: «هي» لتأنيث الفتنة، ولو قال: بل هو فتنة لجاز.

وقال النحاس[٢]: بل عطيتّهُ فتنة. وقيل: تأنيث الضمير[٣] باعتبار لفظ الفتنة، وتذكير الأوّل في قوله: ﴿أُوتِيتُهُۥ﴾ باعتبار معناها: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أن ذلك استدراج لهم من الله، وامتحان لما عندهم من الشكر أو الكفر ﴿قَدْ قَالَهَا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾؛ أي: قال هذه الكلمة التي قالوها، وهي قولهم: إنما أوتيته على علم[٤] الذين من قبلهم كقارون وغيره، فإن قارون قال: ﴿إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ﴾ [القصص: ٧٨].

﴿فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ يجوز أن تكون «ما» هذه نافية؛ أي: لم يغن عنهم ما كسبوا مِنْ متاع الدنيا شيئاً، وأن تكون استفهامية[٥]؛ أي: أيّ شيء أغنى عنهم ذلك؟ ﴿فَأَصَابَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟ۚ﴾؛ أي: جزاء سيئات كسبهم، أو أصابهم سيئات هي جزاء كسبهم، وسُمّي الجزاء سيئات لوقوعها في مقابلة سيئاتهم، فيكون ذلك من باب المشاكلة كقوله: ﴿وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾ [الشورى: ٤٠].

ثم أوعد سبحانه الكفار في عصره، فقال: ﴿وَٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ الموجودين من الكفار ﴿سَيُصِيبُهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟﴾ كما أصاب من قبلهم، وقد أصابهم في الدنيا ما أصابهم مِنْ القحط والقتل والأسر والقهر ﴿وَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ﴾؛ أي: بفائتين على الله بل مرجعهم إليه يصنع بهم ما شاء من العقوبة ﴿أَوَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ﴾؛ أي: يُوسّع الرزق لمن يشاء أن يوسعه له ﴿وَيَقْدِرُۚ﴾؛ أي: يقبضه لمن يشاء أن يقبضه ويضيقه عليه.

---

(١) في «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٤٢٠). (٢) في «إعراب القرآن» (٤/ ١٥).
(٣) «روح المعاني» (٢٣/ ٤٥٢).
(٤) «الجامع لأحكام القرآن» (١٨/ ٢٩٣).
(٥) «إعراب القرآن» للنحاس (٤/ ١٥).

قال مقاتل[١]: وعظهم الله، ليعتبروا في توحيده، وذلك حين مطروا بعد سبع سنين، فقال: أو لم يعلموا أن الله يُوسّع الرزق لمن يشاء ويقتر على من يشاء ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ﴾؛ أي: في ذلك المذكور لدلالات[٢] عظيمة، وعلامات جليلة ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ وخصّ المؤمنين؛ لأنّهم المنتفعون بالآيات المتفكرون فيها.

[أرجا آية في القرآن لاشتمالها على أعظم بشارة]:

ثم لما ذكر سبحانه ما ذكره من الوعيد عقّبه بذكر سعة رحمته، وعظيم مغفرته، وأمر رسوله ﷺ: أنْ يبشّرهم بذلك، فقال: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ﴾ المراد بالإسراف: الإفراطُ في المعاصي والاستكثار منها ومعنى لا تقنطوا: لا تيأسوا مِنْ رحمة الله من مغفرته.

ثم لما نهاهم عَنْ القنوط أخبرهم بما يدفع ذلك ويرفعه ويجعل الرجاء مكان القنوط، فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾.

واعلم أنّ هذه الآية أرجا آية في كتاب الله سبحانه لاشتمالها على أعظم بشارة، فإنّه أوّلاً أضاف العباد إلى نفسه لقصد تشريفهم، ومزيد تبشيرهم، ثم وصفهم بالإسراف في المعاصي، والاستكثار من الذنوب.

ثم عقّب ذلك بالنّهي عن القنوط من الرحمة لهؤلاء المستكثرين من الذنوب، فالنهيُّ عن القنوط للمذنبين غير المسرفين من باب الأولى، وبفحوى[٣] الخطاب، ثم جاء بما لا يبقي بعده شك، ولا يتخالج القلب عند سماعه ظنّ، فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ﴾، فالألف، واللّام قد صيرت الجمع الذي دخلت عليه للجنس الذي يستلزم استغراق أَفراده، فهو في قوّة إنّ الله يغفر كلّ ذنب كائناً ما كان[٤]، إلا ما

---

(١) ذكره الواحدي في «الوسيط» (٣/ ٥٨٦).

(٢) «روح المعاني» (٢٣/ ٤٥٥). (٣) تقدم تعريفه.

(٤) والظاهر إطلاقُ الحكم فيما عدا الشرك، ويشهد للإطلاق أمور منها:

١ ـ نداؤهم بعنوان العبودية، فإنها تقتضي المذلّة وهي أنسبُ بحال العاصي إذا لم يتُبْ، واقتضاؤها للترحُّم الظاهر.

٢ ـ الاختصاص الذي تُشعر به الإضافةُ إلى ضميره تعالى، فإنَّ السيد من شأنه أن يرحم عبده ويشفق عليه.

٣ ـ تخصيص ضرر الإسراف، المشعرة به (على) بأنفسهم فكأنه قيل: ضررُ الذنوب عائدٌ عليهم لا عليَّ، فيكفي ذلك من غير ضرر آخر، كما في المثل: أحسِنْ إلى من أساء كفى =

أخرجه النصّ القرآني، وهو: الشرك ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨، ١١٦]، ثُمّ لم يكتف بما أخبر عباده به مِنْ مغفرة كل ذنب، بل أكد ذلك بقوله: ﴿جَمِيعًا﴾ فيا لها من بشارة ترتاح لها قلوب المؤمنين المحسنين ظنِّهم بربهم الصادقين في رجائه، الخالعين لثياب القنوط الرافضين لسوء الظنّ بمن لا يتعاظمه ذنب، ولا يبخل بمغفرته، ورحمته على عباده المتوجهين إليه في طلب العفو الملتجئين به في مغفرة ذنوبهم.

[المصنف يشنع على المقنطين المنفرين]:

وما أحسن ما علَّل سبحانه به هذا الكلام قائلاً: إنه هو الغفور الرحيم؛ أي: كثير المغفرة، والرحمة عظيمهما بليغهما واسعهما، فمن أَبى هذا التفضّل العظيم،

= المسيء إساءتُه.

٤ ـ النهيُ عن القنوط مطلقاً عن الرحمة، فضلاً عن المغفرة وإطلاقها.

٥ ـ إضافة الرحمة إلى الاسم الجليل المحتوي على جميع معاني الأسماء على طريق الالتفات، فإنَّ ذلك ظاهر في سعتها، وهو ظاهر في شمولها التائب وغيره.

٦ ـ التعليل بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ﴾ إلخ، فإن التعليل يحسُن مع الاستبعاد، وترك القنوط من الرحمة مع عدم التوبة أكثر استبعاداً من تركه مع التوبة.

٧ ـ وضع الاسم الجليل فيه موضع الضمير لإشعاره بأنّ المغفرة من مقتضيات ذاته لا لشيء آخر من توبةٍ أو غيرها.

٨ ـ تعريف الذنوب، فإنّه في مقام التمدُّح ظاهر في الاستغراق، فتشمل الذنب الذي تعقبه التوبة والذي لا تعقبهُ.

٩ ـ التأكيد بالجميع.

١٠ ـ التعليل بـ «إنه هو».

١١ ـ التعبير بالغفور، فإنَّه صيغة مبالغةٍ، وهي إن كانت باعتبار الكم شملت المغفرة جميع الذنوب، أو باعتبار الكيف شملت الكبائر بدون توبة.

١٢ ـ حذف معمول «الغفور» فإنَّ في حذف المعمول يفيد العموم.

١٣ ـ إفادةُ الجملة الحصرَ، فإنّ من المعلوم أنَّ الغفران قد يوصف به غيره تعالى، فالمحصور فيه سبحانه إنّما هو الكامل العظيم، وهو ما يكون بلا توبة.

١٤ ـ المبالغة في ذلك الحصر.

١٥ ـ الوعد بالرحمة بعد المغفرة، فإنّه مشعرٌ بأن العبد غير مستحق المغفرة لولا رحمته، وهو ظاهرٌ فيما إذا لم يتب.

١٦ ـ التعبيرُ بصيغة المبالغة فيها.

١٧ ـ إطلاقها.

والعطاء الجسيم، وظنّ أنّ تقنيط عباد الله، وتأييسهم من رحمته أولى بهم مما بشرهم الله به، فقد ركب أعظم الشطط، وغلط أقبح الغلط، فإن التبشير، وعدم التقنيط هو الذي جاءت به مواعيد الله في كتابه العزيز، والمسلك الذي سلكه رسوله ﷺ كما صح عنه مِنْ قوله: «يسِّروا ولا تعسِّروا وبشِّروا ولا تنفِّروا»(١).

وإذا تقرّر لك هذا، فاعلم أن الجمع بين هذه الآية، وبين قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨، ١١٦] هو: أن كلّ ذنب كائناً ما عدا الشرك بالله مغفور لمن شاء الله أن يغفر له على أنه يمكن أن يقال: إن إخباره لنا بأنه يغفر الذنوب جميعاً يدل على أنه يشاء غفرانها جميعاً، وذلك يستلزم: أنه يشاء المغفرة لكلّ المذنبين من المسلمين، فلم يبق بين الآيتين تعارض من هذه الحيثية.

وأما ما يزعمه جماعة مِنْ المفسرين من تقييد هذه الآية بالتوبة، وأنها لا تغفر إلا ذنوب التائبين، وزعموا أنهم قالوا ذلك للجمع بين الآيات.

فهو: جمع بين الضبِّ(٢)، والنون، وبين الملاّح، والحادي، وعلى نفسها براقش(٣) تَجْني، ولو كانت هذه البشارة العظيمة مقيدة بالتوبة لم يكن لها كثير موقع، فإنّ التوبة مِنْ المشرك يغفر الله له بها ما فعله من الشرك بإجماع المسلمين، وقد قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨، ١١٦]، فلو كانت التوبة(٤) قيداً في المغفرة لم يكن للتنصيص على الشرك فائدة.

وقد قال سبحانه: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ﴾ [الرعد: ٦] قال الواحدي(٥): المفسِّرون كلهم قالوا: إن هذه الآية في قوم خافوا إن أسلموا أن

---

(١) أخرجه أحمد (٣/ ١٣١)، والبخاري رقم (٦٩) كلاهما من حديث أنس.
وأخرجه مسلم رقم (٩٦/ ١٧٣٢)، وأبو داود رقم (٤٨٣٥) كلاهما من حديث أبي موسى الأشعري.

(٢) تقدم شرح المثل.

(٣) كانت براقش كلبة لقوم من العرب، فأُغير عليهم، فهربوا ومعهم براقش، فاتَّبع القوم آثارهم بنُباح براقش، فهجموا عليهم فاصطلموهم وهو مثل: يضرب لمن يعمل عملاً يرجع ضرره إليه. وقيل غير ذلك.
«مجمع الأمثال» للميداني (٢/ ٣٣٧ ـ ٣٣٨ رقم ٢٤٢٧).

(٤) تقدم ذكره.

(٥) في «الوسيط» (٣/ ٥٨٦ ـ ٥٨٧)، وانظر: «أسباب النزول» (ص٣٤٩ ـ ٣٥٠).

لا يغفر لهم ما جنوا من الذنوب العظام، كالشرك، وقتل النفس، ومعاداة النبي ﷺ.

قلتُ: هب أنّها في هؤلاء القوم، فكان ماذا؟، فإن الاعتبار بما اشتملت عليه من العموم لا بخصوص السبب كما هو متفق عليه بين أهل العلم، ولو كانت الآيات القرآنية والأحاديث النبوية مقيدة بأسبابها غير متجاوزة لها لارتفعت أكثر التكاليف عَنْ الأمة، إنْ لم ترتفع كلها واللازم باطل بالإجماع فالملزوم مثله.

وفي السُّنَّة المطهرة من الأحاديث الثابتة في «الصحيحين»، وغيرهما في هذا الباب ما إن عرفه المطّلع عليه حقّ معرفته، وقدّره حقّ قدره علم صحة ما ذكرناه، وعرف حقية ما حررناه.

قرأ الجمهور[1]: «يا عبادي» بإثبات الياء، وصلاً، ووقفاً.

وروى أبو بكر عَنْ عاصم[2]: أنَّه يقف بغير ياء. وقرأ الجمهور[3]: «تقنَطوا» بفتح النون، وقرأ أبو عمرو[4]، والكسائي بكسرها ﴿وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ وَأَسۡلِمُواْ لَهُۥ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلۡعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾؛ أي: ارجعوا إليه بالطاعة لما بشّرهم سبحانه بأنّه يغفر الذنوب جميعاً، أمرهم بالرجوع إليه بفعل الطاعات واجتناب المعاصي، وليس في هذا ما يدلّ على تقييد الآية الأولى بالتوبة لا بمطابقة ولا تضمن[5] ولا التزام، بل غاية ما فيها أنّه بشّرهم بتلك البشارة العظمى.

ثم دعاهم إلى الخير وخوّفهم من الشرّ على أنه يمكن أَنْ يقال: إنَّ هذه الجملة مستأنفة خطاباً للكفار الذين لم يسلموا بدليل قوله: ﴿وَأَسۡلِمُواْ لَهُۥ﴾ جاء بها لتحذير الكفار، وإنذارهم بعد ترغيب المسلمين بالآية الأولى، وتبشيرهم، وهذا وإنْ كان بعيداً ولكنّه يمكن أن يقال به.

---

(١) «البحر المحيط» (٩/ ٢١١)، و«التيسير» (ص١٩٠)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (٢/ ٥٢٣). الجمهور يقرأون هذا الحرف بفتح الياء وصلاً واسكانها وقفاً وقرأ أهل الكوفة عدا عاصم بإسكان الياء وتحذف وصلاً لا وقفاً «النشر» (٢/ ١٧٠).

(٢) «تفسير الرازي» (٢٧/ ٥)، و«حاشية الجمل» (٣/ ٥٠٦).

(٣) «البحر المحيط» (٥/ ٤٥٩)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (٢/ ٣١)، و«التيسير» (ص١٣٦).

(٤) انظر: المصادر المتقدمة.

(٥) انظر: «إرشاد الفحول» (ص٥٨٧)، و«شرح الكوكب المنير» (٣/ ٤٧٤).

والمعنى على ما هو الظاهر: أَنّ اللهَ جمع لعباده بين التبشير[١] العظيم، والأمر بالإنابة إليه والإخلاص له، والاستسلام لأمره والخضوع لحكمه.

وقوله: ﴿مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ﴾؛ أي: عذاب الدنيا كما يفيده قوله: ﴿مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ﴾، فليس في ذلك ما يدلّ على ما زعمه الزاعمون، وتمسك به القانطون المقنطون، والحمد لله رب العالمين. ﴿وَٱتَّبِعُوٓاْ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم﴾؛ يعني: القرآن، يقول: أحلُّوا حلالَه وحرَّموا حرامه، والقرآن كله حسن.

قال الحسن[٢]: التزموا طاعته، واجتنبوا معاصيه.

وقال السدّي[٣]: الأحسن ما أمر الله به في كتابه.

وقال ابن زيد[٤]: يعني: المحكمات، وكّلوا علم المتشابه إلى عالمه.

وقيل: الناسخ دون المنسوخ، [٤/٢٠] وقيل: العفو دون الانتقام بما يحق فيه الانتقام.

وقيل: أحسن ما أنزل إليكم من أخبار الأمم الماضية ﴿مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾؛ أي: من قبل أن يفاجئكم العذاب وأنتم غافلون عنه لا تشعرون به، وقيل: أراد أنّهم يموتون بغتةً فيقعون في العذاب. والأوّل أولى؛ لأنّ الذي يأتيهم بغتة هو: العذاب في الدنيا بالقتل والأسر والقهر والخوف والجدْب لا عذاب الآخرة ولا الموت؛ لأنه لم يسند الإتيان إليه ﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ﴾ قال البصريون[٥]: أي: حذراً أن تقول.

وقال الكوفيون[٦]: لئلاّ تقول. قال المبِّرد[٧]: بادروا خوف أن تقول، أو حذراً من أن تقول نفس.

وقال الزجاج[٨]: خوف أن تصيروا إلى حال تقولون فيها: يا حسرتا على ما

---

(١) تقدم ذكره.
(٢) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٨/ ٢٩٧)، والبغوي في «تفسيره» (٧/ ١٢٨).
(٣) ذكره الواحدي في «الوسيط» (٣/ ٥٨٨)، والبغوي في «تفسيره» (٧/ ١٢٨).
(٤) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٨/ ٢٩٧).
(٥) «إعراب القرآن» للنحاس (٤/ ١٧).
(٦) ذكره النحاس في «إعراب القرآن» (٤/ ١٧).
(٧) ذكره الواحدي في «الوسيط» (٣/ ٥٨٨). (٨) في «معاني القرآن وإعرابه» (٤/ ٣٥٩).

فرّطت في جنب الله، قيل: والمراد بالنفس هنا: النفس الكافرة، وقيل: المراد به التكثير كما في قوله: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ﴾ [التكوير: ١٤] قرأ الجمهور[١]: «يا حسرتا» بالألف بدلاً من الياء المضاف إليها، والأصل يا حسرتي، وقرأ ابن كثير[٢]: «يا حسرتاه» بهاء السكت وقفاً، وقرأ أبو جعفر[٣]: «يا حسرتي» بالياء على الأصل.

والحسرة: الندامة، ومعنى ﴿عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ﴾: على ما فرّطت في طاعة الله، قاله الحسن[٤].

وقال الضحاك[٥]: على ما فرّطت في ذكر الله، ويعني به: القرآن، والعمل به.

وقال أبو عبيدة[٦]: ﴿فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: في ثواب الله.

وقال الفراء[٧]: الجنب: القربُ، والجوار؛ أي: في قرب الله، وجواره، ومنه قوله: ﴿وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ﴾ [النساء: ٣٦]، والمعنى على هذا القول، على ما فرّطت في طلب جنب الله؛ أي: في طلب جواره، وقربه، وهو: الجنة، وبه قال ابن الأعرابي[٨].

وقال الزجاج[٩]: أي: فرّطت في الطريق الذي هو: طريق الله من توحيده،

---

(١) «البحر المحيط» (٩/٢١٣)، و«روح المعاني» (٢٣/٤٦٣)، و«النشر» (٢/١٣٦).
(٢) «البحر المحيط» (٩/٢١٣)، و«روح المعاني» (٢٣/٤٦٣)، و«النشر» (٢/١٣٦). قراءة الجمهور متواترة، وكذا قراءة أبي جعفر «حسرتاي» بألف بعد التاء وياء مفتوحة وسكنها عَنْه ابن وردان في أحد وجهيه وما ذكره عن أبي جعفر أنه قرأ «يا حسريّ» رواية شاذة عنه وقرأ رويس (حسرتاه) وقفاً فقط وهي قراءة متواترة، وما ذكره عن ابن كثير رواية شاذة عَنه. انظر: «تخريج القراءات في فتح القدير» (ص٣٤٠).
(٣) «المحتسب» (٢/٢٣٧)، و«البحر المحيط» (٩/٢١٣).
(٤) ذكره البغوي في «تفسيره» (٧/١٢٩).
(٥) ذكره النحاس في «إعراب القرآن» (٤/١٧).
(٦) في «مجاز القرآن» (٢/١٩٠).
(٧) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٨/٢٩٩).
(٨) ذكره الواحدي في «الوسيط» (٣/٥٨٩).
● وابن الأعرابي هو: أبو عبد الله محمد بن زياد الأعرابي الأنباري اللغوي، توفي سنة (٢٣١هـ).
(٩) في «معاني القرآن وإعرابه» (٤/٣٥٩).

والإقرار بنبوّة رسول الله ﷺ، وعلى هذا، فالجنب بمعنى: الجانب؛ أي: قصرت في الجانب الذي يؤدّي إلى رضا الله، ومنه قول الشاعر:

النَّاسُ جَنبٌ والأميرُ جَنبُ[١]

أي: الناس من جانب، والأمير من جانب ﴿وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ﴾؛ أي: وما كنت إلا من المستهزئين بدين الله في الدنيا، ومحل الجملة النصب على الحال.

قال قتادة[٢]: لم يكفه أن ضيع طاعة الله حتى سخر من أهلها.

﴿أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾؛ أي: لو أن الله أرشدني إلى دينه لكنت ممن يتقي الشرك، والمعاصي، وهذا من جملة ما يحتج[٣] به المشركون من الحجج الزائفة، ويتعلّلون به من العلل الباطلة كما في قوله: ﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا﴾ [الأنعام: ١٤٨]، فهي: كلمة حقّ يريدون بها باطلاً.

ثم ذكر سبحانه مقالة أخرى ممّا قالوا، فقال: ﴿أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِى كَرَّةً﴾؛ أي: رجعة إلى الدنيا ﴿فَأَكُونَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ المؤمنين بالله الموحدين له، المحسنين في أعمالهم، وانتصاب[٤] «أكون» إما لكونه معطوفاً على «كرّة» فإنّها مصدر، وأكون في تأويل المصدر كما في قول الشاعر[٥]:

لَلُبسُ عباءةٍ وتقرَّ عيني ... أحبُّ إليّ من لبسِ الشُّفوفِ

وأنشد الفرّاء[٦] على هذا:

فما لك منها غيرُ ذِكرى وخَشْيةٍ ... وتسألُ عن رُكبانِها أينَ يَمَّموا

وإما لكونه جواب التمني المفهوم من قوله: ﴿لَوْ أَنَّ لِى كَرَّةً﴾.

---

(١) وصدر البيت:
قُسِمَ مَمْهُوداً لِذاكَ القَلْبُ
«معاني القرآن» للأخفش (١/ ٤٤٦).

(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/ ٢٣٤) بسند صحيح.

(٣) «روح المعاني» (٢٣/ ٤٦٦ ـ ٤٦٧)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٨/ ٣٠٠).

(٤) «روح المعاني» (٢٣/ ٤٦٦)، و«البحر المحيط» (٩/ ٢١٤).

(٥) هو: ميسون بنت بحدل الكلبية. «إعراب القرآن» للنحاس (٤/ ١٨).

(٦) في «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٤٢٣).

ثم ذكر سبحانه جوابه على هذه النفس المتمنية المتعللة بغير علّة، فقال: ﴿بَلَىٰ قَدْ جَآءَتْكَ ءَايَٰتِى فَكَذَّبْتَ بِهَا وَٱسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾.

المراد بالآيات هي: الآيات التنزيلية[(١)]، وهو: القرآن، ومعنى التكذيب بها قوله: إنِّها ليس من عند الله، وتكبّر عن الإيمان بها، وكان مع ذلك التكذيب والاستكبار من الكافرين بالله. وجاء سبحانه بخطاب المذكر في قوله: جاءتك وكذّبت، واستكبرت وكنت؛ لأن النفس تطلق على المذكر، والمؤنث.

قال المبرد[(٢)]: تقول العرب: نفس واحد؛ أي: إنسان واحد، وبفتح التاء في هذه المواضع قرأ الجمهور[(٣)]. وقرأ الجحدري، وأبو حيوة، ويحيى بن يعمر بكسرها[(٤)] في جميعها، وهي قراءة أبي بكر وابنته عائشة، وأمّ سلمة، ورويت عن ابن كثير.

﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ﴾؛ أي: ترى الذين كذبوا على الله بأن له شركاء وصاحبةً، وولداً وجوههم مسودّة لما أحاط بهم من العذاب وشاهدوه من غضب الله ونقمته، وجملة: ﴿وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ﴾ في محل نصب[(٥)] على الحال.

قال الأخفش[(٦)]: ترى غير عامل في وجوههم مسودّة، إنما هو: مبتدأ وخبر، والأولى أنّ ترى إنْ كانت من الرؤية البصرية، فجملة: ﴿وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ﴾ حالية، وإن كانت قلبية، فهي في محل نصب على أنها المفعول الثاني لترى، والاستفهام في قوله: ﴿أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ للتقرير؛ أي: أليس فيها مقام للمتكبرين عن طاعة الله؟ والكبر هو: بَطَر الحقّ، وغَمْط النّاس كما ثبت في الحديث الصحيح[(٧)] ﴿وَيُنَجِّى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟﴾؛ أي: اتقوا الشرك ومعاصي الله، والباء في ﴿بِمَفَازَتِهِمْ﴾

---

(١) «روح المعاني» (٢٣/ ٤٦٧ ـ ٤٦٨).
(٢) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٨/ ٣٠٢).
(٣) «البحر المحيط» (٩/ ٢١٥)، و«روح المعاني» (٢٣/ ٤٦٨).
(٤) «القراءات الشاذة» (ص١٣١). هي قراءة شاذة، ورواية شاذة عن ابن كثير والمتواتر بالفتح.
(٥) «روح المعاني» (٢٣/ ٤٦٩)، و«التبيان» (٢/ ١١١٢)، و«الفريد» (٤/ ١٩٧).
(٦) في «معاني القرآن» للأخفش (٢/ ٦٧٢).
(٧) أخرجه أحمد (١/ ٣٨٥)، ومسلم رقم (٩١/ ١٤٧)، والترمذي رقم (١٩٩٩) وقال: «هذا حديث حسن صحيح».

متعلقة بمحذوف هو: حال من الموصول[١]؛ أي: ملتبسين بمفازتهم.

قرأ الجمهور[٢]: «بمفازتهم» بالإفراد على أنها مصدر ميميّ، والفوز: الظفر بالخير، والنجاة من الشرّ. قال المبرد[٣]: المفازة مفعلة من الفوز، وهو: السعادة، وإنْ جمع فحسن كقولك: السعادة، والسعادات.

والمعنى: ينجيهم الله بفوزهم؛ أي: بنجاتهم من النار، وفوزهم بالجنة. وقرأ حمزة[٤]، والكسائي، وأبو بكر: «بمفازاتهم» جمع مفازة، وجمعها مع كونها مصدراً لاختلاف الأنواع، وجملة: ﴿لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ﴾ في محل نصب على الحال من الموصول[٥]، وكذلك جملة: ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ في محل نصب على الحال؛ أي: ينفي السوء، والحزن عنهم، ويجوز أن تكون الباء في بمفازتهم للسببية؛ أي: بسبب فوزهم مع انتفاء مساس السوء لهم، وعدم وصول الحزن إلى قلوبهم؛ لأنهم رضوا بثواب الله، وأَمِنوا من عقابه.

وقد أخرج ابن أبي حاتم قال السيوطي[٦] بسند صحيح، وابن مردويه عن ابن عباس[٧] قال: أنزلت ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟﴾ الآية في مشركي أهل مكة.

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، والطبراني، والحاكم وصححه، وابن مردويه، والبيهقي في «الدلائل» عن ابن عمر[٧] قال: كنا نقول: ليس لمُفْتَتِنٍ توبة، وما الله بقابل منه شيئاً، عرفوا الله، وآمنوا به، وصدقوا رسوله، ثم رجعوا عن ذلك لبلاء أصابهم، وكانوا يقولونه لأنفسهم، فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة أنزل الله فيهم ﴿يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟﴾ الآيات؛ قال ابن عمر: فكتبتها بيدي، ثم بعثت بها إلى هشام بن العاصي.

وأخرج ابن أبي حاتم، وابن مردويه عن أبي سعد[٨] قال: لما أسلم

---

(١) «الفريد» (٤/ ١٩٧)، و«التبيان» (٢/ ١١١٢).
(٢) «التيسير» (ص١٩٠)، و«النشر» (٢/ ٣٦٣)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (٢/ ٢٤٠).
(٣) ذكره الواحدي في «الوسيط» (٣/ ٥٩٠).
(٤) «التيسير» (ص١٩٠)، و«البحر المحيط» (٩/ ٢١٦)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٨/ ٣٠٣).
(٥) «الفريد» (٤/ ١٩٧)، و«التبيان» (٢/ ١١١٢).
(٦) في «الدر المنثور» (٧/ ٢٣٥).
(٧) عزاه إليهما السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٢٣٥).
(٨) عزاه إليهما السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٢٣٥).

وحشي أنزل الله: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ [الفرقان: ٦٨] قال وحشيّ وأصحابه: قد ارتكبنا هذا كله، فأنزل الله ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا۟﴾ الآية.

وأخرج البخاري في «الأدب المفرد» عن أبي هريرة[١] قال: «خرج النبي ﷺ على رهط من أصحابه وهم يضحكون ويتحدّثون، فقال: والذي نفسي بيده لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً، ثم انصرف، وأبكى القوم، وأوحى الله إليه: يا محمّد لم تُقنِّط عبادي فرجع النبي ﷺ، فقال: أبشروا وسدّدوا وقاربوا».

وأخرج ابن مردويه، والبيهقي في «سننه» عن عمر بن الخطاب[٢]: أنها نزلت، فيمن أفتن.

وأخرج ابن جرير، وابن مردويه عن ابن عباس[٣]: أنها نزلت في مشركي مكة لما قالوا: إن الله لا يغفر لهم ما قد اقترفوه من الشرك وقتل الأنفس وغير ذلك.

وأخرج أحمد، وابن جرير، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، والبيهقي في «الشعب» عن ثوبان[٤]: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما أحبّ أن لي الدنيا، وما فيها بهذه الآية ﴿يَٰعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ إلى آخر الآية، فقال رجل: ومن أشرك؟، فسكت النبي ﷺ، قال: أَلَا، ومَنْ أشرك ثلاث مرات».

وأخرج أحمد، وعبد بن حميد، وأبو داود، والترمذي وحسنه، وابن المنذر، وابن الأنباري في المصاحف، والحاكم، وابن مردويه عن أسماء بنت يزيد[٥]:

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» رقم (٢٥٤). وهو حديث صحيح.
(٢) عزاه إليهما السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٢٣٦).
وأخرجه البيهقي في «السنن الكبرى» (٩/ ١٣، ١٤).
(٣) عزاه إليهما السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٢٣٦).
وأخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/ ٢٢٤، ٢٢٥) بسند ضعيف.
(٤) أخرجه أحمد في «مسنده» رقم (٢٢٣٦٢)، وابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/ ٢٢٩)، وابن مردويه كما في «تخريج أحاديث الكشاف» (٣/ ٢٠٥)، والبيهقي في «الشعب» رقم (٧١٣٧) بسند ضعيف.
(٥) أخرجه أحمد رقم (٢٧٥٦٩، ٢٧٥٩٦، ٢٧٦٠٦، ٢٧٦١٣)، وعبد بن حميد رقم (١٥٧٥ ـ «المنتخب»)، والترمذي رقم (٣٢٣٧)، والحاكم (٢/ ٢٤٩). وهو حديث ضعيف.

سمعت رسول الله ﷺ يقرأ: «يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً ولا يبالي إنّه هو الغفور الرحيم»(١).

وأخرج ابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن أبي الدنيا في «حسن الظن بالله»، وابن جرير، وابن أبي حاتم، والطبراني، والبيهقي في «الشعب» عن ابن مسعود(٢): أنه مرّ على قاصٍّ يذكر الناس، فقال: يا مذكر الناس لا تقنط الناس، ثم قرأ: ﴿يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ﴾ الآية.

وأخرج ابن جرير عن ابن سيرين(٣) قال: قال عليّ: أيّ آية أوسع؟، فجعلوا يذكرون آيات من القرآن ﴿وَمَن يَعۡمَلۡ سُوٓءًا أَوۡ يَظۡلِمۡ نَفۡسَهُۥ ثُمَّ يَسۡتَغۡفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا﴾ [النساء: ١١٠] الآية، ونحوها، فقال عليٌّ: ما في القرآن أوسع من ﴿يَٰعِبَادِيَ﴾ الآية.

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر عن ابن عباس(٤) في قوله: ﴿يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ﴾ الآية قال: قد دعا الله إلى مغفرته مَنْ زعم أن المسيح ابن الله، ومن زعم أن عزيراً ابن الله، ومَنْ زعم أنَّ الله فقير، ومَنْ زعم أن يد الله مغلولة، ومَنْ زعم أنَّ الله ثالث ثلاثة يقول لهؤلاء: ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسۡتَغۡفِرُونَهُۥۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [المائدة: ٧٤] ثُمّ دعا إلى توبته مَنْ هو أعظم قولاً من هؤلاء من قال: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾ [النازعات: ٢٤]، وقال: ﴿مَا عَلِمۡتُ لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرِي﴾ [القصص: ٣٨] قال ابنُ عباس: ومَنْ آيس العباد من التوبة بعد هذا، فقد جحد كتاب الله، ولكن لا يقدر العبد أن يتوب حتى يتوب الله عليه.

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن ابن عباس(٥) في قوله: ﴿أَن تَقُولَ نَفۡسٞ﴾ قال: أخبر الله ما العباد قائلون قبل أن يقولوا، وعلمهم قبل أن يعلموا.

---

(١) وهي قراءة شاذة لمخالفتها رسم المصحف. «القراءات الشاذة» (ص١٣٢).

(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/٢٢٨)، وابن أبي شيبة (١٣/١٨٥)، وابن أبي الدنيا في «حسن الظن بالله» رقم (٥٠)، وابن أبي حاتم كما في «تفسير ابن كثير» (١٢/١٤١)، والطبراني رقم (٨٦٣٥)، والبيهقي في «الشعب» رقم (١٠٥٣) بسند حسن.

(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/٢٢٨) من طريق ابن عُلَية، به.

(٤) عزاه إليهما السيوطي في «الدر المنثور» (٧/٢٣٨).

(٥) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/٢٣٦ ـ ٢٣٧) بسند صحيح.

﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ وَكِيلٞ ﴿٦٢﴾ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴿٦٣﴾ قُلۡ أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَأۡمُرُوٓنِّيٓ أَعۡبُدُ أَيُّهَا ٱلۡجَٰهِلُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعۡبُدۡ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦ وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾.

[الصيحة الأولى والصيحة الثانية]:

﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخۡرَىٰ فَإِذَا هُمۡ قِيَامٞ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾ وَأَشۡرَقَتِ ٱلۡأَرۡضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلۡكِتَٰبُ وَجِاْيٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِيَ بَيۡنَهُم بِٱلۡحَقِّ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ﴿٦٩﴾ وَوُفِّيَتۡ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا عَمِلَتۡ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِمَا يَفۡعَلُونَ ﴿٧٠﴾ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَآ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ [٢١/٤] يَتۡلُونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِ رَبِّكُمۡ وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَاۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنۡ حَقَّتۡ كَلِمَةُ ٱلۡعَذَابِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٧١﴾ قِيلَ ٱدۡخُلُوٓاْ أَبۡوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ فَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلۡمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٢﴾﴾.

قوله: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٖۖ﴾ مِنْ الأشياء الموجودة في الدنيا، والآخرة كائناً ما كان مِنْ غير فرق بين شيء، وشيء، وقَدْ تقدّم تفسير هذه الآية في الأنعام.

﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ وَكِيلٞ﴾؛ أي: الأشياء كلها موكولة إليه، فهو: القائم بحفظها وتدبيرها مِنْ غير مشارك له ﴿لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ﴾ المقاليد، واحدها مِقْليد، ومِقْلاد، أو لا واحد له مِنْ لفظه كأساطير، وهي: مفاتيح السماوات والأرض والرزق، والرحمة. قاله مقاتل(١) وقتادة(٢) وغيرهما.

وقال اللّيث(٣): المقلاد: الخزانة، ومعنى الآية: له خزائن السماوات،

---

(١) ذكره الواحدي في «الوسيط» (٣/ ٥٩١).

(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/ ٢٤٢) بسند صحيح.

(٣) ذكره الواحدي في «الوسيط» (٣/ ٥٩١ ـ ٥٩٢).

والأرض، وبه قال الضحاك[١]، والسدّي[٢].

وقيل: خزائن السمٰوات: المطر، وخزائن الأرض: النبات. وقيل: هي عبارة عن قدرته سبحانه وحفظه لها، والأوّل أولى.

قال الجوهري[٣]: الإقليد: المِفْتاح، ثم قال: والجمع المقاليد. وقيل: هي لا إلٰه إلا الله والله أكبر وسبحان الله وبحمده وأستغفر الله ولا حول ولا قوّة إلا بالله، وقيل غير ذلك ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾؛ أي: بالقرآن وسائر الآيات الدالة على الله سبحانه، وتوحيده.

ومعنى الخاسرون: الكاملون في الخُسْران؛ لأنهم صاروا بهذا الكفر إلى النار ﴿قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّيٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ﴾ الاستفهام[٤] للإنكار التوبيخي، والفاء للعطف على مقدّر كنظائره، و«غير» منصوب بأعبد، وأعبد معمول؛ لتأمرونّي على تقدير أَنْ المصدرية، فلما حذفت بطل عملها، والأصل: أفتأمروني أن أعبد غير الله؟ قاله الكسائي[٥] وغيره.

ويجوز أَنْ يكون «غير» منصوباً[٦] بتأمرونّي، و«أعبد» بدل منه بدل اشتمال[٧]، وأَنْ مضمرة معه أيضاً.

ويجوز أَنْ يكون «غير» منصوبة بفعل مقدر؛ أي: أفتلزموني غير الله؟ أي: عبادة غير الله، أو أعبد غير الله أعبد. أمره الله سبحانه أَنْ يقول هذا للكفار لما دعوه إلى ما هم عليه من عبادة الأصنام، وقالوا: هو دين آبائك.

قرأ الجمهور[٨]: «تأمرونِّي» بإدغام نون الرفع في نون الوقاية على خلاف بينهم في فتح الياء، وتسكينها.

---

(١) «الوسيط» للواحدي (٣/ ٥٩٢).
(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/ ٢٤٢) بسند حسن.
(٣) في «الصحاح» (٢/ ٥٢٨).
(٤) «روح المعاني» (٢٣/ ٤٧٨).
(٥) «إعراب القرآن» للنحاس (٤/ ٢٠).
(٦) «التبيان» (٢/ ١١١٣)، و«الفريد» (٤/ ١٩٨)، و«مشكل إعراب القرآن» (٢/ ٢٦٠).
(٧) «التبيان» (٢/ ١١١٣)، و«الفريد» (٤/ ١٩٨).
(٨) «التيسير» (ص١٩٠)، و«النشر» (٢/ ٣٦٤)، و«زاد المسير» (٧/ ١٩٥).

وقرأ نافع[١]: «تأمروني» بنون خفيفة، وفتح الياء، وقرأ ابن عامر[٢]: «تأمرونني» بالفك، وسكون الياء ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ﴾؛ أي: من الرسل ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ هذا الكلام من باب التعريض لغير الرسل؛ لأنّ الله سبحانه قد عصمهم عَنْ الشرك، ووجه إيراده على هذا الوجه التحذير، والإنذار للعباد من الشرك؛ لأنه إذا كان موجباً لإحباط عمل الأنبياء على الفرض والتقدير، فهو محبط لعمل غيرهم من أممهم بطريق الأولى.

قيل: وفي الكلام تقديم وتأخير، والتقدير: ولقد أُوحي إليك لئن أشركت، وأُوحي إلى الذين من قبلك كذلك.

قال مقاتل[٣]: أَي: أُوحي إليك وإلى الأَنْبياء قبلك بالتوحيد، والتوحيد محذوف، ثم قال: لئن أشركت يا محمد ليحبطن عملُك، وهو خطاب للنبي ﷺ خاصة.

وقيل: إفراد الخطاب[٤] في قوله: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ﴾ باعتبار كل واحد من الأنبياء كأنَّه قيل: أوحي إليك، وإلى كل واحد من الأنبياء هذا الكلام، وهو: لئن أشركت، وهذه الآية مقيدة بالموت على الشرك كما في الآية الأخرى ﴿وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ﴾ [البقرة: ٢١٧] وقيل: هذا خاص بالأنبياء؛ لأن الشرك منهم أعظم ذنباً من الشرك من غيرهم، والأوّل أولى.

ثم أمر الله سبحانه رسوله ﷺ بتوحيده، فقال: ﴿بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ﴾، وفي هذا ردّ على المشركين حيث أمروه: بعبادة الأصنام. ووجه الردّ ما يفيده التقديم من القصر.

قال الزجاج[٥]: لفظ اسم الله منصوب بـ﴿أَعْبُدُ﴾ قال: ولا اختلاف في هذا بين البصريين، والكوفيين.

---

(١) «التيسير» (ص١٩٠)، و«السبعة» (ص٥٦٣)، و«زاد المسير» (٧/ ١٩٥).
(٢) انظر: المصادر المتقدمة. كما قال الامام الأأن نافعاً ومعه أبو جعفر يفتحون الياء مع تَخفيف النون، وأن عامر له وجه ثاني بتشديد النون وسكون الياء كقراءة الجمهور وابن كثير يشدّد النون مع فتح الياء «النشر» (٢/ ٣٦٣).
(٣) ذكره الواحدي في «الوسيط» (٣/ ٥٩٢).
(٤) «الجامع لأحكام القرآن» (١٨/ ٣٠٧)، و«روح المعاني» (٢٣/ ٤٧٩).
(٥) في «معاني القرآن وإعرابه» (٤/ ٣٦١).

وقال الفراء[١]: هو منصوب بإضمار فعل، وروي مثله عن الكسائي[٢]، والأوّل أولى.

قال الزجاج[٣]: والفاء في: ف﴿فَٱعۡبُدۡ﴾ للمجازاة.

وقال الأخفش[٤]: زائدة. قال عطاء[٥]، ومقاتل: معنى فاعبد: وحّد؛ لأن عبادته لا تصح إلَّا بتوحيده ﴿وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ لإنعامه عليك بما هداك إليه من التوحيد، والدعاء إلى دينه، واختصّك به من الرسالة ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦ﴾ قال المبرد[٦]: أي: ما عظموه حق عظمته، من قولك: فلان عظيم القدر، وإنما وصفهم بهذا؛ لأنهم عبدوا غير الله وأمروا رسوله بأنْ يكون مثلهم في الشرك.

وقرأ الحسن، وأبو حيوة، وعيسى بن عمر: «قدّروا» بالتشديد[٧].

﴿وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ القبضة في اللغة[٨]: ما قبضت عليه بجميع كفك.

فأخبر سبحانه: عَنْ عظيم قدرته بأن الأرض كلها مع عظمها، وكثافتها في مقدوره كالشيء الذي يقبض[٩] عليه القابض بكفه كما يقولون: هو في يد فلان، وفي قبضته للشيء

(١) في «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٤٢٤).
(٢) ذكره النحاس في «إعرابه» (٤/ ٢١). (٣) في «معاني القرآن وإعرابه» (٤/ ٣٦١).
(٤) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٨/ ٣٠٧).
(٥) ذكره عنهما الواحدي في «الوسيط» (٣/ ٥٩٢).
(٦) ذكره النحاس في «إعراب القرآن» (٤/ ٢١).
(٧) «القراءات الشاذة» (ص١٣١)، و«البحر المحيط» (٩/ ٢١٧).
(٨) «تهذيب اللغة» (٨/ ٣٤٩)، و«الصحاح» (٣/ ١١٠٠).
(٩) لا يتابع المصنف في تأويله للقبضة هنا بالقدرة، فهذا من التعطيل أقرب منه للتنزيه، مع أن المصّنف في آخر البحث قد حملها على ظاهرها بدون هذا التأويل المتعسّف. انظر: (ص٤٢٤).
فالقبضُ والطَّيُّ: صفتان فعليتان لله ﷻ، ثابتتان بالكتاب والسُّنَّة. والقابض من أسماء الله تعالى.
الدليل من الكتاب:
١ - قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَقۡبِضُ وَيَبۡصُۜطُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾ [البقرة: ٢٤٥].
٢ - قوله تعالى: ﴿وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ...﴾ [الزمر: ٦٧].
الدليل من السُّنَّة:
١ - ما أخرجه البخاري رقم (٧٣٨٢)، ومسلم رقم (٢٧٨٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: =

الذي يهون عليه التصرّف فيه، وإن لم يقبض عليه، وكذا قوله: ﴿وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ﴾، فإن ذكر اليمين[١] للمبالغة في كمال القدرة كما يطوي الواحد منا الشيء المقدور له طيّه بيمينه، واليمين في كلام العرب قد تكون بمعنى: القدرة، والملك.

قال الأخفش[٢]: بيمينه[٣] يقول: في قدرته، نحو قوله: ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْۚ﴾ [النساء: ٣]؛ أي: ما كانت لكم قدرة عليه، وليس المُلك لليمين دون الشمال وسائر الجسد ومنه قوله سبحانه: ﴿لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ﴾ [الحاقة: ٤٥]؛ أي: بالقوّة، والقدرة، ومنه قول الشاعر[٤]:

إذا مَا رايةٌ نُصبتْ لمجدٍ تلقَّاها عُرابَةُ باليمينِ

وقول الآخر:

ولمَّا رأيتَ الشَّمس أشرق نورُها تناولتُ منها حاجتي بيمينِ[٥]

وقول الآخر:

عطستُ بأنفٍ شامخٍ وتناولتْ يَدَاي الثَّريا قَاعداً غيرَ قائمِ

وجملة: ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ﴾ في محل نصب[٦] على الحال؛ أي: ما عظّموه حق تعظيمه، والحال أنه متصف بهذه الصفة الدالة على كمال القدرة.

= «يقبضُ الله تبارك وتعالى الأرض يوم القيامة، ويطوي السماء بيمينه...».
قال أبو يعلى الفراء في «إبطال التأويلات» (ص١٦٨) بعد ذكر الحديث: «إن الله خلق آدم من قبضة قبضها...»: «اعلم أنّه غير ممتنع إطلاق القبض عليه سبحانه، وإضافتها إلى الصفة التي هي اليد التي خلق بها آدم؛ لأنّه مخلوق باليد من هذه القبضة، فدلَّ على أنَّها قبضةُ اليد، وفي جواز إطلاق ذلك أنّه ليس في ذلك ما يحيل صفاته ولا يخرجها عما يستحقه».
وقال ابن القيِّم في «مختصر الصواعق المرسلة» (٢/ ١٧١): «ورد لفظ (اليد) في القرآن والسُّنَّة وكلام الصحابة والتابعين في أكثر من مئة موضع وروداً متنوعاً فيه مقروناً بما يدل على أنّها يد حقيقة من الإمساك والطي والقبض والبسط».
وانظر: «شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري» للشيخ عبد الله الغنيمان (١/ ١٤٠).

(١) توصف يد الله ﷻ بأنها يمين، وهذا ثابت بالكتاب والسُّنَّة. وقد تقدم بيانه.
(٢) في «معاني القرآن» للأخفش (٢/ ٦٧٤).
(٣) انظر: ما تقدم بيانه.
(٤) هو: الشماخ بن ضرار. وهو في «ديوانه» (ص٣٣٦).
(٥) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٨/ ٣٠٨).
(٦) «التبيان» (٢/ ١١١٣)، و«الفريد» (٤/ ١٩٩)، و«مشكل إعراب القرآن» (٢/ ٢٦١).

قرأ الجمهور[١] برفع: «قبضتُه» على أنها خبر المبتدأ، وقرأ الحسن[٢] بنصبها، ووجهه ابن خالويه[٣] بأنه على الظرفية؛ أي: في قبضته.

وقرأ الجمهور[٤]: «مطوياتٌ» بالرفع على أنها خبر المبتدأ، والجملة في محل نصب على الحال كالتي قبلها، وبيمينه متعلق بمطويات، أو حال من الضمير في مطويات، أو خبر ثانٍ، وقرأ عيسى[٥]، والجحدري بنصب: «مطوياتٍ»، ووجه ذلك: أن السمٰوات معطوفة على الأرض، وتكون قبضته خبراً عن الأرض، والسمٰوات، وتكون مطويات حالاً، أو تكون مطويات[٦] منصوبة بفعل مقدّر، وبيمينه الخبر، وخصّ يوم القيامة بالذكر، وإن كانت قدرته شاملة؛ لأن الدعاوي تنقطع فيه كما قال سبحانه: ﴿ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ﴾ [الحج: ٥٦]، وقال: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ [الفاتحة: ٤].

ثم نزّه سبحانه نفسه، فقال: ﴿سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ به من المعبودات التي يجعلونها شركاء له مع هذه القدرة العظيمة، والحكمة الباهرة.

﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ﴾ هذه هي: النفخة الأولى، والصور هو: القرن الذي ينفخ فيه إسرافيل، وقد تقدّم غير مرة، ومعنى صعق: زالت عقولُهم، فخرّوا مغشيّاً عليهم، وقيل: ماتوا.

قال الواحدي[٧]: قال المفسرون: مات من الفزع، وشدة الصوت أهل السمٰوات، والأرض.

قرأ الجمهور[٨]: «الصُوْر» بسكون الواو، وقرأ قتادة[٩]، وزيد بن علي بفتحها

---

(١) «البحر المحيط» (٩/ ٢٢٠)، و«التبيان» (٢/ ١١١٤)، و«معاني القرآن وإعرابه» للزجاج (٤/ ٣٦١).

(٢) «القراءات الشاذة» (ص١٣١). (٣) في «القراءات الشاذة» (ص١٣١).

(٤) «البحر المحيط» (٩/ ٢٢١)، و«روح المعاني» (٢٣/ ٤٨٤)، و«زاد المسير» (٧/ ١٩٧).

(٥) «القراءات الشاذة» (ص١٣١)، و«البحر المحيط» (٩/ ٢٢١)، و«روح المعاني» (٢٣/ ٤٨٤).

(٦) «مشكل إعراب القرآن» (٢/ ٢٦١)، و«التبيان» (٢/ ١١١٤)، و«الفريد» (٤/ ١٩٩).

(٧) في «الوسيط» (٣/ ٥٩٣).

(٨) «البحر المحيط» (٩/ ٢٢١)، و«معاني القرآن» للفراء (٢/ ٤٢٥)، و«روح المعاني» (٢٣/ ٤٨٩).

(٩) «البحر المحيط» (٩/ ٢٢١)، و«روح المعاني» (٢٣/ ٤٨٩).

جمع صورة، والاستثناء في قوله: ﴿إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ متصل، والمستثنى جبريل وميكائيل وإسرافيل، وقيل: رضوان، وحملة العرش وخزنة الجنة والنار.

﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ﴾ يجوز أن يكون «أخرى» في محل رفع على النيابة، وهي صفة لمصدر محذوف؛ أي: نفخة أخرى.

ويجوز أن يكون في محل نصب، والقائم مقام الفاعل فيه ﴿فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾؛ يعني: الخلق كلهم قيام على أرجلهم ينظرون ما يقال لهم، أو ينتظرون ذلك.

قرأ الجمهور[١]: «قيامٌ» بالرفع على أنه خبر، وينظرون في محل نصب على الحال، وقرأ زيد[٢] بن عليّ بالنصب على أنه حال، والخبر: «ينظرون»، والعامل في الحال ما عمل في إذا الفجائية.

قال الكسائي[٣]: كما تقول: خرجت، فإذا زيد جالساً.

﴿وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾ الإشراق: الإضاءة، يقال: أشرقت الشمس: إذا أضاءت، وشَرَقَتْ: إذا طَلَعتْ، ومعنى بنور ربها: بعدل ربها، قاله الحسن[٤]، وغيره. وقال الضحاك[٥]: بحكم ربها، والمعنى: أن الأرض أضاءت وأنارت بما أقامه الله من العدل بين أهلها، وما قضى به من الحق فيهم، فالعدل نور والظلم ظلمات.

وقيل: إن الله يخلق نوراً يوم القيامة يلبسه وجه الأرض، فتشرق به غير نور الشمس، والقمر، ولا مانع من الحمل على المعنى الحقيقي، فإن الله سبحانه هو: نور السماوات والأرض. قرأ الجمهور[٦]: «أَشْرَقَتْ» مبنيّاً للفاعل، وقرأ ابن عباس، وأبو الجوزاء، وعبيد بن عمير على البناء للمفعول[٧].

---

(١) «البحر المحيط» (٩/ ٢٢٢)، و«روح المعاني» (٢٣/ ٤٩١).
(٢) «روح المعاني» (٢٣/ ٤٩١)، و«حاشية الشهاب» (٧/ ٣٥٢). وهي قراءة شاذة.
(٣) ذكره النحاس في «إعراب القرآن» (٤/ ٢٢).
(٤) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ١٣٦)، والبغوي في «تفسيره» (٧/ ١٣٢).
(٥) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٨/ ٣١٣).
(٦) «البحر المحيط» (٩/ ٢٢٢)، و«روح المعاني» (٢٣/ ٤٩٣).
(٧) «القراءات الشاذة» (ص١٣٢)، و«إعراب القراءات الشواذ» (٢/ ٤١٥). وهي قراءة شاذة.

﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ﴾ قيل: هو: اللوح المحفوظ.

وقال قتادة(١): يعني: الكتب والصحف التي فيها أعمال بني آدم، فآخذ بيمينه، وآخذ بشماله، وكذا قال مقاتل(٢). وقيل: هو من وضع المحاسب كتاب المحاسبة بين يديه؛ أي: وضع الكتاب للحساب.

﴿وَجِاْىٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾؛ أي: جيء بهم إلى الموقف، فسئلوا عما أجابتهم به أممهم ﴿وَٱلشُّهَدَآءِ﴾ الذين يشهدون على الأمم من أمة محمد ﷺ كما في قوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ [البقرة: ١٤٣].

وقيل: المراد بالشهداء(٣): الذين استشهدوا في سبيل الله، فيشهدون يوم القيامة لمن ذبّ عن دين الله. وقيل: هم الحفظة كما قال تعالى: ﴿وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ﴾ [قٓ: ٢١] ﴿وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾؛ أي: وقضي بين العباد بالعدل، والصدق، والحال أنهم لا يظلمون؛ أي: لا ينقصون من ثوابهم ولا يزاد على ما يستحقونه من عقابهم ﴿وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ﴾ من خير وشرّ ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ في الدنيا لا يحتاج إلى كاتب، ولا حاسب ولا شاهد، وإنما وضع الكتاب وجيء بالنَّبيين والشهداء لتكميل الحجة وقطع المعذرة.

ثم ذكر سبحانه تفصيل ما ذكره من توفية كل نفس ما كسبت، فقال: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا﴾؛ أي: سيق الكافرون إلى النار حال كونهم زمراً؛ أي: جماعات متفرّقة بعضها يتلو بعضاً. قال أبو عبيدة(٤)، والأخفش(٥): زُمَراً جماعات متفرّقة بعضها إثر بعض، ومنه قول الشاعر(٦):

وترى النَّاس إلى أبوابه زُمَراً تنتابه بعد زُمَرْ

واشتقاقه من الزَّمرْ(٧)، وهو: الصوت، إذ الجماعة لا تخلو عنه ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا﴾؛ أي: فُتحت أبواب النار ليدخلوها، وهي سبعة أبواب، وقد

---

(١) «زاد المسير» (٧/ ١٩٨). (٢) ذكره الواحدي في «الوسيط» (٣/ ٥٩٤).

(٣) انظر: «النكت والعيون» (٥/ ١٣٦)، و«زاد المسير» (٧/ ١٩٨).

(٤) في «مجاز القرآن» (٢/ ١٩١).

(٥) ذكره البغوي في «تفسيره» (٧/ ١٣٢).

(٦) ذكره السمين الحلبي في «الدر المصون» (٩/ ٤٤٦).

(٧) «الصحاح» (٢/ ٦٧١)، و«تهذيب اللغة» (١٣/ ٢٠٦)، و«مفردات ألفاظ القرآن» (ص٣٨٣).

مضى بيان ذلك [٤/٢٢] في سورة الحِجْر ﴿وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا﴾ [الزمر: ٧٣] جمع خازن نحو سدنة، وسادن ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ﴾؛ أي: من أنفسكم ﴿يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ﴾ التي أنزلها عليهم ﴿وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا﴾؛ أي: يخوّفونكم لقاء هذا اليوم الذي صرتم فيه؟ قالوا لهم هذا القول تقريعاً، وتوبيخاً فأجابوا بالاعتراف.

ولم يقدروا على الجدل الذي كانوا يتعلَّلون به في الدنيا لانكشاف الأمر، وظهوره، ولهذا ﴿قَالُوا۟ بَلَىٰ﴾؛ أي: قد أتتنا الرسل بآيات الله، وأنذرونا بما سنلقاه ﴿وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾، وهـي: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [هود: ١١٩، السجدة: ١٣] فلما اعترفوا هذا الاعتراف ﴿قِيلَ ٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ﴾ التي قد فُتْحت لكم؛ لتدخلوها، وانتصاب[(١)] ﴿خَٰلِدِينَ﴾ على الحال؛ أي: مقدّرين الخلود ﴿فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ المخصوص بالذمّ محذوف؛ أي: بئس مثواهم جهنَّم، وقد تقدّم تحقيق المثوى في غير موضع.

وقد أخرج ابنُ جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن ابن عباس[(٢)] في قوله: ﴿مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ قال: مفاتيحها.

وأخرج أبو يعلى، ويوسف القاضي في «سننه»، وأبو الحسن القطان، وابن السني، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه عن عثمان بن عفان[(٣)] قال: سألتُ رسول الله ﷺ عن قول الله ﴿لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾، فقال لي: «يا عثمان لقد سألتني عن مسألة لم يسألني عنها أحد قبلك، مقاليد السمٰوات والأرض: لا إلٰه إلّا الله، والله أكبر، وسبحان الله، والحمد لله، وأستغفر الله الذي لا إلٰه إلّا هو، الأوّل والآخر والظاهر والباطن، يُحيي ويميت وهو حيٌّ لا يموت، بيده الخير، وهو على كل شيءٍ قدير، ثم ذكر فضل هذه الكلمات».

---

(١) «الفريد» (٤/٢٠٢)، و«روح المعاني» (٢٣/٥٠٣).

(٢) عزاه إليهم السيوطي في «الدر المنثور» (٧/٢٤٣).
وأخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/٢٤٢) بسند صحيح.

(٣) أخرجه أبو يعلى كما في «المطالب العالية» رقم (٤٠٨٢)، وفي «مجمع الزوائد» (١٠/١١٥)، وفي «تفسير ابن كثير» (١٢/١٤٧)، وأخرجه يوسف القاضي كما في «اللآلئ المصنوعة» (١/٨٧)، وأبو الحسن القطان وابن المنذر كما في «اللآلئ المصنوعة» (١/٨٨)، وابن مردويه كما في «اللآلئ» (١/٨٨ ـ ٨٩).

وأخرجه ابن مردويه[(١)] عن ابن عباس، عن عثمان قال: جاء إلى النبي ﷺ، فقال له: أخبرني عن مقاليد السماوات والأرض فذكره.

وأخرجه الحارث بن أبي أسامة، وابن مردويه عن أبي هريرة[(٢)]، عن عثمان.

وأخرجه العقيلي، والبيهقي في «الأسماء والصفات» عن ابن عمر[(٣)]، عن عثمان.

وأخرج ابنُ مردويه[(٤)] عن ابن عباس: أن قريشاً دعت رسول الله ﷺ أن يعطوه مالاً، فيكون أغنى رجل بمكة، ويزوّجوه ما أراد من النساء، ويطأون عِقبَه، فقالوا له: هذا لك يا محمد، وتكفّ عن شتم آلهتنا، ولا تذكرها بسوء. قال: «حتى أنظر ما يأتيني من ربي»، فجاء بالوحي ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [الكافرون: ١] إلى آخر السورة، وأنزل الله عليه ﴿قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّىٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ﴾ إلى قوله: ﴿مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾.

وأخرج البخاري، ومسلم، وغيرهما عن ابن مسعود[(٥)] قال: جاء حَبْرٌ من الأحبار إلى رسول الله ﷺ، فقال: يا محمد إنّا نجد أن الله يحمل السماوات يوم القيامة على أصبع والشجر على أصْبَع، والماء والثرى على أصبع، وسائر الخلق على أصبع، فيقول: أنا الملك، فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه تصديقاً لقول الحَبْر، ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾.

قال الذهبي في «ميزان الاعتدال» (٤/ ٨٥): «موضوع فيما أرى».

(١) أخرجه ابن مردويه كما في «تخريج أحاديث الكشاف» (٢/ ٢٠٧)، و«اللآلئ المصنوعة» (١/ ٨٩).

(٢) أخرجه الحارث بن أسامة رقم (١٠٥٠ ـ «بغية الباحث»). وهو حديث ضعيف جدّاً.

(٣) أخرجه العقيلي (٤/ ٢٣١)، والبيهقي رقم (١٩). وهو حديث ضعيف جدّاً.
قال ابن الجوزي في «الموضوعات» (١/ ١٤٥): «هذا الحديث من الموضوعات الباردة التي لا تليق بمنصب رسول الله ﷺ لأنَّه منزّه عن الكلام الركيك والمعنى البعيد».

(٤) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٢٤٥).

(٥) أخرجه أحمد رقم (٣٥٩٠)، والبخاري رقم (٧٤١٥، ٧٤٥١)، ومسلم رقم (٢٧٨٦)، والترمذي رقم (٣٢٣٨)، والنسائي في «السنن الكبرى» رقم (١١٤٥٠)، وابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/ ٢٤٧، ٢٤٨)، والدارقطني في «العلل» (٥/ ١٧٩)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» رقم (٧٣٢).

وأخرج البخاري، ومسلم، وغيرهما من حديث أبي هريرة[١]: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «يقبض الله الأرض يوم القيامة، ويطوي السماء بيمينه، ثم يقول: أنا الملك أين ملوك الأرض؟»، وفي الباب أحاديث، وآثار تقتضي حمل الآية على ظاهرها مِنْ دون تكلّف لتأويل، ولا تعسّف لقالٍ وقيل.

وأخرج البخاري، ومسلم، وغيرهما عن أبي هريرة[٢] قال: قال رجل من اليهود بسوق المدينة: والذي اصطفى موسى على البشر، فرفع رجل من الأنصار يده، فلطمه، فقال: أتقول هذا وفينا رسول الله ﷺ؟ فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ، فقال: «قال الله: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾، فأكون أوّل من يرفع رأسه، فإذا أنا بموسى آخذ بقائمة من قوائم العرش، فلا أدري أرفع رأسَه قبلي، أو كان ممّن استثنى الله».

وأخرج أبو يعلى، والدارقطني في «الأفراد»، وابن المنذر، والحاكم وصححه، وابن مردويه، والبيهقي في «البعث» عن أبي هريرة[٣]، عن النبي ﷺ في قوله: ﴿إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ﴾ قال: «هم الشهداء متقلِّدون أسيافهم حول عرشه، تتلقاهم الملائكة يوم القيامة»، الحديث.

وأخرجه سعيد بن منصور، وعبد بن حميد من قول أبي هريرة[٤].

وأخرج الفريابي، وابن جرير، وأبو نصر السجزي في «الإبانة»، وابن مردويه عن أنس[٥]: أنّه سأل رسول الله ﷺ عن قوله: ﴿إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ﴾، فقال: «جبريل وميكائيل وملك الموت وإسرافيل وحملة العرش».

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» رقم (٤٨١٢، ٦٥١٩، ٧٣٨٢، ٧٤١٣)، ومسلم رقم (٢٧٨٧)، والنسائي في «الكبرى» رقم (٧٦٩٢، ١١٤٥٥)، وابن ماجه رقم (١٩٢)، وابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/ ٢٥١)، والبيهقي رقم (٤٣، ٤١٣، ٧٣٦).

(٢) أخرجه أحمد رقم (٩٨٢١)، والبخاري رقم (٢٤١١، ٣٤٠٨، ٦٥١٧، ٦٥١٨، ٧٤٧٢)، ومسلم رقم (٢٣٧٣)، والترمذي رقم (٣٢٤٥)، وابن ماجه رقم (٤٢٧٤)، وابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/ ٢٥٨، ٢٥٩).

(٣) أخرجه أبو يعلى كما في «المطالب العالية» رقم (٤٠٨٥)، والحاكم (٢/ ٢٥٣)، والبيهقي في «الشعب» بإثر الحديث رقم (٣٥٣). وهو حديث ضعيف جدّاً. «السلسلة الضعيفة» رقم (٣٦٨٥).

(٤) أخرجه سعيد بن منصور رقم (٢٥٦٩).

(٥) عزاه إليهم السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٢٥٠).

=

وأخرج ابن المنذر[(١)] عن جابر في قوله: ﴿إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ﴾ قال: موسى؛ لأنه كان صعق قبل.

والأحاديث الواردة في كيفية نفخ الصور كثيرة.

وأخرج عبد بن حميد[(٢)]، عن ابن عباس في قوله: ﴿وَجِاْيٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ﴾ قال: النَّبيين: الرسل والشهداء: الذين يشهدون لهم بالبلاغ ليس فيهم طعّان ولا لعّان.

وأخرج ابن جرير، وابن مردويه[(٣)] عنه في الآية قال: يشهدون بتبليغ الرسالة وتكذيب الأمم إياهم.

[مآل المتقين]:

﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾ وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُۖ فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿٧٤﴾ وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْۖ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٥﴾﴾.

لما ذكر فيما تقدّم حال الذين كفروا وسوقهم إلى جهنّم، ذكر هنا حال المتقين وسوقهم إلى الجنة، فقال: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًاۖ﴾؛ أي: ساقتهم الملائكة سوق إعزازٍ وتشريفٍ وتكريم.

وقد سبق بيان معنى الزُمَر ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا﴾ جواب إذا محذوف. قال المبرد[(٤)] تقديره: سعدوا وفتحت، وأنشد قول الشاعر[(٥)]:

فلو أنَّها نَفسٌ تموتُ جميعةً ... ولكنَّها نفسٌ تساقطُ أنفُسا

= وأخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/ ٢٥٤ ـ ٢٥٥) من طريق يزيد الرقاشي، به.

(١) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٢٥١).

(٢) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٢٦٢).

(٣) عزاه إليهما السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٢٦٢).
وأخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/ ٢٦٣) بسند صحيح.

(٤) ذكره النحاس في «إعراب القرآن» (٤/ ٢٢ ـ ٢٣).

(٥) امرؤ القيس. انظر: «ديوانه» (ص١٠٧).

فحذف جواب لو، والتقدير: لكان أَرْوحُ.

وقال الزجاج(١): القول عندي: أن الجواب محذوف على تقدير: حتى إذا جاءوها، وكانت هذه الأشياء التي ذُكرتْ دخلوها، فالجواب: دخولها، وحذف؛ لأن في الكلام دليلاً عليه.

وقال الأخفش(٢)، والكوفيون: الجواب ﴿وَفُتِحَتْ﴾، والواو زائدة، وهو خطأ عند البصريين؛ لأنّ الواو مِنْ حروف المعاني، فلا تزاد. قيل: إن زيادة الواو دليل على أنّ الأبواب فُتحت لهم قبل أن يأتوا لكرامتهم على الله، والتقدير: حتى إذا جاءوها، وأبوابها مفتحة بدليل قوله: ﴿جَنَّٰتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ﴾ [صَ: ٥٠]، وحذفت الواو في قصة أهل النّار؛ لأنهم وقفوا على النّار، وفتحت بعد وقوفهم إذلالاً، وترويعاً.

ذكر معناه النحاس(٣) منسوباً إلى بعض أهل العلم، قال: ولا أعلم أنه سبقه إليه أحد.

وعلى هذا القول تكون الواو(٤) واو الحال بتقدير قَدْ؛ أي: جاءوها، وقد فُتحتْ لهم الأبواب. وقيل: إنها واو الثمانية، وذلك أن من عادة العرب أنهم كانوا يقولون في العدد: خمسة ستة سبعة، وثمانية، وقد مضى القول في هذا في سورة براءة مُستوفى، وفي سورة الكهف أيضاً.

ثم أخبر سبحانه: أن خزنة الجنّة يسلمون على المؤمنين، فقال: ﴿وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ﴾؛ أي: سلامة لكم من كلّ آفة ﴿طِبْتُمْ﴾ في الدنيا، فلم تتدنّسوا بالشرك، والمعاصي. قال مجاهد(٥): طبتم بطاعة الله، وقيل: بالعمل الصالح والمعنى واحد.

قال مقاتل(٦): إذا قطعوا جسر جهنّم حبُسوا على قنطرة بين الجنة والنار فيقتصّ لبعضهم مِنْ بعض مظالم كانت بينهم حتى إذا هُذِّبوا، وطيبوا قال لهم رضوان

---

(١) في «معاني القرآن وإعرابه» (٤/ ٣٦٤).
(٢) في «معاني القرآن» للأخفش (٢/ ٦٧٣).
(٣) في «إعراب القرآن» (٤/ ٢٣).
(٤) «روح المعاني» (٢٣/ ٥٠٣)، و«الفريد» (٤/ ٢٠١).
(٥) ذكره الماوردي في «تفسيره» (٥/ ١٣٨).
(٦) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٨/ ٣١٩).

وأصحابه: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ﴾ الآية ﴿فَٱدْخُلُوهَا﴾؛ أي: ادخلوا الجنة ﴿خَٰلِدِينَ﴾؛ أي: مقدّرين الخلود فعند ذلك قال أهل الجنة: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ﴾ بالبعث، والثواب بالجنة.

﴿وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ﴾؛ أي: أرض الجنّة كأنها صارت من غيرهم إليهم فملكوها وتصرفوا فيها، وقيل: إنّهم ورثوا الأرض التي كانت لأهل النار لو كانوا مؤمنين. قاله أكثر المفسرين[(١)].

وقيل: إنّها أرضُ الدنيا، وفي الكلام تقديمٌ، وتأخير ﴿نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ﴾؛ أي: نتخذ فيها مِنْ المنازل ما نشاء حيث نشاء ﴿فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ﴾ المخصوص بالمدح[(٢)] محذوف؛ أي: فنعم أجر العاملين الجنّة، وهذا من تمام قول أهل الجنّة. وقيل: هو من قول الله سبحانه: ﴿وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ﴾؛ أي: محُيطين مُحْدِقين به، يقال: حفّ القوم بفلان: إذا أطافوا به، و «من» مزيدة. قاله الأخفش[(٣)]، أو للابتداء.

والمعنى: أن الرائي يراهم بهذه الصفة في ذلك اليوم، وجملة: ﴿يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ في محل نصب[(٤)] على الحال؛ أي: حال كونهم مسبحين لله، ملتبسين بحمده، وقيل: معنى يسبحون: يصلّون حول العرش شكراً لربهم، والحافّين جمع حافّ، قاله الأخفش[(٥)].

وقال الفراء[(٦)]: لا واحد له إذ لا يقع لهم هذا الاسم إلا مجتمعين.

﴿وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ﴾؛ أي: بين العباد بإدخال بعضهم الجنة وبعضهم النار، وقيل: بين النَّبيين الذين جيء بهم مع الشهداء وبين أممهم بالحق، وقيل: بين الملائكة بإقامتهم في منازلهم على حسب درجاتهم، والأوّل أولى.

﴿وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ القائلون هم: المؤمنون حمدوا الله على قضائه

---

(١) انظر: «الوسيط» للواحدي (٣/ ٥٩٥).
(٢) «الفريد» (٤/ ٢٠٢)، و«روح المعاني» (٢٣/ ٥٠٦).
(٣) في «معاني القرآن» للأخفش (٢/ ٦٧٣).
(٤) «التبيان» (٢/ ١١١٤)، و«الفريد» (٤/ ٢٠٣).
(٥) في «معاني القرآن» للأخفش (٢/ ٦٧٣).
(٦) ذكره النحاس في «إعراب القرآن» (٤/ ٢٣).

بينهم وبين أهل النار بالحق، وقيل: القائلون هم: الملائكة حمدوا الله تعالى على عدله في الحكم وقضائه بين عباده بالحقّ.

وقد أخرج البخاري، ومسلم، وغيرهما من حديث أبي هريرة(١) قال: قال رسول الله ﷺ: «أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر، والذين يلونهم على ضوء أشدّ كوكبٍ درّيّ في السماء إضاءةً».

وأخرجا(٢)، وغيرهما عن سهل بن سعد: أن رسول الله ﷺ قال: «في الجنة ثمانية أبواب منها باب يُسمّى: باب الريان لا يدخله إلا الصائمون».

وقد ورد في كون أبواب الجنة ثمانية أبواب أحاديث في «الصحيحين»، وغيرهما.

وأخرج عبد بن حميد، وابن المنذر عن قتادة(٣) في قوله: ﴿وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ﴾ قال: أرض الجنة.

وأخرج هناد(٤) عَنْ أبي العالية مثله [٢٣/ ٤].

❁ ❁ ❁

(١) أخرجه البخاري رقم (٣٢٥٤)، ومسلم رقم (٢٨٣٤).
(٢) أخرجه البخاري رقم (١٨٩٦، ٣٢٥٧)، ومسلم رقم (١١٥٢).
(٣) عزاه إليهم السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٢٦٧).
(٤) أخرجه هنّاد في «الزهد» رقم (١٥٩).

سُورَةُ غَافِرٍ

وهي سورة المؤمن وتسمى سورة الطول.

وهي مكية[١] في قول الحسن وعطاء وعكرمة وجابر. قال الحسن[٢]: إلا قوله: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ [غافر: ٥٥]؛ لأن الصلوات نزلت بالمدينة.

وقال ابن عباس[٣]، وقتادة: إلا آيتين نزلتا بالمدينة[٤]، وهما: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ [غافر: ٥٦]، والتي بعدها.

وهي خمس وثمانون آية، وقيل: اثنتان وثمانون آية.

وأخرج ابن مردويه[٥] عن ابن عباس قال: أنزلت سورة حمٓ المؤمن بمكة.

وأخرج ابن مردويه[٥] عن ابن الزبير مثله.

وأخرج ابن الضريس، والنحاس، والبيهقي في «الدلائل» عن ابن عباس[٦] قال: أُنزلت الحواميم السبع بمكة.

وأخرج ابن مردويه، والديلمي عن سمرة بن جندب[٧] قال: نزلت الحواميم جميعاً بمكة.

وأخرج محمد بن نصر، وابن مردويه عَنْ أنس بن مالك[٨]: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنّ الله أعطاني السبع الحواميم مكان التوراة، وأعطاني

---

(١) «النكت والعيون» (٥/ ١٤١).

(٢) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٨/ ٣٢٣).

(٣) «الجامع لأحكام القرآن» (١٨/ ٣٢٢).

(٤) قال ابن عطية في «المحرر الوجيز» (١٤/ ١١١): «هذه السورة مكية بإجماع، وقد روي في بعض آياتها أنها مدنية، وهذا ضعيف. والأول أصح».

(٥) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٢٦٨).

(٦) أخرجه ابن الضريس رقم (١٧، ١٨)، والنحاس (ص٦٤٩)، والبيهقي (٧/ ١٤٢ ـ ١٤٤).

(٧) أخرجه الديلمي في «مسنده» رقم (٦٨١٣).

(٨) أخرجه ابن نصر في «مختصر قيام الليل» (ص٦٩). وهو حديث ضعيف. «السلسلة الضعيفة» رقم (٣٠٥١).

الراءات إلى الطواسين مكان الإنجيل، وأعطاني ما بين الطواسين إلى الحواميم مكان الزبور، وفضلني بالحواميم، والمفصّل ما قرأهنّ نبي قبلي».

وأخرج أَبو عُبيد في «فضائله» عن ابن عباس[1] قال: إنّ لكل شيءٍ لباباً، وإن لباب القرآن ال ﴿حمٓ﴾.

وأخرج أَبو عُبيد، وابن الضُرَيس، وابن المنذر، والحاكم، والبيهقي في «الشعب» عن ابن مسعود[2] قال: الحواميم ديباج القرآن.

وأخرج أبو عُبيد، ومحمد بن نصر، وابن المنذر[3] عنه قال: إذا وقعت في ال ﴿حمٓ﴾ وقعت في روضاتٍ دمثاتٍ أتأنق فيهنّ.

وأخرج أبو الشيخ، وأبو نُعيم، والديلمي عَنْ أنس[4] قال: قال رسول الله ﷺ: «الحواميم ديباج القرآن».

وأخرج البيهقي في «الشُعب» عَنْ خليل بن مرّة[5]: أن رسول الله ﷺ قال: «الحواميم سبع، وأبواب النار سبع، تجيء كل حمٓ منها تقف على باب من هذه الأبواب تقول: «اللَّهُمَّ لا تُدخل مِنْ هذا الباب مَنْ كان يؤمن بي، ويقرؤني»».

وأخرج أبو عُبيد، وابن سعد، ومُحمد بن نصر، وابن مردويه، والبيهقي في «الشعب» عَنْ أبي هريرة[6] قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ قرأ ﴿حمٓ﴾ المؤمن إلى ﴿إِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ﴾، وآية الكرسي حين يُصبح، حفظ بهما حتى يُمْسي، ومن قرأهما حين يمسي، حفظ بهما حتى يصبح».

---

(١) أخرجه أبو عبيد في «فضائله» (ص١٣٧).

(٢) أخرجه أبو عبيد (ص١٣٧)، وابن الضريس رقم (٢، ٣)، والحاكم (٢/ ١٣٧)، والبيهقي في «الشعب» رقم (٢٤٧١) بسند صحيح.

(٣) أخرجه أبو عبيد (ص١٣٧)، ومحمد بن نصر في «قيام الليل» (ص٧٣).

(٤) أخرجه الديلمي رقم (٣٠٧٨) وفيه عن ابن عباس.
وقال الحافظ في «تسديد القوس»: أسنده عن أنس، قال: وفي الباب عن ابن عباس.
قال الألباني: «موضوع». «ضعيف الجامع» رقم (٢٨٠٠).

(٥) أخرجه البيهقي في «الشعب» رقم (٢٤٧٩). وهو ضعيف.

(٦) أخرجه الترمذي رقم (٢٨٧٩)، والبزار كما في «تفسير ابن كثير» (١٢/ ١٦٦)، وابن نصر في «مختصر قيام الليل» (ص٦٨)، والبيهقي في «الشعب» رقم (٢٤٧٣، ٢٤٧٤). وهو حديث ضعيف.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[من صفات الله سبحانه الذي أنزل الكتاب]:

﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ۝٢ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ
ٱلْعِقَابِ ذِى ٱلطَّوْلِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ۝٣ مَا يُجَٰدِلُ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟
فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِى ٱلْبِلَٰدِ ۝٤ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۖ وَهَمَّتْ
كُلُّ أُمَّةٍۭ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ ۖ وَجَٰدَلُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ
۝٥ وَكَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۝٦ ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ
وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ
شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ۝٧ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ
جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ
ٱلْحَكِيمُ ۝٨ وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُۥ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ
ٱلْعَظِيمُ ۝٩﴾.

قوله: ﴿حمٓ﴾ قرأ الجمهور(١) بفتح الحاء مُشْبَعاً، وقرأ حمزة، والكسائي بإمالته إمالة(٢) مَحْضة. وقرأ أبو عَمْرو بإمالته بينَ بين(٣)، وقرأ الجمهور(٤): «حمٓ» بسكون الميم كسائر الحروف المقطعة. وقرأ الزهري بضمها(٥) على أنها خبر مبتدأ مضمر، أو مبتدأ، والخبر ما بعده.

وقرأ عيسى بن عمر(٦) الثقفي بفتحها على أنّها منصوبة بفعل مُقدّر، أو على

---

(١) «النشر» (٢/ ٧٠ ـ ٧١)، و«زاد المسير» (٧/ ٢٠٦)، و«مشكل إعراب القرآن» (٢/ ٢٦٢).

(٢) «التيسير» (ص١٩١)، و«النشر» (٢/ ٧٠)، و«البحر المحيط» (٩/ ٢٣٢).

(٣) انظر: المصادر المتقدمة.

(٤) «النشر» (٢/ ٧٠ ـ ٧١)، و«زاد المسير» (٧/ ٢٠٦). سكت أبو جعفر على الحاء والميم، وقرأ باقي العشرة بوصل الحرفين، أما فتح الميم وضمها وكسرها فقراءات شاذة. انظر: «النشر» (٢/ ٧٠).

(٥) «البحر المحيط» (٩/ ٢٣٢).

(٦) «المحرر الوجيز» (١٤/ ١١٢)، و«البحر المحيط» (٩/ ٢٣٢).

أنّها حركة بناء لا حركة إعراب. وقرأ ابن أبي إسحاق[١]، وأبو السمّال بكسرها لالتقاء الساكنين، أو بتقدير القَسَم. وقرأ الجمهور[٢] بوصل الحاء بالميم. وقرأ أبو جعفر بقطعها.

وقد اختلف في معناه[٣]، فقيل: هو اسمٌ من أسماء الله[٤]، وقيل: اسم من أسماء القرآن[٥]. وقال الضحاك[٦]، والكسائي معناه: قضى، وجعلاه بمعنى حمّ؛ أي: قضى، ووقع، وقيل[٧]: معناه حمّ أمر الله؛ أي: قَرُب نصرُه لأوليائه، وانتقامه من أعدائه.

[فواتح السور مما استأثر الله بعلمه]:

وهذا كله تكلّف لا موجب له، وتعسّف لا ملجئ إليه، والحقُّ أَنَّ هذه الفاتحة لهذه السورة، وأمثالها: مِنْ المتشابه الذي استأثر الله بعلم معناه كما قدّمنا تحقيقه في فاتحة سورة البقرة.

﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ هو: خبر لحمّ على تقدير أَنّه مبتدأ، أو خبر لمبتدأ مضمر، أو هو: مبتدأ، وخبره ﴿مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾ قال الرّازي: المراد بتنزيل: المنزل، والمعنى: أن القرآن مُنَزَّل من عند الله ليس بكذب عليه.

والعزيز: الغالب القاهر، والعليم: الكثير العلم بخلقه، وما يقولونه، ويفعلونه ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ﴾ قال الفرّاء[٨]: جعلها كالنعت للمعرفة، وهي: نكرة، ووجه قوله هذا: أنَّ إضافتها لفظية، ولكنّه يجوز أن تجعل إضافتها معنوية كما قال سيبويه[٩]: إن كل ما إضافته غير محضة يجوز أَنْ تُجعل محضة، وتوصف به المعارف إلَّا الصفة المشبهة.

---

(١) «النشر» (٢/ ٧٠)، و«التيسير» (ص١٩١).
(٢) «روح المعاني» (٢٤/٨)، و«البحر المحيط» (٩/ ٢٣٢).
(٣) «النكت والعيون» (٥/ ١٤١)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٨/ ٣٢٤)، و«جامع البيان» (٢٠/ ٢٧٤ ـ ٢٧٥).
(٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/ ٢٧٤) عن ابن عباس بسند صحيح.
(٥) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/ ٢٧٥) عن قتادة بسند صحيح.
(٦) ذكره عنهما البغوي في «تفسيره» (٧/ ١٣٧).
(٧) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ١٤١).
(٨) في «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٥).
(٩) في «الكتاب» (١/ ١٩٩ ـ ٢٠٠).

وأما الكوفيون[١]، فلم يستثنوا شيئاً بل جعلوا الصفة المشبهة كاسم الفاعل في جواز جعلها إضافة محضة، وذلك حيث لا يراد بها زمان مخصوص، فيجوّزون في ﴿شَدِيدِ﴾ هنا أن تكون إضافته محضة. وعلى قول سيبويه: لا بدّ من تأويله بُمشِدّ.

وقال الزجاج[٢]: إنّ هذه الصفات الثلاث مخفوضة على البدل. وروي عنه: أنه جعل «غافر»، و«قابل» مخفوضين على الوصف، وشديد مخفوض على البدل، والمعنى: غافر الذنب لأوليائه، وقابل توبتهم، وشديد العقاب لأعدائه، والتوب مصدر بمعنى: التوبة مِنْ تاب يتوب توبةً، وتوباً، وقيل: هو جمع توبة، وقيل: غافر الذنب لمن قال[٣]: لا إلٰه إلا الله، وقابل التوب من الشرك، وشديد العقاب لمن لا يوحّده.

وقوله: ﴿ذِى ٱلطَّوْلِۖ﴾ يجوز أن يكون صفةٍ؛ لأنّه معرفة، وأن يكون بدلاً، وأصل الطول: الإنْعام، والتفضّل؛ أي: ذي الإنعام على عباده، والتفضل عليهم.

وقال مجاهد[٤]: ذي الغِنى، والسّعة. ومنه قوله: ﴿وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا﴾ [النساء: ٢٥]؛ أي: غنى، وسعة.

وقال عكرمة[٥]: ذي الطول: ذي المنَّ. قال الجوهري[٦]: والطول بالفتح: المنُّ يقال منه: طال عليه، ويطول عليه إذا امتنّ عليه. وقال محمد بن كعب[٧]: ذي الطول: ذي التفضل.

قال الماوردي[٨]: والفرق بين المنّ والتفضل: أنّ المنّ عفو عن ذنب، والتفضل إحسان غير مستحقّ.

ثم ذكر ما يدلّ على توحيده، وأنه الحقيق بالعبادة، فقال: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ لا إلى غيره، وذلك في اليوم الآخر.

---

(١) ذكره النحاس في «إعراب القرآن» (٤/ ٢٥).

(٢) في «معاني القرآن وإعرابه» (٤/ ٣٦٦). (٣) ذكره البغوي في «تفسيره» (٧/ ١٣٨).

(٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/ ٢٧٨) بسند صحيح.

(٥) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ١٤٢).

(٦) في «الصحاح» (٥/ ١٧٥٣).

(٧) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ١٤٢).

(٨) في «النكت والعيون» (٥/ ١٤٢).

ثم لما ذكر أن القرآن كتاب الله أنزله؛ ليهتدي به في الدين ذكر أحوال من يجادل فيه لقصد إبطاله، فقال: ﴿مَا يُجَادِلُ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾؛ أي: ما يخاصم في دفع آيات الله وتكذيبها إلّا الذين كفروا، والمراد: الجدال بالباطل، والقصد إلى دحض الحقّ كما في قوله: ﴿وَجَٰدَلُواْ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُواْ بِهِ ٱلْحَقَّ﴾.

فأما الجدال لاستيضاح[١] الحقّ ورفع اللّبس، والبحث عَن الراجح والمرجوح، وعن المحكم والمتشابه، ودفع ما يتعلق به المبطلون مِنْ متشابهات القرآن، وردّهم بالجدال إلى المحكم، فهو مِنْ أعظم ما يتقرّب المتقرّبون، وبذلك أخذ الله الميثاق على الذين أُوتوا الكتاب، فقال: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾ [آل عمران: ١٨٧]، وقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلْكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ﴾ [البقرة: ١٥٩]، وقال: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [العنكبوت: ٤٦].

﴿فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي ٱلْبِلَٰدِ﴾ لما حكم سبحانه على المجادلين في آيات الله بالكُفْر، نهى رسوله ﷺ عَنْ أن يغترّ بشيء مِنْ حظوظهم الدنيوية، فقال: فلا يغررك ما يفعلونه من التجارة في البلاد وما يحصّلونه من الأرباح ويجمعونه من الأموال، فإنّهم معاقبون عمّا قليل وإن أمهلوا فإنّهم لا يهملون.

قال الزجّاج[٢]: لا يغررك سلامتهم بعد كفرهم، فإنّ عاقبتهم الهلاك. قرأ الجمهور[٣]: «لا يغررك» بفك الإدغام. وقرأ زيد بن عليّ[٤]، وعبيد بن عمير بالإدغام.

ثم بيّن حال من كان قبلهم، وأن هؤلاء سلكوا سبيل أولئك في التكذيب، فقال: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَعْدِهِمْ﴾ الضمير في ﴿مِنۢ بَعْدِهِمْ﴾ يرجع إلى قوم نوح؛ أي: وكذبت الأحزاب الذين تحزّبوا على الرسل من بعد قوم نوح كعاد، وثمود ﴿وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ﴾؛ أي: همت كلّ أمة من تلك

(١) «الجامع لأحكام القرآن» (١٨/ ٣٢٨).
(٢) في «معاني القرآن وإعرابه» (٤/ ٣٦٦).
(٣) «البحر المحيط» (٩/ ٢٣٦)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٨/ ٣٢٨).
(٤) «روح المعاني» (٢٤/ ١٦)، و«البحر المحيط» (٩/ ٢٣٦). القراءة بالإدغام شاذة.

الأمم المكذبة برسولهم الذي أُرسل إليهم؛ ليأخذوه ليتمكنوا منه ؛فيحبسوه ويعذبوه ويصيبوا منه ما أرادوا.

وقال قتادة(١) والسدّي(٢): ليقتلوه، والأخذ قد يرد بمعنى: الإهلاك، كقوله: ﴿ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ [الحج: ٤٤] والعرب تسُمّي الأسير: الأخيذ.

﴿وَجَٰدَلُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ﴾؛ أي: خاصموا رسولهم بالباطل من القول ليدحضوا به الحقُّ ليزيلوه، ومنه: مكان دَحْض(٣)؛ أي: مَزْلقة، ومزلة أقدام، والباطل داحضٌ؛ لأنه يَزْلَق، ويزول، فلا يستقرّ.

قال يحيى(٤) بن سلام: جادلوا الأنبياء بالشرك؛ ليبطلوا به الإيمان ﴿فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾؛ أي: فأخذتُ هؤلاء المجادلين بالباطل، فكيف كان عقابي الذي عاقبتهم به؟ وحذف ياء(٥) المتكلم من عقاب اجتزاء بالكسرة عنها وصلاً، ووقفاً؛ لأنّها رأس آية ﴿وَكَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟﴾؛ أي: وجبت، وثبتت ولزمت، يقال: حقّ الشيء: إذا لزم، وثبت.

والمعنى: وكما حقّت كلمة العذاب على الأمم المكذبة لرسلهم، حقّت على الذين كفروا به، وجادلوك بالباطل، وتحزّبوا عليك.

وجملة: ﴿أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ﴾ للتعليل؛ أي: لأجل أنهم مستحقون للنار.

قال الأخفش(٦): أي: لأنّهم، أو بأنهم. ويجوز أن تكون في محل رفع بدلاً من «كلمة». قرأ الجمهور(٧): «كلمة» بالتوحيد، وقرأ نافع، وابن عامر: «كلماتُ» بالجمع(٨).

ثم ذكر أحوال حملة العرش، ومَنْ حوله، فقال: ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/ ٢٨١) بسند صحيح.
(٢) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ١٤٣).
(٣) «مفردات ألفاظ القرآن» (ص٣٠٨)، و«تهذيب اللغة» (٤/ ١٩٨).
(٤) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٨/ ٣٣٠).
(٥) «النشر» (٢/ ٣٦٦)، و«التذكرة في القراءات الثمان» (٢/ ٥٣٦).
(٦) في «معاني القرآن» للأخفش (٢/ ٦٧٥).
(٧) «التيسير» (ص١٢٤)، و«النشر» (٢/ ١٣٠)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (١/ ٤٤٧).
(٨) انظر: المصادر المتقدمة.

﴿حَوْلَهُۥ﴾، والموصول مبتدأ، وخبره ﴿يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾، والجملة مستأنفة مسوقة لتسلية رسول الله ﷺ ببيان أنّ هذا الجنس مِنْ الملائكة الذين هم أعلى طبقاتهم يضمون إلى تسبيحهم لله والإيمان به الاستغفار للذين آمنوا بالله ورسوله وصدّقوا.

والمراد بمن حول العرش: هم: الملائكة الذين يطوفون به مهلِّلين مكبرين، وهو في محل رفع(١) عطفاً على الذين يحملون العرش، وهذا هو الظاهر.

وقيل: يجوز أَنْ تكون في محل نصب عطفاً على العرش، والأوّل أولى. والمعنى: أنَّ الملائكة الذين يحملون العرش، وكذلك الملائكة الذين هم حول العرش ينزّهون الله ملتبسين بحمده على نعمه، ويؤمنون بالله، ويستغفرون الله لعباده المؤمنين به.

ثم بيّن سبحانه كيفية استغفارهم للمؤمنين، فقال حاكياً عنهم: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾، وهو بتقدير القول؛ أَيْ: يقولون ربنا، أو قائلين: ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلماً.

انتصاب(٢) «رحمةً» و«علماً» [٤/٢٤] على التمييز المحوّل عن الفاعل، والأصل وسعت رحمتُك، وعلمُك كلَّ شيء.

﴿فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ﴾؛ أي: أوقعوا التوبة عن الذنوب، واتبعوا سبيل الله، وهو دين الإسلام ﴿وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ﴾؛ أي: احفظهم منه ﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ﴾، ﴿وَأَدْخِلْهُمْ﴾ معطوف على قوله: «قهم»، ووسّط الجملة الندائية لقصد المبالغة بالتكرير، ووصف جنات عدن بأنها ﴿ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ﴾ إياها ﴿وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ﴾؛ أي: وأدخل مَنْ صلح.

والمراد بالصلاح ها هنا: الإيمان بالله، والعمل بما شرعه الله، فمن فعل ذلك، فقد صلح لدخول الجنَّة، ويجوز عطف، «ومَنْ صلح» على الضمير(٣) في «وعدتهم»؛ أي: ووعدت من صلح، والأولى عطفه على الضمير الأوّل في وأدخلهم.

---

(١) «الفريد» (٤/٢٠٦)، و«التبيان» (٢/١١١٥).
(٢) «الفريد» (٤/٢٠٦)، و«التبيان» (٢/١١١٦).
(٣) «التبيان» (٢/١١١٦).

قال الفراء[١]، والزجاج[٢]: نَصْبُه مِنْ مكانين إن شئت على الضمير في أدخلهم. وإن شئت على الضمير في «وعدتهم».

قرأ الجمهور[٣] بفتح اللام مِنْ صلَح. وقرأ ابن أبي عيلة[٤] بضمها.

وقرأ الجمهور[٥]: «وذرياتِهم» على الجمع. وقرأ عيسى بن عمر[٦] على الإفراد.

﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾؛ أي: الغالب القاهر، الكثير الحكمة الباهرة ﴿وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾؛ أي: العقوبات، أو جزاء السيئات على تقدير مضاف محذوف.

قال قتادة[٧]: وقهم ما يسوؤهم من العذاب ﴿وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوْمَئِذٍ﴾؛ أي: يوم القيامة ﴿فَقَدْ رَحِمْتَهُۥ﴾ يقال: وقاه[٨] يقيه وقايةً؛ أي: حَفِظَه، ومعنى: ﴿فَقَدْ رَحِمْتَهُۥ﴾؛ أي: رحمته مِنْ عذابك، وأدخلته جنتك، والإشارة بقوله: ﴿وَذَٰلِكَ﴾ إلى ما تقدّم من إدخالهم الجنات، ووقايتهم السيئات، وهو مبتدأ، وخبره: ﴿هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾؛ أي: الظَفَرُ الذي لا ظفر مثله، والنجاة التي لا تساويها نجاة.

وقد أخرج ابن مردويه[٩] عن أبي أمامة قال: ﴿حمٓ﴾ اسم من أسماء الله.

وأخرج عبد الرزاق في المصنف، وأبو عبيد، وابن سعد، وابن أبي شيبة، وأبو داود، والترمذي، والحاكم وصححه، وابن مردويه عن المُهلّب[١٠] بن أبي

---

(١) في «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٦).
(٢) في «معاني القرآن وإعرابه» (٤/ ٣٦٨). (٣) «البحر المحيط» (٩/ ٢٣٩).
(٤) «روح المعاني» (٢٤/ ٢٥)، و«حاشية الشهاب» (٧/ ٣٦٠). ضم اللّام قراءة شاذة.
(٥) «روح المعاني» (٢٤/ ٢٦)، و«البحر المحيط» (٩/ ٢٣٩).
(٦) «روح المعاني» (٢٤/ ٢٦). القراءة بإفراد «ذريتهم» شاذة.
(٧) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/ ٢٨٧) بسند صحيح.
(٨) «تهذيب اللغة» (٩/ ٣٧٤)، و«الصحاح» (٦/ ٢٥٢٧).
(٩) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٢٧٠).
(١٠) أخرجه عبد الرزاق في «المصنف» رقم (٩٤٦٧)، وأبو عبيد (ص١٣٧)، وابن سعد (٢/ ٧٢)، وابن أبي شيبة (١٤/ ٤١٤)، وأبو داود رقم (٢٥٩٧)، والترمذي رقم (١٦٨٢)، والحاكم (٢/ ١٠٧). وهو حديث صحيح.

صُفْرة قال: حدّثني مَنْ سمع النبي ﷺ يقول ليلة الخندق: «إنْ أتيتم الليلة، فقولوا: حمٓ لا يُنصرون».

وأخرج ابن أبي شيبة، والنسائي، والحاكم، وابن مردويه عن البراء بن عازب[١]: أن رسول الله ﷺ قال: «إنكم تلقون عدوّكم، فليكن شعاركم: حمٓ لا ينصرون».

وأخرج ابن المنذر، وابن أبي حاتم، والبيهقي في «الأسماء والصفات» عن ابن عباس[٢] في قوله: ﴿ذِى ٱلطَّوْلِۖ﴾ قال: ذي السعة، والغنى.

وأخرج الطبراني في الأوسط، وابن مردويه عن ابن عمر[٣] في قوله: ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ﴾ الآية قال: غافر الذنب لمن يقول: لا إلٰه إلّا الله ﴿وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ﴾ ممن يقول: لا إلٰه إلّا الله ﴿شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ﴾ لمن لا يقول: لا إلٰه إلّا الله ﴿ذِى ٱلطَّوْلِۖ﴾ ذي الغنى ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ﴾ كانت كفار قريش لا يوحّدونه، فوحّد نفسه ﴿إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ مصير من يقول: لا إلٰه إلّا الله، فيدخله الجنّة، ومصير مَنْ لا يقول: لا إلٰه إلّا الله، فيدخله النار.

وأخرج عبد بن حميد[٤] عَنْ أبي هريرة قال: قال النبي ﷺ: «إن جدالاً في القرآن كفر».

وأخرج عبد بن حميد، وأبو داود[٥] عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مِراءٌ في القرآن كفر».

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة (١٣/ ٥٠٤)، والنسائي في «السنن الكبرى» رقم (١٠٤٥، ١٠٤٥٢)، والحاكم (٢/ ١٠٧). وهو حديث صحيح.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم كما في «فتح الباري» (٨/ ٥٥٥)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» رقم (٦٩)، وابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/ ٢٧٨) بسند صحيح.

(٣) أخرجه الطبراني في «الأوسط» رقم (٩٤٨١).
وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ١٠١ ـ ١٠٢): «وفيه يحيى بن عبد الحميد الحماني، وهو ضعيف».

(٤) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٢٧٣).
وأخرجه أحمد في «مسنده» رقم (٧٨٤٨). وهو حديث صحيح.

(٥) أخرجه أبو داود رقم (٤٦٠٣) بسند حسن.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ ﴿١٠﴾ قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ ﴿١١﴾ ذَلِكُم بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِن يُشْرَكْ بِهِ تُؤْمِنُوا فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ ﴿١٢﴾ هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ رِزْقًا وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿١٤﴾ رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ ﴿١٥﴾ يَوْمَ هُم بَارِزُونَ لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴿١٦﴾ الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿١٧﴾ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴿١٨﴾ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ﴿١٩﴾ وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لَا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿٢٠﴾﴾.

لما ذكر سبحانه حال أصحاب النار، وأنها حقّت عليهم كلمةُ العذاب، وأنهم أصحاب النار ذكر أحوالهم بعد دخول النار، فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادَوْنَ﴾.

قال الواحدي[1]: قال المفسِّرون: إنَّهم لما رأوا أعمالهم، ونظروا في كتابهم وأدخلوا النار، ومقتوا أنفسهم بسوء صنيعهم ناداهم حين عاينوا عذاب الله مناد ﴿لَمَقْتُ اللَّهِ﴾ إيّاكم في الدنيا إذ تُدْعون إلى الإيمان فتكفرون ﴿أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ اليوم.

قال الأخفش[2]: هذه اللاّم في لمقتُ هي: لام الابتداء أوقعت بعد ينادون؛ لأنّ معناه: يقال لهم، والنداء قول.

قال الكلبي[3]: يقول كل إنسان لنفسه من أهل النار: مقتُك يا نفسُ، فتقول الملائكة لهم، وهم في النار: لمقتُ الله إياكم في الدنيا أشدّ مِنْ مقتكم أنفسكم اليوم.

---

(١) في «الوسيط» (٣/ ٧).

(٢) في «معاني القرآن» (٢/ ٦٧٥).

(٣) ذكره النحاس في «إعراب القرآن» (٤/ ٢٧).

وقال الحسن[(١)]: يعطون كتابهم، فإذا نظروا إلى سيئاتهم مقتوا أنفسهم، فينُادَون: لمقتُ الله إياكم في الدنيا ﴿إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى ٱلْإِيمَٰنِ﴾ أكبر من مقتكم أنفسكم إذ عاينتم النار، والظرف في ﴿إِذْ تُدْعَوْنَ﴾ منصوب[(٢)] بمقدّر محذوف دلّ عليه المذكور؛ أي: مقتكم وقت دعائكم، وقيل: بمحذوف هو: اذكروا، وقيل: بالمقت المذكور، والمقت: أشدّ البغض.

ثم أخبر سبحانه عما يقولون في النار، فقال: ﴿قَالُواْ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ﴾ اثنتين في الموضعين نعتان لمصدر محذوف؛ أي: أمتنا إماتتين اثنتين، وأحييتنا إحياءتين اثنتين.

والمراد بالإماتتين: أَنّهم كانوا نُطفاً لا حياة[(٣)] لهم في أصلاب آبائهم، ثم أماتهم بعد أَنْ صاروا أحياء في الدنيا.

والمراد بالإحياءتين: أنّه أحياهم الحياة الأولى في الدنيا، ثم أحياهم عند البعث، ومثل هذه الآية[(٤)] قوله: ﴿وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ [البقرة: ٢٨]، وقيل: معنى الآية: أنهم أُميتوا في الدنيا عند انقضاء آجالهم، ثم أحياهم الله في قبورهم للسؤال، ثم أميتوا، ثم أحياهم الله في الآخرة، ووجه هذا القول: أنّ الموت: سلب الحياة، ولا حياة للنطفة.

ووجه القول الأوّل: أن الموت قد يطلق على عادم الحياة من الأصل، وقد ذهب إلى تفسير الأوّل جمهور[(٥)] السلف.

وقال ابن زيد[(٦)]: المراد بالآية: أنّه خلقهم في ظهر آدم، واستخرجهم، وأحياهم، وأخذ عليهم الميثاق، ثم أماتهم، ثم أحياهم في الدنيا، ثم أماتهم.

---

(١) ذكره النحاس في «معاني القرآن» (٦/ ٢٠٦ ـ ٢٠٧).
(٢) «الفريد» (٤/ ٢٠٧)، و«مشكل إعراب القرآن» (٢/ ٢٦٣).
(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/ ٢٩٠) بسند صحيح، عن قتادة.
(٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/ ٢٩٠ ـ ٢٩١) بسند حسن، عن الضحاك.
(٥) «جامع البيان» (١/ ٤٤٣ ـ ٤٥١)، و«الوسيط» (٣/ ٦).
(٦) ذكره ابن عطية في «المحرر الوجيز» (١٤/ ١١٩) وقال: «وهذا قول ضعيف؛ لأن الإحياء فيه ثلاث مرات».

ثم ذكر سبحانه اعترافهم بعد أن صاروا في النار بما كذبوا به في الدنيا، فقال حاكياً عنهم: ﴿فَٱعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا﴾ التي أسلفناها في الدنيا من تكذيب الرّسل، والإشراك بالله، وترك توحيده، فاعترفوا حيثُ لا ينفعهم الاعتراف، وندموا حيث لا ينفعهم الندم، وقد جعلوا اعترافهم هذا مقدّمة لقولهم: ﴿فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ﴾؛ أي: هل إلى خروج لنا مِنْ النار، ورجوع لنا إلى الدنيا من سبيل؟ ومثل هذا قولهم الذي حكاه الله عنهم: ﴿هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ﴾ [الشورى: ٤٤]، وقوله: ﴿فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا﴾ [السجدة: ١٢]، وقوله: ﴿يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ﴾ [الأنعام: ٢٧] الآية.

ثم أجاب الله سبحانه عن قولهم هذا بقوله: ﴿ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِىَ ٱللَّهُ وَحْدَهُۥ كَفَرْتُمْ﴾؛ أي: ذلك الذي أنتم فيه من العذاب بسبب أنه إذا دعي الله في الدنيا وحدَه دون غيره كفرتم به، وتركتم توحيده ﴿وَإِن يُشْرَكْ بِهِۦ﴾ غيره من الأصنام أو غيرها ﴿تُؤْمِنُوا۟﴾ بالإشراك به، وتجيبوا الدّاعي إليه، فبيّن سبحانه لهم السبب الباعث على عدم إجابتهم إلى الخروج من النار، وهو ما كانوا فيه من ترك توحيد الله وإشراك غيره به في العبادة التي رأسها الدّعاء، ومحل «ذلكم» الرفع[(١)] على أنه خبر مبتدأ محذوف؛ أي: الأمر ذلكم، أو مبتدأ خبره محذوف؛ أي: ذلكم العذاب الذي أنتم فيه بذلك السبب، وفي الكلام حذف.

والتقدير: فأُجيبوا بأنْ لا سبيل إلى الرّدّ، وذلك لأنّكم كنتم إذا دعي الله إلخ ﴿فَٱلْحُكْمُ لِلَّهِ﴾ وحده دون غيره وهو الذي حكم عليكم بالخلود في النار وعدم الخروج منها، و﴿ٱلْعَلِىِّ﴾[(٢)]: المتعالي عَنْ أن يكون له مماثل في ذاته ولا صفاته، و ﴿ٱلْكَبِيرِ﴾[(٣)]: الذي كبر عن أنْ يكون له مثل أو صاحبة أو ولد أو شريك.

---

(١) «الفريد» (٤/٢٠٧)، و«التبيان» (٢/١١١٦).

(٢) العلو والفوقية صفة ذاتية ثابتة لله ﷻ بالكتاب والسُّنَّة.
ومن أسمائه: العلي، والأعلى والمتعال.
وأهل السُّنَّة والجماعة يعتقدون أنّ الله فوق جميع مخلوقاته، مستو على عرشه، في سمائه، عالياً على خلقه، بائناً منهم يعلم أعمالهم ويسمع أقوالهم ويرى حركاتهم وسكناتهم لا تخفى عليه خافية.

(٣) يوصف الله ﷻ بأنّه الكبير، وهو أكبر من كل شيء، وهي صفة ذاتية ثابتة بالكتاب والسُّنَّة.
و(الكبير) من أسمائه تعالى.
والكبير: أي: العظيم الذي كل شيء دونه، وهو أعظم من كل شيء.

﴿هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمْ ءَايَـٰتِهِۦ﴾؛ أي: دلائل توحيده وعلامات قدرته ﴿وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزْقًا﴾؛ يعني: المطر فإنّه سبب الأرزاق.

جمع سبحانه بين إظهار الآيات وإنزال الأرزاق؛ لأنّ بإظهار الآيات قوام الأدْيان، وبالأرزاق قوام الأبدان، وهذه الآيات[1] هي: التكوينية التي جعلها الله سبحانه في سمٰواته وأرضه وما فيهما وما بينهما.

قرأ الجمهور[2]: «يُنّزل» بالتشديد. وقرأ ابن كثير[3]، وأبو عمرو بالتخفيف.

﴿وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ﴾؛ أي: ما يتذكر، ويتعظ بتلك الآيات الباهرة فيستدلّ بها على التوحيد وصدق الوعد والوعيد إلَّا مَنْ ينيب؛ أي: يرجع إلى طاعة الله بما يستفيده مِنْ النظر في آيات الله.

ثم لما ذكر سبحانه ما نصبه من الأدلة على التوحيد أمر عباده بدعائه وإخلاص الدّين له، فقال: ﴿فَٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾؛ أي: إذا كان الأمر كما ذكر من ذلك، فادعوا الله وحده مخلصين له العبادة التي أمركم بها ﴿وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ ذلك فلا تلتفتوا إلى كراهتهم، ودعوهم يموتوا بغيظهم ويهلكوا بحسرتهم.

﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَـٰتِ﴾، وارتفاع[4] رفيعُ الدرجات على أنه خبر آخر عن المبتدأ المتقدّم؛ أي: هو الذي يريكم آياته، وهو رفيعُ الدرجات. وكذلك ﴿ذُو ٱلْعَرْشِ﴾ خبر ثالث، ويجوز أن يكون رفيع الدرجات مبتدأ، وخبره ﴿ذُو ٱلْعَرْشِ﴾، ويجوز أن يكونا خبرين[5] لمبتدأ محذوف، ورفيع صفة مشبهة، والمعنى: رفيع الصفات، أو رفيع درجات ملائكته؛ أي: معارجهم، أو رفيع درجات أنبيائه وأوليائه في الجنة [٤/٢٥].

وقال الكلبي[6]، وسعيد بن جبير: رفيع السمٰوات السبع، وعلى هذا الوجه يكون رفيع بمعنى: رافع، ومعنى، ذو العرش: مالكه وخالقه والمتصرف فيه، وذلك

---

(١) «روح المعاني» (٢٤/٣٩ ـ ٤٠)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٨/٣٣٧).
(٢) «المحرر الوجيز» (١٤/١٢٠)، و«البدور الزاهرة» (ص٢٧٦)، و«روح المعاني» (٢٤/٤٠).
(٣) «التيسير» (ص٧٥)، «النشر» (٢/٢١٨). وهما قراءتان متواترتان وبالتخفيف قرأ يعقوب.
(٤) «الفريد» (٤/٢٠٧ ـ ٢٠٨) «التبيان» (٢/١١١٧). «روح المعاني» (٢٤/٤١).
(٥) انظر المصادر المتقدمة.
(٦) ذكره عنهما الماوردي في «النكت والعيون» (٥/١٤٧).

يقتضي علوّ شأنه وعظم سلطانه، ومَنْ كان كذلك، فهو الذي يحقّ له العبادة ويجب له الإخلاص.

وجملة: ﴿يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ﴾ في محل رفع[1] على أنَّها خبر آخر للمبتدأ المتقدّم أو للمقدّر، ومعنى ذلك: أنه سبحانه يلقي الوحي ﴿عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾، وسُمّي الوحي: روحاً؛ لأنّ الناس يحيون به مِنْ موت الكفر كما تحيا الأبدان بالأرواح، وقوله: ﴿مِنْ أَمْرِهِۦ﴾ متعلّق بيُلقي، و «مِنْ» لابتداء الغاية.

ويجوز أن يكون متعلقاً بمحذوف على أنه حال من الروح، ومثل هذه الآية قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ [الشورى: ٥٢] وقيل: الروح: جبريل كما في قوله: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾ [الشعراء: ١٩٣، ١٩٤].

وقوله: ﴿نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ﴾ [النمل: ١٠٢].

وقوله: ﴿عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾ هم: الأنبياء، ومعنى ﴿مِنْ أَمْرِهِۦ﴾: من قضائه ﴿لِيُنذِرَ يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ﴾ قرأ الجمهور[2]: «لِينذِرَ» مبنيّاً للفاعل، ونصب اليوم، والفاعل هو: الله سبحانه، أو الرسول، أو مَنْ يشاء، والمنذَر به محذوف تقديره: لينذر العذاب يوم التلاق. وقرأ أبيّ[3]، وجماعة كذلك إلا أنّه رفع اليوم على الفاعلية مجازاً.

وقرأ ابن عباس[4]، والحسن، وابن السميفع: «لتنُذِر» بالفوقية على أن الفاعل ضمير المخاطب، وهو: الرسول، أو ضمير يرجع إلى الرّوح؛ لأنه يجوز تأنيثها.

وقرأ اليماني[5]: «لِينُذَر» على البناء للمفعول، ورفع يوم على النيابة، ومعنى ﴿يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ﴾: يوم يلتقي أهل السمٰوات والأرض في المحشر، وبه قال قتادة[6].

وقال أبو العالية[7] ومقاتل: يوم يلتقي العابدون والمعبودون.

---

(١) «الفريد» (٤/ ٢٠٧) «التبيان» (٢/ ١١١٧) «روح المعاني» (٢٤/ ٤٢).
(٢) «البحر المحيط» (٩/ ٢٤٤)، و«الدر المصون» (٦/ ٣٣).
(٣) «البحر المحيط» (٩/ ٢٤٤)، و«روح المعاني» (٢٤/ ٤٥).
(٤) «القراءات الشاذة» (ص١٣٢)، و«البحر المحيط» (٩/ ٢٤٤).المتواتر قراءة الجمهور وغيرها شاذ.
(٥) «روح المعاني» (٢٤/ ٤٥)، و«القراءات الشاذة» (ص١٣٢)، و«البحر المحيط» (٩/ ٢٤٤).
(٦) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/ ٢٩٦) بسند صحيح.
(٧) ذكره البغوي في «تفسيره» (٧/ ١٤٣)، والماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ١٤٨).

وقيل: الظالم، والمظلوم، وقيل: الأوّلون والآخرون، وقيل: جزاء الأعمال، والعاملون.

وقوله: ﴿يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَۖ﴾ بدل من يوم التلاق. وقال ابن عطية[1]: هو منتصب بقوله: ﴿لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ﴾ وقيل: منتصب[2] بإضمار اذكر، والأوّل أولى، ومعنى بارزون: خارجون من قبورهم لا يسترهم شيء.

وجملة: ﴿لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌۚ﴾ مستأنفة مبينة لبروزهم، ويجوز أن تكون في محل[3] نصب على الحال من ضمير بارزون.

ويجوز أن تكون خبراً ثانياً للمبتدأ؛ أي: لا يخفى عليه سبحانه شيء منهم، ولا من أعمالهم التي عملوها في الدنيا.

وجملة: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَۖ﴾ مستأنفة جواب عَن سؤال مقدّر كأنه قيل: فماذا يُقال عند بروز الخلائق في ذلك اليوم؟، فقيل: يقال: لمن الملك اليوم؟

قال المفسِّرون[4]: إذا هلك كلُّ مَنْ في السمٰوات، والأرض، فيقول الرّبّ تبارك وتعالى: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَۖ﴾؛ يعني: يوم القيامة، فلا يجيبه أحد، فيجيب تعالى نفسه، فيقول: ﴿لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ قال الحسن[5]: هو السائل تعالى، وهو المجيب حين لا أحد يجيبه، فيجيب نفسه.

وقيل: إنّه سبحانه يأمر[6] منادياً ينادي بذلك، فيقول أهل المحشر مؤمنهم، وكافرهم: ﴿لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾، وقيل: إنّه يجيب المنادي بهذا الجواب أهل الجنة دون أهل النار، وقيل: هو حكاية لما ينطق به لسان الحال في ذلك اليوم لانقطاع دعاوي المبطلين كما في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ۝١٧ ثُمَّ مَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ۝١٨ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔاۖ وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ﴾ [الانفطار: ١٧ ـ ١٩].

وقولُه: ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْۚ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾

---

(١) في «المحرر الوجيز» (١٤/ ١٢٣).
(٢) «التبيان» (٢/ ١١١٧)، و«الفريد» (٤/ ٢٠٨)، و«روح المعاني» (٢٤/ ٤٤).
(٣) انظر: المصادر المتقدمة.
(٤) «الجامع لأحكام القرآن» (١٨/ ٣٤٠)، و«الوسيط» للواحدي (٤/ ٧).
(٥) ذكره ابن عطية في «المحرر الوجيز» (١٤/ ١٢٣).
(٦) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٨/ ٣٤١).

مِنْ تمام الجواب على القول بأن المجيب هو: الله سبحانه، وأما على القول بأن المجيب هم العباد كلهم، أو بعضهم، فهو: مستأنف لبيان ما يقوله الله سبحانه بعد جوابهم؛ أي: اليوم تُجزى كل نفس بما كسبت من خير وشرّ، لا ظلم اليوم على أحد منهم بنقص من ثوابه، أو بزيادة في عقابه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾؛ أي: سريع حسابه؛ لأنه سبحانه لا يحتاج[١] إلى تفكر في ذلك كما يحتاجه غيره لإحاطة علمه[٢] بكل شيء، فلا يعزب عنه مثقال ذرة.

ثم أمر الله سبحانه رسوله: بإنذار عباده، فقال: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْأَزِفَةِ﴾؛ أي: يوم القيامة سُميّت بذلك لقُربها، يقال: أزف فلان؛ أي: قَرُب يأزَفُ أزَفاً، ومنه قول النابغة[٣]:

أَزِفَ التَّرحُّلُ غيرَ أنَّ ركابَنا ... لمَّا تَزلْ برحالنا وكأنْ قَدِ

ومنه قوله تعالى: ﴿أَزِفَتِ ٱلْأَزِفَةُ﴾ [النجم: ٥٧]؛ أي: قربت الساعة، وقيل: إن يوم الآزفة هو: يوم حُضور الموت[٤]، والأوّل أولى.

قال الزجاج[٥]: وقيل لها: آزفة؛ لأنّها قريبة، وإن استبعد الناس أمرها، وما هو كائن، فهو: قريب ﴿إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَ﴾ وذلك أنها تزول عن مواضعها من الخوف حتى تصير إلى الحنجرة كقوله: ﴿وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ﴾ [الأحزاب: ١٠] ﴿كَٰظِمِينَ﴾ مغمومين مكروبين ممتلئين غمّاً.

قال الزجاج[٦]: المعنى: إذ قلوب الناس لدى الحناجر في حال كظمهم. قال قتادة: وقعت قلوبهم في الحناجر من المخافة، فهي لا تخرج ولا تعود في أمكنتها.

وقيل: هو إخبار[٧] عن نهاية الجزَع، وإنما قال: كاظمين باعتبار أهل

---

(١) «الجامع لأحكام القرآن» (١٨/ ٣٤١)، و«النكت والعيون» (٥/ ١٤٨).

(٢) قال أبو القاسم الزجاجي في «اشتقاق أسماء الله» (ص١٢٧): «ومعنى السريع في صفاته تعالى ﷻ أنّه سريع الحساب لعباده، وأنَّ أفعاله تُسرع فلا يُبطئ منها شيء عما أراد؛ لأنه بغير مباشرة ولا علاج ولا كلفة، وإنما أمره لشيء إذا أراده أن يقول له كن فيكون، فهذا معنى السريع على توجيه اللغة، والله أعلم وأحكم.

(٣) «ديوان النابغة الذبياني» (ص٣٨). (٤) «النكت والعيون» (٥/ ١٤٩).

(٥) في «معاني القرآن وإعرابه» (٤/ ٣٦٩). (٦) في «معاني القرآن وإعرابه» (٤/ ٣٦٩).

(٧) «روح المعاني» (٢٤/ ٤٩).

القلوب؛ لأنّ المعنى: إذ قلوب الناس لدى حناجرهم، فيكون حالاً[(١)] منهم.

وقيل: حالاً من القلوب، وجمع الحال منها جمع العقلاء؛ لأنه أسند إليها ما يسند إلى العقلاء فجُمعتْ جمعه.

ثم بيَّن سبحانه: أنه لا ينفع الكافرين في ذلك اليوم أحد، فقال: ﴿مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ﴾؛ أي: قريب ينفعهم ﴿وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ في شفاعته لهم، ومحل «يطاع» الجر على أنه صفة لشفيع. ثم وصف سبحانه شمول علمه لكل شيء وإن كان في غاية الخفاء فقال: ﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ﴾، وهي مسارقة[(٢)] النظر إلى ما لا يحلّ النظر إليه، والجُملة خبر آخر لقوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمْ﴾ قال المؤرِّج[(٣)]: فيه تقديم، وتأخير؛ أي: يعلم الأعين الخائنة.

وقال قتادة[(٤)]: خائنة الأعين: الهمز بالعين فيما لا يحب الله.

وقال الضحاك[(٥)]: هو قول الإنسان: ما رأيتُ، وقد رأى، ورأيتُ وما رأى.

وقال سفيان[(٥)]: هي: النظرة بعد النظرة. والأول أولى، وبه قال مجاهد[(٢)] ﴿وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ﴾ من الضمائر، وتسرّه من معاصي الله ﴿وَٱللَّهُ يَقْضِى بِٱلْحَقِّ﴾ فيجازي كلَّ أحدٍ بما يستحقه من خير وشرّ ﴿وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ﴾؛ أي: تعبدونهم من دون الله ﴿لَا يَقْضُونَ بِشَىْءٍ﴾؛ لأنهم لا يعلمون شيئاً، ولا يقدرون على شيء.

قرأ الجمهور[(٦)]: «يَدْعون» بالتحتية يعني: الظالمين، واختار هذه القراءة أبو عبيد[(٧)]، وأبو حاتم، وقرأ نافع، وشيبة، وهشام بالفوقية[(٨)] على الخطاب لهم ﴿إِنَّ

---

(١) «الفريد» (٤/٣٠٨)، و«روح المعاني» (٢٤/٤٩)، و«التبيان» (٢/١١١٧).
(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/٣٠٤) بسند صحيح، عن مجاهد.
(٣) ذكره النحاس في «معاني القرآن» (٦/٢١٤).
(٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/٣٠٤) بسند صحيح.
(٥) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/١٥٠).
(٦) «النشر» (٢/٣٦٤، ٣٦٥)، و«التيسير» (ص١٩١)، و«جامع البيان» (٢٠/٣٠٥).
(٧) ذكره عنهما القرطبي في «تفسيره» (١٨/٣٤٤).
(٨) «الكشف عن وجوه القراءات» (٢/٢٤٢)، و«جامع البيان» (٢٠/٣٠٥)، و«التيسير» (ص١٩١)، و«النشر» (٢/٣٦٤ ـ ٣٦٥). وهما قراءتان متواترتان ولابن عامر من رواية ابن ذكوان وجه بالفوقية.

﴿ٱللَّهَ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾، فلا يخفى عليه من المسموعات والمبصرات خافية.

وقد أخرج الفريابي، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والحاكم وصححه عن ابن مسعود[١] في قوله: ﴿أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ﴾ قال: هي مِثْل التي في البقرة ﴿وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ [البقرة: ٢٨] كانوا أمواتاً في صلب آبائهم، ثم أخرجهم، فأحياهم، ثم أماتهم ثم يحييهم بعد الموت.

وأخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم، وابن مردويه عن ابن عباس[٢] في الآية قال: كنتم تراباً قبل أن يخلقكم فهذه ميتة، ثم أحياكم فخلقكم، فهذه حياة، ثم يميتكم فترجعون إلى القبور، فهذه ميتة أخرى، ثم يبعثكم يوم القيامة فهذه حياة، فهما موتتان، وحياتان كقوله: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ﴾ [البقرة: ٢٨] الآية.

وأخرج ابن المنذر[٣] عن ابن عباس في قوله: ﴿يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ﴾ قال: يوم القيامة يلتقي فيه آدم وآخر ولده.

وأخرج عنه[٤] أيضاً قال: ﴿يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ﴾: يوم الآزفة ونحو هذا من أسماء يوم القيامة عظّمه الله، وحذّره عباده.

وأخرج عبد الله بن أحمد في «زوائد الزهد»، وابن أبي حاتم، والحاكم وصححه، وأبو نُعيم في «الحلية»[٥] عنه أيضاً قال: «ينادي مناد بين يدي الساعة: يا أيها الناس أتتكم الساعة فيسمعها الأحياء والأموات، وينزل الله إلى السماء الدنيا، فيقول: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾».

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١/ ٤٤٣) و(٢٠/ ٢١٩)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ٧٣ رقم ٣٠٠)، والطبراني رقم (٩٠٤٥)، والحاكم (٢/ ٤٣٧) من طريق أبي إسحاق، عن أبي الأحوص، عن عبد الله بن مسعود.

(٢) أخرجه ابن جرير (١/ ٤٤٥) و(٢٠/ ٢٩١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ٧٣ رقم ٣٠) بسند ضعيف.

(٣) عزاه السيوطي في «الدر المنثور» (١٣/ ٢٥) إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٤) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٢٧٩).

(٥) أخرجه عبد الله بن أحمد في «السُّنَّة» رقم (٢٢٠)، وابن أبي حاتم كما في «تفسير ابن كثير» (١٢/ ١٨٠)، والحاكم (٢/ ٤٣٧)، وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ٣٢٤) بسند صحيح.

وأخرج ابن أبي الدنيا في «البعث»، والديلمي عن أبي سعيد[١]، عن النبي ﷺ مثله.

وأخرج عبد بن حميد، عن ابن مسعود[٢] قال: «يجمع الله الخلق يوم القيامة بصعيد واحد، بأرض بيضاء كأنّها سبيكة فضّة لم يعص الله فيها قط، فأوّل ما يتكلم أن ينادي منادٍ: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾.

﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ فأول ما يبدأ به من الخصومات الدماء».

وأخرج سعيد بن منصور، وابن أبي شيبة، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن ابن عباس[٣] في قوله: ﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ﴾ قال: الرجل يكون في القوم، فتمرّ بهم المرأة، فيريهم أنّه يغضّ بصره عنها، وإذا غفلوا لحظ إليها، وإذا نظروا غضّ بصره عنها، وقد اطلع الله مِنْ قلبه أنه ودّ أن ينظر إلى عورتها.

وأخرج ابنُ أبي حاتم، والطبراني في الأوسط، وأبو نعيم في «الحلية»، والبيهقي في «الشعب»[٤] عنه في الآية قال: إذا نظر إليها يريد الخيانة أم لا؟ ﴿وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ﴾ قال: إذا قدر عليها أيزني بها أَمْ لا؟ ألا أخبركم بالتي تليها ﴿وَٱللَّهُ يَقْضِى بِٱلْحَقِّ﴾ قادر على أنْ يجزي بالحسنة الحسنة وبالسيئة السيئة.

وأخرج أبو داود، والنسائي، وابن مردويه عن سعد[٥] قال: «لما كان يوم فتح مكة أَمّن النبي ﷺ الناسَ إلا أربعة نفر، وامرأتين، وقال: اقتلوهم، وإن وجدتموهم متعلقين بأستار الكعبة، منهم عبد الله بن سعد بن أبي سرح، فاختبأ عند عثمان بن عفان، فلما دعا رسول الله ﷺ الناس إلى البيعة جاء به. فقال: يا رسول الله بايع

---

(١) أخرجه الديلمي في «مسنده» رقم (٨٨٦٩).

(٢) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٢٨٠).

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة (٤/٣٢٧)، وابن أبي حاتم كما في «تفسير ابن كثير» (١٢/ ١٨١)، و«فتح الباري» (١١/٩).

(٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/ ٣٠٣)، والطبراني رقم (١٢٨٣)، وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ٣٢٣)، والبيهقي في «الشعب» رقم (٥٤٤٣) من طريق علي بن حسين بن واقد، به.

(٥) أخرجه أبو داود رقم (٢٦٨٣، ٤٣٥٩)، والنسائي رقم (٤٠٧٨). وهو حديث صحيح.

عبد الله، فرفع رأسه، فنظر إليه ثلاثاً كل ذلك يأبى بيعته، ثُمّ بايعه، ثم أقبل على أصحابه، فقال: أما كان فيكم رجل رشيد يقوم إلى هذا حين رآني كففت يدي عن بيعته، فيقتله؟ فقالوا: ما يدُرينا يا رسولَ الله ما في نفسك هلاَّ أومأت إلينا بعينك؟، فقال: إنّه لا ينبغي لنبيٍ أن يكون له خائنة الأعين».

﴿أَوَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ كَانُواْ مِن قَبْلِهِمْۚ كَانُواْ هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِي ٱلْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ ﴿٢١﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَكَفَرُواْ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُۚ إِنَّهُۥ قَوِيٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢٢﴾﴾.

[موسى مع فرعون وهامان وموقف الرجل المؤمن]:

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢٣﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَقَٰرُونَ فَقَالُواْ سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٢٤﴾ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ مِنْ عِندِنَا قَالُواْ ٱقْتُلُوٓاْ أَبْنَآءَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ وَٱسْتَحْيُواْ نِسَآءَهُمْۚ وَمَا كَيْدُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ ﴿٢٥﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِيٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓۖ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٦﴾ وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٧﴾﴾ [٢٦/٤].

[دفاع الرجل عن موسى]:

﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْۖ وَإِن يَكُ كَٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِي يَعِدُكُمْۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾ يَٰقَوْمِ لَكُمُ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ظَٰهِرِينَ فِي ٱلْأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأْسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَاۚ قَالَ فِرْعَوْنُ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٢٩﴾﴾.

لما خوّفهم سبحانه بأحوال الآخرة أردفه ببيان تخويفهم بأحوال الدنيا، فقال: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ كَانُواْ مِن قَبْلِهِمْۚ﴾ أرشدهم سبحانه إلى الاعتبار بغيرهم، فإنَّ الذين مضوا من الكفار ﴿كَانُواْ هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ من

هؤلاء الحاضرين من الكفار وأقوى ﴿وَءَاثَارًا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ بما عمروا فيها من الحصون والقصور، وبما لهم من العدد والعدّة، فلمّا كذّبوا رسلهم أهلكهم الله.

وقوله: ﴿فَيَنظُرُوا۟﴾ إما مجزوم بالعطف[1] على يسيروا، أو منصوب بجواب الاستفهام، وقوله: ﴿كَانُوا۟ هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ بيان للتفاوت[2] بين حال هؤلاء وأولئك، وقوله: ﴿وَءَاثَارًا﴾ عطف على قوّة.

قرأ الجمهور[3]: «أشدَّ منهم»، وقرأ ابن عامر[4]: «أشد منكم» على الالتفات ﴿فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ﴾؛ أيْ: بسبب ذنوبهم ﴿وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ﴾؛ أي: من دافعٍ يدفع عنهم العذاب.

وقد مرّ تفسير هذه الآية في مواضع، والإشارة بقوله: ﴿ذَٰلِكَ﴾ إلى ما تقدّم من الأخذ ﴿بِأَنَّهُمْ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾؛ أي: بالحجج الواضحة ﴿فَكَفَرُوا۟﴾ بما جاءوهم به ﴿فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ إِنَّهُۥ قَوِىٌّ﴾ يفعل كلّ ما يريده لا يعجزه شيء ﴿شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ لمن عصاه ولم يرجع إليه.

ثم ذكر سبحانه قصة موسى وفرعون ليعتبروا، فقال: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ هي: التسع الآيات التي قد تقدّم ذكرها في غير موضع ﴿وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾؛ أي: حجة بيِّنة واضحة وهي التوراة ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَقَٰرُونَ فَقَالُوا۟﴾ إنه ﴿سَٰحِرٌ كَذَّابٌ﴾؛ أي: فيما جاء به وخصهم بالذكر؛ لأنهم رؤساء[5] المكذبين بموسى، ففرعون الملك، وهامان الوزير، وقارون صاحب الأموال، والكنوز.

﴿فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ مِنْ عِندِنَا﴾، وهي: معجزاته الظاهرة الواضحة ﴿قَالُوا۟ ٱقْتُلُوٓا۟ أَبْنَآءَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ وَٱسْتَحْيُوا۟ نِسَآءَهُمْ﴾ قال قتادة[6]: هذا قتل غير القتل الأوّل؛ لأنّ فرعون قد كان أمسك عَنْ قتل الولدان وقت ولادة موسى، فلما بعث الله موسى

---

(١) «إعراب القرآن» للنحاس (٤/ ٣٠). (٢) «روح المعاني» (٢٤/ ٥٣).

(٣) «التيسير» (ص١٩١)، و«النشر» (٢/ ٣٦٥)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (٢/ ٢٤٢)، و«زاد المسير» (٧/ ٢١٥).

(٤) انظر: المصادر المتقدمة. هو هكذا في المصحف الشامي الذي أرسله عثمان للشام وبقية المصاحف على قراءة الجمهور. انظر: «النشر» (٢/ ٢٧٣).

(٥) «المحرر الوجيز» (١٤/ ١٢٩)، و«روح المعاني» (٢٤/ ٥٥).

(٦) ذكره البغوي في «تفسيره» (٧/ ١٤٥)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٧/ ٢١٥).

أعاد القتل على بني إسرائيل، فكان يأمر بقتل الذكور، وترك النساء، ومثل هذا قول فرعون: ﴿سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْيِۦ نِسَآءَهُمْ﴾ [الأعراف: ١٢٧] ﴿وَمَا كَيْدُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ﴾؛ أي: في خسران ووبال؛ لأنه يذهب باطلاً، ويحيق بهم ما يريده الله ﷻ ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِىٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ﴾ إنما قال هذا؛ لأنه كان في خاصة قومه من يمنعه مَنْ قتل موسى مخافة أن ينزل بهم العذاب.

والمعنى: اتركوني أقتله ﴿وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ﴾ الذي يزعم: أنّه أرسله إلينا، فليمنعه من القتل إن قدر على ذلك؛ أي: لا يهولنّكم ذلك، فإنه لا ربّ له حقيقة؛ بل أنا ربكم الأعلى.

ثم ذكر العلة التي لأجلها أراد أن يقتله، فقال: ﴿إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ﴾ الذي أنتم عليه من عبادة غير الله، ويدخلهم في دينه الذي هو: عبادة الله وحده ﴿أَوْ أَن يُظْهِرَ فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ﴾؛ أي: يُوقع بين الناس الخلاف والفتنة، جعل اللعين ظهور ما دعا إليه موسى وانتشاره في الأرض واهتداء الناس به فساداً، وليس الفساد إلا ما هو عليه هو ومَنْ تابعه.

قرأ الكوفيون(١)، ويعقوب: «أو أَنْ يظهر» بأو التي للإبهام، والمعنى: أنه لا بدّ مِنْ وقوع أحد الأمرين.

وقرأ الباقون(٢): «وأَنْ يظهر» بدون ألف على معنى: وقوع الأمرين جميعاً، وقرأ نافع، وابن كثير، وأبو عَمْرو بفتح الياء(٣) من: «إنيَ أخاف»، وقرأ نافع، وأبو عمرو، وحفص «يُظْهِر» بضم الياء(٤)، وكسر الهاء من أظهر، وفاعله ضمير موسى، والفساد نصباً على أنه مفعول به.

وقرأ الباقون بفتح الياء(٥)، والهاء، ورفع الفساد على الفاعلية.

---

(١) «البحر المحيط» (٩/ ٢٥١)، و«النشر» (٢/ ٣٦٥)، و«التبيان» (٢/ ١١١٨)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (٢/ ٢٤٣). بزيادة همزة مفتوحة قبل الواو وهي في مصاحف أهل الكوفة. ا. هـ.

(٢) انظر: المصادر المتقدمة.

(٣) «التيسير» (ص١٩٢)، و«النشر» (٢/ ٣٦٦). وكذلك أبو جعفر، وقرأ باقي العشرة بإسكان الياء. في كلمة (إنّي أخاف). ا. هـ.

(٤) «التبيان» (٢/ ١١١٨)، و«البحر المحيط» (٩/ ٢٥١).

(٥) «روح المعاني» (٢٤/ ٥٨)، و«التيسير» (ص١٩١)، و«النشر» (٢/ ٣٦٥).

﴿وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ﴾ قرأ أبو عمرو، وحمزة، والكسائي: «عذْت» بإدغام الذال[1]. وقرأ الباقون[2] بالإظهار.

لما هدّده فرعون بالقتل استعاذ بالله ﷻ من كلّ متعظم عن الإيمان بالله غير مؤمن بالبعث والنشور، ويدخل فرعون في هذا العموم دخولاً أوّليّاً.

﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ﴾ قال الحسن[3] ومقاتل[4] والسدّي[5]: كان قِبطيّاً، وهو: ابن عم فرعون، وهو الذي نجا مع موسى، وهو المراد بقوله: ﴿وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ﴾ [القصص: ٢٠] الآية، وقيل: كان من بني إسرائيل[6]، ولم يكن من آل فرعون، وهو خلاف ما في الآية، وقد تمحّل لذلك بأن في الآية تقديماً، وتأخيراً.

والتقدير: وقال رجل مؤمن من بني إسرائيل يكتم إيمانه من آل فرعون. قال القشيري[7]: ومن جعله إسرائيلياً ففيه بعد؛ لأنه يقال: كتمه أمر كذا، ولا يقال: كتم منه كما قال سبحانه: ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٤٢]، وأيضاً ما كان فرعون يحتمل من بني إسرائيل مثل هذا القول.

---

(١) أي: إدغام الذال المعجمة في التاء بعد قلبها تاءً. «النشر» (٢/١٦)، و«البحر المحيط» (٩/٢٥١)، و«روح المعاني» (٢٤/٥٩).
قال الفراء: تظهر وتدغم، والإدغام أحبُّ إليَّ؛ لأنها متصلة بحرف لا يوقف على ما دونه. وجاءت كذلك في مصحف أُبيّ بن كعب «عُتُ» على الإدغام بالخط.

(٢) «البحر المحيط» (٩/٢٥١)، و«حجة الفارسي» (٦/١٠٩)، و«روح المعاني» (٢٤/٥٩).

(٣) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٨/٣١٧).

(٤) ذكره الواحدي في «الوسيط» (٣/١٠).

(٥) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/٣١١) بسند حسن.

(٦) ذكره البغوي في «تفسيره» (٧/١٤٦).

(٧) ذكره الرازي في «تفسيره» (٢٧/٥٧).

• وأولى القولين في ذلك بالصواب عندي القول الذي قاله السُّديّ، من أنَّ الرجلَ المؤمنَ كان من آل فرعون، قد أصغى لكلامه واستمع منه ما قاله، وتوقَّف عن قتل موسى عند نَهْيه عن قتله وقيله ما قال. وقال له: ما أُريكم إلا ما أرى، وما أهديكم إلا سبيل الرشاد. ولو كان إسرائيلياً لكان حَرِيّاً أن يُعاجل هذا القائل له ولملئه ما قال، بالعقوبة على قوله لأنه لم يكن يستنصح بني إسرائيل، لاعتداده إياهم أعداءً له، فكيف يقول عن قتل موسى لو وَجَد إليه سبيلاً، ولكنه لمَّا كان من ملأ قومه، استمع قوله وكفَّ عمّا كان همَّ به في موسى.

وقد اختلف[١] في اسم هذا الرجل، فقيل: حبيب، وقيل: حزقيل، وقيل: غير ذلك.

قرأ الجمهور[٢]: «رجُل» بضم الجيم، وقرأ الأعمش، وعبد الوارث بسكونها[٣]، وهي: لغة تميم، ونجد، والأولى هي: الفصيحة.

وقرئ بكسر الجيم، ومؤمنٌ صفة لرجل، و﴿مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾ صفة أخرى، و﴿يَكْتُمُ إِيمَـٰنَهُۥٓ﴾ صفة ثالثة، والاستفهام في ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا﴾ للإنكار، و ﴿أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ﴾ في موضع نصب[٤] بنزع الخافض؛ أي: لأن يقول، أو كراهة أن يقول.

وجملة: ﴿وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ مِن رَّبِّكُمْ﴾ في محل نصب على الحال؛ أي: والحال أنّه قد جاءكم بالمعجزات الواضحات، والدلالات الظاهرات على نبوّته، وصحة رسالته، ثم تلطف لهم في الدفع عنه، فقال: ﴿وَإِن يَكُ كَـٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ﴾، ولم يكن قوله هذا لشكٍ منه، فإنّه كان مؤمناً كما وصفه الله. ولا يشك المؤمن.

ومعنى: ﴿يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ﴾ أنه إذا لم يصبكم كله، فلا أقلّ من أن يصيبكم بعضه، وحذفت النون من يكن في الموضعين تخفيفاً لكثرة الاستعمال، كما قال سيبويه[٥]، وقال أبو عبيدة[٦]، وأبو الهيثم[٧]: بعض هنا بمعنى: كل؛ أي: يصبكم كلّ الذي يعدكم، وأنشد أبو عبيدة[٨] على هذا قول لبيد[٩]:

تـرَّاكُ أمـكـنـةٍ إذا لـم أرضَـهـا ... أو يـرتـبـط بـعـضَ الـنَّـفـوس حـمـامُـهـا

---

(١) «النكت والعيون» (٥/ ١٥٢).

(٢) «البحر المحيط» (٩/ ٢٥١).

(٣) «روح المعاني» (٢٤/ ٦٠)، و«البحر المحيط» (٩/ ٢٥١). القراءة المتواترة هي بضم الجيم أما بفتحها وكسرها فهي شاذة.

(٤) «الفريد» (٤/ ٢١٠)، و«روح المعاني» (٢٤/ ٦١).

(٥) ذكره النحاس في «إعراب القرآن» (٤/ ٣١).

(٦) في «مجاز القرآن» (٢/ ٢٠٤).

(٧) ذكره الواحدي في «الوسيط» (٤/ ١٠).
أبو الهيثم هو: خالد بن مخلو القطواني أبو الهيثمي البجلي الكوفي، توفي سنة ٢١٣هـ.

(٨) في «مجاز القرآن» (٢/ ٢٠٥).

(٩) «شرح ديوان لبيد» (ص٣١٣) وفيه (يعتلق) بدل: يرتبط.

أي: كلّ النفوس، وقد اعترض عليه، وأجيب بأن البعض قد يستعمل في لغة العرب بمعنى: الكلّ كما في قول الشاعر[١]:

قد يُدرك المتأني بعضَ حاجتِه ... وقد يكون مع المُستعجلِ الزَّللُ

وقول الآخر:

إنَّ الأمورَ إذا الأحداثُ دبَّرها ... دون الشيوخ ترى في بعضِها خَلَلا[٢]

وليس في البيتين ما يدلّ على ما زعموه.

وأمّا بيت لبيد، فقيل: إنّه أراد ببعض النفوس[٣] نفسه، ولا ضرورة تلجئ إلى حمل ما في الآية على ذلك؛ لأنّه أراد التنزّل معهم، وإيهامهم: أنه لا يعتقد صحة نبوّته كما يفيده قوله: ﴿يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ﴾ قال أهل المعاني: وهذا على المظاهرة في الحِجاج، كأنّه قال لهم: أقلّ ما يكون في صدقه أن يصيبكم بعض الذي يعدكم، وفي بعض ذلك هلاككم، فكأنّ الحاصل بالبعض هو الحاصل بالكل.

وقال الليث[٤]: بعض ها هنا صلة يريد يُصْبكم الذي يعدكم، وقيل: يصبكم هذا العذاب الذي يقوله في الدنيا، وهو بعض ما يتوعدكم به من العذاب وقيل: إنه وعدهم بالثواب، والعقاب، فإذا كفروا أصابهم العقاب، وهو بعض ما يتوعدهم به.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾ هذا من تمام كلام الرجل المؤمن، وهو: احتجاج آخر ذو **وجهين**[٥]:

أحدهما: أنه لو كان مسرفاً كذاباً لما هداه الله إلى البينات ولا أيده بالمعجزات.

وثانيهما: أنه إذا كان كذلك خذله الله، وأهلكه، فلا حاجة لكم إلى قتله.

والمسرف[٦]: المُقيم على المعاصي، المستكثر منها، والكذّاب: المفتري.

---

(١) قائله: عمرو القطامي، وهو في «ديوانه» (ص٢٥).
(٢) لإسحاق بن خلف وهو الخريمي. «طبقات الشعراء» (ص٤٤٣).
(٣) ذكره الرازي في «تفسيره» (٢٧/ ٥٨).
(٤) ذكره الواحدي في «الوسيط» (٣/ ١٠)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٧/ ٢١٨).
(٥) ذكره الألوسي في «روح المعاني» (٢٤/ ٦٣).
(٦) «مفردات ألفاظ القرآن» (ص٤٠٧ ـ ٤٠٨)، و«تهذيب اللغة» (١٨/ ٣٩٧).

﴿يَٰقَوْمِ لَكُمُ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ظَٰهِرِينَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ ذكرهم ذلك الرجل المؤمن ما هم فيه من الملك، ليشكروا الله ولا يتمادوا في كفرهم.

ومعنى ظاهرين: الظهور على الناس والغلبة لهم، والاستعلاء عليهم، والأرض: أرض مصر، وانتصاب ظاهرين على الحال.

﴿فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأْسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَا﴾؛ أي: من يمنعنا من عذابه، ويحول بيننا وبينه عند مجيئه، وفي هذا تحذير منه لهم من نقمة الله بهم وإنزال عذابه عليهم.

فلما سمع فرعون ما قاله هذا الرجل مِنْ النصح الصحيح جاء بمراوغة يوهم بها قومه أنّه لهم من النصيحة والرعاية بمكان مكين، وأنه لا يسلك بهم إلا مسلكاً يكون فيه جلب النفع لهم ودفع الضرّ عنهم، ولهذا قال: ﴿مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ﴾ قال ابن زيد[١]: أي: ما أشير عليكم إلا بما أرى لنفسي.

وقال الضحاك[٢]: ما أعلمكم إلا ما أعلم، والرؤية هنا هي: القلبية لا البصرية، والمفعول الثاني هو إلا ما أرى.

﴿وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾؛ أي: ما أهديكم بهذا الرأي إلا طريق الحقّ.

قرأ الجمهور[٣]: «الرشَاد» بتخفيف الشين، وقرأ معاذ بن جبل[٤] بتشديدها على أنها صيغة مبالغة كضرّاب.

وقال النحاس[٥]: هي: لحن، ولا وجه لذلك.

وقد أخرج ابن المنذر، وابن أبي حاتم عن ابن عباس[٦] في قوله: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾ قال: لم يكن في آل فرعون مؤمن غيره، وغير امرأة فرعون، وغير المؤمن الذي أنذر موسى الذي قال: ﴿إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ﴾ [القصص: ٢٠] قال ابن المنذر[٧]: أخبرت أن اسمه حزقيل.

وأخرج عبد بن حميد[٨] عن أبي إسحاق قال: اسمه حبيب.

---

(١) «النكت والعيون» (٥/ ١٥٤). (٢) ذكره البغوي في «تفسيره» (٧/ ١٤٧).
(٣) «البحر المحيط» (٩/ ٢٥٤)، و«التبيان» (٢/ ١١١٨).
(٤) «المحتسب» (٢/ ٤٢١)، و«إعراب القرآن» للنحاس (٤/ ٣١). والقراءة بتشديد الشين شاذة.
(٥) في «إعراب القرآن» (٤/ ٣١).
(٦) ذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٢٦٦).
(٧) ذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٢٨٥).
(٨) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٢٨٥).

وأخرج البخاري(١)، وغيره(٢) من طريق عروة قال: قيل لعبد الله بن عمرو بن العاص: أخبرنا بأشدّ شيء صنعه المشركون برسول الله ﷺ؟ قال: «بينا رسول الله ﷺ يصلي بفناء الكعبة إذ أقبل عُقبة بن أبي مُعيط، فأخذ بمنكب رسول الله ﷺ، ولوى ثوبه في عنقه، فخنقه خنقاً شديداً، فأقبل أبو بكر، فأخذ بمنكبيه، ودفعه عن النبي ﷺ، ثم قال: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ﴾».

وأخرج أبو نُعيم في «فضائل الصحابة»، والبزار عن عليّ بن أبي طالب(٣)، أنه قال: أيها الناس أخبروني مَنْ أشجع الناس؟ قالوا: أنت. قال: أما أني [٢٧/ ٤] ما بارزت أحداً إلا انتصفتُ منه، ولكن أخبروني بأشجع الناس؟ قالوا: لا نعلم، فمن؟ قال: أبو بكر، رأيتُ رسول الله ﷺ، وأخذته قريش، فهذا يحثّه وهذا يُتَلْتِلهُ، وهم يقولون: أنت الذي جعلت الآلهة إلٰهاً واحداً، قال: فوالله ما دنا منا أحد إلا أبو بكر يضرب هذا، ويجأ هذا، ويُتَلْتل هذا، وهو يقول: ويلكم أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله؟

ثم رفع بردةً كانت عليه، فبكى حتى اخضلت لحيته، ثم قال: أنشدكم أمؤمن آل فرعون خير أم أبو بكر؟ فسكت القوم، فقال: ألا تجيبون؟ فوالله لساعة من أبي بكر خير مِنْ مثل مؤمن آل فرعون، وذاك رجل يكتم إيمانه، وهذا رجل أعلن إيمانه.

[مصارع الأحزاب شاهدة ببأس الله في أخذ المكذبين والطغاة]:

﴿وَقَالَ ٱلَّذِيٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ ٱلْأَحْزَابِ ﴿٣٠﴾ مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْۚ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ ﴿٣١﴾ وَيَٰقَوْمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ ٱلتَّنَادِ ﴿٣٢﴾ يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦۖ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» رقم (٣٦٧٨، ٣٨٥٦، ٤٨١٥).
(٢) وعزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٢٨٥) إلى ابن المنذر وابن مردويه.
(٣) أخرجه البزار في «مسنده» رقم (٧٦١)، وأبو نعيم في «فضائل الصحابة» رقم (٢٣٧)، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٩/ ٤٧): «وفيه من لم أعرفه».

لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًاۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِينَ
يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْۖ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ۚ كَذَٰلِكَ
يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴿٣٥﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ
ٱلْأَسْبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًاۚ وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ
لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِۚ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِى تَبَابٍ ﴿٣٧﴾ وَقَالَ ٱلَّذِىٓ
ءَامَنَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٣٨﴾ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَٰعٌ
وَإِنَّ ٱلْءَاخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ ﴿٣٩﴾ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَاۖ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا
مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ
حِسَابٍ ﴿٤٠﴾﴾.

ثمّ كرّر ذلك الرجل المؤمن تذكيرهم، وحذّرهم أن ينزل بهم ما نزل بمن قبلهم، فقال الله حاكياً عنه: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ ٱلْأَحْزَابِ﴾؛ أي: مثل يوم عذاب الأمم الماضية الذين تحزبوا على أنبيائهم، وأفرد[1] اليوم؛ لأن جمع الأحزاب قد أغنى عن جمعه.

ثم فسّر الأحزاب، فقال: ﴿مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْۚ﴾؛ أي: مثل حالهم في العذاب، أو مثل عادتهم في الإقامة على التكذيب، أو مثل جزاء ما كانوا عليه من الكفر، والتكذيب.

﴿وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ﴾؛ أي: لا يعذبهم بغير ذنب، ونفيُّ الإرادة للظلم يستلزم نفي الظلم بفحوى الخطاب[2].

ثم زاد في الوعظ والتذكير، فقال: ﴿وَيَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ ٱلتَّنَادِ﴾ قرأ الجمهور[3]: «التنادِ» بتخفيف الدال، وحذف الياء، والأصل: التنادي، وهو: التفاعل من النداء، يقال: تنادى القوم؛ أي: نادى بعضهم بعضاً.

---

(١) «روح المعاني» (٢٤/ ٦٥ ـ ٦٦)، و«تفسير أبي السعود» (٦/ ١٨).
(٢) «تفسير أبي السعود» (٦/ ١٨).
(٣) «البحر المحيط» (٩/ ٢٥٦)، و«معاني الفراء» (٣/ ٨)، و«جامع البيان» (٢٠/ ٣١٩)، و«زاد المسير» (٧/ ٢١٩).

وقرأ الحسن[(١)]، وابن السميفع، ويعقوب، وابن كثير، ومجاهد بإثبات الياء على الأصل.

وقرأ ابن عباس[(٢)]، والضحاك، وعكرمة بتشديد الدال.

قال بعض أهل اللغة[(٣)]: هو: لحن؛ لأنه من ندّ يندّ: إذا مرّ على وجهه هارباً.

قال النحاس[(٤)]: وهذا غلط، والقراءة حسنة على معنى التنادي.

قال الضحاك[(٥)]: في معناه: أنهم إذا سمعوا بزفير جهنم ندّوا هرباً، فلا يأتون قُطراً من أقطار الأرض إلا وجدوا صفوفاً من الملائكة، فيرجعون إلى المكان الذي كانوا فيه، فذلك قوله: ﴿يَوْمَ ٱلتَّنَادِ﴾.

وعلى قراءة الجمهور المعنى: يوم ينادي بعضُهم بعضاً، أو ينادي أهلُ النار أهلَ الجنة، وأهلُ الجنة أهلَ النار، أو ينادى فيه بسعادة السعداء، وشقاوة الأشقياء، أو يوم ينادي فيه كلّ أناس بإمامهم، ولا مانع من الحمل على جميع هذه المعاني.

وقوله: ﴿يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ﴾ بدل من يوم التناد؛ أي: مُنْصرفين عن الموقف إلى النّار، أو فارّين مِنْها.

قال قتادة[(٦)]، ومقاتل[(٧)]: المعنى: إلى النّار بعد الحساب.

وجملة: ﴿مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍۗ﴾ في محل نصب[(٨)] على الحال؛ أي: ما لكم مَنْ يعصمكم مِنْ عذاب الله ويمنعكم منه ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾ يهديه إلى طريق الرشاد.

---

(١) انظر: المصادر المتقدمة.

(٢) «المحتسب» (٢/ ٢٤٣)، و«القراءات الشاذة» (ص١٣٢)، و«روح المعاني» (٢٤/ ٦٨). القراءة بتشديد الدال شاذة، أمّا اثبات الياء فقد اثبتها في حال الوصل والوقف ابن كثير ويعقوب واثبتها وصلاً لا وقفاً ورش عن نافع وابن وردان عن أبي جعفر وقرأ باقي العشرة بحذفها في الحالين انظر: «النشر» (٢/ ١٩٠).

(٣) «البحر المحيط» (٩/ ٢٥٦)، و«معاني القرآن» للنحاس (٦/ ٢٢٠).

(٤) في «معاني القرآن» للنحاس (٦/ ٢٢٠).

(٥) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٨/ ٣٥٤)، والبغوي في «تفسيره» (٧/ ١٤٨).

(٦) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/ ٣٢٠) بسند صحيح.

(٧) ذكره الواحدي في «الوسيط» (٤/ ١١).

(٨) «الفريد» (٤/ ٢١٢)، و«التبيان» (٢/ ١١١٩).

ثم زاد في وعظهم وتذكيرهم، فقال: ﴿وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾؛ أي: يوسف بن يعقوب، والمعنى: أن يوسف بن يعقوب جاءهم بالمعجزات، والآيات الواضحات من قبل مجيء موسى إليهم؛ أي: جاء إلى آبائكم، فجعل المجيء إلى الآباء مجيئاً إلى الأبناء.

وقيل: المراد بيوسف هنا: يوسف بن إفرائيم بن يوسف بن يعقوب، وكان أقام فيهم نبيّاً عشرين سنة. وحكى النقاش[(١)]، عن الضحاك: أن الله بعث إليهم رسولاً مِنْ الجنّ يقال له: يوسف، والأوّل أولى.

وقد قيل[(٢)]: إنّ فرعون موسى أدرك أيام يوسف بن يعقوب لطول عمره ﴿فَمَا زِلْتُمْ فِى شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦ﴾ مِنْ البينات، ولم تؤمنوا به ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ﴾ يوسف ﴿قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًا﴾، فكفروا به في حياته، وكفروا بمن بعده من الرسل بعد موته.

﴿كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ﴾؛ أي: مثل ذلك الضلال الواضح يضلّ الله مَنْ هو مسرف في معاصي الله مستكثر منها مرتاب في دين الله شاكّ في وحدانيته ووعده ووعيده.

والموصول في قوله: ﴿ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ بدل[(٣)] من «مَنْ»، والجمع باعتبار معناها، أو بيان لها، أو صفة، أو في محل[(٤)] نصب بإضمار: أعني، أو خبر مبتدأ محذوف؛ أي: هم الذين، أو مبتدأ، وخبره يطبع، و ﴿بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ﴾ متعلق بيجادلون؛ أي: يجادلون في آيات الله بغير حُجة واضحة و ﴿أَتَىٰهُمْ﴾ صفة لسلطان.

﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ يحتمل أَنْ يراد به التعجّب، وأن يراد به الذمّ كبئس، وفاعل كَبُر ضمير يعود إلى الجدال المفهوم من يجادلون،

---

(١) «النكت والعيون» (٥/ ١٥٥).

(٢) ذكره النحاس في «إعراب القرآن» (٤/ ٣٣) عن وهب بن منبه.
قال النحاس: وغيره يقول: هو آخر وليس في هذه الآية دليل على أنّه هو لأنّه إذا أتى بالبينات فهي لمن معه، ولمن بعده، وقد جاءهم جميعاً بها وعليهم أن يصدقوه بها.

(٣) «مشكل إعراب القرآن» (٢/ ٢٦٦)، و«الفريد» (٤/ ٢١٢)، و«التبيان» (٢/ ١١١٩).

(٤) انظر: المصادر المتقدمة.

وقيل: فاعله ضمير يعود إلى «مَنْ» في ﴿مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ﴾، والأوّل أولى.

وقوله: ﴿عِندَ ٱللَّهِ﴾ متعلق بكَبُر، وكذلك ﴿وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ قيل: هذا من كلام الرجل المؤمن، وقيل: ابتداء كلام من الله سبحانه.

﴿كَذَٰلِكَ يَطۡبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلۡبِ مُتَكَبِّرٖ جَبَّارٖ﴾؛ أي: كما طبع على قلوب هؤلاء المجادلين، فكذلك يطبع؛ أي: يَخْتم على كلّ قلب متكبر جبار.

قرأ الجمهور[١] بإضافة قلب إلى مُتكبّر، واختار هذه القراءة أبو حاتم[٢] وأبو عبيد، وفي الكلام حذف، وتقديره: كذلك يطبع الله على كلّ قلب كل متكبر، فحذف كلّ الثانية لدلالة الأولى عليها، والمعنى: أنه سبحانه يطبع على قلوب جميع المتكبرين الجبّارين.

وقرأ أبو عمرو وابن محيصن، وابن ذكوان عَنْ أهل الشام بتنوين[٣] قلبٍ على أنّ متكبر صفة له، فيكون القلب مراداً به الجملة؛ لأن القلب هو: محل التكبر وسائر الأعضاء تبع له في ذلك.

وقرأ ابن مسعود[٤]: «على قلب كلّ متكبر».

ثم لما سمع فرعون هذا رجع إلى تكبره، وتجبره معرضاً عن الموعظة نافراً من قبولها، وقال: ﴿يَٰهَٰمَٰنُ ٱبۡنِ لِي صَرۡحٗا﴾؛ أي: قصراً مشيداً كما تقدّم بيان تفسيره ﴿لَّعَلِّيٓ أَبۡلُغُ ٱلۡأَسۡبَٰبَ﴾؛ أي: الطرق. قال قتادة[٥]، والزهري[٦]، والسدّي[٧]، والأخفش[٨]: هي: الأبواب.

وقوله: ﴿أَسۡبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ بيان للأسباب؛ لأنّ الشيء إذا أبُهم، ثم فسّر كان

---

(١) «التيسير» (ص١٩١)، و«النشر» (٢/ ٣٦٥)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (٢/ ٢٤٣ ـ ٢٤٤).

(٢) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٨/ ٣٥٧).

(٣) «الحجة» للفارسي (٦/ ١٠٩ ـ ١١٠)، و«التيسير» (ص١٩١). هما قراءتان متواترتان بالاضافة وبالتنوين.

(٤) «القراءات الشاذة» (ص١٣٢). هي قراءة شاذة مخالفة للرسم.

(٥) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/ ٣٢٥) بسند صحيح. هي قراءة شاذة مخالفة للرسم.

(٦) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٨/ ٣٥٨).

(٧) ذكره الماوردي في«النكت والعيون» (٥/ ١٥٦).

(٨) ذكره المارودي في «النكت والعيون» (٥/ ١٥٦).

أوقع في النفوس، وأنشد الأخفش عند تفسيره للآية بيت زُهير[١]:

ومَن هَابَ أسبابَ المَنَايا يَنَلنه ... وَلَوْ رامَ أسبابَ السَّماءِ بسلَّمِ

وقيل: أسباب السماوات الأمور التي يستمسك بها ﴿فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ﴾ قرأ الجمهور[٢] بالرفع عطفاً على «أبلغ»، فهو على هذا داخل في حيز الترجي.

وقرأ الأعرج، والسلمي، وعيسى بن عمر، وحَفْص بالنصب[٣] على جواب الأمر في قوله: ﴿ٱبْنِ لِى﴾، أو على جواب الترجّي كما قال أبو عبيد[٤]، وغيره.

قال النحاس[٥]: ومعنى النصب خلاف معنى الرفع؛ لأنّ معنى النصب: متى بلغت الأسباب اطلعت، ومعنى الرفع: لعلي أبلغ الأسباب، ولعلي أطلع بعد ذلك.

وفي هذا دليل على أنّ فرعون كان بمكان مِنْ الجهل عظيم، وبمنزلة من فهم حقائق الأشياء سافلة جدّاً ﴿وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا﴾؛ أي: وإنِّي لأظنّ موسى كاذباً في ادعائه بأن له إلٰهاً أو فيما يدّعيه من الرسالة ﴿وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ﴾؛ أي: ومثل ذلك التزيين زَيّن الشيطانُ لفرعون سوء عمله من الشرك والتكذيب فتمادى في الغيّ واستمرّ على الطغيان ﴿وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِ﴾؛ أي: سبيل الرشاد.

قرأ الجمهور[٦]: «وصَدَّ» بفتح الصاد، والدال؛ أي: صدّ فرعون الناس عن السبيل، وقرأ الكوفيون[٧]: «وصُدّ» بضم الصاد مبنيّاً للمفعول، واختار هذه القراءة أبو عبيد[٨]، وأبو حاتم، ولعلّ وجه الاختيار لها منهما كونها مطابقة لما أجمعوا عليه في ﴿زُيِّنَ﴾ مِنْ البناء للمفعول.

وقرأ يحيى بن وثّاب، وعلقمة: «صِد» بكسر الصاد[٩]، وقرأ ابنُ أبي إسحاق،

---

(١) انظر: «ديوان زهير بن أبي سلمى» (ص٣٠).
(٢) «النشر» (٢/٣٦٦)، و«جامع البيان» (٢٠/٣٢٦ ـ ٣٢٧)، و«التيسير» (ص١٩٢).
(٣) انظر: المصادر المتقدمة.
(٤) ذكره النحاس في «إعراب القرآن» (٤/٣٣ ـ ٣٤).
(٥) في «إعراب القرآن» (٤/٣٤).
(٦) «النشر» (٢/٢٩٨)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (٢/٢٢، ٢٤٤)، و«جامع البيان» (٢٠/٣٢٧).
(٧) «التيسير» (ص١٣٣)، و«السبعة» (ص٥٧١). (٨) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٨/٣٥٩).
(٩) «البحر المحيط» (٩/٢٥٩)، و«روح المعاني» (٢٤/٧٤). القراءة بكسر الصاد أو بفتحها وضمّ الدال منوناً شاذتان.

وعبد الرحمٰن بن أبي بكرة بفتح[(١)] الصاد، وضمّ الدال منوّناً على أنه مصدر معطوف على سوء عمله؛ أي: زين له الشيطان سوءَ العمل، والصدَّ ﴿وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ﴾ التباب[(٢)]: الخسار والهلاك، ومنه ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ﴾ [المسد: ١].

ثم إن ذلك الرجل المؤمن أعاد التذكير، والتحذير كما حكى الله عنه بقوله: ﴿وَقَالَ الَّذِي ءَامَنَ يَٰقَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾؛ أي: اقتدوا بي في الدين؛ أهدكم طريق الرشاد، وهو: الجنّة، وقيل: هذا من قول موسى، والأوّل أولى.

وقرأ معاذ بن جبل[(٣)]: «الرشّاد» بتشديد الشين كما تقدّم قريباً في قول فرعون، ووقع في المصحف «اتبعون» بدون ياء[(٤)]، وكذلك قرأ أبو عَمْرو[(٥)]، ونافع بحذفها في الوقف، وإثباتها في الوصل، وقرأ يعقوب[(٦)]، وابن كثير بإثباتها وصلاً، ووقفاً، وقرأ الباقون[(٧)] بحذفها وصلاً، ووقفاً، فمن أثبتها فعلى ما هو الأصل، ومن حذفها، فلكونها حذفت في المصحف.

﴿يَٰقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ الْحَيَوٰةُ الدُّنْيَا مَتَٰعٌ﴾ يتمتع بها أياماً، ثم تنقطع، وتزول ﴿وَإِنَّ الْءَاخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ﴾ [٤/٢٨]؛ أي: الاستقرار[(٨)] لكونها دائمة لا تنقطع، ومستمرّة لا تزول.

﴿مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا مِثْلَهَا﴾؛ أي: مَنْ عمل في دار الدنيا معصية مِنْ المعاصي كائنة ما كانت، فلا يجزى إلا مثلها ولا يعذب إلا بقدرها، والظاهر شمول الآية لكل ما يطلق عليه اسم السيئة، وقيل: هي خاصة بالشرك ولا وجه لذلك.

---

(١) «القراءات الشاذة» (ص١٣٢)، و«البحر المحيط» (٩/٢٥٩).
(٢) «تهذيب اللغة» (١٤/٣٠٢)، و«مفردات ألفاظ القرآن» (ص١٦٢).
(٣) «القراءات الشاذة» (ص١٣٢)، و«المحتسب» (٧/٢٤١). تقدم أنها قراءة شاذة.
(٤) «التيسير» (ص١٨٢)، و«النشر» (٢/٣٦٦)، و«السبعة» (ص٥٧٣).
(٥) انظر: المصادر المتقدمة.
(٦) «النشر» (٢/٣٦٦)، و«التيسير» (ص١٨٢).
(٧) «الكشف عن وجوه القراءات» (٢/٢٤١)، و«التيسير» (ص١٨٢).
(٨) «روح المعاني» (٢٤/٧٥).

﴿وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾؛ أي: مَنْ عمل عملاً صالحاً مع كونه مؤمناً بالله، وبما جاءت به رسله ﴿فَأُولَٰئِكَ﴾ الذين جمعوا بين العمل الصالح والإيمان ﴿يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾؛ أي: بغير تقدير ومحاسبة.

قال مقاتل[١]: يقول: لا تبعة عليهم فيما يعطون في الجنّة من الخير، وقيل: العمل الصالح، هو: لا إله إلا الله.

قرأ الجمهور[٢]: «يَدْخلون» بفتح التحتية مبنيّاً للفاعل. وقرأ ابن كثير، وابن محيصن، وأبو عمرو، ويعقوب، وأبو بكر عَنْ عاصم بضمها[٣] مبنيّاً للمفعول.

وقد أخرج ابن المنذر[٤] عن ابن عباس ﴿مِثْلَ دَأْبِ﴾ قال: مثل حال.

وأخرج عبدُ الرزاق، وعبد بن حُميد عَنْ قتادة[٥] ﴿مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ﴾ قال: هم الأحزاب: قوم نوح وعاد وثمود.

وأخرج ابنُ المنذر عن ابن جريج[٦] في قوله: ﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ قال: رؤيا يوسف، وفي قوله: ﴿الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ﴾ قال: يهود.

وأخرج ابن المنذر، وابن أبي حاتم عن ابن عباس[٧] في قوله: ﴿إِلَّا فِي تَبَابٍ﴾ قال: خُسْران.

وأخرج عبد بن حُميد[٨] عن مجاهد نحوه.

وأخرج ابنُ أبي حاتم عَنْ ابن عباس[٩] في قوله: ﴿إِنَّمَا هَٰذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ﴾ قال: الدنيا جمعة من جمع الآخرة سبعة آلاف سنة.

وأخرج ابنُ مردويه عَنْ أبي هريرة[٩] قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الحياة

---

(١) ذكره البغوي في «تفسيره» (٧/ ١٤٩).
(٢) «النشر» (٢/ ٣٥٢)، و«التيسير» (ص٩٧)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (١/ ٣٩٧).
(٣) «روح المعاني» (٢٠/ ٧٦)، و«البحر المحيط» (٩/ ٢٥٩)، و«النشر» (٢/ ٣٥٢). ومعهم أبو جعفر قرأ بضم الياء.
(٤) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٢٨٦).
(٥) أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢/ ١٨١) بسند صحيح.
(٦) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٢٨٧).
(٧) عزاه إليهما السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٢٨٨).
(٨) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٢٨٩).
(٩) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٢٨٩).

الدنيا متاع، وليس من متاعها شيء أفضل من المرأة الصالحة، التي إذا نظرت إليها سرّتك، وإذا غبت عنها حفظتك في نفسها، ومالها».

﴿وَيَٰقَوْمِ مَا لِيٓ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدْعُونَنِيٓ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٤١﴾ تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِۦ مَا لَيْسَ لِي بِهِۦ عِلْمٌ وَأَنَا۠ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلْغَفَّٰرِ ﴿٤٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُۥ دَعْوَةٌ فِي ٱلدُّنْيَا وَلَا فِي ٱلْـَٔاخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴿٤٣﴾ فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمْۚ وَأُفَوِّضُ أَمْرِيٓ إِلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٤٤﴾ فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُوا۟ۖ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّاۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾ وَإِذْ يَتَحَآجُّونَ فِي ٱلنَّارِ فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَٰٓؤُا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ ٱلنَّارِ ﴿٤٧﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا كُلٌّ فِيهَآ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ ٱلْعِبَادِ ﴿٤٨﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِي ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٩﴾ قَالُوٓا۟ أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِۖ قَالُوا۟ بَلَىٰۚ قَالُوا۟ فَٱدْعُوا۟ۗ وَمَا دُعَٰٓؤُا۟ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ ﴿٥٠﴾ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴿٥١﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْۖ وَلَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٥٢﴾﴾.

كرّر ذلك الرجل المؤمن دعاءهم إلى الله، وصرّح بإيمانه، ولم يسلك المسالك المتقدّمة من إيهامه لهم أنّه منهم، وأنّه إنما تصدّى لتذكيرهم كراهة أن يصيبهم بعض ما توعدهم به موسى كما يقوله الرجل المحبّ لقومه من التحذير عن الوقوع فيما يخاف عليهم الوقوع فيه، فقال: ﴿وَيَٰقَوْمِ مَا لِيٓ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدْعُونَنِيٓ إِلَى ٱلنَّارِ﴾؛ أي: أخبروني عنكم كيفَ هذه الحال: أدعوكم إلى النجاة من النار، ودخول الجنّة بالإيمان بالله، وإجابة رسله وتدعونني إلى النّار بما تريدونه مني من الشرك؟

قيل: معنى ﴿مَا لِيٓ أَدْعُوكُمْ﴾: ما لكم أدعوكم؟ كما تقول: ما لي أراك حزيناً؛ أي: ما لك[1].

---

(١) «التبيان» (٢/ ١١٢٠)، و«الفريد» (٤/ ٢١٤).

ثم فسّر الدعوتين، فقال: ﴿تَدْعُونَنِى لِأَكْفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِۦ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ﴾، فقوله: تدعونني بدل مِنْ تدعونني الأولى، أو بيان لها ﴿مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ﴾؛ أي: ما لا علم لي بكونه شريكاً لله ﴿وَأَنَا۠ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلْغَفَّٰرِ﴾؛ أي: إلى العزيز في انتقامه مِمّن كفر ﴿ٱلْغَفَّٰرِ﴾ لذنب من آمن به ﴿لَا جَرَمَ﴾ قد تقدّم تفسير هذا في سورة هود، و«جَرَمَ» فعل[1] ماض بمعنى: حقّ، و(لا) الداخلة عليه لنفي ما ادّعوه، وردّ ما زعموه، وفاعل هذا الفعل هو قولهُ: ﴿أَنَّمَا تَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُۥ دَعْوَةٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَلَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾؛ أي: حقّ، ووجبَ بطلان دعوته.

قال الزجّاج[2]: معناه: ليس له استجابة دعوة تنفع، وقيل: ليس له دعوة توجب له الألوهية في الدنيا ولا في الآخرة.

وقال الكلبي[3]: ليس له شفاعة ﴿وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ﴾؛ أي: مرجعنا، ومصيرنا إليه بالموت أوّلاً وبالبعث آخراً، فيجازي كل أحد بما يستحقه من خير وشرّ ﴿وَأَنَّ ٱلْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ﴾؛ أي: المستكثرين من معاصي الله.

قال قتادة[4] وابن سيرين[5]: يعني: المشركين.

وقال مجاهد[6]، والشعبي[7]: هم السفهاء السفّاكون للدّماء بغير حقها.

وقال عكرمة[8]: الجبارون والمتكبرون.

وقيل: هم الذين تعدّوا حدود الله، «وأن» في الموضعين عطف على «أن» في قوله: ﴿أَنَّمَا تَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ﴾، والمعنى: وحَقٌّ أن مردّنا إلى الله وحقّ أن المسرفين إلخ.

﴿فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمْ﴾ إذا نزل بكم العذاب، وتعلمون أنّي قد بالغت في نصحكم وتذكيركم، وفي هذا الإبهام من التخويف والتهديد ما لا يخفى ﴿وَأُفَوِّضُ

---

(١) «الفريد» (٤/ ٢١٤)، و«التبيان» (٢/ ١١٢٠)، و«البحر المحيط» (٩/ ٢٦٠).
(٢) في «معاني القرآن وإعرابه» (٤/ ٣٧٦).
(٣) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ١٥٨).
(٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/ ٣٣٤) بسند صحيح.
(٥) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ١٥٩).
(٦) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/ ٣٣٤) بسند صحيح.
(٧) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٨/ ٣٦٣)، والماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ١٥٩).
(٨) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٨/ ٣٦٣).

﴿أَمْرِىٓ إِلَى ٱللَّهِۚ﴾؛ أي: أتوكل عليه وأسلم أمري إليه. قيل: إنَّه قال هذا لما أرادوا الإيقاع به. قال مقاتل[١]: هرب هذا المؤمن إلى الجبل، فلم يقدروا عليه.

وقيل: القائل هو: موسى، والأوّل أولى.

﴿فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُواْۖ﴾؛ أي: وقاه الله ما أرادوا به من المكر السيّئ وما أرادوه به من الشرّ. قال قتادة[٢]: نجاه الله مع بني إسرائيل ﴿وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ﴾؛ أي: أحاط بهم، ونزل عليهم سوء العذاب.

قال الكسائي[٣]: يقال: حاق يَحِيقُ حَيْقاً، وحُيُوقاً: إذا نزل، ولزم.

قال الكلبي[٤]: غرقوا في البحر، ودخلوا النار، والمراد بآل فرعون: فرعون وقومه، وتُرك التصريح به للاستغناء بذكرهم عن ذكره لكونه أولى بذلك منهم، أو المراد بآل فرعون فرعون نفسه.

والأوّل أولى؛ لأنهم قد عُذِّبوا في الدنيا جميعاً بالغرق، وسيعذبون في الآخرة بالنار.

ثم بيّن سبحانه ما أجمله من سوء العذاب، فقال: ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّاۖ﴾، فارتفاع النار[٥] على أَنّها بدلٌ مِنْ سوء العذاب، وقيل: على أَنّها خبر مبتدأ محذوف، أو مبتدأ، وخبره يُعْرَضون، والأوّل أولى، ورجّحه الزجاج، وعلى الوجهين الأخيرين تكون الجملة مستأنفة جواب سؤال مقدّر.

وقُرِئ بالنِّصب[٦] على تقدير فعل يفسّره يُعْرَضون من حيث المعنى؛ أي: يصلون النار يعرضون عليها، أو على الاختصاص، وأجاز الفرّاء[٧] الخفض على البدل من العذاب. وذهب الجمهور أنَّ هذا العرض هو في البرزخ[٨]، وقيل: هو في الآخرة.

---

(١) «الوسيط» (٤/ ١٥)، و«النكت والعيون» (٥/ ١٥٩).
(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/ ٣٣٦) بسند صحيح.
(٣) ذكره النحاس في «إعراب القرآن» (٤/ ٣٤). (٤) «الوسيط» (٤/ ١٥).
(٥) «الفريد» (٤/ ٢١٥)، و«التبيان» (٢/ ١١٢٠)، و«البحر المحيط» (٩/ ٢٦١)، و«مشكل إعراب القرآن» (٢/ ٢٦٧).
(٦) انظر: المصادر المتقدمة. القراءة بالنصب شاذة.
(٧) في «معاني القرآن» (٣/ ٩).
(٨) «جامع البيان» (٢٠/ ٣٣٧)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٨/ ٣٦٧)، و«تفسير القرآن العظيم» لابن كثير (١٢/ ١٩٤ ـ ١٩٨).

[ثبوت عذاب القبر]:

قال الفرّاء[(١)]: ويكون في الآية تقديم، وتأخير؛ أي: أدخلوا آل فرعون أشدّ العذاب، النار يعرضون عليها غدوّاً وعشياً، ولا ملجئ إلى هذا التكلف، فإن قوله: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾ يدل دلالة واضحة على أن ذلك العرض[(٢)] هو في البرزخ.

وقوله: ﴿أَدْخِلُوٓاْ﴾ هو بتقدير القول؛ أي: يُقال للملائكة: أدخلوا آل فرعون، و ﴿أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾ هو: عذاب النار. قرأ حمزة، والكسائي، ونافع، وحفص: «أَدخِلوا» بفتح الهمزة[(٣)]، وكسر الخاء، وهو على تقدير القول كما ذكر.

وقرأ الباقون[(٤)]: «ادخُلوا» بهمزة وصل مِنْ دخُل يدخل أمراً لآل فرعون بالدخول بتقدير حرف النداء؛ أي: ادخلوا يا آل فرعون أشدّ العذاب.

﴿وَإِذْ يَتَحَآجُّونَ فِى ٱلنَّارِ﴾ الظرف منصوب[(٥)] بإضمار: اذكر، والمعنى: اذكر لقومك وقت تخاصمهم في النار.

ثم بيّن سبحانه هذا التخاصم، فقال: ﴿فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ﴾ عن الانقياد للأنبياء والاتباع لهم، وهم: رؤساء الكفر ﴿إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا﴾ جمع لتابع، كخدم وخادم، أو مصدر[(٦)] واقع موقع اسم الفاعل؛ أي: تابعين، أو على حذف مضاف؛ أي: ذوي تبع. قال البصريون[(٧)]: التبع يكون واحداً، ويكون جمعاً.

وقال الكوفيون[(٨)]: هو جمع لا واحد له.

﴿فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ ٱلنَّارِ﴾؛ أي: هَلْ تدفعون عنّا نصيباً

---

(١) في «معاني القرآن» للفراء (٣/ ١٠).

(٢) قال القرطبي في «تفسيره» (١٨/ ٣٦٦ ـ ٣٦٧) فجعل العرض في الآخرة، وهو خلاف ما ذهب إليه الجمهور من انتظام الكلام على سياقه على ما تقدم.

(٣) «التيسير» (ص١٩٢)، و«النشر» (٢/ ٣٦٥)، و«زاد المسير» (٧/ ٢٢٩)، و«جامع البيان» (٢٠/ ٣٤٠).ومع مَنْ قرأ بفتح الهمزة وكسر الخاء أبو جعفر ويعقوب وخلف.

(٤) انظر: المصادر المتقدمة.

(٥) «التبيان» (٢/ ١١٢١)، و«الفريد» (٤/ ٢١٦).

(٦) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٨/ ٣٦٧).

(٧) «إعراب القرآن» للنحاس (٤/ ٣٦).

(٨) «البحر المحيط» (٩/ ٢٦٣)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٨/ ٣٦٧)، و«مشكل إعراب القرآن» (٢/ ٢٧٦).

منها، أو تحملونه معنا؟ وانتصاب «نصيباً» بفعل مقدّر يدل عليه مغنون؛ أي: هل تدفعون عنا نصيباً، أو تمنعون؟ على تضمينه معنى حاملين؛ أي: هل أنتم حاملون معنا نصيباً؟ أو على المصدرية ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا كُلٌّ فِيهَآ﴾ هذه الجملة مستأنفة جواب سؤال مقدّر، والمعنى: إنا نحن، وأنتم جميعاً في جهنم، فكيف نغني عنكم؟

قرأ الجمهور[١]: «كلٌّ» بالرّفع على الابتداء، وخبره: ﴿فِيهَا﴾، والجملة خبر إنّ، قاله الأخفش[٢]. وقرأ ابن السميفع، وعيسى بن عمر: «كُلًّا» بالنصب[٣]. قال الكسائي[٤]، والفراء[٥] على التأكيد لاسم إنّ بمعنى: كلنا، وتنوينه عوض عن المضاف إليه، وقيل: على الحال، ورجّحه ابن مالك[٦].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ ٱلْعِبَادِ﴾؛ أي: قضى بينهم بأن فريقاً في الجنة وفريقاً في السعير ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِى ٱلنَّارِ﴾ من الأمم الكافرة، مستكبرهم، وضعيفهم ﴿لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ﴾ جمع خازن، وهو القوّام بتعذيب أهل النار ﴿ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ ٱلْعَذَابِ﴾ يوماً ظرف؛ لـ«يخفف»، ومفعول[٧] يخفف محذوف؛ أي: يخفف عنا شيئاً من العذاب مقدار يوم أو في يوم.

وجملة: ﴿قَالُوٓاْ أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ مستأنفة جواب سؤال مقدّر والاستفهام[٨] للتوبيخ والتقريع ﴿قَالُواْ بَلَىٰ﴾؛ أي: أتونا بها، فكذبناهم ولم

---

(١) «البحر المحيط» (٩/ ٢٦٣)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٨/ ٣٦٧)، و«مشكل إعراب القرآن» (٢/ ٢٧٦).
(٢) في «معاني القرآن» للأخفش (٢/ ٦٧٨).
(٣) «روح المعاني» (٢٤/ ٨٤)، و«البحر المحيط» (٩/ ٢٦٣). القراءة بالنصب شاذة.
(٤) ذكره النحاس في «إعراب القرآن» (٤/ ٣٦).
(٥) في «معاني القرآن» (٣/ ١٠).
(٦) في «تسهيل الفوائد» كما في «البحر المحيط» (٩/ ٢٦٣).
وفي «مغني اللبيب» (ص٢٥٧): «ذكره أن ابن مالك خرّجها على أنّها حال من ضمير الظرف، ثم رَدّه ابن هشام، وذكر أنّ الأجود أن تقدر بدلاً من اسم إنَّ، وجاز إبدال الظاهر من ضمير الحاضر بدل محل لأنّه مفيد للإحاطة مثل: «قمتم ثلاثتكم».
«أوضح المسالك» (٣/ ٢٠)، و«شرح التسهيل» (٢/ ٢٨٨).
(٧) «التبيان» (٢/ ١١٢١)، و«الفريد» (٤/ ١٧).
(٨) «تفسير أبي السعود» (٦/ ٢٢)، و«روح المعاني» (٢٤/ ٨٦).

نؤمن بهم ولا بما جاءوا به من الحجج الواضحة، فلما اعترفوا ﴿قَالُواْ﴾؛ أي: قال لهم الملائكة الذين هم: خزنة جهنم ﴿فَادْعُواْ﴾؛ أي: إذا كان الأمر كذلك فادعوا أنتم، فإنا لا ندعو لمن كفر بالله وكذّب رسله بعد مجيئهم بالحجج الواضحة.

ثم أخبروهم: بأن دعاءهم لا يفيد شيئاً، فقالوا: ﴿وَمَا دُعَـٰٓؤُاْ ٱلْكَـٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَـٰلٍ﴾؛ أي: في ضياع، وبطلان، [٤/٢٩] وخسار وتبار.

وجملة: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ مستأنفة من جهته سبحانه؛ أي: نجعلهم الغالبين لأعدائهم القاهرين لهم، والموصول[١] في محل نصب عطفاً على رسلنا؛ أي: لننصر رسلنا، وننصر الذين آمنوا معهم ﴿فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ بما عوّدهم الله مِنْ الانتقام منهم بالقتل، والسلب، والأسر، والقهر ﴿وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَـٰدُ﴾، وهو: يوم القيامة.

قال زيد بن أسلم[٢]: الأشهاد هم: الملائكة، والنبيون.

وقال مجاهد[٣] والسدّي[٤]: الأشهاد: الملائكة تشهد للأنبياء بالإبلاغ وعلى الأمم بالتكذيب.

قال الزجّاج[٥]: الأشهاد: جمع شاهد مثل صاحب وأصحاب. قال النحاس[٦]: ليس باب فاعل أن يُجمع على أفعال ولا يقاس عليه، ولكن ما جاء منه مسموعاً أدّى على ما سمع، فهو على هذا جمع شهيد، مثل شريف وأشراف.

ومعنى نصرهم يوم يقوم الأشهاد: أن الله يجازيهم بأعمالهم فيدخلهم الجنة ويكرمهم بكراماته، ويجازي الكفار بأعمالهم فيلعنهم ويدخلهم النار، وهو معنى قوله: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّـٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ ٱللَّعْنَةُ﴾؛ أي: البعد عن الرّحمة ﴿وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ﴾؛ أي: النار، و«يوم»[٧] بدل من «يوم يقوم الأشهاد» وإنما لم تنفعهم المعذرة؛ لأنها معذرة باطلة، وتعلّة داحضة، وشُبْهة زائغة. قرأ الجمهور[٨] «تنفع»

---

(١) «إعراب القرآن» للنحاس (٤/ ٣٧). (٢) «النكت والعيون» (٥/ ١٦٠).
(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/ ٣٤٧) بسند ضعيف.
(٤) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٨/ ٣٦٩). (٥) في «معاني القرآن وإعرابه» (٤/ ٣٧٦).
(٦) في «إعراب القرآن» (٤/ ٣٨).
(٧) «التبيان» (٢/ ١١٢١)، و«الفريد» (٤/ ٢١٧).
(٨) «التيسير» (ص١٩٢)، و«النشر» (٢/ ٣٦٥)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (٣/ ٢٤٥)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٨/ ٣٧٠).

بالفوقية. وقرأ نافع[١]، والكوفيون بالتحتية، والكلُّ جائز في اللغة.

وقد أخرج البخاريّ في «تاريخه»، وابن المنذر عن ابن مسعود[٢] في قوله: ﴿وَأَنَّ ٱلْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ﴾ قال: السفّاكين للدّماء بغير حقها.

وأخرج البخاري، ومسلم، وغيرهما عن ابن عمر[٣] قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أحدكم إذا مات عُرض عليه مقعده بالغداة، والعشيّ، إن كان من أهل الجنة، فمن أهل الجنة، وإن كان من أهل النار، فمن أهل النار، يقال له: هذا مقعدك حتى يبعثك الله إليه يوم القيامة»، زاد ابن مردويه: «ثم قرأ: ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾».

وأخرج البزار، وابن أبي حاتم، والحاكم وصححه، وابن مردويه، والبيهقي في «الشعب» عن ابن مسعود[٤]، عن النبي ﷺ قال: «ما أحسن محسن مسلم، أو كافر إلا أثابه الله، قلنا: يا رسول الله ما إثابة الكافر؟ قال: المال والولد والصحة وأشباه ذلك، قلنا: وما إثابته في الآخرة؟ قال: عذاباً دون العذاب، وقرأ رسول الله ﷺ: ﴿أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾».

وأخرج أحمد، والترمذي وحسنه، وابن أبي الدنيا، والطبراني، وابن مردويه، والبيهقي في «الشعب» عن أبي الدرداء[٥]، عن النبي ﷺ قال: «من ردّ عن عرض أخيه ردّ الله عن وجهه نار جهنم يوم القيامة، ثم تلا: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾»[٦].

وأخرج ابن مردويه[٧] من حديث أبي هريرة مثله.

---

(١) انظر: المصادر المتقدمة.

(٢) أخرجه البخاري في «تاريخه» (٧/ ٣٣٠).

(٣) أخرجه البخاري رقم (١٣٧٩، ٣٢٤٠، ٦٥١٥)، ومسلم في «صحيحه» رقم (٢٨٦٦)، وابن أبي شيبة (١٣/ ٢٣٧).

(٤) أخرجه البزار في «مسنده» رقم (٩٤٥ ـ «كشف»)، والحاكم (٢/ ٢٥٣)، والبيهقي في «الشعب» رقم (٢٨١) بسند ضعيف.

(٥) أخرجه أحمد في «مسنده» رقم (٢٧٥٣٦ ـ ٢٧٥٤٣)، والترمذي رقم (١٩٣١)، وابن أبي الدنيا في «ذم الغيبة» رقم (١٠٢، ١١٤)، وفي «الصمت» رقم (٢٣٩)، والبيهقي في «الشعب» رقم (٧٦٣٥، ٧٦٣٦). وهو حديث صحيح.

(٦) وليس للآية ذلك إلا عند البيهقي في «الشعب» رقم (٧٦٣٦).

(٧) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٢٩٢).

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْهُدَىٰ وَأَوْرَثْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ ﴿٥٣﴾ هُدًى وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٤﴾ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ ﴿٥٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ إِن فِى صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿٥٦﴾ لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَلَا ٱلْمُسِىٓءُ قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٩﴾ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦١﴾ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٦٢﴾ كَذَٰلِكَ يُؤْفَكُ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٦٣﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٤﴾ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾.

قوله: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْهُدَىٰ﴾ هذا من جملة ما قصه الله سبحانه قريباً من نصره لرسله؛ أي: آتيناه التوراة، والنبوّة، كما في قوله سبحانه: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ﴾ [المائدة: ٤٤].

قال مقاتل(١): الهدى من الضلالة يعني: التوراة.

﴿وَأَوْرَثْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ ﴿٥٣﴾ هُدًى وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ المراد بالكتاب: التوراة، ومعنى ﴿وَأَوْرَثْنَا﴾: أنّ الله سبحانه لما أنزل التوراة على موسى بقيت بعده فيهم، وتوارثوها خلفاً عن سلف.

وقيل: المراد بالكتاب: سائر الكتب المنزلة على أنبياء بني إسرائيل بعد موت

(١) ذكره البغوي في «تفسيره» (٧/ ١٥٢).

موسى، و﴿هُدًى وَذِكْرَىٰ﴾ في محل[١] نصب على أنهما مفعول لأجله؛ أي: لأجل الهدى والذكر، أو على أنهما مصدران[٢] في موضع الحال؛ أي: هادياً ومذكراً، والمراد بأولي الألباب: أهل العقول السليمة.

ثم أمر الله، رسوله ﷺ بالصبر على الأذى، فقال: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾؛ أي: اصبر على أذى المشركين كما صبر من قبلك من الرسل، إنّ وعد الله الذي وعد به رسله حقّ لا خلف فيه، ولا شك في وقوعه كما في قوله: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا﴾ [غافر: ٥١]، وقوله: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ (١٧١) إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ (١٧٢) وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾ [الصافات: ١٧١ ـ ١٧٣].

قال الكلبي[٣]: نسخ هذا بآية السيف.

ثم أمره سبحانه بالاستغفار لذنبه، فقال: ﴿وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ﴾ قيل: المراد: ذنب أمتك، فهو على حذف مضاف، وقيل: المراد: الصغائر عند من يجوّزها[٤] على الأنبياء، وقيل: هو مجرد تعبد له بالاستغفار[٥] لزيادة الثواب، وقد غفر الله له ما تقدم من ذنبه، وما تأخر.

﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ﴾؛ أي: دم على تنزيه الله ملتبساً بحمده.

وقيل: المراد: صلّ في الوقتين صلاة العصر وصلاة الفجر. قاله الحسن[٦] وقتادة[٧]، وقيل: هما صلاتان ركعتان غدوة وركعتان عشية، وذلك قبل أن تفرض الصلوات الخمس.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ﴾؛ أي: بغير حجة ظاهرة واضحة جاءتهم من جهة الله سبحانه ﴿إِن فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ﴾؛ أي: ما في قلوبهم إلا تكبراً عن الحق يحملهم على تكذيبك، وجملة: ﴿مَّا هُم بِبَالِغِيهِ﴾ صفة لكبر.

---

(١) «الفريد» (٤/ ٢١٨)، و«روح المعاني» (٢٤/ ٨٩)، و«مشكل إعراب القرآن» (٢/ ٢٦٧).
(٢) انظر: المصادر المتقدمة.
(٣) ذكره البغوي في «تفسيره» (٧/ ١٥٢).
(٤) «تفسير الرازي» (٢٧/ ٧٨٧٧).
(٥) «معالم التنزيل» (٧/ ١٥٢ ـ ١٥٣).
(٦) ذكره ابن عطية في «المحرر الوجيز» (١٤/ ١٤٨).
(٧) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ١٦١).

قال الزجاج[١]: المعنى: ما في صدورهم إلا كبر ما هم ببالغي إرادتهم فيه، فجعله على حذف المضاف. وقال غيره: ما هم ببالغي الكبر.

وقال ابن قتيبة[٢]: المعنى: إن في صدورهم إلا كبر؛ أي: تكبر على محمد ﷺ، وطمع أن يغلبوه، وما هم ببالغي ذلك.

وقيل: المراد بالكبر: الأمر الكبير؛ أي: يطلبون النبوّة، أو يطلبون أمراً كبيراً يصلون به إليك من القتل، ونحوه، ولا يبلغون ذلك.

وقال مجاهد[٣]: معناه: في صدورهم عظمة ما هم ببالغيها. والمراد بهذه الآية: المشركون، وقيل[٤]: اليهود كما سيأتي بيانه آخر البحث إن شاء الله.

ثم أمره الله سبحانه بأن يستعيذ بالله من شرورهم، فقال: ﴿فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾؛ أي: فالتجئ إليه من شرّهم، وكيدهم، وبغيهم عليك إنه السميع لأقوالهم، البصير بأفعالهم لا تخفى عليه من ذلك خافية.

ثم بيّن سبحانه عظيم قُدْرته، فقال: ﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ﴾؛ أي: أعظم في النفوس، وأجلّ في الصدور؛ لعظم أجرامهما واستقرارهما من غير عمد، وجريان الأفلاك بالكواكب من غير سبب، فكيف ينكرون البعث، وإحياء ما هو دونهما من كل وجه؟!كما في قوله: ﴿أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم﴾ [يس: ٨١] قال أبو العالية: المعنى: لخلق السمٰوات، والأرض أعظم من خلق الدجال حين عظَّمته اليهود.

وقال يحيى بن سلام[٥]: هو احتجاج على منكري البعث؛ أي: هما أكبر من إعادة خلق الناس.

﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ بعظيم قدرة الله، وأنّه لا يعجزه شيء. ثم لما ذكر سبحانه الجدال بالباطل ذكر مثالاً للباطل والحق، وأنهما لا يستويان، فقال: ﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ﴾؛ أي: الذي يجادل بالباطل والذي يجادل بالحق ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَلَا ٱلْمُسِىٓءُ﴾؛ أي: ولا يستوي المحسن

(١) في «معاني القرآن وإعرابه» (٤/ ٣٧٧). (٢) في «تفسير غريب القرآن» (ص٣٨٧).
(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/ ٣٤٩).
(٤) «النكت والعيون» (٥/ ١٦١).
(٥) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٨/ ٣٧٣)، والماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ١٦١).

بالإيمان والعمل الصالح، والمسيء بالكفر والمعاصي، وزيادة «لا» في، ولا المسيء للتأكيد[١].

﴿قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ﴾ قرأ الجمهور[٢]: «يَتذكرون» بالتحتية على الغيبة، واختار هذه القراءة أبو عبيد[٣]، وأبو حاتم؛ لأن قبلها، وبعدها على الغيبة لا على الخطاب.

وقرأ الكوفيون[٤] بالفوقية على الخطاب بطريقة الالتفات؛ أي: تذّكراً قليلاً ما تتذكرون.

﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَآتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا﴾؛ أي: لا شك في مجيئها، وحصولها ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ بذلك، ولا يصدقونه لقصور أفهامهم، وضعف عقولهم عن إدراك الحُجّة، والمراد بأكثر الناس الكفّار الذين ينكرون البعث.

ثم لما بيّن سبحانه أن قيام الساعة حق لا شك فيه ولا شبهة، أرشد عباده إلى ما هو الوسيلة إلى السعادة في دار الخلود، فأمر رسوله ﷺ أن يحكي عنه ما أمره بإبلاغه وهو: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ قال أكثر المفسرين[٥] المعنى: وحدوني واعبدوني أتقبل عبادتكم وأغفرْ لكم.

[أمرهم بالدعاء ووعدهم الاستجابة وليس بينهما شرط]:

وقيل: المراد بالدعاء: السؤال بجلب النفع ودفع الضُر. قيل: الأوّل أولى؛ لأنّ الدعاء في أكثر استعمالات الكتاب العزيز [٤/٣٠] هو: العبادة. قلتُ: بل الثاني أولى؛ لأنّ معنى الدعاء حقيقة، وشرعاً هو: الطلبُ، فإن استُعمل في غير ذلك، فهو: مجاز، على أن الدعاء في نفسه باعتبار معناه الحقيقي هو: عبادة، بل «مخ

---

(١) وأعيدت (لا) في «المسيء» تذكيراً للنفي السابق، لما بينهما من الفصل بطول الصلة، ولأنَّ المقصود بالنفي أنَّ الكافرَ المسيء لا يساوي المؤمن المحسن.
«روح المعاني» (٢٤/ ٩٤)، و«تفسير أبي السعود» (٦/ ٢٥).

(٢) «النشر» (٢/ ٣٦٥)، و«التيسير» (ص١٩٢)، و«روح المعاني» (٢٤/ ٩٥)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (٢/ ٢٤٦).

(٣) ذكره عنهما القرطبي في «تفسيره» (١٨/ ٣٧٤).

(٤) «النشر» (٢/ ٣٦٥)، و«التيسير» (ص١٩٢)، و«روح المعاني» (٢٤/ ٩٥).

(٥) أخرجه الترمذي في «السنن» رقم (٣٣٧١) وقال: «هذا حديث غريب من هذا الوجه لا نعرفه إلا من حديث ابن لهيعة».

العبادة» كما ورد بذلك الحديث الصحيح، فالله سبحانه قد أمر عباده بدعائه ووعدهم بالإجابة، ووعدُه الحق، وما يبدّل القول لديه، ولا يخلف الميعاد.

ثم صرّح سبحانه بأن هذا الدعاء باعتبار معناه الحقيقي وهو الطلب هو من عبادته، فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾؛ أي: ذليلين صاغرين، وهذا وعيدٌ شديد لمن استكبر عَنْ دعاء الله، وفيه لطف بعباده عظيم، وإحسان إليهم جليل حيث توعد من ترك طلب الخير منه، واستدفاع الشرّ به بهذا الوعيد البالغ، وعاقبه بهذه العقوبة العظيمة، فيا عبادَ الله وجهّوا رغباتكم وعوّلوا في كلّ طلباتكم على مَنْ أمركم بتوجيهها إليه، وأرشدكم إلى التعويل عليه، وكفل لكم الإجابة بإعطاء الطُّلبة، فهو الكريم المطلق الذي يجيب دعوة الداعي إذا دعاه، ويغضب على مَنْ لم يطلب من فضله العظيم، وملكه الواسع ما يحتاجه من أمور الدنيا والدين.

قيل: وهذا الوعد بالإجابة مقيد بالمشيئة؛ أي: أستجب لكم إن شئت كقوله سبحانه: ﴿فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَآءَ﴾ [الأنعام: ٤١] الله، قرأ الجمهور[١]: «سَيَدْخُلون» بفتح الياء، وضم الخاء مبنيّاً للفاعل، وقرأ ابنُ كثير، وابن محيصن، ورويس، وأبو جعفر بضم الياء[٢]، وفتح الخاء مبنيّاً للمفعول.

[السكون بالليل ضرورة لكل حي]:

ثم ذكر سبحانه بعض ما أنعم به على عباده، فقال: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ﴾ من الحركات في طلب الكسب؛ لكونه جعله مظلماً بارداً تناسبه الراحة بالسكون، والنوم ﴿وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾؛ أي: مُضيئاً، لتبصروا فيه حوائجكم، وتتصرفوا في طلب معايشكم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ يتفضّل عليهم بنعمه التي لا تُحْصى ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ النعم، ولا يعترفون بها، إما لجحودهم لها، وكفرهم بها كما هو شأن الكفار، أو لإغفالهم للنظر، وإهمالهم لما يجب مِنْ شكر المُنْعِم، وهم: الجاهلون.

---

(١) «التيسير» (ص٩٧، ٩٩)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (١/ ٣٩٧)، و«روح المعاني» (٢٤/ ٩٨)، و«زاد المسير» (٧/ ٢٣٤١، ٢٣٥٠).

(٢) انظر: المصادر المتقدمة. هما قراءتان متواترتان وقرأ ورش كقراءة الجمهور.

﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ بيّن سبحانه في هذا كمال قدرته المقتضية لوجوب توحيده.

قرأ الجمهور[(١)]: «خالق» بالرفع على أنه خبر بعد الخبر الأوّل عن المبتدأ.

وقرأ زيد بن عليّ[(٢)] بنصبه على الاختصاص ﴿فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾؛ أي: فكيف تنقلبون عن عبادته وتنصرفون عن توحيده؟ ﴿كَذَٰلِكَ يُؤْفَكُ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾؛ أي: مثل الإفك يؤفك الجاحدون لآيات الله المنكرون لتوحيده.

ثم ذكر لهم سبحانه نوعاً آخر من نعمه التي أنعم بها عليهم مع ما في ذلك من الدلالة على كمال قدرته وتفرّده بالإلٰهية، فقال: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً﴾؛ أي: موضع قرار فيها تحيون وفيها تموتون ﴿وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً﴾؛ أي: سقفاً قائماً ثابتاً. ثم بيّن بعض نعمه المتعلقة بأنفس العباد، فقال: ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾؛ أي: خلقكم في أحسن صورة.

قال الزجاج[(٣)]: خلقكم أحسن الحيوان كله. قرأ الجمهور[(٤)]: «صُورَكم» بضم الصاد، وقرأ الأعمش، وأبو رَزين بكسرها[(٥)].

قال الجوهري[(٦)]: والصِور بكسر الصاد لغة في الصُور بضمها ﴿وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾؛ أي: المستلذات ﴿ذَٰلِكُمُ﴾ المنعوت بهذه النعوت الجليلة ﴿ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾؛ أي: كثرة خيره، وبركته.

﴿هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾؛ أي: الباقي الذي لا يفنى ،المنفرد بالألوهية ﴿فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾؛ أي: الطاعة والعبادة.

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ قال الفراء[(٧)]: هو خبر، وفيه إضمار أمر؛ أي: احمدوه.

---

(١) «البحر المحيط» (٩/ ٢١٩)، و(٢٤/ ١٠٠).

(٢) «البحر المحيط» (٩/ ٢١٩)، و«إعراب القراءات الشواذ» (٢/ ٤٢٣). قراءة النصب قراءة شاذة.

(٣) ذكره الواحدي في «الوسيط» (٤/ ٢٠).

(٤) «البحر المحيط» (٩/ ٢٦٩ ـ ٢٧٠)، و«معاني القرآن» للأخفش (٢/ ٤٨٦)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٨/ ٣٧٧).

(٥) «القراءات الشاذة» (ص١٣٢)، و«البحر المحيط» (٩/ ٢٦٩ ـ ٢٧٠).

(٦) في «الصحاح» (٢/ ٧١٧).

(٧) ذكره البغوي في «تفسيره» (٧/ ١٥٧).

وقد أخرج عبد بن حميد، وابن أبي حاتم. قال السيوطي[١]: بسند صحيح عن أبي العالية[٢] قال: إن اليهود أتوا النبي ﷺ، فقالوا: إن الدجال يكون منا في آخر الزمان، ويكون من أمره، فعظَّموا أمره، وقالوا: نصنع كذا، ونصنع كذا، فأنزل الله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَـٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَـٰنٍ أَتَىٰهُمْ ۙ إِن فِى صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَـٰلِغِيهِ ۚ﴾ قال: لا يبلغ الذي يقول: ﴿فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ﴾ فأمر نبيه أن يتعوّذ من فتنة الدجال، لخلق السمٰاوات والأرض أكبر من خلق الدجال.

وأخرج ابن أبي حاتم[٣] عن كعب الأحبار في الآية قال: هم اليهود نزلت فيهم فيما ينتظرونه من أمر الدجال.

وأخرج عبد بن حميد، وابن المنذر عن مجاهد[٤] في قوله: ﴿إِن فِى صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ﴾ قال: عظمة قريش.

وأخرج سعيد بن منصور، وابن أبي شيبة، وأحمد، وعبد بن حميد، والبخاري في «الأدب المفرد»، وأبو داود، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والطبراني، وابن حبّان، والحاكم وصححه، وابن مردويه، وأبو نعيم في «الحلية»، والبيهقي في «الشعب» عن النعمان بن بشير[٥] قال: قال رسول الله ﷺ: «الدعاء هو: العبادة، ثم قرأ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى﴾ قال: عن دعائي ﴿سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾». قال الترمذي: حسن صحيح.

---

(١) في «الدر المنثور» (٧/ ٢٩٤).
(٢) عزاه إليهما السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٢٩٤).
(٣) ذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٢٦٨).
(٤) عزاه إليهما السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٢٩٤).
(٥) أخرجه ابن أبي شيبة (١٠/ ٢٠٠)، وأحمد رقم (١٨٣٥٢، ١٨٣٨٦، ١٨٣٩١، ١٨٤٣٢، ١٨٤٣٧)، والبخاري في «الأدب» رقم (٧١٤)، وأبو داود رقم (١٤٧٩)، والترمذي رقم (٢٩٦٩، ٣٢٤٧، ٣٣٧٢)، والنسائي في «الكبرى» رقم (١١٤٦٤)، وابن ماجه رقم (٣٨٢٨)، وابن جرير (٢٠/ ٣٥٢ ـ ٣٥٤)، والطبراني في «الصغير» (٢/ ٩٧)، وابن حبان رقم (٨٩٠)، والحاكم (١/ ٤٩٠، ٤٩١)، وأبو نعيم (٨/ ١٢٠)، والبيهقي في «الشعب» رقم (١١٠٥). وهو حديث صحيح.

وأخرج ابن مردويه، والخطيب عن البراء[(١)]: أن رسول الله ﷺ قال: «إن الدعاء هو العبادة، ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْۚ﴾».

وأخرج ابن جرير، وابن مردويه، وأبو الشيخ في «العظمة» عن ابن عباس[(٢)] في قوله: ﴿ادْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْۚ﴾ قال: وحدوني أغفر لكم.

وأخرج الحاكم وصححه، عن جرير بن عبد الله[(٣)] في الآية قال: اعبدوني.

وأخرج ابن مردويه[(٤)] عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: «الدعاء الاستغفار».

وأخرح ابن أبي شيبة، والحاكم، وأحمد عن أبي هريرة[(٥)] قال: قال رسول الله ﷺ: «من لم يدع الله يغضبْ عليه».

وأخرج أحمد، والحكيم الترمذي، وأبو يعلى، والطبراني، عن معاذ بن جبل[(٦)]، عن النبي ﷺ قال: «لا ينفع حذر من قدر، ولكن الدعاء ينفع مما نزل، وممّا لم ينزل، فعليكم بالدعاء».

وأخرج الترمذي[(٧)]، والحكيم الترمذي في «نوادر الأصول»[(٨)] عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «الدعاء مخّ العبادة».

وأخرج ابن المنذر، والحاكم وصححه عن ابن عباس[(٩)] قال: أفضل العبادة الدعاء، وقرأ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْۚ﴾ الآية.

---

(١) أخرجه الخطيب في «تاريخه» (١٢/ ٢٧٩).
(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/ ٣٥٢)، وأبو الشيخ في «العظمة» رقم (١٦٩) بسند صحيح.
(٣) أخرجه الحاكم (٢/ ٢٧٤، ٢٧٥).
(٤) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٣٠١).
(٥) أخرجه ابن أبي شيبة (١٠/ ٢٠٠)، وأحمد رقم (٩٧١٩، ١٠١٧٨)، والحاكم (١/ ٤٩١) بسند ضعيف.
(٦) أخرجه أحمد رقم (٢٢٠٤٤)، والحكيم الترمذي (٤/ ١٢٩)، وأبو يعلى كما في «الإتحاف» بذيل «المطالب» (٨/ ٢٣٩)، والطبراني (٢٠ج رقم ٢٠١) بسند ضعيف.
(٧) تقدم تخريجه.
(٨) أخرجه الحكيم الترمذي (٢/ ٢١٣). وهو حديث ضعيف.
(٩) أخرجه الحاكم (١/ ٤٩١).

وأخرج البخاري في الأدب عن عائشة(١) قالت: «سئل النبي ﷺ: أيّ العبادة أفضل؟ فقال: دعاء المرء لنفسه».

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، والحاكم وصححه، وابن مردويه، والبيهقي في «الأسماء والصفات» عن ابن عباس(٢) قال: من قال: لا إلٰه إلّا الله، فليقل على أثرها: الحمد لله ربّ العالمين وذلك قوله: ﴿فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

﴿قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَمَّا جَاءَنِيَ الْبَيِّنَاتُ مِن رَّبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ (٦٦) هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ وَلِتَبْلُغُوا أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (٦٧) هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ فَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ (٦٨) أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ أَنَّىٰ يُصْرَفُونَ (٦٩) الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ (٧٠) إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ (٧١) فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ (٧٢) ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ (٧٣) مِن دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا بَل لَّمْ نَكُن نَّدْعُو مِن قَبْلُ شَيْئًا كَذَٰلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ (٧٤) ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ (٧٥) ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ (٧٦) فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ (٧٧) وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ (٧٨) اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَنْعَامَ لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ (٧٩) وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ (٨٠) وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَأَيَّ آيَاتِ اللَّهِ تُنكِرُونَ (٨١) أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ

---

(١) أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» رقم (٧١٥) بسند ضعيف.

(٢) أخرجه ابن جرير (٢٠/٣٥٧، ٣٥٨)، والحاكم (٢/٤٣٨)، وابن مردويه كما في «تخريج الكشاف» (٣/٢٢٢)، والبيهقي رقم (١٩٤) من طريق علي بن الحسن بن شقيق، به.

﴿فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرِحُوا۟ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٨٣﴾ فَلَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا ۖ سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ فِى عِبَادِهِۦ ۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾﴾.

أمر الله سبحانه رسوله أن يُخْبر المشركين بأن الله نهاه عن عبادة غيره، وأمره بالتوحيد، فقال: ﴿قُلْ إِنِّى نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ وهي: الأصنام.

ثم بيّن وجه النهي، فقال: ﴿لَمَّا جَآءَنِىَ ٱلْبَيِّنَٰتُ مِن رَّبِّى﴾، وهي: الأدلة العقلية والنقلية؛ فإنّها توجب التوحيد ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾؛ أي: أستسلم له بالانقياد، والخضوع.

ثم أردف هذا بذكر دليل من الأدلة على التوحيد، فقال: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ﴾؛ أي: خلق أباكم الأوّل وهو آدم، وخلقهُ مِنْ تراب يستلزم خلق ذرّيته منه.

﴿ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ﴾ قد تقدّم تفسير هذا في غير موضع.

﴿ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا﴾؛ أي: أطفالاً، وأفرده لكونه اسم[(١)] جنس، أو على معنى: يخرج كلّ واحد منكم طفلاً.

﴿ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ﴾، وهي: الحالة التي تجتمع فيها القوّة والعقل وقد سبق بيان الأشدّ مستوفى في الأنعام، واللاّم التعليلية[(٢)] في لتبلغوا معطوفة على علة أخرى، ليخرجكم مناسبة لها، والتقدير: لتكبروا شيئاً فشيئاً ثم لتبلغوا غاية الكمال.

وقوله: ﴿ثُمَّ لِتَكُونُوا۟ شُيُوخًا﴾ معطوف على لتبلغوا. قرأ نافع وحفص وأبو عمرو وابن محيصن وهشام: «شُيوخاً» بضم الشين[(٣)]، وقرأ الباقون بكسرها[(٤)].

وقرئ «شيخاً» على الإفراد[(٥)] لقوله طفلاً، والشيخ من جاوز أربعين سنة.

---

(١) «روح المعاني» (٢٤/ ١٠٣)، و«تفسير أبي السعود» (٦/ ٢٧).

(٢) «روح المعاني» (٢٤/ ١٠٣ ـ ١٠٤).

(٣) «التيسير» (ص١٩٢)، و«النشر» (٢/ ٢٦٦)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (١/ ٢٨٤).

(٤) انظر: المصادر المتقدمة.

(٥) «روح المعاني» (٢٤/ ١٠٣)، و«الكشاف» (٥/ ٣٥٩). هما قراءتان متواترتان القراءة بضم =

﴿وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ﴾؛ أي: من قبل الشيخوخة.

﴿وَلِتَبْلُغُوٓاْ أَجَلًا مُّسَمًّى﴾؛ أي: وقت الموت، أو يوم القيامة، واللام هي: لام[١] العاقبة.

﴿وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾؛ أي: لكي تعقلوا توحيد ربكم وقدرته البالغة في خلقكم على هذه الأطوار المختلفة ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ﴾؛ أي: يقدر على الإحياء، [٤/٣١] والإماتة ﴿فَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا﴾ مِنْ الأمور التي يريدها ﴿فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ من غير توقف، وهو: تمثيل لتأثير قدرته في المقدورات عند تعلق إرادته بها.

وقد تقدّم تحقيق معناه في البقرة، وفيما بعدها.

ثم عجب سبحانه من أحوال المجادلين في آيات الله، فقال: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾، وقد سبق بيان معنى المجادلة ﴿أَنَّىٰ يُصْرَفُونَ﴾؛ أي: كيف يُصْرَفون عنها مع قيام الأدلة الدالة على صحتها، وأنها في أنفسها موجبة للتوحيد.

قال ابن زيد[٢]: هم المشركون بدليل قوله: ﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِٱلْكِتَٰبِ وَبِمَآ أَرْسَلْنَا بِهِۦ رُسُلَنَا﴾ قال القرطبي[٣]: وقال أكثر المفسِّرين: نزلتْ في القدرية. قال ابن سيرين[٤]: إنْ لم تكن هذه الآية نزلت في القدرية، فلا أدري فيمن نزلت، ويجاب عَنْ هذا بأن الله سبحانه قد وصف هؤلاء بصفة تدلّ على غير ما قالوه، فقال: ﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِٱلْكِتَٰبِ﴾؛ أي: بالقرآن، وهذا وصف لا يصحّ أن يطلق على فرقة مِنْ فرق الإسلام، والموصول[٥] إما في محل جرّ على أنه نعت للموصول الأوّل، أو بدل منه.

ويجوز أن يكون في محل نصب[٥] على الذمّ، والمراد بالكتاب: إما القرآن،

= الشين والقراءة بكسرها، وممَّن قرأ بالضم أبو جعفر ويعقوب وخلف وأما إفراد، شيوخاً فقراءة شاذة. «النشر» (٢/٢٢٦).

(١) «روح المعاني» (٢٤/١٠٣).

(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/٣٦٢).

(٣) في «تفسيره» (١٨/٣٨١).

(٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/٣٦٠) من طريق داود بن أبي هند، به.

(٥) «روح المعاني» (٢٤/١٠٥)، و«البحر المحيط» (٩/٢٧١).

أو جنس الكتب المنزلة من عند الله، وقوله: ﴿وَبِمَآ أَرْسَلْنَا بِهِۦ رُسُلَنَا﴾ معطوف على قوله بالكتاب، ويراد به ما يوحى إلى الرسل من غير كتاب إن كانت اللام في الكتاب للجنس، أو سائر الكتب إنْ كان المراد بالكتاب القرآن.

﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ عاقبة أمرهم، ووبال كفرهم، وفي هذا وعيد شديد، والظرف في قوله: ﴿إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ﴾ متعلق بيعلمون؛ أي: فسوف يعلمون وقت كون الأغلال في أعناقهم ﴿وَٱلسَّلَٰسِلُ﴾ معطوف على الأغلال والتقدير: إذ الأغلال والسلاسل في أعناقهم، ويجوز أن يرتفع[1] السلاسل على أنه مبتدأ وخبره محذوف لدلالة في «أعناقهم عليه»، ويجوز أن يكون خبره ﴿يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِى ٱلْحَمِيمِ﴾ بحذف العائد؛ أي: يسحبون بها في الحميم، وهذا على قراءة الجمهور[2] برفع السلاسل.

وقرأ ابن عباس، وابن مسعود، وعكرمة، وأبو الجوزاء بنصبها[3].

وقرءوا: «يَسْحَبون» بفتح الياء[4] مبنيّاً للفاعل، فتكون السلاسل مفعولاً مقدّماً، وقرأ بعضهم[5] بجرّ السلاسل. قال الفراء[6]: وهذه القراءة محمولة على المعنى، إذ المعنى: أعناقهم في الأغلال، والسلاسل.

وقال الزجاج[7]: المعنى على هذه القراءة: وفي السلاسل يسحبون، واعترضه ابن الأنباري[8]: بأن ذلك لا يجوز في العربية، ومحل يسحبون على تقدير عطف السلاسل على الأغلال، وعلى تقدير كونها مبتدأ، وخبرها «في أعناقهم» النصب[9] على الحال، أو لا محل له، بل هو مستأنف جواب سؤال مقدّر، والحميم: هو المتناهي في الحرّ، وقيل: الصديد.

---

(١) «التبيان» (٢/ ١١٢٢)، و«مشكل إعراب القرآن» (٢/ ٢٦٨)، و«الفريد» (٤/ ٢١٩).
(٢) «جامع البيان» (٢٠/ ٣٦٣)، و«البحر المحيط» (٩/ ٢٧٠)، و«زاد المسير» (٧/ ٢٣٦).
(٣) «القراءات الشاذة» (ص١٣٣)، و«المحتسب» (٢/ ٢٤٤). قراءة نصب «السلاسل» شاذّة.
(٤) «البحر المحيط» (٩/ ٢٧٠)، و«روح المعاني» (٢٤/ ١٠٦). القراءة بفتح الياء من يسحبون شاذة.
(٥) «البحر المحيط» (٩/ ٢٧٠)، و«روح المعاني» (٢٤/ ١٠٧).
(٦) في «معاني القرآن» للفراء (٣/ ١١).
(٧) في «معاني القرآن وإعرابه» (٤/ ٣٧٨).
(٨) في «إيضاح الوقف والابتداء» (٢/ ٨٧٣ ـ ٨٧٤).
(٩) «الفريد» (٤/ ٢١٩)، و«التبيان» (٢/ ١١٢٢)، و«إعراب القرآن» للنحاس (٤/ ٤٢).

وقد تقدّم تفسيره ﴿ثُمَّ فِي ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ﴾ يقال: سَجَرتُ التنور؛ أي: أوقدته، وسَجَرتُه ملأته بالوقود، ومنه ﴿وَٱلْبَحْرِ ٱلْمَسْجُورِ﴾ [الطور: ٦]؛ أي: المملوء، فالمعنى: توقد بهم النار، أو تملأ بهم.

قال مجاهد[١]، ومقاتل[٢]: توقد بهم النار، فصاروا وقودها.

﴿ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٧٣﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ هذا توبيخ[٣]، وتقريع لهم؛ أي: أين الشركاء الذين كنتم تعبدونهم من دون الله؟ ﴿قَالُواْ ضَلُّواْ عَنَّا﴾؛ أي: ذهبوا، وفقدناهم فلا نراهم.

ثم أضربوا عن ذلك وانتقلوا إلى الإخبار بعدمهم وأنه لا وجود لهم، فقالوا: ﴿بَل لَّمْ نَكُن نَّدْعُواْ مِن قَبْلُ شَيْـًٔا﴾؛ أي: لم نكن نعبد شيئاً، قالوا هذا لما تبين لهم ما كانوا فيه من الضلالة والجهالة، وأنّهم كانوا يعبدون ما لا يبصر ولا يسمع ولا يضرّ ولا ينفع، وليس هذا إنكاراً منهم لوجود الأصنام التي كانوا يعبدونها، بل اعتراف منهم بأنّ عبادتهم إياها كانت باطلة.

﴿كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾؛ أي: مثل ذلك الضلال يضلّ الله الكافرين حيث عبدوا هذه الأصنام التي أوصلتهم إلى النار، والإشارة بقوله: ﴿ذَٰلِكُم﴾ إلى الإضلال المدلول عليه بالفعل؛ أي: ذلك الإضلال بسبب: ما ﴿كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾؛ أي: بما كنتم تُظْهِرون في الدنيا من الفرح بمعاصي الله والسرور بمخالفة رسله وكتبه.

وقيل: بما كنتم تفرحون[٤] به من المال والأتباع والصحة، وقيل: بما كنتم تفرحون به من إنكار البعث، وقيل: المراد بالفرح هنا: البطر والتكبر، وبالمرح: الزيادة في البطر. وقال مجاهد[٥] وغيره: تمرحون؛ أي: تبطرون، وتأشرون[٦].

وقال الضحاك[٧]: الفرح: السرور، والمرح: العدوان.

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/ ٣٦٤) بسند صحيح.
(٢) ذكره النحاس في «معاني القرآن» (٦/ ٢٣٤).
(٣) «روح المعاني» (٢٤/ ١٠٧)، و«تفسير أبي السعود» (٦/ ٢٨).
(٤) «الجامع لأحكام القرآن» (١٨/ ٣٨٣)، و«زاد المسير» (٧/ ٢٣٧).
(٥) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/ ٣٦٦) بسند صحيح.
(٦) «إعراب القرآن» للنحاس (٤/ ٤٣).
(٧) «النكت والعيون» (٥/ ١٦٥).

وقال مقاتل[١]: المرح: البطر، والخيلاء.

﴿ٱدۡخُلُوٓاْ أَبۡوَٰبَ جَهَنَّمَ﴾ حال كونكم ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ﴾؛ أي: مقدّرين الخلود فيها ﴿فَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلۡمُتَكَبِّرِينَ﴾ عَنْ قبول الحق: جهنّمُ.

ثم أمر الله سبحانه رسوله ﷺ بالصبر، فقال: ﴿فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقٌّۚ﴾؛ أي: وعده بالانتقام منهم كائن لا محالة، إما في الدنيا، أو في الآخرة، ولهذا قال: ﴿فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعۡضَ ٱلَّذِي نَعِدُهُمۡ﴾ من العذاب في الدنيا بالقتل، والأسر والقهر، و«ما» في ﴿فَإِمَّا﴾ زائدة على مذهب المبرِّد[٢] والزجاج[٣]، والأصل: فإنْ نُرِك، ولحقت بالفعل نون التأكيد.

وقوله: ﴿أَوۡ نَتَوَفَّيَنَّكَ﴾ معطوف على نرينك؛ أي: أو نتوفينّك قبل إنزال العذاب بهم ﴿فَإِلَيۡنَا يُرۡجَعُونَ﴾ يوم القيامة، فنعذبهم.

﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلٗا مِّن قَبۡلِكَ مِنۡهُم مَّن قَصَصۡنَا عَلَيۡكَ﴾؛ أي: أنبأناك بأخبارهم، وما لقوه من قومهم ﴿وَمِنۡهُم مَّن لَّمۡ نَقۡصُصۡ عَلَيۡكَۗ﴾ خبره، ولا أوصلنا إليك علم ما كان بينه وبين قومه ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأۡتِيَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ﴾ لا من قبل نفسه.

[معنى الآية: المعجزة الدالة على نبوته]:

والمراد بالآية: المعجزة الدالة على نبوّته ﴿فَإِذَا جَآءَ أَمۡرُ ٱللَّهِ﴾؛ أي: إذا جاء الوقت المعين لعذابهم في الدنيا، أو في الآخرة ﴿قُضِيَ بِٱلۡحَقِّ﴾ فيما بينهم، فينجي الله بقضائه الحق عباده المحقين ﴿وَخَسِرَ هُنَالِكَ﴾؛ أي: في ذلك الوقت ﴿ٱلۡمُبۡطِلُونَ﴾ الذين يتبعون الباطل، ويعملون به.

ثم امتنّ سبحانه على عباده بنوع من أنواع نعمه التي لا تُحْصى، فقال: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَنۡعَٰمَ﴾؛ أي: خلقها لأجلكم، قال الزجاج[٤]: الأنعام ها هنا: الإبل، وقيل: الأزواج الثمانية ﴿لِتَرۡكَبُواْ مِنۡهَا﴾ «من» للتبعيض، وكذلك في قوله: ﴿وَمِنۡهَا تَأۡكُلُونَ﴾ ويجوز أن تكون لابتداء[٥] الغاية في الموضعين، ومعناها: ابتداء الركوب، وابتداء الأكل، والأوّل أولى.

---

(١) ذكره الواحدي في «الوسيط» (٤/ ٢١).
(٢) ذكره النحاس في «إعراب القرآن» (٤/ ٤٣).
(٣) في «معاني القرآن وإعرابه» (٤/ ٣٧٨). (٤) في «معاني القرآن وإعرابه» (٤/ ٣٧٨).
(٥) «روح المعاني» (٢٤/ ١١٤).

والمعنى: لتركبوا بعضها وتأكلوا بعضها ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ﴾ أُخَر غير الركوب والأكل من الوبر والصوف والشّعَر والزبد والسمن والجُبْن وغير ذلك.

﴿وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ﴾ قال مجاهد[١] ومقاتل[٢] وقتادة[٣]: تحمل أثقالكم من بلد إلى بلد.

وقد تقدم بيان هذا مستوفى في سورة النحل.

﴿وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ﴾؛ أي: على الإبل في البرّ، وعلى السفن في البحر. وقيل: المراد بالحمل على الأنعام هنا: حمل الولدان والنساء بالهوادج.

﴿وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ﴾؛ أي: دلالاته الدالة على كمال قدرته ووحدانيته ﴿فَأَيَّ آيَاتِ اللَّهِ تُنكِرُونَ﴾، فإنّها كلها من الظهور وعدم الخفاء بحيث لا ينكرها منكر ولا يجحدها جاحد، وفيه تقريع لهم، وتوبيخ عظيم، ونصب «أيّ» بـ«تنكرون»، وإنما قُدِّم على العامل فيه؛ لأن له صدر الكلام.

ثم أرشدهم سبحانه إلى الاعتبار والتفكر في آيات الله فقال: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ من الأمم التي عصت الله وكذبت رسلها، فإن الآثار الموجودة في ديارهم تدلّ على ما نزل بهم من العقوبة، وما صاروا إليه من سوء العاقبة.

ثم بيّن سبحانه أن تلك الأمم كانوا فوق هؤلاء في الكثرة والقوّة، فقال: ﴿كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً﴾؛ أي: أكثر منهم عدداً وأقوى منهم أجساداً، وأوسع منهم أموالاً، وأظهر منهم آثاراً ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ بالعمائر والمصانع والحرث ﴿فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ يجوز أن تكون «ما» الأولى استفهامية؛ أي: أيّ شيء أغنى عنهم؟ أو نافية؛ أي: لم يغن عنهم، و«ما» الثانية يجوز أن تكون موصولة، وأن تكون مصدرية.

﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ﴾؛ أي: بالحجج الواضحات، والمعجزات الظاهرات ﴿فَرِحُوا بِمَا عِندَهُم مِّنَ الْعِلْمِ﴾؛ أي: أظهروا الفرح بما عندهم مما يدّعون

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/ ٣٧٠) بسند صحيح.
(٢) ذكره الواحدي في «الوسيط» (٤/ ٢٢).
(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/ ٣٧٠) بسند صحيح.

أنه من العلم من الشُبه الداحضة، والدعاوي الزائغة، وسماه علماً تهكماً بهم أو على ما يعتقدونه.

وقال مجاهد[١]: قالوا: نحن أعلم منهم لن نُعذّب، ولن نُبعث.

وقيل[٢]: المراد: مِنْ علم أحوال الدنيا لا الدين كما في قوله: ﴿يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [الروم: ٧]، وقيل: الذين فرحوا بما عندهم من العلم هم: الرسل وذلك أنه لما كذبهم قومهم أعلمهم الله بأنه مهلك الكافرين ومنجي المؤمنين، ففرحوا بذلك ﴿وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾؛ أي: أحاط بهم جزاء استهزائهم.

﴿فَلَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا﴾؛ أي: عاينوا عذابنا النازل بهم ﴿قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشْرِكِينَ﴾، وهي: الأصنام التي كانوا يعبدونها ﴿فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا﴾؛ أي: عند معاينة عذابنا؛ لأنّ ذلك الإيمان ليس بالإيمان النافع لصاحبه، فإنّه إنما ينفع الإيمان الاختياري لا الإيمان الاضطراري ﴿سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ فِى عِبَادِهِۦ﴾؛ أي: التي قد مضت في عباده.

والمعنى: أنّ الله سبحانه سَنَّ هذه السُّنَّة في الأمم كلها أنّه لا ينفعهم الإيمان إذا رأوا العذاب، وقد مضى بيان هذا في سورة النساء، وسورة التوبة، [٤/٣٢].

وانتصاب «سنّة» على أنها مصدر[٣] مؤَكد بفعلٍ محذوف بمنزلة وَعْد الله، وما أشبهه من المصادر المؤكدة. وقيل: هو منصوب[٤] على التحذير؛ أي: احذروا يا أهل مكة سنّة الله في الأمم الماضية، والأوّل أولى ﴿وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾؛ أي: وقت رؤيتهم بأسَ الله ومعاينتهم لعذابه.

قال الزجاج[٥]: الكافر خاسر في كل وقت، ولكنه يتبين لهم خسرانهم إذا رأوا العذاب.

وقد أخرج أحمد، والترمذي وحسنه، والحاكم وصححه، وابن مردويه،

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/ ٣٧٢) بسند صحيح.

(٢) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٨/ ٣٨٦).

(٣) «التبيان» (٢/ ١١٢٢)، و«الفريد» (٤/ ٢٢١)، و«روح المعاني» (٢٤/ ١٢٢).

(٤) انظر: المصادر المتقدمة.

(٥) في «معاني القرآن وإعرابه» (٤/ ٣٧٨).

والبيهقي في «البعث والنشور»، عن عبد الله بن عمرو[١] قال: تلا رسول الله ﷺ: ﴿إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ﴾ إلى قوله: ﴿يُسْجَرُونَ﴾، فقال: لو أن رصاصة مثل هذه ـ وأشار إلى جمجمة ـ أرسلت من السماء إلى الأرض، وهي مسيرة خمسمائة سنة لبلغت الأرض قبل الليل، ولو أنها أرسلت من رأس السلسلة لسارت أربعين خريفاً الليل والنهار قبل أن تبلغ أصلها، أو قال: قعرها».

وأخرج ابن أبي الدنيا في «صفة النار»، عن ابن عباس[٢] قال: يسحبون في الحميم، فينسلخ كل شيء عليهم من جلد ولحم وعرق حتى يصير في عقبه حتى إن لحمه قدر طوله، وطوله ستون ذراعاً، ثم يكسى جلداً آخر، ثم يسجر في الحميم.

وأخرج الطبراني في الأوسط، وابن مردويه عن عليّ بن أبي طالب[٣] في قوله: ﴿وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾ قال: بعث الله عبداً حبشيّاً فهو ممن لم يُقْصصَ على محمد ﷺ.

❁ ❁ ❁

---

(١) أخرجه أحمد رقم (٦٨٥٦، ٦٨٥٧)، والترمذي رقم (٢٥٨٨)، والحاكم (٢/ ٣٨، ٣٩)، والبيهقي رقم (٥٨١). وهو حديث ضعيف.

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في «صفة النار» رقم (١١١).

(٣) أخرجه الطبراني في «الأوسط» رقم (٩٣١٩)، وابن مردويه كما في «تخريج الكشاف» (٣/ ٢٢٢).

سُورَةُ حمٓ السجدة فُصِّلَتْ

وتُسمّى سورة فصلت وهي أربع وخمسون، وقيل: ثلاث وخمسون.

قال القرطبي[(١)]: وهي مكيَّة في قول الجميع.

وأخرج ابنُ مردويه[(٢)] عن ابن عباس، وابن الزبير: أنها نزلت بمكة.

وأخرج ابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وأبو يعلى، والحاكم وصحّحه، وابن مردويه، وأبو نعيم، والبيهقي كلاهما في «الدلائل»، وابن عساكر، عن جابر بن عبد الله[(٣)] قال: «اجتمعتْ قريش يوماً، فقالوا: انظروا أعلمكم بالسحر، والكهانة والشعر فليأت هذا الرجل الذي قد فرّق جماعتنا، وشتّت أمرنا، وعاب ديننا، فليكلمه ولينظر ماذا يردّ عليه؟ فقالوا: ما نعلم أحداً غير عُتبْة بن ربيعة، فقالوا: ائت يا أبا الوليد، فأتاه فقال: يا مُحمَّد أنت خير أم عبد الله؟ أنت خير أم عبد المطلب؟ فسكت رسول الله ﷺ، قال: فإنْ كنتَ تزعم أن هؤلاء خير منك، فقد عبدوا الآلهة التي عِبْتَ، وإن كنت تزعم أنك خير منهم، فتكلم حتى نسمع قولك، أما والله ما رأينا سَخْلةً قط أشأم على قومك منك، فرّقت جماعتنا، وشتَّت أمرنا، وعبتَ ديننا، وفضحتنا في العرب، حتى لقد طار فيهم أنّ في قريش ساحراً وأن في قريش كاهناً، والله ما تنتظر إلّا مثل صيحة الحُبْلى أن يقوم بعضنا إلى بعض بالسيوف، يا رجل إن كان إنما بك الحاجة جمعنا لك حتى تكون أغنى قريش رجلاً، وإنْ كان إنما بك

---

(١) في «تفسيره» (١٨/ ٣٨٨).

(٢) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٣٠٨).

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة (١٤/ ٢٩٥ ـ ٢٩٦)، وعبد بن حميد في «مسنده» رقم (١١٢١ ـ «منتخب»)، وكما في «تفسير ابن كثير» (١٢/ ٢١٥ ـ ٢١٦)، وفي «المطالب العالية» رقم (٤٧٠٦)، و«تخريج الكشاف» (٣/ ٢٢٩)، وأبو يعلى رقم (١٨١٨)، والحاكم (٢/ ٢٥٣) وصححه، وابن مردويه كما في «تخريج الكشاف» (٢/ ٢٢٩)، وأبو نعيم رقم (١٨٢)، والبيهقي (٢/ ٢٠٢ ـ ٢٠٤)، وابن عساكر (٣٨/ ٢٤٢ ـ ٢٤٤). وقال الهيثمي: «فيه الأجلح الكندي، وثّقه ابن معين وغيره، وضعفه النسائي وغيره، وباقي رجاله ثقات». «مجمع الزوائد» (٦/ ٢).

الباءة، فاختر أيَّ نساء قريش شئت، فلنزوّجنك عَشْراً، فقال رسول الله ﷺ: فرغت؟ قال: نعم، فقال رسول الله: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ ﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝٢ كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ﴾ حتى بلغ ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾ [فصلت: ١ ـ ١٣]، فقال عتبة: حسبُك حسبُك ما عندك غير هذا؟ قال: «لا»، فرجع إلى قريش، فقالوا: ما وراءك؟ قال: ما تركتُ شيئاً أرى أنكم تكلمونه به إلّا كلمته، فقالوا: فهل أجابك؟ قال: والذي نصبها بَنَّية ما فهمت شيئاً مما قال غير أنّه أنذركم صاعقة مثل صاعقةً عاد، وثمود، قالوا: ويلك يكلمك الرجل بالعربية، وما تدري ما قال؟ قال: لا والله ما فهمت شيئاً مما قال غير ذكر الصاعقة».

وأخرج أبو نعيم، والبيهقي كلاهما في «الدلائل» عن ابن عمر(١) قال: «لما قرأ النبي ﷺ على عُتبة بن ربيعة: ﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ [فصلت: ١، ٢] أتى أصحابه فقال: يا قوم أطيعوني في هذا اليوم، واعصوني بعده، فوالله لقد سمعت من هذا الرجل كلاماً ما سمعت أذني قط كلاماً مثله، وما دريتُ ما أرد عليه».

وفي هذا الباب روايات تدلّ على اجتماع قريش، وإرسالهم عتبة بن ربيعة، وتلاوته ﷺ أوّل هذه السورة عليه.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

[القرآن وموقف المشركين منه]:

﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝٢ كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝٣ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ۝٤ وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ وَفِىٓ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنۢ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَٱعْمَلْ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ ۝٥ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَٱسْتَقِيمُوٓا۟ إِلَيْهِ وَٱسْتَغْفِرُوهُ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ۝٦ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ۝٧ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ۝٨ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ ذَٰلِكَ رَبُّ

---

(١) أخرجه أبو نعيم في «الدلائل» رقم (١٨٥)، والبيهقي في «الدلائل» (٢/ ٢٠٥).

ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٩ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِيٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً
لِّلسَّآئِلِينَ ۝١٠ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا
طَآئِعِينَ ۝١١ فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَاۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا
بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًاۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ۝١٢ فَإِنْ أَعْرَضُواْ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ
عَادٍ وَثَمُودَ ۝١٣ إِذْ جَآءَتْهُمُ ٱلرُّسُلُ مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۖ قَالُواْ لَوْ
شَآءَ رَبُّنَا لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً فَإِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ۝١٤﴾.

قوله: ﴿حمٓ﴾ قد تقدم الكلام على إعرابه، ومعناه في السورة التي قبل هذه السورة، فلا نُعيده، وكذلك تقدّم الكلام على معنى: ﴿تَنزِيلٌ﴾، وإعرابه.

قال الزجّاج[١] والأخفش[٢]: تنزيل مرفوع بالابتداء وخبره: ﴿كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ﴾.

وقال الفراء[٣]: يجوز أن يكون على إضمار هذا، ويجوز أنْ يقال: كتابٌ بدل مِنْ قوله: ﴿تَنزِيلٌ﴾، و ﴿مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ متعلق بتنزيل.

ومعنى: ﴿فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ﴾ بُيّنتْ، أو جعلت أساليب مختلفة.

قال قتادة[٤]: فصلت ببيان حلاله من حرامه وطاعته من معصيته.

وقال الحسن[٥]: بالوعد والوعيد.

وقال سفيان: بالثواب والعقاب، ولا مانع من الحمل على الكل.

والجملة في محلّ نصب[٦] صفة لكتاب. وقُرئ[٧]: «فَصَلتْ» بالتخفيف؛ أَيْ: فَرّقت بين الحق والباطل، وانتصاب ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾ على الحال؛ أي: فصلت آياته حال كونه قرآناً عربياً.

---

(١) في «معاني القرآن وإعرابه» (٤/ ٣٧٩).
(٢) في «معاني القرآن» للأخفش (٢/ ٦٨٠).
(٣) في «معاني القرآن» للفراء (٣/ ١٢).
(٤) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٨/ ٣٨٨).
(٥) «النكت والعيون» (٥/ ١٦٧).
(٦) «مشكل إعراب القرآن» (٢/ ٢٦٩)، و«التبيان» (٢/ ١١٢٣)، و«الفريد» (٤/ ٢٢٣).
(٧) وهي قراءة شاذة نقلها الثقات.
«حاشية الشهاب» (٧/ ٣٨٧)، و«روح المعاني» (٢٤/ ١٢٧).

وقال الأخفش[١]: نُصب على المدح، وقيل: على المصدرية[٢]؛ أي: يقرؤه قرآناً، وقيل: مفعول ثانٍ لفصلت، وقيل: على إضمار فعل يدل عليه فُصّلت؛ أي: فصّلناه قرآناً عربيّاً.

﴿لِّقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ﴾؛ أي: يعلمون معانيه، ويفهمونها، وهم: أهل اللسان العربي.

قال الضحاك[٣]: أي: يعلمون أن القرآن منزل من عند الله.

وقال مجاهد[٤]: أي: يعلمون أنه إلٰه واحد في التوراة والإنجيل، واللام متعلقة بمحذوف صفة أخرى لقرآن؛ أي: كائناً لقوم أو متعلق بفصلت، والأول أولى، وكذلك ﴿بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا﴾ صفتان أخريان لقرآنٍ أو حالان مِنْ كتاب.

والمعنى: بشيراً لأولياء الله، ونذيراً لأعدائه. وقُرئ[٥]: «بشيرٌ ونذيرٌ» بالرفع على أنهما صفة لكتاب، أو خبر مبتدأ محذوف.

﴿فَأَعۡرَضَ أَكۡثَرُهُمۡ﴾ المراد بالأكثر هنا: الكُفّار؛ أي: فأعرض الكفار عمّا اشتمل عليه من النذارة ﴿فَهُمۡ لَا يَسۡمَعُونَ﴾ سماعاً ينتفعون به لإعراضهم عنه ﴿وَقَالُواْ قُلُوبُنَا فِيٓ أَكِنَّةٖ﴾؛ أي: في أغطية مثل الكنانة التي فيها السهام، فهي لا تفقه ما تقول، ولا يصل إليها قولك، والأكنّة: جمع كِنان، وهو: الغطاء، قال مجاهد[٦]: الكنان للقلب كالجُنّة للنبل، وقد تقدّم بيان هذا في البقرة ﴿وَفِيٓ ءَاذَانِنَا وَقۡرٞ﴾؛ أي: صَمَم، وأصلُ الوَقْر: الثقل.

وقرأ طلحة بن مُصّرف: «وِقْر» بكسر[٧] الواو. وقُرئ بفتح[٨] الواو والقاف،

(١) في «معاني القرآن» للأخفش (٢/ ٦٨٠).
(٢) «التبيان» (٢/ ١١٢٣)، و«الفريد» (٤/ ٢٢٣).
(٣) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ١٦٨).
(٤) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٨/ ٣٨٩).
(٥) قرأ زيد بن علي ونافع في رواية شاذة عنه: «بشيرٌ ونذيرٌ».
«روح المعاني» (٢٤/ ١٢٨)، و«حاشية الشهاب» (٧/ ٣٨٧)، و«البحر المحيط» (٩/ ٢٨٤ ـ ٢٨٥).
(٦) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/ ٣٧٧) بسند صحيح.
(٧) «البحر المحيط» (٩/ ٢٨٥)، و«حاشية الشهاب» (٧/ ٣٨٧)، و«القراءات الشاذة» (ص١٣٣).
(٨) «روح المعاني» (٢٤/ ١٢٩)، و«تفسير أبي السعود» (٦/ ٣٤). القراءة المتواترة هي بفتح الواو وسكون القاف أما بكسر الواو أو بفتح الواو والقاف فقراءة شاذة.

و «من» في ﴿وَمِنۢ بَيۡنِنَا وَبَيۡنِكَ حِجَابٞ﴾ لابتداء الغاية، والمعنى: أنّ الحجاب ابتدأ منا، وابتدأ منك، فالمسافة المتوسطة[1] بين جهتنا، وجهتك مستوعبة بالحجاب لا فراغ فيها، وهذه تمثيلات[2] لنبو قلوبهم عن إدراك الحق، ومجِّ أسماعهم له، وامتناع المواصلة بينهم، وبين رسول الله ﷺ.

﴿فَٱعۡمَلۡ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ﴾؛ أي: اعمل على دينك إننا عاملون على ديننا.

وقال الكلبي[3]: اعمل في هلاكنا، فإنّا عاملون في هلاكك. وقال مقاتل[4]: اعمل لإلٰهك الذي أرسلك، فإنا نعمل لآلهتنا التي نعبدها، وقيل: اعمل لآخرتك[5] فإنا عاملون لدنيانا.

ثم أمره الله سبحانه أن يجيب عن قولهم هذا، فقال: ﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ﴾؛ أي: إنما أنا كواحد منكم لولا الوحي، ولم أكن من جنس مُغاير لكم حتى تكونَ قلوبكم في أكنِّة مما أدعوكم إليه، وفي آذانكم وقر، ومن بيني وبينكم حجاب، ولم أدعكم إلى ما يخالف العقل وإنما أدعوكم إلى التوحيد.

قرأ الجمهور[6]: «يُوْحَىٰ» مبنيّاً للمفعول. وقرأ الأعمش[7]، والنخعي مبنيّاً للفاعل؛ أي: يُوحِي الله إليّ. قيل: ومعنى الآية: إنّي لا أقدر على أن أحملكم على الإيمان قَسْراً فإني بشر مثلكم، ولا امتياز لي عنكم إلّا أنّي أُوحي إليّ التوحيد والأمر به فعليّ البلاغ وحدَه، فإن قبلتم رشدتم، وإن أبيتم هلكتم.

وقيل: المعنى: إنِّي لستُ بمَلكٍ وإنما أَنا بشرٌ مثلكم، وقد أُوحي إليّ دونكم، فصرت بالوحي نبيّاً ووجب عليكم اتباعي.

---

(١) «روح المعاني» (٢٤/ ١٢٩)، و«تفسير أبي السعود» (٦/ ٣٤). القراءة المتواترة هي بفتح الواو وسكون القاف، أما بكسر الواو أو بفتح الواو والقاف فقراءة شاذة.

(٢) «تفسير أبي السعود» (٦/ ٣٥)، و«روح المعاني» (٢٤/ ١٣٠).

(٣) «النكت والعيون» (٥/ ١٦٨).

(٤) «النكت والعيون» (٥/ ١٦٨).

(٥) «معالم التنزيل» (٧/ ١٦٤).

(٦) «البحر المحيط» (٩/ ٢٨٦)، و«روح المعاني» (٢٤/ ١٣٣).

(٧) «البحر المحيط» (٩/ ٢٨٦)، و«روح المعاني» (٢٤/ ١٣٣)، و«إعراب القراءات الشواذ» (٢/ ٤٢٥). وقراءة الاعمش والنخعي شاذة.

وقال الحسن[١] في معنى الآية: إنّ الله سبحانه علّم رسوله ﷺ كيف يتواضع.

﴿فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ﴾ عدّاه بإلى لتضمنه معنى: توجّهوا، والمعنى: وجهوا استقامتكم إليه بالطاعة، ولا تميلوا عَنْ سبيله ﴿وَاسْتَغْفِرُوهُ﴾ لما فرط منكم من الذنوب.

ثم هدّد المشركين، وتوعدهم، فقال: ﴿وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ﴾، ثم وصفهم بقوله: ﴿الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾ [٤/٣٣]؛ أي: يمنعونها، ولا يخرجونها إلى الفقراء. وقال الحسن[٢] وقتادة[٣]: لا يقرّون بوجوبها.

وقال الضحاك[٤]، ومقاتل[٥]: لا يتصدقون ولا يُنْفقون في الطاعة. وقيل: معنى الآية: لا يشهدون أن لا إله إلّا الله لأنها زكاة الأنفس وتطهيرها.

وقال الفراء[٦]: كان المشركون ينفقون النفقات، ويسقون الحجيج، ويطعمونهم فحرّموا ذلك على من آمن بمحمد ، فنزلت فيهم هذه الآية.

﴿وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾ معطوف على لا يؤتون داخل معه في حيز الصلة؛ أي: منكرون للآخرة جاحدون لها، والمجيء بضمير الفصل لقصد الحصر ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾؛ أي: غير مقطوع عنهم، يقال: مننت الحبل: إذا قطعته[٧]، ومنه قول الأصبغ[٨] الأودي:

إنِّي لَعُمرك ما بابي بِذِي غَلَقٍ ... على الصَّديقِ ولا خَيْرى بممنونِ

وقيل: الممنون المنقوص، قاله قطرب[٩]، وأنشد قول زهير[١٠]:

فَضْلَ الجوادِ على الخيلِ البِطا فلا ... يُعطِي بذلك ممنُوناً ولا مزقا

---

(١) ذكره البغوي في «تفسيره» (٧/ ١٦٤).
(٢) ذكره الواحدي في «الوسيط» (٤/ ٢٥)، والبغوي في «تفسيره» (٧/ ١٦٤).
(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/ ٣٨٠) بسند صحيح.
(٤) ذكره ابن عطية في «المحرر الوجيز» (١٤/ ١٦٤).
(٥) «الجامع لأحكام القرآن» (١٨/ ٣٩٢)، و«المحرر الوجيز» (١٤/ ١٦٤).
(٦) في «معاني القرآن» (٣/ ١٢).
(٧) «مفردات ألفاظ القرآن» (ص٧٧٨)، و«تهذيب اللغة» (١٥/ ٤٧٠).
(٨) «المفضليات» (ص١٦٠). صوابه ذي الاصبع العدوانيّ واسْمه : حُرتان بن مُحرِّث.
(٩) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ١٦٩).
(١٠) «شرح ديوان زهير بن أبي سلمى» (ص٤٩).

قال الجوهري[١]: المنّ القطع، ويقال: النقص، ومنه قوله تعالى: ﴿لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾، وقال لبيد[٢]:

غـبسٌ كـواسِـبٌ لا يُـمَـنَّ طـعـامُـهـا

وقال مجاهد[٣]: غير ممنون: غير محسوب، وقيل: معنى الآية: لا يمن عليهم به؛ لأنّه إنما يمنّ بالتفضل، فأما الأجر فحقّ أداؤه.

وقال السدّي[٤]: نزلت في المرضى والزّمْنى والهرمى إذا ضعفوا عن الطاعة كتب لهم من الأجر كأصحّ ما كانوا يعملون فيه.

ثم أمر الله سبحانه رسوله ﷺ أن يوبخهم ويقرعهم، فقال: ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ﴾؛ أي: لتكفرون بمن شأنه هذا الشأن العظيم، وقدرته هذه القدرة الباهرة؟ قيل: اليومان هما: يوم الأحد، ويوم الاثنين، وقيل: المراد مقدار يومين؛ لأنّ اليوم الحقيقي إنما يتحقق بعد وجود الأرض، والسماء.

قرأ الجمهورُ: «أئنكم» بهمزتين[٥] الثانية بينَ بينَ، وقرأ ابن كثير بهمزة[٦]، وبعدها ياء خفيفة ﴿وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا﴾؛ أي: أضداداً، وشركاء، والجملة معطوفة على تكفرون داخلة تحت الاستفهام، والإشارة بقوله: ﴿ذَلِكَ﴾ إلى الموصول[٧] المتصف بما ذُكر، وهو مبتدأ وخبره ﴿رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾، ومن جملة العالمين ما

---

(١) في «الصحاح» (٦/ ٢٢٠٧).

(٢) «شرح ديوان لبيد» (ص٢٠٨).
وصدر البيت:
لـمـعـفّـر قَـهْـد تـنـازع شـيـلْـوَهُ
• الغُبس: الذئاب أو الكلاب ذات اللون الأغبر.
كواسب: تتعيش من الصيد فلا يطعمها أحد فيمنّ عليها.

(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/ ٣٨١ ـ ٣٨٢) بسند صحيح.

(٤) ذكره البغوي في «تفسيره» (٧/ ١٦٤).

(٥) «التيسير» (ص٣٢)، و«السبعة» (ص١٣٧).

(٦) «معاني القرآن» للفراء (٣/ ١١)، و«التبيان» (٩/ ١٠٨). في هذا الحرف «أربع قراءات، الأولى للجمهور وهي: القراءة بتحقيق الهمزتين، والثانية لقالون وأبي عمرو وأبي جعفر بتسهيل الثانية بينَ بينْ مع الفصل، الثالثة لورش وابن كثير ورويس بتسهيل الثانية مع عدم الفصل، والرابعة هشام التسهيل مع الفصل والتحقيق مع الفصل وعدمه. انظر: «النشر» (١/ ٢٨٨).

(٧) «روح المعاني» (٢٤/ ١٣٨).

تجعلونها أنداداً لله، فكيف تجعلون بعض مخلوقاته شركاء له في عبادته؟.

وقوله: ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ﴾ معطوف على خلق؛ أي: كيف تكفرون بالذي خلق الأرض وجعل فيها رواسي؛ أي: جبالاً ثوابتَ مِنْ فوقها، وقيل: جملة «وجعل فيها رواسي» مستأنفة غير معطوفة على خلق لوقوع الفصل بينهما بالأجنبي.

والأوّل أولى؛ لأنّ الجملة الفاصلة هي مقررة لمضمون ما قبلها، فكانت بمنزلة التأكيد.

ومعنى ﴿مِن فَوْقِهَا﴾: أنها مرتفعة عليها لأنها من أجزاء الأرض، وإنما خالفتها باعتبار الارتفاع، فكانت من هذه الحيثية كالمغايرة لها ﴿وَبَارَكَ فِيهَا﴾؛ أي: جعلها مباركةً كثيرة الخير ؛بما خلق فيها من المنافع للعباد. قال السدي[١]: أنبت فيها شجرها ﴿وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَاتَهَا﴾ قال قتادة[٢]، ومجاهد[٣]: خلق فيها أنهارها، وأشجارها، ودوابها.

وقال الحسن[٤] وعكرمة[٥] والضحاك[٦]: قدّر فيها أرزاق أهلها وما يصلح لمعايشهم من التجارات والأشجار والمنافع، جعل في كلّ بلد ما لم يجعله في الأخرى؛ ليعيش بعضهم من بعض بالتجارة والأسفار من بلد إلى بلد.

ومعنى: ﴿فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ﴾؛ أي: في تتمة أربعة أيام باليومين المتقدّمين. قاله الزجّاج[٧] وغيره.

قال ابنُ الأنباري[٨]: ومثاله قولُ القائل: خرجتُ مِنْ البصرة إلى بغداد في عشرة أيام، وإلى الكوفة في خمسة عشر يوماً؛ أي: في تتمة خمسة عشر يوماً، فيكون المعنى: أن حصول جميع ما تقدّم من خلق الأرض وما بعدها في أربعة أيام.

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/ ٣٨٥) بسند حسن.

(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/ ٣٨٦) بسند صحيح.

(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/ ٣٨٥) عن قتادة بسند صحيح.

(٤) أخرجه ابن جرير (٢٠/ ٣٨٥) بسند صحيح.

(٥) أخرجه ابن جرير (٢٠/ ٣٨٧) بسند صحيح، من طريق حصين، عن عكرمة.

(٦) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/٣٨٨) من طريق أبي عوانة، عن مُطَرّف، عن الضحاك.

(٧) في «معاني القرآن وإعرابه» (٤/ ٣٨٠ ـ ٣٨١).

(٨) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٨/ ٣٩٥).

وانتصاب ﴿سَوَآءً﴾ على أنه مصدر[١] مؤكد لفعل محذوف هو صفة للأيام؛ أي: استوت سواء بمعنى: استواء، ويجوز أن يكون منتصباً[٢] على الحال من الأرض أو من الضمائر الراجعة إليها.

قرأ الجمهور[٣] بنصب: «سواءً»، وقرأ زيد بن علي، والحسن، وابن أبي إسحاق، وعيسى، ويعقوب، وعمرو بن عبُيد بخفضه[٤] على أنه صفة لأيام. وقرأ أبو جعفر برفعه[٥] على أنه خبر مبتدأ محذوف.

قال الحسن[٦]: المعنى في أربعة أيام مستوية تامة.

وقوله: ﴿لِّلسَّآئِلِينَ﴾ متعلق بسواء؛ أي: مستويات للسائلين، أو بمحذوف كأنه قيل: هذا الحصر للسائلين في كم خلقت الأرض وما فيها؟ أو متعلق بقدّر؛ أي: قدّر فيها أقواتها لأجل الطالبين المحتاجين إليها.

قال الفراء[٧]: في الكلام تقديم وتأخير، والمعنى: وقدّر فيها أقواتها سواء للمحتاجين في أربعة أيام، واختار هذا ابن جرير[٨].

ثم لما ذكر سبحانه خلق الأرض، وما فيها ذكر كيفية خلقه للسماوات، فقال: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰٓ إِلَى السَّمَآءِ﴾؛ أي: عمد وقصد نحوها قصداً سويّاً.

قال الرازي[٩]: هو من قولهم: استوى[١٠] إلى مكان كذا: إذا توجه إليه توجهاً لا يلتفت معه إلى عمل آخر، وهو مِنْ الاستواء الذي هو ضدّ الاعوجاج، ونظيره قولهم: استقام إليه، ومنه قوله تعالى: ﴿فَاسْتَقِيمُوٓا۟ إِلَيْهِ﴾ والمعنى: ثم دعاه داعي الحكمة إلى خلق السماوات بعد خلق الأرض وما فيها.

---

(١) «التبيان» (٢/ ١١٢٤)، و«الفريد» (٤/ ٢٢٤)، و«مشكل إعراب القرآن» (٢/ ٢٧٠).
(٢) انظر: المصادر المتقدمة.
(٣) «روح المعاني» (٩/ ١٤١)، و«النشر» (٢/ ٣٦٦)، و«جامع البيان» (٢٠/ ٣٩٠)، و«فتح الباري» (٨/ ٤٣٠).
(٤) «النشر» (٢/ ٣٦٦)، و«البحر المحيط» (٩/ ٤٦٥)، و«فتح الباري» (٨/ ٤٣٠).
(٥) انظر: المصادر المتقدمة.
(٦) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٨/ ٣٩٥)، والفراء في «معاني القرآن» (٣/ ١٢ ـ ١٣).
(٧) في «معاني القرآن» للفراء (٣/ ١٣).
(٨) في «جامع البيان» (٢٠/ ٣٩٠).
(٩) في «تفسيره» (٢٧/ ١٠٤).
(١٠) ومعنى الاستواء: العلو والارتفاع، والاستقرار والصعود. «نونية ابن القيم» (١/ ٢١٥ ـ هرّاس)، و«أصول اعتقاد أهل السُّنَّة والجماعة» للالكائي (٢/ ٢١٦) و(٣/ ٣٨٧).

قال الحسن[(١)]: معنى الآية: صعد أمره إلى السماء ﴿وَهِيَ دُخَانٌ﴾ الدخان ما ارتفع من لهب النار، ويُستعار لما يرى من بخار الأرض. قال المفسِّرون[(٢)]: هذا الدخان هو: بخار الماء، وخصّ سبحانه الاستواء إلى السماء مع كون الخطاب المترتب على ذلك متوجهاً إليها، وإلى الأرض كما يفيده قوله: ﴿فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا﴾ استغناء بما تقدّم من ذكر تقديرها، وتقدير ما فيها، ومعنى ائتيا: افعلا ما آمركما به، وجيئا به، كما يقال: ائت ما هو الأحسن؛ أي: افعله.

قال الواحدي[(٣)]: قال المفسِّرون: إن الله سبحانه قال: أما أنت يا سماء، فاطلعي شمسك وقمرك ونجومك، وأما أنت يا أرض فشققي أنهارك وأخرجي ثمارك ونباتك. قرأ الجمهور[(٤)]: «ائتيا» أمراً من الإتيان.

وقرأ ابن عباس، وابن جبير، ومجاهد: «آتيا»[(٥)].

قالتا: آتينا بالمدّ فيهما، وهو إما من المؤاتاة، وهي: الموافقة؛ أي: لتوافق كلّ منكما الأخرى، أو من الإيتاء، وهو: الإعطاء، فوزنه على الأوّل فاعلاً كقاتلاً، وعلى الثاني افْعلا كأكْرما ﴿طَوْعًا أَوْ كَرْهًا﴾ مصدران في موضع الحال؛ أي: طائعتين، أو مكرهتين، وقرأ الأعمش[(٦)]: «كُرْهاً» بالضمّ.

قال الزجاج[(٧)]: أطيعا طاعة أو تُكرها كرهاً. قيل: ومعنى هذا الأمر لهما التسخير[(٨)]؛ أي: كونا فكانتا، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [النحل: ٤٠]، فالكلام من باب التمثيل لتأثير قدرته، واستحالة امتناعها.

﴿قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ﴾؛ أي: أتينا أمرك منقادين، وجمعهما جمع مَنْ يعقل لخطابهما بما يخاطب به العقلاء.

قال القرطبي[(٩)]: قال أكثر أهل العلم: إنّ الله سبحانه خلق فيهما الكلام،

---

(١) في «النكت والعيون» (٥/ ١٧٢).
(٢) «جامع البيان» (١/ ٤٦٢ ـ ٤٦٣)، و«روح المعاني» (٢٤/ ١٤٣).
(٣) في «الوسيط» (٤/ ٢٧).
(٤) «النشر» (١/ ٣٨١، ٣٩١)، و«فتح الباري» (٨/ ٤٢٧)، و«البحر المحيط» (٩/ ٢٨٩).
(٥) «المحتسب» (٢/ ٢٤٥)، و«البحر المحيط» (٩/ ٢٨٩). القراءة بالمدِّ في الفعلين شاذة.
(٦) «البحر المحيط» (٩/ ٢٨٩). وهي قراءة شاذة.
(٧) في «معاني القرآن وإعرابه» (٤/ ٣٩١).
(٨) «روح المعاني» (٢٤/ ١٤٥). (٩) في «تفسيره» (١٨/ ٣٩٧).

فتكلمتا كما أراد سبحانه، وقيل: هو تمثيل لظهور الطاعة منهما، وتأثير القدرة الربانية فيهما.

﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ﴾؛ أي: خلقهنّ وأحكمهنّ وفرغ منهنّ، كما في قول الشاعر[١]:

وعليهما مَسْرودتانِ قضاهما ... داودُ أو صَنَعُ السَّوابغِ تُبَّعُ

والضمير في قضاهنّ إمّا راجع إلى السماء على المعنى؛ لأنها سبع سمٰاوات، أو مبهم مفسر بسبع سمٰاوات، وانتصاب[٢] «سبع سمٰاوات» على التفسير، أو على البدل من الضمير. وقيل: إن انتصابه على أنه المفعول الثاني «لقضاهنّ»؛ لأنه مضمّن معنى صيرهنّ، وقيل: على الحال؛ أي: قضاهنّ حال كونهنّ معدودات بسبعٍ، ويكون قضى بمعنى: صنع، وقيل: على التمييز[٣].

ومعنى ﴿فِي يَوْمَيْنِ﴾ كما سبق في قوله: ﴿خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ﴾، فالجملة ستة أيام، كما في قوله سبحانه: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ [الأعراف: ٥٤، ويونس: ٣]، وقد تقدّم بيانه في سورة الأعراف.

قال مُجاهد[٤]: ويوم مِنْ الستة الأيام كألف سنة مما تعدّون. قال عبد الله بن سلام[٥]: خلق الأرض في يوم الأحد، ويوم الاثنين، وقدّر فيها أقواتها يوم الثلاثاء، ويوم الأربعاء، وخلق السمٰوات في يوم الخميس، ويوم الجمعة.

وقولهُ: ﴿وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا﴾ عطفٌ على قضاهنّ.

قال قتادة[٦] والسُدّي[٧]: أي: خلق فيها شَمْسها وقمرها ونجومها وأفلاكها، وما فيها مِن الملائكة والبحار والبرد والثلوج.

---

(١) أبو ذؤيب الهذلي. «شرح ديوان الهذليين» (ص١٩).
(٢) «الفريد» (٤/ ٢٢٥)، و«مشكل إعراب القرآن» (٢/ ٢٧٠ ـ ٢٧١)، و«روح المعاني» (٢٤/ ١٤٥).
(٣) انظر: المصادر المتقدمة.
(٤) ذكره النحاس في «إعراب القرآن» (٤/ ٤٩).
(٥) ذكره ابن جرير في «جامع البيان» (١/ ٤٦٤).
(٦) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/ ٣٩٣) بسند صحيح.
(٧) أخرجه ابن جرير (٢٠/ ٣٩٣) بسند حسن.

وقيل: المعنى: أوحى فيها ما أراده وما أمر به والإيحاء قد يكون بمعنى: الأمر كما في قوله: ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ﴾ [الزلزلة: ٥]، وقوله: ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ﴾ [المائدة: ١١١]؛ أي: أمرتهم.

وقد استشكل[١] الجمع بين هذه الآية، وبين قوله: ﴿وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ﴾ [النازعات: ٣٠]، فإن ما في هذه الآية من قوله: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ مشعر بأن خلقها متأخر عن خلق الأرض، وظاهره يخالف قوله: ﴿وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ﴾، فقيل: إن «ثم» في ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ ليست للتراخي الزماني بل للتراخي الرُتَبي، فيندفع الإشكال مِنْ أصله.

وعلى تقدير أنها للتراخي الزماني، فالجمع ممكن بأن الأرض خلقها متقدّم على خلق السماء، ودحوها بمعنى: بسطها وهو أمر زائد على مجرّد خلقها، فهي متقدّمة خلقاً متأخرة دحواً، وهذا ظاهر، ولعله يأتي عند تفسيرنا لقوله: ﴿وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ﴾ زيادة إيضاح للمقام إن شاء الله.

﴿وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ﴾؛ أي: بكواكب مضيئة متلألئة عليها كتلألؤ المصابيح، وانتصاب ﴿حِفْظاً﴾ على أنّه مصدر مؤكد[٢] لفعل محذوف؛ أي: وحفظناها حفظاً، أو على أنه مفعول لأجله على تقدير: وخلقنا المصابيح زينة، وحفظاً، والأوّل أولى.

قال أبو حيان[٣]: في الوجه الثاني هو: تكلّف، وعدول عن السهل البين، والمراد بالحفظ: حفظها من الشياطين الذين يسترقون السمع.

والإشارة بقوله: ﴿ذَٰلِكَ﴾ إلى ما تقدّم ذكره ﴿تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾؛ أي: البليغ القُدْرة، الكثير العلم ﴿فَإِنْ أَعْرَضُواْ﴾ عن التدبر والتفكر في هذه المخلوقات ﴿فَقُلْ﴾ ﴿أَنذَرْتُكُمْ﴾ [٤/٣٤]؛ أي: فقل لهم يا مُحمّد: أنذرتكم: خوّفتكم ﴿صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾؛ أي: عذاباً مثل عذابهم، والمراد بالصاعقة: العذاب المهلك من كلّ شيء.

---

(١) تقدم في سورة البقرة.
(٢) «التبيان» (٢/ ١١٢٤)، و«الفريد» (٤/ ٢٢٥).
(٣) في «البحر المحيط» (٩/ ٢٩٢).

قال المبرِّد[(١)]: الصاعقة المرّة المهلكة لأيّ شيء كان.

قرأ الجمهور[(٢)]: «صاعقة» في الموضعين بالألف، وقرأ ابن الزبير، والنخعي، والسلمي، وابن محيصن: «صَعْقة»[(٣)] في الموضعين.

وقد تقدّم بيان معنى الصاعقة، والصعقة في البقرة.

وقولهُ: ﴿إِذْ جَآءَتْهُمُ ٱلرُّسُلُ﴾ ظرف لأنذرتكم، أو لصاعقة؛ لأنها بمعنى العذاب؛ أي: أنذرتكم العذاب، الواقع وقت مجيء الرسل، أو حال مِنْ صاعقة عاد.

وهذا أولى مِنْ الوجهين الأولين؛ لأن الإنذار لم يقع وقت مجيء الرسل، فلا يصحّ أن يكون ظرفاً له، وكذلك الصاعقة لا يصحّ أن يكون الوقت ظرفاً لها.

وقولهُ: ﴿مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ﴾ متعلق بجاءتهم؛ أي: جاءتهم من جميع جوانبهم، وقيل: المعنى: جاءتهم الرسل المتقدّمون والمتأخرون على تنزيل مجيء كلامهم منزلة مجيئهم أنفسهم، فكأنّ الرسل قد جاءوهم، وخاطبوهم بقولهم: ﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ﴾؛ أي: بأنْ لا تعبدوا على أنّها المصدرية[(٤)]، ويجوز أن تكون التفسيرية، أو المخففة من الثقيلة، واسمها ضمير شأن محذوف.

ثم ذكر سبحانه ما أجابوا به على الرسل، فقال: ﴿قَالُواْ لَوْ شَآءَ رَبُّنَا لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً﴾؛ أي: لأرسلهم إلينا، ولم يرسل إلينا بشراً من جنسنا، ثم صرّحوا بالكفر، ولم يتلعثموا، فقالوا: ﴿فَإِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ﴾؛ أي: كافرون بما تزعمونه من أن الله أرسلكم إلينا؛ لأنكم بشر مثلنا لا فضل لكم علينا، فكيف اختصكم برسالته دوننا؟ وقد تقدّم دفع هذه الشبهة الداحضة التي جاءوا بها في غير موضع.

وقد أخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والبيهقي في «الأسماء والصفات» »عن ابن عباس[(٥)] في قوله: ﴿وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ۝٦ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾

---

(١) «النكت والعيون» (٥/ ١٧٥)، و«الوسيط» للواحدي (٤/ ٢٨).

(٢) «البحر المحيط» (٩/ ٢٩٣)، و«روح المعاني» (٢٤/ ١٥٨)، و«الدر المصون» (٦/ ٥٩).

(٣) «القراءات الشاذة» (ص١٣٣)، و«روح المعاني» (٢٤/ ١٥٨).

(٤) «الفريد» (٤/ ٢٢٦)، و«روح المعاني» (٢٤/ ١٦٠)، و«معاني القرآن» للفراء (٣/ ١٣).

(٥) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/ ٣٧٩ ـ ٣٨١)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» رقم (٢٠٥) بسند صحيح.

قال: لا يشهدون أن لا إلٰه إلّا الله، وفي قوله: ﴿لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ قال: غير منقوص.

وأخرج ابن جرير، والنحاس في «ناسخه»، وأبو الشيخ في «العظمة»، والحاكم وصححه، وابن مردويه، والبيهقي في «الأسماء والصفات» عنه[(١)]: «أن اليهود أتت النبي ﷺ، فسألته عن خلق السمٰاوات والأرض، فقال: خلق الله الأرض في يوم الأحد والاثنين، وخلق الجبال وما فيهنّ من منافع يوم الثلاثاء، وخلق يوم الأربعاء الشجر والحجر والماء والمدائن، والعمران والخراب فهذه أربعة أيام، فقال تعالى: ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَٰلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٩﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ﴾، وخلق يوم الخميس السماء، وخلق يوم الجمعة النجوم والشمس والقمر والملائكة إلى ثلاث ساعات بقين منه، فخلق من أوّل ساعة من هذه الثلاث الآجال حين يموت من مات، وفي الثانية: ألقى فيها من كلّ شيء مما ينتفع به، وفي الثالثة خلق آدم وأسكنه الجنة وأمر إبليس بالسجود له، وأخرجه منها في آخر ساعة، قالت اليهود: ثم ماذا يا محمَّد؟ قال: ثم استوى على العرش، قالوا: قد أصبت لو أتممت، قالوا: ثم استراح، فغضب النبي ﷺ غضباً شديداً، فنزل: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾ فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾» [ق: ٣٨، ٣٩].

وأخرج ابن أبي حاتم[(٢)] عنه أيضاً في قوله: ﴿وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا﴾ قال: شق الأنهار، وغرس الأشجار، ووضع الجبال، وأجرى البحار، وجعل في هذه ما ليس في هذه وفي هذه ما ليس في هذه.

وأخرج أبو الشيخ عنه أيضاً[(٣)] قال: إن الله تعالى خلق يوماً، فسماه الأحد،

---

(١) أخرجه ابن جرير (٢٠/ ٣٨٢ ـ ٣٨٤)، والنحاس (ص٦٨٠ ـ ٦٨١)، وأبو الشيخ في «العظمة» رقم (٨٨٠)، والحاكم (٢/ ٥٤٣)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» رقم (٧٦٥، ٧٦٦) بسند ضعيف.

قال الذهبي: أبو سعد البقال، قال ابن معين: لا يكتب حديثه. وقال ابن كثير في «تفسيره» (١٢/ ٢٢٣): «هذا الحديث فيه غرابة».

(٢) عزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٣١٤) إلى ابن المنذر، عن ابن جريج.

(٣) أخرجه أبو الشيخ في «العظمة» رقم (٨٨٠) بسند ضعيف.

ثم خلق ثانياً، فسماه الاثنين، ثم خلق ثالثاً، فسماه الثلاثاء، ثم خلق رابعاً، فسماه الأربعاء، ثم خلق خامساً، فسماه الخميس، وذكر نحو ما تقدّم.

وأخرج أبو الشيخ[١] عن ابن عمر، عن النبي ﷺ قال: «إن الله فرغ من خلقه في ستة أيام، وذكر نحو ما تقدّم».

وأخرج ابن جرير، عن أبي بكر نحو ما تقدّم عن ابن عباس[٢].

وأخرج ابن المنذر، والحاكم وصحّحه، والبيهقي في «الأسماء والصفات» عن ابن عباس[٣] في قوله: ﴿فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا﴾ قال: قال للسماء: أخرجي شمْسَك وقمرك ونجومك، وللأرض: شققي أنهارك وأخرجي ثمارك ﴿قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾.

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عنه[٤] في قوله: ﴿ائْتِيَا﴾ وفي قوله: ﴿قَالَتَا أَتَيْنَا﴾ قال: أعطينا.

[مصير عاد وثمود]:

﴿فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ
الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿١٥﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ
نَحِسَاتٍ لِنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَى وَهُمْ لَا يُنْصَرُونَ ﴿١٦﴾ وَأَمَّا
ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٧﴾
وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿١٨﴾ وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾ حَتَّى إِذَا
مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾ وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ
شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾
وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا
يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ
الْخَاسِرِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِنْ يَصْبِرُوا فَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ وَإِنْ يَسْتَعْتِبُوا فَمَا هُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ ﴿٢٤﴾﴾.

---

(١) أخرجه أبو الشيخ في «العظمة» رقم (٨٩٥) بسند ضعيف جداً.
(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢١/ ٤٦٥).
(٣) أخرجه الحاكم (١/ ٢٧)، والبيهقي رقم (٨١٤) بسند ضعيف.
(٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/ ٣٩٢)، وابن أبي حاتم كما في «تغليق التعليق» (٤/ ٣٠٠) من طريق ابن جريج، به.

لما ذكر سبحانه عاداً وثمود إجمالاً ذكر ما يختص بكل طائفة من الطائفتين تفصيلاً، فقال: ﴿فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾؛ أي: تكبّروا عن الإيمان بالله وتصديق رسله، واستعلوا على من في الأرض بغير الحق؛ أي: بغير استحقاق ذلك الذي وقع منهم من التكبّر والتجّر.

ثم ذكر سبحانه بعض ما صدر عنهم من الأقوال الدالة على الاستكبار، فقال: ﴿وَقَالُواْ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً﴾، وكانوا ذوي أجسام طوال، وقوّة شديدة فاغترّوا بأجسامهم حين تهدّدهم هود بالعذاب، ومرادهم بهذا القول: أنهم قادرون على دفع ما ينزل بهم من العذاب، فردّ الله عليهم بقوله: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾، والاستفهام[1] للاستنكار عليهم، وللتوبيخ لهم؛ أي: أَوَلم يعلموا بأنّ الله أشدُّ منهم قدرةً فهو قادر على أن ينزل بهم من أنواع عقابه ما شاء بقوله كن فيكون؟

﴿وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ﴾؛ أي: بمعجزات الرسل التي خصّهم الله بها، وجعلها دليلاً على نبوّتهم، أو بآياتنا التي أنزلناها على رسلنا، أو بآياتنا التكوينية التي نصبناها لهم وجعلناها حُجة عليهم، أو بجميع ذلك.

ثم ذكر سبحانه ما أنزل عليهم مِنْ عذابه، فقال: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا﴾ الصَرْصَرْ: الريح الشديدة الصوت من الصَّرة، وهي: الصيحة. قال أبو عبيدة[2]: معنى صَرْصَرْ: شديدة عاصفة.

وقال الفراء[3]: هي: الباردة تحرق كما تحرق النار.

وقال عكرمة[4]، وسعيد بن جبير[5]، وقتادة[6]: هي: الباردة، وأنشد قطرب[7] قولَ الحطيئة[8]:

المُطعِمون إذا هَبَّت بصرصرةٍ ... والحَامِلون إذا استودُوا عن النَّاس

---

(١) «تفسير أبي السعود» (٦/ ٤١)، و«روح المعاني» (٢٤/ ١٦٣).

(٢) في «مجاز القرآن» (٢/ ١٩٦).

(٣) في «معاني القرآن» للفراء (٣/ ١٣).

(٤) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ١٧٤).

(٥) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٨/ ٤٠١).

(٦) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/ ٣٩٨) بسند صحيح.

(٧) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٨/ ٤٠١).

(٨) لم نقف عليه في ديوان الحطيئة.

أي: إذا سُئلوا الدية. وقال مجاهد[١]: هي: الشديدة السموم، والأولى تفسيرها بالبرَد؛ لأن الصرّ في كلام العرب البرد، ومنه قول الشاعر[٢]:

لها غُدرٌ كقُرون النَّسا إِرُكِّبن في يوم ريحٍ وصِرّ

قال ابن السكيت[٣]: صَرْصَرْ: يجوز أن يكون من الصرّ، وهو: البرد، ويجوز أن يكون من صَرْصَرْ الباب، ومن الصرة وهي: الصيحة، ومنه ﴿فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ فِى صَرَّةٍ﴾ [الذاريات: ٢٩].

ثم بيّن سبحانه وقت نزول ذلك العذاب عليهم، فقال: ﴿فِىٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ﴾؛ أي: مشئومات ذوات نحوس.

قال مجاهد[٤]، وقتادة: كنّ آخر شوّال من يوم الأربعاء إلى يوم الأربعاء، وذلك سبع ليال، وثمانية أيام حسوماً، وقيل: نحسات باردات، وقيل: متتابعات[٥]، وقيل: شداد، وقيل: ذوات غبار.

قرأ نافع، وابن كثير، وأبو عمرو «نحْسات» بإسكان الحاء[٦] على أنه جمع نَحْس، وقرأ الباقون[٧] بكسرها، واختار أبو حاتم[٨] القراءة الأولى لقوله: ﴿فِى يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ﴾ [القمر: ١٩] واختار أبو عبيد[٩] القراءة الثانية.

﴿لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾؛ أي: لكي نذيقهم، والخزي هو: الذل والهوان بسبب ذلك الاستكبار.

﴿وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَخْزَىٰ﴾؛ أي: أشدّ إهانةً وذلّاً، ووصف العذاب بذلك، وهو في الحقيقة وصف للمعذبين؛ لأنهم الذين صاروا متصفين بالخزي ﴿وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ﴾؛ أي: لا يُمْنعون مِنْ العذاب النازل بهم، ولا يدفعه عنهم دافع.

---

(١) أخرجه ابن جرير (٢٠/٣٩٨) بسند صحيح.
(٢) البيت لامرئ القيس. وهو في «ديوانه» (ص١٦٥).
(٣) ذكره الأزهري في «تهذيب اللغة» (١٢/١٠٧).
(٤) ذكره عنهما الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ١٧٤ ـ ١٧٥).
(٥) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/٣٩٩) بسند ضعيف، عن ابن عباس.
(٦) «التيسير» (ص١٩٣)، و«النشر» (٢/٣٦٦)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (٢/٢٤٧). ومع مَنْ سكّن الحاء يعقوب.
(٧) انظر: المصادر المتقدمة.
(٨) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٨/٤٠٣).
(٩) «البحر المحيط» (٩/٢٩٦).

ثم ذكر حال الطائفة الأخرى، فقال: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ﴾؛ أي: بيّنا لهم سبيل النجاة، ودللناهم على طريق الحقّ بإرسال الرسل إليهم، ونصب الدلالات لهم من مخلوقات الله، فإنها توجب على كل عاقل أن يؤمن بالله، ويصدّق رسله.

قال الفراء[(١)]: معنى الآية: دللناهم على مذهب الخير بإرسال الرسل. (فاستحبوا العمى على الهدى) أي: اختاروا الكفر على الإيمان.

قرأ الجمهور[(٢)]: «وأما ثمودُ» بالرفع، ومنع الصرف.

وقرأ الأعمش، وابن وثّاب بالرفع[(٣)]، والصرف، وقرأ ابن عباس، وابن أبي إسحاق، وعاصم في رواية بالنصب[(٤)] والصرف، وقرأ الحسن، وابن هرمز، وعاصم في رواية بالنصب[(٥)] والمنع، فأمّا الرفع، فعلى الابتداء.

والجملة بعده الخبر، وأما النصب [٤/٣٥] فعلى الاشتغال، وأما الصرف فعلى تفسير الاسم بالأب، أو الحي، وأما المنع فعلى تأويله بالقبيلة.

﴿فَٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ﴾؛ أي: اختاروا الكفر على الإيمان[(٦)].

وقال أبو العالية[(٧)]: اختاروا العمى على البيان، وقال السدّي[(٨)]: اختاروا المعصية على الطاعة ﴿فَأَخَذَتْهُمْ صَٰعِقَةُ ٱلْعَذَابِ ٱلْهُونِ﴾ قد تقدّم أن الصاعقة اسم للشيء المُهلك لأيّ شيء كانَ، والهُون: الهوان والإهانة، فكأنه قال: أصابهم مهلك العذاب ذي الهوان أو الإهانة، ويقال عذاب هون؛ أي: مهين كقوله: ﴿مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ﴾ [سبأ: ١٤]، والباء في ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ للسببية[(٩)]؛ أي: بسبب الذي كانوا يكسبونه، أو بسبب كسبهم ﴿وَنَجَّيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ﴾، وهم: صالح ومَنْ معه من المؤمنين، فإن الله نجاهم من ذلك العذاب.

---

(١) في «معاني القرآن» للفراء (٣/ ١٤).

(٢) «جامع البيان» (٢٠/ ٤٠١)، و«البحر المحيط» (٩/ ٢٩٦)، و«معاني القرآن» للفراء (٣/ ١٤).

(٣) «القراءات الشاذة» (ص١٣٣)، و«البحر المحيط» (٩/ ٢٩٦). وهي قراءة شاذة.

(٤) «روح المعاني» (٢٤/ ١٦٧)، و«إعراب القرآن» للنحاس (٤/ ٥٥) والرواية عن عاصم بالنصب والصرف أو بالنصب دون الصرف شاذة.

(٥) «القراءات الشاذة» (ص١٣٣)، و«جامع البيان» (٢٠/ ٤٠١)، و«البحر المحيط» (٩/ ٢٩٦).

(٦) «الجامع لأحكام القرآن» (١٨/ ٤٠٤). (٧) «النكت والعيون» (٥/ ١٧٥).

(٨) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/ ٤٠٤) بسند حسن.

(٩) «روح المعاني» (٢٤/ ١٦٩)، و«تفسير أبي السعود» (٦/ ٤٢).

ثم لما ذكر سبحانه ما عاقبهم به في الدنيا ذكر ما عاقبهم به في الآخرة، فقال: ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ﴾، وفي وصفهم بكونهم أعداء الله مبالغة في ذمِّهم، والعامل في الظرف[1] محذوف دلّ عليه ما بعده تقديره: يساق الناس يوم يُحشر، أو باذْكر؛ أي: اذْكر يومَ يُحشرهم.

قرأ الجمهور[2]: «يُحْشَر» بتحتية مضمومة، ورفع أعداء على النيابة، وقرأ نافع: «نُحْشرُ» بالنون[3]، ونصب أعداء، ومعنى حشرهم إلى النار: سوقهم إليها، أو إلى موقف الحساب؛ لأنه يتبين عنده فريق الجنة، وفريق النار.

﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾؛ أي: يحبس أوّلهم على آخرهم؛ ليتلاحقوا ويجتمعوا، كذا قال قتادة[4] والسدّي[5] وغيرهما، وقد سبق تحقيق معناه في سورة النمل مستوفى.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا﴾؛ أي: جاءوا النار التي حُشِروا إليها، أو موقف الحساب، و «ما» مزيدة للتوكيد[6] ﴿شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ في الدنيا من المعاصي.

قال مقاتل[7]: تنطق جوارحهم بما كتمت الألسن من عملهم بالشرك، والمراد بالجلود هي: جلودهم المعروفة في قول أكثر المفسرين[8].

وقال السدّي[9]، وعبيد الله بن أبي جعفر[10]، والفراء[11]: أراد بالجلود: الفروج، والأوّل أولى ﴿وَقَالُواْ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا﴾.

---

(١) «الفريد» (٤/ ٣٢٧)، و«التبيان» (٢/ ١١٢٥).
(٢) «البحر المحيط» (٩/ ٢٩٨)، و«التيسير» (ص١٩٣)، و«النشر» (٢/ ٣٦٦)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (٢/ ٢٤٨).
(٣) انظر: المصادر المتقدمة.
(٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/ ٤٠٥) بسند صحيح.
(٥) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/ ٤٠٥) بسند حسن.
(٦) «روح المعاني» (٢٤/ ١٧٠)، و«الفريد» (٤/ ٢٢٧).
(٧) ذكره البغوي في «تفسيره» (٧/ ١٧٠).
(٨) «الجامع لأحكام القرآن» (١٨/ ٤٠٥)، و«الوسيط» للواحدي (٤/ ٣٠).
(٩) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٨/ ٤٠٥).
(١٠) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/ ٤٠٦) بسند صحيح.
(١١) في «معاني القرآن» للفراء (٣/ ١٦).

وجه تخصيص الثلاثة بالشهادة دون غيرها ما ذكره الرازي[١] أن الحواس الخمس وهي: السمع، والبصر، والشم، والذوق، واللمس، وآلة المس هي الجلد، فالله سبحانه ذكر هنا ثلاثة أنواع من الحواس، وهي: السمع، والبصر، واللمس، وأهمل ذكر نوعين، وهما:

الذوق، والشم، فالذوق داخل في اللمس من بعض الوجوه؛ لأن إدراك الذوق إنما يتأتى بأن تصير جلدة اللسان مماسة لجرم الطعام، وكذلك الشم لا يتأتى حتى تصير جلدة الحنك مماسة لجرم المشموم، فكانا داخلين في جنس اللمس.

وإذا عرفت من كلامه هذا وجه تخصيص الثلاثة بالذكر عرفت منه وجه تخصيص الجلود بالسؤال؛ لأنها قد اشتملت على ثلاث حواس، فكان تأتي المعصية من جهتها أكثر.

وأما على قول مَنْ فسرّ الجلود بالفروج، فوجه تخصيصها بالسؤال ظاهر؛ لأنه ما يشهد به الفرج من الزنا أعظم قبحاً، وأجلب للخزي والعقوبة، وقد قدّمنا وجه إفراد السمع، وجمع الأبصار.

﴿قَالُوٓاْ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىۡءٍ﴾؛ أي: أنطق كلَّ شيء مما ينطق من مخلوقاته، فشهدنا عليكم بما عملتم من القبائح.

وقيل: المعنى: ما نطقنا باختيارنا، بل أنطقنا الله، والأوّل أولى.

﴿وَهُوَ خَلَقَكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾ قيل: هذا من تمام كلام الجلود، وقيل: مستأنف من كلام الله، والمعنى: أن من قدر على خلقكم، وإنشائكم ابتداءً قدر على إعادتكم ورجعكم إليه.

﴿وَمَا كُنتُمۡ تَسۡتَتِرُونَ أَن يَشۡهَدَ عَلَيۡكُمۡ سَمۡعُكُمۡ وَلَآ أَبۡصَٰرُكُمۡ وَلَا جُلُودُكُمۡ﴾ هذا تقريع لهم[٢]، وتوبيخ من جهة الله سبحانه، أو من كلام الجلود؛ أي: ما كنتم تستخفون[٣] عند الأعمال القبيحة حذراً من شهادة الجوارح عليكم، ولما كان الإنسان لا يقدر على أن يستخفي من جوارحه عند مباشرة المعصية كان معنى الاستخفاء هنا: ترك

---

(١) في «تفسيره» (٢٧/١١٦ ـ ١١٧).

(٢) «تفسيره أبي السعود» (٦/٤٣)، و«روح المعاني» (٢٤/١٧٤).

(٣) «الجامع لأحكام القرآن» (١٨/٤٠٧)، و«جامع البيان» (٢٠/٤١١).

المعصية. وقيل: معنى الاستتار[١]: الاتقاء؛ أي: ما كنتم تتقون في الدنيا أن تشهد عليكم جوارحكم في الآخرة، فتتركوا المعاصي خوفاً من هذه الشهادة و «أن» في قوله: ﴿أَن يَشْهَدَ﴾ في محل نصب[٢] على العلة؛ أي: لأجل أن يشهد، أو مخافة أن يشهد.

وقيل: منصوبة[٢] بنزع الخافض، وهو: الباء أو عن أو من.

وقيل: إن الاستتار مضمَّن معنى[٣] الظنّ؛ أي: وما كنتم تظنون أن تشهد، وهو: بعيد ﴿وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾ من المعاصي، فاجترأتم على فعلها، قيل: كان الكفار يقولون: إن الله لا يعلم ما في أنفسنا، ولكن يعلم ما نظهر دون ما نسرّ.

قال قتادة[٤]: الظنّ هنا بمعنى: العلم، وقيل: أريد بالظنّ معنى مجازي يعمّ معناه الحقيقي، وما هو فوقه من العلم، ﴿وَ﴾ الإشارة بقوله: ﴿وَذَٰلِكُمْ﴾ إلى ما ذكر من ظنهم، وهو: مبتدأ وخبره ﴿ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ﴾.

وقوله: ﴿أَرْدَىٰكُمْ﴾ خبر آخر للمبتدأ[٥] وقيل: إن «أرداكم» في محل نصب على الحال المقدّرة[٦]. وقيل: إن «ظنكم» بدل من «ذلكم»، و«الذي ظننتم» خبره، و«أرداكم» خبر آخر، أو حال، وقيل: إن «ظنكم» خبر أوّل، والموصول وصلته خبر ثان، و«أرداكم» خبر ثالث[٦]، والمعنى: أن ظنكم بأن الله لا يعلم كثيراً مما تعملون أهلككم وطرحكم في النار ﴿فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾؛ أي: الكاملين في الخسران.

ثم أخبر عن حالهم، فقال: ﴿فَإِن يَصْبِرُوا۟ فَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ﴾؛ أي: فإن يصبروا على النار فالنار مثواهم؛ أي: محل استقرارهم وإقامتهم لا خروج لهم منها.

وقيل: المعنى: فإن يصبروا في الدنيا على أعمال أهل النار، فالنار مثوى لهم

---

(١) «مفردات ألفاظ القرآن» (ص٢٨٩ ـ ٢٩٠).
(٢) «الفريد» (٤/ ٢٢٧)، و«التبيان» (٢/ ١١٢٥)، و«مشكل إعراب القرآن» (٢/ ٢٧١).
(٣) «الجامع لأحكام القرآن» (١٨/ ٤٠٨).
(٤) «جامع البيان» (٢٠/ ٤١٤).
(٥) «الفريد» (٤/ ٢٢٨)، و«مشكل إعراب القرآن» (٢/ ٢٧٢)، و«التبيان» (٢/ ١١٢٥).
(٦) انظر: المصادر المتقدمة.

﴿وَإِن يَسْتَعْتِبُوا۟ فَمَا هُم مِّنَ ٱلْمُعْتَبِينَ﴾ يقال: أعتبني[١] فلان؛ أي: أرضاني بعد إسخاطه إياي، واستعتبته طلبت منه أن يرضى.

والمعنى: أنهم إن يسألوا أن يُرجَع بهم إلى ما يحبون لم يرجع؛ لأنهم لا يستحقون ذلك. قال الخليل[٢]: تقول: استعبته فأعتبني؛ أي: استرضيته، فأرضاني، ومعنى الآية: إن يطلبوا الرضى لم يقع الرضى عنهم، بل لا بدّ لهم من النار.

قرأ الجمهور[٣]: «يَستِعتِبوا» بفتح التحتية، وكسر التاء الفوقية الثانية مبنيّاً للفاعل، وقرءوا: «من المُعتَبين» بفتح الفوقية[٤] اسم مفعول، وقرأ الحسن، وعبيد بن عُمير، وأبو العالية: «يُسْتَعتبوا» مبنيّاً للمفعول[٥] ﴿فَمَا هُم مِّنَ ٱلْمُعْتِبِينَ﴾ اسم فاعل؛ أي: إنهم إن أقالهم الله، وردّهم إلى الدنيا لم يعملوا بطاعته كما في قوله سبحانه: ﴿وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ﴾ [الأنعام: ٢٨].

وقد أخرج الطبراني[٦] عن ابن عباس في قوله: ﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ قال: يُحْبَسَ أوّلهم على آخرهم.

وأخرج ابن المنذر، وابن أبي حاتم[٧] عنه في الآية قال: يُدْفَعون.

وأخرج البخاري، ومسلم، وغيرهما عن ابن مسعود[٨] قال: كنت مستتراً

---

(١) «مفردات ألفاظ القرآن» (ص٥٤٥)، و«تهذيب اللغة» (٢/ ٢٧٧).

(٢) في كتاب «العين» (ص٥٩٧).

(٣) «البحر المحيط» (٩/ ٣٠٠)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٨/ ٤١١)، و«روح المعاني» (٢٤/ ١٧٧).

(٤) انظر: المصادر المتقدمة.

(٥) «القراءات الشاذة» (ص١٣٣)، و«المحتسب» (٢/ ٢٤٥). وهي قراءة شاذة في كلمة (يُستعتبوا) وكلمة (المعتبين) التي قرأبها الحسن ومن معه.ا.هـ.

(٦) أخرجه الطبراني في «الكبير» رقم (١٢٠٧٦).
وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ١٠٢): وفيه محمد بن أبي ليلى وهو سيئ الحفظ، وبقية رجاله ثقات.

(٧) ذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٢٧٠).

(٨) أخرجه البخاري رقم (٤٨١٧)، ومسلم رقم (٢٧٧٥)، والترمذي رقم (٣٢٤٩)، والنسائي في «الكبرى» رقم (١١٤٦٨)، وأحمد رقم (٣٨٧٥، ٤٢٢١، ٤٢٣٨)، وابن جرير (٢٠/ ٤١١ ـ ٤١٢)، وابن مردويه كما في «فتح الباري» (٨/ ٥٦٢)، والبيهقي رقم (٣٨٦).

بأستار الكعبة، فجاء ثلاثة نفر: قرشي وثقفيان، أو ثقفيّ وقرشيان، كثيرٌ لحمُ بطونهم قليلٌ فقه قلوبهم، فتكلموا بكلام لم أسمعه، فقال أحدهم: أترون أن الله يسمع كلامنا هذا؟ فقال الآخران: إنّا إذا رفعنا أصواتنا سمعه، وإنا إذا لم نرفعه لم يسمعه، فقال الآخران: إنْ سمع منه شيئاً سمعه كلَّه؛ قال: فذكرت ذلك للنبي ﷺ، فأنزل الله ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ﴾ إلى قوله: ﴿مِّنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ﴾.

وأخرج عبد الرزاق، وأحمد، والنسائي، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والحاكم وصححه، والبيهقي في «البعث» عن معاوية بن حيدة[1] قال: قال رسول الله ﷺ: «تُحْشرون ها هنا، وأومأ بيده إلى الشام، مشاةً وركباناً، وعلى وجوهكم، وتعُرضون على الله، وعلى أفواهكم الفِدَام، وأوّل ما يعرب عن أحدكم، فخذه وكتفه، وتلا رسول الله ﷺ: ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَـٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ﴾».

وأخرج أحمد، وأبو داود الطيالسي، وعبد بن حميد، ومسلم، وأبو داود، وابن ماجه، وابن حبان، وابن مردويه عن جابر[2] قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يموتنّ أحدكم إلّا وهو يحسن الظن بالله تعالى، فإنَّ قوماً قد أرداهم سوء ظنهم بالله، فقال الله: ﴿وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ﴾».

﴿وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَآءَ فَزَيَّنُوا۟ لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ خَـٰسِرِينَ ﴿٢٥﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴿٢٦﴾ فَلَنُذِيقَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ ذَٰلِكَ جَزَآءُ أَعْدَآءِ ٱللَّهِ ٱلنَّارُ ۖ لَهُمْ فِيهَا دَارُ ٱلْخُلْدِ ۖ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿٢٨﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ

(١) أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢/ ١٨٥)، وأحمد رقم (٢٠٠١١، ٢٠٠٢٢، ٢٠٠٢٦، ٢٠٠٣١، ٢٠٠٣٧، ٢٠٠٤٣، ٢٠٠٥٠)، والنسائي في «الكبرى» رقم (١١٤٣١)، والحاكم (٢/ ٤٤٠)، وابن جرير (٢٠/ ٤١٠) بسند حسن.

(٢) أخرجه أحمد رقم (١٤١٢٥، ١٤٤٨١، ١٤٥٨٠، ١٥١٩٧)، والطيالسي رقم (١٨٨٨)، وعبد بن حميد رقم (١٠١٣، ١٠٣٩)، ومسلم رقم (٢٨٧٧)، وأبو داود رقم (٣١١٣)، وابن ماجه رقم (٤١٦٧)، وابن حبان رقم (٦٣٧، ٦٣٨).

ٱلْأَسْفَلِينَ ﴿٢٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾.

[الدعوة إلى الله وآداب القائمين بها]:

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾﴾.

قوله: ﴿وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَآءَ﴾؛ أي: هيأنا قرناء من الشياطين. وقال الزجاج[1]: سبّبنا لهم قرناء حتى أضلوهم، وقيل: سلطنا عليهم قرناء. وقيل: قدّرنا، والمعاني متقاربة، وأصل التقييض[2]: التيسير والتهيئة، والقرناء جمع قرين وهم: الشياطين، جعلهم بمنزلة الأخلاء لهم.

وقيل: إن الله قيض لهم قرناء في النار، والأولى أن ذلك في الدنيا لقوله: ﴿فَزَيَّنُواْ لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ فإن المعنى: زينوا لهم ما بين أيديهم من أمور الدنيا وشهواتها، وحملوهم [٤/ ٣٦] على الوقوع في معاصي الله بانهماكهم فيها، وزينوا لهم ما خلفهم من أمور الآخرة، فقالوا: لا بعث ولا حساب ولا جنة ولا نار.

وقال الزجاج[3]: ما بين أيديهم: ما عملوه، وما خلفهم: ما عزموا على أن يعملوه.

وروي عن الزجاج[4] أيضاً، أنه قال: ما بين أيديهم من أمر الآخرة أنه لا بعث

---

(١) في «معاني القرآن وإعرابه» (٤/ ٣٨٤).
(٢) «تهذيب اللغة» (٩/ ٢١٥)، و«مفردات ألفاظ القرآن» (ص٦٨٨).
(٣) في «معاني القرآن وإعرابه» (٤/ ٣٨٤). (٤) في المصدر السابق.

ولا جنة ولا نار وما خلفهم من أمر الدنيا ﴿وَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ﴾؛ أي: وجب وثبت عليهم العذاب، وهو قوله سبحانه: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [صَ: ٨٥].

و﴿فِىٓ أُمَمٍ﴾ في محل نصب على الحال من الضمير في عليهم[١].

والمعنى: كائنين في جملة أمم، وقيل: «في» بمعنى[٢] مع؛ أي: مع أمم من الأمم الكافرة التي ﴿قَدْ خَلَتْ﴾ ومضت ﴿مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ﴾ على الكفر، وجملة: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ خَـٰسِرِينَ﴾ تعليل لاستحقاقهم العذاب.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ﴾؛ أي: قال بعضهم لبعض[٣]: لا تسمعوه، ولا تنصتوا له، وقيل: معنى لا تسمعوا: لا تطيعوا، يقال: سمعت لك؛ أي: أطعتك ﴿وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ﴾؛ أي: عارضوه باللغو والباطل، أو ارفعوا أصواتكم[٤] ليتشوش القارىء له.

وقال مجاهد[٥]: الغوا فيه بالمُكاء والتصدية والتصفيق والتخليط في الكلام حتى يصير لغواً.

وقال الضحاك[٦]: أكثروا الكلام ليختلط عليه ما يقول.

وقال أبو العالية[٧]: قعوا فيه وعيبوه.

قرأ الجمهور[٨]: «والْغَوا» بفتح الغين، من لغا إذا تكلّم باللغو، وهو: ما لا فائدة فيه، أو من لغى بالفتح يلغى بالفتح أيضاً كما حكاه الأخفش.

وقرأ عيسى بن عمر، والجحدري، وابن أبي إسحاق، وأبو حيوة، وبكر بن حبيب السهمي، وقتادة، وأبو السمّال، والزعفراني بضم الغين[٩].

وقد تقدّم الكلام في اللغو في سورة البقرة.

---

(١) «الفريد» (٤/ ٢٢٨)، و«إعراب القرآن» للنحاس (٤/ ٥٨)، و«البحر المحيط» (٩/ ٣٠١).
(٢) انظر: المصادر المتقدمة. (٣) «النكت والعيون» (٥/ ١٧٨).
(٤) «جامع البيان» (٢٠/ ٤١٨).
(٥) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/ ٤١٨) بسند صحيح.
(٦) ذكره البغوي في «تفسيره» (٧/ ١٧١). (٧) «النكت والعيون» (٥/ ١٧٨).
(٨) «البحر المحيط» (٩/ ٣٠١)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٨/ ٤١٣)، و«روح المعاني» (٢٤/ ١٧٩).
(٩) «القراءات الشاذة» (ص١٣٣)، و«المحتسب» (٢/ ٢٤٦)، و«البحر المحيط» (٩/ ٣٠١). وهي قراءة شاذة.

﴿لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾؛ أي: لكي تغلبوهم، فيسكتوا.

ثم توعدهم سبحانه على ذلك، فقال: ﴿فَلَنُذِيقَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَذَابًا شَدِيدًا﴾، وهذا وعيد لجميع الكفار، ويدخل فيهم الذين السياق معهم دخولاً أوّليّاً ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾؛ أي: ولنجزينهم في الآخرة جزاء أقبح أعمالهم التي عملوها في الدنيا.

قال مقاتل[1]: وهو: الشرك.

وقيل: المعنى: أنه يجازيهم بمساوىء أعمالهم لا بمحاسنها كما يقع منهم من صلة الأرحام وإكرام الضيف؛ لأن ذلك باطل لا أجر له مع كفرهم، والإشارة بقوله: ﴿ذَٰلِكَ﴾ إلى ما تقدّم، وهو: مبتدأ وخبره[2] «جزاء أعداء الله»، أو خبر مبتدأ[2] محذوف؛ أي: الأمر ذلك.

وجملة: ﴿جَزَآءُ أَعْدَآءِ ٱللَّهِ ٱلنَّارُ﴾ مُبينة للجملة التي قبلها، والأوّل أولى، وتكون «النار» عطفَ بيانٍ للجزاء[3]، أو بدلاً منه، أو خبر مبتدأ محذوف، أو مبتدأ والخبر ﴿لَهُمْ فِيهَا دَارُ ٱلْخُلْدِ﴾. وعلى الثلاثة الوجوه الأولى تكون جملة لهم فيها دار الخلد مستأنفة مقرّرة لما قبلها، ومعنى دار الخلد: دار الإقامة المستمرة التي لا انقطاع لها.

﴿جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ﴾؛ أي: يجزون جزاء بسبب جحدهم بآيات الله.

قال مقاتل[4]: يعني: القرآن يجحدون أنه من عند الله، وعلى هذا يكون التعبير عن اللغو بالجحود لكونه سبباً له، إقامةً للسبب مقام المسبّب ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ﴾ قالوا هذا وهم في النار، وذكره بلفظ الماضي تنبيهاً على تحقق وقوعه.

والمراد: أنهم طلبوا من الله سبحانه أن يريهم مَنْ أضلهم من فريق الجن، والإنس من الشياطين الذين كانوا يسوّلون لهم، ويُحملونهم على المعاصي، ومن

(١) ذكره الواحدي في «الوسيط» (٤/ ٣١).
(٢) «الفريد» (٤/ ٢٢٩)، و«مشكل إعراب القرآن» (٢/ ٢٧٢).
(٣) «التبيان» (٢/ ١١٢٦)، و«الفريد» (٤/ ٢٢٩)، و«مشكل إعراب القرآن» (٢/ ٢٧٢).
(٤) ذكره الواحدي في «الوسيط» (٤/ ٣٢).

الرؤساء الذين كانوا يزينون لهم الكفر. وقيل[١]: المراد: إبليس وقابيل لأنهما سنّا المعصية لبني آدم.

قرأ الجمهور[٢]: «أرِنا» بكسر الراء.

وقرأ ابن محيصن، والسوسي عن أبي عمرو، وابن عامر بسكون الراء[٣]، وبها قرأ أبو بكر، والمفضل، وهما لغتان بمعنى واحد.

وقال الخليل[٤]: إذا قلت أرني ثوبك بالكسر، فمعناه بصرنيه، وبالسكون أعطنيه.

﴿نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا﴾؛ أي: ندسهما بأقدامنا لنشتفي منهم، وقيل: نجعلهم أسفل منا في النار ﴿لِيَكُونَا مِنَ ٱلْأَسْفَلِينَ﴾ فيها مكاناً، أو ليكونا من الأذلين المهانين، وقيل: ليكونوا أشد عذاباً منا.

ثم لما ذكر عقاب الكافرين، وما أعدّه لهم ذكر حال المؤمنين، وما أنعم عليهم به، فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾؛ أي: وحده لا شريك له ﴿ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُواْ﴾ على التوحيد، ولم يلتفتوا إلى إلٰه غير الله. قال جماعة من الصحابة[٥] والتابعين: معنى الاستقامة: إخلاص العمل لله.

وقال قتادة[٦]، وابن زيد[٧]: ثم استقاموا على طاعة الله.

وقال الحسن[٨]: استقاموا على أمر الله، فعملوا بطاعته واجتنبوا معصيته.

---

(١) ذكره الواحدي في «الوسيط» (٤/ ٣٢).
ويشهد لهذا القول ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من مسلم يُقتل ظلماً إلا كان على ابن آدم الأول كفل من ذنبه؛ لأنّه أوّل من سنَّ القتل».
[أخرجه البخاري رقم (٣٣٣٥)، ومسلم رقم (١٦٧٧)، وأحمد رقم (٣٦٣٠)، والترمذي رقم (٢٦٧٣) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

(٢) «زاد المسير» (٧/ ٢٥٣)، و«التيسير» (ص١٩٣)، و«النشر» (٢/ ٢٢٢)، و«معاني القرآن وإعرابه» (٤/ ٣٨٥).

(٣) انظر: المصادر المتقدمة. وهي قراءة ابن كثير ويعقوب.

(٤) في «العين» (ص٣٢٩).

(٥) «الوسيط» للواحدي (٤/ ٣٤).

(٦) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ١٧٩).

(٧) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/ ٤٢٥) بسند صحيح.

(٨) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ١٨٠) بدون نسبة.

وقال مجاهد[١] وعكرمة[٢]: استقاموا على شهادة أن لا إله إلّا الله حتى ماتوا.

وقال الثوري[٣]: عملوا على وفاق ما قالوا.

وقال الربيع[٤]: أعرضوا عمَّا سوى الله.

وقال الفضيل بن عياض[٥]: زهدوا في الفانية، ورغبوا في الباقية.

﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ من عند الله سبحانه بالبشرى التي يريدونها من جلب نفع أو دفع ضرر، أو رفع حزن.

قال ابن زيد[٦]، ومجاهد[٧]: تتنزل عليهم عند الموت.

وقال مقاتل[٨]، وقتادة[٩]: إذا قاموا من قبورهم للبعث.

وقال وكيع: البشرى في ثلاثة مواطن: عند الموت، وفي القبر، وعند البعث.

﴿أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ﴾ أنْ هي: المخففة[١٠]، أو المفسِّرة، أو الناصبة[١١]، و «لا» على الوجهين الأوّلين ناهية، وعلى الثالث نافية، والمعنى: لا تخافوا مما تقدمون عليه من أمور الآخرة، ولا تحزنوا على ما فاتكم من أمور الدنيا من أهل، وولد، ومال.

قال مجاهد[١٢]: لا تخافوا الموت، ولا تحزنوا على أولادكم، فإن الله خليفتكم عليهم.

وقال عطاء[١٣]: لا تخافوا ردّ ثوابكم، فإنه مقبول، ولا تحزنوا على ذنوبكم، فإني أغفرها لكم.

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/ ٤٢٤) بسند ضعيف.
(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/ ٤٢٤) من طريق الحكم بن أبان، به.
(٣) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٨/ ٤١٦ ـ ٤١٧).
(٤) «النكت والعيون» (٥/ ١٨٠).
(٥) «الجامع لأحكام القرآن» (١٨/ ٤١٧)، و«المحرر الوجيز» (١٤/ ١٨٣).
(٦) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٨/ ٤١٧)، والماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ١٨٠).
(٧) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/ ٤٢٦) بسند صحيح.
(٨) «النكت والعيون» (٥/ ١٨٠)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٨/ ٤١٧).
(٩) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٨/ ٤١٧).
(١٠) «التبيان» (٢/ ١١٢٨)، و«الفريد» (٤/ ٢٢٩)، و«روح المعاني» (٢٤/ ١٨٤).
(١١) انظر: المصادر المتقدمة.
(١٢) «النكت والعيون» (٥/ ١٨٠).
(١٣) ذكره البغوي في «تفسيره» (٧/ ١٧٣).

والظاهر عدم تخصيص تنزل الملائكة عليهم بوقت معين، وعدم تقييد نفي الخوف، والحزن بحالة مخصوصة كما يشعر به حذف المتعلق في الجميع.

﴿وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ بها في الدنيا، فإنكم واصلون إليها مستقرّون بها خالدون في نعيمها.

ثم بشرهم سبحانه بما هو أعظم من ذلك كله، فقال: ﴿نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾؛ أي: نحن المتولون لحفظكم، ومعونتكم في أمور الدنيا، وأمور الآخرة، ومن كان الله وليه فاز بكلّ مطلب، ونجا من كلّ مخافة. وقيل: إن هذا من قول الملائكة.

قال مجاهد(١): يقولون لهم: نحن قُرناؤكم الذين كنا معكم في الدنيا، فإذا كان يوم القيامة قالوا: لا نفارقكم حتى تدخلوا الجنة.

وقال السدّي(٢): نحن الحفظة لأعمالكم في الدنيا، وأولياؤكم في الآخرة. وقيل: إنهم يشفعون لهم في الآخرة ويتلقونهم بالكرامة.

﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ﴾ من صنوف اللذات وأنواع النعم ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ﴾؛ أي: ما تتمنون، افتعالٌ من الدعاء بمعنى: الطلب، وقد تقدّم بيان معنى هذا في قوله: ﴿وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ﴾ [يسٓ: ٥٧] مستوفى، والفرق بين الجملتين:

أن **الأولى**: باعتبار شهوات أنفسهم، **والثانية**: باعتبار ما يطلبونه أعم من أن يكون مما تشتهيه أنفسهم أو لا .

وقال الرازي(٣): الأقرب عندي أن قوله: ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ﴾ إشارة إلى الجنة الروحانية المذكورة في قوله: ﴿دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ﴾ الآية [يونس: ١٠].

---

(١) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٨/٤٦٨).

(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/٤٢٨) بسند حسن.

(٣) في «تفسيره» (٢٧/١٢٣).
وإليك نص عبارته: الأقرب عندي أن قوله: ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ﴾ إشارة إلى الجنة الجسمانية، وقوله: ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ﴾ إشارة إلى الجنة الروحانية المذكورة في قوله: ﴿دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [يونس: ١٠].

وانتصاب[١] ﴿نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ﴾ على الحال من الموصول، أو من عائده، أو من فاعل تدّعون، أو هو مصدر مؤكد لفعل محذوف؛ أي: أنزلناه نزلاً، والنزل: ما يُعدّ لهم حال نزولهم من الرزق والضيافة، وقد تقدم تحقيقه في سورة آل عمران.

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ﴾؛ أي: إلى توحيد الله، وطاعته.

قال الحسن[٢]: هو المؤمن أجاب الله دعوته، ودعا الناس إلى ما أجاب الله فيه من طاعته ﴿وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ في إجابته ﴿وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ لربي.

وقال ابن سيرين[٣]، والسدّي[٤]، وابن زيد[٥]: هو: رسول الله ﷺ، وروي هذا أيضاً عن الحسن[٦].

وقال عكرمة[٦]، وقيس بن أبي حازم[٧]، ومجاهد[٨]: نزلت في المؤذنين.

ويجاب عن هذا بأن الآية مكية[٩]، والأذان إنما شُرع بالمدينة. والأولى حمل الآية على العموم كما يقتضيه اللفظ، ويدخل فيها مَنْ كان سبباً لنزولها دخولاً أوليّاً، فكل مَنْ جمع بين دعاء العباد إلى ما شرعه الله، وعمل عملاً صالحاً، وهو: تأدية ما فرضه الله عليه مع اجتناب ما حرمه عليه، وكان من المسلمين ديناً لا من غيرهم، فلا شيء أحسن منه، ولا أوضح من طريقته ولا أكثر ثواباً من عمله.

ثم بيّن سبحانه الفرق بين محاسن الأعمال، ومساويها، فقال: ﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ﴾؛ أي: لا تستوي الحسنة التي يرضى الله بها، ويثيب عليها، ولا السيئة التي يكرهها الله ويعاقب عليها، ولا وجه لتخصيص الحسنة بنوع من

---

(١) «إعراب القرآن» للنحاس (٤/ ٦٠)، و«الفريد» (٤/ ٢٢٩)، و«التبيان» (٢/ ١١٣٧)، و«مشكل إعراب القرآن» (٢/ ٢٧٣).

(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/ ٤٢٩) بسند صحيح.

(٣) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٨/ ٤١٩)، والبغوي في «تفسيره» (٧/ ١٧٣).

(٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/ ٤٣٠) بسند حسن.

(٥) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/ ٤٣٠) بسند صحيح.

(٦) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/ ٤٢٩) بسند صحيح.

(٧) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٨/ ٤١٩).

(٨) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/ ٤٣٠)، والخطيب في «تاريخه» (٨/ ٤٧١، ٤٧٢) من طريق داود بن سليمان، به.

(٩) «أحكام القرآن» لابن العربي (٤/ ١٦٥٠).

أنواع الطاعات، وتخصيص السيئة بنوع من أنواع المعاصي فإن اللفظ أوسع من ذلك.

وقيل: الحسنة: التوحيد، والسيئة: الشرك. وقيل: الحسنة المداراة، والسيئة: الغلظة. وقيل: الحسنة: العفو، والسيئة: الانتصار. وقيل: الحسنة: العلم، والسيئة: الفحش.

قال الفراء[1]: «لا» في قوله، ولا السيئة زائدة.

﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾؛ أي: ادفع السيئة إذا جاءتك من المسيء بأحسن ما يمكن دفعها به من الحسنات، ومنه مقابلة الإساءة بالإحسان، والذنب بالعفو، والغضب بالصبر، والإغضاء عن الهفوات والاحتمال للمكروهات.

[فائدة الدفع بالتي هي أحسن]:

وقال مجاهد[2]، وعطاء[3]: بالتي هي أحسن يعني: بالسلام إذا لقي من يعاديه، وقيل: بالمصافحة[4] عند التلاقي ﴿فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ﴾ هذه هي الفائدة الحاصلة من الدفع [٤/٣٧] بالتي هي أحسن، والمعنى: أنك إذا فعلت ذلك الدفع صار العدوّ كالصديق، والبعيد عنك كالقريب منك.

وقال مقاتل[5]: نزلت في أبي سفيان بن حرب كان معادياً للنبي ﷺ، فصار له وليّاً بالمصاهرة التي وقعت بينه وبينه، ثم أسلم، فصار وليّاً في الإسلام حميماً بالمصاهرة، وقيل غير ذلك.

والأولى حمل الآية على العموم. ﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟﴾ قال الزجاج[6]: ما يلقى هذه الفعلة وهذه الحالة وهي: دفع السيئة بالحسنة إلّا الذين صبروا على كظم الغيظ واحتمال المكروه ﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ في الثواب والخير.

وقال قتادة[6]: الحظ العظيم: الجنة؛ أي: ما يلقاها إلّا من وجبت له الجنة؛

(١) ذكره البغوي في «تفسيره» (٧/ ١٧١).
(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/ ٤٣٣).
(٣) «المحرر الوجيز» (١٤/ ١٨٦).
(٤) ذكره ابن العربي في «أحكام القرآن» (٤/ ١٦٥١).
(٥) ذكره البغوي في «تفسيره» (٧/ ١٧٤).
(٦) في «معاني القرآن وإعرابه» (٤/ ٣٨٦).

وقيل: الضمير في يلقاها عائد إلى الجنة، وقيل: راجع إلى كلمة التوحيد.

قرأ الجمهور[١] «يُلَقّاها» من التلقية، وقرأ طلحة بن مصرف، وابن كثير في رواية عنه: «يلاقاها»[٢] من الملاقاة.

ثم أمره سبحانه بالاستعاذة من الشيطان، فقال: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ﴾ النزغ شبيه النّخْس، شُبه به الوسوسة؛ لأنّها تَبْعث على الشرّ؛ والمعنى: وإن صرفك الشيطان عن شيء مما شرعه الله لك، أو عن الدفع بالتي هي أحسن، فاستعذ بالله من شرّه، وجعل النزغ نازغاً على المجاز العقلي كقولهم: جدّ جدّه[٣].

وجملة: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ تعليل لما قبلها؛ أي: السميع لكلّ ما يسُمع، والعليم بكلّ ما يُعْلَم، ومن كان كذلك، فهو يعيذ من استعاذ به.

وقد أخرج ابن أبي حاتم[٤] عن ابن عباس قال: كان رسول الله ﷺ، وهو بمكة إذا قرأ القرآن يرفع صوته، فكان المشركون يطردون الناس عنه، ويقولون: ﴿لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾ وكان إذا أخفى قراءته لم يُسمِع من يحبّ أن يسمع القرآن، فأنزل الله: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا﴾ [الإسراء: ١١٠].

وأخرج عبد الرزاق، والفريابي، وسعيد بن منصور، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والحاكم وصححه، وابن مردويه، وابن عساكر عن عليّ بن أبي طالب[٥]: أنه سئل عن قوله: ﴿رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ﴾ قال: هو: ابن آدم الذي قتل أخاه، وإبليس.

وأخرج الترمذي، والنسائي، والبزار، وأبو يعلى، وابن جرير، وابن أبي

---

(١) «البحر المحيط» (٩/ ٣٠٧)، و«روح المعاني» (٢٤/ ١٩٠).
(٢) «القراءات الشاذة» (ص١٣٣)، و«البحر المحيط» (٩/ ٣٠٧). وهي قراءة شاذة، ورواية شاذة عن ابن كثير.
(٣) «روح المعاني» (٢٤/ ١٩١).
(٤) ذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٢٧٢).
(٥) أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢/ ١٨٦)، وابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/ ٤٢٠)، والحاكم (٢/ ٤٤٠)، وابن عساكر (٤٩/ ٤٧) من طريق سفيان، به.

حاتم، وابن عديّ، وابن مردويه عن أنس[١] قال: «قرأ علينا رسول الله ﷺ هذه الآية ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُوا۟﴾ قال: قد قالها ناس من الناس، ثم كفر أكثرهم، فمن قالها حين يموت فهو ممن استقام عليها».

وأخرج ابن المبارك، وعبد الرزاق، والفريابي، وسعيد بن منصور، ومسدد، وابن سعد، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم من طريق سعيد بن نِمْران، عن أبي بكر الصديق[٢] في قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُوا۟﴾ قال: الاستقامة: أن لا يشركوا بالله شيئاً.

وأخرج ابن راهويه، وعبد بن حميد، والحكيم الترمذي في «نوادر الأصول»، والحاكم وصححه، وابن مردويه، وأبو نعيم في «الحلية» من طريق الأسود بن هلال عن أبي بكر الصديق[٣] أنه قال: ما تقولون في هاتين الآيتين: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُوا۟﴾، و﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ [الأنعام: ٨٢] قالوا: الذين قالوا: ربنا الله، ثم عملوا بها، واستقاموا على أمره، فلم يذنبوا، ﴿وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ لم يذنبوا، قال: لقد حملتموهما على أمر شديد ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ يقول: بشرك، والذين قالوا: ربنا الله، ثم استقاموا، فلم يرجعوا إلى عبادة الأوثان.

وأخرج ابن مردويه[٤] عن بعض الصحابة: ثم استقاموا على فرائض الله.

وأخرج البيهقي في «الأسماء والصفات» عن ابن عباس ﴿ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُوا۟﴾ قال: على شهادة أن لا إله إلّا الله.

وأخرج ابن المبارك، وسعيد بن منصور، وأحمد في «الزهد»، وعبد بن

---

(١) أخرجه الترمذي رقم (٣٢٥٠)، والنسائي في «السنن الكبرى» رقم (١١٤٧٠)، وأبو يعلى رقم (٣٤٩٥)، وابن جرير (٢٠/ ٤٢٢)، وابن عدي (٣/ ١٢٨٨). وهو حديث ضعيف.

(٢) أخرجه ابن المبارك رقم (٣٢٦)، وعبد الرزاق (٢/ ١٨٧)، ومسدد كما في «المطالب» رقم (٤٠٨٦)، وابن سعد (٦/ ٨٤)، وابن جرير (٢٠/ ٤٢٢ ـ ٤٢٣).

(٣) أخرجه إسحاق بن راهويه كما في «المطالب العالية» رقم (٣٩٧١)، والحكيم الترمذي (١/ ٢٣١) و(٤/ ٢٠٦)، وابن جرير (٢/ ٤٢٣)، والحاكم (٢/ ٤٤٠)، وصححه ووافقه الذهبي. وأبو نعيم (١/ ٣٠).

(٤) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٣٢٢).

حميد، والحكيم الترمذي، وابن المنذر عن عمر بن الخطاب[١] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُواْ﴾ قال: استقاموا بطاعة الله، ولم يَرُوغوا رَوَغَان الثعلب.

وأخرج أحمد، وعبد بن حميد، والدارمي، والبخاري في «تاريخه»، ومسلم، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه، وابن حبان، عن سفيان الثقفي، أن رجلاً[٢] قال: يا رسول الله مرني بأمر في الإسلام لا أسأل عنه أحداً بعدك، قال: «قل آمنت بالله، ثم استقم»، قلت: فما أتقي؟ فأوى إلى لسانه. قال الترمذي: حسن صحيح.

وأخرج عبد بن حميد، وابن أبي حاتم، وابن مردويه عن عائشة[٣] في قوله: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ﴾ قالت: المؤذن ﴿وَعَمِلَ صَـٰلِحًا﴾ قالت: ركعتان فيما بين الأذان والإقامة.

وأخرج ابن أبي شيبة في المصنف، وابن المنذر، وابن مردويه من وجه آخر عنها[٤] قالت: ما أرى هذه الآية نزلت إلّا في المؤذنين.

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والبيهقي في «سننه» عن ابن عباس[٥] في قوله: ﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ قال: أمر المسلمين بالصبر عند الغضب، والحلم عند الجهل، والعفو عند الإساءة، فإذا فعلوا ذلك عصمهم الله من الشيطان، وخضع لهم عدوّهم ﴿كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ﴾.

وأخرج ابن مردويه[٦] عنه ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ قال: القه بالسلام، فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه وليّ حميم.

---

(١) أخرجه ابن المبارك رقم (٣٢٥)، وأحمد في «الزهد» (ص١١٥)، والحكيم الترمذي (١/ ٢٣١).

(٢) أخرجه أحمد رقم (١٥٤١٦ ـ ١٥٤١٨)، والدارمي (٢/ ٢٩٨)، والبخاري في «تاريخه» (٥/ ١٠٠)، ومسلم رقم (٣٨)، والترمذي رقم (٢٤١٠)، والنسائي في «الكبرى» رقم (١١٤٨٩، ١١٤٩٠)، وابن ماجه (٣٩٧٢)، وابن حبان رقم (٥٦٩٨ ـ ٥٧٠٠) كلهم من حديث سفيان بن عبد الله الثقفي قال: «قلت: يا رسول الله. . .» الحديث.

(٣) عزاه إليهم السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٣٢٥).

(٤) عزاه إليهم السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٣٢٥)، وأخرجه ابن أبي شيبة (١/ ٢٢٥).

(٥) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/ ٤٣٢)، وابن أبي حاتم كما في «التغليق» (٤/ ٣٠٣)، والبيهقي (٧/ ٤٥) بسند صحيح.

(٦) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٣٢٧).

وأخرج ابن المنذر[(١)] عن أنس في قوله: ﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟﴾ قال: الرجل يشتمه أخوه، فيقول: إنْ كنتَ صادقاً، فغفر الله لي، وإن كنتَ كاذباً فغفر الله لك.

وأخرج البخاري، ومسلم، وغيرهما عن سليمان بن صُرَد[(٢)] قال: «استبّ رجلان عند النبي ﷺ، فاشتدّ غضب أحدهما، فقال النبي ﷺ: إني لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه الغضب: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، فقال الرجل: أمجنون تراني؟، فتلا رسول الله ﷺ: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَـٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾».

[بعض آيات الله ﷻ]:

﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ
وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾ فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فَٱلَّذِينَ عِندَ
رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ ۩ ﴿٣٨﴾ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَـٰشِعَةً
فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ إِنَّ
ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ ءَايَـٰتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآ ۗ أَفَمَن يُلْقَىٰ فِى ٱلنَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِىٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۚ
ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ ۖ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلذِّكْرِ لَمَّا جَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَـٰبٌ
عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَـٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ مَّا يُقَالُ لَكَ
إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَلَوْ جَعَلْنَـٰهُ قُرْءَانًا
أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَـٰتُهُۥٓ ۖ ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ ۗ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ ۖ وَٱلَّذِينَ
لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٤٤﴾﴾.

[الآيات الكونية الدالة على كمال قدرته]:

شرع سبحانه في بيان بعض آياته البديعة الدالة على كمال قدرته، وقوّة تصرفه؛ للاستدلال بها على توحيده، فقال: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ﴾.

---

(١) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٣٢٧).

(٢) أخرجه البخاري رقم (٣٢٨٢، ٦٠٤٨، ٦١١٥)، ومسلم رقم (٢٦١٠)، وأبو داود رقم (٤٧٨١)، والنسائي في «السنن الكبرى» رقم (١٠٢٢٤، ١٠٢٢٥)، والحاكم (٢/ ٤٤١)، وابن أبي شيبة (٨/ ٣٤٥).

ثم لما بيّن أن ذلك من آياته نهاهم عن عبادة الشمس والقمر وأمرهم بأن يسجدوا لله ﷻ، فقال: ﴿لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ﴾؛ لأنهما مخلوقان من مخلوقاته، فلا يصح أن يكونا شريكين له في ربوبيته ﴿وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ﴾؛ أي: خلق هذه الأربعة المذكورة؛ لأن جمع ما لا يعقل حكمه حكم جمع الإناث، أو الآيات أو الشمس والقمر؛ لأن الاثنين جمع عند جماعة من الأئمة.

﴿إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ قيل: كان ناس يسجدون للشمس والقمر كالصابئين في عبادتهم الكواكب، ويزعمون أنهم يقصدون بالسجود لهما السجود لله، فنهوا عن ذلك، فهذا وجه تخصيص ذكر السجود بالنهي عنه.

وقيل: وجه تخصيصه أنّه أقصى مراتب العبادة، وهذه الآية من آيات السجود بلا خلاف، وإنما اختلفوا في موضع السجدة، فقيل: موضعه عند قوله: ﴿إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾؛ لأنه متصل بالأمر، وقيل: عند قوله: ﴿وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ﴾؛ لأنه تمام الكلام.

﴿فَإِنِ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ﴾؛ أي: إن استكبر هؤلاء عن الامتثال، فالملائكة يديمون التسبيح لله سبحانه بالليل، والنهار، وهم لا يملون، ولا يفترون.

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً﴾ الخطاب هنا لكل من يصلح له، أو لرسول الله ﷺ، والخاشعة[(١)]: اليابسة الجَدْبة. وقيل: الغبراء التي لا تنبت.

قال الأزهري[(٢)]: إذا يبست الأرض ولم تمطر قيل: قد خشعت ﴿فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ﴾؛ أي: ماء المطر، ومعنى اهتزت: تحركت بالنبات يقال: اهتزّ الإنسان: إذا تحّرك، ومنه قول الشاعر:

تَـراهُ كـنـصـلِ الـسَّـيـفِ يـهـتـزُّ لـلـنَّـدى ... إذا لم تجدْ عند امرئِ السَّوء مَطْعما[(٣)]

ومعنى ربت: انتفخت، وعلت قبل أن تنبت؛ قاله مجاهد[(٤)] وغيره، وعلى هذا ففي الكلام تقديم وتأخير، وتقديره: ربت واهتزّت، وقيل: الاهتزاز، والربو قد

(١) «مفردات ألفاظ القرآن» (ص٢٨٣).
(٢) في «تهذيب اللغة» (١/ ١٥١).
(٣) قائله متمم بن نويرة.
«معاني القرآن» للنحاس (٦/ ٢٧٢ ـ ٢٧٣).
(٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/ ٤٣٨) بسند صحيح.

يكونان قبل خروج النبات، وقد يكونان بعده، ومعنى الربو لغة[(١)]: الارتفاع، كما يقال للموضع المرتفع: ربوة ورابية.

وقد تقدّم تفسير هذه الآية مستوفى في سورة الحج، وقيل: اهتزت: استبشرت بالمطر، وربت: انتفخت بالنبات. وقرأ أبو جعفر[(٢)]، وخالد: «وربأتْ».

﴿إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ﴾ بالبعث والنشور ﴿إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ لا يعجزه شيء كائناً ما كان.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا﴾؛ أي: يميلون عَنْ الحق، والإلحاد: الميلُ، والعدول، ومنه اللّحد في القبر؛ لأنّه أميل إلى ناحية منه، يقال: ألحد في دين الله؛ أي: مال، وعدل عنه، ويقال: لحد.

وقد تقدّم تفسير الإلحاد. قال مجاهد[(٣)]: معنى الآية: يميلون عن الإيمان بالقرآن. وقال مجاهد[(٤)]: يميلون عند [٤/٣٨] تلاوة القرآن بالمكاء والتصدية واللغو والغناء. وقال قتادة[(٥)]: يكذبون في آياتنا.

وقال السدّي[(٦)]: يعاندون ويشاقون. وقال ابن زيد[(٧)]: يشركون.

﴿لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآ﴾ بل نحن نعلمهم فنجازيهم بما يعملون.

ثم بيّن كيفية الجزاء والتفاوت بين المؤمن والكافر، فقال: ﴿أَفَمَن يُلْقَىٰ فِى ٱلنَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِىٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ هذا الاستفهام للتقرير[(٨)] والغرض منه التنبيه على أن الملحدين في الآيات يُلْقَون في النار، وأن المؤمنين بها يأتون آمنين يوم القيامة. وظاهر الآية العموم اعتباراً بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

---

(١) «تهذيب اللغة» (١٥/ ٢٧٢).
(٢) «النشر» (٢/ ٣٢٥)، و«معاني القرآن» للنحاس (٦/ ٢٧٣)، و«روح المعاني» (٢٤/ ١٩٥). وهي قراءة متواترة.
(٣) «النكت والعيون» (٥/ ١٨٥).
(٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/ ٤٤٠) بسند صحيح.
(٥) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/ ٤٤٠ ـ ٤٤١) بسند صحيح.
(٦) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/ ٤٤١) بسند حسن.
(٧) «النكت والعيون» (٥/ ١٨٥).
(٨) «روح المعاني» (٢٤/ ١٩٨)، و«تفسير أبي السعود» (٦/ ٤٨).

وقيل: المراد بمن يلقى في النار[١]: أبو جهل، ومن يأتي آمناً: النبي ﷺ، وقيل: حمزة[١]، وقيل: عمر بن الخطاب، وقيل: أبو سلمة بن عبد الأسد المخزومي[٢].

﴿ٱعۡمَلُواْ مَا شِئۡتُمۡ إِنَّهُۥ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ هذا أمر تهديد؛ أي: اعملوا من أعمالكم التي تلقيكم في النار ما شئتم إنه بما تعملون بصير، فهو مجازيكم على كل ما تعملون.

قال الزجاج[٣]: لفظه لفظ الأمر ومعناه الوعيد.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلذِّكۡرِ لَمَّا جَآءَهُمۡ﴾ الجملة مستأنفة مقرّرة لما قبلها، وخبر إن محذوف[٤]؛ أي: إن الذين كفروا بالقرآن لما جاءهم يجازون بكفرهم أو هالكون أو يعذّبون، وقيل: هو قوله: ﴿يُنَادَوۡنَ مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٖ﴾، وهذا بعيد، وإن رجحه أبو عمرو بن العلاء.

وقال الكسائي[٥]: إنه سدّ مسدّه الخبر السابق، وهو: ﴿لَا يَخۡفَوۡنَ عَلَيۡنَآ﴾. وقيل: إن الجملة بدل من الجملة الأولى، وهي: الذين يلحدون في آياتنا، وخبر إن هو: الخبر السابق ﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٞ﴾؛ أي: القرآن الذي كانوا يلحدون فيه؛ أي: عزيز عَنْ أن يُعارض أو يطعن فيه الطاعنون، منيع عن كل عيب.

ثم وصفه بأنه حق لا سبيل للباطل إليه بوجه من الوجوه، فقال: ﴿لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦ﴾.

قال الزجاج[٦]: معناه: أنه محفوظ من أن ينقص منه، فيأتيه الباطل من بين يديه، أو يزاد فيه فيأتيه الباطل من خلفه، وبه قال قتادة[٧]، والسدّي[٨]. ومعنى الباطل على هذا: الزيادة والنقصان.

---

(١) «معالم التنزيل» (٧/ ١٧٦)، و«النكت والعيون» (٥/ ١٨٥).
(٢) «الجامع لأحكام القرآن» (١٨/ ٤٢٧).
(٣) في «معاني القرآن وإعرابه» (٤/ ٣٨٨)، وتمام العبارة والتهديد، وقد بيَّنَ لهم المجازاة على الخير والشرّ.
(٤) «الفريد» (٤/ ٢٣١)، و«التبيان» (٢/ ١١٢٧).
(٥) ذكره النحاس في «معاني القرآن» (٦/ ٢٧٥).
(٦) في «معاني القرآن وإعرابه» (٤/ ٣٨٨).
(٧) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/ ٤٤٤) بسند صحيح.
(٨) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/ ٤٤٥) بسند حسن.

وقال مقاتل[١]: لا يأتيه التكذيب من الكتب التي قبله، ولا يجيء من بعده كتاب فيبطله، وبه قال الكلبي[٢] وسعيد بن جبير[٣]. وقيل: الباطل هو: الشيطان؛ أي: لا يستطيع أن يزيد فيه ولا ينقص منه. وقيل: لا يزاد فيه ولا ينقص منه لا من جبريل ولا من محمد ﷺ ﴿تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ هو خبر مبتدأ محذوف أو صفة أخرى لكتاب عند من يجوّز تقديم غير الصريح من الصفات على الصريح، وقيل: إنه الصفة لكتاب وجملة ﴿لَّا يَأْتِيهِ﴾ معترضة بين الموصوف والصفة.

ثم سلى سبحانه رسوله ﷺ عن ما كان يتأثر له من أذية الكفار، فقال: ﴿مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ﴾؛ أي: ما يقال لك من هؤلاء الكفار من وصفك بالسحر والكذب والجنون إلّا مثل ما قيل للرسل من قبلك، فإن قومهم كانوا يقولون لهم مثل ما يقول لك هؤلاء.

وقيل: المعنى: ما يقال لك من التوحيد وإخلاص العبادة لله إلّا ما قد قيل للرسل من قبلك، فإن الشرائع كلها متفقة على ذلك، وقيل: هو استفهام[٤]؛ أي: أيّ شيء يقال لك؟ إلّا ما قد قيل للرسل من قبلك.

﴿إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ﴾ لمن يستحق مغفرته من الموحدين الذين بايعوك، وبايعوا من قبلك من الأنبياء ﴿وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ﴾ للكفار المكذّبين المعادين لرسل الله، وقيل: لذو مغفرة للأنبياء، وذو عقاب لأعدائهم.

﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا﴾؛ أي: لو جعلنا هذا القرآن الذي تقرؤه على الناس بغير لغة العرب ﴿لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَـٰتُهُۥٓ﴾؛ أي: بينت بلغتنا، فإننا عرب لا نفهم لغة العجم، والاستفهام في قوله: ﴿ءَا۬عْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ﴾ للإنكار[٥]، وهو من جملة قول المشركين؛ أي: لقالوا أكلام أعجميّ ورسول عربيّ؟ والأعجمي[٦]: الذي لا يفصح

---

(١) ذكره البغوي في «تفسيره» (٧/ ١٧٦).
(٢) ذكره الواحدي في «الوسيط» (٤/ ٣٨)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٧/ ٢٦٢).
(٣) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ١٨٥)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٧/ ٢٦٢).
(٤) «الجامع لأحكام القرآن» (١٨/ ٤٢٩)، و«جامع البيان» (٢٠/ ٤٤٣).
(٥) «تفسير أبي السعود» (٦/ ٥٠)، و«روح المعاني» (٢٤/ ٢٠٠).
(٦) «مفردات ألفاظ القرآن» (ص٥٤٩).

سواء كان من العرب أو من العجم. والأعجم ضد الفصيح وهو: الذي لا يبين كلامه، ويقال للحيوان غير الناطق: أعجم.

قرأ أبو بكر، وحمزة، والكسائي: «ءأعجميّ» بهمزتين[١] محققتين. وقرأ الحسن، وأبو العالية، ونصر بن عاصم، وهشام بهمزة واحدة على الخبر[٢]، وقرأ الباقون[٣] بتسهيل الثانية بينَ بين، وقيل: المراد: هلاّ فصلت آياته، فجعل بعضها أعجمياً لإفهام العجم، وبعضها عربياً لإفهام العرب؟

ثم أمر الله سبحانه رسوله ﷺ أن يجيبهم، فقال: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ﴾؛ أي: يهتدون به إلى الحق، ويشتفون به من كل شك وشبهة، ومن الأسقام والآلام ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ﴾؛ أي: صَمَمٌ عن سماعه وفهم معانيه، ولهذا تواصوا باللغو فيه.

﴿وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى﴾ قال قتادة[٤]: عموا عن القرآن وصموا عنه.

وقال السدّي[٥]: عميت قلوبهم عنه.

والمعنى: وهو عليهم ذو عَمىً، أو وصف بالمصدر للمبالغة، والموصول[٦] في قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ مبتدأ، وخبره ﴿فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ﴾، أو الموصول الثاني عطف على الموصول الأوّل، ووقر عطف على هدى عند من جوّز العطف على عاملين مختلفين.

والتقدير: هو للأوّلين هدى وشفاء، وللآخرين وقر في آذانهم.

---

(١) «النشر» (١/ ٣٦٦)، و«التيسير» (ص١٩٣)، و«جامع البيان» (٢٠/ ٤٤٨). وممن قرأ بالتحقيق روح عن يعقوب وخلف البزار.ا.هـ.

(٢) «البحر المحيط» (٩/ ٣٤٢)، و«النشر» (١/ ٣٦٦)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (٢/ ٢٤٨)، و«جامع البيان» (٢٠/ ٤٤٨ ـ ٤٤٩). وهي قراءة قنبل عن ابن كثير، ورويس عن يعقوب في وجه عنهما.ا.هـ.

(٣) انظر: المصادر المتقدمة. وفيه تفصيل منهم من قرأ بالتسهيل دون فصل وهي قراءة حفص وورش والبزي، ومنهم من قرأ بالتسهيل مع الفصل وهو قالون وأبو عمرو وأبو جعفر.ا.هـ. «النشر» (١/).

(٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/ ٤٥٠) بسند صحيح.

(٥) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/ ٤٥٠) بسند حسن.

(٦) «التبيان» (٢/ ١١٢٧)، و«روح المعاني» (٢٤/ ٢٠٣).

قرأ الجمهور: «عَمىً» بفتح الميم منونّة[١] على أنه مصدر، وقرأ ابن عباس، وعبد الله بن الزبير، وعمرو بن العاص، وابن عُمر بكسر الميم[٢] منونّة على أنه اسم منقوص على أنّه وصف به مجازاً. وقرأ عَمْرو بن دينار بكسر الميم، وفتح الياء[٣] على أنه فعل ماض، واختار أبو عبيدة[٤] القراءة الأولى لقوله أوّلاً: ﴿هُدًى وَشِفَآءٌ﴾، ولم يقل هاد وشاف.

وقيل: المعنى: والوقر عليهم عمى، والإشارة بقوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ إلى الذين لا يؤمنون، وما في حيزه، وخبره ﴿يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾ مثل حالهم باعتبار عدم فهمهم للقرآن بحال من ينادي من مسافة بعيدة لا يسمع صوت من يناديه منها.

قال الفراء[٥]: تقول للرجل الذي لا يفهم كلامك: أنت تنادي من مكان بعيد.

وقال الضحاك[٦]: ينادون يوم القيامة بأقبح أسمائهم من مكان بعيد.

وقال مجاهد[٧]: من مكان بعيد من قلوبهم.

وقد أخرج ابن أبي شيبة، والحاكم وصححه، والبيهقي في «سننه» من طريق سعيد بن جبير، عن ابن عباس[٨]: أنه كان يسجد بآخر الآيتين من حمَ السجدة، وكان ابن مسعود يسجد بالأولى منهما.

وأخرج ابن سعد، وابن أبي شيبة من طريق نافع عن ابن عمر[٩]: أنه كان يسجد بالأولى.

وأخرج سعيد بن منصور عنه[١٠]: أنه كان يسجد في الآية الأخيرة.

---

(١) «البحر المحيط» (٩/ ٣١٣)، و«جامع البيان» (٢٠/ ٤٥٠).
(٢) «القراءات الشاذة» (ص١٣٣)، و«روح المعاني» (٢٤/ ٢٠٤)، و«البحر المحيط» (٩/ ٣٠٣).
(٣) «روح المعاني» (٢٤/ ٢٠٥)، و«البحر المحيط» (٩/ ٣١٣)، و«المحرر الوجيز» (١٤/ ١٩٤).
(٤) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٨/ ٤٣١). وقراءة الجمهور هي المتواترة وما عداها فشاذة.
(٥) في «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٢٠).
(٦) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/ ٤٥١ ـ ٤٥٢) بسد حسن.
(٧) «النكت والعيون» (٥/ ١٨٧).
(٨) أخرجه ابن أبي شيبة (٢/ ١٠، ١١)، والحاكم (٢/ ٤٤١)، والبيهقي (٢/ ٣٢٦).
(٩) أخرجه ابن أبي شيبة (٢/ ١٠، ١١).
(١٠) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٣٢٩).

وأخرج ابن أبي حاتم[١] عن ابن عباس في قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا﴾ قال: هو: أن يضع الكلام على غير موضعه.

وأخرج ابن مردويه[٢] عنه في قوله: ﴿أَفَمَن يُلۡقَىٰ فِي ٱلنَّارِ﴾ قال: أبو جهل بن هشام.

﴿أَم مَّن يَأۡتِيٓ ءَامِنٗا يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ﴾ قال: أبو بكر الصديق.

وأخرج عبد الرزاق وعبد بن حميد وابن المنذر وابن عساكر عن بشير بن تميم[٣] قال: نزلت هذه الآية في أبي جهم وعمار بن ياسر.

وأخرج ابن عساكر عن عكرمة[٤] مثله.

وأخرج ابن مردويه[٥] عن ابن عباس في قوله: ﴿ٱعۡمَلُواْ مَا شِئۡتُمۡ﴾ قال: هذا لأهل بدر خاصة.

وأخرج ابن أبي حاتم، وابن مردويه عن ابن عباس[٦] في قوله: ﴿وَلَوۡ جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَانًا أَعۡجَمِيّٗا﴾ الآية يقول: لو جعلنا القرآن أعجمياً، ولسانك يا محمد عربيّ لقالوا: أعجميّ وعربيّ تأتينا به مختلفاً أو مختلطاً ﴿لَوۡلَا فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥٓۖ﴾ هلا بينت آياته فكان القرآن مثل اللسان. يقول فلم نفعل لئلا يقولوا، فكانت حجة عليهم.

[موسى وكتابه واختلاف قومه في هذا الكتاب]:

﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ فَٱخۡتُلِفَ فِيهِۗ وَلَوۡلَا كَلِمَةٞ سَبَقَتۡ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيۡنَهُمۡۚ وَإِنَّهُمۡ لَفِي شَكّٖ مِّنۡهُ مُرِيبٖ ﴿٤٥﴾ مَّنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا فَلِنَفۡسِهِۦۖ وَمَنۡ أَسَآءَ فَعَلَيۡهَاۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ ﴿٤٦﴾﴾.

---

(١) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٣٣٠).
(٢) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٣٣٠).
(٣) أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢/ ١٨٨).
(٤) أخرجه ابن عساكر في «تاريخه» (٤٣/ ٣٧٧، ٣٧٨).
(٥) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٣٣١).
(٦) عزاه إليهما السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٣٣١).

[أمر الساعة وعلمها إلى الله وحده]:

﴿إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِۚ وَمَا تَخْرُجُ مِن ثَمَرَٰتٍ مِّنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦۚ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَآءِى قَالُوٓاْ ءَاذَنَّٰكَ مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ ﴿٤٧﴾ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَدْعُونَ مِن قَبْلُۖ وَظَنُّواْ مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ ﴿٤٨﴾ لَّا يَسْـَٔمُ ٱلْإِنسَٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٌ قَنُوطٌ ﴿٤٩﴾ وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِى وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّىٓ إِنَّ لِى عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰۚ فَلَنُنَبِّئَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِمَا عَمِلُواْ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٠﴾ وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ ﴿٥١﴾﴾.

[يريهم آياته في الآفاق وفي أنفسهم]:

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِۦ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْـَٔافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآءِ رَبِّهِمْۗ أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطٌۢ ﴿٥٤﴾﴾.

قوله: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَٱخْتُلِفَ فِيهِۗ﴾ هذا كلام مستأنف يتضمن تسلية رسول الله ﷺ عما كان يحصل له من الاغتمام بكفر قومه، وطعنهم في القرآن، فأخبره أن هذا عادة قديمة في أمم الرسل، فإنهم يختلفون في الكتب المنزلة إليهم، والمراد بالكتاب: التوراة، والضمير من قوله: ﴿فِيهِۗ﴾ راجع إليه.

وقيل: يرجع إلى موسى، والأوّل أولى ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ﴾ في تأخير العذاب عن المكذّبين من أمتك كما في قوله: ﴿وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [النحل: ٦١، وفاطر: ٤٥] ﴿لَقُضِىَ بَيْنَهُمْۚ﴾ بتعجيل العذاب لمن كذب منهم ﴿وَإِنَّهُمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ﴾؛ أي: من كتابك المنزّل عليك وهو: القرآن، ومعنى الشك المريب: الموقع في الريبة، أو الشديد الريبة.

وقيل: إن المراد: اليهود، وأنهم في شك من التوراة مريب، والأوّل أولى.

﴿مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ﴾؛ أي: من أطاع الله[١] وآمن برسوله ولم يكذّبهم، فثواب ذلك راجع إليه ونفعه خاصّ به ﴿وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا﴾؛ أي: عقاب إساءته عليه لا على غيره ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾، فلا يعذبّ أحداً إلّا بذنبه ولا يقع منه الظلم لأحد كما في قوله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ شَيْـًٔا﴾ [يونس: ٤٤].

وقد تقدّم الكلام على معنى هذه الآية في سورة آل عمران عند قوله: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [آل عمران: ١٨٢]، وفي سورة الأنفال أيضاً.

ثم أخبر سبحانه: أن علم القيامة، ووقت قيامها لا يعلمه غيره، فقال: ﴿إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾، فإذا وقع السؤال عنها وجب على المسئول أن يردّ علمها إليه لا إلى غيره، [٣٩/٤].

وقد روي أن المشركين قالوا: يا محمد إن كنت نبيّاً، فأخبرنا متى تقوم الساعة؟ فنزلت.

و«ما» في قوله: ﴿وَمَا تَخْرُجُ مِن ثَمَرَٰتٍ مِّنْ أَكْمَامِهَا﴾ نافية، و«من» الأولى للاستغراق[٢]، و«من» الثانية لابتداء[٣] الغاية، وقيل: هي موصولة[٣] في محلّ جرّ عطفاً على الساعة؛ أي: علم الساعة وعلم التي تخرج، والأوّلى أولى.

والأكمام[٤]: جمع كِمّ بكسر الكاف، وهو: وعاء الثمرة، ويطلق على كل ظرف لمال أو غيره.

قال أبو عبيدة[٥]: أكمامها أوعيتها، وهي ما كانت فيه الثمرة، واحدها كمٍّ، وكُمّة.

قال الراغب[٦]: الكمّ ما يغطي اليد من القميص، وما يغطي الثمرة، وجمعه أكمام، وهذا يدلّ على أن الكمُّ بضمّ الكاف؛ لأنه جعله مشتركاً بين كمّ القميص، وكمّ الثمرة، ولا خلاف في كمّ القميص أنه بالضمّ. ويمكن أن يقال: إن في الكمّ الذي هو وعاء الثمر لغتين.

---

(١) «جامع البيان» (٢٠/ ٤٥٤)، و«روح المعاني» (٢٤/ ٢٠٥).
(٢) «الفريد» (٤/ ٢٣٢)، و«التبيان» (٢١/ ١١٢٨)، و«روح المعاني» (٢٤/ ٢٠٦ ـ ٢٠٧).
(٣) انظر: المصادر المتقدمة.
(٤) «تهذيب اللغة» (٩/ ٤٦٥)، و«الصحاح» (٥/ ٢٠٢٤).
(٥) في «مجاز القرآن» (٢/ ١٩٨).
(٦) «مفردات ألفاظ القرآن» (ص٧٢٦).

قرأ الجمهور[١]: «مِنْ ثمرة» بالإفراد، وقرأ نافع، وابن عامر، وحفص بالجمع[٢].

﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ﴾؛ أي: ما تحمل أنثى حملاً في بطنها، ولا تضع ذلك الحمل إلّا بعلم الله سبحانه، والاستثناء مفرغ من أعمّ الأحوال؛ أي: ما يحدث شيء من خروج ثمرة، ولا حمل حامل، ولا وضع واضع في حال من الأحوال إلّا كائناً بعلم الله، فإليه يردّ علم الساعة كما إليه يرد علم هذه الأمور.

﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ﴾؛ أي: ينادي الله سبحانه المشركين، وذلك يوم القيامة، فيقول لهم: ﴿أَيْنَ شُرَكَآءِى﴾ الذين كنتم تزعمون أنهم شركائي في الدنيا من الأصنام، وغيرها، فادعوهم الآن فليشفعوا لكم أو يدفعوا عنكم العذاب، وهذا على طريقة التهكم بهم.

قرأ الجمهور[٣]: «شركائْي»، بسكون الياء، وقرأ ابن كثير بفتحها[٤]، والعامل في «يوم» محذوف؛ أي: اذكر ﴿قَالُوٓاْ ءَاذَنَّٰكَ مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ﴾ يقال: آذن يأذن: إذا أعْلم، ومنه قول الشاعر:

آذنــتْــنــا بــبــيــنِــهــا أَسْــمــاءُ رُبّ ثــاوٍ يُــمــلُّ مــنــهُ الــثَّــواءُ[٥]

والمعنى: أعلمناك ما منا أحد يشهد بأن لك شريكاً، وذلك أنهم لما عاينوا القيامة تبرءوا من الشركاء، وتبرّأت منهم تلك الأصنام التي كانوا يعبدونها.

وقيل: إن القائل بهذا هي: المعبودات التي كانوا يعبدونها؛ أي: ما منا من شهيد يشهد لهم بأنهم كانوا محقين، والأوّل أولى.

﴿وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَدْعُونَ مِن قَبْلُ﴾؛ أي: زال وبطل في الآخرة ما كانوا يعبدون في الدنيا من الأصنام، ونحوها.

---

(١) «النشر» (٢/ ٣٦٧)، و«التيسير» (ص١٩٤)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (٢/ ٢٤٩)، و«زاد المسير» (٧/ ٢٦٤).

(٢) انظر: المصادر المتقدمة. وممن قرأ بالجمع «أبو جعفر».

(٣) «النشر» (٢/ ٣٦٧)، و«التيسير» (ص١٩٤)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (٢/ ٢٤٩).

(٤) انظر: المصادر المتقدمة.

(٥) قائله الحارث بن حِلِّزة اليشكري.
انظر: «شرح القصائد المشهورات» للنحاس (ص٥١).

﴿وَظَنُّواْ مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ﴾؛ أي: أيقنوا وعلموا أنه لا محيص لهم، يقال: حاص[١] يَحِيص حَيْصاً: إذا هرب.

وقيل: الظنّ على معناه الحقيقي[٢]؛ لأنه بقي لهم في تلك الحال ظنّ، ورجاء، والأوّل أولى.

ثم ذكر سبحانه بعض أحوال الإنسان، فقال: ﴿لَّا يَسْـَٔمُ ٱلْإِنسَـٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ﴾؛ أي: لا يملّ من دعاء الخير لنفسه وجلبه إليه، والخير هنا: المال، والصحة والسلطان والرفعة.

قال السدّي[٣]: والإنسان هنا يراد به: الكافر، وقيل: الوليد بن المغيرة. وقيل: عتبة، وشيبة ابنا ربيعة، وأميّة بن خلف.

والأولى حمل الآية على العموم[٤] باعتبار الغالب، فلا ينافيه خروج خلص العباد.

وقرأ عبد الله بن مسعود[٥]: «لا يسأم الإنسان[٦] من دعاء المال» ﴿وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٌ قَنُوطٌ﴾؛ أي: وإن مسه البلاء والشدّة والفقر والمرض، فيئوس من روح الله، قنوط من رحمته. وقيل: يئوس من إجابة دعائه قنوط بسوء الظنّ بربه. وقيل: يئوس من زوال ما به من المكروه قنوط بما يحصل له من ظنّ دوامه، وهما صيغتا مبالغة يدلان على أنه شديد اليأس عظيم القنوط.

﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَـٰهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ﴾؛ أي: ولئن آتيناه خيراً، وعافية، وغنى مِنْ بعد شدّة ومرض وفقر ﴿لَيَقُولَنَّ هَـٰذَا لِى﴾؛ أي: هذا شيء أستحقه على الله لرضاه بعملي، فظنّ أن تلك النعمة التي صار فيها، وصلت إليه باستحقاقه لها، ولم يعلم أن الله يبتلي عباده بالخير والشرّ، ليتبين له الشاكر من الجاحد والصابر من الجَزِع.

---

(١) «مفردات ألفاظ القرآن» (ص٢٦٤ ـ ٢٦٥).
(٢) «إعراب القرآن» للنحاس (٤/ ٦٧).
(٣) «النكت والعيون» (٥/ ١٨٨).
(٤) حمل المصنف «الإنسان» هنا على الجنس. وفيه نظر لعدم مواتاة ما بعده عليه.
(٥) «القراءات الشاذة» (ص١٣٣)، وفيه: «من دعاءِ بالخير»، و«روح المعاني» (٢٤/ ٢١٠).
(٦) «الجامع لأحكام القرآن» (١٨/ ٤٣٤).

قال مجاهد[١]: معناه: هذا بعملي وأنا محقوق به.

﴿وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً﴾؛ أي: ما أظنها تقوم كما يخبرنا به الأنبياء، أو لست على يقين من البعث وهذا خاص بالكافرين، والمنافقين، فيكون المراد، بالإنسان المذكور في صدر الآية: الجنس باعتبار غالب أفراده؛ لأن اليأس من رحمة الله والقنوط من خيره، والشك في البعث لا يكون إلّا من الكافرين، أو المتزلزلين في الدين المتظهرين بالإسلام المبطنين للكفر.

﴿وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّيٓ﴾ على تقدير صدق ما يخبرنا به الأنبياء: من قيام الساعة، وحصول البعث، والنشور. ﴿إِنَّ لِي عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ﴾؛ أي: للحالة الحسنى من الكرامة، فظنّ أنّه استحق خير الدنيا بما فيه من الخير، واستحق خير الآخرة بذلك الذي اعتقده في نفسه وأثبته لها، وهو: اعتقاد باطل وظنّ فاسد.

﴿فَلَنُنَبِّئَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟﴾؛ أي: لنخبرنهم بها يوم القيامة.

﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ شديد بسبب ذنوبهم واللام هذه، والتي قبلها هي الموطئة للقسم.

﴿وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ﴾؛ أي: على هذا الجنس باعتبار غالب أفراده ﴿أَعْرَضَ﴾ عن الشكر ﴿وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ﴾؛ أي: ترفع عن الانقياد للحق وتكبر وتجبر، والجانب هنا مجاز عن النفس، ويقال: نأيت[٢] وتناءيت؛ أي: بعدت وتباعدت، والمنتأى: الموضع البعيد. ومنه قول النابغة[٣]:

فإنَّك كالليلِ الذي هو مُدركي ... وإنْ خِلْتُ أنَّ المُنتأى عَنْك واسعُ

وقرأ يزيد بن القعقاع[٤]: «وناء بجانبه» بالألف قبل الهمزة.

﴿وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ﴾؛ أي: البلاء، والجهد، والفقر، والمرض ﴿فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ﴾؛ أي: كثير، والعرب تستعمل الطول والعرض في الكثرة مجازاً، يقال: أطال فلان في الكلام وأعرض في الدعاء: إذا أكثر.

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/٤٥٨ ـ ٤٥٩) بسند صحيح.

(٢) «مفردات ألفاظ القرآن» (ص٨٣٠ ـ ٨٣١)، و«تهذيب اللغة» (١٤/ ٣٢٥).

(٣) النابغة الذبياني. «ديوانه» (ص٨١).

(٤) وقرأ بها ابن عامر في «رواية السبعة» (ص٥٧٧)، و«التيسير» (ص١٤١)، و«النشر» (٢/ ٣٠٨).

والمعنى: أنه إذا مسه الشرّ تضرّع إلى الله واستغاث به أن يكشف عنه ما نزل به واستكثر من ذلك، فذكره في الشدّة ونسيه في الرخاء، واستغاث به عند نزول النقمة وتركه عند حصول النعمة، وهذا صنيع الكافرين ومَنْ كان غير ثابت القدم من المسلمين.

ثم رجع سبحانه إلى مخاطبة الكفار ومحاجتهم فقال: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ﴾؛ أي: أخبروني ﴿إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: القرآن ﴿ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِۦ﴾؛ أي: كذبتم به ولم تقبلوه ولا عملتم بما فيه ﴿مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ﴾؛ أي: لا أحد أضلّ منكم لفرط شقاوتكم، وشدّة عداوتكم، والأصل: أيّ شيء أضلّ منكم؟ فوضع ﴿مِمَّنْ هُوَ فِى شِقَاقٍ﴾ موضع الضمير[١] لبيان حالهم في المشاقة، وأنها السبب الأعظم في ضلالهم.

﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ﴾؛ أي: سنريهم دلالات صدق القرآن، وعلامات كونه من عند الله في الآفاق ﴿وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾ الآفاق جمع أُفُق، وهو: الناحية. والأفق بضم الهمزة، والفاء، كذا قال أهل اللغة[٢].

ونقل الراغب[٣] أنه يقال: أَفَق بفتحهما، والمعنى: سنريهم آياتنا في النواحي وفي أنفسهم.

قال ابن زيد[٤]: في الآفاق: آيات السماء وفي أنفسهم: حوادث الأرض.

وقال مجاهد[٥]: في الآفاق: فتح القرى التي يسّر الله فتحها لرسوله، وللخلفاء من بعده، وأنصار دينه في آفاق الدنيا شرقاً وغرباً، ومن الظهور على الجبابرة، والأكاسرة وفي أنفسهم فتح مكة ورجّح هذا ابن جرير[٦].

وقال قتادة[٧]، والضحاك[٨]: في الآفاق: وقائع الله في الأمم، وفي أنفسهم: في يوم بدر.

---

(١) «روح المعاني» (٢٤/ ٢١٤).
(٢) «تهذيب اللغة» (٩/ ٣٤٣)، و«الصحاح» (٤/ ١٤٤٦).
(٣) في «مفردات ألفاظ القرآن» (ص٧٩).
(٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/ ٤٦٢).
(٥) «معالم التنزيل» (٧/ ١٧٥).
(٦) في «جامع البيان» (٢٠/ ٤٦٢).
(٧) ذكره البغوي في «تفسيره» (٧/ ١٧٥).
(٨) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٨/ ٤٣٧).

وقال عطاء[(١)]: في الآفاق؛ يعني: أقطار السمٰوات والأرض من الشمس والقمر والنجوم والليل والنهار والرياح والأمطار والرعد والبرق والصواعق والنبات والأشجار والجبال والبحار وغير ذلك، وفي أنفسهم: من لطيف الصنعة وبديع الحكمة، كما في قوله: ﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ﴾ [الذاريات: ٢١].

﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّۗ﴾ الضمير راجع إلى القرآن، وقيل: إلى الإسلام الذي جاءهم به رسول الله، وقيل: إلى ما يريهم الله ويفعل من ذلك، وقيل: إلى محمد ﷺ أنه الرسول الحق من عند الله، والأول أولى. ﴿أَوَلَمۡ يَكۡفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ﴾ الجملة مسوقة لتوبيخهم وتقريعهم، و﴿بِرَبِّكَ﴾ في موضع[(٢)] رفع على أنه الفاعل؛ لـ«يكف»، والباء زائدة[(٣)]، و﴿أَنَّهُۥ﴾ بدل من ربك، والهمزة للإنكار.

والمعنى: ألم يغنهم عن الآيات الموعودة[(٤)] المبينة لحقية القرآن أنه سبحانه شهيد على جميع الأشياء؟ وقيل: المعنى: أو لم يكف بربك يا محمد أنه شاهد على أعمال الكفار؟ وقيل: أو لم يكف بربك شاهداً على أن القرآن مُنزّل من عنده؟ والشهيد بمعنى: العالم، أو هو بمعنى: الشهادة التي هي: الحضور.

قال الزجاج[(٥)]: ومعنى الكفاية ها هنا: أن الله ﷻ قد بين لهم ما فيه كفاية في الدلالة، والمعنى: أو لم يكف ربك أنه على كل شيءٍ شهيد شاهد للأشياء لا يغيب عنه شيء.

﴿أَلَآ إِنَّهُمۡ فِي مِرۡيَةٖ مِّن لِّقَآءِ رَبِّهِمۡۗ﴾؛ أي: في شك من البعث والحساب والثواب والعقاب ﴿أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيۡءٖ مُّحِيطُۢ﴾ أحاط علمه[(٦)] بجميع المعلومات،

---

(١) ذكره البغوي في «تفسيره» (٧/ ١٧٥).

(٢) «روح المعاني» (٢٤/ ٢١٥)، و«الفريد» (٤/ ٢٣٤)، و«التبيان» (٢/ ١١٢٩).

(٣) انظر: المصادر المتقدمة.

(٤) «النكت والعيون» (٥/ ١٩٠)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٨/ ٤٣٨).

(٥) في «معاني القرآن وإعرابه» (٤/ ٣٩٢)، وإليك نص عبارته ومعنى الكفاية هٰهنا أنّه قد بيَّن لهم ما فيه كفاية في الدّلالة على توحيده وبينت رُسُله.

(٦) يوصف الله ﷻ بأنّه محيط، قد أحاط بكل شيء، وهي صفة ذاتية و(المحيط) اسم من أسمائه تعالى ثابت بالكتاب.

قال البيهقي في «الاعتقاد» (ص٦٨): «المحيط: هو الذي أحاطت قدرته بجميع المقدورات، =

وأحاطت قدرته بجميع المقدورات، يقال: أحاط يُحيط إحاطةً وحِيْطة، وفي هذا وعيد شديد؛ لأن مَنْ أحاط بكل شيء بحيث لا يخفى عليه شيء جازى المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته.

وقد أخرج عبد بن حميد(١) عن قتادة قال: في قوله: ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ﴾ سبق لهم من الله حينٌ وأجلٌ هم بالغوه.

وأخرج عبد بن حميد، وابن المنذر عن مجاهد(٢) في قوله: ﴿وَمَا تَخْرُجُ مِن ثَمَرَاتٍ مِّنْ أَكْمَامِهَا﴾ قال: حين تطلع.

وأخرج ابن المنذر، وابن أبي حاتم عن ابن عباس(٣) في قوله: ﴿ءَاذَنَّاكَ﴾ قال: أعلمناك.

وأخرج عبد بن حميد، وابن المنذر عن عكرمة(٤) في قوله: ﴿لَّا يَسْئَمُ ٱلْإِنسَانُ﴾ قال: لا يملّ.

وأخرج عبد بن حميد، وابن جرير عن مجاهد(٥) في قوله: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَاتِنَا فِى ٱلْآفَاقِ﴾ قال: محمداً ﷺ.

وأخرج عبد الرزاق، وابن المنذر(٦) عنه في الآية قال: ما يفتح الله من القرى ﴿وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾ قال: فتح مكة.

وأخرج ابن المنذر عن ابن جريج(٧) في الآية قال: أمسك المطر عن الأرض كلها ﴿وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾ قال: البلايا التي تكون في أجسامهم.

وأخرج عبد بن حميد عن ابن عباس(٧) في الآية قال: كانوا يسافرون، فيرون آثار عاد، وثمود، فيقولون: والله لقد صدق محمد، وما أراهم في أنفسهم قال: الأمراض [٤٠/٤].

= وأحاط علمه بجميع المعلومات، والقدرة له صفة قائمة بذاته، والعلم له صفة قائمة بذاته».

(١) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٢٣٤).

(٢) عزاه إليهما السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٢٣٣).

(٣) عزاه إليهما السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٢٣٤).

(٤) عزاه إليهما السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٢٣٤).
وأخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/ ٤٥٨) بسند صحيح، عن ابن زيد.

(٥) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/ ٤٥٨ ـ ٤٥٩) بسند صحيح.

(٦) أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢/ ١٨٩) بسند صحيح.

(٧) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٢٣٤).

سُورَةُ الشُّورَىٰ

هي ثلاث وخمسون آية، وهي مكية[١] كلها.

أخرج ابن مردويه[٢] عن ابن عباس قال: نزلت: ﴿حمٓ ۝١ عٓسٓقٓ﴾ [الشورى: ١، ٢] بمكة.

وأخرج ابنُ مردويه[٣] عن ابن الزبير مثله، وكذا قال الحسن[٤]، وعكرمة، وعطاء، وجابر.

وروي عن ابن عباس[٥]، وقتادة[٦]: أنها مكية إلّا أربع آيات منها أنزلت بالمدينة ﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰۗ﴾ [الشورى: ٢٣ ـ ٢٦] إلى آخرها.

وقد أخرج ابنُ جرير، وابن أبي حاتم، ونُعيم بن حمّاد، والخطيب عن أرطاة بن المنذر قال: جاء رجل إلى ابن عباس[٧]، وعنده حذيفة بن اليمان فقال: أخبرني عن تفسير حمٓ عٓسٓقٓ، فأعرض عنه، ثم كرّر مقالته، فأعرض عنه، ثم كرّرها الثالثة، فلم يجبه، فقال له حذيفة: أنا أنبئك بها قد عرفت لم كرهها نزلت في رجل مِنْ أهل بيته يقال له: عبد إلٰه، أو عبد الله ينزل على نهر من أنهار المشرق، يبني عليه مدينتين يشقّ النهر بينهما شقّاً، يجتمع فيهما كل جبار عنيد، فإذا أذن الله في زوال ملكهم، وانقطاع دولتهم ومدتهم، بعث الله على إحداهما ناراً ليلاً، فتصبح سوداء مظلمة قد احترقت كأنها لم تكن مكانها، وتصبح صاحبتها متعجبة كيف افتلتت، فما هو إلّا بياض يومها ذلك حتى يجتمع فيها كل جبار عنيد منهم. ثم

---

(١) «الجامع لأحكام القرآن» (١٨/ ٤٤١)، و«روح المعاني» (٢٤/ ٢٢٤).

(٢) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٣٣٥).

(٣) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٣٣٥).

(٤) ذكره عنهم القرطبي في «تفسيره» (١٨/ ٤٤٤).

(٥) ذكره أبو حيان في «البحر المحيط» (٩/ ٣٢٢).

(٦) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٨/ ٤٤٤).

(٧) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/ ٤٦٥)، ونعيم بن حمّاد رقم (٥٦٨)، والخطيب في «تاريخه» (١/ ٤٠) بسند ضعيف.
قال ابن كثير في «تفسيره» (١٢/ ٢٥٣): «روى ابن جرير هاهنا أثراً غريباً منكراً».

يخسف الله بها، وبهم جميعاً، فذلك قوله: ﴿حمٓ ① عٓسٓقٓ﴾ [الشورى: ١، ٢]؛ يعني: عزيمة من الله وفتنة، وقضاء حمَّ «عينُ» يعني: عدلاً منه، «سين» يعني: سيكون، قٓ: لهاتين المدينتين.

أقول: هذا الحديث لا يصح، ولا يثبت وما أظنّه إلّا من الموضوعات المكذوبات، والحامل لواضعه عليه ما يقع لكثير من الناس من عداوة الدول، والحط مِنْ شأنهم والإزراء عليهم.

وأخرج أبو يعلى، وابنُ عساكر قال السيوطي(١) بسند ضعيف.

قلتُ: بل بسند موضوع، ومتن مكذوب عن أبي معاوية قال: صعد عمر بن الخطاب المنبر، فقال: أيها الناس هل سمع منكم أحد رسول الله ﷺ يفسر (حمٓ عٓسٓقٓ؟) فوثب ابن عباس فقال: إن حمٓ اسم من أسماء الله، قال: فعين قال: عاين المذكور عذاب يوم بدر، قال: فسين، قال: ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾ [الشعراء: ٢٢٧] قال: فقاف، فسكت، فقام أبو ذر، ففسر كما قال ابن عباس، وقال: قاف: قارعة من السماء تصيب الناس.

قال ابن كثير(٢) في الحديث الأوّل: إنّه غريب عجيب منكر، وفي الحديث الثاني: إنه أغرب من الحديث الأوّل. وعندي أنهما موضوعان مكذوبان.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

[حقيقة الوحي والرسالة]:

﴿حمٓ ① عٓسٓقٓ ② كَذَٰلِكَ يُوحِيٓ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ③ لَهُۥ مَا فِي السَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ④ تَكَادُ السَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ وَالْمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِي الْأَرْضِ أَلَآ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ⑤ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ اللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ⑥ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا

---

(١) في «الدر المنثور» (٧/ ٣٣٦).
أخرجه أبو يعلى كما في «تفسير ابن كثير» (١٢/ ٢٥٤)، وفي «المطالب العالية» رقم (٤٠٩٢)، وابن عساكر في «تاريخه» (٣٤/ ١٦).
وقال ابن كثير: إسناده ضعيف جدّاً ومنقطع.

(٢) في «تفسيره» (١٢/ ٢٥٣، ٢٥٤).

عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ ٱلْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ ﴿٧﴾ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ وَٱلظَّٰلِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٨﴾ أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ فَٱللَّهُ هُوَ ٱلْوَلِىُّ وَهُوَ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٩﴾ وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَىْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّى عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿١٠﴾ فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ أَزْوَٰجًا يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ لَهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٢﴾﴾.

قوله: ﴿حمٓ ﴿١﴾ عٓسٓقٓ﴾ قد تقدّم الكلام في أمثال هذه الفواتح، وسئل الحسن بن الفضل(١) لم قطع ﴿حمٓ ﴿١﴾ عٓسٓقٓ﴾، ولم يقطع كٓهيعٓصٓ، فقال: لأنها سور أوّلها حمٓ، فجرت مجرى نظائرها، فكأن حمٓ مبتدأ، وعٓسٓقٓ خبره، ولأنهما عُدَّا آيتين. وأخواتهما مثل: كٓهيعٓصٓ، والمرٓ، والمص آية واحدة.

وقيل: لأنّ أهل التأويل لم يختلفوا في كٓهيعٓصٓ، وأخواتها أنها حروف التهجي(٢) لا غير، واختلفوا في حمٓ، فقيل معناها: حمٓ؛ أي: قضى كما تقدّم.

وقيل(٢): إنّ «ح» حلمه، و«م» مجده، و«ع» علمه، و«س» سناه، و«ق» قدرته، أقسم الله بها.

وقيل غير ذلك مما هو متكلّف متعسّف لم يدلّ عليه دليل، ولا جاءت به حجة، ولا شبهة حجة، وقد ذكرنا قبل هذا ما روي في ذلك مما لا أصل له، والحق ما قدّمناه لك في فاتحة سورة البقرة.

وقيل: هما اسمان للسورة، وقيل: اسم واحد لها، فعلى الأوّل يكونان خبرين لمبتدأ محذوف، وعلى الثاني يكون خبراً لذلك المبتدأ المحذوف(٣).

وقرأ ابن مسعود، وابن عباس ﴿حمٓ ﴿١﴾ سٓقٓ ﴿٢﴾ كَذَٰلِكَ يُوحِىٓ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ هذا كلامٌ مستأنف غير متعلق بما قبله؛ أي: مثل ذلك الإيحاء

---

(١) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٨/ ٤٤٠).
(٢) ذكره البغوي في «تفسيره» (٧/ ١٨٣)، عن ابن عباس.
(٣) «إعراب القرآن» للنحاس (٤/ ٧١).

الذي أوحي إلى سائر الأنبياء من كتب الله المنزلة عليهم المشتملة على الدعوة إلى التوحيد والبعث يوحى إليك يا محمد في هذه السورة. وقيل: إن ﴿حمٓ ۝ عٓسٓقٓ﴾، أوحيت إلى مَنْ قبله من الأنبياء، فتكون الإشارة بقوله: ﴿كَذَٰلِكَ﴾ إليها.

قرأ الجمهور[1]: «يُوحِي» بكسر الحاء مبنيّاً للفاعل، وهو الله. وقرأ مجاهد، وابن كثير، وابن مُحيصن بفتحها[2] مبنيّاً للمفعول، والقائم مقام الفاعل: ضمير مستتر يعود على كذلك، والتقدير: مثلُ ذلك الإيحاء يوحى هو إليك، أو القائم مقام الفاعل: «إليك»، أو الجملة المذكورة؛ أي: يوحى إليك هذا اللفظ أو القرآن أو مصدر يوحي، وارتفاع الاسم[3] الشريف على أنه فاعل لفعل محذوف كأنه قيل: من يوحي؟ فقيل: الله العزيز الحكيم. وأما قراءة الجمهور فهي واضحة اللفظ والمعنى.

وقد تقدّم مثل هذا في قوله: ﴿يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ۝ رِجَالٌ﴾ [النور: ٣٦، ٣٧]، وقرأ أبو حيوة والأعمش وأبان: «نُوحي» بالنون[4]، فيكون قوله: ﴿ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ في محلّ نصب، والمعنى: نُوحي إليك هذا اللفظ.

﴿لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ﴾ ذكر سبحانه لنفسه هذا الوصف، وهو ملك جميع ما في السمٰاوات والأرض لدلالته على كمال قدرته، ونفوذ تصرّفه في جميع مخلوقاته.

﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ﴾ قرأ الجمهور[5]: «تكادُ» بالفوقية، وكذلك: «تتفطرن» قرأوه بالفوقية مع تشديد الطاء.

وقرأ نافع، والكسائي، وابن وثّاب يكاد: «ينفطرن» بالتحتية[6] فيهما، وقرأ أبو

---

(١) «النشر» (٢/ ٣٦٧)، و«البحر المحيط» (٩/ ٣٢٢)، و«روح المعاني» (٢٤/ ٢٢٧).

(٢) انظر: المصادر المتقدمة.

(٣) «الفريد» (٤/ ٢٣٥)، و«التبيان» (٢/ ١١٣٠).

(٤) «البحر المحيط» (٩/ ٣٢٢)، و«القراءات الشاذة» (ص١٣٤)، و«روح المعاني» (٢٤/ ٢٢٨).
وقراءة (نُوحي) شاذة.ا.هـ.

(٥) «النشر» (٢/ ٣١٩)، و«التيسير» (ص١٩٤)، و«زاد المسير» (٧/ ٢٧٢)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (٢/ ٢٥٠). الصواب في قراءة كلمة «يتفطرن» أن الجمهور قرأ بالتحتية وبعدها تاء ثم فاء ثم طاء مفتوحة مشددة، وقرأ أبو عمرو ويعقوب وشعبة (ينفطرن) بالياء ثم نون ساكنة وطاء مُخّففة مكسورة وأما ما عزاه الإمام الشوكاني للجمهور فغير صواب.

(٦) انظر: المصادر المتقدمة.

عمرو، والمفضل، وأبو بكر، وأبو عِبيد «يتفطرن» بالتحتية(١)، والنون من الانفطار كقوله: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتۡ﴾ [الانفطار: ١] والتفطر: التشقّقُ.

قال الضحاك(٢)، والسدّي(٣): يتفطرن يتشققن من عظمة الله وجلاله من فوقهنّ، وقيل: المعنى: تكاد كلّ واحدة منها تتفطر فوق التي تليها من قول المشركين اتخذ الله ولداً، وقيل: من فوقهنّ: من فوق الأرضين، والأوّل أولى. و«من» في من فوقهنّ لابتداء الغاية؛ أي: يبتدئ التفطر من جهة الفوق.

وقال الأخفش(٤) الصغير: إن الضمير يعود إلى جماعات الكفار؛ أي: من فوق جماعات الكفار، وهو بَعيد جداً، ووجه تخصيص(٥) جهة الفوق: أنها أقرب إلى الآيات العظيمة، والمصنوعات الباهرة أو على طريق المبالغة كأن كلمة الكفار مع كونها جاءت من جهة التحت أثرت في جهة الفوق، فتأثيرها في جهة التحت بالأولى.

﴿وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ﴾؛ أي: ينزهونه عما لا يليق به ولا يجوز عليه متلبسين بحمده.

وقيل: إن التسبيح موضوع موضع التعجب؛ أي: يتعجبون من جراءة المشركين على الله. وقيل: معنى «بحمد ربهم»: بأمر ربهم، قاله السدّي(٦) ﴿وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِمَن فِي ٱلۡأَرۡضِۗ﴾ من عباد الله المؤمنين كما في قوله: ﴿وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [غافر: ٧].

وقيل: الاستغفار منهم بمعنى: السعي فيما يستدعي المغفرة لهم، وتأخير عقوبتهم طمعاً في إيمان الكافر، وتوبة الفاسق، فتكون الآية عامة كما هو ظاهر اللفظ غير خاصة بالمؤمنين، وإنْ كانوا داخلين فيها دخولاً أوّليّاً ﴿أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾؛ أي: كثير المغفرة والرحمة لأهل طاعته، وأوليائه، أو لجميع عباده فإنّ تأخير عقوبة الكفار والعصاة نوع من أنواع مغفرته، ورحمته.

﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ﴾؛ أي: أصناماً يعبدونها ﴿ٱللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيۡهِمۡ﴾؛

---

(١) «روح المعاني» (٢٤/ ٢٢٩)، و«التيسير» (ص١٩٤)، و«البحر المحيط» (٩/ ٣٢٢ ـ ٣٢٣).
(٢) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٨/ ٤٤٤). (٣) «النكت والعيون» (٥/ ١٩٢).
(٤) ذكره أبو حيان في «البحر المحيط» (٩/ ٣٢٣).
(٥) «روح المعاني» (٢٤/ ٢٢٩).
(٦) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٨/ ٤٤٤)، والماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ١٩٢).

أي: يحفظ أعمالهم ليجازيهم بها ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِوَكِيلٖ﴾؛ أي: لم يوكلك بهم حتى تؤاخذ بذنوبهم، ولا وكل إليك هدايتهم، وإنما عليك البلاغ قيل: وهذه الآية منسوخة بآية السيف ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا﴾؛ أي: مثل ذلك الإيحاء أوحينا إليك، وقرآناً مفعول أوحينا.

والمعنى: أنزلنا عليك قرآناً عربيّاً بلسان قومك كما أرسلنا كلّ رسول بلسان قومه ﴿لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلۡقُرَىٰ﴾، وهي: مكة[١]، والمراد: أهلها ﴿وَمَنۡ حَوۡلَهَا﴾ من الناس، والمفعول الثاني محذوف؛ أي: لتنذرهم العذابَ ﴿وَتُنذِرَ يَوۡمَ ٱلۡجَمۡعِ﴾؛ أي: ولتنذر بيوم الجمع وهو: يوم القيامة[٢] لأنَّه مجمع الخلائق.

وقيل: المراد: جمع الأرواح بالأجساد، وقيل: جمع الظالم والمظلوم، وقيل: جمع العامل والعمل ﴿لَا رَيۡبَ فِيهِۚ﴾؛ أي: لا شك فيه، والجملة معترضة مقررة لما قبلها، أو صفة لـ﴿يَوۡمَ ٱلۡجَمۡعِ﴾، أو حال منه.

﴿فَرِيقٞ فِي ٱلۡجَنَّةِ وَفَرِيقٞ فِي ٱلسَّعِيرِ﴾ قرأ الجمهور برفع[٣]: «فريقٌ» في الموضعين، إمَّا على أنَّه مبتدأ، وخبره الجار والمجرور، وشاع الابتداء بالنكرة؛ لأن المقام مقام تفصيل، أو على أن الخبر مقدّر قبله؛ أي: منهم فريق في الجنة، ومنهم فريق في السعير، أو أنه خبر[٤] مبتدأ محذوف، وهو ضمير عائد إلى المجموعين المدلول عليهم بذكر الجمع؛ أي: هم فريق في الجنة وفريق في السعير [٤١/ ٤].

وقرأ زيد بن علي[٥]: «فريقاً» بالنصب في الموضعين على الحال من جملة محذوفة؛ أي: افترقوا حال كونهم كذلك، وأَجاز الفرّاء[٦] والكسائي[٧] النصب على تقدير لتنذر فريقاً.

﴿وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَهُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ﴾ قال الضحاك[٨]: أهل دين واحد، إما على

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/ ٤٢٩) بسند حسن.
(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/ ٤٣٠) بسند حسن.
(٣) «البحر المحيط» (٩/ ٣٢٤)، و«روح المعاني» (٢٤/ ٢٣٤).
(٤) «مشكل إعراب القرآن» (٢/ ٢٧٦)، و«التبيان» (٢/ ١١٣٠).
(٥) «البحر المحيط» (٩/ ٣٢٤)، و«روح المعاني» (٢٤/ ٢٣٤). وهي قراءة شاذة.
(٦) في «معاني القرآن» (٣/ ٢٢).
(٧) ذكره النحاس في «إعراب القرآن» (٤/ ٧٢).
(٨) «النكت والعيون» (٥/ ١٩٤).

هدى وإما على ضلالة، ولكنهم افترقوا على أديان مختلفة بالمشيئة الأزلية، وهو معنى قوله: ﴿وَلَٰكِن يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦۚ﴾ في الدين الحق وهو الإسلام ﴿وَٱلظَّٰلِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾؛ أي: المشركون ما لهم من وليّ يدفع عنهم العذاب، ولا نصير ينصرهم في ذلك المقام، ومثل هذا قوله: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰۚ﴾ [الأنعام: ٣٥].

وقولهُ: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَءَاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا﴾ [السجدة: ١٣].

[المؤلف يقول عَنْ تفسيره: أنّه تَفسير سلفي يدور مع الحق]:

وها هنا مخاصمات بين المتمذهبين المحامين على ما درج عليه أسلافهم، فدبّوا عليه من بعدهم، وليس بنا إلى ذكر شيءٍ من ذلك فائدة كما هو عادتنا في تفسيرنا هذا، فهو تَفْسيرٌ سَلَفيٌّ يمشي مع الحق، ويدور مع مدلولات النظم الشريف، وإنما يعرف ذلك مَنْ رسخ قدمُه، وتبرأ مِنْ التعصّب قلبُهُ، ولحمه، ودمه.

وجملة: ﴿أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ﴾ مستأنفة مقرّرة لما قبلها من انتفاء كون للظالمين وليّاً ونصيراً، و«أم» هذه هي المنقطعة[١] المقدّرة ببل المفيدة للانتقال، وبالهمزة المفيدة للإنكار[٢]؛ أي: بل أأتخذ الكافرون من دون الله أولياء من الأصنام يعبدونها؟ ﴿فَٱللَّهُ هُوَ ٱلْوَلِىُّ﴾؛ أي: هو الحقيق بأن يتخذوه وليّاً، فإنّه الخالق الرازق الضار النافع.

وقيل: الفاء جواب شرط محذوف؛ أي: إنْ أرادوا أَنْ يتخذوا وليّاً في الحقيقة فالله هو الوليّ ﴿وَهُوَ﴾؛ أي: ومِنْ شأنه أنه ﴿يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾؛ أي: يقدر على كل مقدور، فهو الحقيق بتخصيصه بالألوهية وإفراده بالعبادة.

﴿وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَىْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۚ﴾ هذا عامّ في كل ما اختلف فيه العباد من أمر الدين، فإن حكمه ومرجعه إلى الله، يحكم فيه يوم القيامة بحكمه ويفصل خصومة المختصمين فيه وعند ذلك يظهر المحقّ من المبطل ويتميز فريق الجنة، وفريق النار.

---

(١) «روح المعاني» (٢٤/ ٢٣٦)، و«تفسير أبي السعود» (٦/ ٦٠).

(٢) «روح المعاني» (٢٤/ ٢٣٧)، و«تفسير أبي السعود» (٦/ ٦٠).

[الآية عامة في كل اختلاف يتعلق بأمر الدين إنه يرد إلى كتاب الله]:

قال الكلبي[١]: وما اختلفتم فيه من شيء؛ أي: من أمر الدين فحكمه إلى الله يقضي فيه. وقال مقاتل[٢]: إن أهل مكة كفر بعضهم بالقرآن وآمن به بعضهم، فنزلت، والاعتبار بعموم اللفظ لا بخصوص السبب. ويمكن أنْ يقال: معنى حكمه إلى الله: أنه مردود إلى كتابه، فإنّه قد اشتمل على الحكم بين عباده فيما يختلفون فيه، فتكون الآية عامة في كل اختلاف يتعلق بأمر الدين أنّه يردّ إلى كتاب الله. ومثله قوله: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ [النساء: ٥٩].

وقد حكم سبحانه بأنّ الدين هو: الإسلام وأن القرآن حق، وأن المؤمنين في الجنة والكافرين في النار، ولكن لما كان الكفار لا يذعنون لكون ذلك حقّاً إلّا في الدار الآخرة، وعدهم الله بذلك يوم القيامة ﴿ذَٰلِكُمُ﴾ الحاكم بهذا الحكم ﴿ٱللَّهُ رَبِّي عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ﴾ اعتمدتُ عليه في جميع أموري، لا على غيره، وفوّضته في كلّ شؤوني ﴿وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ﴾؛ أي: أرجع في كل شيء يعرض لي لا إلى غيره ﴿فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾ قرأ الجمهور[٣] بالرفع على أنه خبر آخر لـ«ذلكم»، أو خبر مبتدأ محذوف، أو مبتدأ وخبره ما بعده، أو نعت لـ«ربي»؛ لأن الإضافة محضة، ويكون ﴿عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ﴾ معترضاً بين الصفة والموصوف.

وقرأ زيد بن عليّ: «فاطِر» بالجرّ[٤] على أنه نعت للاسم الشريف في قوله: ﴿إِلَى ٱللَّهِۚ﴾، وما بينهما اعتراض، أو بدل من الهاء في عليه أو إليه، وأجاز الكسائي[٥] النصب على النداء، وأجازه غيره[٦] على المدح. والفاطر: الخالق المبدع، وقد تقدّم تحقيقه.

﴿جَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا﴾؛ أي: خلق لكم من جنسكم نساءً، أو المراد:

---

(١) ذكره الواحدي في «الوسيط» (٤/ ٤٥). (٢) ذكره الواحدي في «الوسيط» (٤/ ٤٥).

(٣) «البحر المحيط» (٩/ ٣٢٥)، و«روح المعاني» (٢٤/ ٢٣٩).

(٤) «روح المعاني» (٢٤/ ٢٣٩)، و«مشكل إعراب القرآن» (٢/ ٢٧٦)، و«حاشية الشهاب» (٧/ ٤١٧). القراءة بالجرّ شاذة.

(٥) ذكره النحاس في «إعراب القرآن» (٤/ ٧٣).

(٦) «التبيان» (٢/ ١١٣١)، و«الفريد» (٤/ ٢٣٧).

حوّاء لكونها خُلقت من ضلع آدم. وقال مجاهد[1]: نسلاً بعد نسل.

﴿وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ أَزْوَٰجًا﴾؛ أي: وخلق للأنعام مِنْ جنسها إناثاً، أو وخلق لكم من الأنعام أصنافاً مِنَ الذكور والإناث، وهي: الثمانية التي ذكرها في الأنعام ﴿يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ﴾؛ أي: يبثكم، مِنْ الذرء[2] وهو: البثّ، أو يخلقكم وينشئكم، والضمير في يذرؤكم للمخاطبين والأنعام إلّا أنه غُلِّب فيه العقلاء، وضمير فيه راجع إلى الجعل المدلول عليه بالفعل. وقيل: راجع إلى ما ذكر من التدبير.

وقال الفراء[3]، والزجّاج[4]، وابنُ كيسان[5]: معنى يذرؤكم فيه: يُكثْركم به؛ أي: يكثركم بجعلكم أزواجاً؛ لأن ذلك سبب النسل.

وقال ابن قتيبة[6]: يذرؤكم فيه؛ أي: في الزوج، وقيل: في البطن، وقيل: في الرحم.

﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ المراد بذكر المِثْل هنا: المبالغة في النفي بطريق الكناية، فإنه إذا نفى عمن يناسبه كان نفيه عنه أولى كقولهم: مثلك لا يبخل، وغيرك لا يجود.

وقيل: إنّ الكاف زائدة للتوكيد؛ أي: ليس مثله شيء، وقيل: إن مثل زائدة؛ قاله ثعلب، وغيره كما في قوله: ﴿فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ﴾ [البقرة: ١٣٧]؛ أي: بما آمنتم به، ومنه قول أوس بن حَجَر[7]:

وقَتْلى كمثل جُذوع النخيـ ـلِ تغشَّاهم مَطرٍ مُنهمِرْ

أي: كجذوع، والأوّل أولى، فإنّ الكناية باب مسلوك للعرب، ومهيع مألوف لهم، ومنه قول الشاعر:

ليس كمثلِ الفتى زُهيرٍ خَلقٌ يوازيه في الفضائلِ[8]

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/ ٤٧٥) بسند صحيح. في قوله: ﴿يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ﴾.
(٢) «تهذيب اللغة» (١٥/ ٣)، و«مفردات ألفاظ القرآن» (ص٣٢٧).
(٣) في «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٢). (٤) في «معاني القرآن وإعرابه» (٤/ ٣٩٥).
(٥) ذكره النحاس في «إعراب القرآن» (٤/ ٧٤).
(٦) في «تفسير غريب القرآن» (ص٣٩١).
(٧) قائله أوس بن حجر. وهو في «ديوانه» (ص٣٠).
(٨) ذكره أبو حيان في «البحر المحيط» (٩/ ٣٢٦).

وقال آخر:

عـلـى مـثـلِ لَـيْـلـى يـقـتـلُ الـمـرءُ نـفـسَـه وإنْ بات مِن ليلى على اليأسِ طَاوِيا

وقال آخر:

سـعـدُ بـن زَيْـد إذا أبـصـرتَ فـضـلَـهُـمُ فـمـا كـمـثـلِـهـم في الـنَّـاس مِـنْ أحدِ[١]

قال ابن قتيبة[٢]: العرب تقيم المِثْل مقام النفس، فتقول: مثلي لا يقال له هذا؛ أي: أنا لا يقال لي.

وقال أبو البقاء[٣] مرجحاً لزيادة الكاف: إنَّها لو لم تكن زائدة، لأفضى ذلك إلى المحال، إذْ يكون المعنى: أنّ له مثلاً، وليس لمثله مثل، وفي ذلك تناقض؛ لأنه إذا كان له مثل، فلمثله مثل، وهو هو مع أن إثبات المثل لله سبحانه محال، وهذا تقرير حسن، ولكنّه يندفع بما أورده بما ذكرنا مِنْ كون الكلام خارجاً مخرج الكناية، ومَنْ فهم هذه الآية الكريمة حقّ فهمها، وتدبرها حق تدبرها مشى بها عند اختلاف المختلفين في الصفات على طريقة بيضاء واضحة، ويزداد بصيرة إذا تأمل معنى قوله: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾، فإنّ هذا الإثبات بعد ذلك النفي[٤] للماثل قد اشتمل على بَرْد اليقين، وشفاء الصدور، وانثلاج القلوب، فاقدر يا طالب الحقّ قدر هذه الحُجة النيرة، والبرهان القويّ، فإنّك تحطم بها كثيراً من البدع، وتهشم بها رؤوساً من الضلالة، وترغم بها آناف طوائف من المتكلفين، ولا سيما إذا ضممت إليه قول الله سبحانه: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ [طه: ١١٠]، فإنّك حينئذٍ قد أخذت بطرفي حبل ما يسمونه علم الكلام، وعلم أصول الدين:

ودعْ عـنـك نَـهْـبـاً صِـيـح في حُـجـراتِـه ولـكـنْ حـديـثٌ مـا حـديـثُ الـرَّواحـل

﴿لَهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾؛ أي: خزائنهما أو مفاتيحهما، وقد تقدّم تحقيقه في سورة الزمر، وهي: جمع إقليد، وهو: المفتاح جُمع على خلاف القياس.

قال النحاس[٥]: والذي يملك المفاتيح يملك الخزائن.

---

(١) ذكره ابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/ ٤٧٧)، وابن عطية في «المحرر الوجيز» (١٤/ ٢٠٧).
(٢) في «تفسير غريب القرآن» (ص٣٩١).
(٣) في «التبيان» (٢/ ١١٣١).
(٤) «مجموع فتاوى» (٦/ ٣٧، ٥١٥).
(٥) في «معاني القرآن» (٦/ ٢٩٨).

ثم لما ذكر سبحانه أَنَّ بيده مقاليد السمٰوات والأرض ذكر بعده البسط والقبض، فقال: ﴿يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ﴾؛ أي: يوسعه لمن يشاء من خلقه ويضيقه على من يشاء ﴿إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ﴾ من الأشياء ﴿عَلِيمٌ﴾ فلا تخفى عليه خافية وإحاطة علمه بكلِّ شيءٍ يندرج تحتها علمه بطاعة المطيع ومعصية العاصي فهو يجازي كُلّاً بما يستحقه من خير وشرّ.

وقد أخرج أحمد، والترمذي وصححه، والنسائي، وابن جرير، وابن المنذر، وابن مردويه عن عبد الله بن عمرو(١)، قال: «خرج علينا رسول الله ﷺ، وفي يده كتابان، فقال: أتدرون ما هذان الكتابان؟ قلنا: لا، إلّا أن تخبرنا يا رسول الله، قال: للذي في يده اليمنى: هذا كتاب مِنْ ربّ العالمين بأسماء أهل الجنة وأسماء آبائهم وقبائلهم.

ثم أجمل على آخرهم، فلا يزاد فيهم، ولا ينقص منهم، ثم قال للذي في شماله: هذا كتابٌ من ربّ العالمين بأسماء أهل النار، وأسماء آبائهم، وقبائلهم، ثم أُجمل على آخرهم، فلا يزاد فيهم، ولا يُنْقَص منهم أبداً، فقال أصحابه: ففيمَ العمل يا رسول الله إنْ كان أمر قد فرغ منه؟، فقال: سدّدوا، وقاربوا، فإن صاحب الجنة يختم له بعمل أهل الجنة، وإن عمل أيّ عمل، وإن صاحب النار يختم له بعمل أهل النار، وإن عمل أيّ عمل له. قال رسول الله ﷺ بيديه، فنبذهما، ثم قال: فَرَغ ربُّكم من العباد، فريقٌ في الجنّة، وفريقٌ في السعير».

قال الترمذي بعد إخراجه: حديث حسن صحيح غريب.

وروى ابن جرير(٢) طرفاً منه عن ابن عمرو موقوفاً عليه. قال ابن جرير(٣): وهذا الموقوف أشبه بالصواب.

قلت: بل المرفوع أشبه بالصواب. فقد رفعه الثقة، ورفعه زيادة ثابتة من وجه

---

(١) أخرجه أحمد رقم (٦٥٦٣)، والترمذي رقم (٢١٤١)، والنسائي في «الكبرى» رقم (١١٤٧٣)، وابن جرير (٢٠/ ٤٧٠). وهو حديث صحيح.
(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/ ٤٧٠ ـ ٤٧١).
(٣) بل قاله ابن كثير في «تفسيره» (١٢/ ٢٥٩).

صحيح، ويقوّي الرّفع ما أخرجه ابن مردويه عن البراء(١). قال: «خرج علينا رسول الله ﷺ في يده كتاب ينظر فيه قالوا: انظروا إليه كيف، وهو أميّ لا يقرأ، قال: فعلمها رسول الله ﷺ، فقال: هذا كتاب من ربّ العالمين بأسماء أهل الجنة، وأسماء قبائلهم لا يُزاد منهم، ولا يُنْقصَ منهم، وقال: فريق في الجنة، وفريق في السعير فرغ ربكم من أعمال العباد».

﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ وَمَا تَفَرَّقُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى لَّقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِهِمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿١٤﴾ فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ ۖ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ ۖ وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ ۖ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ۖ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ ۖ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ ۖ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ۖ ٱللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٥﴾ وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ٱسْتُجِيبَ لَهُۥ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿١٦﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ وَٱلْمِيزَانَ ۗ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴿١٧﴾ يَسْتَعْجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا ٱلْحَقُّ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُمَارُونَ فِى ٱلسَّاعَةِ لَفِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴿١٨﴾﴾.

الخطاب في قوله: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ﴾ لأمة محمد ﷺ؛ أي: بيّنَ، وأوضح لكم من الدين ﴿مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا﴾ من التوحيد ودين الإسلام، وأصول الشرائع التي لم يختلف فيها الرسل وتوافقت عليها الكتب ﴿وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾ من القرآن، وشرائع الإسلام، والبراءة من الشرك، والتعبير عنه بالموصول لتفخيم(٢) شأنه.

وخص ما شرعه لنبينا ﷺ بالإيحاء مع كون ما بعده، وما قبله مذكوراً بالتوصية

(١) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٣٤٠).
(٢) «روح المعاني» (٢٤/ ٢٤٨)، و«تفسير أبي السعود» (٦/ ٦١).

للتصريح برسالته [٤/٤٢] ﴿وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ﴾ مما تطابقت عليه الشرائع.

ثم بيّن ما وصى به هؤلاء، فقال: ﴿أَنْ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ﴾؛ أي: توحيد الله والإيمان به، وطاعة رسله، وقبول شرائعه، و«أن» هي المصدرية[١]، وهي وما بعدها في محل[٢] رفع على الخبرية لمبتدأ محذوف، كأنَّه قيل: ما ذلك الذي شرعه الله؟ فقيل: هو إقامةُ الدين أو هي: في محل نصب بدلاً مِنْ الموصول، أو في محل جرّ بدلاً من «الدين»، أو هي المفسِّرة[٣]؛ لأنه قد تقدمها ما فيه معنى القول.

قال مقاتل[٤]: يعني: أَنَّه شرع لكم، ولمن قبلكم من الأنبياء ديناً واحداً. قال مقاتل: يعني: التوحيد.

قال مجاهد[٥]: لم يبعث الله نبيّاً قط إلّا وصاه بإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، والإقرار لله بالطاعة، فذلك دينه الذي شرع لهم.

[تخصيص كل من إبراهيم وموسى وعيسى بالذكر]:

وقال قتادة[٦]: يعني: تحليل الحلال وتحريم الحرام، وخصّ إبراهيم، وموسى وعيسى بالذكر مع نبينا ﷺ؛ لأنَّهم أرباب الشرائع.

ثم لما أمرهم سبحانه بإقامة الدين، نهاهم عن الاختلاف فيه، فقال: ﴿وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِ﴾؛ أي: لا تختلفوا في التوحيد والإيمان بالله وطاعة رسله وقبول شرائعه، فإنّ هذه الأمور قد تطابقت عليها الشرائع وتوافقت فيها الأديان، فلا ينبغي الخلاف في مثلها، وليس مِنْ هذا فروع المسائل التي تختلف فيها الأدلة، وتتعارض فيها الأمارات، وتتباين فيها الأفهام، فإنّها مِنْ مطارح الاجتهاد، ومواطن الخلاف.

---

(١) «روح المعاني» (٢٤٩/٢٤)، و«التبيان» (١١٣٢/٢)، و«الفريد» (٢٣٨/٤)، و«مشكل إعراب القرآن» (٢٧٦/٢).
(٢) انظر: المصادر المتقدمة.
(٣) «الفريد» (٢٣٨/٤)، و«روح المعاني» (٢٤٩/٢٤).
(٤) ذكره الواحدي في «الوسيط» (٤٦/٤).
(٥) «معالم التنزيل» (١٨٧/٧)، و«النكت والعيون» (١٩٦/٥ ـ ١٩٧).
(٦) ذكره البغوي في «تفسيره» (١٨٧/٧).

ثم ذكر سبحانه أن ما شرعه من الدين شقّ على المشركين، فقال: ﴿كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ﴾؛ أي: عظم وشق عليهم ما تدعوهم إليه من التوحيد، ورفض الأوثان.

قال قتادة(١): كبر على المشركين واشتدّ عليهم شهادة أن لا إِلٰه إلّا الله وحده، وضاق بها إبليس وجنوده، فأبى الله إلّا أن ينصرها ويُعلْيها ويُظْهرها ويظفرها على من ناوأها.

ثم خصّ أولياءه، فقال: ﴿ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ﴾؛ أي: يختار، والاجتباء(٢): الاختيار، والمعنى: يختار لتوحيده والدخول في دينه من يشاء من عباده ﴿وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ﴾؛ أي: يوفق لدينه، ويستخلص لعبادته من يرجع إلى طاعته ويقبل إلى عبادته.

ثم لما ذكر سبحانه ما شرعه لهم من إقامة الدين، وعدم التفرق فيه ذكر ما وقع مِنْ التفرّق والاختلاف، فقال: ﴿وَمَا تَفَرَّقُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ﴾؛ أي: ما تفرّقوا إلّا عَنْ علمٍ بأن الفرقةَ ضلالة، ففعلوا ذلك التفرّق للبغي بينهم بطلب الرياسة، وشدّة الحَمية، قيل: المراد: قريش(٣) هم الذين تفرّقوا بعد ما جاءهم العلم، وهو: محمد ﷺ ﴿بَغْيًۢا﴾، منهم عليه، وقد كانوا يقولون ما حكاه الله عنهم بقوله: ﴿وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَهُمْ نَذِيرٌ﴾ [فاطر: ٤٢] الآية، وبقوله: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ﴾ [البقرة: ٨٩].

وقيل: المراد: أمم الأنبياء(٤) المتقدمين، وأنهم فيما ﴿بَيْنَهُمْ﴾ اختلفوا لما طال بهم المدى، فآمن قوم، وكفر قوم، وقيل: اليهود، والنصارى خاصة كما في قوله: ﴿وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ﴾ [البينة: ٤].

﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ﴾، وهي: تأخير(٥) العقوبة ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾،

---

(١) «المحرر الوجيز» (١٤/ ٢١٠)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٨/ ٤٥٣).
(٢) «مفردات ألفاظ القرآن» (ص١٨٦ ـ ١٨٧).
(٣) «الجامع لأحكام القرآن» (١٨/ ٤٥٤)، و«المحرر الوجيز» (١٤/ ٢١٠)، و«روح المعاني» (٢٤/ ٢٥٢).
(٤) انظر: المصادر المتقدمة.
(٥) «معالم التنزيل» (٧/ ١٨٧)، و«الوسيط» (٤/ ٤٦).

وهو: يوم القيامة كما في قوله: ﴿بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ﴾ [القمر: ٤٦]، وقيل: إلى الأجل الذي قضاه الله لعذابهم في الدنيا بالقتل والأسر والذلّ والقهر ﴿لَّقُضِىَ بَيْنَهُمْ﴾؛ أي: لوقع القضاء بينهم بإنزال العقوبة بهم مُعجلّة، وقيل: لقضي بين من آمن منهم، ومن كفر بنزول العذاب بالكافرين، ونجاة المؤمنين ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾ من اليهود والنصارى ﴿مِنۢ بَعْدِهِمْ﴾ من بعد مَنْ قبلهم من اليهود، والنصارى ﴿لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ﴾؛ أي: من القرآن، أو من محمد ﴿مُرِيبٍ﴾ موقع في الريب، ولذلك لم يؤمنوا.

وقال مجاهد(١): معنى «مِنْ بعدهم»: من قبلهم؛ يعني: من قبل مشركي مكة، وهم اليهود والنصارى. وقيل: المراد كفار المشركين من العرب الذين أورثوا القرآن من بعد ما أورث أهل الكتاب كتابهم، وصفهم بأنه في شك من القرآن مريب.

قرأ الجمهور(٢): «أورثوا» وقرأ زيد بن عليّ(٣): «ورّثوا» بالتشديد.

﴿فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ وَٱسْتَقِمْ﴾؛ أي: فلأجل ما ذكر من التفرّق، والشكّ، أو فلأجل أنّه شُرع من الدين ما شرع فادع واستقم؛ أي: فادع إلى الله وإلى توحيده واستقم على ما دعوت إليه.

قال الفراء(٤)، والزجاج(٥): المعنى: فإلى ذلك، فادع كما تقول: دعوت إلى فلان ولفلان، وذلك إشارة إلى ما وصّى به الأنبياء من التوحيد. وقيل: في الكلام تقديم(٦) وتأخير. والمعنى: كبر على المشركين ما ندعوهم إليه، فلذلك فادع. قال قتادة(٧): استقم على أمر الله.

وقال سفيان: استقم على القرآن. وقال الضحاك(٧): استقم على تبليغ الرسالة ﴿كَمَآ أُمِرْتَ﴾ بذلك من جهة الله ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ﴾ الباطلة، وتعصباتهم الزائغة، ولا تنظر إلى خلاف من خالفك في ذكر الله ﴿وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن

(١) «معالم التنزيل» (٧/ ١٨٧).
(٢) «البحر المحيط» (٩/ ٣٢٩)، و«الكشاف» (٥/ ٤٠١).
(٣) «روح المعاني» (٢٤/ ٢٥٢)، و«إعراب القراءات الشواذ» (٢/ ٣٢). وهي قراءة شاذة ومخالفة للرسم.
(٤) في «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٢٢). (٥) في «معاني القرآن وإعرابه» (٤/ ٣٩٦).
(٦) «إعراب القرآن» للنحاس (٦/ ٣٠٢).
(٧) ذكر هذه الأقوال الماوردي في «تفسيره» (٥/ ١٩٩).

كِتَٰبٍ﴾؛ أي: بجميع الكتب التي أنزلها الله على رسله، لا كالذين آمنوا ببعض منها، وكفروا ببعض ﴿وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ﴾ في أحكام الله إذا ترافعتم إليّ، ولا أحيف عليكم بزيادة على ما شرعه الله، أو بنقصان منه. وأبلغ إليكم ما أمرني الله بتبليغه كما هو، واللام[١] لام كي؛ أي: أمرت بذلك الذي أمرت به لكي أعدل بينكم، وقيل: هي زائدة.

والمعنى: أمرت أن أعدل؛ والأوّل أولى. قال أبو العالية[٢]: أمرت لأسويّ بينكم في الدين، فأومن بكل كتاب وبكل رسول. والظاهر: أن الآية عامة في كل شيء، والمعنى: أمرت لأعدل بينكم في كل شيء ﴿ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ﴾؛ أي: إلٰهنا وإلٰهكم وخالقنا وخالقكم ﴿لَنَآ أَعْمَٰلُنَا﴾؛ أي: ثوابها، وعقابها خاصّ بنا ﴿وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ﴾؛ أي: ثوابها، وعقابها خاصّ بكم ﴿لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ﴾؛ أي: لا خصومةَ بيننا وبينكم؛ لأنّ الحق قد ظهر، ووضح ﴿ٱللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا﴾ في المحشر ﴿وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾؛ أي: المرجع يوم القيامة، فيجازي كُلّاً بعمله: وهذا منسوخ بآية السيف. قيل: الخطاب لليهود. وقيل: للكفار على العموم.

﴿وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ٱسْتُجِيبَ لَهُۥ﴾؛ أي: يخاصمون في دين الله مِنْ بعد ما استجاب الناس له، ودخلوا فيه.

قال مجاهد[٣]: من بعد ما أسلم الناس. قال: وهؤلاء قوم توهموا أن الجاهلية تعود.

وقال قتادة[٤]: هم اليهود والنصارى، ومحاجتهمّ: قولهم: نبينا قبل نبيكم وكتابنا قبل كتابكم، وكانوا يرون لأنفسهم الفضيلة بأنهم أهل كتاب وأنهم أولاد الأنبياء، وكان المشركون يقولون: ﴿أَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا﴾ [مريم: ٧٣]، فنزلت هذه الآية، والموصول[٥] مبتدأ وخبره الجملة بعده وهي: ﴿حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمْ﴾؛ أي: لا ثبات لها كالشيء الذي يزول عن موضعه، يقال:

---

(١) «إعراب القرآن» للنحاس (٦/ ٣٠٢).

(٢) «النكت والعيون» (٥/ ١٩٩).

(٣) «زاد المسير» (٧/ ٢٧٩)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٨/ ٤٥٧).

(٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/ ٤٨٩) بسند صحيح.

(٥) «الفريد» (٤/ ٢٣٨)، و«مشكل إعراب القرآن» (٢/ ٢٧٦).

دَحَضتْ[١] حُجّته دُحوضاً: بطلت، والإدحاض: الإزلاق، ومكان دَحْض؛ أي: زَلِق، ودَحَضتْ رجلُه: زَلقِت؛

وقيل: الضمير في ﴿لَهُۥ﴾ راجع إلى الله. وقيل: راجع إلى محمد ﷺ. والأوّل أولى.

﴿وَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٌ﴾؛ أي: غضب عظيم من الله لمجادلتهم بالباطل ﴿وَلَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٌ﴾ في الآخرة.

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ﴾ المراد بالكتاب: الجنس، فيشمل جميع الكتب المنزّلة على الرسل.

وقيل: المراد به القرآن خاصة، وبالحق متعلق بمحذوف؛ أي: ملتبساً بالحق، وهو: الصدق المراد بـ ﴿وَٱلۡمِيزَانَۗ﴾ العدل، كذا قال أكثر المفسرين، قالوا: وسمي العدل ميزاناً؛ لأن الميزان آلة الإنصاف[٢]، والتسوية بين الخلق.

وقيل: الميزان: ما بُيِّن في الكتب المنزّلة مما يجب على كل إنسان أن يعمل به. وقيل: هو: الجزاء على الطاعة بالثواب، وعلى المعصية بالعقاب.

وقيل: إنه الميزان نفسه أنزله الله من السماء، وعلم العباد الوزن به لئلا يكون بينهم تظالم وتباخس كما في قوله: ﴿لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلَنَا بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلۡنَا مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلۡقِسۡطِۖ﴾ [الحديد: ٢٥] وقيل: هو محمد ﷺ.

﴿وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٞ﴾؛ أي: أيّ شيء يجعلك دارياً بها عالماً بوقتها؟ لعلها شيء قريب، أو قريب مجيئها أو ذات قرب. وقال: قريب، ولم يقل: قريبة لأنّ تأنيثها[٣] غير حقيقي.

قال الزجاج[٤]: المعنى: لعلّ البعث، أو لعلّ مجيء الساعة قريب. وقال الكسائي[٥]: قريب نعت ينعت به المؤنث، والمذكر كما في قوله: ﴿إِنَّ رَحۡمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ مِّنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [الأعراف: ٥٦] ومنه قول الشاعر:

---

(١) «تهذيب اللغة» (٤/ ١٩٨)، و«الصحاح» (٣/ ١٠٧٥ ـ ١٠٧٦).
(٢) «زاد المسير» (٧/ ٢٨٠)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٨/ ٤٥٨)، و«تفسير البغوي» (٧/ ١٨٨).
(٣) «روح المعاني» (٢٤/ ٢٥٩).
(٤) «معاني القرآن وإعرابه» (٤/ ٣٩٧).
(٥) ذكره النحاس في «إعراب القرآن» (٤/ ٧٧).

وكُنَّا قَرِيباً والدِّيارُ بَعِيدةٌ   فلمَّا وصلنا نُصبَ أعينهم غِبنا[(١)]

قيل: إنّ النبي ﷺ ذكر الساعة، وعنده قوم من المشركين، فقالوا: متى تكون الساعة؟ تكذيباً لها، فأنزل الله الآية، ويدلّ على هذا قوله: ﴿يَسْتَعْجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا﴾ استعجال[(٢)] استهزاء منهم بها، وتكذيباً بمجيئها ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مُشْفِقُونَ مِنْهَا﴾؛ أي: خائفون وجلون من مجيئها.

قال مقاتل[(٣)]: لأنهم لا يَدْرون على ما يهجمون عليه.

وقال الزجاج[(٤)]: لأنهم يعلمون أنهم محاسبون ومجزيون ﴿وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا ٱلْحَقُّ﴾؛ أي: أنها آتية لا ريب فيها، ومثل هذا قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ﴾ [المؤمنون: ٦٠].

ثم بيّن ضلال الممارين فيها، فقال: ﴿أَلَآ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُمَارُونَ فِى ٱلسَّاعَةِ﴾؛ أي: يُخَاصمون[(٥)] فيها مخاصمة شكٍ وريبة، من المماراة، وهي: المخاصمة والمجادلة، أو من المرية، وهي: الشك والريبة ﴿لَفِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ﴾ عن الحق؛ لأنهم لم يتفكروا في الموجبات للإيمان بها من الدلائل التي هي: مشاهدة لهم منصوبة لأعينهم مفهومة لعقولهم، ولو تفكروا لعلموا أن الذين خلقهم ابتداءً قادر على الإعادة.

وقد أخرج ابن جرير[(٦)] عن السدّي ﴿أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ﴾ قال: اعملوا به.

وأخرج عبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر عن قتادة[(٧)] في قوله: ﴿أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ﴾ قال: ألا تعلموا أن الفرقة هلكة، وأن الجماعة ثقة ﴿كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ﴾، قال: استكبر المشركون أن قيل لهم: لا إله إلّا الله.

---

(١) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٨/ ٤٥٩)، ونسبه القزويني في «تاريخ قزوين» (٣/ ٢٦٧) لأبي طاهر عبد العزيز الاسترابادي.
(٢) ذكره الألوسي في «روح المعاني» (٢٤/ ٢٥٩)، وأبو السعود في «تفسيره» (٦/ ٦٤).
(٣) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٨/ ٤٥٩).
(٤) في «معاني القرآن وإعرابه» (٤/ ٣٩٧).
(٥) «الجامع لأحكام القرآن» (١٨/ ٤٥٩).
(٦) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/ ٤٨١) بسند حسن.
(٧) عزاه إليهم السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٣٤٠).
وأخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/ ٤٨٢) بسند صحيح.

وأخرج عبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر عن مجاهد[1] ﴿ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ﴾ قال: يُخْلِصُ لنفسه من يشاء.

وأخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم، وابن مردويه عن ابن عباس[2] في قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ٱسْتُجِيبَ لَهُۥ﴾ قال: هم أهل الكتاب كانوا يجادلون المسلمين ويصدّونهم عن الهدى من بعد ما استجابوا لله. وقال: هم قوم من أهل الضلالة وكانوا يتربصون بأن تأتيهم الجاهلية.

وأخرج عبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر [٤٣/٤] عن قتادة[3] في قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِى ٱللَّهِ﴾ الآية، قال: هم اليهود والنصارى.

وأخرج عبد بن حميد[4] عن الحسن نحوه.

وأخرج ابن المنذر[5] عن عكرمة قال: لما نزلت: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ﴾ [النصر: ١] قال المشركون لمن بين أظهرهم من المؤمنين: قد دخل الناس في دين الله أفواجاً، فاخرجوا من بين أظهرنا، فنزلت: ﴿وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِى ٱللَّهِ﴾ الآية.

[الله لطيف بعباده]:

﴿ٱللَّهُ لَطِيفٌۢ بِعِبَادِهِۦ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ ﴿١٩﴾ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْـَٔاخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴿٢٠﴾ أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةُ ٱلْفَصْلِ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢١﴾ تَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا۟ وَهُوَ وَاقِعٌۢ بِهِمْ ۗ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِى رَوْضَاتِ ٱلْجَنَّاتِ ۖ لَهُم مَّا

---

(١) عزاه إليهم السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٣٤٠).
وأخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٦/ ٢٦٥) بسند صحيح.
(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/ ٤٨٨) بسند ضعيف.
(٣) أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢/ ١٩٠)، وابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/ ٤٨٩) بسند صحيح.
(٤) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٣٤٢).
(٥) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٣٤٢).

يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٢٢﴾ ذَٰلِكَ ٱلَّذِى يُبَشِّرُ ٱللَّهُ عِبَادَهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ ۗ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٢٣﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۖ فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ ۗ وَيَمْحُ ٱللَّهُ ٱلْبَٰطِلَ وَيُحِقُّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٢٤﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُوا۟ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٢٥﴾ وَيَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۚ وَٱلْكَٰفِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿٢٦﴾﴾.

[من مظاهر حكمته وقدرته]:

﴿وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٧﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ ۚ وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٨﴾﴾.

قوله: ﴿ٱللَّهُ لَطِيفٌۢ بِعِبَادِهِۦ﴾؛ أي: كثير اللطف بهم بالغ الرأفة لهم. قال مقاتل[١]: لطيف بالبارّ والفاجر حيث لم يقتلهم جوعاً بمعاصيهم. قال عكرمة: بارّ بهم. وقال السدي: رفيق بهم، وقيل: حفيّ بهم.

وقال القرظي[٢]: لطيف بهم في العَرْض والمحاسبة، وقيل غير ذلك. والمعنى: أنّه يجري لطفه على عباده في كل أمورهم، ومن جملة ذلك الرزق الذي يعيشون به في الدنيا، وهو: معنى قوله: ﴿يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ﴾ منهم كيف يشاء، فيوسع[٣] على هذا، ويضيق على هذا ﴿وَهُوَ ٱلْقَوِىُّ﴾ العظيم القوّة الباهرة القادرة ﴿ٱلْعَزِيزُ﴾ الذي يغلب كل شيء، ولا يغلبه شيء.

﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْءَاخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ﴾ الحرث في اللغة[٤]: الكسب، يقال: هو يحرث لعياله، ويحترث؛ أي: يكتسب. ومنه سمي الرجل[٥] حارثاً،

---

(١) انظر هذه الأقوال في: «معالم التنزيل» (٧/ ١٨١)، و«الوسيط» للواحدي (٤/ ٤٨ ـ ٤٩).

(٢) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٨/ ٤٥٩). (٣) «جامع البيان» (٢٠/ ٤٩٠).

(٤) «تهذيب اللغة» (٤/ ٤٧٧)، و«الصحاح» (١/ ٢٧٩).

(٥) «معاني القرآن» للنحاس (٦/ ٣٠٥ ـ ٣٠٦).

وأصل معنى الحرث: إلقاء البذر في الأرض، فأطلق على ثمرات الأعمال، وفوائدها بطريق الاستعارة[(١)] والمعنى: من كان يريد بأعماله، وكسبه ثواب الآخرة يضاعف الله له ذلك: الحسنة بعشرة أمثالها إلى سبعمائة ضعف.

وقيل: معناه: يزيد في توفيقه، وإعانته، وتسهيل سبل الخير له.

﴿وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا﴾؛ أي: من كان يريد بأعماله وكسبه ثواب الدنيا وهو متاعها وما يرزق الله به عباده منها نعطه منها ما قضت به مشيئتنا، وقُسم له في قضائنا.

قال قتادة[(٢)]: معنى ﴿نُؤْتِهِۦ مِنْهَا﴾: نقدّر له ما قسم له كما قال: ﴿عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ﴾ [الإسراء: ١٨]، وقال قتادة[(٢)] أيضاً: إن الله يعطي على نية الآخرة ما شاء من أمر الدنيا، ولا يعطي على نية الدنيا إلّا الدنيا.

قال القشيري[(٣)]: والظاهر أن الآية في الكافر، وهو: تخصيص بغير مخصص.

ثم بيّن سبحانه أن هذا الذي يريد بعمله الدنيا لا نصيب له في الآخرة، فقال: ﴿وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ﴾؛ لأنّه لم يعمل للآخرة، فلا نصيب له فيها، وقد تقدم تفسير هذه الآية في سورة الإسراء.

﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ﴾ لمّا بيّن سبحانه القانون في أمر الدنيا، والآخرة أردفه ببيان ما هو الذنب العظيم الموجب للنار، والهمزة لاستفهام التقرير[(٤)] والتقريع، وضمير شرعوا عائد إلى الشركاء، وضمير لهم إلى الكفار، وقيل: العكس، والأوّل أولى. ومعنى ﴿مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ﴾: ما لم يأذن به من الشرك والمعاصي ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةُ ٱلْفَصْلِ﴾، وهي: تأخير عذابهم حيث قال: ﴿بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ﴾ [القمر: ٤٦] ﴿لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ﴾ في الدنيا، فعوجلوا بالعقوبة، والضمير في ﴿بَيْنَهُمْ﴾ راجع إلى المؤمنين، والمشركين، أو إلى المشركين، وشركائهم ﴿وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾؛ أي: المشركين، والمكذبين لهم عذاب أليم في الدنيا، والآخرة.

---

(١) «تفسير أبي السعود» (٦/ ٦٥).

(٢) «النكت والعيون» (٥/ ٢٠١).

(٣) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٨/ ٤٦٢).

(٤) «تفسير أبي السعود» (٦/ ٦٥)، و«روح المعاني» (٢٤/ ٢٦٣).

قرأ الجمهور[١]: «وإنّ الظالمين» بكسر الهمزة على الاستئناف. وقرأ مُسْلم، والأعرجُ، ابنُ هرمز بفتحها[٢] عطفاً على «كلمة الفصل» ﴿تَرَى ٱلظَّـٰلِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُواْ﴾؛ أي: خائفين وجلين مما كسبوا مِنْ السيئات، وذلك الخوف، والوجل يوم القيامة ﴿وَهُوَ وَاقِعٌۢ بِهِمْۗ﴾ الضمير راجع إلى ما كسبوا بتقدير مضاف، قاله الزجاج[٣]؛ أي: وجزاء ما كسبوا واقع منهم نازل عليهم لا محالة أشفقوا، أو لم يشفقوا، والجملة في محل نصب على الحال.

ولما ذكر حال الظالمين ذكر حال المؤمنين، فقال: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ فِي رَوْضَاتِ ٱلْجَنَّاتِۖ﴾ روضات جمع روضة.

قال أبو حيان[٤]: اللغة الكثيرة تسكين الواو، ولغة هذيل فتحها، والروضة[٥]: الموضع النزه الكثير الخُضْرة، وقد مضى بيان هذا في سورة الروم، وروضة الجنة: أطيب[٦] مساكنها كما أنها في الدنيا لأحسن أمكنتها ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْۚ﴾ من صنوف النِّعم، وأنواع المستلذّات، والعامل في «عند ربهم» «يشاءون»، أو العامل «في روضات الجنات»، وهو: الاستقرار، والإشارة بقوله: ﴿ذَٰلِكَ﴾ إلى ما ذكر للمؤمنين قبله، وخبره الجملة المذكورة بعده، وهي ﴿هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ﴾؛ أي: الذي لا يوصف، ولا تهتدي[٧] العقول إلى معرفة حقيقته، والإشارة بقوله: ﴿ذَٰلِكَ ٱلَّذِى يُبَشِّرُ ٱللَّهُ عِبَادَهُ﴾ إلى الفضل الكبير؛ أي: يبشرهم به.

ثم وصف العباد بقوله: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ﴾، فهؤلاء الجامعون بين الإيمان، والعمل بما أمر الله به، وترك ما نهى عنه هم المبشرون بتلك البشارة.

قرأ الجمهور[٨]: «يُبشّر» مشدّداً من بشّر. وقرأ مجاهد، وحميد بن قيس بضم

---

(١) «النشر» (١/ ٢٨١)، و«البدور الزاهرة» (ص٢٨٥).

(٢) «القراءات الشاذة» (ص١٣٤)، و«روح المعاني» (٢٤/ ٢٦٤)، و«المحتسب» (٢/ ٥). وهي قراءة شاذة.

(٣) في «معاني القرآن وإعرابه» (٤/ ٣٩٨). (٤) في «البحر المحيط» (٩/ ٣٣٣).

(٥) «مفردات ألفاظ القرآن» (ص٣٧٢).

(٦) «روح المعاني» (٢٤/ ٢٦٥)، و«البحر المحيط» (٩/ ٣٣٣).

(٧) «الجامع لأحكام القرآن» (١٨/ ٤٦٤).

(٨) «التيسير» (ص١٩٥)، و«النشر» (٢/ ٢٣٩ ـ ٢٤٠)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (١/ ٣٤٣).

التحتية، وسكون الموحدة، وكسر[(١)] الشين من «أبشر». وقرأ بفتح[(٢)] التحتية وضم الشين بعض السبعة، وقد تقدّم بيان القراءات في هذه اللفظة.

ثم لما ذكر سبحانه ما أخبر به نبيه ﷺ من هذه الأحكام الشريفة التي اشتمل عليها كتابه، أمره بأنه يخبرهم بأنه لا يطلب منهم بسبب هذا التبليغ ثواباً منهم، فقال: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾؛ أي: قل يا محمد: لا أطلب منكم على تبليغ الرسالة جُعلاً، ولا نفعاً ﴿إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ هذا الاستثناء يجوز أن يكون متصلاً[(٣)]؛ أي: إلّا أن تودّوني لقرابتي بينكم، أو تودّوا أهل قرابتي. ويجوز أن يكون منقطعاً[(٣)].

قال الزجاج[(٤)]: إلّا المودّة استثناء ليس من الأوّل؛ أي: إلّا أن تودّوني لقرابتي، فتحفظوني والخطاب لقريش. وهذا قول عكرمة[(٥)]، ومجاهد[(٦)]، وأبي مالك[(٧)]، والشعبي[(٨)]، فيكون المعنى على الانقطاع: لا أسألكم أجراً قط، ولكن أسألكم المودّة في القربى التي بيني وبينكم، ارقبوني فيها، ولا تعجلوا إليّ، ودعوني والناس، وبه قال قتادة[(٩)]، ومقاتل[(١٠)]، والسدّي[(١١)]، والضحاك[(١٢)]، وابن زيد[(١٣)]، وغيرهم، وهو الثابت عن ابن عباس كما سيأتي.

---

(١) «المحتسب» (٢/ ٢٥١)، و«حاشية الشهاب» (٧/ ٤١٨)، و«روح المعاني» (٢٤/ ٢٦٧). وهي قراءة شاذة.
(٢) «التيسير» (ص١٩٥)، و«النشر» (٢/ ٢٣٩ ـ ٢٤٠). الذي قرأ بفتح التحتية وضم الشين مخففاً هو أبو عمرو وابن كثير وحمزة والكسائي.
(٣) «روح المعاني» (٢٤/ ٢٦٨)، و«تفسير أبي السعود» (٦/ ٦٦)، و«البحر المحيط» (٩/ ٣٣٣).
(٤) في «معاني القرآن وإعرابه» (٤/ ٣٩٨).
(٥) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/ ٤٩٦) من طريق.
(٦) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/ ٤٩٧) بسند صحيح.
(٧) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/ ٤٩٦) بسند صحيح.
(٨) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/ ٤٩٥)، والحاكم (٢/ ٤٤٤)، والطبراني رقم (١٢٥٦٩) من طريق الشعبي، عن ابن عباس.
(٩) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/ ٤٩٧) بسند صحيح.
(١٠) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٨/ ٤٦٥).
(١١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/ ٤٩٧) بسند حسن.
(١٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/ ٤٩٧) بسند صحيح.
(١٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/ ٤٩٨) بسند صحيح.

وقال سعيد بن جبير(١)، وغيره: هم: آل محمد، وسيأتي ما استدل به القائلون بهذا.

وقال الحسن(٢)، وغيره: معنى الآية: إلّا التودّد إلى الله ﷻ، والتقرّب بطاعته.

وقال الحسن بن الفضل(٣): ورواه ابن جرير(٤) عن الضحاك: إن هذه الآية منسوخة، وإنما نزلت بمكة، وكان المشركون يؤذون رسول الله ﷺ، فأمرهم الله بمودّته، فلما هاجر أوته الأنصار ونصروه، فأنزل الله عليه: ﴿وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الشعراء: ١٠٩]، وأنزل عليه ﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۖ﴾ [سبأ: ٤٧]. وسيأتي في آخر البحث ما يتضح به الصواب، ويظهر به معنى الآية إن شاء الله.

﴿وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًاۚ﴾ أصل القَرْف: الكَسْب، يقال: فلان يَقْرِف لعياله؛ أي: يكتسب. والاقتراف: الاكتساب، مأخوذ من قولهم رجل قُرَفَة: إذا كان محتالاً. والمعنى: من يكتسب حسنة نزد له هذه الحسنة حسناً بمضاعفة ثوابها.

قال مقاتل(٥): المعنى: مَنْ يكتسب حسنة واحدة نزد له فيها حسناً نضاعفها بالواحدة عشراً فصاعداً. وقيل: المراد بهذه الحسنة هي: المودّة في القربى، والحمل على العموم أولى، ويدخل تحته المودّة في القربى دخولاً أوّليّاً.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾؛ أي: كثير المغفرة للمذنبين كثير الشكر للمطيعين.

قال قتادة(٦): غفور للذّنوب شكور للحسنات. وقال السدّي: غفور لذنوب آل محمد.

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/ ٤٩٩) بسند صحيح.
(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/ ٥٠٠) من طريق شعبة، به.
(٣) ذكره البغوي في «تفسيره» (٧/ ١٩٢).
قال البغوي: وهذا قول غير مرضي؛ لأن مودة النبي ﷺ كف الأذى عنه ومودة أقاربه، والتقرب إلى الله بالطاعة، والعمل الصالح من فرائض الدين، وهذه أقاويل السلف في معنى الآية، فلا يجوز المصير إلى نسخ شيء من هذه الأشياء.
(٤) في «جامع البيان» (٢٠/ ٤٩٧) بسند صحيح.
(٥) «الجامع لأحكام القرآن» (١٨/ ٥٠٥). (٦) «النكت والعيون» (٥/ ٢٠٢).

﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ «أم» هي المنقطعة؛ أي: بل أيقولون: افترى محمد على الله كذباً بدعوى النبوّة؟ والإنكار(١) للتوبيخ. ومعنى افتراء الكذب: اختلاقه.

ثم أجاب سبحانه عن قولهم هذا، فقال: ﴿فَإِن يَشَإِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾؛ أي: لو افترى على الله الكذب لشاء عدم صدوره منه، وختم على قلبه بحيث لا يخطر بباله شيئاً مما كذب فيه كما تزعمون.

قال قتادة(٢): يختم على قلبك فينسيك القرآن، فأخبرهم أنه لو افترى عليه لفعل به ما أخبرهم به في هذه الآية.

وقال مجاهد(٣)، ومقاتل(٤): إن يشأ يربط على قلبك بالصبر على أذاهم حتى لا يدخل قلبك مشقة من قولهم.

وقيل: الخطاب له، والمراد: الكفار؛ أي: إن يشأ يختم على قلوب الكفار، ويعاجلهم بالعقوبة، ذكره القشيري(٥).

وقيل: المعنى: لو حدّثتك نفسك أن تفتري على الله كذباً لطبع على قلبك، فإنه لا يجترئ على الكذب إلّا من كان مطبوعاً على قلبه، والأوّل أولى.

وقوله: ﴿وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ﴾ استئناف مقرّر لما قبله من نفي الافتراء.

قال ابن الأنباري(٦): يختم على قلبك تامّ؛ يعني: وما بعده مستأنف. وقال الكسائي(٧): فيه تقديم، وتأخير؛ أي: والله يمحو الباطل.

وقال الزجاج(٨): أم يقولون: افترى على الله كذباً تامّ. وقوله: ﴿وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ﴾ احتجاج على من أنكر ما أتى به النبي ﷺ؛ أي: لو كان ما أتى به النبي ﷺ باطلاً لمحاه كما جرت به عادته في المفترين.

﴿وَيُحِقُّ الْحَقَّ﴾؛ أي: الإسلام، فيبينه ﴿بِكَلِمَاتِهِ﴾؛ أي: بما أنزل من القرآن

---

(١) «روح المعاني» (٢٤/ ٢٧٥).

(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/ ٥٠٤) بسند صحيح.

(٣) «معالم التنزيل» (٧/ ١٩٢)، و«النكت والعيون» (٥/ ٢٠٢ ـ ٢٠٣).

(٤) «النكت والعيون» (٥/ ٢٠٣).

(٥) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٨/ ٤٧١).

(٦) في «إيضاح الوقف والابتداء» (٢/ ٨٨١).

(٧) ذكره النحاس في «إعراب القرآن» (٤/ ٨١).

(٨) في «معاني القرآن وإعرابه» (٤/ ٣٩٩).

﴿إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ عالم بما في قلوب العباد، وقد سقطت الواو من. «ويمحو» في بعض المصاحف كما حكاه الكسائي(١). ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ﴾؛ أي: يقبل من المذنبين من عباده توبتهم إليه؛ مما عملوا من المعاصي واقترفوا من السيئات، والتوبة: الندمُ على المعصية، والعزمُ على عدم المعاودة لها.

وقيل: يقبل التوبة عن أوليائه وأهل طاعته. والأوّل أولى، فإن التوبة مقبولة مِنْ جميع العباد مسلمهم وكافرهم إذا كانت صحيحةً صادرة عن خلوص نية، وعزيمة صحيحة [٤٤/٤].

﴿وَيَعْفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ على العموم لمن تاب عن سيئته ﴿وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ من خير وشرّ فيجازي كلّاً بما يستحقه. قرأ حمزة والكسائي وحفص وخلف: «تفعلون» بالفوقية(٢) على الخطاب. وقرأ الباقون بالتحتية(٣) على الخبر، واختار القراءة الثانية أبو عبيد(٤) وأبو حاتم؛ لأن هذا الفعل وقع بين خبرين.

﴿وَيَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ﴾ الموصول في موضع نصب؛ أي: يستجيب الله الذين آمنوا ويعطيهم ما طلبوه منه، يقال: أجاب، واستجاب بمعنى. وقيل: المعنى: يقبل عبادة المخلصين.

وقيل: التقدير، ويستجيب لهم، فحذف اللام كما حذف في قوله: ﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ﴾ [المطففين: ٣]؛ أي: كالوا لهم، وقيل: إن الموصول(٥) في محل رفع؛ أي: يجيبون ربهم إذا دعاهم كقوله: ﴿ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ﴾ [الأنفال: ٢٤].

قال المبرد(٦): معنى ﴿وَيَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾: ويستدعي الذين آمنوا الإجابة، هكذا حقيقة معنى استفعل، فالذين في موضع رفع، والأوّل أولى ﴿وَيَزِيدُهُم مِّن

---

(١) «إعراب القرآن» للنحاس (٤/ ٨١).
(٢) «النشر» (٢/ ٣٦٧)، و«التيسير» (ص١٩٥).
(٣) «الجامع لأحكام القرآن» (١٨/ ٤٧٢)، و«زاد المسير» (٧/ ٢٨٦)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (٢/ ٣٥١).
(٤) ذكره عنهما القرطبي في «تفسيره» (١٨/ ٤٧٢).
(٥) «التبيان» (٢/ ١١٣٣)، و«الفريد» (٤/ ٢٤٢).
(٦) ذكره النحاس في «معاني القرآن» (٦/ ٣١٣).

فَضۡلِهِۦٓۚ﴾؛ أي: يزيدهم على ما طلبوه منه، أو على ما يستحقونه من الثواب تفضلاً منه. وقيل: يشفعهم في إخوانهم.

﴿وَٱلۡكَٰفِرُونَ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞ﴾ هذا للكافرين مقابلاً ما ذكره للمؤمنين فيما قبله.

﴿وَلَوۡ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزۡقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾؛ أي: لو وسّع الله لهم رزقهم لبغوا في الأرض لعصوا فيها، وبطروا النعمة، وتكبروا وطلبوا ما ليس لهم طلبه. وقيل: المعنى: لو جعلهم[1] سواء في الرزق لما انقاد بعضُهم لبعض، ولتعطلت الصنائع، والأوّل أولى.

والظاهر عموم أنواع الرزق، وقيل: هو: المطر خاصة ﴿وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٖ مَّا يَشَآءُۚ﴾؛ أي: ينزل من الرزق لعباده بتقديرٍ على حسب مشيئته، وما تقتضيه حكمته البالغة ﴿إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرُۢ﴾ بأحوالهم ﴿بَصِيرٞ﴾ بما يصلحهم من توسيع الرزق وتضييقه، فيقدر لكل أحد منهم ما يصلحه، ويكفّه عن الفساد بالبغي في الأرض.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ﴾؛ أي: المطر الذي هو أنفع أنواع الرزق، وأعمها فائدة، وأكثرها مصلحة ﴿مِنۢ بَعۡدِ مَا قَنَطُواْ﴾؛ أي: من بعد ما أيسوا عن ذلك، فيعرفون بهذا الإنزال للمطر بعد القنوط مقدار رحمته لهم، ويشكرون له ما يجب الشكر عليه ﴿وَهُوَ ٱلۡوَلِيُّ﴾ للصالحين من عباده بالإحسان إليهم، وجلب المنافع لهم، ودفع الشرور عنهم ﴿ٱلۡحَمِيدُ﴾ المستحق للحمد منهم على إنعامه خصوصاً وعموماً.

وقد أخرج ابن المنذر[2] عن ابن عباس في قوله: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرۡثَ ٱلۡأٓخِرَةِ﴾ قال: عيش الآخرة ﴿نَزِدۡ لَهُۥ فِي حَرۡثِهِۦۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرۡثَ ٱلدُّنۡيَا نُؤۡتِهِۦ مِنۡهَا﴾ الآية. قال: من يؤثر دنياه على آخرته لم يجعل الله له نصيباً في الآخرة إلّا النار، ولم يزدد بذلك من الدنيا شيئاً إلّا رزقاً فُرغ منه وقُسم له.

وأخرج أحمد، والحاكم وصححه، وابن مردويه، وابن حبان عن أُبيّ بن كعب[3]، أن رسول الله ﷺ قال: «بشر هذه الأمة بالسّنا والرِّفعة، والنصر والتمكين

---

(١) «روح المعاني» (٢٤/٢٨٦).
(٢) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٧/٣٤٣).
(٣) أخرجه أحمد رقم (٢١٢٢٠ ـ ٢١٢٢٤)، والحاكم (٤/٣١١، ٣١٨)، وابن حبان في «صحيحه» رقم (٤٠٥) بسند حسن.

في الأرض ما لم يطلبوا الدنيا بعمل الآخرة، فمن عمل منهم عمل الآخرة للدنيا لم يكن له في الآخرة من نصيب».

وأخرج الحاكم وصحّحه، والبيهقي في «الشعب» عن أبي هريرة(١) قال: «تلا رسول الله ﷺ: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْآخِرَةِ﴾ الآية، ثم قال: يقول الله: ابن آدم تفرّغ لعبادتي أملأ صَدْرك غِنًى، وأسدّ فقرك، وإن لا تفعلْ ملأت صدرك شُغُلاً ولم أسُدّ فقرك».

وأخرج ابن أبي الدنيا، وابن عساكر عن عليّ(٢) قال: الحرث حرثان: فحرث الدنيا المال والبنون، وحرث الآخرة الباقيات الصالحات.

وأخرج أحمد، وعبد بن حميد، والبخاري، ومسلم، والترمذي، وابن جرير، وابن المنذر، وابن مردويه من طريق طاوس عن ابن عباس(٣): أنه سئل عن قوله: ﴿إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ قال سعيد بن جبير: قُربى آل محمد. قال ابن عباس: عجلتَ أن النبي ﷺ لم يكن بطن مِنْ قريش إلّا كان له فيهم قرابة، فقال: إلّا أن تصلوا ما بيني وبينكم مِنْ القرابة.

وأخرج ابن أبي حاتم، والطبراني، وابن مردويه من طريق سعيد بن جبير(٤) عنه قال: قال لهم رسول الله ﷺ: «لا أسألكم عليه أجراً إلّا أن تودوني في نفسي لقرابتي وتحفظوا القرابة التي بيني وبينكم».

وأخرج سعيد بن منصور، وابن سعد، وعبد بن حميد، والحاكم وصححه، وابن مردويه، والبيهقي في «الدلائل» عن الشعبي(٥) قال: أكثر الناس علينا في هذه الآية ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾، فكتبنا إلى ابن عباس نسأله عن

---

(١) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٢/ ٤٤٣)، والبيهقي في «الشعب» رقم (١٠٣٣٩).
(٢) أخرجه ابن عساكر في «تاريخه» (٤٢/ ٥٠٢، ٥٠٣).
(٣) أخرجه أحمد رقم (٢٠٢٤، ٢٥٩٩)، والبخاري رقم (٣٤٩٧، ٤٨١٨)، والترمذي رقم (٣٢٥١)، وابن جرير (٢٠/ ٤٩٥).
لم يعزه المزي في «التحفة» رقم (٥٧٣١) إلى مسلم.
(٤) عزاه إليهم السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٣٤٦).
وأخرجه الطبراني رقم (١٢٢٣٣).
(٥) أخرجه سعيد بن منصور ـ كما في «فتح الباري» (٨/ ٥٦٥) ـ وابن سعد (١/ ٢٤)، والحاكم (٢/ ٤٤٤)، والبيهقي (١/ ١٨٥) من طريق الشعبي، عن ابن عباس.

ذلك، فقال: إنّ رسول الله ﷺ كان واسط النسب في قريش، ليس بطن من بطونهم إلّا وله فيه قرابة، فقال الله: ﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا﴾ على ما أدعوكم إليه ﴿إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰۗ﴾ أنْ تودوني لقرابتي منكم، وتحفظوني بها.

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والطبراني، وابن مردويه من طريق عليّ بن أبي طلحة، عن ابن عباس[١] في الآية قال: كان لرسول الله ﷺ قرابة من جميع قريش، فلما كذبوه وأبوا أن يبايعوه قال: «يا قوم إذا أبيتم أن تبايعوني فاحفظوا قرابتي فيكم، ولا يكون غيركم من العرب أولى بحفظي ونصرتي منكم».

وأخرج عبد بن حميد، وابن مردويه عنه نحوه[٢].

وأخرج ابن جرير، وابن مردويه عنه[٣] أيضاً نحوه.

وأخرج ابن مردويه[٤] عنه أيضاً نحوه.

وأخرج ابن مردويه[٣] عنه أيضاً من طريق أخرى نحوه.

وأخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم، وابن مردويه من طريق مِقْسَم عن ابن عباس[٥] قال: «قالت الأنصار: فعلنا، وفعلنا، وكأنهم فخروا. فقال العباس: لنا الفضل عليكم. فبلغ ذلك رسول الله ﷺ، فأتاهم في مجالسهم، فقال: يا معشر الأنصار ألم تكونوا أذلة، فأعزكم الله؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: أفلا تجيبون؟ قالوا: ما نقول يا رسول الله؟ قال: ألا تقولون: ألم يخرجك قومك، فآويناك؟ ألم يكذّبوك فصدّقناك؟ ألم يخذلوك فنصرناك؟، فما زال يقول حتى جثوا على الركب، وقالوا: أموالنا وما في أيدينا لله ورسوله، فنزلت: ﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰۗ﴾».

وفي إسناده يزيد بن أبي زياد، وهو: ضعيف، والأولى أنّ الآية مكية لا مدنية،

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/ ٤٩٥)، والطبراني رقم (١٣٠٢٦) بسند صحيح.

(٢) عزاه إليهما السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٣٤٧).

(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/ ٤٩٦) بسند ضعيف.

(٤) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٣٤٧).

(٥) أخرجه ابن جرير (٢٠/ ٤٩٩)، وابن أبي حاتم ـ كما في «تخريج الكشاف» (٣٧٣) ـ، وابن مردويه ـ كما في «تخريج الكشاف» (٣/ ٢٣٧).
وقال الحافظ: فيه يزيد بن أبي زياد، وهو ضعيف. «الكاف الشاف» (ص١٤٥).

وقد أشرنا في أوّل السورة إلى قول مَنْ قال: إن هذه الآية، وما بعدها مدنية، وهذا متمسكهم.

وأخرج أَبو نُعيم، والديلمي من طريق مجاهد عن ابن عباس[(١)] قال: قال رسول الله ﷺ: «﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰۗ﴾؛ أي: تحفظوني في أهل بيتي وتودونهم بي».

وأخرج ابنُ المنذر، وابن أبي حاتم، والطبراني، وابن مردويه. قال السيوطي[(٢)]: بسند ضعيف من طريق سعيد بن جبير[(٣)] عن ابن عباس قال: «لما نزلت هذه الآية ﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰۗ﴾ قالوا: يا رسول الله من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودّتهم؟ قال: عليّ، وفاطمة، وولداهما».

وأخرج ابنُ أبي حاتم، وابن مردويه من طريق الضحاك[(٤)] عن ابن عباس قال: نزلت هذه الآية بمكة، وكان المشركون يودّون رسول الله ﷺ، فأنزل الله: قل لهم يا محمّد ﴿لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ﴾؛ يعني: على ما أدعوكم إليه ﴿أَجۡرًا﴾ عرضاً من الدنيا ﴿إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰۗ﴾ إلّا الحفظ لي في قرابتي فيكم، فلما هاجر إلى المدينة أحبّ أن يلحقه بإخوته من الأنبياء، فقال: ﴿قُلۡ مَا سَأَلۡتُكُم مِّنۡ أَجۡرٖ فَهُوَ لَكُمۡۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۖ﴾ [سبأ: ٤٧]؛ يعني: ثوابه، وكرامته في الآخرة كما قال نوح: ﴿وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الشعراء: ١٠٩]، وكما قال هود، وصالح، وشعيب لم يستثنوا أجراً كما استثنى النبي ﷺ، فردّه عليهم، وهي: منسوخة.

وأخرج أحمد، وابن أبي حاتم، والطبراني، والحاكم وصححه، وابن مردويه من طريق مجاهد، عن ابن عباس[(٥)]، عن النبي ﷺ في الآية: قل: لا أسألكم

---

(١) عزاه إليهم السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٣٤٨).

(٢) في «الدر المنثور» (٧/ ٣٤٨).

(٣) أخرجه الطبراني في «الأوسط» رقم (٥٧٥٨)، وابن مردويه ـ كما في «تخريج الكشاف» (٣/ ٢٣٩).

(٤) عزاه إليهما السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٣٤٨) بسند ضعيف، الضحاك لم يسمع من ابن عباس.

(٥) أخرجه أحمد رقم (٢٤١٥)، وابن أبي حاتم ـ كما في «تفسير ابن كثير» (١٢/ ٢٦٩) ـ والطبراني رقم (١١١٤٤)، والحاكم (٢/ ٤٤٣ ـ ٤٤٤)، وصححه ووافقه الذهبي.
إسناده ضعيف. =

على ما أتيتكم به من البينات، والهدى أجراً إلّا أن تودوا الله، وأن تتقرّبوا إليه بطاعته.

هذا حاصل ما روي عَنْ حبر الأمة ابن عباس رضي الله عنه في تفسير هذه الآية.

والمعنى الأوّل هو: الذي صحّ عنه، ورواه عَنْه الجمع الجمّ من تلامذته، فمن بعدهم، ولا ينافيه ما روي عنه مِنْ النسخ، فلا مانع من أن يكون قد نزل القرآن في مكة بأن يودّه كفار قريش لما بينه وبينهم من القربى ويحفظوه بها، ثم ينسخ ذلك.

ويذهب هذا الاستثناء من أصله كما يدلّ عليه ما ذكرنا مما يدلّ على أنه لم يسأل على التبليغ أجراً على الإطلاق، ولا يَقْوى ما روي من حملها على آل محمد ﷺ على معارضة ما صح عن ابن عباس من تلك الطرق الكثيرة، وقد أغنى الله آل محمد عن هذا بما لهم من الفضائل الجليلة، والمزايا الجميلة.

وقد بينا بعض ذلك عند تفسيرنا لقوله: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ﴾ [الأحزاب: ٣٣].

وكما لا يقوى هذا على المعارضة، فكذلك لا يقوي ما روي عنه أن المراد بالمودّة في القربى: أن يودوا الله، وأن يتقرّبوا إليه بطاعته، ولكنه يشدّ من عضد هذا أنه تفسير مرفوع إلى رسول الله ﷺ وإسناده عند أحمد في المسند(١) هكذا: حدّثنا حسن بن موسى، حدّثنا قزعة بن سويد، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد عن ابن عباس: أن النبي ﷺ، فذكره.

ورواه ابن أبي حاتم، عن أبيه، عن مسلم بن إبراهيم، عن قزعة به.

وأخرج ابن المبارك، وسعيد بن منصور، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والطبراني، وابن مردويه، وأبو نعيم في «الحلية»، والبيهقي في «الشعب». قال السيوطي(٢): بسند صحيح عن أبي هانئ(٣) الخولاني

= • قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ١٠٣): «رواه أحمد والطبراني ورجال أحمد فيهم قزعة وثقه ابن معين وغيره وفيه ضعف، وبقية رجاله ثقات».

(١) في «المسند» رقم (٢٤١٥) بسند ضعيف. لضعف قزعة بن سويد.

(٢) في «الدر المنثور» (٧/ ٣٥٢).

(٣) أخرجه ابن المبارك في «الزهد» رقم (٥٥٤)، وابن جرير (٢٠/ ٥٠٩)، والطبراني ـ كما في =

قال: سمعتُ عمر بن حُريث وغيره يقولون: إنما نزلت هذه الآية في أصحاب الصفة ﴿وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾، وذلك أنهم قالوا: لو أن لنا فتمنوا الدنيا.

وأخرج الحاكم وصححه، والبيهقي في «الشعب» عن عليّ مثله[1].

[من مظاهر حكمته وقدرته]:

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٍۚ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٌ (٢٩) وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ (٣٠) وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ (٣١) وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلْجَوَارِ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ (٣٢) إِن يَشَأْ يُسْكِنِ ٱلرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِۦٓۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ (٣٣) أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا۟ وَيَعْفُ عَن كَثِيرٍ (٣٤) وَيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ (٣٥) فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَىْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَاۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٣٦) وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا۟ هُمْ يَغْفِرُونَ (٣٧) وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ (٣٨) وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلْبَغْىُ هُمْ يَنتَصِرُونَ (٣٩) وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَاۖ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ (٤٠) وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ (٤١) إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٤٢) وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ (٤٣)﴾.

[من آياته الدالة على كمال قدرته والموجبة للتوحيد]:

ذكر سبحانه بعض آياته الدالة على كمال قدرته الموجبة لتوحيده، وصدق ما وعد به من البعث، فقال: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾؛ أي: خلقهما على

= «مجمع الزوائد» (٧/ ١٠٤) ـ وأبو نعيم (١/ ٣٣٨)، والبيهقي رقم (١٠٣٣٢).
وقال ابن صاعد: عمرو بن حريث هذا رجل من مصر ليست له صحبة، وليس هو عمرو بن حريث المخزومي الذي رأى النبيَّ ﷺ وروى عنه.

(١) أخرجه الحاكم (٢/ ٤٤٥)، والبيهقي في «الشعب» رقم (١٠٣٣١).

هذه الكيفية العجيبة والصنعة الغريبة ﴿وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٍ﴾ يجوز عطفه على «خلق»، ويجوز عطفه على «السمٰوات»، والدابة[1] اسم لكلِّ ما دبّ.

قال الفراء[2]: أراد ما بثّ في الأرض دون السماء كقوله: ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ﴾ [الرحمٰن: ٢٢]، وإنما يخرج من الملح دون العَذْب.

وقال أبو عليّ الفارسي[3]: تقديره: وما بثّ في أحدهما، فحذف المضاف.

قال مجاهد[4]: يدخل في هذا الملائكة والناس، وقد قال تعالى: ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٨].

﴿وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ﴾؛ أي: حشرهم يوم القيامة ﴿إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٌ﴾، الظرف متعلق «بجمعهم» لا «بقدير» قال أبو البقاء[5]: لأنَّ ذلك يؤدي: وهو على جمعهم قدير إذا يشاء، فتتعلق القدرة بالمشيئة وهو محال، قال شهاب الدين[6]: ولا أدري ما وجه كونه محالاً على مذهب أهل السُّنَّة.

فإن كان يقول بقول المعتزلة، وهو: أنَّ القدرة تتعلق بما لم يشأ الله مشى كلامه، ولكنه مذهب رديء لا يجوز اعتقاده.

﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾؛ أي: ما أصابكم من المصائب كائنة ما كانت فبسبب ما كسبت أيديكم من المعاصي.

قرأ نافع، وابن عامر: «بما كسبت» بغير فاء[7]، وقرأ الباقون بالفاء[8]. «وما» في ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم﴾ هي: الشرطية، ولهذا دخلت الفاء في جوابها على قراءة

---

(١) «مفردات ألفاظ القرآن» (ص٣٠٦ ـ ٣٠٧).
(٢) في «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٤).
(٣) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٨/ ٤٧٦).
(٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/ ٥١٢) بسند صحيح.
(٥) في «الإملاء ما منّ به الرحمٰن» (٢/ ٦٣١ ـ الفتوحات الإلٰهية)، و«التبيان» (٢/ ١٩٣٣).
(٦) «تفسير الرازي» (٢٧/ ١٧٢ ـ ١٧٣)، و«روح المعاني» (٢٤/ ٢٩٣ ـ ٢٩٥).
(٧) «النشر» (٢/ ٣٦٧)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (٢/ ٢٧٧)، و«زاد المسير» (٧/ ٢٨٨)، و«البحر المحيط» (٩/ ٣٣٨). وكذلك قرأ أبو جعفر، وهما قراءتان متواترتان.
(٨) انظر: المصادر المتقدمة.

الجمهور، ولا يجوزُ حذفها عند سيبويه[١] والجمهور، وجوّز الأخفش[٢] الحذف كما في قوله: ﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: ١٢١]، وقول الشاعر:

مَن يفعل الحسناتِ اللَّهُ يشكرها والشرُّ بالشرِّ عند اللَّهِ مثلانِ[٣]

وقيل: هي الموصولة، فيكون الحذف والإثبات جائزين، والأوّل أولى. قال الزجاج[٤]: إثبات الفاء أجود؛ لأن الفاء مجازاة جواب الشرط، ومن حذف الفاء فعلى أن «ما» في معنى: الذي، والمعنى: الذي أصابكم وقع بما كسبت أيديكم.

قال الحسن[٥]: المصيبة هنا: الحدود على المعاصي، والأولى الحمل على العموم كما يفيده وقوع النكرة في سياق النفي، ودخول «من» الاستغراقية عليها.

﴿وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ﴾ من المعاصي التي يفعلها العباد فلا يعاقب عليها.

فمعنى الآية: أنه يكفر عن العبد بما يصيبه من المصائب، ويعفو عن كثير من الذنوب. وقد ثبتت الأدلة الصحيحة أن جميع ما يصاب به الإنسان في الدنيا يؤجر عليه أو يكفر عنه من ذنوبه.

وقيل: هذه الآية مختصة بالكافرين على معنى: أن ما يصابون به بسبب ذنوبهم مِنْ غير أن يكون ذلك مكفراً عنهم لذنب، ولا محصلاً لثواب ويترك عقوبتهم عن كثير من ذنوبهم، فلا يعاجلهم في الدنيا بل يمهلهم إلى الدار الآخرة.

والأولى حمل الآية على العموم، والعفو يصدق على تأخير العقوبة كما يصدق على محو الذنب، ورفع الخطاب به.

قال الواحدي[٦]: وهذه أرجى آية في كتاب الله؛ لأنّه جعل ذنوب المؤمنين صنفين: صنف كفّره عنهم بالمصائب، وصنف عفا عنه في الدنيا، وهو كريم لا يرجع في عفوه، فهذه سُنّة الله مع المؤمنين.

---

(١) «الكتاب» (٣/ ٦٥).
(٢) ذكره أبو حيان في «البحر المحيط» (٩/ ٣٣٨).
(٣) «خزانة الأدب» (٩/ ٥١).
(٤) في «معاني القرآن وإعرابه» (٤/ ٣٩٩).
(٥) «معالم التنزيل» (٧/ ١٩٥).
(٦) في «الوسيط» (٤/ ٥٦).

وأما الكافر، فإنه لا يعجل له عقوبة ذنبه حتى يوافى به يوم القيامة.

﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ﴾؛ أي: بفائتين عليه هرباً في الأرض، ولا في السماء لو كانوا فيها بل ما قضاه عليهم من المصائب واقع عليهم نازل بهم ﴿وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ﴾ يواليكم، فيمنع عنكم ما قضاه الله ﴿وَلَا نَصِيرٖ﴾ ينصركم مِنْ عذاب الله في الدنيا، ولا في الآخرة.

ثم ذكر سبحانه آيةً أخرى من آياته العظيمة الدالة على توحيده، وصدق ما وعد به، فقال: ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِ ٱلۡجَوَارِ﴾ قرأ نافع، وأبو عمرو: «الجواري» بإثبات الياء[١] في الوصل، وأما في الوقف، فإثباتها على الأصل، وحذفها للتخفيف، وهي: السفن واحدتها جارية؛ أي: سائرة ﴿فِي ٱلۡبَحۡرِ كَٱلۡأَعۡلَٰمِ﴾؛ أي: الجبال جمع عَلَم وهو الجبل، ومنه قول الخنساء[٢]:

وإنَّ صَخْراً لتأتمُّ الهُداة به كأنَّه عَلَمٌ في رأسهِ نَارُ

قال الخليل[٣]: كلّ شيء مرتفع عند العرب، فهو عَلَمٌ.

وقال مجاهد[٤]: الأعلام القصور واحدها علمٌ.

﴿إِن يَشَأۡ يُسۡكِنِ ٱلرِّيحَ﴾ قرأ الجمهور[٥] بهمز: «يشأ»، وقرأ ورش عن نافع بلا همز.

وقرأ الجمهور[٦]: «الريح» بالإفراد، وقرأ نافع: «الرياح» على الجمع[٧]؛ أي: يسكن الريح التي تجري بها السفن ﴿فَيَظۡلَلۡنَ﴾؛ أي: السفن ﴿رَوَاكِدَ﴾؛ أي: سواكن

---

(١) «النشر» (٢/ ٣٦٨)، و«التيسير» (ص١٩٥)، و«زاد المسير» (٧/ ٣٨٩)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (٢/ ٢٥٤). ومع نافع أبو جعفر، وقرأ ابن كثير ويعقوب بإثبات الياء في الوصل والوقف، وقرأ باقي العشرة بحذفها وصلاً ووقفاً «النشر» (٢/ ٢٧٥).

(٢) «ديوان الخنساء» (ص٤٩).

(٣) ذكره البغوي في «تفسيره» (٧/ ١٩٦).

(٤) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٨/ ٤٨١)، والبغوي في «تفسيره» (٧/ ١٩٦).

(٥) قرأ ورش من طريق الاصفهاني وكذا أبو جعفر بلا همز وقفاً ووصلاً، وأما حمزة وهشام فقد قرأ بلا همز وقفاً لا وصلاً «النشر» (١/ ٣٦٠) و(٢/ ٢٢٣)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (١/ ٢٧٠)، و«البحر المحيط» (٩/ ٣٤٠).

(٦) انظر: المصادر المتقدمة.

(٧) «التيسير» (ص٧٨)، و«النشر» (٢/ ٢٢٣)، و«البحر المحيط» (٩/ ٣٤٠). ومعه أبو جعفر بالجمع.

ثوابت ﴿عَلَىٰ ظَهْرِهِۦٓ﴾: البحر، يقال: ركد الماء ركوداً: سكن، وكذلك ركدت الريح وركدت السفينة، وكل ثابت في مكان، فهو راكد.

قرأ الجمهور[(١)]: «فيظلَلْن» بفتح اللام الأولى.

وقرأ قتادة بكسرها[(٢)]، وهي لغة قليلة ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾ الذي ذكر من أمر السفن ﴿لَأَيَٰتٍ﴾ دلالات عظيمة ﴿لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾؛ أي: لكل من كان كثير الصبر على البلوى، كثير الشكر على النّعماء.

قال قطرب[(٣)]: الصبار: الشكور الذي إذا أعطي شكر، وإذا ابتلي صبر. قال عون بن عبد الله[(٤)]:

فكم من مُنعَم عليه غيرِ شاكرٍ، وكم من مُبتلي وهو غيرِ صابرِ

﴿أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا۟﴾ معطوف على «يسكن»؛ أي: يهلكهنّ بالغرق، والمراد: أهلكهنّ بما كسبوا من الذنوب، وقيل: بما أشركوا. والأوّل أولى، فإنه يهلك في البحر المشرك وغير المشرك، يقال: أوبقه؛ أي: أهلكه.

﴿وَيَعْفُ عَن كَثِيرٍ﴾ من أهلها بالتجاوز عن ذنوبهم، فينجيهم من الغرق. قرأ الجمهور[(٥)]: «يَعْفُ» بالجزم عطفاً على جواب الشرط.

قال القشيري[(٦)]: وفي هذه القراءة إشكال؛ لأن المعنى: إن يشأ يسكن الريح، فتبقي تلك السفن رواكد، أو يهلكها بذنوب أهلها، فلا يحسن عطف ﴿وَيَعْفُ﴾ على هذا؛ لأنه يصير المعنى: إن يشأ يعف، وليس المعنى ذلك؛ بل المعنى: الإخبار عن العفو من غير شرط المشيئة، فهو: إذن عطف على المجزوم من حيث اللفظ لا من حيث المعنى، وقد قرأ قوم: «ويعفو» بالرفع[(٧)] وهي جيدة في المعنى.

---

(١) «البحر المحيط» (٩/ ٣٤١)، و«روح المعاني» (٢٤/ ٢٩٦)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٨/ ٤٨١).

(٢) «المحتسب» (٢/ ٢٥٢)، و«حاشية الجمل» (٤/ ٦٦). وهي قراءة شاذة.

(٣) «النكت والعيون» (٥/ ٢٠٥).

(٤) «الجامع لأحكام القرآن» (١٨/ ٤٨٢)، و«النكت والعيون» (٥/ ٢٠٥).

(٥) «البحر المحيط» (٩/ ٣٤١)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٨/ ٤٨٢).

(٦) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٨/ ٤٨٢).

(٧) «البحر المحيط» (٩/ ٣٤١)، و«روح المعاني» (٢٤/ ٢٩٨)، و«حاشية الشهاب» (٧/ ٤٢٣). والقراءة بالرفع شاذة.

قال أبو حيان[١]: وما قاله ليس بجيد إذْ لم يفهم مدلول التركيب، والمعنى: إلّا أنه تعالى أهلك ناساً، وأنجى ناساً على طريق العفو عنهم، وقرأ الأعمش[٢]: «ويعفو» بالرفع، وقرأ بعض أهل المدينة بالنصب[٣] بإضمار (أن) بعد الواو كما في قول النابغة[٤]:

فَإِنْ يَهْلِكْ أَبُو قَابُوسَ[٥] يَهْلِكْ رَبِيعُ النَّاسِ والشَّهرُ الحَرَامُ
ونأخذَ بعدَهُ بذُنابِ عَيْشٍ أَجَبِّ الظَّهرِ ليسَ لَهُ سَنَامُ

بنصب ونأخذ.

﴿وَيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ﴾ قرأ الجمهور[٦] بنصب: «يعلم» قال الزجاج[٧]: على الصرف، قال: ومعنى الصرف: صرف العطف على اللفظ إلى العطف على المعنى، قال: وذلك أنه لما لم يحسن عطف ﴿وَيَعْلَمَ﴾ مجزوماً على ما قبله إذ يكون المعنى: إن يشأ يعلم عدل إلى العطف على مصدر الفعل الذي قبله، ولا يتأتى ذلك إلّا بإضمار أن، لتكون مع الفعل في تأويل اسم، ومن هذا بيتا النابغة المذكوران قريباً.

وكما قال الزجاج[٨] قال المبرّد[٩]، وأبو عليّ الفارسي[١٠].

واعتُرِض على هذا الوجه بما لا طائل تحته.

وقيل: النصب على العطف على تعليل محذوف، والتقدير: لينتقم منهم ويعلم.

واعترض أبو حيان بأنه ترتّب على الشرط إهلاك قوم، ونجاة قوم، فلا يحسن تقدير لينتقم منهم.

---

(١) في «البحر المحيط» (٩/ ٣٤١).
(٢) «روح المعاني» (٢٤/ ٢٩٨)، و«البحر المحيط» (٩/ ٣٤١).
(٣) وهي قراءة شاذة.
«البحر المحيط» (٩/ ٣٤١)، و«روح المعاني» (٢٤/ ٢٩٨).
(٤) «ديوان النابغة» (ص١١٠).
(٥) أبو قابوس: هو النعمان بن المنذر.
(٦) «التيسير» (ص١٩٥)، و«التبيان» (٢/ ١١٣٤)، و«النشر» (٢/ ٣٦٧).
(٧) في «معاني القرآن وإعرابه» (٤/ ٣٩٩).
(٨) في «معاني القرآن وإعرابه» (٤/ ٣٩٩ ـ ٤٠٠).
(٩) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٨/ ٤٨٤).
(١٠) في «الحجة» للفارسي (٦/ ١٣٠).

وقرأ نافع، وابن عامر[١] برفع: «يعلمُ» على الاستئناف، وهي قراءة ظاهرة المعنى واضحة اللفظ. وقرئ بالجزم[٢] عطفاً على المجزوم قبله على معنى: وإن يشأ يجمع بين الإهلاك، والنجاة، والتحذير.

ومعنى ﴿مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ﴾: ما لهم من فرار ولا مهرب قاله قطرب.

وقال السدي[٣]: ما لهم من ملجأ، وهو مأخوذ من قولهم: حاص[٤] به البعير حيصة: إذا رمى به، ومنه قولهم: فلان يحيص عَنْ الحق؛ أي: يميل عنه.

[الترغيب في ثواب الآخرة]:

﴿فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ لما ذكر سبحانه دلائل التوحيد ذكر التنفير عن الدنيا؛ أي: ما أعطيتم من الغنى والسعة في الرزق، فإنما هو متاع قليل في أيام قليلة ينقضي ويذهب.

ثم رغبهم في ثواب الآخرة وما عند الله من النعيم المقيم، فقال: ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾؛ أي: ما عند الله من ثواب الطاعات، والجزاء عليها بالجنّات خير من متاع الدنيا، وأبقى؛ لأنه دائم لا ينقطع، ومتاع الدنيا ينقطع بسرعة.

ثم بيّن سبحانه لمن هذا، فقال: ﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾؛ أي: صدقوا وعملوا على ما يوجبه الإيمان ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾؛ أي: يفوّضون إليه أمورهم، ويعتمدون عليه في كل شؤونهم لا على غيره ﴿وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ﴾ الموصول في محل جرّ[٥] معطوف على «الذين آمنوا»، أو بدلاً منه، أو في محلّ نصب بإضمار: أعني والأوّل أولى.

والمعنى: أن ما عند الله خير وأبقى للذين آمنوا وللذين يجتنبون. والمراد بكبائر الإثم: الكبائر من الذنوب، وقد قدّمنا تحقيقها في سورة النساء.

---

(١) «التيسير» (ص١٩٥)، و«التبيان» (٢/ ١١٣٤)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (٢/ ٢٥١). وممّن قرأ بالرفع أبو جعفر.ا.هـ.

(٢) «روح المعاني» (٢٤/ ٣٠٠)، و«زاد المسير» (٧/ ٢٨٩)، و«البحر المحيط» (٩/ ٣٤٢). القراءة بجزم كلمة (يعلمْ) شاذة.ا.هـ.

(٣) «النكت والعيون» (٥/ ٢٠٥).

(٤) «مفردات ألفاظ القرآن» (ص٢٦٥)، و«تهذيب اللغة» (٥/ ١٦٢).

(٥) «التبيان» (٢/ ١١٣٤ ـ ١١٣٥).

قرأ الجمهور[١]: «كبائر» بالجمع، وقرأ حمزة، والكسائي: «كبير» بالإفراد[٢]، وهو يفيد مفاد الكبائر؛ لأن الإضافة للجنس كاللام. والفواحش: هي من الكبائر، ولكنها مع وصف كونها فاحشة كأنها فوقها وذلك كالقتل والزنا ونحو ذلك.

وقال مقاتل[٣]: الفواحش: موجبات الحدود. وقال السدّي[٤]: هي: الزنا.

﴿وَإِذَا مَا غَضِبُواْ هُمْ يَغْفِرُونَ﴾؛ أي: يتجاوزون عن الذنب الذي أغضبهم، ويكظمون الغيظ، ويحلمون على من ظلمهم، وخصّ الغضب بالغفران؛ لأن استيلاءه على طبع الإنسان وغلبته عليه شديدة، فلا يغفر عند سَورة الغضب إلّا من شرح الله صدره وخصه بمزية الحلم، ولهذا أثنى الله سبحانه عليهم بقوله في آل عمران: ﴿وَٱلْكَـٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ﴾ [آل عمران: ١٣٤] قال ابن زيد[٥]: جعل الله المؤمنين صنفين:

- صنفاً يعفون عن ظالمهم، فبدأ بذكرهم.
- وصنفاً ينتصرون من ظالمهم، وهم الذين سيأتي ذكرهم.

﴿وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾؛ أي: أجابوه إلى ما دعاهم إليه وأقاموا ما أوجبه عليهم من فريضة الصلاة.

قال ابن زيد[٦]: هم: الأنصار بالمدينة استجابوا إلى الإيمان بالرسول حين أنفذ إليهم اثني عشر نقيباً منهم قبل الهجرة، وأقاموا الصلاة لمواقيتها بشروطها، وهيئاتها ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾؛ أي: يتشاورون فيما بينهم ولا يعجلون، ولا ينفردون بالرأي، والشورى مصدر شاورته مثل: البُشْرى والذكرى.

قال الضحاك[٧]: هو تشاورهم حين سمعوا بظهور رسول الله ﷺ، وورود النقباء إليهم حين اجتمع رأيهم في دار أَبي أيوب على الإيمان به، والنصرة له.

---

(١) «الكشف عن وجوه القراءات» (٢/ ٢٥٣)، و«جامع البيان» (٢٠/ ٥٢٢)، و«النشر» (٢/ ٣٦٧ ـ ٣٦٨)، و«البحر المحيط» (٩/ ٣٤٣).
(٢) انظر: المصادر المتقدمة.
(٣) «المحرر الوجيز» (١٤/ ٢٣٠).
(٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/ ٥٢١ ـ ٥٢٢) بسند حسن.
(٥) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/ ٥٢٣ ـ ٥٢٤) بسند صحيح.
(٦) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/ ٥٢٣) بسند صحيح.
(٧) «النكت والعيون» (٥/ ٢٠٦).

وقيل: المراد: تشاورهم في كلّ أمر يعرض لهم، فلا يستأثر بعضهم على بعض برأي، وما أحسن ما قاله [٤/٤٦] بشار بن بُردْ[١]:

إذا بلغ الرأيُ المشورةَ فاستعنْ ... برأي نصيحٍ أو نصيحةِ حازمِ

ولا تجعلْ الشَّورى عليك غَضَاضةً ... فريشُ الخوافي قُوّةٌ للقوادمِ

وقد كان رسول الله ﷺ يشاور أصحابه في أموره، وأمره الله سبحانه بذلك، فقال: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، وقد قدّمنا في آل عمران كلاماً في الشورى.

﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾؛ أي: ينفقونه في سبيل الخير ويتصدّقون به على المحاويج.

[الانتصار عند البغي فضيلة]:

ثم ذكر سبحانه الطائفة التي تنتصر ممّن ظلمها، فقال: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلْبَغْيُ هُمْ يَنتَصِرُونَ﴾؛ أي: أصابهم بغي مَنْ بغى عليهم بغير الحق، ذكر سبحانه هؤلاء المنتصرين في معرض المدح[٢] كما ذكر المغفرة عند الغضب في معرض المدح؛ لأنّ التذلل لمن بغى ليس مِنْ صفات مَنْ جعل الله له العزة حيث قال: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون: ٨]؛ فالانتصار عند البغي فضيلة كما أن العفو عند الغضب فضيلة.

قال النخعي[٣]: كانوا يكرهون أن يذلوا أنفسهم فيجترئ عليهم السفهاء، ولكن هذا الانتصار مشروط بالاقتصار على ما جعله الله له، وعدم مجاوزته كما بينه سبحانه عقب هذا بقوله: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾، فبيّن سبحانه أن العدل في الانتصار هو: الاقتصار على المساواة، وظاهر هذا العموم.

وقال مقاتل والشافعي وأبو حنيفة وسفيان: إن هذا خاص بالمجروح[٤] ينتقم من الجارح بالقصاص دون غيره.

---

(١) «ديوان بشار بن برد» (٢/٥٠٣).

(٢) «أحكام القرآن» لابن العربي (٤/١٦٥٧).

(٣) ذكره البغوي في «تفسيره» (٧/١٩٧).

(٤) «أحكام القرآن» لابن العربي (٤/١٦٥٧)، و«زاد المسير» (٧/٢٩١).

وقال مجاهد والسدّي: هو جواب[١] القبيح إذا قال: أخزاك الله يقول: أخزاك الله من غير أن يعتدي، وتسمية الجزاء سيئة إما لكونها تسوء من وقعت عليه، أو على طريق المشاكلة[٢] لتشابههما في الصورة.

ثم لما بيّن سبحانه أن جزاء السيئة بمثلها حق جائز؛ بيَّن فضيلة العفو، فقال: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾؛ أي: مَنْ عفا عمَّن ظلمه وأصلح بالعفو بينه وبين ظالمه؛ أي: أن الله سبحانه يأجره على ذلك، وأبهم الأجر تعظيماً لشأنه[٣] وتنبيهاً على جلالته.

قال مقاتل[٤]: فكان العفو من الأعمال الصالحة، وقد بيّنا هذا في سورة آل عمران.

ثم ذكر سبحانه خروج الظلمة عن محبته التي هي سبب الفوز والنجاة، فقال: ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾؛ أي: المبتدئين بالظلم. قال مقاتل[٥]: يعني: من يبدأ بالظلم، وبه قال سعيد بن جبير[٦]. وقيل: لا يحبّ من يتعدّى في الاقتصاص، ويجاوز الحدّ فيه؛ لأن المجاوزة ظلم.

﴿وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِۦ﴾ مصدر مضاف إلى المفعول؛ أي: بعد أن ظلمه الظالم له، واللام هي: لام الابتداء.

وقال ابن عطية[٧]: هي: لام القسم، والأوّل أولى. و«من» هي الشرطية، وجوابه ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ﴾ بمؤاخذة وعقوبة، ويجوز أن تكون (من) هي الموصولة، ودخلت الفاء في جوابها تشبيهاً للموصولة بالشرطية، والأوّل أولى.

ولما نفى سبحانه السبيل على مَنْ انتصر بعد ظلمه بيّن من عليه السبيل، فقال:

---

(١) «معالم التنزيل» (٧/ ١٩٧)، و«النكت والعيون» (٥/ ٢٠٧).

(٢) قال الزمخشري في «الكشاف» (٣/ ٤٧٣): تسميةُ كلتا الفعلتين سيئة؛ لأنها تسوءُ من تنزل به، وفيه رعايةٌ لحقيقة اللفظ، وإشارةٌ إلى أنَّ الانتصار مع كونه محموداً إنّما يُحمد بشرط رعاية المماثلة، وهي عَسيرة، ففي مَساقها حثٌّ على العفو من طريق الاحتياط.

(٣) «روح المعاني» (٢٤/ ٣٠٧)، و«تفسير أبي السعود» (٦/ ٧٣).

(٤) ذكره البغوي في «تفسيره» (٧/ ١٩٨). (٥) ذكره الواحدي في «الوسيط» (٤/ ٥٨).

(٦) «الجامع لأحكام القرآن» (١٨/ ٤٩٢)، و«النكت والعيون» (٥/ ٢٠٧ ـ ٢٠٨).

(٧) في «المحرر الوجيز» (١٤/ ٢٣٠).

﴿إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظۡلِمُونَ ٱلنَّاسَ﴾؛ أي: يتعدّون عليهم ابتداءً، كذا قال الأكثر[١]. وقال ابن جريج[٢]: أي: يظلمونهم بالشرك المخالف لدينهم ﴿وَيَبۡغُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّۚ﴾؛ أي: يعملون في النفوس والأموال بغير الحقّ كذا قال الأكثر[١]. وقال مقاتل[٣]: بغيهم عملهم بالمعاصي، وقيل: يتكبرون ويتجبرون. وقال أبو مالك[٤]: هو ما يرجوه أهل مكة أن يكون بمكة غير الإسلام ديناً، والإشارة بقوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ إلى «الذين يظلمون الناس»، وهو: مبتدأ[٥] وخبره ﴿لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾؛ أي: لهم بهذا السبب عذاب شديد الألم.

ثم رغّب سبحانه في الصبر والعفو، فقال: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ﴾؛ أي: صبر على الأذى، وغفر لمن ظلمه ولم ينتصر، والكلام في هذه اللام، و«من» كالكلام في ﴿وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ﴾ و﴿إِنَّ ذَٰلِكَ﴾ الصبر والمغفرة ﴿لَمِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ﴾؛ أي: أن ذلك منه، فحذف لظهوره[٦] كما في قولهم: السمن منوان بدرهم.

قال مقاتل[٧]: من الأمور التي أمر الله بها. وقال الزجاج[٨]: الصابر يؤتى بصبره ثواباً، فالرغبة في الثواب أتم عزماً. قال ابن زيد[٩]: إن هذا كله منسوخ بالجهاد، وأنه خاصّ بالمشركين.

وقال قتادة[٩]: إنه عام، وهو ظاهر النظم القرآني ﴿وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن وَلِيّٖ مِّنۢ بَعۡدِهِۦۗ﴾ [الشورى: ٤٤]؛ أي: فما له مِنْ أحد يلي هدايته، وينصره، وظاهر الآية العموم.

وقيل: هي خاصة بمن أعرض عن النبي ﷺ، ولم يعمل بما دعاه إليه من الإيمان بالله والعمل بما شرعه والأوّل أولى.

وقد أخرج أحمد، وابن راهويه، وابن منيع، وعبد بن حميد، والحكيم

---

(١) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٨/ ٤٩٣). (٢) «النكت والعيون» (٥/ ٢٠٨ ـ ٢٠٩).
(٣) «النكت والعيون» (٥/ ٢٠٩). (٤) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٨/ ٤٩٣).
(٥) «البحر المحيط» (٩/ ٣٤٥)، و«روح المعاني» (٢٤/ ٣٠٨).
(٦) «روح المعاني» (٢٤/ ٣٠٩).
(٧) ذكره البغوي في «تفسيره» (٧/ ١٩٨)، والواحدي في «الوسيط» (٤/ ٥٩).
(٨) في «معاني القرآن وإعرابه» (٤/ ٤٠٢).
(٩) «الناسخ والمنسوخ» للنحاس (٢/ ٦٢٣)، و«أحكام القرآن» لابن العربي (٤/ ١٦٥٨).

الترمذي، وأبو يعلى، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، والحاكم عن عليّ بن أبي طالب[١] قال: ألا أخبركم بأفضل آية في كتاب الله حدّثنا بها رسـول الله ﷺ: «﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ﴾، وسأفسرها لك يا عليّ: ما أصابكم من مرض أو عقوبة، أو بلاء في الدنيا فبما كسبت أيديكم والله أكرم من أن يثني عليكم العقوبة في الآخرة، وما عفا الله عنه في الدنيا؛ فالله أكرم من أن يعود بعد عفوه».

وأخرج عبد بن حميد، والترمذي عن أبي موسى[٢]، أن رسول الله ﷺ قال: «لا يصيب عبداً نكبةٌ فما فوقها أو دونها إلّا بذنب، وما يعفو الله عنه أكثر وقرأ: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم﴾ الآية».

وأخرج عبد بن حميد، وابن أبي الدنيا في «الكفارات»، وابن أبي حاتم، والحاكم وصححه، والبيهقي في «الشعب» عن عمران بن حصين[٣]: أنه دخل عليه بعض أصحابه، وكان قد ابتلي في جسده، فقال: إنا لنبتئس لك لما نرى فيك، قال: فلا تبتئس لما ترى، فإن ما ترى بذنب وما يعفو الله عنه أكثر، ثم تلا هذه الآية: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ﴾ إلى آخرها.

وأخرج أحمد[٤] عن معاوية بن أبي سفيان: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما من شيء يصيب المؤمن في جسده يؤذيه إلّا كفر الله عنه به من سيئاته».

وأخرج ابن مردويه[٥] عن البراء قال: قال رسول الله ﷺ: «ما عثرة قدم، ولا اختلاج عرق ولا خدش عود إلّا بما قدمت أيديكم وما يعفو الله أكثر».

---

(١) أخرجه أحمد رقم (٦٤٩)، وابن راهويه ـ كما في «المطالب العالية» رقم (٤٠٨٧) ـ وعبد بن حميد رقم (٨٧ ـ منتخب)، والحكيم (٢/ ٣٣)، وأبو يعلى رقم (٤٥٣، ٦٠٨)، وابن أبي حاتم ـ كما في «تفسير ابن كثير» (١٢/ ٢٨١) ـ وابن مردويه ـ كما في «تخريج أحاديث الكشاف» (٣/ ٢٤٢) ـ والحاكم (٢/ ٤٤٥). وهو حديث ضعيف.

(٢) أخرجه الترمذي في «السنن» رقم (٣٢٥٢). وهو حديث ضعيف الإسناد.

(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا رقم (٢٤٩)، وابن أبي حاتم ـ كما في «تفسير ابن كثير» (١٢/ ٢٨٢) ـ والحاكم (٢/ ٤٤٥ ـ ٤٤٦)، والبيهقي في «الشعب» رقم (٩٨١٣، ٩٩٧٣) بسند ضعيف.

(٤) أخرجه أحمد في «مسنده» (٤/ ٩٨).

(٥) أخرجه ابن مردويه كما في «تخريج أحاديث الكشاف» (٣/ ٢٤١).

وأخرج ابن المنذر[١] من طريق عطاء عن ابن عباس في قوله: ﴿فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِۦٓ﴾ قال: يتحرّكن ولا يجرين في البحر.

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم[٢] عنه في قوله: رواكد قال: وقوفاً ﴿أَوْ يُوبِقْهُنَّ﴾ قال: يُهْلكهن.

وأخرج النسائي، وابن ماجه، وابن مردويه عن عائشة[٣]، قالت: «دخلت عليّ زينب، وعندي رسول الله ﷺ، فأقبلت عليّ فسبتني، فردعها النبي ﷺ، فلم تنته، فقال لي: سبيها، فسببتها حتى جفّ ريقها في فمها، ووجه رسول الله ﷺ يتهلل سروراً».

وأخرج أحمد، ومسلم، وأبو داود، والترمذي، وابن مردويه عن أبي هريرة[٤] قال: قال رسول الله ﷺ: «المستبّان ما قالا من شيء، فعلى البادئ حتى يعتدي المظلوم»، ثم قرأ: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾.

وأخرج ابن مردويه[٥] عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا كان يوم القيامة أمر الله منادياً ينادي: ألا ليقم من كان له على الله أجر، فلا يقوم إلّا من عفا في الدنيا» وذلك قوله: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾.

وأخرج البيهقي[٦] عن أنس، عن النبي ﷺ قال: «ينادي منادٍ: من كان له أجر على الله، فليدخل الجنة مرتين، فيقوم من عفا عن أخيه، قال الله: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾».

---

(١) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٣٦٠).

(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/ ٥١٧، ٥١٨)، وابن أبي حاتم كما في «الإتقان» (٢/ ٤٢) بسند صحيح.

(٣) أخرجه النسائي في «السنن الكبرى» رقم (٨٩١٥، ٨٩١٦)، وابن ماجه رقم (١٩٨١)، وابن مردويه ـ كما في «تخريج أحاديث الكشاف» (٣/ ٢٤٥) ـ. وهو حديث صحيح.

(٤) أخرجه أحمد رقم (٧٢٠٥، ١٠٣٢٩، ١٠٧٠٣)، ومسلم رقم (٢٥٨٧)، وأبو داود رقم (٤٨٩٤)، والترمذي رقم (١٩٨١). مع العلم: ليس في هذه المصادر الآية.

(٥) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٣٥٩).

(٦) أخرجه البيهقي في «الشعب» رقم (٨٣١٣) من طريق الحسن، عن أنس ﷺ.

[قضاء الله لا يرد، ومشيئته لا معقب عليها]:

﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن وَلِيٍّ مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ وَتَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ يَقُولُونَ
هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ ﴿٤٤﴾ وَتَرَىٰهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن
طَرْفٍ خَفِيٍّ ۗ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ
أَلَآ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ فِى عَذَابٍ مُّقِيمٍ ﴿٤٥﴾ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنْ أَوْلِيَآءَ يَنصُرُونَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۗ
وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن سَبِيلٍ ﴿٤٦﴾ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِرَبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ
مِنَ ٱللَّهِ ۚ مَا لَكُم مِّن مَّلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ ﴿٤٧﴾ فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ
عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۖ إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَإِنَّآ إِذَآ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا ۖ وَإِن
تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ كَفُورٌ ﴿٤٨﴾ لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ
يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا
وَإِنَٰثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا
وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِىٌّ
حَكِيمٌ ﴿٥١﴾ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ
وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾
صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥٣﴾﴾.

قوله: ﴿وَتَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾؛ أي: المشركين المكذبين بالبعث ﴿لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ﴾؛ أي: حينَ نظروا النّار، وقيل: نظروا ما أعدّه الله لهم عند الموت ﴿يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ﴾؛ أي: هَلْ إلى الرجعة إلى الدنيا من طريق؟ ﴿وَتَرَىٰهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ﴾؛ أي: ساكنين متواضعين عند أَنْ يُعرضوا على النار لما لحقهم من الذلّ والهوان، والضمير في «عليها» راجع إلى العذاب، وأنثه[1]؛ لأن العذاب هو: النار، وقوله: ﴿يُعْرَضُونَ﴾ في محل نصب[2] على الحال؛ لأن الرؤية بصرية، وكذلك خاشعين، و﴿مِنَ ٱلذُّلِّ﴾ يتعلق بـ«خاشعين»؛ أي: من أجله.

(١) «روح المعاني» (٢٤/ ٣١٣).

(٢) «الفريد» (٤/ ٢٤٧)، و«روح المعاني» (٢٤/ ٣١٣).

﴿يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ﴾ «من» هي التي لابتداء الغاية؛ أي: يبتدئ نظرهم إلى النار.

ويجوز أن تكون تبعيضية[(١)]، والطرف الخفيّ الذي يخفى نظره كالمصبور ينظر إلى السيف لما لحقهم من الذلّ والخوف والوجل.

قال مجاهد[(٢)]: ﴿مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ﴾؛ أي: ذليل، قال: وإنما ينظرون بقلوبهم؛ لأنّهم يحشرون عُمياً وعين القلب طرف خفيّ. وقال قتادة[(٣)]، وسعيد بن جبير[(٤)] والسدّي[(٥)] والقرظي[(٦)]: يسارقون النظر من شدّة الخوف.

وقال يونس[(٧)]: إن «من» في ﴿مِن طَرْفٍ﴾ بمعنى الباء؛ أي: ينظرون بطرف ضعيف من الذلّ والخوف، وبه قال الأخفش[(٨)].

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ ٱلْخَـٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾؛ أي: أن الكاملين في الخسران هم: هؤلاء الذين جمعوا بين خسران الأنفس[(٩)]، والأهلين في يوم القيامة. أما خسرانهم لأنفسهم فلكونهم صاروا في النار معذّبين بها، وأما خسرانهم لأهليهم: فلأنّهم إنْ كانوا معهم في النار فلا ينتفعون بهم، وإن كانوا في الجنة، فقد حيل بينهم وبينهم، وقيل: خسران الأهل: أنهم لو آمنوا لكان لهم في الجنة أهل مِنْ الحور العين.

﴿أَلَآ إِنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ فِى عَذَابٍ مُّقِيمٍ﴾ هذا يجوز [٤/٤٧] أن يكون من تمام كلام المؤمنين.

ويجوز أن يكون من كلام الله سبحانه؛ أي: هم في عذاب دائم لا ينقطع.

﴿وَمَا كَانَ لَهُم مِّنْ أَوْلِيَآءَ يَنصُرُونَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: لم يكن لهم أعوان

---

(١) «روح المعاني» (٢٤/ ٣١٣)، و«تفسير أبي السعود» (٦/ ٧٣).
(٢) ذكره النحاس في «معاني القرآن» (٦/ ٣٢٣).
(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/ ٥٣٣) بسند صحيح.
(٤) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٨/ ٤٩٨).
(٥) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/ ٥٣٣) بسند حسن.
(٦) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٨/ ٤٩٨).
(٧) ذكره الأخفش في «معاني القرآن» (٢/ ٦٨٧).
(٨) في «معاني القرآن» للأخفش (٢/ ٦٨٧).
(٩) «المحرر الوجيز» (١٤/ ٢٣٣)، و«جامع البيان» (٢٠/ ٥٣٤).

يدفعون عنهم العذاب، وأنصار ينصرونهم في ذلك الموطن من دون الله، بل هو المتصرّف سبحانه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن.

﴿وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن سَبِيلٍ﴾؛ أي: من طريق يسلكها إلى النجاة.

ثم أمر سبحانه عباده بالاستجابة له وحذّرهم، فقال: ﴿ٱسۡتَجِيبُواْ لِرَبِّكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِۚ﴾؛ أي: استجيبوا دعوته لكم إلى الإيمان[1] به، وبكتبه، ورسله من قبل أن يأتي يوم لا يَقْدر أحد على ردّه ودفعه، على معنى: من قبل أن يأتي من الله يوم لا يردّه أحد، أو لا يردّه الله بعد أن حكم به على عباده ووعدهم به.

والمراد به: يوم القيامة أو يوم الموت.

﴿مَا لَكُم مِّن مَّلۡجَإٖ يَوۡمَئِذٖ﴾ تلجئون إليه، ﴿وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٖ﴾؛ أي: إنكار، والمعنى: ما لكم من إنكار يومئذٍ بل تعترفون بذنوبكم.

وقال مجاهد[2]: ﴿وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٖ﴾؛ أي: ناصر ينصركم، وقيل: النكير بمعنى: المُنِكْر، كالأليم بمعنى: المؤلم؛ أي: لا تجدون يومئذٍ منكراً لما ينزل بكم من العذاب، قاله الكلبي[3] وغيره، والأوّل أولى.

قال الزجاج[4]: معناه: أنهم لا يقدرون أن ينكروا الذنوب التي يوقفون عليها.

﴿فَإِنۡ أَعۡرَضُواْ فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظًاۖ﴾؛ أي: حافظاً تحفظ أعمالهم حتى تحاسبهم عليها ولا موكلاً بهم رقيباً عليهم ﴿إِنۡ عَلَيۡكَ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُۗ﴾؛ أي: ما عليك إلّا البلاغ لما أمرت بإبلاغه وليس عليك غير ذلك، وهذا منسوخ[5] بآية السيف.

﴿وَإِنَّآ إِذَآ أَذَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِنَّا رَحۡمَةٗ فَرِحَ بِهَاۖ﴾؛ أي: إذا أعطيناه رخاء، وصحةً وغنى فرح بها بطراً.

والمراد بالإنسان[6]: الجنس، ولهذا قال: ﴿وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةُۢ﴾؛ أي: بلاء، وشدّة ومرض ﴿بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡ﴾ مِنْ الذنوب ﴿فَإِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ كَفُورٞ﴾؛ أي: كثير

---

(١) «الجامع لأحكام القرآن» (١٨/ ٥٠٠).
(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/ ٥٣٥) بسند صحيح.
(٣) «النكت والعيون» (٥/ ٢١٠). (٤) في «معاني القرآن وإعرابه» (٤/ ٤٠٢).
(٥) «زاد المسير» (٧/ ٢٩٥).
(٦) «معاني القرآن» للنحاس (٦/ ٣٢٧).

الكفر لما أنعم به عليه من نعمه غير شكور له عليها، وهذا باعتبار غالب جنس الإنسان.

ثم ذكر سبحانه سعة ملكه ونفاذ تصرّفه، فقال: ﴿لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾؛ أي: له التصرّف فيهما بما يريد، لا مانع لما أعطى ولا مُعطي لما منع ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ﴾ من الخلق ﴿يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ﴾. قال مجاهد(١)، والحسن(٢)، والضحاك(٣)، وأبو مالك(٤)، [وأبو(٥) عبيدة](٦): يهب لمن يشاء إناثاً لا ذكور معهنّ، ويهب لمن يشاء ذكوراً لا إناث معهم.

قيل: وتعريف الذكور بالألف، واللام للدّلالة على شرفهم على الإناث، ويمكن أنْ يقال: إن التقديم(٧) للإناث قد عارض ذلك، فلا دلالة في الآية على المفاضلة بل هي مسوقة لمعنى آخر.

وقد دلّ على شرف الذكور قوله سبحانه: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ﴾ [النساء: ٣٤]، وغير ذلك من الأدلة الدّالة على شرف الذكور على الإناث، وقيل: تقديم الإناث(٨) لكثرتهنّ بالنسبة إلى الذكور، وقيل: لتطييب قلوب آبائهنّ، وقيل: لغير ذلك مما لا حاجة إلى التطويل بذكره.

﴿أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا﴾؛ أي: يَقْرن بين الإناث، والذكور، ويجعلهم أزواجاً فيهبهما جميعاً لبعض خلقه.

قال مجاهد(٩): هو أن تلد المرأةُ غلاماً، ثم تلد جارية، ثم تلد غلاماً، ثم تلد جارية.

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/ ٥٣٨) بسند صحيح.
(٢) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٨/ ٥٠١).
(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/ ٥٣٩) بسند حسن.
(٤) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٨/ ٥٠١).
(٥) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/ ٥٣٧) بسند صحيح من طريق محمد بن سيرين، عن عبيدة.
(٦) كذا في المخطوط. وصوابه (عبيدة السلماني) كما في مصادر التخريج.
(٧) «روح المعاني» (٢٤/ ٣١٩ ـ ٣٢٠).
(٨) «روح المعاني» (٢٤/ ٣٢٠).
(٩) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/ ٥٣٨) بسند صحيح.

وقال محمد ابن الحنفية[١]: هو: أَنْ تلد توأماً غلاماً، وجارية.

وقال القتيبي[٢]: التزويج هنا هو: الجمع بين البنين، والبنات تقول العرب: زوّجت إبلي: إذا جمعت بين الصغار والكبار.

ومعنى الآية أوضح من أن يختلف في مثله، فإنه سبحانه أخبر أنه يهب لبعض خلقه إناثاً، ويهب لبعضٍ ذكوراً، ويجمع لبعض بين الذكور والإناث.

﴿وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًاۚ﴾ لا يولد له ذكر ولا أنثى، والعقيم: الذي لا يولد له، يقال: رجل عقيم[٣]، وامرأة عقيم، وعَقِمَت المرأة تَعْقَم عَقْماً، وأصله: القطع، ويقال: نساء عقم. ومنه قول الشاعر[٤]:

عَقِم النِّساءُ فما يلدن شَبيهَه ... إنَّ النِّساء بمثله عُقْمُ

﴿إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾؛ أي: بليغ العلم عظيم القدرة.

[مراتب كلام الله للبشر على ثلاث كيفيات]:

﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا﴾؛ أي: ما صح لفرد من أفراد البشر أن يكلمه الله بوجه من الوجوه إلّا بأن يوحي إليه، فيلهمه، ويقذف ذلك في قلبه.

قال مجاهد[٥]: نفث ينفث في قلبه، فيكون إلهاماً منه كما أوحى إلى أمّ موسى، وإلى إبراهيم في ذبح ولده.

﴿أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ﴾ كما كلّم موسى يريد: أن كلامه يسمع من حيثُ لا يرى، وهو: تمثيل بحال الملك المحتجب الذي يكلم خواصه من وراء حجاب.

﴿أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُۚ﴾؛ أي: يرسل ملكاً فيوحي ذلك الملك إلى الرّسول من البشر بأمر الله وتيسيره ما يشاء أن يوحى إليه.

قال الزجاج[٦]: المعنى: أن كلام الله للبشر: إما أن يكون بإلهام يلهمهم، أو يكلمهم من وراء حجاب كما كلم موسى، أو برسالة ملك إليهم. وتقدير الكلام: ما كان

---

(١) «النكت والعيون» (٥/ ٢١١).

(٢) في «غريب القرآن» (ص٢٩٤).

(٣) «الصحاح» (٥/ ١٩٨٨ ـ ١٩٨٩).

(٤) هو: أبو دَهْبل الجُمحي. «شرح الحماسة البصرية» للمرزوقي (٤/ ١٦٠٥).

(٥) «النكت والعيون» (٥/ ٢١٢).

(٦) في «معاني القرآن وإعرابه» (٤/ ٤٠٣).

لبشر أن يكلمه الله إلّا أن يوحي وحياً، أو يكلمه من وراء حجاب، أو يرسل رسولاً.

ومن قرأ[١]: «يرسلُ» رفعاً أراد، وهو يرسل، فهو ابتداء، واستئناف. اهـ.

قرأ الجمهور[٢] بنصب: ﴿أَوْ يُرْسِلَ﴾، وبنصب: ﴿فَيُوحِيَ﴾ على تقدير أن، وتكون أن، وما دخلت عليه معطوفين على وحياً، و﴿وَحْيًا﴾ في محلّ الحال، والتقدير: إلّا موحياً أو مرسلاً، ولا يصح عطف (أو يرسل) على أن يوحي لأنّه يصير التقدير: وما كان لبشرٍ أَنْ يرسل الله رسولاً، وهو فاسد لفظاً، ومعنى.

وقد قيل: في توجيه قراءة الجمهور غير هذا مما لا يخلو عن ضعف. وقرأ نافع[٣]: «أو يرسلُ» بالرفع، وكذلك: «فيوحْي» بإسكان الياء على أنه خبر مبتدأ محذوف، والتقدير: أو هو يرسل كما قال الزجاج[٤]، وغيره.

وجملة: ﴿إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾ تعليل لما قبلها؛ أي: متعالٍ عن صفات النقص، حكيم في كل أحكامه.

قال المفسِّرون[٥]: سبب نزول هذه الآية: أن اليهود قالوا للنبي ﷺ: ألا تكلم الله وتنظر إليه إن كنت نبيّاً كما كلمه موسى، فنزلت: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾؛ أي: وكالوحي الذي أوحينا إلى الأنبياء قبلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا.

المراد به: القرآن، وقيل: النبوّة. قال مقاتل[٦]: يعني: الوحي بأمرنا، ومعناه: القرآن؛ لأنه يهتدى به، ففيه حياة مِنْ موت الكفر.

ثم ذكر سبحانه صفة رسوله قبل أَنْ يوحى إليه، فقال: ﴿مَا كُنتَ تَدْرِي مَا ٱلْكِتَٰبُ﴾؛ أي: أيّ شيء هو؛ لأنه ﷺ كان أميّاً لا يقرأ، ولا يكتب، وذلك أدخل في الإعجاز، وأدلّ على صحة نبوّته.

---

(١) «الكشف عن وجوه القراءات» (٢/ ٢٥٣)، و«زاد المسير» (٧/ ٢٩٧)، و«جامع البيان» (٢٠/ ٥٤١)، و«التبيان» (٢/ ١١٣٦). القراءة بنصب (يرسل) و(رفعها) متواترتان.

(٢) انظر: المصادر المتقدمة.

(٣) «التيسير» (ص١٩٥).

(٤) في «معاني القرآن وإعرابه» (٤/ ٤٠٣).

(٥) «الوسيط» للواحدي (٤/ ٥٤١)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٨/ ٥٠٨).

(٦) ذكره الواحدي في «الوسيط» (٤/ ٦١).

ومعنى: ﴿وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ﴾: أنه كان ﷺ لا يعرف تفاصيل الشرائع، ولا يهتدي إلى معالمها، وخص الإيمان؛ لأنّه رأسها وأساسها، وقيل: أراد بالإيمان هنا: الصلاة. قال بهذا: جماعة من أهل العلم منهم: إمام الأئمة محمد بن إسحاق بن خزيمة[١]، واحتجّ بقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ﴾ [البقرة: ١٤٣]؛ يعني: الصلاة، فسمَّاها إيماناً.

وذهب جماعة إلى أن الله سبحانه لم يبعث نبيّاً إلّا وقد كان مؤمناً به، وقالوا: معنى الآية: ما كنت تدري قبل الوحي كيف تقرأ القرآن، ولا كيف تدعو الخلق إلى الإيمان؟

وقيل: كان هذا قبل البلوغ حين كان طفلاً، وفي المهد. وقال الحسين بن الفضل[٢]: إنه على حذف مضاف؛ أي: ولا أهل الإيمان، وقيل: المراد بالإيمان: دين الإسلام، وقيل: الإيمان هنا: عبارة عن الإقرار بكل ما كلف الله به العباد.

﴿وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ﴾؛ أي: ولكن جعلنا الروح الذي أوحيناه إليك ضياءً، ودليلاً على التوحيد والإيمان نهدي به من نشاء هدايته ﴿مِنْ عِبَادِنَا﴾ ونرشده إلى الدين الحقّ ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ قال قتادة[٣]، والسدّي، ومقاتل: وإنك لتدعو إلى الإسلام فهو الصراط المستقيم. قرأ الجمهور[٤]: «لتهدي» على البناء للفاعل.

وقرأ ابن حوشب[٥] على البناء للمفعول. وقرأ ابن السميفع بضمّ التاء[٦]، وكسر الدّال من أهدي، وفي قراءة أبيّ[٧]: «وإنّك لتدعو». ثم بيّن الصراط المستقيم بقوله: ﴿صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾، وفي هذه الإضافة للصراط إلى الاسم الشريف من التعظيم له، والتفخيم لشأنه ما لا يخفى.

---

(١) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٨/ ٥١٤).
(٢) «النكت والعيون» (٥/ ٢١٢ ـ ٢١٣)، و«الوسيط» (٤/ ٦١).
(٣) ذكره عنهم الواحدي في «الوسيط» (٤/ ٦٢). المتواترة قراءة الجمهور وما عداه شاذ.
(٤) «البحر المحيط» (٩/ ٣٥٢)، و«روح المعاني» (٢٤/ ٣٣٢).
(٥) «القراءات الشاذة» (ص١٣٤).
(٦) «البحر المحيط» (٩/ ٣٥٢)، و«روح المعاني» (٢٤/ ٣٣٢).
(٧) «القراءات الشاذة» (ص١٣٤).

ومعنى: ﴿لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۗ﴾: أنه المالك لذلك، والمتصرّف فيه ﴿أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ﴾؛ أي: تصير إليه يوم القيامة لا إلى غيره جميع أمور الخلائق وفيه وعيد بالبعث المستلزم للمجازاة.

وقد أخرج ابن جرير عن ابن عباس[1] في قوله: ﴿يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّۗ﴾ قال: ذليل.

وأخرج عبد بن حميد، وابن جرير عن مجاهد[2] مثله.

وأخرج سعيد بن منصور، وعبد بن حميد، وابن المنذر عن محمد بن كعب[3] قال: يسارقون النظر إلى النار.

وأخرج ابن مردويه، وابن عساكر عن واثلة بن الأسقع[4]، عن النبي ﷺ قال: «من بركة المرأة ابتكارها بالأنثى؛ لأن الله قال: ﴿يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ﴾».

وأخرج ابن المنذر[5] عن ابن عباس في قوله: ﴿وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًاۚ﴾ قال: الذي لا يولد له.

وأخرج ابن أبي حاتم[6] عنه في قوله: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا﴾ قال: إلّا أن يبعث ملكاً يوحي إليه من عنده أو يلهمه، فيقذف في قلبه أو يكلمه من وراء حجاب.

وأخرج ابن المنذر، وابن أبي حاتم[7] عنه أيضاً في قوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَاۚ﴾ قال: القرآن.

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/ ٥٣٢) بسند ضعيف.
(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/ ٥٣٢) بسند صحيح.
(٣) عزاه إليهم السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٣٦١).
(٤) أخرجه ابن عساكر في «تاريخه» (٤٧/ ٢٢٥).
قال الألباني: موضوع. «السلسلة الضعيفة» رقم (٤٥١٩).
(٥) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٣٦٣).
وأخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/ ٥٣٩).
(٦) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٣٦٤).
(٧) عزاه إليهما السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٣٦٤).

وأخرج أبو نعيم في «الدلائل»، وابن عساكر عن عليّ[(١)] قال: «قيل لمحمد ﷺ: هل عبدت وثناً قط؟ قال: لا، قالوا: فهل شربت خمراً قط؟ قال: لا، وما زلت أعرف أن الذي هم عليه كفر، وما كنت أدري ما الكتاب ولا الإيمان، وبذلك نزل القرآن ﴿مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ﴾».

۞ ۞ ۞

(١) عزاه إليهما السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٣٦٤).

سُورَةُ الزُّخْرُفِ

هي تسع وثمانون آية. قال القرطبي[١]: هي: مكيَّة بالإجماع.

وأخرج ابن مردويه[٢] عن ابن عباس قال: نزلت سورة حمٓ الزخرف بمكة.

قال مقاتل[٣]: إلّا قوله: ﴿وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ﴾ [الزخرف: ٤٥]؛ يعني: فإنها نزلت بالمدينة.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿حمٓ ﴿١﴾ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٣﴾ وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴿٤﴾ أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكْرَ صَفْحًا أَن كُنتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ ﴿٥﴾ وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِن نَّبِىٍّ فِى ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦﴾ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن نَّبِىٍّ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٧﴾ فَأَهْلَكْنَآ أَشَدَّ مِنْهُم بَطْشًا وَمَضَىٰ مَثَلُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٨﴾﴾.

[من نعم الله علينا]:

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٩﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠﴾ وَٱلَّذِى نَزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١١﴾ وَٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْفُلْكِ وَٱلْأَنْعَٰمِ مَا تَرْكَبُونَ ﴿١٢﴾ لِتَسْتَوُۥا۟ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ثُمَّ تَذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا ٱسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا۟ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ﴿١٤﴾ وَجَعَلُوا۟ لَهُۥ مِنْ عِبَادِهِۦ جُزْءًا ۚ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ أَمِ ٱتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَىٰكُم بِٱلْبَنِينَ ﴿١٦﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَٰنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ

---

(١) في «تفسيره» (١٩/ ٥).

(٢) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٣٦٥).

(٣) ذكره البغوي في «تفسيره» (٧/ ٢٠٥)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٧/ ٣٠١).

كَظِيمٌ ﴿١٧﴾ أَوَمَن يُنَشَّؤُا فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴿١٨﴾ وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَٰنِ إِنَاثًا ۚ أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ ۚ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ ﴿١٩﴾ وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَاهُم ۗ مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٢٠﴾﴾.

قوله: ﴿حمٓ ﴿١﴾ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ الكلام ها هنا في الإعراب كالكلام الذي قدّمناه في ﴿يسٓ ﴿١﴾ وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ﴾ [يس: ١، ٢]، فإن جعلت حمٓ قسماً كانت الواو عاطفة، وإن لم تجعل قسماً، فالواو للقسم، وجواب القسم: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ﴾.

وقال ابن الأنباري[١]: من جعل جواب والكتاب حمٓ كما تقول: نزلَ والله، وجب والله وقف على «الكتاب المبين»، ومعنى «جعلنّاه»؛ أي: سمّيناه ووصفناه، ولذلك تعدّى إلى مفعولين.

وقال السدّي[٢]: المعنى: أنزلناه ﴿قُرْآنًا﴾. وقال مجاهد[٣]: قلناه. وقال سفيان الثوري[٤]: بيّناه ﴿عَرَبِيًّا﴾، وكذا قال الزجاج[٥]؛ أي: أنزل بلسان العرب؛ لأن كلّ نبي أنزل كتابه بلسان قومه.

وقال مقاتل[٦]: لأن لسان أهل الجنة عربيّ.

﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾؛ أي: جعلنا ذلك الكتاب قرآناً عربيّاً لكي تفهموه وتتعقلوا معانيه، وتحيطوا بما فيه.

قال ابن زيد[٧]: لعلكم تتفكرون ﴿وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ﴾؛ أي: وإن القرآن في اللوح المحفوظ ﴿لَدَيْنَا﴾؛ أي: عندنا ﴿لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾ رفيع القَدْر، محكم النظم لا يوجد فيه اختلاف ولا تناقض، والجملة عطف على الجملة المقسم بها داخلة تحت معنى القسم، أو مستأنفة مقرّرة لما قبلها.

قال الزجاج[٨]: أمّ الكتاب: أصلُ الكتاب، وأصل كلّ شيء أمه، والقرآن

---

(١) في «إيضاح الوقف والابتداء» (٢/ ٨٨٣).
(٢) «النكت والعيون» (٥/ ٢١٥).
(٣) «الجامع لأحكام القرآن» (١٩/ ٥)، و«النكت والعيون» (٥/ ٢١٥).
(٤) «النكت والعيون» (٥/ ٢١٥).
(٥) في «معاني القرآن وإعرابه» (٤/ ٤٠٥).
(٦) ذكره الماوردي في «تفسيره» (٥/ ٢١٥) بلفظ: لسان أهل السماء عربي.
(٧) «النكت والعيون» (٥/ ٢١٥).
(٨) في «معاني القرآن وإعرابه» (٤/ ٤٠٥).

مثبت عند الله في اللوح المحفوظ كما قال: ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ۝٢١ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ﴾ [البروج: ٢١، ٢٢].

وقال ابن جريج[١]: المراد بقوله: ﴿وَإِنَّهُۥ﴾ أعمال الخلق: من إيمان وكفر وطاعة ومعصية.

قال قتادة[٢]: أخبر عن منزلته وشرفه وفضله؛ أي: إنْ كذّبتم به يا أهل مكة، فإنّه عندنا شريف رفيع محكم من الباطل.

﴿أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكْرَ صَفْحًا﴾ يقال: ضربت عنه، وأضربت عنه: إذا تركته، وأمسكت عنه، كذا قال الفراء[٣] والزجاج[٤] وغيرهما، وانتصاب[٥] «صفحاً» على المصدرية.

وقيل: على الحال[٦] على معنى: أفنضرب عنكم الذكر صافحين.

والصفح مصدر قولهم: صفحتُ عنه: إذا أعرضت عنه، وذلك أنك توليه صفحة وجهك وعنقك.

والمراد بالذكر هنا: القرآن، والاستفهام للإنكار[٧] والتوبيخ.

قال الكسائي[٨]: المعنى: أفنضرب عنكم الذكر طيّاً فلا تُوعظون ولا تؤمرون؟ وقال مجاهد[٩]، وأبو صالح[١٠] والسدّي[١١]: أفنضرب عنكم العذاب، ولا نعاقبكم على إسرافكم وكفركم؟

وقال قتادة[١٢]: المعنى: أفنهلككم، ولا نأمركم ولا ننهاكم؟ وروي عنه: أنّه

(١) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٩/ ٦).

(٢) ذكره الواحدي في «الوسيط» (٤/ ٦٤).

(٣) في «معاني القرآن» (٣/ ٢٧).

(٤) في «معاني القرآن وإعرابه» (٤/ ٤٠٥).

(٥) «التبيان» (٢/ ١١٣٧)، و«الفريد» (٤/ ٢٥٢)، و«مشكل إعراب القرآن» (٢/ ٢٨١).

(٦) انظر: المصادر المتقدمة.

(٧) «روح المعاني» (٢٤/ ٣٤٢)، و«تفسير أبي السعود» (٦/ ٧٩).

(٨) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٩/ ٧).

(٩) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/ ٥٤٨) بسند صحيح.

(١٠) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/ ٥٤٨) من طريق سفيان، به.

(١١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/ ٥٤٨) بسند حسن.

(١٢) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٩/ ٧).

قال[1]: المعنى: أفنمسك عن إنزال القرآن من قِبَل أنكم لا تؤمنون به؟ وقيل: الذكر التذكير، كأنه قال: أنترك تذكيركم.

﴿أَن كُنتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ﴾، قرأ نافع وحمزة والكسائي: «إِنْ كنتم» بكسر[2] «إنّ» على أنها الشرطية، والجزاء محذوف لدلالة ما قبله عليه.

وقرأ الباقون[3] بفتحها على التعليل؛ أي: لأن كنتم قوماً منهمكين في الإسراف، مصرّين عليه. واختار أبو عبُيد[4] قراءة الفتح.

ثم سلَّى سبحانه رسوله ﷺ، فقال: ﴿وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِن نَّبِيٍّ فِي ٱلْأَوَّلِينَ﴾ كم هي: الخبرية التي معناها: التكثير، والمعنى: ما أكثر ما أرسلنا من الأنبياء في الأمم السابقة ﴿وَمَا يَأْتِيهِم مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ كاستهزاء قومك بك ﴿فَأَهْلَكْنَآ أَشَدَّ مِنْهُم بَطْشًا﴾؛ أي: أهلكنا قوماً أشدّ قوّةً من هؤلاء القوم وانتصاب «بطشاً» على التمييز[5] أو الحال؛ أي: باطشين ﴿وَمَضَىٰ مَثَلُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾؛ أي: سلف في القرآن ذكرهم غير مرة.

وقال قتادة[6]: عقوبتهم، وقيل: صفتهم، والمَثَل: الوصف والخبر. وفي هذا تهديد شديد؛ لأنه يتضمن أن الأوّلين أُهلكوا بتكذيب الرسل، وهؤلاء إن استمروا على تكذيبك والكفر بما جئتَ به هلكوا مثلهم.

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ﴾؛ أي: لئن سألتَ هؤلاء الكفار مِنْ قومك مَنْ خلق هذه الأجرام العِلْوية والسفلية؟ أقرّوا بأنّ الله خالقهنّ ولم ينكروا، وذلك أسوأ لحالهم وأشدّ لعقوبتهم؛ لأنهم عبدوا بعض مخلوقات الله، وجعلوه شريكاً له، بل عمدوا إلى ما لا يسمع ولا يبصر ولا ينفع ولا يضرّ من المخلوقات وهي الأصنام فجعلوها شركاء لله.

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/ ٥٤٩) بسند صحيح.

(٢) «النشر» (٢/ ٣٦٨)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (٢/ ٢٥٥)، و«جامع البيان» (٢٠/ ٥٥٠ ـ ٥٥١)، و«التيسير» (ص١٩٥).

(٣) انظر: المصادر المتقدمة.

(٤) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٩/ ٨).

(٥) «مشكل إعراب القرآن» (٢/ ٢٨١)، و«التبيان» (٢/ ١١٣٧).

(٦) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/ ٥٥٣) بسند صحيح.

ثم وصف سبحانه نفسه بما يدلّ على عظيم نعمته على عباده، وكمال قدرته في مخلوقاته فقال: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا﴾ وهذا كلام مبتدأ غير متصل بما قبله، ولو كان متصلاً بما قبله من جملة مقول الكفار لقالوا: الذي جعل لنا الأرض مهاداً، والمهاد: الفراش والبساط، وقد تقدّم بيانه.

قرأ الجمهور[(١)]: «مهاداً» وقرأ الكوفيون[(٢)] «مَهْداً».

﴿وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا﴾؛ أي: طُرقاً تسلكونها إلى حيث تريدون، وقيل: معايش تعيشون بها ﴿لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ بسلوكها إلى مقاصدكم ومنافعكم[(٣)].

﴿وَٱلَّذِى نَزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ﴾؛ أي: بقدر الحاجة وحسبما تقتضيه المصلحة، ولم ينزل عليكم منه فوق حاجتكم حتى يهلك زرائعكم، ويهدم منازلكم ويهلككم بالغرق، ولا دونها حتى تحتاجوا إلى الزيادة، وعلى حسب ما تقتضيه مشيئته في أرزاق عباده بالتوسيع تارة والتقتير أخرى.

﴿فَأَنشَرْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا﴾؛ أي: أحيينا بذلك الماء بلدةً مقفرة من النبات.

قرأ الجمهور[(٤)]: «مَيْتاً» بالتخفيف. وقرأ عيسى وأبو جعفر بالتشديد[(٥)].

﴿كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ﴾ من قبوركم؛ أي: مثل ذلك الإحياء للأرض بإخراج نباتها بعد أَنْ كانت لا نبات بها تُبعثون من قبوركم أحياء، فإنّ من قدر على هذا قدر على ذلك، وقد مضى بيان هذا في آل عمران والأعراف.

قرأ الجمهور[(٦)]: «تُخْرَجون» مبنيّاً للمفعول، وقرأ الأعمش، ويحيى بن وثّاب وحمزة والكسائي، وابن ذكوان عن ابن عامر مبنيّاً للفاعل[(٧)].

﴿وَٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا﴾ المراد بالأزواج هنا: الأصْناف، قال سعيد بن

---

(١) «النشر» (٢/ ٣٢٠)، و«التيسير» (ص١٥١)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (٢/ ٩٧).
(٢) انظر: المصادر المتقدمة.
(٣) «جامع البيان» (٢٠/ ٣٥٤ ـ ٣٥٥)، و«زاد المسير» (٧/ ٣٠٤)، و«الوسيط» (٤/ ٦٥).
(٤) «البحر المحيط» (٩/ ٣٦١)، و«النشر» (٣٢٠)، و«التيسير» (ص١٥١).
(٥) «روح المعاني» (٢٤/ ٣٤٦)، و«المحتسب» (٢/ ٢٥٣)، و«البحر المحيط» (٩/ ٣٦١).
(٦) «النشر» (٢/ ٢٦٧ ـ ٢٦٨)، و«زاد المسير» (٧/ ٣٠٤)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (١/ ٤٦٠).
(٧) انظر: المصادر المتقدمة.

جبير[١]: الأصناف كلها. وقال الحسن[٢]: الشتاء والصيف، والليل والنهار، والسمٰوات والأرض، والجنة والنار. وقيل: أزواج الحيوان من ذكر وأنثى، وقيل: أزواج النبات؛ كقوله: ﴿وَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجِۢ بَهِيجٖ﴾ [قٓ: ٧] و: ﴿مِن كُلِّ زَوۡجٖ كَرِيمٍ﴾ [الشعراء: ٧، ولقمان: ١٠] وقيل: ما يتقلب فيه الإنسان من خير وشرّ، وإيمان وكفر، والأوّل أولى.

﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلۡفُلۡكِ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ مَا تَرۡكَبُونَ﴾ في البحر والبرّ؛ أي: ما تركبونه ﴿لِتَسۡتَوُۥاْ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ﴾ الضمير راجع إلى «ما» قاله أبو عبيد[٣].

وقال الفراء[٤]: أضاف الظهور إلى واحد؛ لأن المراد به: الجنس، فصار الواحد في معنى الجمع بمنزلة الجنس فلذلك ذُكِّر، وجمع الظهر لأن المراد: ظهور هذا الجنس، والاستواء: الاستعلاء؛ أي: لتستعلوا على ظهور ما تركبون من الفُلْك والأنعام.

﴿ثُمَّ تَذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ رَبِّكُمۡ إِذَا ٱسۡتَوَيۡتُمۡ عَلَيۡهِ﴾؛ أي: هذه النعمة التي أنعم بها عليكم مِنْ تسخير ذلك المركب في البحر والبرّ.

وقال مقاتل[٥] والكلبي[٥]: هو أَنْ يقول: الحمد لله الذي رزقني هذا وحملني عليه ﴿وَتَقُولُواْ سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا﴾؛ أي: ذلَّل لنا هذا المركب.

وقرأ عليّ بن أبي طالب[٦]: «سبحان مَنْ سخر لنا هٰذا».

قال قتادة[٧]: قد علمكم كيف تقولون إذا ركبتم، ومعنى ﴿وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقۡرِنِينَ﴾: ما كنا له مطيقين، يقال: أقرن هذا البعير: إذا أطاقه.

وقال الأخفش[٨] وأبو عبيدة[٩]: مقرنين ضابطين، وقيل: مماثلين له في القوّة،

---

(١) «النكت والعيون» (٥/ ٢١٧).
(٢) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٩/ ١١).
(٣) ذكره أبو عبيدة في «مجاز القرآن» (٢/ ٣٠٢).
(٤) في «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٨).
(٥) ذكره الواحدي في «الوسيط» (٤/ ٦٥)، والماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٢١٨).
(٦) «الجامع لأحكام القرآن» (١٩/ ١٢)، و«روح المعاني» (٢٤/ ٣٤٩)، و«حاشية الجمل» (٤/ ٧٩). وهي قراءة شاذة مخالفة للرسم.
(٧) ذكره الواحدي في «الوسيط» (٤/ ٦٥).
(٨) «النكت والعيون» (٥/ ٢١٩).
(٩) في «مجاز القرآن» (٢/ ٢٠٢).

من قولهم هو: قِرْن فلان إذا كان مثله في القوّة، وأنشد قُطرب[١] قول عمرو بن معديكرب[٢]:

لَقَدْ عَلِم القبائلُ ما عُقيلٌ   لنا في النَّائبات بمقْرنينا

وقال آخر:

رَكِبْتمُ صَعْبتي أَشَراً وجُبناً   ولستُم للصِّعاب بمُقْرنينا[٣]

والمراد بالأنعام هنا: الإبل خاصة، وقيل: الإبل والبقر، والأوّل أولى ﴿وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ﴾؛ أي: راجعون إليه، وهذا تمام ما يقال عنْد ركوب الدابة أو السفينة.

ثم رجع سبحانه إلى ذكر الكفار الذين تقدّم ذكرهم، فقال: ﴿وَجَعَلُواْ لَهُۥ مِنْ عِبَادِهِۦ جُزْءًاۚ﴾ قال قتادة[٤]: أي: عِدلاً؛ يعني: ما عُبد من دون الله.

وقال الزجاج[٥] والمبرد[٦]: الجزء هنا: البنات، والجزء عند أهل العربية: البنات، يقال: قد أجزأت المرأة: إذا ولدت البنات، ومنه قول الشاعر:

إنْ أجزأتْ حُرّةٌ يَوْماً فلا عَجَبٌ   قد تُجزئ الحُرّة المِذْكَارُ أَحْيَاناً[٧]

وقد جعل صاحب الكشاف[٨] تفسير الجزء بالبنات مِنْ بدع التفسير، وصرح بأنَّه مكذوب على العرب. ويجاب عنه بأنّه قد رواه الزجّاج[٥] والمبرد[٦]، وهما إماما اللغة العربية وحافظاها ومَنْ إليهما المنتهى في معرفتها.

ويؤيد تفسير الجزء بالبنات ما سيأتي مِنْ قوله: ﴿أَمِ ٱتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ﴾ وقوله: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَٰنِ﴾ وقوله: ﴿وَجَعَلُواْ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًاۚ﴾ وقيل: المراد بالجزء هنا: الملائكة فإنهم جعلوهم أولاداً لله سبحانه قاله مجاهد والحسن.

---

(١) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٩/ ١٣).
(٢) ذكره الماوردي في «النكت» (٥/ ٢١٩).
(٣) البيت للكميت بن زيد الأسدي. وهو في «ديوانه» (ص٤٦٢).
(٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/ ٥٦١)، وعبد الرزاق في «تفسيره» (٢/ ١٩٥) بسند صحيح.
(٥) في «معاني القرآن وإعرابه» (٤/ ٤٠٦).
(٦) «إعراب القرآن» للنحاس (٤/ ١٠١)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٩/ ١٦).
(٧) انظر: «مجالس ثعلب» (ص١٤٥).
(٨) أي: الزمخشري في «الكشاف» (٥/ ٤٣٠).

قال الأزهري(١): ومعنى الآية: أنهم جعلوا لله من عباده نصيباً على معنى: أنَّهم جعلوا نصيب الله مِنْ الولدان.

﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ﴾؛ أي: ظاهر الكفران مُبالغ فيه، قيل: المراد بالإنسان هنا: الكافر، فإنّه الذي يجحد نعم الله عليه جحوداً بيِّناً.

ثم أنكر عليهم هذا فقال: ﴿أَمِ ٱتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ﴾ وهذا استفهام تقريع(٢) وتوبيخ. وأم هي(٣): المنقطعة، والمعنى: أتخذ ربكم لنفسه البنات ﴿وَأَصْفَىٰكُم بِٱلْبَنِينَ﴾ فجعل لنفسه المفضول من الصنفين ولكم الفاضل منهما؟ يقال: أصفيته بكذا؛ أي: آثرته به، وأصفيته الودّ: أخلصته له، ومثل هذه الآية قوله: ﴿أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ۝٢١ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ﴾ [النجم: ٢١، ٢٢] وقوله: ﴿أَفَأَصْفَىٰكُمْ رَبُّكُم بِٱلْبَنِينَ﴾ [الإسراء: ٤٠] وجملة وأصفاكم معطوفة على «اتخذ» داخلة معها تحت الإنكار.

ثم زاد في تقريعهم وتوبيخهم(٤) فقال: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَٰنِ مَثَلًا﴾؛ أي: بما جعله للرحمٰن سبحانه من كونه جعل لنفسه البنات، والمعنى: أنه إذا بُشّر أحدهم [٤/٤٩] بأنّها ولدت له بنت اغتمّ لذلك وظهر عليه أثره، وهو معنى قوله: ﴿ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا﴾؛ أي: صار وجهه مسودّاً بسبب حدوث الأنثى له حيث لم يكن الحادث له ذكراً مكانها ﴿وَهُوَ كَظِيمٌ﴾؛ أي: شديد الحُزْن، كثير الكرب مملوء منه. قال قتادة(٥): حزين.

وقال عكرمة(٦): مكروب، وقيل: ساكت(٧)، وجملة: ﴿وَهُوَ كَظِيمٌ﴾ في محل نصب(٨) على الحال.

ثم زاد في توبيخهم وتقريعهم فقال: ﴿أَوَمَن يُنَشَّؤُا۟ فِى ٱلْحِلْيَةِ وَهُوَ فِى ٱلْخِصَامِ

---

(١) في «تهذيب اللغة» (١١/ ١٤٤).
(٢) «روح المعاني» (٢٤/ ٣٥٣)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٩/ ١٧)، و«تفسير أبي السعود» (٦/ ٨١).
(٣) «روح المعاني» (٢٤/ ٣٥٣)، و«تفسير أبي السعود» (٦/ ٨١).
(٤) «البحر المحيط» (٩/ ٣٦٣)، و«روح المعاني» (٢٤/ ٣٥٣)، و«تفسير أبي السعود» (٦/ ٨١).
(٥) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/ ٥٦٣) بسند صحيح.
(٦) «النكت والعيون» (٥/ ٢١٩).
(٧) قاله ابن أبي حاتم كما في «تفسير القرطبي» (١٩/ ١٩).
(٨) «التبيان» (٢/ ١١٣٨)، و«الفريد» (٤/ ٢٥٢)، و«مشكل إعراب القرآن» (٢/ ٢٨٢).

غَيْرُ مُبِينٍ﴾ معنى يُنشّأ: يُربّى، والنشوء: التربية، والحِلْية: الزينة، و«مَنْ» في محل نصب بتقدير[1] مقدّر معطوف على جعلوا؛ والمعنى: أو جعلوا له سبحانه مَنْ شأنه أنْ يربّى في الزينة وهو عاجز عَنْ أن يقوم بأمور نفسه، وإذا خُوصم لا يقدر على إقامة حجته ودفع ما يجادله به خصمه؛ لنقصان عقله وضعف رأيه.

قال المبرد[2]: تقدير الآية: أو يجعلون له مَنْ ينشأ في الحلية؛ أي: ينبت في الزينة. قرأ الجمهور[3]: «يَنْشأ» بفتح الياء وإسكان النون، وقرأ ابن عباس والضحاك، وابن وثّاب، وحفص، وحمزة، والكسائي، وخلف بضم[4] الياء وفتح النون وتشديد الشين. واختار القراءة الأولى أبو حاتم، واختار الثانية أبو عبيد[5].

قال الهروي[6]: الفعل على القراءة الأولى لازم، وعلى الثانية متعدّ. والمعنى: يُربّى ويَكْبرَ في الحلية.

قال قتادة[7]: قلّما تتكلم امرأة بحجتها إلّا تكلمت بالحُجة عليها.

وقال ابنُ زيد والضحاك: الذي ينشأ في الحلية أصنامهم التي صاغوها من ذهب وفضة.

﴿وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا﴾ الجعل هنا بمعنى القول[8]، والحكم على الشيء كما تقول: جعلتُ زيداً أفضل الناس؛ أي: قلت بذلك، وحكمت له به.

قرأ الكوفيون[9]: «عباد» بالجمع، وبها قرأ ابن عباس.

---

(١) انظر: المصادر المتقدمة.

(٢) ذكره الواحدي في «الوسيط» (٤/ ٦٧).

(٣) «النشر» (٢/ ٢٦٨)، و«جامع البيان» (٢٠/ ٥٦٥ ـ ٥٦٦)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (٢/ ٢٥٥)، و«فتح الباري» (٨/ ٤٣٥).

(٤) انظر: المصادر المتقدمة.

(٥) ذكره عنهما القرطبي في «تفسيره» (١٩/ ١٩).

(٦) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٩/ ١٩).

(٧) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/ ٥٦٤)، وعبد الرزاق في «تفسيره» (٢/ ١٩٥) بسند صحيح.

(٨) «معاني القرآن» للزجاج (٤/ ٤٠٧).

(٩) «النشر» (٢/ ٣١٨)، و«التيسير» (ص١٩٦)، و«روح المعاني» (٢٤/ ٣٥٧)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (٢/ ٢٥٦).

وقرأ الباقون[١]: «عند الرحمٰن» بنون ساكنة، واختار القراءة الأولى أبو عُبيد[٢]؛ لأنّ الإسناد فيها أعلى، ولأن الله إنما كذّبهم في قولهم: إنهم بنات الله، فأخبرهم أنهم عباده، ويؤيد هذه القراءة قوله: ﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٦].

واختار أبو حاتم[٣] القراءة الثانية، قال: وتصديق هذه القراءة قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ﴾ [الأعراف: ٢٠٦].

ثم وبخّهم، وقرّعهم، فقال: ﴿أَشَهِدُواْ خَلْقَهُمْۚ﴾؛ أي: أحضروا خلق الله إياهم؟ فهو من الشهادة التي هي: الحضور، وفي هذا تهَكّم بهم، وتجهيل لهم. قرأ الجمهور[٤]: «أشهدوا» على الاستفهام بدون واو. وقرأ نافع[٥]: «أأُشهدوا».

وقرأ الجمهور: ﴿سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ﴾ بضم التاء الفوقية[٦]، وبناء الفعل للمفعول، ورفع «شهادتُهم»، وقرأ السلمي[٧]، وابن السميفع، وهبيرة عن حفص بالنون، وبناء الفعل للفاعل، ونصب «شهادتَهم»، وقرأ أبو رجاء[٨]: «شهاداتِهم» بالجمع.

والمعنى: سنكتب هذه الشهادة التي شهدوا بها في ديوان أعمالهم لنجازيهم على ذلك ﴿وَيُسْـَٔلُونَ﴾ عنها يوم القيامة ﴿وَقَالُواْ لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَٰهُمْۗ﴾ هذا فنّ آخر من فنون كفرهم بالله، جاءوا به للاستهزاء، والسخرية.

ومعناه: لو شاء الرحمٰن في زعمكم ما عبدنا هذه الملائكة، وهذا كلام حقّ

---

(١) «جامع البيان» (٢٠/ ٥٦٧)، و«التيسير» (ص١٩٦)، و«النشر» (٢/ ٣١٨)، و«معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٩).

(٢) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٩/ ٢١).

(٣) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٩/ ٢١).

(٤) «النشر» (١/ ٣٧٦)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (٢/ ٢٥٧)، و«التيسير» (ص١٩٦).

(٥) «الجامع لأحكام القرآن» (١٩/ ٢٢)، و«روح المعاني» (٢٤/ ٣٥٨)، و«جامع البيان» (٢٠/ ٥٦٢). قراءة نافع وأهل المدينة بهمزتين الأولى مفتوحة والثانية مضمومة مسهلة بين بين يفصل بينهما ألف وهو وجه لقالون والوجه الثاني لقالون بدون فصل مع شين ساكنة، وهي قراءة أبي جعفر فتكون القراءات في هذه الكلمة ثلاث.ا.هـ

(٦) «البحر المحيط» (٩/ ٣٦٥)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٩/ ٢٢).

(٧) «البحر المحيط» (٩/ ٣٦٥)، و«روح المعاني» (٢٤/ ٣٥٩)، و«معاني القرآن وإعرابه» للزجاج (٤/ ٤٠٧). هي قراءة شاذة، ورواية شاذة عن حفص.

(٨) «القراءات الشاذة» (ص١٣٥)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٩/ ٢٢)، و«روح المعاني» (٢٤/ ٣٥٩).

يُراد به باطل، وقد مضى بيانه في الأنعام، فبيّن سبحانه جهلهم بقوله: ﴿مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ﴾؛ أي: ما لهم بما قالوه من أن الله لو شاء عدم عبادتهم للملائكة ما عبدوهم من علم، بل تكلموا بذلك جهلاً، وأرادوا بما صورته صورة الحقّ باطلاً، وزعموا أنّه إذا شاء، فقد رضي.

ثم بيّن انتفاء علمهم بقوله: ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾؛ أي: ما هم إلّا يكذبون فيما قالوا، ويتمحلون تمحّلاً باطلاً. وقيل: الإشارة بقوله: ﴿بِذَٰلِكَ﴾ إلى قوله: ﴿وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا﴾. قاله قتادة(١) ومقاتل، والكلبي. وقال مجاهد(٢)، وابن جريج(٣)؛ أي: ما لهم بعبادة الأوثان من علم.

وقد أخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم عن ابن عباس(٤) قال: إن أوّل ما خلق الله من شيء القلم، وأمره أن يكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة، والكتاب عنده، ثم قرأ: ﴿وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ﴾.

وأخرج ابن مردويه(٥) نحوه عن أنس مرفوعاً.

وأخرج ابن جرير(٦) عن ابن عباس في قوله: ﴿أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكْرَ صَفْحًا﴾ قال: أَحَسِبتُم أنْ يصفح عنكم، ولم تفعلوا ما أمرتم به؟

وأخرج مسلم، وأبو داود، والترمذي، والنسائي، والحاكم، وابن مردويه عن ابن عمر(٧): أن رسول الله ﷺ كان إذا سافر ركب راحلته، ثم كبَّر ثلاثاً، ثم قال: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ﴾.

---

(١) ذكره عنهم القرطبي في «تفسيره» (١٩/ ٢٣)، والبغوي في «تفسيره» (٧/ ٢٠٩).
(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/ ٥٦٨) بسند صحيح.
(٣) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٩/ ٢٣).
(٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/ ٥٤٦) من طريق القاسم بن أبي بزَّةَ، به.
(٥) عزاه السيوطي في «الدر المنثور» (١٣/ ١٨٥) إلى ابن مردويه والدّيلمي.
(٦) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/ ٥٤٩) بسند ضعيف.
(٧) أخرجه مسلم رقم (١٣٤٢)، وأبو داود رقم (٢٥٩٩)، والترمذي رقم (٣٤٤٧)، والنسائي في «الكبرى» رقم (١٠٣٨٢، ١١٤٦٦)، والحاكم (٢/ ٢٥٤).

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن ابن عباس(١) في قوله: ﴿وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ﴾ قال: مطيقين.

وأخرج عبد بن حُميد(٢) عنه ﴿أَوَمَن يُنَشَّؤُاْ فِى ٱلْحِلْيَةِ﴾ قال: هو: النساء فرق بين زيهنّ وزيّ الرجال، ونقصهنّ من الميراث وبالشهادة، وأمرهنّ بالقعدة وسماهنّ الخوالف.

وأخرج سعيد بن منصور، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والحاكم وصححه عن سعيد بن جبير(٣) قال: كنت أقرأ هذا الحرف ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا﴾، فسألت ابن عباس فقال: عباد الرحمٰن؟ قلت: فإنها في مصحفي «عند الرحمٰن»(٤) قال: فامحها، واكتبها ﴿عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾.

﴿أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا مِّن قَبْلِهِۦ فَهُم بِهِۦ مُسْتَمْسِكُونَ ﴿٢١﴾ بَلْ قَالُوٓاْ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ ﴿٢٢﴾ وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾ قَٰلَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ ءَابَآءَكُمْ ۖ قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٢٤﴾ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٥﴾﴾.

[دعوة التوحيد التي ينكرونها هي دعوة أبيهم إبراهيم]:

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ بَلْ مَتَّعْتُ هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ ﴿٢٩﴾ وَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ قَالُواْ هَٰذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٣٠﴾ وَقَالُواْ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾﴾

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/٥٥٩)، وابن أبي حاتم كما في «تغليق التعليق» (٤/٢٠٦) بسند صحيح.

(٢) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٣٧٠).

(٣) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٣٧٠).
وأخرجه الحاكم (٢/٤٤٦ ـ ٤٤٧).

(٤) تقدم ذكره.

[متاع زائل لا يتجاوز هذه الدنيا]:

﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾ وَلَوْلَا أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٣٣﴾ وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَٰبًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِـُٔونَ ﴿٣٤﴾ وَزُخْرُفًا وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَالْـَٔاخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٣٥﴾﴾.

قوله: ﴿أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا مِّن قَبْلِهِۦ﴾ «أم» هي المنقطعة[١]؛ أي: بل أأعطيناهم كتاباً من قبل القرآن بأن يعبدوا غير الله؟ ﴿فَهُم بِهِۦ مُسْتَمْسِكُونَ﴾ يأخذون بما فيه ويحتجون به ويجعلونه لهم دليلاً؟ ويحتمل: أن تكون «أم» معادلة لقوله: ﴿أَشَهِدُوا۟﴾، فتكون متصلة[٢]، والمعنى: أحضروا خلقهم أم آتيناهم كتاباً؟ إلخ.

وقيل: إنّ الضمير في ﴿مِّن قَبْلِهِۦ﴾ يعود إلى ادّعائهم؛ أي: أم آتيناهم كتاباً من قبل ادّعائهم ينطق بصحة ما يدّعونه؟ والأوّل أولى.

ثم بيّن سبحانه: أنه لا حجة بأيديهم، ولا شُبْهة، ولكنهم اتبعوا آباءهم في الضلالة، فقال: ﴿بَلْ قَالُوٓا۟ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ﴾، فاعترفوا بأنه لا مستند لهم سوى تقليد آبائهم، ومعنى على أُمة: على طريقة، ومذهب.

قال أبو عبيد[٣]: هي: الطريقة والدين، وبه قال قتادة[٤] وغيره.

قال الجوهري[٥]: والأمة: الطريقة والدين يقال: فلان لا أُمة له؛ أي: لا دين له ولا نِّحْلة، ومنه قول قيس بن الخَطيم:

كُنَّا عَلَى أُمَّةِ آبَائِنَا ... ونَقْتَدي بالأوّلِ الأوّلِ[٦]

(١) «روح المعاني» (٢٤/ ٣٦٠)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٩/ ٢٣)، و«تفسير أبي السعود» (٦/ ٨٣).

(٢) انظر: المصادر المتقدمة.

(٣) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٩/ ٢٤).

(٤) «النكت والعيون» (٥/ ٢٢١).

(٥) في «تهذيب اللغة» (١٥/ ٦٣٤).

(٦) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٢٢١).

وقول الآخر:

وهل يستوي ذو أُمّةٍ وكفورُ[(١)]

وقال الفراء[(٢)] وقطرب[(٣)]: على قبلة. وقال الأخفش: على استقامة، وأنشد قول النابغة[(٤)]:

حَلَفتُ فلم أَترُكْ لنفسِك رِيبةً ... وهل يأثمنْ ذُو أُمَّةٍ وهو طَائِعُ؟

قرأ الجمهور[(٥)]: «أُمّة» بضم الهمزة، وقرأ مجاهد[(٦)]، وقتادة، وعمر بن عبد العزيز بكسرها. قال الجوهري[(٧)]: والإِمّة بالكسر: النعمة، والإمة: أيضاً لغة في الأمة. ومنه قول عديّ بن زيد[(٨)]:

ثُمَّ بَعْدَ الفَلَاحِ والمُلْكِ والإِمَّـ ... ـةِ وَارَتْهُمُ هُنَاكَ قُبُورُ

ثم أخبر سبحانه أن غير هؤلاء من الكفار قد سبقهم إلى هذه المقالة، وقال بها، فقال: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ﴾. ﴿مُتْرَفُوهَآ﴾: أغنياؤها ورؤساؤها.

قال قتادة[(٩)]: مقتدون متبعون، ومعنى الاهتداء والاقتداء متقارب، وخصص المترفين تنبيهاً على أن التنعم هو سبب إهمال النظر.

---

(١) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٩/ ٢٥)، والجوهري في «الصحاح» (٥/ ١٨٦٤).

(٢) في «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٣٠). (٣) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٩/ ٢٥).

(٤) «ديوان النابغة» (ص٨١).

(٥) «جامع البيان» (٢٠/ ٥٧٠)، و«البحر المحيط» (٩/ ٣٦٦ ـ ٣٦٧)، و«معاني القرآن» للفراء (٣/ ٣٠).

(٦) انظر: المصادر المتقدمة. القراءة بكسر الميم شاذة.
قال ابن جرير: «والصواب من القراءة الذي لا أستجيز غيرَه، الضمُّ في الألف، لإجماع الحجةِ من قراءة الأمصار عليه. وأما الذين كسَروها فإني لا أُرَهم قصدوا بكسرِها إلا معنى الطريقة والمنهاج، وعلى ما ذكرنا قبل، لا النعمة والملك؟ لأنه لا وجهَ لأن يقالَ: إنا وجدنا آباءَنا على نعمةٍ، ونحن لهم متبعون في ذلك؛ لأنّ الاتباع إنّما يكون في الملل والأديان وما أشبه ذلك، لا في الملك والنعمة؛ لأن الاتباع في المِلك ليس بالأمر الذي يصل إليه كلُّ من أراده».

(٧) في «الصحاح» (٥/ ١٨٦٤).

(٨) ذكره ابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/ ٥٧١)، والقرطبي في «تفسيره» (١٩/ ٢٤).

(٩) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/ ٥٧٢) بسند صحيح.

ثم أمر الله سبحانه رسوله ﷺ أن يردّ عليهم، فقال: ﴿قَٰلَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ ءَابَآءَكُمْ قَالُوٓا۟﴾؛ أي: أتتبعون آباءكم، ولو جئتكم بدين أهدى من دين آبائكم، قال الزجاج[١]: المعنى: قل لهم أتتبعون ما وجدتم عليه آباءكم؟ وإن جئتكم بأهدى منه.

[المصنف يشنع على التقليد والمقلدة]:

قرأ الجمهور[٢]: ﴿قُلْ أَوَلَوْ جِئْتُكُم﴾، وقرأ ابن عامر[٣]، وحفص: «قال أو لو جئتكم»، وهو حكاية لما جرى بين المنذرين وقومهم؛ أي: قال كلّ منذر من أولئك المنذرين لأمته، وقيل: إنّ كلا القراءتين حكاية لما جرى بين الأنبياء، وقومهم، كأنه قال: لكل نبيّ قل، بدليل قوله: ﴿قَالُوٓا۟ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ﴾، وهذا من أعظم الأدلة الدالة على بطلان التقليد وقبحه؛ فإن هؤلاء المقلدة في الإسلام إنما يعملون بقول أسلافهم ويتبعون آثارهم ويقتدون بهم، فإذا رام الداعي إلى الحق أن يخرجهم من ضلالة، أو يدفعهم عَنْ بدعة قد تمسكوا بها وورثوها عن أسلافهم بغير دليل نير ولا حجة واضحة، بل بمجرّد قال وقيل لشبهة داحضة، وحجة زائفة، ومقالة باطلة، قالوا بما قاله المترفون من هذه الملل: إنّا وجدنا آباءنا على أمة، وإنا على آثارهم مقتدون، أو بما يلاقي معناه معنى ذلك، فإن قال لهم الداعي إلى الحقّ: قد جمعتنا الملةُ الإسلامية، وشملنا هذا الدينُ المحمدي، ولم يتعبدنا الله ولا تعبدكم وتعبد آباءكم من قبلكم إلّا بكتابه الذي أنزله على رسوله، وبما صحّ عن رسوله فإنه المبين لكتاب الله، الموضّح لمعانيه، الفارق بين محكمه، ومتشابهه، [٤/٥٠] فتعالوا نردّ ما تنازعنا فيه إلى كتاب الله، وسُنَّة رسوله كما أمرنا الله بذلك في كتابه بقوله: ﴿فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ [النساء: ٥٩]، فإن الردّ إليهما أهدى لنا، ولكم من الردّ إلى ما قاله أسلافكم، ودرج عليه آباؤكم، نفروا نفور الوحوش، ورموا الداعي لهم إلى ذلك بكل حَجَرٍ ومَدَر، كأنهّم لم يسمعوا قول الله سبحانه: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ [النور: ٥١]،

---

(١) في «معاني القرآن وإعرابه» (٤/٤٠٩).

(٢) «الكشف عن وجوه القراءات» (٢/٢٥٨)، و«التيسير» (ص١٩٦)، و«النشر» (٢/٣٦٩)، و«التبيان» (٢/١١٣٨).

(٣) انظر: المصادر المتقدمة.

ولا قوله: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥]، فإن قال لهم القائل: هذا العالم الذي تقتدون به وتتبعون أقواله هو مثلُكم في كونه متعبداً بكتاب الله وسُنّة رسوله، مطلوباً منه ما هو مطلوب منكم، وإذا عمل برأيه عند عدم وجدانه للدليل فذلك رخصة له لا يحلّ أن يتبعه غيره عليها، ولا يجوز له العمل بها[(١)].

وقد وجُد الدليل الذي لم يجده، وها أنا أوجدكموه في كتاب الله، أو فيما صحّ من سُنّة رسوله، وذلك أهدى لكم مما وجدتم عليه آباءكم، قالوا: لا نعمل بهذا ولا سمع لك ولا طاعة، ووجدوا في صدورهم أعظم الحرج من حكم الكتاب والسُّنَّة، ولم يسلموا ذلك، ولا أذعنوا له، وقد وهب لهم الشيطان عصي يتوكئون عليها عند أَنْ يسمعوا مَنْ يدعوهم إلى الكتاب والسُّنَّة.

وهي: أنهم يقولون: إنَّ إمامنا[(٢)] الذي قلدناه واقتدينا به أعلم منك بكتاب الله وسُنّة رسوله، وذلك لأنّ أذهانهم قد تصوّرت مَنْ يقتدون به تصوراً عظيماً بسبب تقدّم العصر وكثرة الأتباع، وما علموا أنّ هذا منقوض عليهم مدفوع به في وجوههم، فإنه لو قيل لهم: إنّ في التابعين مَنْ هو أعظم قدراً وأقدم عصراً من صاحبكم، فإن كان لتقدم العصر، وجلالة القدر مزية حتى توجب الاقتداء فتعالوا حتى أريكم من هو أقدم عصراً، وأجلّ قدراً، فإن أبيتم ذلك، ففي الصحابة ﷺ من هو أعظم قدراً من صاحبكم علماً وفضلاً، وجلالة قدر، فإنْ أبيتم ذلك، فها أنا أدلكم على من هو أعظم قدراً، وأجلّ خطراً وأكثر أتباعاً وأقدم عصراً، وهو: محمّد بن عبد الله نبيّنا ونبيّكم، ورسول الله إلينا وإليكم، فتعالوا، فهذه سنّته موجودة في دفاتر الإسلام، ودواوينه التي تلقتها جميع هذه الأمة قرناً بعد قرن، وعصراً بعد عصر، وهذا كتاب ربنا خالق الكل، ورازق الكل، وموجد الكل بين أظهرنا موجود في كل بيت، وبيد كل مسلم لم يلحقه تغيير ولا تبديل، ولا زيادة ولا نقص ولا تحريف ولا تصحيف ونحن وأنتم ممن يفهم ألفاظه ويتعقّل معانيه، فتعالوا لنأخذ الحقّ من معدنه، ونشرب

---

(١) «القول المفيد في أدلة الاجتهاد والتقليد» للشوكاني (ص٩٠ ـ ١١٦) بتحقيقي، و«البحر المحيط» للزركشي (٣٠٥/٦)، و«شرح الكوكب المنير» (٥٥٨/٤)، و«إرشاد الفحول» للشوكاني (ص٨٦٠ ـ ٨٨١) بتحقيقي ط. ابن كثير.

(٢) انظر: المصادر المتقدمة.

صفو الماء مِنْ منبعه فهو أهدى مما وجدتم عليه آباءكم، قالوا: لا سمعَ ولا طاعة، إما بلسان المقال أو بلسان الحال، فتدبرّ هذا، وتأمله إنْ بقي فيك بقية من إنصاف، وشُعبة مِنْ خير ومزعة من حياء، وحِصّة من دين، ولا حول ولا قوّة إلّا بالله العليّ العظيم.

وقد أوضحت هذا غاية الإيضاح في كتابي الذي سميته «أدب الطلب ومنتهى الأرب»[١]، فارجع إليه إن رمتَ أن تنجلي عنك ظلمات التعصب وتتقشع لك سحائب التقليد.

﴿فَٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡۖ﴾ وذلك الانتقام ما أوقعه الله بقوم نوح وعاد، وثمود ﴿فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ﴾ من تلك الأمم فإن آثارهم موجودة.

﴿وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦٓ﴾؛ أي: واذكر لهم وقت قوله لأبيه وقومه الذين قلدوا آباءهم وعبدوا الأصنام ﴿إِنَّنِي بَرَآءٞ مِّمَّا تَعۡبُدُونَ﴾ البراء: مصدر[٢] نعت به للمبالغة، وهو يستعمل للواحد والمثنى والمجموع والمذكر والمؤنث.

قال الجوهري[٣]: وتبرأت من كذا وأنا منه براء، وخلاء لا يثُنىّ، ولا يجمع لأنه مصدر في الأصل.

ثم استثنى خالقه من البراءة، فقال: ﴿إِلَّا ٱلَّذِي فَطَرَنِي﴾؛ أي: خلقني ﴿فَإِنَّهُۥ سَيَهۡدِينِ﴾ سيرشدني لدينه، ويثبتني على الحق، والاستثناء[٤] إما منقطع؛ أي: لكن الذي فطرني، أو متصل من عموم «ما»؛ لأنهم كانوا يعبدون الله والأصنام، وإخباره بأنه سيهديه جَزْماً لثقته بالله سبحانه وقوّة يقينه.

﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةَۢ بَاقِيَةٗ فِي عَقِبِهِۦ﴾ الضمير[٥] في ﴿وَجَعَلَهَا﴾ عائد إلى قوله: ﴿إِلَّا ٱلَّذِي فَطَرَنِي﴾، وهي بمعنى التوحيد كأنه قال: وجعل كلمة التوحيد باقيةً في عقب إبراهيم، وهم: ذرّيته، فلا يزال فيهم مَنْ يوحد الله سبحانه، وفاعل جعلها: إبراهيم،

---

(١) «أدبُ الطَّلب ومنتهى الأَرب» للشوكاني، ط. ابن تيمية القاهرة/بتحقيقي، دار المعراج الدولية/الرياض.
(٢) «معاني القرآن» للزجاج (٤/ ٤٠٩)، و«تفسير الرازي» (٢٧/ ٢٠٨).
(٣) في «الصحاح» (١/ ٣٦).
(٤) «روح المعاني» (٢٤/ ٣٦٧)، و«البحر المحيط» (٩/ ٣٦٧)، و«التبيان» (٢/ ١١٣٨).
(٥) «إعراب القرآن» للنحاس (٤/ ١٠٦)، و«الفريد» (٤/ ٢٥٦).

وذلك حيث وصاهم بالتوحيد، وأمرهم بأن يدينوا به كما في قوله: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ﴾ [البقرة: ١٣٢] الآية، وقيل: الفاعل هو الله ﷻ؛ أي: وجعل الله ﷻ كلمة التوحيد باقية في عقب إبراهيم، والعقب من بعد.

قال مجاهد(١)، وقتادة(٢): الكلمة لا إلٰه إلّا الله لا يزال من عقبه من يعبد الله إلى يوم القيامة. وقال عكرمة(٣): هي: الإسلام.

قال ابن زيد(٤): الكلمة هي: قوله: ﴿أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [البقرة: ١٣١]، وجملة ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ تعليل للجعل؛ أي: جعلها باقية رجاء أن يرجع إليها من يُشْرك منهم بدعاء مَنْ يوحد. وقيل: الضمير في «لعلّهم» راجع إلى أهل مكة؛ أي: لعلّ أهل مكة يرجعون إلى دينك الذي هو: دين إبراهيم. وقيل: في الكلام تقديم وتأخير، والتقدير: فإنّه سيهدين لعلهم يرجعون، وجعلها إلخ.

قال السدّي(٥): لعلّهم يتوبون، فيرجعون عما هم عليه إلى عبادة الله.

ثم ذكر سبحانه نعمته على قريش، ومن وافقهم من الكفار المعاصرين لهم، فقال: ﴿بَلْ مَتَّعْتُ هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمْ﴾ أضرب عن الكلام الأوّل إلى ذكر ما متعهم به من الأنفس والأهل، والأموال وأنواع النعم وما متع به آباءهم ولم يعاجلهم بالعقوبة، فاغترّوا بالمهلة وأكبُّوا على الشهوات ﴿حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ﴾؛ يعني: القرآن ﴿وَرَسُولٌ مُّبِينٌ﴾؛ يعني: محمداً ﷺ، ومعنى مبين: ظاهر الرسالة واضحها، أو مُبين لهم ما يحتاجون إليه من أمر الدين؛ فلم يجيبوه ولم يعملوا بما أنزل عليه.

ثم بيّن سبحانه ما صنعوه عند مجيء الحقّ، فقال: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِۦ كَٰفِرُونَ﴾؛ أي: جاحدون، فسموا القرآن سحراً، وجحدوه.

[الله أعلم حيث يجعل رسالته]:

واستحقروا رسول الله ﷺ ﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/ ٥٧٧) بسند ضعيف.

(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/ ٥٧٧) بسند صحيح.

(٣) ذكره البغوي في «تفسيره» (٧/ ٢١١)، عن الضحاك.

(٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/ ٥٧٧) بسند صحيح.

(٥) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٩/ ٢٧).

المراد بالقريتين: مكة والطائف، وبالرجلين: الوليد بن المغيرة من مكة، وعروة بن مسعود الثقفي من الطائف كذا قال قتادة[١] وغيره. وقال مجاهد[٢] وغيره: عتبة بن ربيعة من مكة، وعمير بن عبد ياليل الثقفي من الطائف، وقيل غير ذلك.

وظاهر النظم أن المراد: رجل من إحدى القريتين عظيم الجاه واسع المال مسوّد في قومه والمعنى: أنه لو كان قرآناً لنزل على رجل عظيم من عظماء القريتين؛ فأجاب الله سبحانه عنهم بقوله: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ﴾؛ يعني: النبوّة، أو ما هو أعمّ منها، والاستفهام[٣] للإنكار.

ثم بيّن أنه سبحانه هو الذي قسم بينهم ما يعيشون به من أمور الدنيا، فقال: ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾، ولم نفوّض ذلك إليهم، وليس لأحد من العباد أن يتحكم في شيء بل الحكم لله وحده، وإذا كان الله سبحانه هو الذي قسم بينهم أرزاقهم، ورفع درجات بعضهم على بعض، فكيف لا يقنعون بقسمته في أمر النبوّة، وتفويضها إلى مَنْ يشاء من خلقه؟

قال مقاتل[٤]: يقول: أبأيديهم مفاتيح الرسالة، فيضعونها حيث شاءوا؟

قرأ الجمهور[٥]: «معيشتهم» بالإفراد، وقرأ ابن عباس، ومجاهد، وابن محيصن: «معايشهم» بالجمع[٦].

معنى ﴿وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ﴾: أنه فاضل بينهم، فجعل بعضهم أفضل من بعض في الدنيا بالرزق والرياسة والقوّة، والحرية والعقل والعلم.

[العلة في رفع درجات بعضهم على بعض]:

ثم ذكر العلة لرفع درجات بعضهم على بعض، فقال: ﴿لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا﴾؛ أي: ليستخدم بعضُهم بعضاً، فيستخدم الغنيّ الفقير، والرئيس المرؤوس،

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/ ٥٨١ ـ ٥٨٢)، وعبد الرزاق في «تفسيره» (٢/ ١٩٦) بسند صحيح.
(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/ ٥٨١) بسند صحيح.
(٣) «روح المعاني» (٢٤/ ٣٦٨)، و«البحر المحيط» (٩/ ٣٦٧).
(٤) ذكره البغوي في «تفسيره» (٧/ ٢١١).
(٥) «البحر المحيط» (٩/ ٣٧٠)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٩/ ٣٦).
(٦) «القراءات الشاذة» (ص١٣٥)، و«روح المعاني» (٢٤/ ٣٧١)، و«البحر المحيط» (٩/ ٣٧٠).

والقويّ الضعيف، والحرّ العبد، والعاقل من هو دونه في العقل، والعالم الجاهل، وهذا في غالب أحوال أهل الدنيا، وبه تتمّ مصالحهم، وينتظم معاشهم، ويصل كلّ واحد منهم إلى مطلوبه، فإن كل صناعة دنيوية يحسنها قوم دون آخرين، فجعل البعض محتاجاً إلى البعض، لتحصل المواساة بينهم في متاع الدنيا، ويحتاج هذا إلى هذا، ويصنع هذا لهذا، ويعطي هذا هذا.

قال السدّي[(١)] وابن زيد[(٢)]: «سِخْرِيّاً» خولاً، وخدماً يسخِّر الأغنياء الفقراء، فيكون بعضهم سبباً لمعاش بعض.

وقال قتادة[(٣)]، والضحاك[(٤)] ليملك بعضهم بعضاً، وقيل: هو من السخرية التي بمعنى: الاستهزاء، وهذا، وإنْ كان مطابقاً للمعنى اللغوي، ولكنه بعيد[(٥)] من معنى القرآن، ومنافٍ لما هو مقصود السياق. ﴿وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾؛ يعني: بالرحمة: ما أعدّه الله لعباده الصالحين في الدار الآخرة، وقيل: هي النبوّة لأنها المراد بالرحمة المتقدّمة في قوله: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ﴾ ولا مانع من أن يراد كلّ ما يطلق عليه اسم الرحمة إما شمولاً أو بدلاً. ومعنى ﴿مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾: ما يجمعونه من الأموال[(٦)]، وسائر متاع الدنيا.

ثم بيّن سبحانه حقارة الدنيا عنده، فقال: ﴿وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾؛ أي: لولا أن يجتمعوا على الكفر ميلاً إلى الدنيا وزخرفها ﴿لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ﴾ [٤/٥١] جمع الضمير في بيوتهم[(٧)]، وأفرده في يكفر باعتبار معنى «مَنْ» ولفظها، ولبيوتهم بدل اشتمال[(٨)] من الموصول، والسقف جمع سقف.

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/ ٥٨٥) بسند حسن.
(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/ ٥٨٥) بسند صحيح.
(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/ ٥٨٦) بسند صحيح.
(٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/ ٥٨٦) بسند حسن.
(٥) «جامع البيان» (٢٠/ ٥٨٤)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٩/ ٣٧)، و«مفردات ألفاظ القرآن» (ص٤٠٢).
(٦) «النكت والعيون» (٥/ ٢٢٤)، و«روح المعاني» (٢٤/ ٣٧٢).
(٧) جمع الضمير باعتبار معنى (مَنْ) كما أنَّ إفراد المستكن في يكفر باعتبار لفظها. «تفسير أبي السعود» (٦/ ٨٦).
(٨) «روح المعاني» (٢٤/ ٣٧٣)، و«تفسير أبي السعود» (٦/ ٨٦).

قرأ الجمهور[١] بضمّ السين، والقاف كرَهْن، ورُهُن. قال أبو عبيدة[٢]: ولا ثالث لهما. وقال الفراء[٣]: هو جمع سقيف نحو كَثيب وكُثُب، ورغيف، ورُغُف، وقيل: هو جمع سقوف، فيكون جمعاً للجمع. وقرأ ابن كثير، وأبو عمرو بفتح السين[٤]، وإسكان القاف على الإفراد، ومعناه الجمع لكونه للجنس.

قال الحسن[٥]: معنى الآية: لولا أن يكفر الناس جميعاً بسبب ميلهم إلى الدنيا وتركهم الآخرة لأعطيناهم في الدنيا ما وصفناه لهوان الدنيا عند الله، وقال بهذا أكثر المفسرين[٦]. وقال ابن زيد[٧]: لولا أن يكون الناس أمة واحدة في طلب الدنيا واختيارهم لها على الآخرة.

وقال الكسائي[٨]: المعنى: لولا أن يكون في الكفار غنيّ، وفقير، وفي المسلمين مثل ذلك لأعطينا الكفار من الدنيا هذا لهوانها.

﴿وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ﴾ المعارج: الدّرَج[٩] جمع مِعراج والمعراج: السُّلَّم.

قال الأخفش[١٠]: إن شئت جعلت الواحدة الواحد مَعْرَج ومِعْرَج مثل: مَرْقاة ومِرْقاة، والمعنى: جعلنا لهم معارج من فضة عليها يظهرون؛ أي: على المعارج يرتقون ويصعدون، يقال: ظهرت على البيت؛ أي: علوت سطحه، ومنه قول النابغة[١١]:

---

(١) «التيسير» (ص١٩٦)، و«النشر» (٢/ ٢١٩)، و«زاد المسير» (٧/ ٣١٣)، و«جامع البيان» (٢٠/ ٥٨٩)، و«التبيان» (٢/ ١١٣٩).
(٢) في «مجاز القرآن» (٢/ ٢٠٣).
(٣) في «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٣٢).
(٤) «النشر» (٢/ ٢١٩)، و«التيسير» (ص١٩٦)، و«جامع البيان» (٢٠/ ٥٨٩). ومَّمن قرأ بفتح السين و إسكان القاف «أبو جعفر».
(٥) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/ ٥٨٧) بسند حسن.
(٦) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٩/ ٣٨).
(٧) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/ ٥٨٨) بسند صحيح.
(٨) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٩/ ٣٨).
(٩) «مفردات ألفاظ القرآن» (ص٥٥٧ ـ ٥٥٨)، و«تهذيب اللغة» (١/ ٣٥٥).
(١٠) ذكره الجوهري في «الصحاح» (١/ ٣٢٨).
(١١) «ديوان نابغة بن جَعْدة» (ص٦٨).

بلغنا السما مجداً وجوداً وسُوددا وإنَّا لنرجُو فوقَ ذلكَ مَظْهرا

أي: مصعداً.

﴿وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَٰبًا وَسُرُرًا﴾؛ أي: وجعلنا لبيوتهم أبواباً من فضة، وسرراً من فضة ﴿عَلَيْهَا يَتَّكِـُٔونَ﴾؛ أي: على السرر، وهو جمع سرير، وقيل: جمع أسرة، فيكون جمعاً للجمع، والاتكاء[(١)] والتوكؤ: التحامل على الشيء، ومنه ﴿أَتَوَكَّؤُا۟ عَلَيْهَا﴾ [طه: ١٨] واتكأ على الشيء، فهو: متكيء، والموضع متكئ، والزخرف: الذهب.

وقيل: الزينة أعمّ من أن تكون ذهباً، أو غيره. قال ابن زيد[(٢)]: هو: ما يتخذه الناس في منازلهم من الأمتعة والأثاث. وقال الحسن[(٣)]: النقوش، وأصله الزينة، يقال: زخرفت الدار؛ أي: زينتها. وانتصاب[(٤)] ﴿وَزُخْرُفًا﴾ بفعل مقدّر؛ أي: وجعلنا لهم مع ذلك زخرفاً، أو بنزع الخافض؛ أي: أبواباً وسرراً من فضة ومن ذهب، فلما حذف الخافض انتصب.

ثم أخبر سبحانه أن جميع ذلك إنما يتمتع به في الدنيا، فقال: ﴿وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ قرأ الجمهور[(٥)]: «لما» بالتخفيف، وقرأ عاصم، وحمزة، وهشام عن ابن عامر بالتشديد[(٦)]. فعلى القراءة الأولى تكون إن هي المخففة من الثقيلة، وعلى القراءة الثانية هي النافية، و«لمّا» بمعنى إلّا؛ أي: ما كل ذلك إلّا شيء يتمتع به في الدنيا.

وقرأ أبو رجاء[(٧)] بكسر اللام من «لما» على أن اللام للعلة، و«ما» موصولة، والعائد محذوف؛ أي: للذي هو متاع ﴿وَٱلْءَاخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ﴾؛ أي: لمن اتقى الشرك، والمعاصي، وآمن بالله وحده، وعمل بطاعته، فإنها الباقية التي لا تفنى، ونعيمها الدائم الذي لا يزول.

---

(١) «مفردات ألفاظ القرآن» (ص٨٨٣).

(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/ ٥٩٣) بسند صحيح.

(٣) «النكت والعيون» (٥/ ٢٢٥).

(٤) «إعراب القرآن» للنحاس (٤/ ١٠٩)، و«الفريد» (٤/ ٢٥٧).

(٥) «التيسير» (ص١٩٦)، و«النشر» (٢/ ٢٩١)، و«البحر المحيط» (٩/ ٣٧١).

(٦) انظر: المصادر المتقدمة.

(٧) «المحتسب» (٢/ ٢٥٥)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١/ ٣٦٥). وهي قراءة شاذة.

وقد أخرج ابن جرير[١]، عن ابن عباس ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ﴾ قال: على دين.

وأخرج عبد بن حميد[٢] عنه ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً﴾ قال: لا إله إلّا الله ﴿فِى عَقِبِهِۦ﴾ قال: عَقِبُ إبراهيم ولدُه.

وأخرج عبد بن حميد، وابن المنذر، وابن مردويه عنه[٣] أيضاً: أنه سئل عن قول الله: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ ما القريتان؟ قال: الطائف ومكة، قيل: فمن الرجلان؟ قال: عمير بن مسعود، وخيار قريش.

وأخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم، وابن مردويه عنه[٤] أيضاً قال: يعني: بالقريتين: مكة والطائف، والعظيم: الوليد بن المغيرة القرشي، وحبيب ابن عمير الثقفي.

وأخرج ابن أبي حاتم[٥] عنه أيضاً في الآية قال: يعنون أشرف من محمد: الوليد بن المغيرة من أهل مكة، ومسعود بن عمرو الثقفي من أهل الطائف.

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم[٦] عنه أيضاً في قوله: ﴿وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ الآية يقول: لولا أن أجعل الناس كلهم كفاراً لجعلت لبيوت الكفار سُقفاً من فضة، ومعارج من فضة، وهي: درج عليها يصعدون إلى الغرف، وسرر فضة، وزخرفاً وهو: الذهب.

وأخرج الترمذي وصححه، وابن ماجه، عن سهل بن سعد[٧] قال: قال

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/ ٥٧٠) بسند ضعيف.

(٢) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٣٧٣).

(٣) عزاه إليهم السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٣٧٤).

(٤) عزاه إليهم السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٣٧٤).
وأخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/ ٥٨٠ ـ ٥٨١) بسند ضعيف.

(٥) ذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٢٨٢).

(٦) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/ ٥٨٧) بسند صحيح، وذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٢٨٢).

(٧) أخرجه الترمذي رقم (٢٣٢٠)، وابن ماجه رقم (٤١١٠). وهو حديث صحيح.

رسول الله ﷺ: «لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى منها كافراً شربة ماء».

[وظيفة قرناء السوء من الشياطين أن يصدونهم عن سبيل الله]:

﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا قَالَ يَٰلَيْتَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ ﴿٣٨﴾ وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٩﴾ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ أَوْ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ وَمَن كَانَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٤٠﴾ فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ ﴿٤١﴾ أَوْ نُرِيَنَّكَ ٱلَّذِى وَعَدْنَٰهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِم مُّقْتَدِرُونَ ﴿٤٢﴾ فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ﴿٤٤﴾ وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴿٤٥﴾﴾.

قوله: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ يقال: عشوتُ إلى النار: قصدتُها، وعشوت عنها: أعرضتُ عنها، كما تقول: عدلت إلى فلان وعدلت عنه، وملت إليه وملت عنه، كذا قال الفراء[(١)] والزجاج[(٢)] وأبو الهيثم[(٣)] والأزهري[(٤)].

فالمعنى: ومَنْ يُعرض عن ذكر الرحمٰن. قال الزجاج[(٥)]: معنى الآية: أن من أعرض عن القرآن وما فيه من الحكمة إلى أباطيل المضلين؛ يعاقبه الله بشيطان يقيضه له حتى يضله ويلازمه قريناً له، فلا يهتدي مجازاةً له حين آثر الباطل على الحق البين. وقال الخليل[(٦)]: العشو النظر الضعيف، ومنه:

لَنِعْمَ الفتى تَعشُو إلى ضَوْءِ نارِه ... إذا الرِّيحُ هبَّتْ والمَكَانُ جَدِيبُ[(٧)]

والظاهر أن معنى البيت: القصد إلى النار لا النظر إليها ببصر ضعيف كما قال الخليل[(٦)]، فيكون دليلاً على ما قدّمنا من أنه يأتي بمعنى: القصد، وبمعنى:

(١) في «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٣٢).
(٢) في «معاني القرآن» للزجاج (٤/ ٤١٢).
(٣) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٩/ ٤٦).
(٤) انظر: «تهذيب اللغة» (٣/ ٥٥ ـ ٥٦).
(٥) في «معاني القرآن وإعرابه» (٤/ ٤١٢).
(٦) في «العين» (ص٦٤١).
(٧) «ديوان الحطيئة» (ص١٦١).

الإعراض، وهكذا ما أنشده الخليل مستشهداً به على ما قاله مِنْ قول الحطيئة[١]:

مَتَى تأتِهِ تعشُو إلى ضَوْءِ نارِه تَجِدْ خيرَ نارٍ عندَهَا خَيرُ مُوقِدِ

فإن الظاهر أن معناه: تقصد إلى ضوء ناره، لا تنظر إليها ببصر ضعيف. ويمكن أن يقال: إن المعنى في البيتين: المبالغة في ضوء النار وسطوعها، بحيث لا ينظرها الناظر إلّا كما ينظر من هو معشي البصر لما يلحق بصره من الضعف عند ما يشاهده من عظم وقودها.

وقال أبو عبيدة[٢]، والأخفش[٣]: إن معنى: ﴿وَمَن يَعْشُ﴾، ومن تَظْلم عينُه، وهو نحو قول الخليل[٤]، وهذا على قراءة الجمهور[٥]: «من يَعْشُ» بضم الشين من عشا يعشو.

وقرأ ابن عباس، وعكرمة: «ومن يَعْشَ» بفتح الشين[٦]، يقال: عشي الرجل يعشى عشياً إذا عمى، ومنه قول الأعشى[٧]:

رَأَتْ رجلاً غائِبَ الوافدينَ ومُختلِفَ الخَلْقِ أَعْشَى ضَرِيْرا

وقال الجوهري[٨]: والعشا مقصور مصدر الأعشى وهو: الذي لا يبصر بالليل، ويبصر بالنهار، والمرأة عشواء.

وقرئ «يعشو» بالواو على أن «مَنْ» موصولة غير متضمنة[٩] معنى الشرط.

---

(١) «ديوان الحطيئة» (ص٢٤٨).

(٢) في «مجاز القرآن» (٢/ ٣٥٧).

(٣) ذكره البغوي في «تفسيره» (٧/ ٢١٣).

(٤) «العين» (ص٦٤١).

(٥) «البحر المحيط» (٩/ ٣٧٢)، و«روح المعاني» (٢٤/ ٣٧٧)، و«الدر المصون» (٦/ ٩٨). قراءة الجمهور هي المتواترة وما عداها فشاذة.

(٦) «معالم التنزيل» (٧/ ٢١٣)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٩/ ٤٥).

(٧) «ديوان الأعشى» (ص١٤٥).

(٨) في «الصحاح» (٦/ ٢٤٢٧).

(٩) قال الزمخشري في «الكشاف» (٥/ ٤٤٣).
قال أبو حيان في «البحر المحيط» (٩/ ٣٧٣): «ولا يتعيّن ما قاله؛ إذ تتخرج هذه القراءة على وجهين:
١ ـ **أحدهما**: أن تكون «مَن» شرطية، ويعشو مجزوم بحذف الحركة تقديراً، وقد ذكر الأخفش أن ذلك لغة لبعض العرب.
٢ ـ **والوجه الثاني**: أن تكون «مَن» موصولة، والجزم بها تشبيهاً للموصول باسم الشرط. =

قرأ الجمهور[١]: ﴿نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا﴾ بالنون وقرأ السلمي، وابن أبي إسحاق، ويعقوب، وعصمة عَنْ عاصم، والأعمش: بالتحتية[٢] مبنيّاً للفاعل، وقرأ ابن عباس: بالتحتية[٣] مبنيّاً للمفعول ورفع شيطان على النيابة.

﴿فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾؛ أي: ملازم له لا يفارقه، أو هو ملازم للشيطان لا يفارقه، بل يتبعه في جميع أموره، ويطيعه في كلّ ما يوسوس به إليه.

﴿وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ﴾؛ أي: وإن الشياطين الذين يقيضهم الله لكلّ أحد ممن يعشو عن ذكر الرحمٰن كما هو معنىٰ مَنْ ﴿لَيَصُدُّونَهُمْ﴾؛ أي: يحولون بينهم وبين سبيل الحق ويمنعونهم منه، ويوسوسون لهم أنهم على الهدى حتى يظنون صدق ما يوسوسون به، وهو معنى قوله: ﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ﴾؛ أي: يحسب الكفار أن الشياطين مهتدون، فيطيعونهم، أو يحسب الكفار بسبب تلك الوسوسة أنهم في أنفهسم مهتدون.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا﴾ قرأ الجمهور[٤] بالتثنية؛ أي: الكافر والشيطان المقارن له. وقرأ أبو عمرو، وحمزة، والكسائي، وحفص بالإفراد[٥]؛ أي: الكافر، أو جاء كلّ واحد منهما ﴿قَالَ﴾ الكافر مخاطباً للشيطان ﴿يَٰلَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ﴾؛ أي: بعد ما بين المشرق، والمغرب، فغلّب المشرق على المغرب. قال مقاتل[٦]: يتمنى الكافر أن بينهما بعد مشرق أطول يوم في السنة من مشرق أقصر يوم في السنة، والأوّل أولى، وبه قال الفراء[٧] ﴿فَبِئْسَ الْقَرِينُ﴾ المخصوص بالذم محذوف؛ أي: أنت أيها الشيطان.

= قلتُ: قد تكون المدّة للإشباع وهو في الأصل مجزوم، وذكر هذا العكبري في «إعراب الشواذ» (٢/ ٤٤٦).

(١) «البحر المحيط» (٩/ ٣٧٣)، و«مجمع البيان» (٢٥/ ٨٤). قرأ أبو بكر عن عاصم في وجه ويعقوب بالتحتية مبنياً للفاعل، وقرأ باقي العشرة بالنون وهما قراءتان متواترتان وأما قراءة ابن عباس فشاذة.

(٢) «القراءات الشاذة» (ص١٣٥)، و«روح المعاني» (٢٤/ ٣٧٨)، و«النشر» (٢/ ٣٦٩).

(٣) «البحر المحيط» (٩/ ٣٧٣)، و«إعراب القراءات الشواذ» (٢/ ٤٤٧)، و«روح المعاني» (٢٤/ ٣٧٩).

(٤) «جامع البيان» (٢٠/ ٥٩٧)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (٢/ ٢٥٨)، و«النشر» (٢/ ٣٦٩).

(٥) انظر: المصادر المتقدمة. وممن قرأ بالافراد يعقوب وخلف.

(٦) «زاد المسير» (٧/ ٣١٦)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٩/ ٤٨).

(٧) في «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٣٣).

﴿وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلْيَوْمَ﴾ هذا حكاية لما سيُقال لهم يوم القيامة ﴿إِذ ظَّلَمْتُمْ﴾؛ أي: لأجل ظلمكم أنفسكم في الدنيا، وقيل: إن «إذ» بدل من «اليوم»؛ لأنه تبين في ذلك اليوم أنهم ظلموا أنفسهم في الدنيا.

قرأ الجمهور[1]: ﴿أَنَّكُمْ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾ بفتح «أَنّ» على أنها، وما بعدها في محلّ رفع على الفاعلية؛ أي: لن ينفعكم اليوم اشتراككم في العذاب. قال المفسرون[2]: لا يخفف عنهم بسبب الاشتراك[3] شيء من العذاب؛ لأن لكلّ أحد من الكفار والشياطين الحظَ الأوفر منه.

وقيل: إنها للتعليل لنفي النفع؛ أي: لأن حقكم أَنّ تشتركوا أنتم، وقرناؤكم في العذاب كما كنتم مشتركين في سببه في الدنيا، ويقوّي هذا المعنى قراءة ابن عامر على اختلاف عليه فيها بكسر «إن»[4].

ثم ذكر سبحانه أنها لا تنفع الدعوة، والوعظ من سبقت له الشقاوة، فقال: ﴿أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ أَوْ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ﴾ الهمزة لإنكار[5] التعجب؛ أي: ليس لك ذلك، فلا يضيق صدرك إن كفروا، وفيه تسلية[6] لرسول الله ﷺ، وإخبار له أنه لا يقدر على ذلك إلّا الله ﷻ.

وقوله: ﴿وَمَن كَانَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ عطف على (العُمي)؛ أي: إنك لا تهدي مَنْ كان كذلك، ومعنى الآية: أن هؤلاء الكفار بمنزلة الصمّ الذين لا يعقلون ما

---

(١) «زاد المسير» (٧/ ٣١٧)، و«البحر المحيط» (٩/ ٣٧٥)، و«المحرر الوجيز» (١٤/ ٢٦٠).

(٢) «الوسيط» للواحدي (٤/ ٧٣)، و«معالم التنزيل» (٧/ ٢١٤).

(٣) لن ينفعكم اليوم اشتراككم في العذاب؛ لأن لكل واحد نصيبه الأوفر منه، أعلم الله تعالى أنّه منع أهل النار التأسِّيَ كما يتأسَّى أهل المصائب في الدنيا، وذلك أنَّ التأسِّيَ بشروحه أهل الدنيا، فيقول أحدهم: لي في البلاء والمصيبة أُسوة، فيُسكن ذلك من حزنه؟ كما قالت الخنساء:

فلولا كثرةُ الباكين حولي ... على إخوانهم لقتلتُ نفسي
وما يبكون مثلَ أخي ولكن ... أُعزِّي النفسَ عنه بالتأسي

«ديوان الخنساء» (ص٨٤ ـ ٨٥)، و«إعراب القرآن» للنحاس (٤/ ١١١).

(٤) «جامع البيان» (٢/ ٤٠١)، و«السبعة» (ص٥٨٦). الرواية عن ابن عامر بكسر الهمزة رواية شاذة، والمتواتر عنه كالجمهور بالفتح. ا. هـ.

(٥) «روح المعاني» (٢٤/ ٣٨٥)، و«تفسير أبي السعود» (٦/ ٨٨).

(٦) «الجامع لأحكام القرآن» (١٩/ ٥٠).

جئت به، وبمنزلة العمي الذين لا يبصرونه لإفراطهم في الضلالة، وتمكنهم من الجهالة.

﴿فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ﴾ بالموت قبل أن ينزل العذاب بهم ﴿فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ﴾ إما في الدنيا، أو في الآخرة، وقيل: المعنى: نخرجنك من مكة ﴿أَوْ نُرِيَنَّكَ ٱلَّذِى وَعَدْنَٰهُمْ﴾ من العذاب قبل موتك ﴿فَإِنَّا عَلَيْهِم مُّقْتَدِرُونَ﴾ متى شئنا عذبناهم.

قال كثير من المفسرين[(١)]: قد أراه الله ذلك يوم بدر. وقال الحسن[(٢)]، وقتادة[(٣)]: هي: في أهل الإسلام يريد ما كان بعد النبي ﷺ من الفتن، وقد كان بعد النبي ﷺ فتنة شديدة، فأكرم الله نبيه، وذهب به،[٤/ ٥٢] فلم يُره في أمته شيئاً من ذلك، والأوّل أولى.

﴿فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ﴾؛ أي: من القرآن، وإن كذّب به من كذّب ﴿إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾؛ أي: طريق واضح، والجملة تعليل لقوله: ﴿فَٱسْتَمْسِكْ﴾، ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ﴾؛ أي: وإن القرآن لشرَف[(٤)] لك، ولقومك من قريش[(٥)] إذ نزل عليك، وأنت منهم بلغتك، ولغتهم، ومثله قوله: ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ﴾ [الأنبياء: ١٠]، وقيل: بيان لك ولأمتك فيما لكم إليه حاجة.

وقيل: تذكرة تذكرون بها أمر الدين وتعملون به ﴿وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ﴾ عما جعله الله لكم من الشرف، كذا قال الزجاج[(٦)] والكلبي[(٧)] وغيرهما. وقيل: يسئلون عما يلزمهم من القيام بما فيه والعمل به.

﴿وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ﴾ قال الزهري[(٨)] وسعيد بن جبير[(٨)] وابن زيد[(٩)]: إن جبريل قال ذلك للنبي ﷺ لما أسري به. فالمراد: سؤال الأنبياء في ذلك الوقت عند ملاقاته لهم، وبه قال جماعة من السلف.

---

(١) «الوسيط» للواحدي (٤/ ٧٤)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٩/ ٥٠).
(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/ ٦٠٠) من طريق أبي الأشهب، به.
(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/ ٦٠٠) بسند صحيح.
(٤) «النكت والعيون» (٥/ ٢٢٧).
(٥) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/ ٦٠٣)، عن ابن عباس بسند صحيح.
(٦) في «معاني القرآن وإعرابه» (٤/ ٤١٣). (٧) ذكره الواحدي في «الوسيط» (٤/ ٧٤).
(٨) «النكت والعيون» (٥/ ٢٢٨)، و«جامع البيان» (٢٠/ ٦٠٥ ـ ٦٠٦).
(٩) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/ ٦٠٥) بسند صحيح.

وقال المبرد[١]، والزجاج[٢]، وجماعة من العلماء: إن المعنى: واسأل أمم من قد أرسلنا. وبه قال مجاهد[٣]، والسدّي[٤]، والضحاك[٥]، وقتادة[٦]، وعطاء[٧]، والحسن[٨] ومعنى الآية على القولين: سؤالهم هل أذن الله بعبادة الأوثان في ملة من الملل، وهل سوّغ ذلك لأحد منهم؟ والمقصود: تقريع مشركي قريش بأن ما هم عليه لم يأت في شريعة من الشرائع.

وقد أخرج ابن أبي حاتم[٩] عن محمد بن عثمان المخزومي أن قريشاً قالت: قَيّضوا لكل رجل من أصحاب محمد رجلاً يأخذه، فقيّضوا لأبي بكر طلحة بن عبيد الله، فأتاه وهو في القوم، فقال أبو بكر: إلّام تدعوني؟ قال: أدعوك إلى عبادة اللّات والعزّى. قال أبو بكر: وما اللّات؟ قال: أولاد الله. قال: وما العزّى. قال: بناتُ الله. قال أبو بكر: فمن أمهم؟ فسكت طلحة، فلم يُجبه، فقال لأصحابه: أجيبوا الرجل، فسكت القوم، فقال طلحة: قم يا أبا بكر أشهد أن لا إله إلّا الله وأن محمداً رسول الله، فأنزل الله: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ الآية.

وثبت في صحيح مسلم[١٠]، وغيره أنّ مع كل إنسان قريناً من الجنّ.

وأخرج ابن مردويه[١١] عن عليّ في قوله: ﴿فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ﴾ قال: ذهب نبيه ﷺ، وبقيت نقمته في عدوّه.

وأخرج ابن مردويه[١٢] عن ابن عباس في قوله: ﴿أَوْ نُرِيَنَّكَ ٱلَّذِى وَعَدْنَٰهُمْ﴾ قال: يوم بدر.

---

(١) ذكره البغوي في «تفسيره» (٧/ ٢١٦).
(٢) في «معاني القرآن وإعرابه» (٤/ ٤١٣).
(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/ ٦٠٤) بسند صحيح.
(٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/ ٦٠٤) بسند حسن.
(٥) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/ ٦٠٥) بسند حسن.
(٦) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/ ٦٠٤) بسند صحيح.
(٧) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٩/ ٦٥). (٨) «النكت والعيون» (٥/ ٢٢٨).
(٩) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٣٧٧).
(١٠) أخرجه مسلم في «صحيحه» رقم (٢٨١٤) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.
(١١) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٣٧٩).
(١٢) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٣٧٩).

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والطبراني، وابن مردويه، والبيهقي في «الشعب» من طرق عنه[(١)] في قوله: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ﴾ قال: شَرَفٌ لك، ولقومك.

وأخرج ابن عدّي، وابن مردويه عن عليّ، وابن عباس[(٢)] قالا: كان رسول الله ﷺ يعرض نفسه على القبائل بمكة، ويعدهم الظهور، فإذا قالوا: لمن الملك بعدك؟ أمسك، فلم يجبهم بشيء؛ لأنّه لم يؤمر في ذلك بشيء حتى نزلت: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ﴾، فكان بعد إذا سُئل قال: قريش، فلا يجيبوه حتى قبلته الأنصار على ذلك.

وأخرج عبد بن حميد من طريق الكلبي عن ابن عباس[(٣)] في قوله: ﴿وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ﴾ قال: اسأل الذين أرسلنا إليهم قبلك من رسلنا.

[العبرة من قصة موسى وفرعون]:

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ فَقَالَ إِنِّى رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٦﴾ فَلَمَّا جَآءَهُم بِـَٔايَٰتِنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَضْحَكُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا نُرِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ إِلَّا هِىَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا وَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤٨﴾ وَقَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴿٥٠﴾ وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِى قَوْمِهِۦ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِى مِن تَحْتِىٓ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾ أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾ فَلَوْلَآ أُلْقِىَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ أَوْ جَآءَ مَعَهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مُقْتَرِنِينَ ﴿٥٣﴾ فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٥٤﴾ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْءَاخِرِينَ ﴿٥٦﴾﴾.

لما أعلم الله سبحانه نبيه بأنه منتقم له من عدوّه، وذكر اتفاق الأنبياء على التوحيد أتبعه بذكر قصة موسى وفرعون، وبيان ما نزل بفرعون وقومه من النقمة،

---

(١) أخرجه ابن جرير (٢٠/ ٦٠٣)، وابن أبي حاتم ـ كما في «الإتقان» (٢/ ٤٢) ـ، والطبراني رقم (١٣٠٣٠)، والبيهقي في «الشعب» رقم (١٣٩٤) بسند صحيح.

(٢) أخرجه ابن عدي في «الكامل» (٣/ ١٢٧٢).

(٣) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٣٨٢).

فقال: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَآ﴾، وهي: التسع التي تقدّم بيانها ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ﴾ الملأ: الأشراف ﴿فَقَالَ إِنِّى رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ أرسلني إليكم ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم بِـَٔايَـٰتِنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَضْحَكُونَ﴾ استهزاءً وسخريةً وجواب «لما» هو «إذا» الفُجائية؛ لأن التقدير: فاجئوا وقت ضحكهم. ﴿وَمَا نُرِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ إِلَّا هِىَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا﴾؛ أي: كل واحدة من آيات موسى أكبر مما قبلها، وأعظم قدراً مع كون التي قبلها عظيمة في نفسها.

وقيل: المعنى: إنّ الأولى تقتضي علماً، والثانية تقتضي علماً، فإذا ضمت الثانية إلى الأولى ازداد الوضوح، ومعنى الأخوّة بين الآيات: أنها متشاكلة[(١)] متناسبة في دلالتها على صحة نبوّة موسى كما يقال: هذه صاحبة هذه؛ أي: هما قرينتان في المعنى. وجملة: ﴿إِلَّا هِىَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا﴾ في محل جرّ صفة لآية.

وقيل: المعنى: أن كل واحدة من الآيات إذا انفردت ظنّ الظانّ أنها أكبر من سائر الآيات، ومثل هذا قول القائل:

مَنْ تَلْقَ منهُم تقُل لَاقِيتُ سيِّدَهُم مثلَ النُّجوم التي يَسْرِي بها السَّارِي[(٢)]

﴿وَأَخَذْنَـٰهُم بِٱلْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾؛ أي: بسبب تكذيبهم بتلك الآيات، والعذاب هو المذكور في قوله: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ [الأعراف: ١٣٠] الآية، وبين سبحانه أن العلة في أخذه لهم بالعذاب هو: رجاء رجوعهم، ولما عاينوا ماجاءهم به من الآيات البينات، والدلالات الواضحات ظنوا أن ذلك من قبيل السحر.

﴿وَقَالُواْ يَـٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ﴾، وكانوا يُسمون العلماء سحرة، ويوقّرون السحرة[(٣)] ويعظمونهم، ولم يكن السحر صفة ذم عندهم. قال الزجاج[(٤)]: خاطبوه بما تقدّم له عندهم من التسمية بالساحر.

﴿ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ﴾؛ أي: بما أخبرتنا من عهده إليك إنا إذا آمنا كُشف عنا العذاب، وقيل: المراد بالعهد: النبوّة، وقيل: استجابة الدعوة على

---

(١) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٩/ ٥٧)، والألوسي في «روح المعاني» (٢٤/ ٣٩١).
(٢) قائله عبيد بن العرندس الكلابي. «الحماسة البصرية» (١/ ١٥١).
(٣) قاله الكلبي والجُبَّائي. «مجمع البيان» (٢٥/ ٨٩).
(٤) في «معاني القرآن وإعرابه» (٤/ ٤١٤).

العموم ﴿إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ﴾؛ أي: إذا كُشف عنا العذاب الذي نزل بنا، فنحن مهتدون فيما يستقبل من الزمان، ومؤمنون بما جئت به ﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ﴾ في الكلام حذف[١].

والتقدير: فدعا موسى ربَّه، فكشف عنهم العذاب، فلما كشف عنهم العذاب، فاجئوا وقت نكثهم للعهد الذي جعلوه على أنفسهم من الاهتداء، والنكث: النقض.

﴿وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ﴾ قيل: لما رأى تلك الآيات خاف ميل القوم إلى موسى؛ فجمعهم ونادى بصوته فيما بينهم، أو أمر منادياً ينادي بقوله: ﴿يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ﴾ لا ينازعني فيه أحد ولا يخالفني مخالف ﴿وَهَٰذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي﴾؛ أي: مِنْ تحت قصري، والمراد: أنهار النيل.

وقال قتادة[٢]: المعنى تجري بين يديّ. وقال الحسن[٣]: تجري بأمري؛ أي: تجري تحت أمري. وقال الضحاك[٤]: أراد بالأنهار: القوّاد والرؤساء، والجبابرة، وأنهم يسيرون تحت لوائه. وقيل: أراد بالأنهار: الأموال[٥]، والأوّل أولى. والواو في «وهذه» عاطفة على ملك مصر، و «تجري» في محلّ نصب على الحال[٦]، أو هي واو الحال، واسم الإشارة مبتدأ، و«الأنهار» صفة له، و«تجري» خبره، والجملة في محل نصب ﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ ذلك، وتستدلون به على قوّة ملكي، وعظيم قدري وضعف موسى عن مقاومتي؟ ﴿أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ﴾ «أم»: هي المنقطعة[٧] المقدّرة ببل التي للإضراب دون الهمزة التي للإنكار[٧]؛ أي: بل أنا خير. قال أبو عبيدة[٨]: أم بمعنى بل.

والمعنى: قال فرعون لقومه: بل أنا خير. وقال الفراء[٩]: إن شئت جعلتها من

---

(١) «روح المعاني» (٢٤/ ٣٩٤)، و«البحر المحيط» (٩/ ٣٨١).
(٢) «النكت والعيون» (٥/ ٢٢٩).
(٣) «معالم التنزيل» (٧/ ٢١٧)، و«الوسيط» (٤/ ٧٦).
(٤) «النكت والعيون» (٥/ ٢٣٠).
(٥) «الجامع لأحكام القرآن» (١٩/ ٥٩).
(٦) «روح المعاني» (٢٤/ ٣٩٥)، و«البحر المحيط» (٩/ ٣٨١).
(٧) «الكتاب» (٢/ ١٧٣)، و«روح المعاني» (٢٤/ ٣٩٧)، و«البحر المحيط» (٩/ ٣٨١).
(٨) في «مجاز القرآن» (٢/ ٢٠٤).
(٩) في «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٣٥).

الاستفهام الذي جعل بأمْ لاتصاله بكلام قبله، وقيل: هي زائدة، وحكى أبو زيد[١] عَنْ العرب أنهم يجعلون أم زائدة، والمعنى: أنا خير من هذا.

وقال الأخفش[٢]: في الكلام حذف، والمعنى: أفلا تبصرون أم تبصرون؟ ثم ابتدأ، فقال: ﴿أَنَا خَيْرٌ﴾، وروي عن الخليل[٣]، وسيبويه[٤] نحو قول الأخفش[٢]، ويؤيد هذا: أن عيسى الثقفي، ويعقوب الحضرمي وقفا على «أَمْ» على تقدير أم تُبْصرون، فحذف لدلالة الأوّل عليه، وعلى هذا، فتكون (أم) متصلة لا منقطعة، والأوّل أولى، ومثله قول الشاعر الذي أنشده الفراء[٥]:

بدتْ مثلَ قَرْنِ الشَّمسِ في رَوْنق الضُّحى ... وصُورتِها أم أنتِ في العَيْنِ أَمْلحُ

أي: بل أنت. وحكى الفراء[٥] أن بعض القراء قرأ: «أما أنا خير»[٦]؛ أي: ألست خيراً من هذا الذي هو مهين؟ أي: ضعيف حقير ممتهن في نفسه لا عزّ له ﴿وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾ الكلام لما في لسانه من العقدة، وقد تقدم بيانه في سورة طه.

﴿فَلَوْلَآ أُلْقِىَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ﴾؛ أي: فهلاّ حُلّي بأساورة الذهب إن كان عظيماً، وكان الرجل فيهم إذا سوّدوه سوّروه بسوار من ذهب، وطوّقوه بطوق من ذهب.

قرأ الجمهور[٧]: «أساورة» جمع أسورة جمع سوار. وقال أبو عمرو بن العلاء[٨]: واحد الأساورة والأساور، والأساوير أسوار، وهي لغة في سوار. وقرأ

---

(١) قال ابن الأنباري في «البيان» (٢/ ٣٥٤): وزعم أبو زيد أن «أم» زائدة، وليس بشيء.

(٢) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٩/ ٦١).

(٣) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٩/ ٦١).

(٤) في «الكتاب» (٣/ ١٧٣).

(٥) في «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٣٥).

(٦) «روح المعاني» (٢٤/ ٣٩٩)، و«القراءات الشاذة» (ص١٣٧).

• قال ابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/ ٦١٢): ولو كانت هذه القراءة مستفيضة في قرأة الأمصار، لكانت صحيحة، وكان معناها حسناً، غير أنها خلافُ ما عليه قرأةُ الأمصار، فلا أستجيزُ القراءة بها، وعلى هذه القراءة، لو صَحَّت، لا كلفة له في معناها ولا مؤنة.

(٧) «التيسير» (ص١٩٧)، و«النشر» (٢/ ٣٦٩)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (٢/ ٢٥٩).

(٨) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٩/ ٦٢).

حفص[١]: «أَسْوِرَةٌ» جمع سوار، وقرأ أبيّ: «أساور»، وابن مسعود: «أساوير»[٢].

قال مجاهد[٣]: كانوا إذا سوّدوا رجلاً سوّروه بسوارين، وطوّقوه بطوق ذهب علامة لسيادته.

﴿أَوْ جَآءَ مَعَهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مُقْتَرِنِينَ﴾ معطوف على ألقي، والمعنى: هلا جاء معه الملائكة متتابعين متقارنين إن كان صادقاً يعينونه على أمره، ويشهدون له بالنبوّة، فأوهم اللعين قومه أن الرسل لا بدّ أن يكونوا على هيئة الجبابرة، ومحفوفين بالملائكة.

﴿فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ﴾؛ أي: حملهم على خفة الجهل، والسّفَه بقوله، وكيده، وغروره، فأطاعوه فيما أمرهم به، وقبلوا قوله، وكذبوا موسى ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ﴾؛ أي: خارجين عن طاعة الله [٤/٥٣].

قال ابن الأعرابي[٤]: المعنى: فاستجهل قومه فأطاعوه بخفة أحلامهم، وقلة عقولهم يقال: استخفّه الفرح؛ أي: أزعجه، واستخفه؛ أي: حمله، ومنه: ﴿وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾ [الروم: ٦٠]، وقيل: استخفّ قومه؛ أي: وجدهم خفاف العقول، وقد استخف بقومه، وقهرهم حتى اتبعوه.

[الأسف هنا على معنى الغضب]:

﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ قال المفسرون[٥]: أغضبونا والأسف: الغضب. وقيل: أشد الغضب، وقيل: السخط، وقيل: المعنى: أغضبوا رسلنا.

ثم بيّن العذاب الذي وقع به الانتقام، فقال: ﴿فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ في البحر ﴿فَجَعَلْنَٰهُمْ سَلَفًا﴾؛ أي: قدوة لمن عمل بعملهم من الكفار في استحقاق العذاب.

قرأ الجمهور[٦]: «سَلَفاً» بفتح السين، واللام جمع سالف كخدم، وخادم،

---

(١) «جامع البيان» (٢٠/ ٦١٤)، و«النشر» (٢/ ٣٦٩)، و«التيسير» (ص١٩٧). وقرأ يعقوب كقراءة حفص عن عاصم وأما قراءة أبيّ وابن مسعود فشاذتان.

(٢) «القراءات الشاذة» (ص١٣٥)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٩/ ٦٢)، و«إعراب القرآن» للنحاس (٤/ ١١٤).

(٣) «معالم التنزيل» (٧/ ٢١٧)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٩/ ٦٣).

(٤) في «ياقوتة الصراط» (ص٤٦٠).

(٥) «الوسيط» (٤/ ٧٧).

(٦) «الكشف عن وجوه القراءات» (٢/ ٢٦٠)، و«النشر» (٢/ ٣٦٩)، و«التيسير» (ص١٩٧).

ورَصَد، وراصد، وحرس، وحارس، يقال: سلف يسلف: إذا تقدّم، ومضى.

قال الفراء[١]، والزجاج[٢]: جعلناهم متقدّمين؛ ليتعظ بهم الآخرون، وقرأ حمزة، والكسائي: سُلُفاً بضم السين[٣]، واللام.

قال الفراء[٤]: هو: جمع سليف، نحو سُرُرْ، وسَرير. وقال أبو حاتم: هو: جمع سَلَف نحو خَشَب، وخُشُب.

وقرأ علي، وابن مسعود، وعلقمة، وأبو وائل، والنخعي، وحميد بن قيس بضم السين[٥]، وفتح اللام جمع سلفة، وهي: الفرقة المتقدّمة نحو غُرَف، وغُرْفَة، كذا قال النضر بن شميل[٦].

﴿وَمَثَلًا لِّلْآخِرِينَ﴾؛ أي: عبرةً، وموعظة لمن يأتي بعدهم، أو قصة عجيبة تجري مجرى الأمثال.

وقد أخرج ابن المنذر[٧] عن ابن عباس في قوله: ﴿وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾ قال: كانت بموسى لثغة في لسانه.

وأخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم عنه[٨] ﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا﴾ قال: أسخطونا. وأخرجا عنه أيضاً آسفونا قال: أغضبونا، وفي قوله: ﴿سَلَفًا﴾ قال: أهواء مختلفة.

وأخرج أحمد، والطبراني، والبيهقي في «الشعب»، وابن أبي حاتم عن عقبة بن عامر[٩]: أن رسول الله ﷺ قال: «إذا رأيت الله يعطي العبد ما شاء، وهو مقيم على

---

(١) في «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٣٦).
(٢) في «معاني القرآن وإعرابه» (٤/ ٤١٦).
(٣) «التيسير» (ص١٩٧)، و«البحر المحيط» (٩/ ٣٨٤).
(٤) في «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٣٦).
(٥) «القراءات الشاذة» (ص١٣٥)، و«البحر المحيط» (٩/ ٣٨٤)، و«روح المعاني» (٢٤/ ٤٠٢). وهي قراءة شاذة.
(٦) «تهذيب اللغة» (١٢/ ٤٣٣).
(٧) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٣٨٣).
(٨) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/ ٦١٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» ـ كما في «تغليق التعليق» (٤/ ٣٠٦) بسند صحيح.
(٩) أخرجه أحمد رقم (١٧٣١١)، والطبراني في «الأوسط» رقم (٩٢٧٢)، والبيهقي في «الشعب» رقم (٤٥٤٠) بسند حسن.

معاصيه فإنّما ذلك استدراج منه له، وقرأ[١]: ﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ﴾».

وأخرج ابن المنذر، وابن أبي حاتم عن طارق بن شهاب[٢] قال: كنت عند عبد الله، فذكر عنده موت الفجأة، فقال: تخفيف على المؤمن، وحسرة على الكافر، فلما آسفونا انتقمنا منهم.

[حقيقة عيسى عليه السلام وحقيقة رسالته، عيسى عبد أنعم الله عليه]:

﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ (٥٧) وَقَالُوٓاْ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ
مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًۢا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ (٥٨) إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَٰهُ مَثَلًا
لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ (٥٩) وَلَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَا مِنكُم مَّلَٰٓئِكَةً فِى ٱلْأَرْضِ يَخْلُفُونَ (٦٠)﴾

[وقوع الساعة فجأة وهم لا يشعرون]:

﴿وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَٱتَّبِعُونِ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ (٦١) وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ
إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ (٦٢) وَلَمَّا جَآءَ عِيسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِٱلْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ
ٱلَّذِى تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ (٦٣) إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَٰطٌ
مُّسْتَقِيمٌ (٦٤) فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ (٦٥) هَلْ
يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (٦٦) ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ
عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ (٦٧) يَٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ (٦٨) ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ
بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ مُسْلِمِينَ (٦٩) ٱدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ تُحْبَرُونَ (٧٠) يُطَافُ عَلَيْهِم
بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ وَأَنتُمْ فِيهَا
خَٰلِدُونَ (٧١) وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٧٢) لَكُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ كَثِيرَةٌ
مِّنْهَا تَأْكُلُونَ (٧٣)﴾.

(١) الآية في «مصادر التخريج» قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ﴾ [الأنعام: ٤٤].

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم كما في «تفسير ابن كثير» (١٢/٣١٨) سنده ضعيف، لضعف يحيى بن عبد الحميد الحماني.

لما قال سبحانه: ﴿وَسْئَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ﴾ [الزخرف: ٤٥] تعلق المشركون بأمر عيسى، وقالوا: ما يريد محمد إلا أن نتخذه إلٰهاً كما اتخذت النصارى عيسى ابن مريم، فأنزل الله: ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا﴾ كذا قال قتادة، ومجاهد.

وقال الواحدي[1]: أكثر المفسرين على أن هذه الآية نزلت في مجادلة ابن الزِّبَعْرَى مع النبي ﷺ لما نزل قوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ [الأنبياء: ٩٨]، فقال ابن الزبعري: خصمتك، وربِّ الكعبة، أليست النصارى يعبدون المسيح، واليهود عزيراً، وبنو مليح الملائكة؟ ففرح بذلك من قوله، فأنزل الله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠١]، ونزلت هذه الآية المذكورة هنا، وقد مضى هذا في سورة الأنبياء.

ولا يخفاك أن ما قاله ابن الزبعري مندفع من أصله، وباطل برمته، فإن الله سبحانه قال: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ﴾ [الأنبياء: ٩٨]، ولم يقل: «ومن تعبدون» حتى يدخل في ذلك العقلاء كالمسيح وعزير والملائكة.

﴿إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ﴾؛ أي: إذا قومك يا مُحمد من ذلك المثل المضروب يصدّون؛ أي: يضجّون، ويصيحون فرحاً بذلك المثل المضروب، والمراد بقومه هنا: كفار قريش. قرأ الجمهور[2] «يصِدُّون» بكسر الصاد، وقرأ نافع، وابن عامر، والكسائي بضمها[3].

قال الكسائي[4] والفراء[5] والزجاج[6] والأخفش[7]: هما لغتان، ومعناهما: يضّجون. قال الجوهري[8]: صدّ يصدّ صديداً: أي ضجّ. وقيل: إنه بالضم

(١) في «الوسيط» (٤/ ٧٨)، وفي «أسباب النزول» (ص٣٩٧).
(٢) «التيسير» (ص١٩٧)، و«فتح الباري» (٨/ ٤٣٦)، و«النشر» (٢/ ٣٦٩)، و«جامع البيان» (٢٠/ ٦٢٣).
(٣) انظر: المصادر المتقدمة. وكذلك قرأ بضم الصاد أبو جعفر وخلف.
(٤) ذكره النحاس في «إعراب القرآن» (٤/ ١١٥).
(٥) في «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٣٧). (٦) في «معاني القرآن وإعرابه» (٤/ ٤١٦).
(٧) في «معاني القرآن» للأخفش (٢/ ٦٩٠ ـ ٦٩١).
(٨) في «الصحاح» (٢/ ٤٩٥ ـ ٤٩٦).

الإعراض، وبالكسر من الضجيج، قاله قطرب[١]. قال أبو عبيد[٢]: لو كانت من الصدود عن الحق لقال: إذا قومك عنه يصدّون. وقال الفراء[٣]: هما سواء منه، وعنه.

وقال أبو عُبيدة[٤]: مَنْ ضمّ، فمعناه: يَعْدلون، ومَنْ كسر، فمعناه: يضجّون.

﴿وَقَالُوٓاْ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيۡرٌ أَمۡ هُوَۚ﴾؛ أي: ءآلهتنا خير أم المسيح؟ قال السدّي[٥]، وابن زيد[٦]: خاصموه، وقالوا: إنْ كان كل من عبد غير الله في النار، فنحن نرضى أن تكون آلهتنا مع عيسى وعزير والملائكة.

وقال قتادة[٧]: يعنون محمداً؛ أي: ءآلهتنا خير أم محمد؟ ويقوّي هذا قراءة ابن مسعود: «ءآلهتنا خير أم هذا».

قرأ الجمهور[٨] بتسهيل الهمزة الثانية بين بين، وقرأ الكوفيون[٩]، ويعقوب بتحقيقها ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلَۢاۚ﴾؛ أي: ما ضربوا لك هذا المثل في عيسى إلا ليجادلوك، على أن «جدلاً» منتصب على العلة، أو مجادلين على أنه مصدر في موضع الحال، وقرأ ابن مقسم[١٠]: «جدالاً».

﴿بَلۡ هُمۡ قَوۡمٌ خَصِمُونَ﴾؛ أي: شديدو الخصومة، كثيرو اللَّدد، عظيمو الجدال.

ثم بيّن سبحانه أن عيسى ليس بربّ، وإنما هو عبد من عباده اختصه بنبوّته، فقال: ﴿إِنۡ هُوَ إِلَّا عَبۡدٌ أَنۡعَمۡنَا عَلَيۡهِ﴾ بما أكرمناه به ﴿وَجَعَلۡنَٰهُ مَثَلٗا لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾؛

---

(١) في «الصحاح» (٢/ ٤٩٥ ـ ٤٩٦).
(٢) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٢٣٤).
(٣) ذكره النحاس في «إعراب القرآن» (٤/ ١١٥ ـ ١١٦).
(٤) في «مجاز القرآن» (٢/ ٢٠٥).
(٥) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/ ٦٢٧) بسند حسن.
(٦) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/ ٦٢٣) بسند صحيح.
(٧) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/ ٦٢٧) بسند صحيح. وأما قراءة ابن مسعود، فشاذة لمخالفة الرسم.
(٨) «البحر المحيط» (٩/ ٣٨٥)، و«التيسير» (ص١٩٧)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (٢/ ٢٦٠ ـ ٢٦١)، و«جامع البيان» (٢٠/ ٦٢٦).
(٩) انظر: المصادر المتقدمة. قرأ يعقوب بالتحقيق من رواية روح، وبالتسهيل من رواية رويس «النشر» (١/ ٣٦٥).
(١٠) «روح المعاني» (٢٤/ ٤٠٤)، و«البحر المحيط» (٩/ ٣٨٥). وهي قراءة شاذة.ا.هـ.

أي: آية وعبرة لهم يعرفون به قدرة الله سبحانه، فإنه كان من غير أب، وكان يحيي الموتى، ويبرئ الأكمه والأبرص وكلَّ مريض.

﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَا مِنكُم مَّلَٰٓئِكَةً فِى ٱلْأَرْضِ يَخْلُفُونَ﴾؛ أي: لو نشاء أهلكناكم وجعلنا بدلاً منكم ملائكة في الأرض يخلفون؛ أي: يخلفونكم فيها. قال الأزهري(١): ومِنْ قد تكون للبدل كقوله: ﴿لَجَعَلْنَا مِنكُم﴾ يريد: بدلاً منكم.

وقيل: المعنى: لو نشاء لجعلنا من بني آدم ملائكة(٢)، والأوّل أولى.

ومقصود الآية: أنّا لو نشاء لأسكنا الملائكة الأرض وليس في إسكاننا إيّاهم السماء شرف حتى يُعبدوا. وقيل: معنى ﴿يَخْلُفُونَ﴾(٣): يخلف بعضهم بعضاً.

﴿وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ﴾ قال مجاهد(٤)، والضحاك(٥) والسدّي(٦)، وقتادة(٧): إن المراد: المسيح، وإن خروجه مما يُعلم به قيام الساعة لكونه شرطاً مِنْ أشراطها؛ لأن الله سبحانه ينزله من السماء قبيل قيام الساعة، كما أن خروج الدّجال من أعلام الساعة.

وقال الحسن(٨) وسعيد بن جبير(٩): المراد: القرآن؛ لأنه يدلّ على قرب مجيء الساعة، وبه يعلم وقتها وأهوالها وأحوالها، وقيل المعنى: أن حدوث المسيح من غير أب وإحياءه للموتى دليل على صحة البعث. وقيل: الضمير لمحمد ﷺ، والأوّل أولى.

قرأ الجمهور(١٠): «لَعِلْمٌ» بصيغة المصدر جعل المسيح علماً مبالغة لما يحصل

---

(١) ذكره الواحدي في «الوسيط» (٤/ ١٠٥).
(٢) «النكت والعيون» (٥/ ٢٣٥).
(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/ ٦٣٠)، عن ابن عباس بسند صحيح.
(٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/ ٦٣٢ ـ ٦٣٣) بسند صحيح.
(٥) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/ ٦٣٣) بسند حسن.
(٦) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/ ٦٣٣) بسند حسن.
(٧) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/ ٦٣٣) بسند صحيح.
(٨) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/ ٦٣٤) بسند حسن.
(٩) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٢٣٥).
(١٠) «جامع البيان» (٢٠/ ٦٣٤)، و«زاد المسير» (٧/ ٣٢٥)، و«البحر المحيط» (٩/ ٣٨٦).

مِنْ العلم بحصولها عند نزوله، وقرأ ابن عباس، وأبو هريرة، وأبو مالك الغفاري، وقتادة، ومالك بن دينار، والضحاك، وزيد بن علي بفتح العين[١] واللام؛ أي: خروجه علم من أعلامها، وشرط من شروطها.

وقرأ أبو نضرة وعكرمة: «وإنه للعَلَم» بلامين[٢] مع فتح العين واللام؛ أي: لَلعلامة التي يُعرف بها قيام الساعة.

﴿فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا﴾؛ أي: فلا تشكنّ في وقوعها ولا تكذّبن بها، فإنها كائنة لا محالة ﴿وَاتَّبِعُونِ هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾؛ أي: اتبعوني فيما آمركم به من التوحيد وبطلان الشرك، وفرائض الله التي فرضها عليكم، وهذا الذي آمركم به وأدعوكم إليه طريق قيم موصل إلى الحقّ.

قرأ الجمهور[٣] بحذف الياء من: «اتبعون» وصلاً ووقفاً، وكذلك قرءوا بحذفها في الحالين في: «أطيعون»، وقرأ يعقوب[٤] بإثباتها وصلاً ووقفاً فيهما، وقرأ أبو عمرو[٥] وهي: رواية عَنْ نافع بحذفها في الوصل دون الوقف ﴿وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ الشَّيْطَانُ﴾؛ أي: لا تغتروا بوساوسه وشُبهه التي يوقعها في قلوبكم فيمنعكم ذلك من اتباعي، فإن الذي دعوتكم إليه هو دين الله الذي اتفق عليه رسله وكتبه.

ثم علَّل نهيهم عَنْ أن يصدّهم الشيطان ببيان عداوته لهم فقال: ﴿إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾؛ أي: مُظْهِر لعداوته لكم غير متحاش عن ذلك ولا متكتم به كما يدلّ على ذلك ما وقع بينه وبين آدم، وما ألزم به نفسه من إغواء جميع بني آدم إلا عباد الله

---

(١) انظر: المصادر المتقدمة. القراءة بفتح العين واللآم، وكذا بلامين شاذتان.

(٢) «القراءات الشاذة» (ص١٣٥ - ١٣٦)، و«البحر المحيط» (٩/ ٣٨٦)، و«روح المعاني» (٢٤/ ٤٠٩).

(٣) «النشر» (٢/ ٣٧٠)، و«التيسير» (ص١٩٧)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (٢/ ٢٦٣)، و«حاشية الجمل» (٤/ ٩٣).

(٤) انظر: المصادر المتقدمة. هنا تفصيل لابد منه: أما في (اتيعون) فأثبت الياء في الحالين يعقوب وأثبتها وصلاً دون الوقف أبو عمرو وأبو جعفر وقرأ الباقي بالحذف في الحالتين. وأمّارواية حذفها في الوصل دون الوقف أبو عمرو ونافع فرواية شاذة عنها وفي (أطيعون) أثبت الياء يعقوب في الحالين وحذفها الباقون. انظر: «النشر» (٢/ ٣٧٠)، و«تخريج القراءات في فتح القدير» (ص٣٥٨).

(٥) «التيسير» (ص١٩٧)، و«النشر» (٢/ ٣٧٠).

المخلصين ﴿وَلَمَّا جَآءَ عِيسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾؛ أي: جاء إلى بني إسرائيل بالمعجزات الواضحة والشرائع.

قال قتادة[١]: البينات هنا: الإنجيل ﴿قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِٱلْحِكْمَةِ﴾؛ أي: النبوّة، وقيل: الإنجيل، وقيل: ما يرغب في الجميل ويكفّ عن القبيح ﴿وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى تَخْتَلِفُونَ فِيهِ﴾ من أحكام التوراة.

وقال قتادة[٢]: يعني: اختلاف الفِرَق الذين تحزّبوا في أمر عيسى. قال الزجاج[٣]: الذي جاء به عيسى في الإنجيل إنما هو بعض الذي اختلفوا فيه، فبين لهم في غير الإنجيل ما احتاجوا إليه. وقيل[٤]: إن بني إسرائيل اختلفوا بعد موت موسى في أشياء من أمر دينهم.

وقال أبو عبيدة[٥]: إن البعض هنا بمعنى الكلّ كما في قوله: ﴿يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ﴾ [غافر: ٢٨] وقال مقاتل[٦]: هو كقوله: ﴿وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾ [آل عمران: ٥٠]؛ يعني: ما أحلّ في الإنجيل مما كان محرّماً في التوراة كلحم الإبل والشحم من كل حيوان، وصيد السمك يوم السبت. واللام في: ﴿وَلِأُبَيِّنَ لَكُم﴾ معطوفة على مقدّر كأنه قال: قد جئتكم بالحكمة لأعلمكم إياها ولأبين لكم.

ثم أمرهم بالتقوى والطاعة فقال: ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾؛ أي: اتقوا معاصيه ﴿وَأَطِيعُونِ﴾ فيما آمركم به من التوحيد والشرائع ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ﴾ هٰذا بيان لما أمرهم بأن يطيعوه فيه ﴿هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾؛ أي: عبادة الله وحده والعمل بشرائعه.

﴿فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ﴾. قال مجاهد[٧] والسدّي[٨]: الأحزاب هم: أهل الكتاب من اليهود والنصارى.

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/ ٦٣٥) بسند صحيح.
(٢) «النكت والعيون» (٥/ ٢٣٦).
(٣) في «معاني القرآن وإعرابه» (٤/ ٤١٨).
(٤) «الجامع لأحكام القرآن» (١٩/ ٧٣).
(٥) في «مجاز القرآن» (٢/ ٢٠٥).
(٦) «الجامع لأحكام القرآن» (١٩/ ٧٤).
(٧) «النكت والعيون» (٥/ ٢٣٧).
(٨) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/ ٦٣٨) بسند حسن.

وقال الكلبي(١)، ومقاتل(٢): هم فرق النصارى اختلفوا في أمر عيسى. قال قتادة(٣): ومعنى ﴿مِنۢ بَيۡنِهِمۡۖ﴾: أنهم اختلفوا فيما بينهم، وقيل: اختلفوا من بين من بعث إليهم من اليهود والنصارى، والأحزاب هي: الفرق المتحزبة ﴿فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ من هؤلاء المختلفين، وهم الذين أشركوا بالله ولم يعملوا بشرائعه ﴿مِنۡ عَذَابِ يَوۡمٍ أَلِيمٍ﴾؛ أي: أليمٌ عذابهُ وهو يوم القيامة [٤/٥٤].

﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ﴾؛ أي: هل يرتقب هؤلاء الأحزاب وينتظرون إلا الساعة ﴿أَن تَأۡتِيَهُم بَغۡتَةٗ﴾؛ أي: فجأة ﴿وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ﴾؛ أي: لا يفطنون بذلك، وقيل: المراد بالأحزاب: الذين تحزّبوا على النبي ﷺ وكذبوه، وهم المرادون بقوله: ﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ﴾ والأوّل أولى.

﴿ٱلۡأَخِلَّآءُ يَوۡمَئِذِۭ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوٌّ﴾؛ أي: الأخلاء في الدنيا المتحابون فيها يوم تأتيهم الساعة بعضهم لبعض عدوّ؛ أي: يعادي بعضهم بعضاً؛ لأنها قد انقطعت بينهم العلائق، واشتغل كل واحد منهم بنفسه، ووجدوا تلك الأمور التي كانوا فيها أخلاء أسباباً للعذاب فصاروا أعداء.

[المتقون المتحابون في الله أخلاء يوم القيامة وفي الآخرة]:

ثم استثنى المتقين فقال: ﴿إِلَّا ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ فإنهم أخلاء في الدنيا والآخرة؛ لأنهم وجدوا تلك الخلة التي كانت بينهم من أسباب الخير والثواب فبقيت خلتهم على حالها.

﴿يَٰعِبَادِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَ وَلَآ أَنتُمۡ تَحۡزَنُونَ﴾؛ أي: يُقال لهؤلاء المتقين المتحابين في الله بهذه المقالة ؛فيذهب عند ذلك خوفُهم ويرتفع حزنهم ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ مُسۡلِمِينَ﴾ الموصول(٤) يجوز أن يكون نعتاً لعبادي، أو بدلاً منه، أو عطف بيان له، أو مقطوعاً عنه في محل نصب على المدح، أو في محل رفع بالابتداء وخبره ﴿ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ﴾ على تقدير: يقال لهم ادخلوا الجنة.

---

(١) «النكت والعيون» (٥/٢٣٧)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٩/٧٥).

(٢) «النكت والعيون» (٥/٢٣٧)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٩/٧٥).

(٣) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٩/ ٧٤ ـ ٧٥).

(٤) «الفريد» (٤/٢٦٣).

والأوّل أولى، وبه قال الزجاج[١]. قال مقاتل[٢]: إذا وقع الخوف يوم القيامة نادى منادٍ: يا عبادي لا خوف عليكم، فإذا سمعوا النداء رفع الخلائق رؤوسهم، فيقال: الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين فينكّس أهل الأوثان رؤوسهم غير المسلمين.

قرأ نافع، وابن عامر، وأبو عمرو: ورويس «يا عبادي»[٣] بإثبات الياء ساكنة وصلاً ووقفاً، وقرأ أبو بكر[٤] وزرّ بن حبيش بإثباتها وفتحها في الحالين، وقرأ الباقون[٥] بحذفها في الحالين.

﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ﴾ المراد بالأزواج: نساؤهم المؤمنات، وقيل: قرناؤهم من المؤمنين، وقيل: زوجاتهم من الحور العين ﴿تُحْبَرُونَ﴾: تُكْرمون[٦]، وقيل: تنعمون[٧]، وقيل: تفرحون، وقيل: تسرّون، وقيل: تعجبون، وقيل: تلذذون بالسماع[٨]، والأولى تفسير ذلك بالفرح والسرور الناشئين عَنْ الكرامة والنِّعمة.

﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ﴾ الصِحَاف جمع صحفة وهي: القَصْعة الواسعة العريضة.

قال الكسائي[٩]: أعظم القصاع الجَفْنة ثم القَصْعة، وهي تشبع عشرة، ثم الصحفة، وهي تشبع خمسة، ثم المكيلة وهي تُشبع الرجلين والثلاثة، والمعنى: أن لهم في الجنة أطعمة يطاف عليهم بها في صحاف الذهب لهم فيها أشربة يطاف عليهم بها في الأكواب وهي جمع كوب.

---

(١) في «معاني القرآن وإعرابه» (٤/ ٤١٩)، و«روح المعاني» (٢٤/ ٤١٤).
(٢) «الوسيط» للواحدي (٤/ ٨٠ ـ ٨١)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٩/ ٧٦ ـ ٧٧).
(٣) «البحر المحيط» (٩/ ٣٨٧)، و«النشر» (٢/ ٣٧٠)، و«التيسير» (ص١٩٧)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (٢/ ٢٦٣).
(٤) «البحر المحيط» (٩/ ٣٨٧)، و«النشر» (٢/ ٣٧٠)، و«التيسير» (ص١٩٧).
(٥) انظر: المصادر المتقدمة.
(٦) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/ ٦٤٢)، عن السدي بسند حسن.
(٧) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/ ٦٤٢)، عن قتادة بسند صحيح.
وأخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/ ٦٤٣)، عن ابن زيد بسند صحيح.
(٨) «النكت والعيون» (٥/ ٢٣٨).
(٩) ذكره ابن العربي في «أحكام القرآن» (٤/ ١٦٧٦).

قال الجوهري[١]: الكوب كوز لا عروة له، والجمع: أكواب. قال الأعشى[٢]:

صَرِيفيةٌ طيِّبٌ طَعمُها ... لها زَبَدٌ بين كُوبٍ ودَنّ

وقال آخر:

مُتكئاً تَصْفقُ أبوابُهُ ... يَسْعى عَلَيه العَبْدُ بالكُوبِ[٣]

قال قتادة[٤]: الكوب: المدوّر القصير العنق القصير العروة، والإبريق: المستطيل العنق الطويل العروة.

وقال الأخفش[٥]: الأكواب الأباريق التي لا خراطيم لها. وقال قطرب: هي الأباريق التي ليست لها عرى.

﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ﴾ قرأ الجمهور[٦]: «تشتهي» وقرأ نافع، وابن عامر، وحفص: «تشتهيه» بإثبات الضمير[٧] العائد على الموصول.

والمعنى: ما تشتهيه أنفس أهل الجنة من فنون الأطعمة والأشربة ونحوهما مما تطلبه النفس وتهواه كائناً ما كان، وتلذ الأعين من كل المستلذات التي تستلذّ بها وتطلب مشاهدتها، تقول: لذّ الشيء يَلَذُّ لَذاذاً، ولَذاذة: إذا وجده لذيذاً والتذّ به، وفي مصحف عبد الله بن مسعود[٨]: «تشتهيه الأنفس وتلذّه الأعين» ﴿وَأَنتُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ لا تموتون ولا تخرجون منها.

﴿وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾؛ أي: يقال لهم يوم القيامة هذه المقالة؛ أي: صارت إليكم كما يصير الميراث إلى الوارث بما كنتم تعملونه في

---

(١) في «الصحاح» (١/ ٢١٥).

(٢) في «ديوانه» (ص٦٧).
الصريفية نسبة إلى صريفون: بلدة بواسط منها الخمر الصريفية. وقيل لها صريفية؛ لأنها أخذت من الدن ساعتئذ، كاللبن الصريف.
«القاموس المحيط» (صرف)، و«الصحاح» (٤/ ١٣٨٥).

(٣) قائله عدي بن زيد.
«تهذيب اللغة» (١٠/ ٤٠٠)، و«الصحاح» (١/ ٢١٥).

(٤) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٩/ ٨١).

(٥) «النكت والعيون» (٥/ ٢٣٨ ـ ٢٣٩).

(٦) «النشر» (٢/ ٣٧٠)، و«التيسير» (ص١٩٧)، و«جامع البيان» (٢٠/ ٦٤٧).

(٧) انظر: المصادر المتقدمة. وكذلك قرأ أبو جعفر كقراءة نافع ومن معه.

(٨) «روح المعاني» (٢٤/ ٤٢٠)، و«البحر المحيط» (٩/ ٣٨٨).

الدنيا من الأعمال الصالحة، واسم الإشارة مبتدأ، والجنة صفته، و«التي أورثتموها» صفة للجنة، والخبر «بما كنتم تعملون»، وقيل: الخبر الموصول[1] مع صلته، والأوّل أولى.

﴿لَكُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ كَثِيرَةٌ﴾ الفاكهة معروفة، وهي: الثمار كلُّها رطبها ويابسها؛ أي: لهم في الجنة سوى الطعام، والشراب فاكهة كثيرة الأنواع والأصناف ﴿مِّنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ من تبعيضية، أو ابتدائية، وقدّم الجار لأجل الفاصلة.

وقد أخرج أحمد، وابن أبي حاتم، والطبراني، وابن مردويه عن ابن عباس[2]: أن رسول الله قال لقريش: «إنه ليس أحد يُعَبد من دون الله فيه خير، قالوا: ألست تزعم أنّ عيسى كان نبيّاً، وعبداً من عباد الله صالحاً، وقد عبدته النصارى؟ فإن كنت صادقاً، فإنّه كآلهتهم، فأنزل الله: ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ﴾ قلت: وما يصدّون؟ قال: يضجّون. ﴿وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ﴾ قال: خروج عيسى ابن مريم قبل يوم القيامة».

وأخرج سعيد بن منصور، وأحمد، وعبد بن حميد، والترمذي وصححه، وابن ماجه، وابن جرير، وابن المنذر، والطبراني، والحاكم وصححه، وابن مردويه، والبيهقي في «الشعب» عن أبي أمامة[3] قال: قال رسول الله ﷺ: «ما ضلّ قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أُوتوا الجدال، ثم تلا هذه الآية: ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًۢا﴾ [الزخرف: ٥٨].

وقد ورد في ذمّ الجدال بالباطل أحاديث كثيرة.

وأخرج ابن مردويه[4] عن ابن عباس: «أن المشركين أتوا رسول الله ﷺ، فقالوا: أرأيت ما نعبد من دون الله أين هم؟ قال: في النار، قالوا: والشمس،

---

(١) «الفريد» (٤/ ٢٦٣)، و«روح المعاني» (٢٤/ ٤٢١).

(٢) أخرجه أحمد رقم (٢٩١٨)، وابن أبي حاتم ـ كما في «تفسير ابن كثير» (١٢/ ٣٢١) ـ، والطبراني رقم (١٢٧٤٠) بسند حسن.

(٣) أخرجه أحمد رقم (٢٢١٦٤، ٢٢٢٠٤)، والترمذي رقم (٣٢٥٣)، وابن ماجه رقم (٤٨)، وابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/ ٦٢٨)، والطبراني رقم (٨٠٦٧)، والحاكم (٢/ ٤٤٧، ٤٤٨)، والبيهقي رقم (٨٤٣٨). وهو حديث صحيح.

(٤) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٣٨٦).

والقمر؟ قال: والشمس، والقمر قالوا: فعيسى ابن مريم قال: قال الله: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِّبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾».

وأخرج الفريابي، وسعيد بن منصور، ومسدّد، وعبد بن حميد، وابن أبي حاتم، والطبراني من طرق عنه(١) في قوله: ﴿وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ﴾ قال: خروج عيسى قبل يوم القيامة.

وأخرجه الحاكم(٢) وابن مردويه عنه مرفوعاً.

وأخرج عبد بن حميد(٣) عن أبي هريرة نحوه.

وأخرج ابن مردويه(٤) عن سعد بن معاذ قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا كان يوم القيامة انقطعت الأرحام وقلَّت الأنساب وذهبت الأخوَّة إلا الأخوة في الله، وذلك قوله: ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ﴾».

وأخرج عبد الرزاق، وعبد بن حميد، وحميد بن زنجويه في ترغيبه، وابن جرير، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، والبيهقي في «الشعب» عن عليّ بن أبي طالب(٥) في قوله: ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ﴾ قال: خليلان مؤمنان، وخليلان كافران تُوفِّي أحد المؤمنين، فبُشِّر بالجنة؛ فذكر خليله، وقال: اللَّهُمَّ إن خليلي فلاناً كان يأمرني بطاعتك، وطاعة رسولك، ويأمرني بالخير، وينهاني عن الشرّ، وينبئني أني مُلاقيك، اللَّهُمَّ لا تُضلّه بعدي حتى تريه مثل ما أريتني، وترضى عنه كما رضيت عني، فيقال له: اذهب؛ فلو تعلم ما له عندي

(١) عزاه إليهم السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٣٨٦).
وأخرجه مسدد ـ كما في «المطالب العالية» رقم (٤٠٩٤)، والطبراني رقم (١٢٧٤٠)، وأحمد رقم (٢٩٢١) بسند حسن.
قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ١٠٤): «وفيه عاصم بن بهدلة وثقه أحمد وغيره وهو سيئ الحفظ وبقية رجاله رجال الصحيح.

(٢) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٢/ ٢٥٤).

(٣) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٣٨٦).

(٤) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٣٨٧).

(٥) أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢/ ١٩٩)، وابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/ ٦٤٠)، وابن أبي حاتم ـ كما في «تفسير ابن كثير» (١٢/ ٣٢٥) ـ، والبيهقي رقم (٩٤٤٣) بسند صحيح.

لضحكتَ كثيراً، ولبكيَت قليلاً، ثم يموت الآخر، فيجمع بين أرواحهما، فيقال: ليثن كلٌّ واحد منكما على صاحبه، فيقول كل واحد منهما لصاحبه: نعم الأخ، ونعم الصاحب ونعم الخليل؛ وإذا مات أحد الكافرين بُشِّر بالنار، فيذكر خليله، فيقول: اللَّهُمَّ إن خليلي فلاناً كان يأمرني بمعصيتك، ومعصية رسولك، ويأمرني بالشرّ، وينهاني عن الخير، وينبئني أني غير ملاقيك، اللَّهُمَّ فلا تهده بعدي حتى تريه مثل ما أريتني، وتسخط عليه كما سخطت عليّ، فيموت الآخر، فيُجمع بين أرواحهما، فيقال: ليثن كلّ واحد منكما على صاحبه، فيقول كل منهما لصاحبه: بئس الأخ وبئس الصاحب، وبئس الخليل.

وأخرج ابن جرير[1] عن ابن عباس قال: الأكواب: الجرار من الفضة.

وأخرج ابن أبي حاتم، وابن مردويه عن أبي هريرة[2]: أن رسول الله ﷺ قال: «ما من أحد إلّا وله منزل في الجنة، ومنزل في النار، فالكافر يرث المؤمن منزله من النار، والمؤمن يرث الكافرَ منزله في الجنّة، وذلك قوله: ﴿وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا﴾».

[من أحوال المجرمين يوم القيامة]:

﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ (٧٤) لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ (٧٥) وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ
وَلَٰكِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ (٧٦) وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ (٧٧) لَقَدْ جِئْنَٰكُم بِٱلْحَقِّ
وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ (٧٨) أَمْ أَبْرَمُوٓا۟ أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ (٧٩) أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم
بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ (٨٠) قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ (٨١) سُبْحَٰنَ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ (٨٢) فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا۟ وَيَلْعَبُوا۟ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ (٨٣)
وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ (٨٤) وَتَبَارَكَ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٨٥) وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ
ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (٨٦) وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ (٨٧)
وَقِيلِهِۦ يَٰرَبِّ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ لَّا يُؤْمِنُونَ (٨٨) فَٱصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَٰمٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ (٨٩)﴾.

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٢/ ٢٩٥ ـ ٢٩٦).

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم ـ كما في «تفسير ابن كثير» (١٢/ ٣٢٧) ـ بسند ضعيف.

قوله: ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾؛ أي: أهل الإجرام الكفرية، كما يدل عليه إيرادهم في مقابلة المؤمنين الذين لهم ما ذكره الله سبحانه قبل هذا ﴿فِى عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ﴾ لا ينقطع عنهم العذاب أبداً ﴿لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ﴾؛ أي: لا يُخفّف عنهم ذلك العذاب، والجملة في محل[١] نصب على الحال ﴿وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾؛ أي: آيسون[٢] من النجاة.

وقيل: ساكتون سكوت يأس، وقد مضى تحقيق معناه في الأنعام.

﴿وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ﴾؛ أي: ما عذبناهم بغير ذنب، ولا بزيادة على ما يستحقونه ﴿وَلَٰكِن كَانُواْ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ لأنفسهم بما فعلوا من الذنوب.

قرأ الجمهور[٣]: «الظالمين» بالنصب على أنه خبر كان، والضمير ضمير فصل. وقرأ أبو زيد النحوي[٤]: «الظالمون» بالرفع على أن الضمير مبتدأ، وما بعده خبره، والجملة خبر كان.

﴿وَنَادَوْاْ يَٰمَٰلِكُ﴾؛ أي: نادى المجرمون هذا النداء، ومالك هو خازن النار. قرأ الجمهور «يا مالك» بدون ترخيم[٥].

وقرأ عليّ، وابن مسعود، ويحيى بن وثاب، والأعمش «يا مال» بالترخيم[٦].

﴿لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ بالموت توسلوا بمالك إلى الله سبحانه؛ ليسأله لهم أن يقضي عليهم بالموت؛ ليستريحوا من العذاب [٤/٥٥].

﴿قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ﴾؛ أي: مُقيمون في العذاب، قيل: سكت عن إجابتهم ثمانين سنة[٧]، ثم أجابهم بهذا الجواب.

---

(١) «التبيان» (٢/ ١٢٤١)، و«الفريد» (٤/ ٢٦٣ ـ ٢٦٤).
(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/ ٦٤٨)، عن قتادة بسند صحيح.
(٣) «البحر المحيط» (٩/ ٣٨٨)، و«إعراب القرآن» للنحاس (٤/ ١٢١).
(٤) وهي قراءة شاذة. «البحر المحيط» (٩/ ٣٨٨)، و«روح المعاني» (٢٤/ ٤٢٤).
(٥) «البحر المحيط» (٩/ ٣٨٩)، و«روح المعاني» (٢٤/ ٤٢٤)، و«التبصرة والتذكرة» (ص٥١٣ ـ ٥١٤).
(٦) «القراءات الشاذة» (ص١٣٤)، و«المحتسب» (٢/ ٢٥٧).
(٧) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٢٣٩)، عن السُّدي.

وقيل: سكت عنهم ألف عام[١]، وقيل: مائة سنة[٢]، وقيل: أربعين سنة[٣].

﴿لَقَدْ جِئْنَاكُم بِالْحَقِّ﴾ يحتمل أن يكون هذا من كلام الله[٤] سبحانه، ويحتمل أن يكون من كلام مالك والأوّل أظهر؛ والمعنى: إنّا أرسلنا إليكم الرسل، وأنزلنا عليهم الكتب فدعوكم فلم تقبلوا ولم تصدّقوا وهو معنى قوله: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ﴾ لا يقبلونه.

والمراد بالحق: كل ما أمر الله به على ألسن رسله، وأنزله في كتبه. وقيل: هو خاص بالقرآن. قيل: ومعنى أكثركم: كلكم. وقيل: أراد الرؤساء، والقادة، ومن عداهم أتباع لهم.

﴿أَمْ أَبْرَمُوا أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ﴾ «أم» هي: المنقطعة[٥] التي بمعنى بل، والهمزة؛ أي: بل أبرموا أمراً. وفي ذلك انتقال من توجع أهل النار إلى حكاية ما يقع من هؤلاء، والإبرام[٦]: الإتقان والإحكام، يقال: أبرمت الشيء: أحكمته وأتقنته، وأبرم الحبل: إذا أحكم فتله.

والمعنى: بل أحكموا كيداً للنبي ﷺ، فإنا محكمون لهم كيداً قاله مجاهد[٧] وقتادة[٨] وابن زيد[٩] ومثل هذا قوله تعالى: ﴿أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا ۖ فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ﴾ [الطور: ٤٢] وقيل: المعنى: أم قضوا أمراً، فإنا قاضون عليهم أمرنا بالعذاب، قاله الكلبي[١٠].

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/ ٦٤٩)، وعبد الرزاق في «تفسيره» (٢/ ٢٠٢)، وابن أبي الدنيا في «صفة النار» رقم (٨٥) من طريق الثوري، به.
وأخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/ ٦٥١)، عن السُّدي بسند حسن.
(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/ ٦٤٩) من طريق الحسن، عن نوف البكالي.
(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/ ٦٤٩ ـ ٦٥٠)، عن قتادة بسند صحيح.
(٤) «الجامع لأحكام القرآن» (١٩/ ٨٧)، و«المحرر الوجيز» (١٤/ ٢٧٧).
(٥) «روح المعاني» (٢٤/ ٤٢٦)، و«الفريد» (٤/ ٢٦٤).
(٦) «مفردات ألفاظ القرآن» (ص١٢٠)، و«تهذيب اللغة» (١٥/ ٢٢٠).
(٧) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/ ٦٥٢) بسند صحيح.
(٨) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/ ٦٥٢)، وعبد الرزاق في «تفسيره» (٢/ ٢٠٢) بسند صحيح.
(٩) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/ ٦٥٢) بسند صحيح.
(١٠) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٢٤٠).

﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم﴾؛ أي: بل أيحسبون أنا لا نسمع ما يسرّون به في أنفسهم، أو ما يتحادثون به سرّاً في مكان خالٍ، وما يتناجون به فيما بينهم ﴿بَلَىٰ﴾ نسمع ذلك، ونعمل به ﴿وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾؛ أي: الحفظة عندهم يكتبون جميع ما يصدر عنهم من قول، أو فعل، والجملة في محل نصب[(١)] على الحال، أو معطوفة على الجملة التي تدلّ عليها «بلى».

ثم أمر الله سبحانه رسوله ﷺ أن يقول للكفار قولاً يلزمهم به الحجة، ويقطع ما يوردونه من الشُبهة، فقال: ﴿قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ﴾؛ أي: إن كان له ولد في قولكم، وعلى زعمكم، فأنا أوّل مَنْ عبد الله وحده؛ لأن من عبد الله وحده، فقد دفع أَنْ يكون له ولد، كذا قال ابن قتيبة[(٢)].

وقال الحسن[(٣)]، والسدّي[(٤)]: إنّ المعنى: ما كان للرحمٰن ولد، ويكون قوله: ﴿فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ﴾ ابتداء كلام، وقيل: المعنى: قل يا محمد: إن ثبت لله ولد، فأنا أول من يعبد هذا الولد الذي تزعمون ثبوته، ولكنه يستحيل أن يكون له ولد.

وفيه نفي للولد على أبلغ وجه وأتمّ عبارة، وأحسن أسلوب، وهذا هو الظاهر من النظم القرآني، ومن هذا القبيل قوله تعالى: ﴿وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [سبأ: ٢٤]، ومثل هذا قول الرجل لمن يناظره: إن ثبت ما تقوله بالدليل فأنا أوّل من يعتقده ويقول به، فتكون «إن» في ﴿إِن كَانَ﴾ شرطية، ورجح هذا ابن جرير[(٥)]، وغيره.

وقيل: معنى العابدين: الآنفين[(٦)] من العبادة، وهو تكلّف لا مُلجئ إليه، ولكن قرأ أبو عبد الرحمٰن[(٧)] اليماني: «العَبدين» بغير ألف، يقال: عَبِد يَعْبَد عَبَداً بالتحريك: إذا أَنِف وغضِب، فهو: عَبِدٌ، والاسم العبدَةَ مثل الأنفَة، ولعل الحامل

---

(١) «روح المعاني» (٢٤/ ٤٢٧).
(٢) «تفسير غريب القرآن» (ص٤٠١)، و«تأويل المشكل» (ص٢٨٩).
(٣) «النكت والعيون» (٥/ ٢٤١)، و«زاد المسير» (٧/ ٣٣٢).
(٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/ ٦٥٦) بسند حسن.
(٥) في «جامع البيان» (٢٠/ ٦٥٧ ـ ٦٥٨).
(٦) «الصحاح» (٢/ ٥٠٤).
(٧) «المحتسب» (٢/ ٢٥٧)، و«القراءات الشاذة» (ص١٣٧). وهي قراءة شاذة.

لمن قرأ هذه القراءة الشاذة البعيدة هو استبعاد معنى: ﴿فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ﴾، وليس بمستبعَد ولا مستنكر.

وقد حكى الجوهري[(١)] عَنْ أبي عمرو في قوله: ﴿فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ﴾ أنه من الأنف والغضب. وحكاه الماوردي[(٢)] عن الكسائي والقتيبي[(٣)]، وبه قال الفراء[(٤)]. وكذا قال ابن الأعرابي[(٥)]: إن معنى العابدين: الغضاب الآنفين. وقال أبو عبيدة[(٦)]: معناه: الجاحدين، وحكى: عبدني حقي؛ أي: جحدني، وقد أنشدوا على هذا المعنى الذي قالوه قول الفرزدق[(٧)]:

أُولئك أَحلاسي فجِئْني بمثلِهم ... وأعْبَدُ أنْ أهجُو كُلَيباً بَدارمِ

وقوله أيضاً:

أُولئك أُناسٌ لو هَجَوني هجَوتُهم ... وأعْبدُ أن يُهجَى كُليبٌ بدَارمِ[(٨)]

ولا شك أن عَبِد، وأعبد بمعنى: أَنِف، أو غضب ثابت في لغة العرب[(٩)]، وكفى بنقل هؤلاء الأئمة حجة، ولكن جعل ما في القرآن من هذا من التكلف الذي لا ملجئ إليه، ومِنْ التعسّف الواضح.

وقد ردّ ابن عرفة[(١٠)] ما قالوه فقال: إنما يقال عبد يعبد، فهو: عبد، وقلّ ما يقال: عابد، والقرآن لا يأتي بالقليل مِنْ اللغة ولا الشاذ.

قرأ الجمهور[(١١)]: «ولد» بالإفراد، وقرأ أهل الكوفة[(١٢)] إلا عاصماً: «وُلْدْ» بضم الواو، وسكون اللام.

﴿سُبْحَٰنَ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾؛ أي: تنزيهاً له، وتقديساً

---

(١) في «الصحاح» (٢/ ٥٠٣ ـ ٥٠٤).
(٢) في «النكت والعيون» (٥/ ٢٤١).
(٣) في «تفسير غريب القرآن» (ص٤٠١).
(٤) في «معاني القرآن» للفراء.
(٥) في «ياقوتة الصراط» (ص٤٦١ ـ ٤٦٢).
(٦) في «مجاز القرآن» (٢/ ٢٠٦).
(٧) «الصحاح» (٢/ ٥٠٤)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٩/ ٩٠).
(٨) انظر: «جمهرة الأمثال» (١/ ٥١٢).
(٩) «الصحاح» (٢/ ٥٠٣ ـ ٥٠٤)، و«تهذيب اللغة» (٢/ ٢٢٩).
(١٠) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٩/ ٩٠).
(١١) «البحر المحيط» (٩/ ٣٩١)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (٢/ ٩٢)، و«حجة القراءات» (ص٦٥٥)، و«التيسير» (ص١٤٩ ـ ١٥٠).
(١٢) «النشر» (٢/ ٢٣٠ ـ ٢٣١)، و«تفسير الرازي» (٢٧/ ٢٣٠).

عما يقولون مِنْ الكذب بأن له ولداً، ويفترون عليه سبحانه ما لا يليق بجنابه، وهذا إنْ كان من كلام الله سبحانه، فقد نزّه نفسه عمّا قالوه، وإنْ كان من تمام كلام رسوله الذي أمره بأن يقوله، فقد أمره بأن يضمّ إلى ما حكاه عنهم بزعمهم الباطل تنزيه ربه، وتقديسه.

﴿فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا﴾؛ أي: اترك الكفّارَ حيثُ لم يهتدوا بما هديتهم به، ولا أجابوك فيما دعوتهم إليه، يخوضوا في أباطيلهم، ويلهوا في دنياهم ﴿حَتَّىٰ يُلَٰقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ﴾ وهو: يوم القيامة، وقيل: العذاب في الدنيا، قيل: وهذا منسوخ[(١)] بآية السيف، وقيل: هو غير منسوخ، وإنما أخرج مخرج التهديد.

قرأ الجمهور[(٢)]: «يلاقوا»، وقرأ مجاهد، وابن محيصن، وحميد، وابن السميفع: «حتى يَلقْوا» بفتح الياء[(٣)]، وإسكان اللام من غير ألف، ورويت هذه القراءة عن أبي عمرو.

﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَٰهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾ الجار، والمجرور في الموضعين متعلق بإله؛ لأنه بمعنى: معبود، أو مستحق للعبادة.

والمعنى: وهو الذي معبود في السماء، ومعبود في الأرض، أو مستحق للعبادة في السماء، والعبادة في الأرض.

قال أبو عليّ الفارسي[(٤)]: وإلٰه في الموضعين مرفوع على أنه خبر مبتدأ محذوف؛ أي: وهو الذي في السماء هو إلٰه، وفي الأرض هو إلٰه، وحسن حذفه لطول الكلام، قال: والمعنى: على الإخبار بإلٰهيته، لا على الكون فيهما.

قال قتادة[(٥)]: يعُبد في السماء، والأرض، وقيل: في بمعنى على؛ أي: هو القادر على السماء، والأرض كما في قوله: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ﴾ [طه: ٧١]

---

(١) «الناسخ والمنسوخ» لابن الجوزي (ص٤٨)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٩/ ٩١).

(٢) «البحر المحيط» (٩/ ٣٩١)، و«النشر» (٢/ ٣٧٠)، و«زاد المسير» (٧/ ٢٣٢).

(٣) «القراءات الشاذة» (ص١٣٧)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٩/ ٩١)، و«البحر المحيط» (٩/ ٣٩١). هي رواية شاذة عن أبي عمرو، وقراءة متواترة عن أبي جعفر.

(٤) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٩/ ٩٢).

(٥) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/ ٦٦٠)، وعبد الرزاق في «تفسيره» (٢/ ٢٠٣) بسند صحيح.

وقرأ عمر بن الخطاب[١]، وعليّ بن أبي طالب، وابن مسعود: «وهو الذي في السماء الله وفي الأرض الله» على تضمين العلم معنى المشتق، فيتعلق به الجار والمجرور من هذه الحيثية.

﴿وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ﴾؛ أي: البليغ الحكمة الكثير العلم.

﴿وَتَبَارَكَ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ تبارك: تفاعل من البركة، وهي: كثرة الخيرات، والمراد بما بينهما[٢]: الهواء، وما فيه من الحيوانات.

﴿وَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾؛ أي: علم الوقت الذي يكون قيامها فيه.

﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ فيجازي كلّ أحد بما يستحقه من خير وشرّ، وفيه وعيد شديد.

قرأ الجمهور[٣]: «تُرجَعون» بالفوقية، وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي بالتحتية[٤].

﴿وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ﴾؛ أي: لا يملك من يدعونه من دون الله من الأصنام، ونحوها الشفاعة عند الله كما يزعمون أنهم يشفعون لهم.

قرأ الجمهور[٥]: «يدعون» بالتحتية، وقرأ السلمي، وابن وثاب بالفوقية[٦].

﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ﴾؛ أي: التوحيد ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾؛ أي: هم على علم، وبصيرة بما شهدوا به، والاستثناء يحتمل: أن يكون متصلاً[٧]، والمعنى: إلا من شهد بالحق، وهم: المسيح وعزير والملائكة، فإنهم يملكون الشفاعة لمن يستحقها.

---

(١) «القراءات الشاذة» (ص١٣٧)، و«روح المعاني» (٢٤/ ٤٣٢)، و«إعراب القراءات الشواذ» (٢/ ٤٥٤ ـ ٤٥٥). وهي قراءة شاذة مخالفة للرسم.

(٢) «جامع البيان» (٢٠/ ٦٦٠)، و«روح المعاني» (٢٤/ ٤٣٣).

(٣) «التيسير» (ص١٩٧)، و«النشر» (٢/ ٢٧٠)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (٢/ ٢٦٢).

(٤) انظر: المصادر المتقدمة. وليعقوب قراءتان الأولى من رواية رويس بفتح الياء وكسر الجيم (يَرجِعون) والثانية من رواية روح بفتح التاء الفوقية وكسر الجيم (تَرجِعون). انظر: «النشر» (٢/ ٣٧٠).

(٥) «البحر المحيط» (٩/ ٣٩٢)، و«المحرر الوجيز» (١٤/ ٢٨١).

(٦) «القراءات الشاذة» (ص١٣٧)، و«روح المعاني» (٢٤/ ٤٣٤).

(٧) «روح المعاني» (٢٤/ ٤٣٤)، و«البحر المحيط» (٩/ ٣٩٢).

وقيل: هو منقطع[١]، والمعنى: لكن من شهد بالحق يشفع فيه هؤلاء، ويجوز أن يكون المستثنى منه محذوفاً؛ أي: لا يملكون الشفاعة في أحد إلا فيمن شهد بالحق.

قال سعيد بن جبير[٢]، وغيره: معنى الآية: أنَّه لا يملك هؤلاء الشفاعة إلا لمن شهد بالحق، وآمن على علمٍ وبصيرة. وقال قتادة[٣]: لا يشفعون لعابديها، بل يشفعون لمن شهد بالوحدانية.

وقيل: مدار الاتصال في هذا الاستثناء على جعل الذين يدعون عامّاً لكل ما يُعبد من دون الله، ومدار الانقطاع على جعله خاصّاً بالأصنام.

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ اللام هي: الموطئة للقسم.

والمعنى: لئن سألت هؤلاء المشركين العابدين للأصنام مَنْ خلقهم؛ أقرّوا واعترفوا بأن خالقهم الله، ولا يقدرون على الإنكار، ولا يستطيعون الجحود لظهور الأمر، وجلائه.

﴿فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾؛ أي: فكيف يَنْقلبون عن عبادة الله إلى عبادة غيره، وينصرفون عنها مع هذا الاعتراف؟ فإن المعترف بأن الله خالقه إذا عمد إلى صنم أو حيوان وعبده مع الله أو عبده وحده، فقد عبد بعض مخلوقات الله، وفي هذا من الجهل ما لا يقادر قدره. يقال: أفكه[٤] يأفكه إفكاً: إذا قلبه وصرفه عن الشيء.

وقيل: المعنى: ولئن سألت المسيح، وعزيراً، والملائكة: من خلقهم؟ ليقولنّ الله، فأنّى يؤفك هؤلاء الكفار في اتخاذهم لها آلهة؟ وقيل: المعنى: ولئن سألت العابدين، والمعبودين جميعاً.

قرأ الجمهور[٥]: «وقيله» بالنصب عطفاً على محلّ الساعة، كأنه قيل: إنه يعلم الساعة، ويعلم قيله، أو عطفاً على سرّهم، ونجواهم؛ أي: يعلم سرّهم، ونجواهم،

---

(١) «روح المعاني» (٢٤/ ٤٣٤)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٩/ ٩٣).

(٢) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٩/ ٩٣).

(٣) ذكره الواحدي في «الوسيط» (٤/ ٨٤).

(٤) «مفردات ألفاظ القرآن» (ص٧٩)، و«تهذيب اللغة» (١٠/ ٣٩٥).

(٥) «النشر» (٢/ ٣٧٠)، و«التيسير» (ص١٩٧)، و«فتح الباري» (٨/ ٤٣٤).

ويعلم قيله، أو عطفاً[(١)] على مفعول يكتبون المحذوف؛ أي: يكتبون ذلك، ويكتبون قيله، أو عطفاً على مفعول يعلمون المحذوف؛ أي: يعلمون ذلك، ويعلمون قيله، أو هو مصدر؛ أي: قال قيله، أو منصوب[(٢)] بإضمار فعل؛ أي: الله يعلم قيل رسوله، أو هو معطوف على محل بالحقّ؛ أي: شهد بالحق وبقيله، أو منصوب على حذف حرف القسم.

ومِنْ المجوّزين للوجه الأوّل: المبرد[(٣)]، وابن الأنباري[(٤)]، ومن المجوّزين للثاني الفرّاء[(٥)]، والأخفش[(٦)]، ومن المجوّزين للنصب على المصدرية الفراء، والأخفش أيضاً. وقرأ حمزة[(٧)]، وعاصم «وقيله» بالجرّ عطفاً على لفظ الساعة؛ أي: وعنده علم الساعة، وعلم قيله، والقول والقال والقيل بمعنى واحد، أو على أن الواو للقسم.

وقرأ قتادة، ومجاهد، والحسن، وأبو قلابة، [٤/٥٦] والأعرج، وابن هرمز، ومسلم بن جندب «وقيلُه» بالرفع[(٨)] عطفاً على علم الساعة؛ أي: وعنده علم الساعة، وعنده قيلهُ، أو على الابتداء، وخبره الجملة المذكورة بعده، أو خبره محذوف تقديره: وقيلهُ كيت، وكيت، أو وقيله مسموع. قال أبو عبيد: يقال: قلت قولاً، وقيلاً، وقالاً، والضمير في وقيله راجع إلى النبي ﷺ.

قال قتادة[(٩)]: هذا نبيكم يشكو قومه إلى ربِّه، وقيل: الضمير عائد إلى المسيح، وعلى الوجهين؛ فالمعنى: أنه قال منادياً لربه: ﴿يَـٰرَبِّ إِنَّ هَـٰٓؤُلَآءِ﴾ الذين

---

(١) «مشكل إعراب القرآن» (٢/ ٢٨٥)، و«الفريد» (٢٦٦)، و«التبيان» (٢/ ١١٤٢)، و«معاني القرآن» للفراء (٣/ ٣٨).

(٢) انظر: المصادر المتقدمة.

(٣) ذكره الأنباري في «الوقف والابتداء» (٢/ ٨٨٦).

(٤) في «الوقف والابتداء» (٢/ ٨٨٦).

(٥) في «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٣٨).

(٦) ذكره النحاس في «إعراب القرآن» (٤/ ١٢٣).

(٧) «فتح الباري» (٨/ ٤٣٤)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (٢/ ٢٦٢)، و«المحتسب» (٢/ ٢٥٨).

(٨) «القراءات الشاذة» (ص١٣٦)، و«المحتسب» (٢/ ٢٥٨)، و«حاشية الشهاب» (٧/ ٤٥٥)، و«التبيان» (٢/ ١١٤٣).

(٩) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/ ٦٦٤) بسند صحيح.

أرسلتني إليهم ﴿قَوْمٌ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾. ثم لما نادى ربه بهذا أجابه بقوله: ﴿فَاصْفَحْ عَنْهُمْ﴾؛ أي: أعرض عن دعوتهم ﴿وَقُلْ سَلَامٌ﴾؛ أي: أمري تسليم منكم، ومتاركة لكم.

قال عطاء[١]: يريد مداراة حتى ينزل حكمي، ومعناه: المتاركة كقوله: ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ﴾ [القصص: ٥٥].

وقال قتادة[٢]: أمره بالصفح عنهم، ثم أمره بقتالهم، فصار الصفح منسوخاً[٣] بالسيف، وقيل: هي محكمة لم تنسخ.

﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ فيه تهديد شديد[٤]، ووعيد عظيم من الله ﷻ.

قرأ الجمهور[٥]: «يَعْلمون» بالتحتية، وقرأ نافع، وابن عامر بالفوقية[٦].

قال الفّراء[٧]: إنّ «سلام» مرفوع بإضمار عليكم.

وقد أخرج ابن المنذر، وابن أبي حاتم، والحاكم وصححه، والبيهقي في «البعث والنشور»، عن ابن عباس في قوله: ﴿وَنَادَوْا يَا مَالِكُ﴾ قال: يمكث عنهم ألف سنة، ثم يجيبهم ﴿إِنَّكُم مَّاكِثُونَ﴾.

وأخرج ابن جرير[٨] عن محمد بن كعب القرظي قال: بينا ثلاثة بين الكعبة وأستارها: قرشيان وثقفي، أو ثقفيان وقرشي، فقال واحد منهم: ترون أن الله يسمع كلامنا؟ فقال واحد منهم: إذا جهرتم سمع، وإذا أسررتم لم يسمع، فنزلت: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُم﴾ الآية.

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن ابن عباس[٩] في قوله: ﴿إِن

---

(١) ذكره الواحدي في «الوسيط» (٤/ ٨٤).

(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/ ٦٦٥)، وعبد الرزاق في «تفسيره» (٢/ ٢٠٣) بسند صحيح.

(٣) «الناسخ والمنسوخ» للنحاس (٢/ ٦٢٤).

(٤) «روح المعاني» (٢٤/ ٤٣٩)، و«تفسير أبي السعود» (٦/ ٩٩).

(٥) «النشر» (٢/ ٢٧٠)، و«التيسير» (ص١٩٧)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (٢/ ٢٦٣)، و«جامع البيان» (٢٠/ ٦٦٥). وممّن قرأ بالفوقية أبو جعفر.

(٦) انظر: المصادر المتقدمة.

(٧) في «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٣٨).

(٨) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/ ٦٥٣) من طريق عاصم بن محمد الغمري، به.

(٩) عزاه إليهم السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٣٩٥).
وأخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/ ٦٥٤ ـ ٦٥٥) بسند صحيح.

كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ﴾ يقول: إن يكن للرحمٰن ولد ﴿فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ﴾ قال: الشاهدين.

وأخرج ابن جرير عن زيد بن أسلم[(١)] في قوله: ﴿إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ﴾ قال: هذا معروف من كلام العرب إن كان هذا الأمر قط؛ أي: ما كان.

وأخرج ابن جرير[(٢)] عن قتادة نحوه.

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/ ٦٥٦) من طريق عبد الرحيم البَرْقِيِّ، عن ابن زيد.

(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/ ٦٥٥) بسند صحيح.

سُورَةُ الدُّخَانِ

هي تسع وخمسون آية، وقيل سبع وخمسون.

قال القرطبي[١]: هي باتفاق إلا قوله: ﴿إِنَّا كَاشِفُوا الْعَذَابِ﴾ [الدخان: ١٥].

وأخرج ابن مردويه[٢]، عن ابن عباس، وعبد الله بن الزبير: أن سورة الدخان نزلت بمكة.

وأخرج الترمذي، والبيهقي في «الشعب» عن أبي هريرة[٣] قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ قرأ حمَ الدّخان في ليلة أصبح يستغفر له سبعون ألف ملك». قال الترمذي بعد إخراجه: غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وعمر بن أبي خثعم ضعيف. قال البخاري: منكر الحديث.

وأخرج الترمذي، ومحمد بن نصر، وابن مردويه، والبيهقي عن أبي هريرة[٤] قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ قرأ حمَ الدّخان في ليلة جمعة أصبح مغفوراً له»[٥].

قال الترمذي بعد إخراجه: غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وهشام بن المقدام: يضعف، والحسن لم يسمع من أبي هريرة، كذا قال أيوب، ويونس بن عبيد، وعلي بن زيد.

ويشهد له ما أخرجه ابن الضريس، والبيهقي، عن أبي هريرة[٦] قال: قال رسول الله ﷺ فذكره.

---

(١) في «تفسيره» (١٩/ ٩٨).

(٢) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٣٩٧).

(٣) أخرجه الترمذي رقم (٢٨٨٨)، والبيهقي في «الشعب» رقم (٢٤٧٥). وهو حديث موضوع.

(٤) عمر بن عبد الله بن أبي خثعم. قال الترمذي عن البخاري: ضعيف الحديث، ذاهب، ضعيف جداً. «تهذيب التهذيب» (٣/ ٢٣٦)، ط. الرسالة.

(٥) أخرجه الترمذي رقم (٢٨٨٩)، ومحمد بن نصر (ص٦٩)، والبيهقي رقم (٢٤٧٦). وهو حديث ضعيف.

(٦) أخرجه ابن الضريس رقم (٢٢١)، والبيهقي رقم (٢٤٧٦).

● قال البيهقي: تفرد به هشام وهو هكذا ضعيف.

وما أخرجه ابن الضريس[١] عن الحسن مرفوعاً بنحوه، وهو مرسل.

وما أخرجه الدارمي، ومحمد بن نصر، عن أبي رافع[٢] قال: من قرأ الدّخان في ليلة الجمعة أصبح مغفوراً له، وزوّج من الحور العين.

وأخرج ابن مردويه[٣]، عن أبي أمامة قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة حمَ الدّخان في ليلة الجمعة، أو يوم الجمعة بنى الله له بها بيتاً في الجنة».

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[القرآن وتنزيله في ليلة مباركة فيها يفرق أمر حكيم]:

﴿حمٓ ﴿١﴾ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ﴿٢﴾ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةٖ مُّبَٰرَكَةٍۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴿٣﴾ فِيهَا يُفۡرَقُ كُلُّ أَمۡرٍ حَكِيمٍ ﴿٤﴾ أَمۡرٗا مِّنۡ عِندِنَآۚ إِنَّا كُنَّا مُرۡسِلِينَ ﴿٥﴾ رَحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٦﴾ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَآۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٧﴾ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ رَبُّكُمۡ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿٨﴾ بَلۡ هُمۡ فِي شَكّٖ يَلۡعَبُونَ ﴿٩﴾ فَٱرۡتَقِبۡ يَوۡمَ تَأۡتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٖ مُّبِينٖ ﴿١٠﴾ يَغۡشَى ٱلنَّاسَۖ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿١١﴾ رَّبَّنَا ٱكۡشِفۡ عَنَّا ٱلۡعَذَابَ إِنَّا مُؤۡمِنُونَ ﴿١٢﴾ أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكۡرَىٰ وَقَدۡ جَآءَهُمۡ رَسُولٞ مُّبِينٞ ﴿١٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّوۡاْ عَنۡهُ وَقَالُواْ مُعَلَّمٞ مَّجۡنُونٌ ﴿١٤﴾ إِنَّا كَاشِفُواْ ٱلۡعَذَابِ قَلِيلًاۚ إِنَّكُمۡ عَآئِدُونَ ﴿١٥﴾ يَوۡمَ نَبۡطِشُ ٱلۡبَطۡشَةَ ٱلۡكُبۡرَىٰٓ إِنَّا مُنتَقِمُونَ ﴿١٦﴾﴾.

قوله: ﴿حمٓ ﴿١﴾ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ﴾ قد تقدّم في السورتين المتقدمتين قبل هذه السورة الكلام على هذا معنى وإعراباً.

وقوله: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةٖ مُّبَٰرَكَةٍۚ﴾ جواب القسم، وإنْ جعلت الجواب حمَ كانت هذه الجملة مستأنفة، وقد أنكر بعض النحويين أنْ تكون هذه الجملة جواباً للقسم؛ لأنها صفة للمقسم به، ولا تكون صفة المقسم به جواباً للقسم، وقال الجواب: ﴿إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾، واختاره ابن عطية[٤].

(١) أخرجه ابن الضريس رقم (٢٢٢) بسند ضعيف.

(٢) أخرجه الدارمي (٢/ ٤٥٧)، ومحمد بن نصر (ص٦٩).

(٣) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٣٩٧).

(٤) في «المحرر الوجيز» (١٤/ ٢٨٣ ـ ٢٨٤).

وقيل: إن قوله: ﴿إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾ جواب ثانٍ، أو جملة مستأنفة مقرّرة للإنزال وفي حكم العلة له كأنه قال: إنا أنزلناه لأنّ مِنْ شأننا الإنذار، والضمير في أنزلناه راجع إلى الكتاب المبين، وهو: القرآن. وقيل: المراد بالكتاب: سائر الكتب المنزّلة والضمير في أنزلناه راجع إلى القرآن على معنى: أنه سبحانه أقسم بسائر الكتب المنزّلة: أنه أنزل القرآن والأوّل أولى.

[الليلة المباركة هي ليلة القدر التي نزل فيها القرآن جملة من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة في سماء الدنيا]:

والليلة المباركة: ليلة القدر كما في قوله: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾ [القدر: ١] ولها أربعة أسماء: الليلة المباركة، وليلة البراءة، وليلة الصكّ، وليلة القدر. قال عكرمة(١): الليلة المباركة هنا ليلة النصف من شعبان.

وقال قتادة(٢): أُنزل القرآن كله في ليلة القدر من أمّ الكتاب، وهو اللوح المحفوظ إلى بيت العزّة في سماء الدنيا، ثم أنزله الله سبحانه على نبيه ﷺ في الليالي، والأيام في ثلاث وعشرين سنة.

وقد تقدّم تحقيق الكلام في هذا في البقرة عند قوله: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾ [البقرة: ١٨٥] وقال مقاتل(٣): كان ينزل من اللوح كل ليلة قدر من الوحي على مقدار ما ينزل به جبريل في السنة إلى مثلها من العام، ووصف الله سبحانه هذه الليلة، بأنّها مباركة لنزول القرآن فيها، وهو مشتمل على مصالح الدين والدنيا، ولكونها تتنزّل فيها الملائكة والروح كما سيأتي في سورة القدر.

ومن جملة بركتها ما ذكره الله سبحانه ها هنا بقوله: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾، ومعنى يفرق: يُفْصَل ويُبيّن من قولهم: فرقت الشي أفرقه فرقاً، والأمر

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢١/ ٩ ـ ١٠)، وعبد الرزاق في «تفسيره» (٢/ ٢٠٥) من طريق محمد بن شوقة، به.

(٢) ذكره البغوي في «تفسيره» (٧/ ٢٢٧).
وأخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢١/ ٦)، عن ابن زيد بسند صحيح.
وقال ابن جرير: «والصواب من القول في ذلك قول من قال: عُنِي بها ليلةُ القدر؛ لأنَّ الله أخبرَ تعالى ذكره أن ذلك كذلك بقوله: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾ [القدر: ١]».

(٣) ذكره الواحدي في «الوسيط» (٤/ ٨٥).

الحكيم: المحكم، وذلك أن الله سبحانه يكتب فيها ما يكون في السنة من حياة وموت، وبسط وقبض، وخير وشرّ، وغير ذلك، كذا قال مجاهد، وقتادة، والحسن، وغيرهم: وهذه الجملة إما صفة أخرى لليلة، وما بينهما اعتراض، أو مستأنفة لتقرير ما قبلها.

قرأ الجمهور[1]: «يُفْرَق» بضمّ الياء، وفتح الراء مخففاً.

وقرأ الحسن، والأعمش، والأعرج بفتح الياء[2] وضم الراء، ونصب كلَّ أمر، ورفع حكيم على أنه الفاعل.

والحق ما ذهب إليه الجمهور من أن هذه الليلة المباركة هي: ليلة القدر لا ليلة النصف من شعبان؛ لأن الله سبحانه أجملها هنا، وبينها في سورة البقرة بقوله: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾ [البقرة: ١٨٥] وبقوله في سورة القدر: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾ [القدر: ١]، فلم يبق بعد هذا البيان الواضح ما يوجب الخلاف، ولا ما يقتضي الاشتباه.

﴿أَمْرًا مِّنْ عِندِنَآ﴾ قال الزجاج[3]، والفراء[4]: انتصاب ﴿أَمْرًا﴾ بيفرق؛ أي: يفرق فرقاً؛ لأن أمراً بمعنى: فرقاً.

والمعنى: إنا نأمر ببيان ذلك، ونسخه من اللوح المحفوظ، فهو على هذا منتصب على المصدرية[5] مثل قولك: يَضْرب ضَرْباً. قال المبرد[6]: أمراً في موضع المصدر، والتقدير: أنزلناه إنزالاً.

وقال الأخفش[7]: انتصابه على الحال؛ أي: آمرين. وقيل: هو منصوب على الاختصاص؛ أي: أعني بهذا الأمر أمراً حاصلاً من عندنا، وفيه تفخيم لشأن القرآن، وتعظيم له.

---

(١) «البحر المحيط» (٩/ ٣٩٧)، و«روح المعاني» (٢٤/ ٤٣٩).
(٢) «القراءات الشاذة» (ص١٣٧)، و«حاشية الشهاب» (٨/ ٤)، و«زاد المسير» (٧/ ٢٣٧). القراءة المتواترة قراءة الجمهور والأخرى شاذة.
(٣) في «معاني القرآن وإعرابه» (٤/ ٤٢٤).
(٤) في «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٣٩).
(٥) «الفريد» (٤/ ٢٦٩)، و«التبيان» (٢/ ١١٤٤).
(٦) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٩/ ١٠٣).
(٧) في «معاني القرآن» للأخفش (٢/ ٦٩١).

وقد ذكر بعض أهل العلم في انتصاب «أمراً» اثني عشر وجهاً[١] أظهرها ما ذكرناه، وقرأ زيد بن علي[٢] «أمرٌ» بالرفع؛ أي: هو أمر.

﴿إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾ هذه الجملة إما بدل من قوله: ﴿إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾، أو جواب ثالث للقسم، أو مستأنفة.

قال الرازي[٣]: المعنى: إنا فعلنا ذلك الإنذار لأجل إنا كنا مرسلين للأنبياء.

﴿رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾ انتصاب ﴿رَحْمَةً﴾ على العلة؛ أي: أنزلناه للرحمة، قاله الزجاج[٤].

وقال المبرد[٥]: إنّها منتصبة على أنّها مفعول لمرسلين؛ أي: إنا كنا مرسلين رحمة. وقيل: هي مصدر في موضع الحال؛ أي: راحمين، قاله الأخفش. وقرأ الحسن[٦] «رحمةٌ» بالرفع على تقدير هي رحمة ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ﴾ لمن دعاه ﴿الْعَلِيمُ﴾ بكل شيء.

ثم وصف سبحانه نفسه بما يدلّ على عظيم قدرته الباهرة، فقال: ﴿رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ قرأ الجمهور[٧]: «ربُّ» بالرفع عطفاً على السميع العليم، أو على أنه مبتدأ، وخبره ﴿لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾، أو على أنه خبر لمبتدأ محذوف؛ أي: هو ربّ، وقرأ الكوفيون[٨] «ربّ» بالجرّ على أنه بدل من ﴿رَّبِّكَ﴾، أو بيان له، أو نعت ﴿إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ﴾ بأنه ربِّ السمٰوات والأرض وما بينهما، وقد أقرّوا بذلك كما حكاه الله عنهم في غير موضع.

وجملة: ﴿لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ مستأنفة مقرّرة لما قبلها، أو خبر ﴿رَبِّ السَّمَاوَاتِ﴾ كما مرّ، وكذلك جملة: ﴿يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾، فإنها مستأنفة مقرّرة لما قبلها.

---

(١) ذكرها العكبري في «التبيان» (٢/ ١١٤٤ ـ ١١٤٥).
(٢) «روح المعاني» (٢٤/ ٤٥٠)، و«الكشاف» (٥/ ٤٦٥)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٩/ ١٠٤). القراءة بالرفع شاذة.
(٣) في «تفسيره» (٢٧/ ٢٤١).
(٤) في «معاني القرآن وإعرابه» (٤/ ٤٢٤).
(٥) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٩/ ١٠٣)، والفراء في «معاني القرآن» (٣/ ٣٩).
(٦) «الجامع لأحكام القرآن» (١٩/ ١٠٤)، و«الكشاف» (٥/ ٤٦٥). قراءة الحسن شاذة.
(٧) «النشر» (٢/ ٣٧١)، و«التيسير» (ص١٩٨)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (٢/ ٢٦٤)، و«جامع البيان» (٢١/ ١٢).
(٨) انظر: المصادر المتقدمة.

﴿رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ قرأ الجمهور[١] بالرفع على الاستئناف بتقدير مبتدأ؛ أي: هو ربكم، [٤/ ٥٧] أو على أنه بدل من ﴿رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾، أو بيان أو نعت له.

وقرأ الكسائي في رواية الشَّيزَري[٢] عنه وابن محيصن، وابن أبي إسحاق، وأبو حيوة، والحسن بالجرّ[٣]، ووجه الجرّ ما ذكرناه في قراءة مَنْ قرأ بالجرّ في ﴿رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾.

﴿بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ يَلْعَبُونَ﴾ أضرب عن كونهم موقنين إلى كونهم في شكّ من التوحيد والبعث، وفي إقرارهم بأنَّ الله خالقُهم، وخالق سائر المخلوقات، وأنَّ ذلك مِنْهم على طريقة اللعب والهزو، ومحلّ ﴿يَلْعَبُونَ﴾ الرفع على أنه خبر ثان، أو النصب[٤] على الحال.

﴿فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ﴾ الفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها؛ لأن كونهم في شك ولعب، يقتضي ذلك، والمعنى: فانتظر لهم يا محمّد يوم تأتي السماء بدخان مبين، وقيل: المعنى: احفظ قولهم هذا لتشهد عليهم يوم تأتي السماء بدخان مبين.

وقد اختلف في هذا الدخان المذكور في الآية متى يأتي؟ فقيل: إنَّه من أشراط الساعة، وأنه يمكث في الأرض أربعين يوماً. وقد ثبت في «الصحيح»[٥]: أنه من جملة العشر الآيات التي تكون قبل قيام الساعة.

[القول الثاني]:

وقيل: إنه أمر قد مضى، وهو ما أصاب قريشاً بدعاء النبي ﷺ حتى كان الرجل يرى بين السما والأرض دخاناً.

---

(١) «البحر المحيط» (٩/ ٣٩٨)، و«معاني القرآن» للزجاج (٤/ ٤٢٤).

(٢) هو: عيسى بن سليمان أبو موسى الحجازي المعروف بالشيزري الحنفي، عالم نحوي، مقرئ، كان في الحجاز، ثم انتقل إلى شيزر، وأقام بها إلى أن مات، فنسب إليها.
أخذ القراءة عرضاً وسماعاً، عن الكسائي. «طبقات القراء» (١/ ٦٠٨).

(٣) «القراءات الشاذة» (ص١٣٧)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٩/ ١٠٤). هي قراءة شاذة، ورواية شاذة عن الكسائي.

(٤) «روح المعاني» (٢٤/ ٤٥٥).

(٥) أخرجه مسلم في «صحيحه» رقم (٣٩/ ٢٩٠١)، وأحمد رقم (١٦١٤١) من حديث حذيفة بن أسيد الغفاري.

وهذا ثابت في «الصحيحين»[(١)]، وغيرهما: وذلك حين دعا عليهم النبي ﷺ بسنين كسني يوسف فأصابهم قَحْط، وجهد حتى أكلوا العظام، وكان الرجل ينظر إلى السماء، فيرى ما بينه وبينها كهيئة الدخان من الجهد.

[القول الثالث]:

وقيل: إنّه يوم فتح مكة.

وسيأتي في آخر البحث بيان ما يدلّ على هذه الأقوال.

وقوله: ﴿يَغْشَى ٱلنَّاسَ﴾ صفة ثانية لدخان؛ أَيْ: يشملهم، ويحيط بهم ﴿هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾؛ أي: يقولون هذا عذاب أليم، أو قائلين ذلك، أو يقول الله لهم ذلك.

﴿رَّبَّنَا ٱكْشِفْ عَنَّا ٱلْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ﴾؛ أي: يقولون ذلك، وقد روي أنّهم أتوا النبي ﷺ وقالوا: إنْ كشف الله عنا هذا العذاب أسلمنا، والمراد بالعذاب: الجوع الذي كان بسببه ما يرونه من الدخان، أو يقولونه إذا رأوا الدخان الذي هو: من آيات الساعة أو إذا رأوه يوم فتح مكة على اختلاف الأقوال.

والراجح منها: أنّه الدخان الذي كانوا يتخيلونه مما نزل بهم مِنْ الجهد، وشدّة الجوع، ولا ينافي ترجيح هذا ما ورد أنّ الدخان من آيات الساعة، فإن ذلك دخان آخر، ولا ينافيه أيضاً ما قيل: إنه الذي كان يوم فتح مكة، فإنه دخان آخر على تقدير صحة وقوعه.

﴿أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكْرَىٰ﴾؛ أي: كيف يتذكرون، ويتّعظون بما نزل بهم والحال أن ﴿قد جَآءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ﴾ يبين لهم كلَّ شيء يحتاجون إليه من أمر الدين والدنيا؟.

﴿ثُمَّ تَوَلَّوْا۟ عَنْهُ﴾؛ أي: أعرضوا عن ذلك الرسول الذي جاءهم ولم يكتفوا بمجرّد الإعراض عنه بل جاوزوه ﴿وَقَالُوا۟ مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ﴾ أي: قالوا: إنما يعلمه القرآن بشر وقالوا: إنه مجنون فكيف يتذكر هؤلاء، وأنَّى لهم الذكرى؟

ثم لما دعوا الله بأن يكشف عنهم العذاب، وأنّه إذا كشفه عنهم أجاب سبحانه عليهم بقوله: ﴿إِنَّا كَاشِفُوا۟ ٱلْعَذَابِ قَلِيلًا﴾؛ أي: إنّا نكشفه عنهم كشفاً قليلاً أو زماناً قليلاً[(٢)].

---

(١) أخرجه البخاري رقم (٤٨٢١)، ومسلم رقم (٢٧٩٨)، والترمذي رقم (٣٢٥٤)، وأحمد رقم (٣٦١٣) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

(٢) «الجامع لأحكام القرآن» (١٩/١٠٩ ـ ١١٠).

ثم أخبر الله سبحانه عنهم أنّهم لا ينزجرون عما كانوا عليه من الشرك، ولا يفون بما وعدوا به من الإيمان، فقال: ﴿إِنَّكُمْ عَآئِدُونَ﴾؛ أي: إلى ما كنتم عليه مِنْ الشرك، وقد كان الأمر هكذا، فإن الله سبحانه لما كشف عنهم ذلك العذاب رجعوا إلى ما كانوا عليه من الكفر والعناد.

وقيل: المعنى: إنّكم عائدون إلينا بالبعث والنشور، والأوّل أولى ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾ الظرف منصوب بإضمار: اذكر[١]، وقيل: هو بدل من ﴿يَوْمَ تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ﴾، وقيل: هو متعلق بـ﴿مُنتَقِمُونَ﴾، وقيل: بما دلّ عليه ﴿مُنتَقِمُونَ﴾، وهو ننتقم. والبطشة الكبرى: هي: يوم بدر[٢]، قاله الأكثر.

والمعنى: أنهم لما عادوا إلى التكذيب، والكفر بعد رفع العذاب عنهم انتقم الله منهم بوقعة بدر.

وقال الحسن[٣]، وعكرمة[٤]: المراد بها: عذاب النار، واختار هذا الزجاج[٥]، والأوّل أولى.

قرأ الجمهور[٦]: «نبَطِش» بفتح النون، وكسر الطاء؛ أي: نبطش بهم، وقرأ الحسن، وأبو جعفر بضم الطاء وهي: لغة، وقرأ أبو رجاء، وطلحة بضم النون، وكسر الطاء[٧].

وقد أخرج ابن مردويه[٨] عن ابن عباس ﴿فِى لَيْلَةٍ مُّبَـٰرَكَةٍ﴾ قال: أُنزل القرآن في ليلة القدر، ونزل به جبريل على رسول الله ﷺ نُجوماً لجواب الناس.

---

(١) «التبيان» (٢/ ١١٤٥)، و«الفريد» (٤/ ٢٧١)، و«مشكل إعراب القرآن» (٢/ ٢٨٨).

(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢١/ ٢٥)، عن ابن مسعود.
وأخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢١/ ٢٦) بسند صحيح، عن مجاهد.
وأخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢١/ ٢٦) بسند صحيح، عن أبي العالية.

(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢١/ ٢٧) بسند صحيح.

(٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢١/ ٢٧) بسند حسن.

(٥) في «معاني القرآن وإعرابه» (٤/ ٤٢٥).

(٦) «النشر» (٢/ ٢٧٤)، و«البحر المحيط» (٩/ ٤٠٠). القراءة بفتح النون وكسر الطاء وضم الطاء متواترتان وما عداهما فشاذة.

(٧) «القراءات الشاذة» (ص١٣٧)، و«المحتسب» (٢/ ٢٦٠)، و«البحر المحيط» (٩/ ٤٠٠).

(٨) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٣٩٨).

وأخرج محمد بن نصر، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عنه[١] في قوله: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ قال: يُكْتب من أمّ الكتاب في ليلة القدر ما يكون في السنة من رزق وموت وحياة ومطر، حتى يكتب الحاج: يُحج فلان، ويحج فلان.

وأخرج ابن أبي حاتم[٢]، عن ابن عمر: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ قال: أمر السنة إلى السنة إلا الشقاء والسعادة، فإنّه في كتاب الله لا يبدّل، ولا يغيّر.

وأخرج عبد بن حميد، وابن جرير، وابن أبي حاتم، والحاكم وصححه، والبيهقي في «الشعب»[٣] قال: إنك لترى الرجل يمشي في الأسواق وقد وقع اسمه في الموتى، ثم قرأ: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ﴾ الآية؛ يعني: ليلة القدر، قال: ففي تلك الليلة يفرق أمر الدنيا إلى مثلها من قابل من موت، أو حياة، أو رزق، كل أمر الدنيا يفرق تلك الليلة إلى مثلها.

وأخرج ابن زنجويه، والديلمي، عن أبي هريرة[٤] قال: قال رسول الله ﷺ: «تقطع الآجال من شعبان إلى شعبان، حتى إن الرجل لينكح، ويولد له، وقد خرج اسمه في الموتى».

وأخرجه ابن أبي الدنيا، وابن جرير، عن عثمان بن محمد بن المغيرة بن الأخنس[٥]، وهذا مرسل، ولا تقوم به حجة، ولا تعارض بمثله صرائح القرآن.

وما روي في هذا، فهو إما مرسل أو غير صحيح.

وقد أورد ذلك صاحب «الدرّ المنثور»[٦]، وأورد ما ورد في فضل ليلة النصف من شعبان، وذلك لا يستلزم أَنّها المراد بقوله: في ليلة مباركة.

---

(١) عزاه إليهم السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٣٩٩).
وأخرجه محمد بن نصر (ص١٠٥).

(٢) ذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٢٨٧).

(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢١/ ١٠)، والحاكم (٢/ ٤٤٨)، والبيهقي رقم (٣٦٦١) بسند صحيح.

(٤) أخرجه الديلمي رقم (٢٤١٠) من حديث عثمان بن الأخنس.
قال الحافظ ابن حجر: أسنده عن أبي هريرة. «تسديد القوس» (٢/ ١١٥).

(٥) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢١/ ١٠) بسند ضعيف.

(٦) في «الدر المنثور» (٧/ ٣٩٩ ـ ٤٠٥).

وأخرج البخاري، ومسلم، وغيرهما، عن ابن مسعود[١]: «أن قريشاً لما استعصت على رسول الله ﷺ، وأبطئوا عَنْ الإسلام قال: اللَّهُمَّ أعنِّي عليهم بسبع كسبع يوسف، فأصابهم قَحْط، وجهد حتى أكلوا العظام، فجعل الرجل ينظر إلى السماء، فيرى ما بينه وبينها كهيئة الدخان مِنْ الجوع، فأنزل الله: ﴿فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ﴾ الآية، فأتي النبي ﷺ فقيل: يا رسول الله استسق الله لمضر فاستسقى لهم، فسقوا، فأنزل الله: ﴿إِنَّا كَاشِفُوا۟ ٱلْعَذَابِ قَلِيلًا ۚ إِنَّكُمْ عَآئِدُونَ﴾ فلما أصابتهم الرفاهية عادوا إلى حالهم، فأنزل الله: ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰٓ إِنَّا مُنتَقِمُونَ﴾، فانتقم الله منهم يوم بدر، فقد مضى البطشة والدخان واللزام».

وقد روي عن ابن مسعود، نحو هذا من غير وجه، وروي نحوه عن جماعة من التابعين.

وأخرج عبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والحاكم عن ابن أبي مليكة[٢] قال: دخلت على ابن عباس فقال: لم أنم هذه الليلة، فقلت: لم؟ قال: طلع الكوكب فخشيت أَنْ يطرق الدخان.

قال ابن كثير[٣]: وهذا إسناد صحيح، وكذا صحّحه السيوطي[٤]، ولكن ليس فيه أنه سبب نزول الآية. وقد عرّفناك أنه لا منافاة بين كون هذه الآية نازلة في الدخان الذي كان يتراءى لقريش من الجوع، وبين كون الدّخان من آيات الساعة وعلاماتها وأشراطها، فقد وردت أحاديث صحاح، وحسان، وضعاف بذلك، وليس فيها أنّه سبب نزول الآية، فلا حاجة بنا إلى التطويل بذكرها.

---

(١) أخرجه البخاري رقم (١٠٠٧)، ومسلم رقم (٣٩/٢٧٩٨)، وأبو يعلى رقم (٥١٤٥) من طريق جرير، به.
وأخرجه البخاري رقم (٤٨٢٤)، والترمذي رقم (٣٢٥٤)، وابن حبان رقم (٦٥٨٥)، والطبراني رقم (٩٠٤٨)، وأبو نعيم في «الدلائل» رقم (٣٦٩)، والبيهقي في «الدلائل» (٢/ ٣٢٦)، والبغوي في «تفسيره» (٧/٢٢٩)، وعبد الرزاق في «تفسيره» (٢/٢٠٥)، وأحمد رقم (٤٢٠٦) من طريق منصور، به.

(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢١/١٨ ـ ١٩)، وابن أبي حاتم ـ كما في «تفسير ابن كثير» (١٢/٣٣٨)، والحاكم (٤/٤٥٩).

(٣) في «تفسيره» (١٢/٣٣٩).

(٤) في «الدر المنثور» (٧/٤٠٧).

والواجب التمسك بما ثبت في «الصحيحين»[١]، وغيرهما: أن دخان قريش عند الجهد والجوع هو سبب النزول، وبهذا تعرف اندفاع ترجيح مَنْ رجح أنه الدخان الذي هو من أشراط الساعة كابن كثير[٢] في تفسيره، وغيره.

وهكذا يندفع قول مَنْ قال: إنه الدخان الكائن يوم فتح مكة متمسكاً بما أخرجه ابن سعد عن أبي هريرة[٣] قال: كان يوم فتح مكة دخان، وهو قول الله ﴿فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ﴾ فإن هذا لا يعارض ما في «الصحيحين» على تقدير صحة إسناده مع احتمال أن يكون أبو هريرة رضي الله عنه ظنّ من وقوع ذلك الدخان يوم الفتح أنّه المراد بالآية، ولهذا لم يصرّح بأنه سبب نزولها.

وأخرج ابن جرير، عن عكرمة قال: قال ابن عباس: قال ابن مسعود[٤]: البطشة الكبرى: يوم بدر، وأنا أقول: هي يوم القيامة.

قال ابن كثير[٥]: وهذا إسناد صحيح.

وقال ابن كثير[٦] قبل هذا: فسر ذلك ابن مسعود بيوم بدر، وهذا قول جماعة ممن وافق ابن مسعود على تفسيره الدّخان بما تقدّم.

وروي أيضاً عن ابن عباس[٧] من رواية العوفي عنه، وعن أبيّ بن كعب[٨]، وجماعة، وهو محتمل.

والظاهر أنّ ذلك يوم القيامة، وإنْ كان يوم بدر يوم بطشة كبرى أيضاً. انتهى.

قلت: بل الظاهر أنّه يوم بدر، وإن كان يوم القيامة يوم بطشة أكبر من كل بطشة، فإن السياق مع قريش، فتفسيره بالبطشة الخاصة بهم أولى من تفسيره بالبطشة التي تكون يوم القيامة لكل عاص من الإنس والجنّ.

---

(١) تقدم نصه وتخريجه.
(٢) في «تفسيره» (١٢/ ٣٣٩).
(٣) أخرجه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٢/ ١٤٢).
(٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢١/ ٢٧) بسند صحيح.
(٥) في «تفسيره» (١٢/ ٣٣٩).
(٦) في «تفسيره» (١٢/ ٣٣٩).
(٧) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢١/ ٢٦) بسند ضعيف.
(٨) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢١/ ٢٦) بسند صحيح.

﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَآءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ ۝١٧ أَنْ أَدُّوٓا۟ إِلَىَّ عِبَادَ ٱللَّهِ ۖ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ۝١٨ وَأَن لَّا تَعْلُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ۖ إِنِّىٓ ءَاتِيكُم بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ۝١٩ وَإِنِّى عُذْتُ بِرَبِّى وَرَبِّكُمْ أَن تَرْجُمُونِ ۝٢٠ وَإِن لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ لِى فَٱعْتَزِلُونِ ۝٢١ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ ۝٢٢ فَأَسْرِ بِعِبَادِى لَيْلًا إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ۝٢٣ وَٱتْرُكِ ٱلْبَحْرَ رَهْوًا ۖ إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ ۝٢٤ كَمْ تَرَكُوا۟ مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ۝٢٥ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ۝٢٦ وَنَعْمَةٍ كَانُوا۟ فِيهَا فَٰكِهِينَ ۝٢٧ كَذَٰلِكَ ۖ وَأَوْرَثْنَٰهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ۝٢٨ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ وَمَا كَانُوا۟ مُنظَرِينَ ۝٢٩ وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ۝٣٠ مِن فِرْعَوْنَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَالِيًا مِّنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ۝٣١ وَلَقَدِ ٱخْتَرْنَٰهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٣٢ وَءَاتَيْنَٰهُم مِّنَ ٱلْءَايَٰتِ مَا فِيهِ بَلَٰٓؤٌا۟ مُّبِينٌ ۝٣٣ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَيَقُولُونَ ۝٣٤ إِنْ هِىَ إِلَّا مَوْتَتُنَا ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ ۝٣٥ فَأْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝٣٦ أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ أَهْلَكْنَٰهُمْ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ۝٣٧﴾.

قوله: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ﴾؛ أي: ابتليناهم، ومعنى الفتنة هنا: أنّ الله سبحانه أرسل إليهم رسله، وأمروهم بما شرعه لهم فكذبوهم، أو وسع عليهم الأرزاق، فطغوا [٤/٥٨] وبغوا.

قال الزجاج(١): بلوناهم، والمعنى: عاملناهم معاملة المختبر ببعث الرسل إليهم، وقرئ: «فتّنا» بالتشديد ﴿وَجَآءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ﴾؛ أي: كريم على الله كريم في قومه، وقال مقاتل: حسن الخُلق بالتجاوز والصفح.

وقال الفراء(٢): كريم على ربه إذْ اختصه بالنبوّة.

﴿أَنْ أَدُّوٓا۟ إِلَىَّ عِبَادَ ٱللَّهِ﴾ أنْ هذه هي المفسرة(٣) لتقدّم ما هو بمعنى القول، ويجوز أن تكون المخففة من الثقيلة، والمعنى: أن الشأن والحديث أدّوا إليّ عباد الله، ويجوز أن تكون مصدرية(٤)؛ أي: بأن أدّوا؛ والمعنى: أنه طلب منهم أن يسلموا إليه بني إسرائيل.

قال مجاهد(٥): المعنى: أرسلوا معي عبادَ الله، وأطلقوهم من العذاب،

---

(١) في «معاني القرآن وإعرابه» (٤/٤٢٦). (٢) في «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٤٠).
(٣) «التبيان» (٢/١١٤٦)، و«الفريد» (٤/ ٢٧٢)، و«روح المعاني» (٢٤/ ٤٦٣).
(٤) انظر: المصادر المتقدمة. (٥) «النكت والعيون» (٥/ ٢٤٩).

فعباد الله على هذا مفعول به. وقيل المعنى: أدّوا إليّ عباد الله ما وجب عليكم من حقوق الله، فيكون منصوباً على أنه منادى مضاف. وقيل: أدّوا إليّ سمعكم حتى أبلغكم رسالة ربكم.

﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ هو: تعليل لما تقدّم؛ أي: رسول من الله إليكم أمين على الرسالة غير متهم ﴿وَأَن لَّا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ﴾؛ أي: لا تتجبروا وتتكبروا عليه بترفعكم عن طاعته ومتابعة رسله، وقيل: لا تبغوا على الله، وقيل: لا تفتروا عليه، والأوّل أولى. وبه قال ابن جريج[(١)]، ويحيى بن سلام[(٢)].

وجملة: ﴿إِنِّي آتِيكُم بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾ تعليل لما قبله من النهي؛ أي: بحجة واضحة لا سبيل إلى إنكارها. وقال قتادة[(٣)]: بعذر بين. والأوّل أولى، وبه قال يحيى بن سلام[(٤)].

قرأ الجمهور[(٥)] بكسر همزة ﴿إِنِّي﴾، وقرئ بالفتح بتقدير[(٦)] اللام.

﴿وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَن تَرْجُمُونِ﴾ استعاذ بالله سبحانه لما توعدوه بالقتل، والمعنى: من أن ترجمون.

قال قتادة[(٧)]: ترجموني بالحجارة، وقيل: تشتمون، وقيل: تقتلون.

﴿وَإِن لَّمْ تُؤْمِنُوا لِي فَاعْتَزِلُونِ﴾؛ أي: إنْ لم تصدّقوني وتقرّوا بنبوّتي فاتركوني ولا تتعرّضوا لي بأذى. قال مقاتل[(٨)]: دعوني كفافاً لا عليّ ولا لي. وقيل: كونوا بمعزل عني، وأنا بمعزل منكم إلى أن يحكم الله بيننا، وقيل: فخلّوا سبيلي[(٩)] والمعنى متقارب.

ثم لمّا لم يصدّقوه ولم يجيبوا دعوته، رجع إلى ربِّه بالدعاء كما حكى الله عنه

---

(١) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٩/ ١١١ ـ ١١٢).
(٢) «النكت والعيون» (٥/ ٢٤٩).
(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢١/ ٢٩ ـ ٣٠) بسند صحيح.
(٤) «النكت والعيون» (٥/ ٢٤٩).
(٥) «التيسير» (ص١٩٨)، و«النشر» (٢/ ٢٧١)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (٢/ ٢٦٥).
(٦) انظر: المصادر المتقدمة. القراءة بفتح الهمزة شاذة.
(٧) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢١/ ٣٢).
(٨) «معاني القرآن» للنحاس (٦/ ٤٠٢). (٩) «النكت والعيون» (٥/ ٢٥٠).

بقوله: ﴿فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوۡمٞ مُّجۡرِمُونَ﴾ قرأ الجمهور[١] بفتح الهمزة على إضمار حرف الجرّ؛ أي: دعاه بأنّ هؤلاء، وقرأ الحسن، وابن أبي إسحاق، وعيسى بن عمر بكسرها[٢] على إضمار القول، وفي الكلام حذف؛ أي: فكفروا فدعا ربه، والمجرمون: الكافرون، وسمّاه دعاء مع أنه لم يذكر إلا مجرّد كونهم مجرمين؛ لأنهم قد استحقوا بذلك الدعاء عليهم.

﴿فَأَسۡرِ بِعِبَادِي لَيۡلًا﴾ أجاب الله سبحانه دعاءه، فأمره أن يسري ببني إسرائيل ليلاً، يقال: سرى وأسر لغتان، قرأ الجمهور[٣]: «فأسر» بالقطع.

وقرأ أهل الحجاز[٤] بالوصل، ووافقهم ابنُ كثير، فالقراءة الأولى من أسرى، والثانية من سرى، والجملة بتقدير القول؛ أي: فقال الله لموسى أسر بعبادي ﴿إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ﴾؛ أي: يتبعكم فرعون وجنوده.

وقد تقدّم في غير موضع خروج فرعون بعدهم.

﴿وَٱتۡرُكِ ٱلۡبَحۡرَ رَهۡوًاۖ﴾؛ أي: ساكناً، يقال: رها يرهو رهواً: إذا سكن لا يتحرّك.

قال الجوهري[٥]: يقال: افعلْ ذلك رهواً؛ أي: ساكناً على هيئتك، وعيش راهٍ؛ أي: ساكن، ورها البحرُ: سكن، وكذا قال الهروي[٦] وغيره، وهو المعروف في اللغة، ومنه قول الشاعر:

والخيلُ تمزعُ رَهْوا في أعنَّتها ... كالطير تنجُو من الشُّؤبُوب ذِي البرَدِ[٧]

أي: والخيل تمرح في أعنّتها ساكنة، والمعنى: اترك البحر ساكناً على صفته بعد أن ضربته بعصاك، ولا تأمره أنْ يرجع كما كان ليدخله آل فرعون بعدك وبعد بني إسرائيل فينطبق عليهم، فيغرقون.

وقال أبو عبيدة[٨]: رها بين رجليه يرهو رهواً؛ أي: فتح.. قال: ومنه قوله:

---

(١) «البحر المحيط» (٩/ ٤٠١)، و«معاني القرآن» للفراء (٣/ ٤٠).
(٢) «القراءات الشاذة» (ص١٣٧)، و«روح المعاني» (٢٤/ ٤٦٦)، و«إعراب القراءات الشواذ» (٢/ ٤٦٣): وهي قراءة شاذة.
(٣) «النشر» (٢/ ٢٩٠)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (١/ ٥٣٥)، و«المحرر الوجيز» (١٤/ ٢٩٠)، و«التيسير» (ص١٢٥).
(٤) انظر: المصادر المتقدمة.
(٥) في «الصحاح» (٦/ ٢٣٦٥).
(٦) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٩/ ١١٥).
(٧) «ديوان النابغة الذبياني» (ص٣٤).
(٨) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٩/ ١١٥).

﴿وَٱتْرُكِ ٱلْبَحْرَ رَهْوًا﴾، والمعنى: اتركه منفرجاً كما كان بعد دخولكم فيه، وكذا قال أبو عبيد: وبه قال مجاهد، وغيره.

قال ابن عرفة[١]: وهما يرجعان إلى معنى واحد، وإن اختلف لفظاهما؛ لأن البحر إذا سكن جريه انفرج.

قال الهروي[٢]: ويجوز أَنْ يكون رهواً نعتاً لموسى؛ أي: سر ساكناً على هيئتك. وقال كعب[٣]، والحسن[٤]: رهواً: طريقاً.

وقال الضحاك[٥]، والربيع[٦]: سهلاً. وقال عكرمة[٧]: يبساً كقوله: ﴿فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِى ٱلْبَحْرِ يَبَسًا﴾ [طه: ٧٧] وعلى كل تقدير، فالمعنى: اتركه ذا رهوٍ، أو اتركه رهواً على المبالغة في الوصف بالمصدر.

﴿إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ﴾؛ أي: إنّ فرعون وقومه مغرقون.

أخبر سبحانه موسى بذلك ليسكن قلبه، ويطمئن جأشه. قرأ الجمهور بكسر «إن» على الاستئناف لقصد الإخبار بذلك، وقرئ بالفتح[٨] على تقدير لأنهم ﴿كَمْ﴾ هي الخبرية المفيدة للتكثير، وقَدْ مضى الكلام في معنى الآية في سورة الشعراء.

قرأ الجمهور[٩]: ﴿وَمَقَامٍ﴾ بفتح الميم على أنه اسم مكان للقيام، وقرأ ابن هرمز، وقتادة، وابن السميفع، وروى عن نافع بضمها[١٠] اسم مكان الإقامة.

﴿وَنَعْمَةٍ كَانُوا۟ فِيهَا فَٰكِهِينَ﴾ النَّعمة بالفتح التنعم يقال: نعّمه الله، وناعمه، فتنعم، وبالكسر المِنّة، وما أنعم به عليك، وفلان واسع النعمة؛ أي: واسع المال ذكر معنى

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للنحاس (٦/ ٤٠٣). (٢) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٩/ ١١٥).
(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢١/ ٣٧) بسند حسن.
(٤) أخرجه ابن الأنباري في «الأضداد» (ص١٥١).
(٥) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢١/ ٣٦) بسند حسن.
(٦) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢١/ ٣٦) بسند ضعيف.
(٧) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢١/ ٣٥) بسند حسن.
(٨) «روح المعاني» (٢٤/ ٤٦٧)، و«الكشاف» (٥/ ٤٧٠). القراءة بفتح (أنّ) شاذة.
(٩) «البحر المحيط» (٩/ ٤٠٢)، و«المحرر الوجيز» (١٤/ ٢٩٢)، و«التقريب والبيان» (ص١٥٧). والرواية عن نافع بضم الميم شاذة.
(١٠) انظر: المصادر المتقدمة.

هذا الجوهري[(١)].

قرأ الجمهور[(٢)]: «فاكهين» بالألف. وقرأ أبو رجاء، والحسن، وأبو الأشهب، والأعرج، وأبو جعفر، وشيبة: «فكهين» بغير[(٣)] ألف، والمعنى على القراءة الأولى: متنعمين طيبة أنفسهم، وعلى القراءة الثانية: أشرين بطرين. قال الجوهري[(٤)]: فَكِه الرجل بالكسر، فهو فِكهٌ إذا كان طيب النفس مزّاحاً، والفَكِه أيضاً: الأشِر البَطِر. قال: وفاكهين؛ أي: ناعمين.

وقال الثعلبي[(٥)]: هما لغتان كالحاذر والحَذِر، والفاره والفَرِه. وقيل: إن الفاكه هو: المستمتع بأنواع اللذة كما يتمتع الرجل بأنواع الفاكهة.

﴿كَذَٰلِكَۖ وَأَوۡرَثۡنَٰهَا قَوۡمًا ءَاخَرِينَ﴾ الكاف في محل رفع[(٦)] على أنها خبر لمبتدأ محذوف.

قال الزجاج[(٧)]: أي: الأمر كذلك، ويجوز أن تكون في محل نصب، والإشارة إلى مصدر فعل يدلّ عليه تركوا؛ أي: مثل ذلك السلب سلبناهم إياها، وقيل: مثل ذلك الإخراج أخرجناهم منها، وقيل: مثل ذلك الإهلاك أهلكناهم.

فعلى الوجه الأوّل يكون قوله: ﴿وَأَوۡرَثۡنَٰهَا﴾ معطوفاً على ﴿تَرَكُواْ﴾، وعلى الوجوه الأخرى يكون معطوفاً على الفعل المقدّر. والمراد بالقوم الآخرين: بنو إسرائيل، فإنَّ الله سبحانه ملّكهم أرض مصر بعد أن كانوا فيها مستعبدين، فصاروا لها وارثين؛ أي: أنها وصلت إليهم كما يصل الميراث إلى الوارث، ومثل هذا قوله: ﴿وَأَوۡرَثۡنَا ٱلۡقَوۡمَ ٱلَّذِينَ كَانُواْ يُسۡتَضۡعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلۡأَرۡضِ وَمَغَٰرِبَهَا﴾ [الأعراف: ١٣٧].

﴿فَمَا بَكَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلۡأَرۡضُ﴾ هذا بيان لعدم الاكتراث بهلاكهم.

قال المفسِّرون[(٨)]: أي: إنّهم لم يكونوا يعملون على الأرض عملاً صالحاً

---

(١) في «الصحاح» (٥/ ٢٠٤٢).
(٢) «النشر» (٢/ ٣٥٤ ـ ٣٥٥)، و«جامع البيان» (٢١/ ٣٩ ـ ٤٠)، و«البحر المحيط» (٩/ ٤٠٢).
(٣) انظر: المصادر المتقدمة.
(٤) في «الصحاح» (٦/ ٢٢٤٣).
(٥) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٩/ ١١٨).
وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٢٥٢)، عن ابن عيسى.
(٦) «الفريد» (٤/ ٢٧٣)، و«التبيان» (٢/ ١١٤٧)، و«مشكل إعراب القرآن» (٢/ ٢٩٠).
(٧) في «معاني القرآن وإعرابه» (٤/ ٤٢٦).
(٨) «الجامع لأحكام القرآن» (١٩/ ١١٩)، و«الوسيط» (٤/ ٩٠).

تبكي عليهم به، ولم يصعد لهم إلى السماء عمل طيب تبكي عليهم به، والمعنى: أنه لم يصب بفقدهم وهلاكهم أحد من أهل السماء ولا من أهل الأرض، وكانت العرب تقول عند موت السيد منهم: بكت له السماء والأرض؛ أي: عمت مصيبته، ومن ذلك قول جرير[(١)]:

لَمَّا أتى خبرُ الزُّبير تواضعتْ ... سُور المَدِينة والجبالُ الخُشَّعُ

ومنه قول النابغة[(٢)]:

بَكَى حَارِثُ الحولان مِنْ فقدِ ربِّه ... وحُوران منه خاشعٌ مُتضائلُ

وقال الحسن[(٣)]: في الكلام مضاف محذوف؛ أي: ما بكى عليهم أهل السماء والأرض من الملائكة، والناس.

وقال مجاهد[(٤)]: إن السماء والأرض تبكيان على المؤمن أربعين صباحاً، وقيل[(٥)]: إنه يبكي على المؤمن مواضع صلاته ومصاعد عمله ﴿وَمَا كَانُوا۟ مُنظَرِينَ﴾؛ أي: مُمْهلين إلى وقت آخر، بل عُوجلوا بالعقوبة؛ لفرط كفرهم، وشدّة عنادهم.

﴿وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ﴾؛ أي: خلصناهم بإهلاك عدوّهم مما كانوا فيه من الاستعباد، وقتل الأبناء، واستحياء النساء، وتكليفهم للأعمال الشاقة.

وقوله: ﴿مِن فِرْعَوْنَ﴾ بدل من العذاب[(٦)] إما على حذف مضاف؛ أي: من عذاب فرعون، وإما على المبالغة كأنّه نفس العذاب، فأبدل منه، أو على أنه حال من العذاب تقديره صادراً من فرعون، وقرأ ابن عباس[(٧)]: «مَنْ فرعون»؟ بفتح الميم على الاستفهام التحقيري كما يقال لمن افتخر بحسبه أو نسبه: من أنت؟

ثم بيّن سبحانه حاله، فقال: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَالِيًا مِّنَ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾؛ أي: عالياً في التكبر والتجّبر، من المسرفين في الكفر بالله وارتكاب معاصيه، كما في قوله: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [القصص: ٤].

(١) في «ديوانه» (٢/ ٩١٣).
(٢) في «ديوان النابغة الذبياني» (ص٩١).
(٣) «النكت والعيون» (٥/ ٢٥٢).
(٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢١/ ٤٢)، وابن أبي شيبة (١٣/ ٣٧٣)، والبيهقي في «الشعب» رقم (٣٢٩٠).
(٥) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢١/ ٤٣) بسند صحيح.
(٦) «التبيان» (٢/ ١١٤٧)، و«الفريد» (٤/ ٢٧٤).
(٧) «روح المعاني» (٢٤/ ٤٧٣)، و«الكشاف» (٥/ ٤٧٢). وهي قراءة شاذة.

ولما بيّن سبحانه كيفية دفعه للضر عن بني إسرائيل بيّن ما أكرمهم به، فقال: ﴿وَلَقَدِ ٱخْتَرْنَٰهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾؛ أي: اختارهم الله على عالمي زمانهم على علمٍ منه باستحقاقهم لذلك، وليس المراد: أنه اختارهم على جميع العالمين بدليل قوله في هذه الأمة: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠] وقيل: على كل العالمين لكثرة الأنبياء فيهم، ومحل على علم النصب على الحال من فاعل ﴿ٱخْتَرْنَٰهُمْ﴾؛ أي: حال كون اختيارنا لهم على علم منا، و﴿عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ متعلق بـ﴿ٱخْتَرْنَٰهُمْ﴾.

﴿وَءَاتَيْنَٰهُم مِّنَ ٱلْءَايَٰتِ﴾؛ أي: معجزات موسى ﴿مَا فِيهِ بَلَٰٓؤٌا۟ مُّبِينٌ﴾؛ أي: اختبار ظاهر وامتحان واضح لننظر كيف يعملون.

وقال قتادة(١): الآيات إنجاؤهم من الغرق، وفلق البحر لهم وتظليل الغمام عليهم، وإنزال المنّ والسلوى لهم.

وقال ابن زيد(٢): الآيات هي: الشرّ الذي كفهم عنه، والخير الذي أمرهم به.

وقال الحسن، وقتادة(٣): البلاء المبين: النعمة الظاهرة كما في قوله: ﴿وَلِيُبْلِىَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًا﴾ [الأنفال: ١٧]، ومنه قول زهير(٤):

فأبلاهُما خيرَ البلاء الذي يبلُو(٥)

والإشارة بقوله: ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ إلى كفار قريش؛ لأن الكلام فيهم، وقصة فرعون مسوقة للدلالة على استوائهم في الإصرار على الكفر ﴿لَيَقُولُونَ ۝٣٤ إِنْ هِىَ إِلَّا مَوْتَتُنَا ٱلْأُولَىٰ﴾؛ أي: ما هي إلا موتتنا الأولى التي نموتها في الدنيا، ولا حياة بعدها ولا بعث، وهو معنى قوله: [٥٩/٤] ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ﴾؛ أي: بمبعوثين، وليس في الكلام قصد إلى إثبات موتة أخرى، بل المراد: ما العاقبة ونهاية الأمر إلا الموتة الأولى المزيلة للحياة الدنيوية.

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢١/ ٤٧) بسند صحيح.
(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢١/ ٤٧ ـ ٤٨) بسند صحيح.
(٣) ذكره عنهما القرطبي في «تفسيره» (١٩/ ١٢٤).
(٤) «ديوان زهير بن أبي سلمى» (ص١٠٩).
(٥) وصدر البيت:
رأى اللّه بالإحسان ما فعلا بكم

قال الرازي[١]: المعنى: أنّه لا يأتينا من الأحوال الشديدة إلا الموتة الأولى، ثم أوردوا على من وعدهم بالبعث ما ظنوه دليلاً، وهو: حجة داحضة، فقالوا: ﴿فَأْتُواْ بِـَٔابَآئِنَآ﴾؛ أي: ارجعوهم بعد موتهم إلى الدنيا ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ فيما تقولونه وتختبرونا به من البعث.

ثم ردّ الله سبحانه عليهم بقوله: ﴿أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ﴾؛ أي: أهم خير في القوّة، والمنعة أم قوم تُبّع الحِمْيَري الذي دار في الدنيا بجيوشه وغلب أهلها، وقهرهم؟ وفيه وعيد شديد. وقيل: المراد بقوم تبع: جميع أتباعه لا واحد بعينه.

وقال الفراء[٢]: الخطاب في قوله: ﴿فَأْتُواْ بِـَٔابَآئِنَآ﴾ لرسول الله ﷺ وحده كقوله: ﴿رَبِّ ٱرْجِعُونِ﴾ [المؤمنون: ٩٩]، والأولى أنه خطاب له، ولأتباعه من المسلمين.

والمراد بـ ﴿وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ عاد وثمود ونحوهم، وقوله: ﴿أَهْلَكْنَٰهُمْ﴾ جملة مستأنفة لبيان حالهم وعاقبةِ أمرهم، وجملة: ﴿إِنَّهُمْ كَانُواْ مُجْرِمِينَ﴾ تعليل لإهلاكهم.

والمعنى: أن الله سبحانه قد أهلك هؤلاء بسبب كونهم مجرمين، فإهلاكه لمن هو دونهم بسبب كونه مجرماً مع ضعفه، وقصور قدرته بالأولى.

وقد أخرج ابن أبي حاتم[٣]، عن ابن عباس في قوله: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا﴾ قال: ابتلينا ﴿قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَآءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ﴾ قال: هو: موسى ﴿أَنْ أَدُّوٓاْ إِلَيَّ عِبَادَ ٱللَّهِ﴾ أرسلوا معي بني إسرائيل ﴿وَأَن لَّا تَعْلُواْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ قال: لا تعثوا ﴿إِنِّيٓ ءَاتِيكُم بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾ قال: بعذرٍ مبين ﴿وَإِنِّى عُذْتُ بِرَبِّى وَرَبِّكُمْ أَن تَرْجُمُونِ﴾ قال: بالحجارة ﴿وَإِن لَّمْ تُؤْمِنُواْ لِى فَٱعْتَزِلُونِ﴾؛ أي: خلّوا سبيلي.

وأخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم، وابن مردويه[٤] عنه في قوله: ﴿أَنْ أَدُّوٓاْ إِلَيَّ عِبَادَ ٱللَّهِ﴾ قال: يقول: اتبعوني إلى ما أدعوكم إليه من الحق، وفي قوله: ﴿وَأَن لَّا تَعْلُواْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ قال: لا تفتروا، وفي قوله: ﴿أَن تَرْجُمُونِ﴾ قال: تشتمون.

---

(١) في «تفسيره» (٢٧/ ٢٤٩). (٢) في «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٤٢).

(٣) عزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٤٠٩) إلى عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر، عن قتادة. وأخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢١/ ٢٨، ٢٩، ٣١ ـ ٣٣) بسند صحيح.

(٤) عزاه إليهم السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٤٠٩). وأخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢١/ ٢٩، ٣١، ٣٢) بسند ضعيف.

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، عنه[١] أيضاً في قوله: ﴿رَهْوًا﴾ قال: سمتاً.

وأخرج ابن أبي حاتم[٢] عنه أيضاً ﴿رَهْوًا﴾ قال: كهيئته، وامْضِه.

وأخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم، عنه[٣] أيضاً: أنه سأل كعباً عن قوله: ﴿وَاتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْوًا﴾ قال: طريقاً.

وأخرج ابن جرير[٤]، عن ابن عباس أيضاً قال: الرّهو: أن يترك كما كان.

وأخرج ابن أبي حاتم[٥]، عنه أيضاً في قوله: ﴿وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾ قال: المنابر.

وأخرج ابنُ مردويه[٦]، عن جابر مثله.

وأخرج الترمذي، وابن أبي الدنيا، وأبو يعلى، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، وأبو نُعيم في «الحِلْية»، والخطيب عن أنس[٧]، قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من عبد إلّا وله بابان: باب يصعد منه عمله، وباب ينزل منه رزقه، فإذا مات فقداه وبكيا عليه، وتلا هذه الآية: ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ﴾» وذكر أنهم لم يكونوا يعملون على الأرض عملاً صالحاً تَبْكي عليهم، ولم يصعد لهم إلى السماء من كلامهم ولا من عملهم كلام صالح فتفقدهم فتبكي عليهم.

وأخرج عبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، والبيهقي في «الشعب» نحوه من قول ابن عباس[٨].

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢١/ ٣٥)، وابن أبي حاتم ـ كما في «الإتقان» (٢/ ٤٢) ـ، وابن عبد الحكم في «فتوح مصر» (ص٢٤) بسند صحيح.

(٢) ذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٢٨٨).

(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢١/ ٣٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٢٨٨) من طريق إسحاق بن عبد الله بن الحارث، عن أبيه، أن ابن عباس سأل كعباً.

(٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢١/ ٣٥) بسند ضعيف.

(٥) ذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٢٨٨).

(٦) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٤١١).

(٧) أخرجه الترمذي رقم (٣٢٥٥)، وأبو يعلى رقم (٤١٣٣)، وابن أبي حاتم ـ كما في «تفسير ابن كثير» (١٢/ ٣٤٣) ـ، وأبو نعيم (٥٣١٣)، والخطيب (١١/ ٢١٢). وهو حديث ضعيف.

(٨) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢١/ ٤٢، ٤٥)، والبيهقي في «الشعب» رقم (٣٢٨٨) بسند صحيح.

وأخرج أبو الشيخ[١] عنه قال: يقال: الأرض تبكي على المؤمن أربعين صباحاً.

وأخرج ابن أبي الدنيا، وابن جرير، عن شريح بن عبيد الحضرمي[٢] مرسلاً قال: قال رسول الله ﷺ: «إنّ الإسلام بدأ غريباً، وسيعود غريباً كما بدأ، ألا لا غربة على مؤمن، ما مات مؤمن في غربة غابت عنه فيها بواكيه، إلاّ بكت عليه السماء والأرض، ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ﴾ ثم قال: إنهما لا يبكيان على كافر».

وأخرج ابن المبارك، وعبد بن حميد، وابن أبي الدنيا، وابن المنذر من طريق المسيب بن رافع، عن عليّ بن أبي طالب[٣] قال: إن المؤمن إذا مات بكى عليه مصلاه من الأرض، ومصعد عمله من السماء، ثم تلا الآية.

وأخرج ابن المبارك، وعبد بن حميد، وابن أبي الدنيا، والحاكم وصححه، والبيهقي في «الشعب»، عن ابن عباس[٤] قال: إن الأرض لتبكي على ابن آدم أربعين صباحاً، ثم قرأ الآية.

وأخرج الطبراني، وابن مردويه عنه[٥]، عن النبي ﷺ قال: «لا تسبوا تُبَّعاً فإنه قد أسلم». وأخرجه أحمد، والطبراني، وابن ماجه، وابن مردويه عن سهل بن سعد الساعدي قال: قال رسول الله ﷺ فذكر مثله، وروي نحو هذا عن غيرهما من الصحابة، والتابعين.

---

(١) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٤١٢).

(٢) عزاه إليهم السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٤١٢).
وأخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢١/ ٤٣) بسند ضعيف.

(٣) أخرجه ابن المبارك في «الزهد» رقم (٣٣٦).

(٤) أخرجه ابن المبارك في «الزهد» رقم (٣٣٨)، والحاكم (٢/ ٤٤٩)، والبيهقي في «الشعب» رقم (٣٢٩٠).

(٥) أخرجه الطبراني رقم (١١٧٩٠)، وابن مردويه ـ كما في «تخريج أحاديث الكشاف» (٣/ ٢٧٠) ـ. وهو حديث صحيح.

﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿٣٨﴾ مَا خَلَقْنَٰهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ مِيقَٰتُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٠﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِى مَوْلًى عَن مَّوْلًى شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٢﴾ إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَٱلْمُهْلِ يَغْلِى فِى ٱلْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلْىِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾ خُذُوهُ فَٱعْتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ صُبُّوا۟ فَوْقَ رَأْسِهِۦ مِنْ عَذَابِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٨﴾ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾ إِنَّ هَٰذَا مَا كُنتُم بِهِۦ تَمْتَرُونَ ﴿٥٠﴾﴾.

[هؤلاء هم المتقون يوم القيامة]:

﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٢﴾ يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٥٣﴾ كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ ﴿٥٥﴾ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٦﴾ فَضْلًا مِّن رَّبِّكَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٥٧﴾ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾ فَٱرْتَقِبْ إِنَّهُم مُّرْتَقِبُونَ ﴿٥٩﴾﴾.

قوله: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾؛ أي: بين جنسي السماء والأرض ﴿لَٰعِبِينَ﴾؛ أي: لغير غَرَضٍ صحيح. قال مقاتل[1]: لم نخلقهما عابثين لغير شيء.

وقال الكلبي[2]: لاهين، وقيل: غافلين. قرأ الجمهور[3]: «وما بينهما» وقرأ عَمرو بن عبيد[4]: «وما بينهنّ» لأن السمٰوات، والأرض جمع، وانتصاب[5] لاعبين على الحال ﴿مَا خَلَقْنَٰهُمَآ﴾؛ أي: وما بينهما ﴿إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾؛ أي: إلا بالأمر الحق، والاستثناء مفرّغ من أعمّ الأحوال.

وقال الكلبي[6]: إلا للحق، وكذا قال الحسن[7]، وقيل: إلّا لإقامة الحق وإظهاره.

---

(١) «النكت والعيون» (٥/ ٢٥٦).
(٢) «النكت والعيون» (٥/ ٢٥٦).
(٣) «البحر المحيط» (٩/ ٤٠٧).
(٤) «حاشية الجمل» (٤/ ١٠٩)، و«روح المعاني» (٢٤/ ٤٨٤). وهي قراءة شاذة.
(٥) «التبيان» (٢/ ١١٤٧).
(٦) «النكت والعيون» (٥/ ٢٥٦).
(٧) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٩/ ١٣٠).

﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أن الأمر كذلك، وهم المشركون.

﴿إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ مِيقَٰتُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾؛ أي: إنّ يوم القيامة الذي يفصل فيه الحق عن الباطل ميقاتهم؛ أي: الوقت المجعول لتمييز المحسن من المسيئ، والمحقّ من المبطل، ﴿أَجْمَعِينَ﴾: لا يخرج عنهم أحد من ذلك.

وقد اتفق القراء[١] على رفع ميقاتِهم على أنه خبر «إن»، واسمها يوم الفصل. وأجاز الكسائي[٢]، والفراء[٣] نصبه على أنه اسمها، ويوم الفصل خبرها.

ثم وصف سبحانه ذلك اليوم، فقال: ﴿يَوْمَ لَا يُغْنِى مَوْلًى عَن مَّوْلًى شَيْـًٔا﴾ يوم بدل من ﴿يَوْمَ ٱلْفَصْلِ﴾، أو منتصب[٤] بفعل مضمر يدل عليه الفصل؛ أي: يفصل بينهم يوم لا يغني، ولا يجوز أن يكون معمولاً للفصل؛ لأنه قد وقع الفصل بينهما بأجنبي، والمعنى: أنه لا ينفع في ذلك اليوم قريب قريباً، ولا يدفع عنه شيئاً، ويطلق المولى على الوليّ، وهو: القريب والناصر.

﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ الضمير راجع إلى المولى باعتبار المعنى؛ لأنه نكرة في سياق النفي، وهي من صيغ العموم؛ أي: ولا هم يُمْنَعون من عذاب الله ﴿إِلَّا مَن رَّحِمَ ٱللَّهُ﴾ قال الكسائي[٥]: الاستثناء منقطع[٦]؛ أي: لكن من رحم الله، وكذا قال الفراء[٧]. وقيل: هو متصل، والمعنى: لا يغني قريب عن قريب إلا المؤمنين، فإنهم يؤذن لهم في الشفاعة فيشفعون، ويجوز أن يكون مرفوعاً على البدل من مولى الأوّل، أو من الضمير في ينصرون.

﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾؛ أي: الغالب الذي لا يُنْصَر من أراد عذابه الرحيم لعباده المؤمنين.

ثم لما وصف اليوم ذكر بعده وعيد الكفار، فقال: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾

---

(١) «البحر المحيط» (٩/ ٤٠٧)، و«روح المعاني» (٢٤/ ٤٨٤).
(٢) ذكره النحاس في «إعراب القرآن» (٤/ ١٣٤).
(٣) في «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٤٢). (٤) «التبيان» (٢/ ١١٤٧)، و«الفريد» (٤/ ٤٧٥).
(٥) ذكره النحاس في «إعرابه» (٤/ ١٣٤).
(٦) «مشكل إعراب القرآن» (٢/ ٢٩٠ ـ ٢٩١)، و«روح المعاني» (٢٤/ ٤٨٦)، و«إعراب القرآن» للنحاس (٤/ ١٣٤).
(٧) في «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٤٢).

﴿طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ﴾ شجرة الزّقوم هي: الشجرةُ التي خلقها الله في جهنَّم، وسماها الشجرة الملعونة، فإذا جاع أهل النار التجئوا إليها فأكلوا منها، وقد مضى الكلام على شجرة الزقوم في سورة الصافات، والأثيم: الكثير الإثم.

قال في «الصحاح»(١): أَثِم الرجل بالكسر إثماً، ومأثماً: إذا وقع في الإثم، فهو: آثم، وأثيم وأثوم. فمعنى طعام الأثيم: ذي الإِثْم.

﴿كَٱلْمُهْلِ﴾ وهو: درديّ الزيت(٢) وعكر القطران. وقيل: هو النحاس المذاب(٣). وقيل: كلّ ما يذوب في النار ﴿يَغْلِي فِي ٱلْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلْيِ ٱلْحَمِيمِ﴾ قرأ الجمهور(٤): «تغلي» بالفوقية على أنّ الفاعل ضمير يعود إلى الشجرة، والجملة خبر ثانٍ، أو حال، أو خبر مبتدأ محذوف؛ أي: تغلي غلياً مثل غلي الحميم، وهو: الماء الشديد الحرارة.

وقرأ ابن كثير، وحفص، وابن محيصن، رويس، عن يعقوب «يغلي» بالتحتية(٥) على أنّ الفاعل ضمير يعود إلى الطعام، وهو: في معنى الشجرة، ولا يصح أن يكون الضمير عائداً إلى المهل؛ لأنه مشبه به، وإنما يغلي ما يشبه بالمهل.

وقوله: ﴿كَغَلْيِ ٱلْحَمِيمِ﴾ صفة مصدر محذوف؛ أي: غلياً كغلي الحميم.

﴿خُذُوهُ فَٱعْتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ﴾؛ أي: يُقال للملائكة الذين هم خزنة النار: خذوه؛ أي: الأثيم، فاعتلوه، العَتْل(٦): القود بالعنف، يقال: عتله يعتله، إذا جرّه، وذهب به إلى مكروه، وقيل العتل: أن يأخذ بتلابيب الرجل، ومجامعه، فيجره، ومنه قول الشاعر يصف فرساً(٧):

نَقرعه قرْعاً ولسنا نَعْتِلُهُ

ومنه قول الفرزدق(٨) يهجو جريراً:

---

(١) في «الصحاح» (٥/١٨٥٧). (٢) «مفردات ألفاظ القرآن» (ص٧٨١).
(٣) «الجامع لأحكام القرآن» (١٩/١٢٣)، و«روح المعاني» (٢٤/٤٨٨ ـ ٤٨٩).
(٤) «النشر» (٢/٣٧١)، و«التيسير» (ص١٩٨)، و«زاد المسير» (٧/٣٤٩)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (٢/٢٦٤).
(٥) انظر: المصادر المتقدمة.
(٦) «مفردات ألفاظ القرآن» (ص٥٤٦)، و«الصحاح» (٥/١٧٥٨).
(٧) «الصحاح» (٥/١٧٥٨)، و«المعاني الكبير» لابن قتيبة (١/٧٧).
(٨) «ديوان الفرزدق» (ص٧٢٢).

حتَّى تُردّ إلى عَطيَّة تُعْتل[١]

قرأ الجمهور[٢] ﴿فَاعْتِلُوهُ﴾ بكسر التاء. وقرأ نافع، وابن كثير، وابن عامر بضمها[٣]، وهما: لغتان ﴿إِلَىٰ سَوَاءِ الْجَحِيمِ﴾؛ أي: إلى وسطه، كقوله: ﴿فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ﴾ [الصافات: ٥٥].

﴿ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ﴾ «من» هي التبعيضية[٤]؛ أي: صبوا فوق رأسه بعض هذا النوع، وإضافة العذاب إلى الحميم للبيان[٥]؛ أي: عذاب هو الحميم، وهو: الماء الشديد الحرارة كما تقدّم.

﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾؛ أي: وقولوا له تهكماً، وتقريعاً[٦] وتوبيخاً: ذق العذاب إنك أنت العزيز الكريم. [٤/٦٠] وقيل: إن أبا جهل كان يزعم أنه أعزّ أهل الوادي، وأكرمهم، فيقولون له: ذق العذاب أيها المتعزّز المتكرم في زعمك، وفيما كنت تقوله.

قرأ الجمهور[٧]: «إنك» بكسر الهمزة، وقرأ الكسائي.

ـ وروي ذلك عن عليّ ـ بفتحها[٨]؛ أي: لأنك.

قال الفراء[٩]: أي: بهذا القول الذي قلته في الدنيا، والإشارة بقوله: ﴿إِنَّ هَٰذَا﴾ إلى العذاب ﴿مَا كُنْتُمْ بِهِ تَمْتَرُونَ﴾؛ أي: تشكون فيه حين كنتم في الدنيا، والجمع باعتبار جنس الأثيم.

---

(١) وصدر البيت:

لَيسَ الكِرَامُ بِنَاحِلِيلَ أَبَاهُمُ

(٢) «جامع البيان» (٢١/ ٦٠)، و«التيسير» (ص١٩٨)، و«النشر» (٢/ ٣٧١)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (٢/ ٢٦٤).

(٣) انظر: المصادر المتقدمة. وكذلك يعقوب قرأ بالضم.

(٤) «المحرر الوجيز» (١٤/ ٣٠٠)، و«زاد المسير» (٧/ ٣٥٠).

(٥) «روح المعاني» (٢٤/ ٤٩١).

(٦) «تفسير أبي السعود» (٦/ ١٠٩)، و«روح المعاني» (٢٤/ ٤٩١).

(٧) «البحر المحيط» (٩/ ٤٠٨)، و«التيسير» (ص١٩٨)، و«النشر» (٢/ ٣٧١)، و«التبيان» (٢/ ١١٤٨)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (٢/ ٢٦٤).

(٨) انظر: المصادر المتقدمة.

(٩) في «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٤٣).

ثم ذكر سبحانه مستقرّ المتقين، فقال: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ﴾؛ أي: الذين اتقوا الكفر والمعاصي.

قرأ الجمهور[١]: «فقام» بفتح الميم، وقرأ نافع، وابن عامر بضمها[٢]. فعلى القراءة الأولى هو: موضع القيام، وعلى القراءة الثانية هو: موضع الإقامة قاله الكسائي، وغيره.

قال الجوهري[٣]: قد يكون كل واحد منهما بمعنى: الإقامة، وقد يكون بمعنى: موضع القيام.

ثم وصف المقام بأنّه أمين يأمن صاحبه من جميع المخاوف ﴿فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ﴾ بدل من مقام أمين[٤]، أو بيان له، أو خبر ثانٍ ﴿يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ﴾ خبر ثانٍ، أو ثالث، أو حال من الضمير المستكنّ في الجار والمجرور، والسندس: ما رقّ مِنْ الديباج، والإستبرق: ما غلظ منه، وقد تقدّم بيانه في سورة الكهف، وانتصاب[٥] ﴿مُّتَقَٰبِلِينَ﴾ على الحال من فاعل ﴿يَلْبَسُونَ﴾؛ أي: متقابلين في مجالسهم ينظر بعضهم إلى بعض.

والكاف في قوله: ﴿كَذَٰلِكَ﴾ إما نعت مصدر محذوف[٦]؛ أي: نفعل بالمتقين فعلاً كذلك. أو مرفوع على أنه خبر لمبتدأ محذوف؛ أي: الأمر كذلك ﴿وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ﴾؛ أي: أكرمناهم بأن زوّجناهم بحور عين، والحور[٧]: جمع حوراء وهي: البيضاء، والعِينُ: جمع عيناء: وهي الواسعة العينين.

وقال مجاهد[٨]: إنما سُمّيت الحوراء حوراء؛ لأنه يحار الطرف في حسنها، وقيل: هو من حَوَر العين وهو: شدّة بياض العين في شدّة سوادها كذا قال أبو عبيدة[٩].

---

(١) «البحر المحيط» (٩/٤٠٨)، و«النشر» (٢/٣٧١)، و«جامع البيان» (٢١/٦٣)، و«زاد المسير» (٧/٣٥٠).

(٢) انظر: المصادر المتقدمة. (٣) في «الصحاح» (٥/٢٠١٧).

(٤) «التبيان» (٢/١١٤٩)، و«الفريد» (٤/٢٧٦).

(٥) «مشكل إعراب القرآن» (٢/٢٩٢)، و«الفريد» (٤/٢٧٦).

(٦) «التبيان» (٢/١١٤٩)، و«مشكل إعراب القرآن» (٢/٢٩٢).

(٧) «مفردات ألفاظ القرآن» (ص٢٦٢)، و«تهذيب اللغة» (٥/٢٢٧).

(٨) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢١/٦٥) بسند صحيح.

(٩) انظر: «الصحاح» (٥/٦٣٩).

وقال الأصمعي(١): ما أدري ما الحور في العين.

قال أبو عمرو(٢): الحَوَرُ أن تسودّ العين كلها مثل أعين الظباء، والبقر، قال: وليس في بني آدم حور، وإنما قيل للنساء حور: لأنهنّ شبهن بالظباء، والبقر. قيل: والمراد بقوله: ﴿وَزَوَّجْنَٰهُم﴾ قرناهم، وليس من عقد التزويج؛ لأنه لا يقال: زوّجته بامرأة.

وقال أبو عبيدة(٣): وجعلناهم أزواجاً لهنّ كما يزوّج البعل بالبعل؛ أي: جعلناهم اثنين اثنين، وكذا قال الأخفش(٤).

﴿يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ﴾؛ أي: يأمرون بإحضار ما يشتهون من الفواكه حال كونهم آمنين من التخم والأسقام والآلام.

[لا يتوقعون نهاية لهذا النعيم]:

قال قتادة(٥): آمنين من الموت والوصَب والشيطان، وقيل: من انقطاع ما هم فيه من النعيم ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ﴾؛ أي: لا يموتون فيها أبداً إلا الموتة التي ذاقوها في الدنيا، والاستثناء(٦) منقطع؛ أي: لكن الموتة التي قد ذاقوها في الدنيا كذا قال الزّجاج(٧) والفراء(٨)، وغيرهما، ومثل هذه الآية قوله: ﴿وَلَا تَنكِحُواْ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾ [النساء: ٢٢] وقيل: إن «إلا» بمعنى بعد، كقولك: ما كلمت رجلاً اليوم إلا رجلاً عندك؛ أي: بعد رجل عندك، وقيل: هي بمعنى سوى؛ أي: سوى الموتة الأولى.

وقال ابن قتيبة(٩): إنما استثنى الموتة الأولى وهي في الدنيا؛ لأن السعداء حين يموتون يصيرون بلطف الله وقدرته إلى أسباب من الجنة يلقون الروح، والريحان، ويرون منازلهم من الجنة، وتفتح لهم أبوابها، فإذا ماتوا في الدنيا،

---

(١) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٩/ ١٣٨)، والجوهري في «الصحاح» (٥/ ٦٣٩).

(٢) ذكره الجوهري في «الصحاح» (٢/ ٦٣٩).

(٣) في «مجاز القرآن» (٢/ ٢٠٩).

(٤) في «معاني القرآن» للأخفش (٢/ ٦٩١).

(٥) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢١/ ٦٧) بسند صحيح.

(٦) «روح المعاني» (٢٤/ ٤٩٦)، و«مشكل إعراب القرآن» (٢/ ٢٩٢)، و«التبيان» (٢/ ١١٤٩).

(٧) في «معاني القرآن وإعرابه» (٤/ ٤٢٨).

(٨) في «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٤٤).

(٩) «تأويل مشكل القرآن» (ص٥٥ ـ ٥٦).

فكأنّهم ماتوا في الجنة لاتصالهم بأسبابها، ومشاهدتهم إياها، فيكون الاستثناء[١] على هذا متصلاً.

واختار ابن جرير[٢] أنّ إِلَّا بمعنى بَعْد، واختار كونها بمعنى: سوى ابن عطية[٣].

﴿وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ﴾. قرأ الجمهور[٤]: «وقاهم» بالتخفيف، وقرأ أبو حيوة بالتشديد[٥] على المبالغة ﴿فَضْلًا مِّن رَّبِّكَ﴾؛ أي: لأجل الفضل منه، أو أعطاهم ذلك عطاء فضلاً منه ﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾؛ أي: ذلك الذي تقدّم ذكره هو الفوز الذي لا فوز بعده المتناهي في العظم.

ثم لما بيّن سبحانه الدلائل، وذكر الوعد، والوعيد، قال: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾؛ أي: إنما أنزلنا القرآن بلغتك؛ كي يفهمه قومك، فيتذكروا ويعتبروا ويعملوا بما فيه، أو سهلناه بلغتك عليك وعلى من يقرؤه لعلهم يتذكرون.

﴿فَٱرْتَقِبْ إِنَّهُم مُّرْتَقِبُونَ﴾؛ أي: فانتظر ما وعدناك من النصر عليهم وإهلاكهم على يدك، فإنهم منتظرون ما ينزل بك من موت أو غيره، وقيل: انتظر أن يحكم الله بينك وبينهم، فإنهم منتظرون بك نوائب الدهر والمعنى متقارب.

وقد أخرج ابن أبي حاتم، عن ابن عباس[٦] في قوله: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ﴾ يقول: لست بعزيز، ولا كريم.

وأخرج الأموي في مغازيه[٧]، عن عكرمة قال: «لقي رسول الله ﷺ أبا جهل، فقال: إن الله أمرني أن أقول لك: ﴿أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ۝٣٤ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰٓ﴾ [القيامة: ٣٤، ٣٥] قال: فنزع يده من يده، وقال: ما تستطيع لي أنت ولا صاحبك من شيء، لقد

---

(١) «التبيان» (٢/ ١١٤٩)، و«مشكل إعراب القرآن» (٢/ ٢٩٢)، و«الفريد» (٤/ ٥٧٨).
(٢) في «جامع البيان» (٢١/ ٦٧ ـ ٦٩).
(٣) في «المحرر الوجيز» (١٤/ ٣٠٢).
(٤) «البحر المحيط» (٩/ ٤٠٩)، و«تفسير الرازي» (٢٧/ ٢٥٥).
(٥) «إعراب القراءات الشواذ» (٢/ ٤٦٥)، و«القراءات الشاذة» (ص١٣٧). وهي قراءة شاذة.
(٦) ذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٢٩٠).
(٧) أخرجه الأموي في «مغازيه» ـ كما في «تفسير ابن كثير» (١٢/ ٣٥٢) بسند ضعيف جدّاً؛ لأن أبا بكر الهُذلي متروك.

علمت أني أمنع أهل بطحاء، وأنا العزيز الكريم، فقتله الله يوم بدر وأذله، وعيّره بكلمته، وأنزل: ﴿ذُقۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡكَرِيمُ﴾».

وأخرج ابن مردويه[1]، عن ابن عباس في قوله: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ ٱلۡأَثِيمِ﴾ قال: المُهل.

وأخرج عنه أيضاً[2]: ﴿ذُقۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡكَرِيمُ﴾ قال: هو أبو جهل بن هشام.

❁ ❁ ❁

(١) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٤١٩).
(٢) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٤١٩).

فهرس موضوعات الجزء الثامن

الموضوع **الصفحة**

تفسير سورة سبأ

الموضوع | الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع **الصفحة**

الموضوع | الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع | الصفحة

مفكرة

مفكرة

مفكرة

مفكرة

مفكرة

مفكرة

مفكرة

دار ابن الجوزي 8428146
9 786038 298749